قطوف درر المحبين
لآل عبدالله التنوخيين

الخيام

سيرتهم السياسية والاجتماعية والأدبية والشعر في التاريخ

بقلم
عبد اللطيف حسن عبدالله

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان

قطوف درر المحبين

لآل عبدالله التنوخيين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

٢٠١٧

قطوف درر المحبين
لآل عبدالله التنوخيين

الخيــام

آل عبدالله

سيرتهم

السياسية والاجتماعية والأدبية والشعر

في التاريخ

بقلم

عبد اللطيف حسن عبدالله

من تشرين الأول ٢٠١٠ م إلى آب ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أجـــدادي مـوضع فخـري واعـــتـزازي بـــنـاة الحـضـارة.

إلى والـداي اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى زوجتي الحبيبة سنوات من الوفاء والاخلاص والتضحية.

إلى أبنائي الأحباء كونوا كما تعلموا كيف أرغب أن تكونوا.

إلى حفيدتي وحبيبتي الأولى مـريم لقـد كـافأنـا الله بك.

إلى أخوتي هـداني الله وإيـاكـم إلى طـريق الصلاح والفلاح.

إلى أبـنـاء عمومتي وخؤولتي اعتصموا بحبل الله جميعا.

إلى أبـنـاء بـلـدتي الخيـام كـنـا وسـوف نبقى أسـرة واحـده.

إلى أصدقائي ورفاقي مهما فرقت بيننا السنين لن أنساكم أبداً.

لكم تحياتي وأشواقي ومحبتي وكتابي هذا...

عبداللطيف حسن عبدالله

خريطة طريق هجرة أجداد آل عبدالله

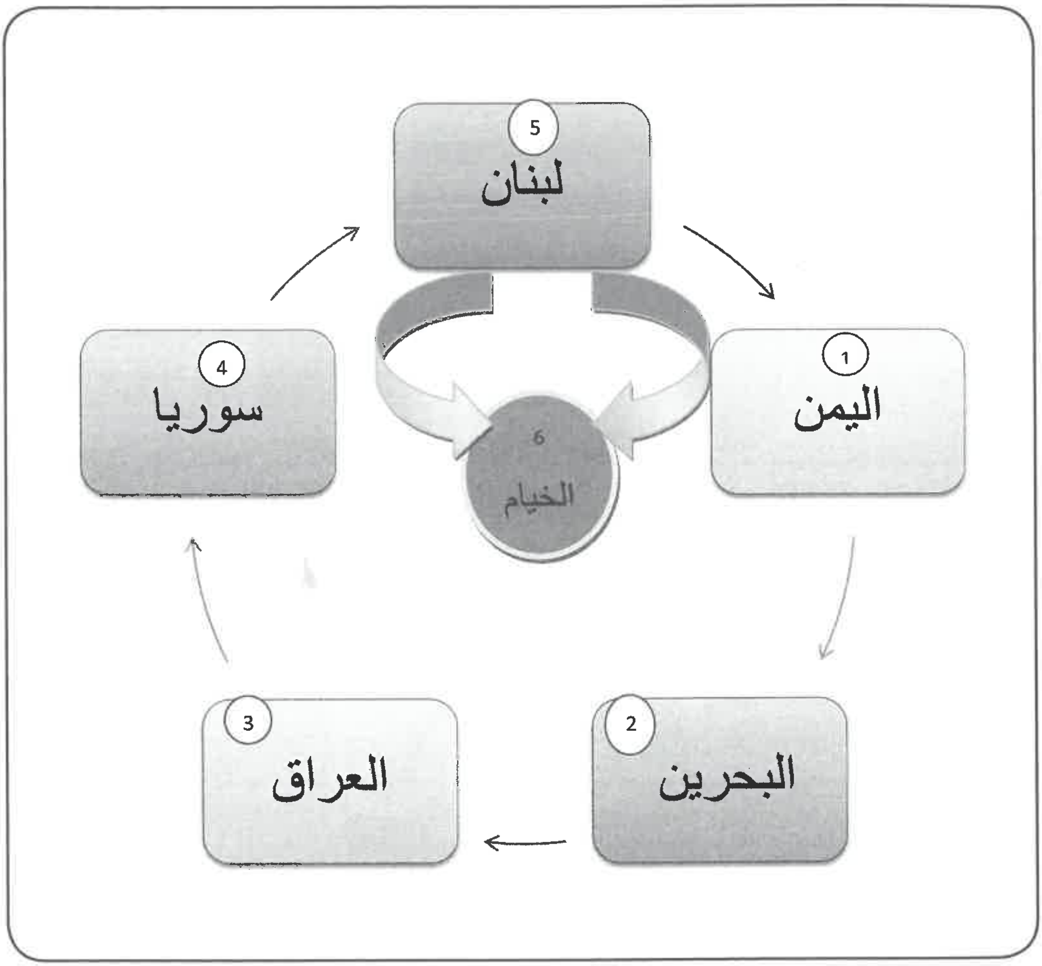

تاريخ آل عبدالله

كتابنا هذا هو تاريخ خاص يبحث بأحوال سيرة أسرة آل عبدالله، يتناول جذورها ونشأتها وتاريخ هجراتها ومراحل محطاتها واقتفاء آثارها منذ أقدم العصور وإلى العصر الحديث، وتَتَبُّع سير رجالاتها وإلقاء الضوء على حياتهم السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والنضالية.

مع ذكر فضائلهم وحسن صنيعهم على مستوى الأمة والمستوى الوطني والقومي، وإظهار وقائع غالباً ما كنا نجهلها مع عدم تقيد البحث بإطار زمني أو جغرافي وذلك لتداخل الأحداث تتسع معلوماته ما أمكن بلورة الفكرة حتى تنضج وتكتمل وتكون واضحة للقارىء. مع الإشارة إلى بعض الجوانب التاريخية البعيدة، لأهميتها وارتباطها في مضمار بحثنا والتي شكلت صدى تاريخي لها. هذا وتنقسم مواضيع الكتاب إلى ستة فصول حسب تلك الهجرات وبيئتها ومحطاتها الجغرافية.

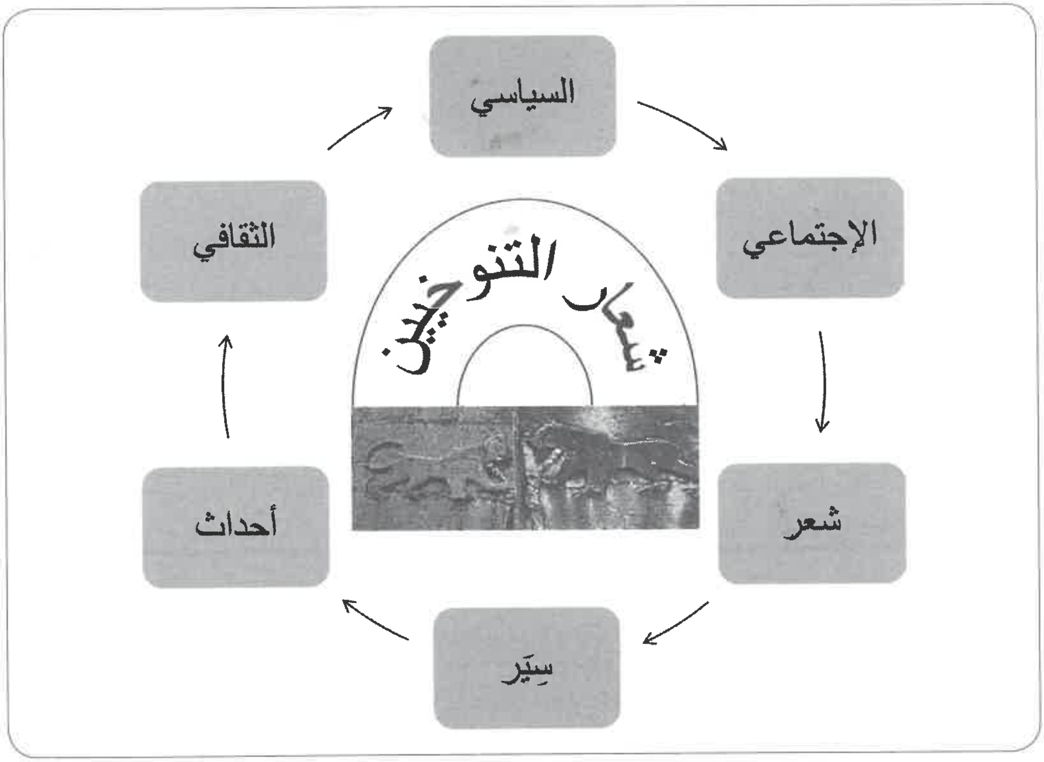

شخصيات السادة أجداد آل عبدالله في الخيام

الأمير موسى بن علي علم الدين آل عبدالله التنوخي

الأمير عبدالله بن موسى
ابن علي آل عبدالله التنوخي

الأمير محمد بن عبدالله بن موسى
ابن علي آل عبدالله التنوخي

الحاج حسن أفندي بن محمد
آل عبدالله التنوخي
١٧٩٠-١٩٠٤

موسى أفندي بن محمد
آل عبدالله التنوخي
١٧٩٥-١٨٨٢

حمود أفندي بن محمد
آل عبدالله التنوخي
١٨٠٣-١٨٩٦

الحاج حسين أفندي بن محمد
آل عبدالله التنوخي
١٨٠٠-١٨٨٧

الحاج عبدالله أفندي بن محمد
آل عبدالله التنوخي
١٨٠٥-١٨٩٧

بعض الصور التي وضعت على الغلاف، هي فكرة مستوحاة من عدد أسماء أجدادنا الثمانية الأوائل، والصور ليست خيالية بل قريبة جدًا إلى الواقع، وحملت الكثير من صفاتهم، رسمت بعناية إستثنائية من أمهر الرسامين من الصين والهند والفلبين وإيران، وكذلك بتكلفة عالية، عن طريق مقاربة ببعض صور الأحفاد أو عن طريق الوصف الذي حصلت عليه ممن حفظه البعض، (..قال ابي عن جدي وقال جدي عن جده) وهكذا، أما صور الأمراء الثلاثة لا تخلو من مقاربة مع صورة حفيدهم الحاج حسن عبدالله، والأحفاد الآخرين، وما لباسهم سوى تعبيرًا عن الزمن الذي عاشوا فيه، وكذلك البيئة التي ترعرعوا فيها، وأردنا من ذلك تجسيد شخصياتهم كي يبقى تاريخهم اكثر رسوخًا في الذاكرة كسائر تواريخ الأمم التي تعتمد كليا على الإبداع في تجسيد صور عظمائها التي تعود صورهم إلى مئات مئات السنين، أما صورنا فلم يمضِ عليها الكثير وهي قريبة جدًا من إحساسنا وأنفاسنا، وكما تحرص أكبر الدول على الاعتزاز بشخصياتها التاريخية والسياسية. نرى صورًا للمتنبي والفراهيدي والمعري الذي هو أحد أجدادنا، فكان من حقنا أن نظهر بعض من صور أجدادنا، وذلك لمحبتنا الكبيرة لهم رحمهم الله جميعًا.ويعود الشكر الأول والأخير إلى من أشرف وأخرج هذا التصميم بصورته الحالية.

الحاج حسن أفندي عبدالله وأولاده الأربعة عشر

١- الحاج علي ٢- الحاج محمد ٣- الحاج ابراهيم ٤- الحاج جواد ٥- اسماعيل
٦- الحاج زين ٧- الحاج حسين ٨- أمين التنوخي ٩- الحاج أحمد ١٠- الحاج محسن
١١- خليل ١٢- الحاج مصطفى ١٣- سلمان ١٤- عبد الحسين.(❋)

(❋) كان عملاً شاقاً في إخراج الصورة بهذا الوضوح مع عدم التغيير ما استطعنا بظل توفر التقنية الحديثة لقد حصلنا على هذه الصورة عام ١٩٩٨م. وهذه الصورة وجدت في دار الحاج محمد أفندي عبدالله، وأول من قام مشكوراً بتكبير الصورة ووضعها في منزله بشكلها القديم حسن علي الشيخ حسن صادق، رأيتها معلقة على حائط الصالون في منزله أما بالنسبة لأسماء أولاد الحاج حسن عبدالله فهي ليست دقيقة مئة في المئة، ونقول كلهم أجدادنا وآباؤنا ومن صلب واحد يجمعنا رحم واحد (فالحسن أخو الحسين عليهما السلام) أخي الناظر إلى الصورة قل ما شاء الله وأغمض عينيك واختر من ترغب. اللهم صلي على محمد وآل محمد.

(❋) من نظر إلى هذه الصورة التاريخية والذي مضى على عمرها قرابة المائة وأربعين سنة يستطيع أن يدون ويكتب الكثير من المعاني، فمن وجوههم وعيونهم ونظراتهم وزيِّهم وسيوفهم ورصاصهم، من أناقتهم من ترتيبهم لصفوفهم من تحولقهم حول والدهم، من طهر عمامة والدهم

من صغيرهم إلى كبيرهم، تقرأ في وجوههم قصائد شعر وأدب وحماس وأمل وطمأنينة رضي الله عنهم أجمعين.

(*) سئل الشاعر صلاح لبكي ١٩٠٦ـ ١٩٥٥ عن أبلغ قصيدة قال: لوحة موناليزا التي كلما أعدت النظر إليها اكتشفت فيها معاني جديدة ... فأنا أقرأ لوحة الموناليزا... ولا أتفرج عليها. رحم الله الشاعر لبكي لو تسنى له ونظر إلى هذه الصورة لأحرق الموناليزا وألّف آلاف القصائد والأشعار وهو ينظر اليها.

١٧٩٠ - ١٩٠٤

الحاج حسن بن الأمير محمد بن الأمير عبدالله عميد وسليل أسرة آل عبدالله التنوخية

جَدُّ العَشِيرة (١)

أبا علـي يا جـداً عـلا وغلـى ... حسـن الأصالةِ أضحـى للملا مثلا

حسـنُ المـحامِـدِ عـبدالله والدهُ ... أكْـرِمْ بـه رائـداً للقـادةِ النبَـلاَ

سليل قحطان تقـوى الله ديدنـه ... فكـم لمكـة حـجّ البيـتَ وابتهـلا

لله يـدعــو بـأن الله يـرزقـه ... ذرية تحقـق الإيـمان والأمـلا

---

(١) شعر المرحوم الشيخ حسين عبدالله أمين أسعد عبدالله ٢٠١٢..

له استجاب إله العـــرش دعوتَـهُ … و خصّه برجالٍ أخـلصـوا الـعَمَـلا
أعـطاهُ أربـع عَشَـر لا نـظيـر لهــم … من البـنين بهـم عـيش الـعباد خَلاَ
بكـر البنـين أفنـديٌّ سمـا شرفــاً … أبا علـي عميــد الأخــوةِ الفُضـلا
سـاد العشيــرة أخـلاقـاً ومكـرمـة … سـل الخيام بسـوق الخان مـا فـعلا
ردّ الـردى وبـعـزمـه كـاد الـعدى … مستلهماً مـن أمـير المؤمـنين وِلاَ
شيخ المـحافـلِ مشـهودٌ بـموقـفـه … بفيض حكمته زحـف الجرود جـلا
بنو تنوخ العُلـى طابت مـغارسُـهُمُ … سـل الربى عنهم والسهـل والجبلا
تنبيك أن سيوف البيض ما برحــوا … بغـير قسـط العلى لـن يرتضـوا بدلا
زعامة الدين والدنيا لهم خضعــت … لـولا ريادتهــم كانـت رمـيم بِـلا
يـا رحـمـة الله حِـلِّـي أينمـا ذكـروا … وكـلما مسـلـم آية الـكتـاب تـلا
لسنا نغالي ولا أشـعارُنا بـــدعٌ … يميز ذا من يميز الكحـل والكـحلا

والده: محمد بن عبدالله بن موسى آل عبدالله التنوخي.

والدته: الحاجة الجليلة ربية الفاعور آل الفضل (الجولان).

أجداده: آل عبدالله آل علم الدين عبدالله أو بنو عبدالله التنوخي.

حياته: عاصر ثلاثة قرون: الثامن عشر، التاسع عشر والعشرون، توفي وعمره ١١٤ سنة.

مقدِّمة

عندما زرته في منزله في بيروت،منتصف شهر آذار سنة ٢٠١٢م. كان الطقس في المدينة صافياً، وشوارعها كالعادة مكتظة، وعجقة السير خانقة، وفحيح عوادم السيارات وكوابحها يرسل دخاناً أبيضاً وأسوداً يطبق على أنفاس أهلها ملوناً سحنتهم..

يومها سألت نفسي !!كيف لزائر مثلي لوطنه من بلاد الإغتراب والآتي من دولة قطر العزيزة والحبيبة علي قلبي، أن يترك فصل الربيع في بلدته الخيام وآذارها العابق بشذا أطياب أزهارها وألوانها وحقولها الخضراء وخمائلها الجميلة ورياضها النضرة ويأتي إلى بيروت؟؟.

واقع الأمر أن زيارة بيروت في حينه ،كانت ضرورية ومهمة تخدم مبادرتي لتأليف كتاب يتناول تاريخ وسيرة آل عبدالله ،بلقاء المربي الكبير الأستاذ علي حسين خليل عبدالله.السباق بين رجالات العائلة الذي بدأ مبكراً بكتابة تاريخهم وجمع إرثهم وتراثهم وهو الذي أعد شجرة العائلة وعلى أوراقها الأجداد والأبناء والأحفاد.

لقد جعلت من زيارتي للأستاذ علي وما دار خلالها من أسئلة وأجوبة ونقاشات وحوارات، مقدمة للكتاب الذي بين أيدينا.. وأبادر إلى القول: أنه مهما تهيَّأت وأعددت نفسك لهذه الزيارة ومهما جمعت من معلومات تعزز معرفتك وقدرتك الحوارية، لا تستطيع إلا أن تكون تلميذاً أمام هذا الرجل الكبير، فقد أصرّ على استقبالنا رغم إصابته بوعكة صحية ونحن حرصنا على اختصار الزيارة مقارنة بالزيارات السابقة التي كانت تستمر لساعات، لكن رغم قصرها كانت غنية بالمعلومات والتوجيهات التي فتحت لنا الآفاق وذلّلت الكثير من العقبات..

قال: أنا جداً مسرور بهذه الزيارة وسررت أكثر برؤية زوجتك، لأنها بنت الرجل الذي أحبه وأحترمه، فوالدها صديقي ورفيقي لقد قضينا كثيراً من الأوقات بمناسبات كثيرة مع بعضنا، فوالدها أبو حسين[١] شيخ الشباب ومن قبضايات العيلة وكريم من كرمائها، فأهلًا وسهلًا بكما كما سررت لأنك أخبرتني بأنك تسعى لتأليف كتاب عن أسرتنا أسرة آل عبدالله فإني أشجعّك وأشد على يدك راجياً منك أن تكمل هذا العمل إلى النهاية، وإنّا إن شاء الله لو سمحت الظروف

(١) والد زوجتي أبو حسين علي محمد إسماعيل عبدالله ولد سنة ١٩٢٦ توفاه الله عام ٢٠١٥.

وساعدتني صحتي سوف أنتهي من تأليف كتابي: (آل عبدالله في قرنين) وسوف أخصك بنسخة لعلها تساعدك وتعينك على تأليف كتابك، وهنا سوف أقول لك قناعتي وأحدثك بكل تجرد: نعم صحيح أنا أنتمي إلى هذه الأسرة الكريمة وأفتخر بذلك، ولكن ليس من منطلق المتعصب لها ولكن رأيت فيها ما حملني وشجعني على أن أؤلّف كتاباً يتناول تاريخها وسير رجالاتها، لأن أي إنسان عندما يتعصب لأسرته وقبيلته وطائفته ينحصر ويسقط ويصغر في عيون الآخرين، وخاصة لشخص مثلي درّس أجيالاً وأجيال في الخيام وغيرها،إنني أعتبر كل أجيال الخيام الذين درّستهم هم أبناءٌ لي وكل صديق في الخيام هو أخ لي وكل امرأة في الخيام هي بمثابة أخت لي . أنا أحمل رسالة.. كيف؟نعم أحمل رسالة أجدادي المنفتحين على الغير وغير المتعصبين والغير أنانيين بل المحبين لبلدتهم الخيام ولأهلها، ولا تتصور كم لهم من المحبة في قلوب الخياميين من هنا انطلقت من هذه الأرضية القيّمة والصادقة فعائلة آل عبدالله هي العائلة الأم بالنسبة لعوائل الخيام فهي أكثرها عدداً وأبرزها سياسياً وإجتماعياً واقتصاديا وثقافياً، وفي عدد ناخبيها الذي قارب ١٥٠٠ ناخب وناخبة في أول إنتخابات نيابية بعد عام١٩٧٢م.

إن أجدادنا ناسبوا أغلب عائلاتها فنحن خؤولة لهم. فالمرحوم الحاج حسن عبدالله (١٧٩٠-١٩٠٥م) قد تزوج من آل ملحم وشقير وأبو عباس، فهؤلاء جدات كل ذريته وحسبك أولاده وأخوته وأولاد أخوته ألم أقل لك بأن أسرة آل عبدالله هي أم الأسر الخيامية، وقد أحصيت أكثر من سبعين من العائلات الخيامية والجنوبية وغيرها من العائلات اللبنانية التي ناسبتها وصاهرتها أسرتنا. وفي هذا أقول: لقد كنت من المشجعين والساهرين والراعين والمشرفين على تأسيس جمعية آل عبدالله، أول أهدافها أن تشمل تدريجياً كل العوائل الخيامية ومن ثم الجنوبية لنصبح فيها بعد أسرة واحدة. وأشدد هنا على أن جمعية آل عبدالله لم يكن تأسيسها هو الغاية بل الوسيلة الأجدى والأفضل لتصحيح مسيرة العائلة وتطويرها نحو الأفضل والأكمل، اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً خاصة بظل المتغيرات السياسية في لبنان، التي انعكست على مجمل الأوضاع الإجتماعية إذاً لا بد من مواجهتها بأسلوب يناسب حركة المتغيرات الإجتماعية (أي الانتقال الأفقي ما بين أجزاء المجتمع والانتقال العامودي على السلم الاجتماعي) فهذه مسيرة طويلة ووعرة تحتاج إلى إخلاص في العمل وثبات ومرجعية مجرّدة من الأنانية، حتى يكون تعاوناً صادقاً ومتكاملاً وعادلاً بين أبناء البلدة الواحدة ثم بين أبناء المنطقة الواحدة وصولاً إلى الوطن الواحد القوي بأبنائه، نعم هكذا تبنى الأوطان من قاعدة صلبة حتى تصبح كالرواسي الشامخة العصية على الإنحناء.

إن الإنسان الذي ينفتح على الآخرين ويحب الآخرين، من الأنجح والأفضل له أن يبْرُز

بأخلاقه وسيرته الطيبة لا بأسرته وطائفته، لأننا كلنا أسرة واحدة والحقيقة أن آل عبدالله مارسوا العمل السياسي لقرون طويلة وأن أجدادهم الذين سكنوا الغرب من جبل لبنان، حاربوا المعنيين والشهابيين وانتقلت معهم بعض خلافاتهم وانقساماتهم بين قيسي ويمني، حيث سكنوا بلدة الخيام في أواخر القرن السابع عشر، ومن يمارس العمل السياسي لا تكون حركة تاريخه دون خطأ ودون خصومة هذه سُنّة الحياة، فلو قرأت تاريخنا العربي والإسلامي لوجدت بأنه عندما ظهرت الحركات الإسلامية المتخصصة بعلم الكلام كالأشاعرة والمعتزلة أين أصبحنا؟ لكن الحمدلله تبقى إيجابياتهم تعلو على سلبياتهم وهذا المهم. إن التمثيل العائلي السياسي والإداري قد بدأ في العهد العثماني واستمر في عهد الانتداب وعهد الإستقلال ومن رجالاتها:

- الحاج حسن بن محمد آل عبدالله الذي مثَّل منطقة مرجعيون في مجلس إدارة ولاية بيروت.
- الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله الذي مثَّل الطائفة والمنطقة في مؤتمر الحاصباني عام ١٨٩٤م.
- الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله الذي مثّل الخيام في مجلس إدارة قائمقامية مرجعيون.
- أمين ابن الحاج حسن عبدالله الذي مثّل الخيام في مجلس معارف القائمقامية.

هذا وسوف نذكر لاحقاً ما حصلنا عليه من معلومات في سياق الحديث عن سير رجالات آل عبدالله. وما أكدته الوثائق التاريخية عن نسب آل عبدالله العريق الذي ذكره الأمير شكيب أرسلان، والمؤرخ العاملي محمد جابر آل صفا في تاريخ جبل عامل.

هذه المقدمة هي انطباعات المؤلف عن زيارته للأستاذ المربي علي حسين خليل عبدالله.

وقد قام مشكوراً الأستاذ حسن علي عبدالله (أبو زاهي) بقراءة نص المقدمة وكان له ملاحظاته المهمة والقيّمة.

عبداللطيف حسن عبدالله

انطباعات:

بعض الزيارات خَلَّفَت لَدَيْ انْطِباعاً خاصّاً، كزيارتي إلى المربي الأستاذ علي حسين خليل عبدالله وكانت من الزيارات المهمة التي جعلت منها مقدمة للكتاب.

سبعٌ من السنين رهين هذا الكتاب لم أغادر صفحاته، رهين دفتيها إلى درجة عايشت رجالاته فرداً فرداً ومع الأيام تلاشى بيننا برزخٌ فغصت في رحاب نفسياتهم وتعرفت إلى عظمة شخصياتهم. ما وجدتُ باباً موصداً خلفه حكاية إلا وطرقته بيدٍ مضرجة بالعزم والإرادة، كنت أعلم بأنني ما أقوم به بمنتهى الصعوبة يحتاج إلى صبر تتقاسمه سلسلة الجبال الشرقية والغربية، لأنني كنت أرى ذلك اليأس بكثير من الوجوه يسألونني هل سوف تبقى بهذا العزم؟

هل سوف تتابع؟

كثيرين مثلك حاولوا وفي وسط الطريق تراجعوا!!

من أين أتيت بهذا النشاط ؟

ولماذا الآن؟ و...و...و...

أحسست بأن الحوت ابتلعني وفي حضرة النبي يونس أستغيث مستعيناً بعصا موسى لتشق أمامي الطريق، طالباً صبر أيوب كي أعبر هذا اليم وتسامح رسول البشرية محمد بن عبدالله ﷺ كي أغفر لأبناء قومي، وفصاحة شعيب وهارون كي يفقه القوم قولي.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لهم ولي ولكل المؤمنين سلام الله على جميع الأنبياء.

كل رحلة أعود منها كانت قصاصات الورق تملأ جيوبي، وفي صدري وسواس يلح بوخزه كلما أفلت منه تراءى لي بوجوه المشككين المنبهرين المتسائلين، وقصاصات الورق يوماً بعد يوم تزداد حجماً وفي وقت فراغي أعيد لها رونقها أو أتذكر شيئاً فأضيفه، وتمر أمامي كل الوجوه التي قابلتها، أحياناً كنت أحس بأن الضجر اعتلى وجه مَنْ كنت أسأله وضاق بي ذرعاً، فكنت أطيِّب خاطره وأجزل عليه من التحايا والسلام والدعاء حتى تنفرج أساريره.

إلتقيت بأحد الشباب الحرفيين وهو من حاصبيا، العاصمة التاريخية لوادي التيم وما أدراك ما وادي التيم منطقة عبقة بالتاريخ لا تمل ولا تكلّ وأنت تقرأ تاريخها، سألته وهو شاب على درجة عالية من التهذيب والمروءة: هل لك أن تعرّفني إلى شخص يهوى التاريخ فقال أعرّفك إلى شخص يحترف كتابة التاريخ فقلت: جزاكم الله خيراً أخي الكريم حياك الله وبياك.

في اليوم التالي اتصل بي محدداً الزمان والمكان، كم هو صادق وخلوق ومهذب هذا الشاب الذي لم يكلني إلى نفسي وخيالي. كان الموعد مع المربي الأستاذ غالب سليقة من بلدة الفُرديس، كان يوماً ربيعياً جميلاً تخالط أشعة الشمس أمطار الربيع وكأنهما عاشقان يتبادلا الهمسات والقبلات ويمرحان في عجلة قبل أن يداهمهما موعد الفراق، وتنسحب الشمس تجر خلفها طرحتها خلف دياجير الأفق، كنت بصحبة أخي أحمد كلما اقتربنا يتزين لنا التاريخ بأروع سماته ترويه تلك الهضاب والمنحدرات المكسوة اخضراراً بأشجار البلوط والسنديان والخروب، هضاب ما انفك التاريخ يزاحم أشجارها، من هنا مرّ التيمي والشهابي والمعني والتنوخي كان ارتفاع قناطر البيوت ينبيك عن علو هاماتهم وأمجادهم، دارة الأستاذ غالب تشبه كتاباته عن التاريخ منها تستوحي أساطير الأولين ومن جدرانها وأسقفها ترشح كرم وأصالة وعروبة، استقبلنا ببشاشة وجه وطلة تعكسان مدى احترامه لضيوفه مرحبّاً قائلاً: أهلاً بأبناء التنوخيين وأضاف ما عهدناكم إلا تنوخيين، فقلت له ونحن كذلك لم يتخل أجدادنا عن تنوخيتهم عبر كل العصور ورغم ما لحق بهم قبل عين دارة وبعد عين دارة، حملوا تنوخيتهم ويمنيتهم أينما اتجهوا، وما زال من أسرتنا مَنْ يحمل اسم التنوخي إلى هذه اللحظة.

كانت زيارة رائعة ومفيدة حقاً استفدت الكثير من توجيهات الأستاذ غالب سليقة وهو الباحث والمؤلف والمربي، وحمّلنا الكثير من التحايا إلى الأستاذ علي عبدالله وفي ختام الزيارة اعتذر بأنه لم يعد بحوزته أي نسخة من كتابه تاريخ حاصبيا (إلا أنني حصلت على الكتاب فيما بعد) ولم يدعني أخرج صِفر اليدين بل أهداني كتاباً (قيم ومقامات من التراث والتاريخ) كتاب رائعٌ ومواضيعه مشوقة جداً وذات قيمة تاريخية وتراثية، كتب بخط يده على أولى صفحاته العبارات التالية: إلى عبداللطيف العبدالله التنوخي نقدم كتابنا الخامس ونقول: ليس أكثر من التأليف والتصنيف هذه الأيام.

فمن الكتب ما هو كشجر الصفصاف زهره بلا ثمر.

ومن الكتب ما هو كشجر التين ثمر بلا زهر .

ومن الكتب ما هو كشجر التفاح .. بهية للعين زهره، ونعومة في اليد لمسه، وشهي على اللسان طعمه.

نحن بدورنا نترك لذوقكم الأدبي الرأي والتصنيف. انتهت مراسيم الزيارة مع الشكر والتقدير للأستاذ غالب سليقة.

قبل أن يسير الكتاب نحو المطبعة أثقل ذهني توارد الأفكار، أنام على فِكرة وأصحو على أخرى، ما أتاني أخيراً من عالم الأفكار هو أن أكتب انطباعاتي عن كل زيارة، يعني عن كل شخص زرته من أجل إتمام عمل هذا الكتاب. بدأت أولى انطباعاتي عن زيارتي للأستاذ غالب سليقة وأنهيتها كما بدأتها به لأن هذه الفكرة كانت آخر بدعة حسنة اقتحمت ذهني، كان الكتاب قد استوى على سوقه يعني تعدى كثيراً من المراحل، من مرحلة الزحف إلى الحبو إلى المشي فلم تصدق عيني بأنه أصبح يجيد السير والمشي دون تمايل وهو منتصب القامة فقلت ما عساك يا رجل (شلون) تعود إلى الحبو؟؟ قلت إعقل وتوكل، وإن أمدنا الله بعمر نحيل كل هذه الانطباعات مع جملة المحالين إلى النسخة الثانية للكتاب والله ولي التوفيق.

ومن انطباعاتي عن الآخرين إلى انطباعاتي البسيطة والموجزة عن نفسي، إذا سمح لي القارىء العزيز من بعد إذنه قبل رسو قلمي على بر كتابة تاريخ وسيرة آل عبدالله بكل صراحة وبدون مواربة، كنت أريد أن أكتب ماذا؟ لا أعلم بكل صدق لكن أريد أن أكتب، إن شغفي بالمطالعة قد يكون وراء هذه الرغبة، فالمطالعة تستحق أن نشير إليها بأنها المتهمة الأولى والمحرضة على هكذا عمل، أما لماذا تاريخ آل عبدالله ؟؟قد تكون الإجابة في الصفحات القادمة من هذا الكتاب، لكن وقع الاختيار وبدأت المهمة وأعطيت لنفسي مهلة هل أستطيع خلال أشهر معدودة أن أجمع ما يخوّلني جديًّا للبدء بالكتابة؟ الحمدالله وُفقت إلى أن أبدأ. والفضلُ يعود بكل صراحة إلى الأخ علي مزرعاني من مدينة النبطية الذي زودني بالكثير من المعلومات، وأرشدني إلى كثير من الأماكن التي استفدت منها وكل هذه السنوات وأنا على اتصال معه. في البداية لم تكن الكتابة بالترتيب كنت أكتب وأكتب وأكتب ما أحصل عليه من معلومات، وأثناء مرحلة الترتيب كنت آخذ بالمهم والمناسب، وقد أعرضت عن كثير من الحوادث التي قرأتها أو التي رويت لي. كان الموضوع في بعض الأحيان يأخذ مني الوقت الكثير وأقرأ عشرات الصفحات لأستخلص فكرة أبدأ بها كلامي وتكون فاتحة مناسبة للبدء، رغم حقيقتها وواقعيتها كنت أمحوها أو أُدخل بعض التعديلات وأمحو بعض المصطلحات، وكثير من الأسماء أسقطها من المواضيع دون المس بجوهر الحقيقة لأن أكثرهم قد غادروا هذه الدنيا الفانية. كان لزاما عليّ أن أتخذ هكذا قرارات، وليعذرني القارىء ويتحلى بمزيد من الكرم والأريحية إذا كنت أستأهل كرمه وأريحيته، تعمدت في الكتاب أن أروي ما يخفف أحزان القارىء ويبعث السرور في نفسه وأن أضفي على الموضوع نوعاً من الطرافة والظرافة لأني بطبعي لا أحب

السرد الممل الجاف الخالي من السلاسة، كمن يتجول في بستان فيه كثير من الأشجار المثمرة ولا يجد ما يبل ريقه كنت أستعين بالجمال الأدبي طبعاً ما وُفّقت إلى ذلك. نعم أغلقت الباب في وجه كثير من الأحداث لا أرى فيها نفعاً ولا جدوى ولا عِبرة، فلستُ ملزماً بأحداث إلا إذا ذكرت صاحب الحدث، قد يكون غيري من الكتّاب المهرة الذين يفوقوني مهارة ومعرفة وثقافة تناولوا أحداثاً رغبوا بالكتابة عنها حتى أضحت مساحة عمل الكتابة ضرورية يستوجب ذلك لاكتمال صورة البحث..على كل حال أقول هذه حصيلة عملي وجهدي وبحثي المتواضع الذي استمر إلى أكثر من سبع سنوات، في هذه العجالة أقول: لو أعطيت حزمة من قصب وجلست في غرفة طول هذه المدة التي تزيد عن سبع سنوات لكنت اخترعت طائرة فانتوم، لكن كتابة التاريخ ليست صناعة وإنما تحتاج إلى عمل دؤوب وبحث ورصد ومتابعة وقراءة، لكن في النهاية يحق لنا أن نرفع الرأس عالياً أمام هذا التاريخ المجيد الذي تركه لنا آباؤنا وأجدادنا، وعلينا أن نأخذ العبرة من مواقفهم المشرّفة وأن يكون لنا منه زاداً لا ينضب وسجلاً ممهوراً بكثير من المناقب الرائعة...

مقدمة إلى المدخل

- إذا أردت أن تقضي على أمة ما.. عليك بمحو تاريخها.
- إذا أردت أن تهلك أمة ما.. افصلها عن تاريخها.
- إذا أردت ضياع أمة ما.. أزِل آثارها واقطع حبل تاريخها.
- إذا أردت يأس أمة ما.. وذبولها فاحجب عنها شمس تاريخها.
- إذا أردت أن تسيطر على شعوب أمة ما.. اعمل على تدمير ذاكرتها التاريخية.
- إذا أردت تيه أمة ما.. حَرِّفَ وزوّر تاريخها.

فلننظر إلى الأدلة التاريخية التي أثبتت بأن محو التاريخ وتدميره كان أولوية من أولويات ورغبة جامحة للغزاة والمحتلين.

- عندما اجتاح التتر البلاد العربية والإسلامية، وما أدراك ما التتر الذين جابوا الصخر بالواد وعاثوا ما استطاعوا من فساد، وأحرقوا البلاد وقتلوا العباد كانوا هم الباد ومن غير ميعاد وكانوا أشبه بقطعان من الذئاب، جاؤوا من أقاصي الشرق والبعاد من حدود الصين بينهم وبين بلاد الإسلام ما يزيد على مسيرة ستة أشهر. أول ما كانوا يقومون به هو حرق المكتبات العامة إن كان ذلك عن سابق علم أو جهل، حتى قيل بأن حبر آلاف آلاف الكتب التي رميت في نهر دجلة حوّلت لون مياهه إلى اللون الأزرق، هكذا كثير من تراث هذه الأمة وتاريخها قد ضاع وفُقد وتلاشى.
- وإلى الجزار الطاغية أحمد باشا ففي سنة ١٧٨٠م غزا بلاد جبل عامل وعاث فيها قتلاً وفساداً، وكان من فعله الشنيع وهو العالم البارع بفنون الانتقام، ذاك الداهية المتوحش انتقم من العامليين أحفاد عاملة القبيلة اليمنية العربية، بأن عمل على نقل ما تحتويه مكتباتها من آلاف الكتب والمخطوطات القيّمة ونقلها عل ظهر الجمال إلى عكا، ووزعها بكل فخر على الأفران للحريق فأشعلها أياماً، هذا ما جاء في كتاب جبل عامل صفحة ١٧.

هكذا كانت تُذبح الأوطان على يد الطغاة بإزالة ومحو تاريخها وتجفيف مداده من أحشاء الكتب.

- نكتب هذه السطور وسوريا الدولة العربية وعاصمتها دمشق، تتعرض لتدمير تاريخها وحضارتها من آثار ومدن تاريخية تصنف على لائحة الآثار العالمية، وهي من أقدم حضارات العالم

التي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا، وفيها من الآثار التاريخية ما يعود إلى أيام النبي عيسى عليه السلام وبعض أهلها ما زالوا يتحدثون اللغة الآرامية وهي لغة سيدنا عيسى عليه السلام. تتعرض إلى تدمير ليس عشوائياً بل ممنهجاً ومخططاً له، وذلك لتدمير ذاكرة الإنسان التاريخية الإنسان الشرقي العربي ومحو كل ما يمت بصِلة إلى أصالة وعراقة وتاريخ هذا البلد العربي، الذي تكالبت عليه الأمم من كل حدب وصوب.

- فلسطين وما أدراك ما فلسطين التي عملت الصهيونية على محوها وإقامة وطن على أرضها العربية، وكان الشرط الأول والأخير لإنجاح إقامة هذا الوطن هو القضاء على تاريخها وآثارها وموروثاتها الفكرية والثقافية، من عادات وتقاليد وتغيير أسماء قراها ومدنها، فكانت هجمة كونية ساعد فيها المستشرقون الذين ملؤوا بطون كتبهم بالكذب والزور والبهتان، والقصد هو إنشاء وطن للصهاينة على أرض فلسطين، هنا تكمن أهمية التاريخ وعلاقة البشر بتاريخهم، والأهم هو ماذا نريد من التاريخ؟.

- إذا أردت أن تُنصف الرجال فأبرز مناقبهم وحقائقهم.
- إذا أردت أن تبرّ الآباء والأجداد فاذكر مناقبهم ودماثة أخلاقهم ويقظتهم وشجاعتهم.
- إذا أردت أن تخدم التاريخ فحدث عن سِيَر الأبطال وتاريخهم.

إذا سألوك....عن التاريخ..!! فقل نحن لا نرضى أن نجهل أو نُجهَّل ماضي تاريخنا.. تاريخ أجدادنا وسلفنا الصالح. هي تلك التجارب الإنسانية العظيمة والتفاعل البيني والجهد المضني عبر قرون طويلة من الأحداث، حيث لا مقدرة على فصل ما نعيشه اليوم وما سوف نعيشه غداً عن تلك الأحداث الماضية.

المستقبل هو صورٌ فاضت من تجارب الماضي، والتاريخ هو الوارث لحركة المسيرة الإنسانية، فإن أصابنا منها خير ...فعلينا أن ننهض بعبء ما أصابنا من خير، وأن نتابع بسعادة مطلقة ومُرُوءَة عالية تقع فيها المسؤولية علينا أمام الله والإنسان ...

وإذا ما أصابنا منه شرٌ فعلينا أن نتعلم كيف ننأى عن شره وننهض وننتفض..لأن الإبتلاء على قدر الإيمان: (وبشر الذين صبروا) ليس هناك شر مطلق وكذلك ليس هناك خير مطلق.. الله هو وحده الخير المطلق. علينا أن نحرص كل الحرص ونتابع ونسير ونولي وجوهنا شطر موضوعنا ودراستنا التي لم تكن سهلة . ليكون لنا إطلالة من خلالها على مشهد تاريخي وسِّع يوما لذكر

سير الأبطال وتداخل فصوله بين ماضٍ موغل بِالْقِدَمْ، فيه سِيَرَ رجال ساهمت في صنع حضارات ترامت أطرافها فانسابت في وغولة التاريخ. وحاضر كأنه حلقات من ماضي تشابكت النجاحات فبتنا لا نفرق.

نقرأ التاريخ ثم نعيد نص وكتابة ما قرأناه للوصول إلى أفضل التعابير والمقاصد دون أن نمس جوهر وصلب الموضوع. عسى أن نوفّق في شرح الكثير من قليل متوفر، من ورائه منفعة وقدوة ومن يصدع بالحق لا يبتغي من وراء ذلك إلا أن يقوم بواجبه أمام نفسه،حيث نود أن ننهل من هذه السير ونغترف من عذوبتها لحاضرنا ومستقبلنا لتكون لنا نبراساً ومنهجاً في مواجهة تجهيل الذات، متخطياً رحلة الإنسجام والتناغم، إلى الإنصهار في بوتقة واحدة، حيث الكائن الواحد ووحدانية الذات، من تلك الموروثات المنبعثة من دفء الماضي، من مناقب السلف، منها نقتبس محاسن السّير والسلوك، حتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وينقشع العجاج ليتراءى لنا المنظر بوضوح لأن الغاية والهدف هو الفوز ، فوز يكون عنوانه القناعة واطمئنان القلب ورضا النفس.

وفاء لأجدادي

أولاً الحمد لله كثيراً، الحمد لله بكرة وأصيلاً، الحمد لله الذي أنعم علينا فجعلنا من هذه الأسرة الطيبة والمباركة والطاهرة والكريمة، أسرة آل عبدالله مقصد اللاجئين من الناس، وموئل المظلومين والغارمين، فسارت بسنن الأولين بسير القادة المحجلين سبيل مستقيم إلى يوم الدين. اللَّهم صلي على محمد وعلى آل محمد، الحمدالله الذي ختمت أسماءنا باسم الله تعالى فما أحسنها من خاتمة.

الحمدالله على ما وجدته في رجالات هذه الأسرة من حب لا محدود وشغف ممدود، ولهف كالطود كاستغاثة الموعود بفرج المعبود، لها صوت كالرعود تصم الآذانِ لمعرفة تاريخ الأجداد والوقوف على حُسن مناقبهم وجمال مآثرهم ومفاخر نسبهم . بل وغيرهم من الناس الذين يهوون تاريخ الرجال وسير أبطال النوال بسلاء الأهوال وصماصم الهيجاء. أولئك الذين تربطنا بهم صداقة ومعرفة مميزة وقوية وهم كثر والحمدالله من أبناء بلدتنا الخيام الحبيبة وغيرهم من أبناء الجالية اللبنانية بكافة انتماءاتهم الجغرافيّة الذين تعرّفنا إليهم في بلاد الإغتراب.

ولا أبالغ إذا قلت: إن من أبناء الجالية اليمنية في قطر[1] وغيرها كانوا في قِمة السعادة عندما كنت أقصّ عليهم من تاريخ سلف أسرة من آل عبدالله، التي هاجرت من اليمن حتى وإن كانت هجرتها قديمة. إلا أن أمراء هذه الأسرة وأجدادها كانوا إلى وقت قريب يُعرّفون باليمنيين وقد كُنِيَ رجالاتها باليمنيين لانتمائهم للحزب اليمني، وقد اختاروا ما يعبر عن إنتمائهم العروبي والجغرافي لهذه البيئة، وعلى الرغم من ذلك بقي أجدادنا يحملون لقب اليمنيين إلى مطلع القرن العشرين. ولا أبالغ إذا قلت بأن دماءنا اليمنية ما زالت تسري في عروقنا إلى هذه الساعة، فقد لقيت من هؤلاء المحبين كثيراً من التشجيع والترحيب. حينها رأيت في تشجيعهم لي مزيداً من التحفيز والثبات، لمواصلة ما بدأته في البحث والتنقيب وعدم الإستسلام لسيف الضجر والملل الذي بقي والحمد لله طي الغمد، فالاقتصار في الكتابة على حيز وإطار جغرافي بعينه لا يجدي نفعاً، ولذلك فإن التعريج على بعض الأماكن ضروري فرأيت من الواجب عليّ أن أصل بين النقاط التاريخية لإتمام الصورة، فطفقت أكتب عن أسرة آل عبدالله ليس بقلم المؤرخ المتخصص وليس بقلم الباحث الخبير والأكاديمي المتمرس، من الصعب أن أزعم أنني لديّ هذه المقدرة على كتابة تاريخ هذه

(١) دخلت دولة قطر للعمل بتاريخ ٣١-١٠-٢٠٠٠م. الدولة العربية التي أحببتها وأحببت شعبها الطيب وفيها تابعت تعليمي بعد أن حرمني وطني تلك الأمنية لكثرة حروبه ومشاكله الطائفية لم أرَ بلداً في العالم يصنف مواطنيه على أساس طائفي حتى أورثهم الكره والنفور من بعضهم.

الأسرة ولكن ما لا يُدرك جلّه لا يترك كله قد أكون متحمساً في بعض تعليقاتي وذلك لتأثري بسير هؤلاء الأبطال. سأكتب وأكتب ويا ليت يأتي بعدي من يرغب بالكتابة لعل وعسى أنْ يكمل ما بدأته باللَّبِنَةِ الأُولَى نحو كتابة تاريخ أوسع وأشمل وأفضل إن شاء الله. إنني أكتب بقلم الطالب والتلميذ المتشوق إن أسعفتني الظروف، التلميذ الذي يسعى للعبور إلى ضفة النجاح وليس الشهرة إن شاء الله. لقد عاهدت ربي الذي لا إلــه إلا هو الحي القيوم وهو الشاهد على ما أقول، بأن هذا الكتاب وفي طبعته الأولى إن شاء الله لن يكون لغرض التجارة ولا المنفعة الخاصة لأن مواقف أجدادي ليست سلعة للبيع ولا للاستغلال ولا أريد إلا أن أهديهم ثواب هذا العمل. إن مواقف أجدادي وتاريخهم المشرّف وسيرتهم الطيبة العطرة في هذا الكتاب يعود ريعها بالكامل مئة بالمئة إلى الأيتام. والله أعلم بأنني تكلفت الكثير الكثير من الجهد والمال والصعوبات والعناء والسفر والانتقال من قرية إلى أخرى، وكنت ألجأ وأستعين في الشدائد بمزيد من الصبر والصلاة والدعاء بل في بعض الأحيان تعرضت إلى الغمز واللمز والهمز، وما أطلبه من ربي هو أن يسامح الجميع. وكنت على استعداد حتى ولو قيل لي بأن هناك إنسان في الصين لديه معلومة قيمة لتسلقت سورها ولم أتوانَ عن شد الرحال والترحال في الحال. ولكنني كنت وما زلت بغاية السرور والحبور وأنا أكتب وأبحث عن تاريخ أجدادي ولو شُلّت يمناي لكتبتُ بيُسراي، ولو شُلّت يسراي لكتبت بأهدابي ومدامعي ولن أستطيع أن أوفي حق ما قدمه أجدادي للبشرية. لقد جدّيت في البحث والاستقصاء، ما أتيح لي من وسائل بحث واستقصاء ومع ذلك لا أريد الثناء وإن كان للثناء مكان في رحابة هذا العمل فليزوّدنا من لديه ما يفيد هذا العمل استعداداً للطبعة الثانية المنقحة، كثير من المواضيع لم نأتِ على ذكرها وذلك للإسراع بإنجاز الكتاب قبل أن يقضي الله أمراً في غيبه وفي علمه.

زعامــة الدِّيــن والدنيــا لهم خضعت لولا ريادتهم كانت رميم بِلا
يـا رحمة الله حِـلِّي أينما ذكـروا وكلما مسلـم آيــةَ الـكتـاب تـلا

قد لا نتوقف طويلاً عند دقائق الأمور وتفاصيلها إلا ما نراه مناسباً خاصة وأن بحثنا مخصص عن أسرة آل عبدالله، والذي يهمنا هو تتبع خط سير تاريخها حتى ولو ذهب بنا القلم بعيداً لأن هدفنا هو تحصيل الفائدة والتوضيح، وقد يداهمنا الاختصار حينا آخر مع حدود الإشارة والإلماح والترميز حتى لا يُصاب القارئ العزيز بالضجر وأذى الملل، مما يتطلب منا الوقوف عند أهم النقاط التاريخية. مع التأكيد بأننا لا نريده كتاباً مذهبياً ومناطقياً وعشائرياً، بل عربياً جامعاً ووطنياً ولبنانياً بامتياز تنبعث من بين دفتيه الألفة والمحبة واللقاء فيما بيننا، وجامعاً للتراث اللبناني العريق

والأصيل يكون عوناً على التقريب وبعيداً عن الكراهية والتفريق. والعمل على نجدة الغريق كما كان عليه أجدادنا ونحن نستحضر سيرتهم الطيبة وذكراهم العطرة.

إن أسرة آل عبدالله من الأسر اللبنانية القديمة والعريقة، فهي أسرة عربية جاءت من أرض اليمن، وليدة تحالف من القبائل العربية عُرف بالحلف التنوخي حتى عُرفوا بالتنوخيين وهي من الأسر العاملية الجنوبية الخيامية، يعود تاريخها إلى ألفي سنة قبل الميلاد إلى جدها الأول قحطان ابن النبي هود عليه السلام كان مسكنها أرض اليمن ، تميزت بأول خروج لها من أرض اليمن في بداية القرن الأول الميلادي إلى البحرين، بعد انهيار سد مأرب[(١)]، والبحرين هو ما كان مصطلحاً عليه تاريخياً حيث كانت تشمل عدة دول في منطقة الخليج العربي . لتنضم هناك إلى حلف القبائل الذي عرف بالتنوخيين، وفي بداية القرن الثاني الميلادي كان ميلادها السياسي في العراق، لتصبح سليلة ملوك الحيرة[(٢)] اللخميين التنوخيين،وتفرع منها الكثير من الأسر عبر تاريخها الطويل، ومع بداية الثلث الثاني من القرن السابع الميلادي انتقلت إلى حلب من بادية الشام، ومن ثم انتقلت إلى لبنان سنة ٨٢٠ ميلادي. استقرت في مناطق الغرب من جبل لبنان والساحل اللبناني، وكان لهذه الأسرة التنوخية دوراً رائداً ومهما على صعيد ولادة لبنان، وقد أسهمت إسهاماً هاماً بإنشاء كيانه السياسي، وصياغة وحدة عيشه الوطنية وتركيبته وتكويناته الإجتماعية ابتداء من القرن التاسع الميلادي ٢٠٤للهجري، وحتى ظهور لبنان بحدوده الحالية وإن اختلفت ساحات النضال وتعددت جغرافيتها في ظل مناخ من التوتر وواقع مأزوم صاحبا هذه الأسرة منذ قدومها إلى لبنان.

كل هذه الظروف أثّرت في زيادة وعيها السياسي فألبست أبناءها لبوس التمرد على واقع أراد البعض فيه الإستئثار بقراره السياسي والتفرد بحاكمية لم ينزل الله بها من سلطان، ولا نغالي إذا قلنا بأن الصراع أحياناً كان صراعاً على البقاء وإثبات الوجود، فبتعدد أمرائها وقادتها كانت تختلف

---

(١) ذكر آل صفا في تاريخ جبل عامل في الصفحة ٢٥ حادثة انهيار السد وذلك في سياق كلامه عن قبيلة عاملة ابن سبأ بن يعرب بن قحطان ذاكراً بأنها قبيلة هاجرت من اليمن إلى أطراف الشام في حلب قبل الميلاد بثلاثماية سنة على وجه التقريب بعد حادثة سيل العرم وانهيار سد مأرب وضياع مملكة سبأ. وعلى هذا تكون قبائل عاملة بن سبأ احتلت هذه البلاد ويقصد مناطق الجنوب اللبناني واستولت عليها من زمن يزيد عن ألفي عام. وهناك قبيلة عربية أخرى أطلقت اسمها على منطقة واسعة في لبنان في الشمال الشرقي من الجنوب اللبناني ألا وهي منطقة وادي التيم، نسبة إلى قبيلة تيم الله بن ثعلبة.

(٢) الحيرة: من مدن العراق وتقع بالقرب من نهر الفرات والأنبار تقع إلى الشمال من الحيرة. كتاب التنوخيون أجداد الموحدين نديم نايف حمزة (حمزة ٣٩) وكذلك جاء في ديوان سقط المتاع صفحة٢١٢ للعلامة عبدالحسين صادق (قدس سره) يقول: تنوخ بن قحطان هو جد التنوخيين ملوك العراق في محيط الفرات الأدنى وكانت الحيرة عاصمة ملكهم كما هي عاصمة اللخميين والمناذرة.

أهواؤهم السياسية وتحالفاتهم العسكرية، فمن العهد الأموي إلى العباسي والغزو المغولي وحقبة الأيوبيون والمماليك والعثمانيين، كان نضالهم تحت راية العروبة والحزب اليمني فكانت عنصر وفاق وداعم أساسي لصيغةِ لبنان وعيشه.

لم يكن الطريق إلى بلدة الخيام آنذاك وعراً سياسياً كغيره من الطرق حيث عُبِّدَ بتحالفات ذللت كثيراً من العقبات بين أسرة آل عبدالله التنوخية وأسر جبل عامل في الثلاثينيات من القرن السابع عشر ١٦٣٥م. حتى استقرت في الخيام من أرض جبل عامل (الجنوب اللبناني) كفرع من نسب قبيلة بنو عبدالله أو آل عبدالله التاريخيين، وهو فرع آل علم الدين من بني عبدالله وكانت ولادتها على أرض الخيام بعد أن استقر بها الأمير موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي وأسرته[١] وكان ذلك على تماس ما بين أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر سنة ١٦٩٥م. رحلة أسرة استمرت ستة عشر قرناً. كان لحضورها الاجتماعي والسياسي حضوراً مميزاً في تاريخ جبل عامل، وقد لعبت دوراً هاماً جداً في مسألة الاستقرار في الخيام وفي الجبل الأشم جبل عامل، بداية على يد الأمير محمد بن عبدالله بن الأمير موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي أبا حسن والد الحاج حسن عميد أسرة آل عبدالله بتحالفه مع أمراء عرب الفضل في الجولان وقوى سياسية أخرى، ليتابع أنجاله من بعده سياسة الاعتدال والتسامح مما شجع كثيراً من العائلات في الدول والمناطق المجاورة على الإنتقال والإقامة في الخيام. وقد رصدنا من خلال بحثنا بأن العديد من العائلات اللبنانية وغير اللبنانية على مساحة الوطن العربي تربطها صلة قرابة مع أسرة آل عبدالله.

وعلى هامش بحثنا نقول بأن هناك حقائق أصبحت من المسلمات، حيث يتضح بأن النتاج السياسي والاجتماعي للأفراد والجماعات يبرز ويوضح كثيراً من جوانب شخصيتها وتركيبتها النفسية والفكرية وعمقها التاريخي، إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بل خلقه وأكرمه وميزه عن سائر مخلوقاته في العلم والمعرفة.

حيث أن الإنسان لا يَعْبُرُ في هذه الحياة مرتين فعليه أن يتمعن ويأخذ باعتباره الحقائق التاريخية المثلى، ويعلم بأن التاريخ يصنعه الأفراد والجماعات والتاريخ ليس هوالحقيقة المطلقة ولكن يكمن فيه كثير من الصواب والصدق. والذي أراه صواباً قد يراه الآخر عكس ذلك، ولتوضيح

---

(١) وجدنا في ديوان سقط المتاع للشيخ عبدالحسين إبراهيم صادق صفحة ٢١٢ (قدس سره) هذه العبارة على بعض مخطوطات كتب المرحوم الشيخ نصرالله ابن الشيخ إبراهيم يحيى ما نصه: لقد دخل هذا الكتاب في ملك موسى ابن علم الدين التنوخي القاطن الخيام سنة ٧٥٠ هجرية.

الصورة أكثر: لو كان عشرة من الكتبة والمؤرخين والقصصة تواجدوا في مكان واحد وأرادوا أن يكتبوا حول موضوع واحد، لوجدت العشرة اختلفوا على حقيقة واضحة . ولكن لا نقدر إلا أن نفخر بتاريخهم محاولين إلقاء الضوء عليه وإبرازه وهذا أقل شيء ممكن أن نفعله إكراماً لعطاءات وتضحيات الأولين والأجداد الذين أخلصوا النية والعمل الصالح.

فـوق الأديـم إن داسـت جيـادهم ... يأبـوا الدنيـة أو يـموتـوا كـرامـا
بـنـوا الـمـجد الـمـؤثـل للعـلا ... و بسيفهم الصقيل حققوا الأحلاما
فـتـرى الـنـجـوم أسـنـة لـهـم ... ولهـم صـولات بهـا اذلـوا الصعـابـا
فـريـعـت مـن بطشهم الأعـداء ... وكـان الـسـوادلـهـا خـضـابـا
يـا آل عـبـدالله لـكـم عـزمٌ كـا ... لرياح الـهـوج تـقـتـلع الـقـبابا[١]

- في كل مرحلة كلما كانت تتبدّل القوى المؤثرة كان لبنان بحاجة ماسة إلى دعائم وركائز وقوى تُؤدي مهام تسهم في رعايته وتدبير شوؤنه، والمشاركة في حركة سياسته والذود والدفاع عنه تمهيداً لنشأته رغم استعصاء أمره ووضعه السياسي. وكان ذلك يتم في عقد من الشراكة والمساهمة قد يكون طابعه شكلياً فقط، تفرضه عوامل سياسية معينة تفرزها كثرة الأهواء وتفاعلات الواقع بكل إرهصاته، بين الزحف القادم من جميع الاتجاهات وهيبته وشغوف هيمنته المفرطة، وبين فلول المغادرين. هي حركة الزمن صعوداً وهبوطاً وجدلية قائمة متحمسة ومخاض عسير يتلهف لإيجاد مجتمع وقولبته وتأطيره تحت مسميات عدة، هذا إذا كُتب له النجاح مسميات قد تزعج البعض وترضي الآخر.وتفاني البعض في بلورة صيغة تقترب بإحدى طرفيها بتجانس خجول بين أطراف اللعبة المحليين وتياراته السياسية، بينما الطرف الآخر تشده قوى خارجية راغبة بهيمنة وسيطرة تتجاوز أفق البعض الذين ينتظرون شروق الشمس من جهة الغرب. وكل صفحة من صفحات لبنان تكتب بغير حبر أبنائه ورضاهم وتُطوَى على ما هي عليه، هي تفاقم الوضع سوءاً وتضاف إلى مشاكله مشكلة يعني ذلك ضد مصلحته، مَن ذا الذي يقترح العلاج له ومن يأخذ به حتى ولو كان فيه الشفاء.هذاوكنا نلمس بعض التجاهل من بعض المؤرخين وذلك في حقب مختلفة، والذي يعود السبب الرئيسي فيه إلى الأسباب السياسية وسياسة المحاور والمحسوبيات.

عبداللطيف حسن عبدالله

(١) خاطرة للمؤلف

لبنان في نظر المؤرخين قديماً

لبنان جبل بالشام قريب من تدمر، وهو سامي الارتفاع ممتد الطول ليتصل من البحر إلى البحر، معروف بالزهاد والمنقطعين إلى الله تعالى. وعن قتادة أن البيت بني من خمسة أجبل: من طورسينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحراء. وذكرالهيثم بن عدي أنه وجد في جبل لبنان غار في زمن الوليد بن عبدالملك ، فدخل فإذا فيه رجل مسجى على سريرمن ذهب، وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية: أنا سيا بن نواس بن سيا خدمت عيصو بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرب الديان الأكبر، وعشت بعده دهراً طويلاً ورأيت عجباً كثيراً ، ولم أر فيها رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه، ويعلم أنه صائر إليهم لا محالة فلا يتوب . وفي لبنان رأيت البرباريس وهو هناك أطيب مايكون، وهناك التفاح الذي لايعدل بهوهو مثلوج أبدا.. وجبل لبنان حد بين بلاد الإسلام والافرنج، لأن وراءه أنطاكية واللاذقية وطرابلس وسواها من بلادهم، وفي سفح الجبل المذكورحصن يعرف بحصن الأكراد هو للإفرنج ويغيرون منه على حماة وحمص، وهو بمرأى العين منهما[١]. وقال الصليبي: لبنان مكان لطيف يطيب العيش فيه وكان هناك شيء آخر غير المناعة الجبلية جعلت جبال لبنان شديدة الجاذبية للإستيطان البشري، ليس في أيام الإسلام فحسب، بل منذ أقدم الأزمنة أيضاً. وقد لاحظ الجغرافي الأمريكي جوزف فان رايبر، من جامعة ولاية نيويورك في بنغهاميتون، أثناء تجواله في أنحاء لبنان في الستينات من القرن الحالي أن الناس كانوا يجيئون دوماً للاستيطان في لبنان لا بحثا عن الأمن الاجتماعي أو السياسي بالضرورة، بل لأنه كان مكانا لطيفاً يطيب العيش فيه، ولأنه كان مكاناً صحياً كذلك، بمناخه الجبلي المنشط ولقد كانت الميزات البيئية التي تفوّق بها لبنان أساساً على بقية أجزاء الشام، وخصوصاً لوفرة المياه فيه أكثر جاذبية للهجرة من المناعة النسبية، وليس المطلقة، لأراضيه الجبلية الوعرة، مع أن هذه المناعة النسبية ربما تكون قد شكلت ميزة إضافية[٢].

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف محمد الحِميري صفحة ٧٧٧ مكتبة المصطفى.
(٢) كتاب بيت بمنازل كثيرة تأليف كمال الصليبي مؤسسة نوفل صفحة١٨٤الطبعة الخامسة ٢٠١٢.

لماذا سمي القسم الجنوبي من لبنان بجبل عامل وبلاد بشارة؟

جبــل عامـل

أطلق على القسم الجنوبي من لبنان قديما جبل عامل يقول محمد جابر آل صفا صفحة ٢٤: "سميت بلادنا جبل عامل أو عاملة في الكتب القديمة أو في الدور الأول، ودعيت بجبل الخليل وجبل الجليل فيما سبق كما ورد في تاريخ الكامل لابن الاثير وغيره. وتنقسم بلاد جبل عامل إلى قسمين: جنوبي وشمالي يفصل بينهما نهر الليطاني، وسكانه عرب خلّص بنسبهم ولغتهم وعاداتهم متحدرين من عاملة بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي قبيلة هاجرت من اليمن إلى أطراف الشام قبل الميلاد بثلاثماية سنة بعد انهيار سد مأرب، وعلى هذا تكون قبائل عاملة بن سبأ احتلت هذه البلاد ومنحت اسمها لهذا الجبل فعرف بجبل عامل".

بــلاد بشـارة

فمنهم من قال أنه الأمير بشارة بن معن وآل معن، أسرة عربية وبطن من ربيعة حكمت لبنان من سنة١٥١٦ إلى سنة١٦٩٧م. وعدد حكامها تسعة وأشهرهم فخر الدين الثاني، الذي دخلت جبال عاملة تحت حكمه بطريق الالتزام من الدولة التركية، ولكن لم يعرف في سلسلة أمراء آل معن من اسمه بشارة. والمعول عليه والأقرب إلى الصحة أنه الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين ابن مهلهل بن سليمان بن أحمد بن سلامة العاملي وهو من أسرة الدولة الصلاحية الكردية، وإن قرية زبقين، من أعمال صور كانت مركز إمارته. وحضر هذا الأمير مع الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فتح حصن هونين. ومنهم من قال نسبةً إلى الأمير بشارة بن مقبل القحطاني.[١]

(١) كتاب تاريخ جبل عامل صفحة ٢٧،٢٨ مصدر سابق.

آل عبـــدالله :

أسرة عمرها أربعة آلاف سنة

عن أنساب الأولين

كانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قوماً عرباً لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي، وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس يتكلمون بهذا اللسان الفارسي قال: وولد إرم بن سام ابن نوح عوص بن إرم، وغاثر بن إرم، وحويل بن إرم، فولد عوص بن إرم غاثر بن عوص، وعاد ابن عوص، وعبيل بن عوص، وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر، وجديس بن غاثر، وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري فكانت العرب تقول لهذه الأمم: العرب العاربة، لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم، العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم، فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب، فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جو، وسكنت جاسم عمان فكانوا بها وقال غير ابن إسحاق: إن نوحاً دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء ليافث وقدمه في ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغير لونه ويكون ولده عبيداً لولد سام ويافث، قال: وذكر في الكتب أنه رق على حام بعد ذلك فدعا له بأن يرزق الرأفة من إخوته، ودعا من ولد ولده لكوش ابن حام ولجامر بن يافث بن نوح، وذلك أن عدة من ولد الولد لحقوا نوحاً فخدموه كما خدمه ولده لصلبه فدعا لعدة منهم، قال فولد لسام عابر وعليم وأشوذ وأرفخشد ولاوذ وإرم وكان مقامه بمكة، قال فمن ولد أرفخشد الأنبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها والفراعنة بمصر، ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلها من الترك والخزر وغيرهم والفرس الذي آخرمن ملك منهم يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ونسبه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح، قال: ويقال: إن قوماً من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نزعوا إلى جامر هذا، فأدخلهم جامر في نعمته وملكه، وأن منهم ماذي بن يافث وهو الذي تنسب السيوف الماذية إليه قال: وهو الذي يقال إن كيرش الماذوي قاتل بلشصر بن أولمرودخ بن بختنصر من ولده، قال: ومن ولد حام بن نوح النوبة

والحبشة وفزان والهند والسند وأهل السواحل في المشرق والمغرب، قال: ومنهم نمرود وهو نمرود ابن كوش بن حام، قال: وولد لأرفخشد بن سام ابنه قينان ولا ذكر له في التوراة وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة لأنه كان ساحراً وسمى نفسه إلهاً فسيقت المواليد في التوراة على أرفخشد بن سام ثم على شالخ بن قينان بن أرفخشد، من غير أن يذكر قينان في النسب لما ذكر من ذلك، قال: وقيل في شالخ إنه شالخ بن أرفخشد من ولد لقينان وولد لشالخ عابر وَوُلِدَ لعابر ابنان.

تسمية القبائل :

كانت تعود التسميات غالباً في العصور القديمة والحديثة إلى عامل الشهرة أو إلى إنجاز مميز على صعيد القبيلة، مما يكسب رأس هرم القبيلة بالشهرة وتسمى باسمه ويبقى أصل القبيلة واحد كالغساسنة، وقع اللقب على هذه القبيلة عندما نزلت على ماء يسمى غسان فعرفت بإسمه[١].

إن الدرجة الأخيرة من النسب تجوِّز الانتساب إلى الجميع، حيث النسب الأعلى يغني عن النسب الأسفل، وكذلك يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال: بنو عاملة نسبة إلى عاملة وهكذا دواليك فتعود أسرة آل عبدالله بنسبها إلى نمارة بن لخم فعرفوا باللخميين، وعرفوا بالقحطانيين نسبة إلى جدهم الأول قحطان وبالتنوخيين نسبة إلى حلف تنوخ في البحرين، ولشهرة ملوكهم في الحيرة. كان الاسم الغالب عليهم اللخميين نسبة إلى لخم بن عدي بن الحارث بن مرة، وعرفوا ببني مرة وهو بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب، وعرفوا ببني عريب وهو بن زيد بن كهلان وعرفوا ببني كهلان وهو بن سبأ[٢].

وعرفوا بالسبائيين نسبة إلى سبأ (الذي بنى سد مأرب) وهو ابن يشجب بن يعرب إلى أن عرفوا بالقحطانيين نسبة إلى قحطان أبو العرب العاربة[٣]. وهو أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج وكان ذلك قبل الميلاد بألفي سنة تقريباً[٤].

علم الأنساب وفائدته :

وهو علم يتعرف به أنساب الناس، والعرب في الجاهلية (وبعدها) كان لهم مزيد اعتناء بضبطه

(١) عشائر الشام أحمد وصفي.
(٢) راجع كتاب معجم القبائل لكحالة.
(٣) نسب معدو اليمن للكلبي ص٥١/ جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص ٣٦٢.
(٤) أخبار العرب إسكندر آغا ص٦.

ومعرفته، وهو أحد أسباب الألفة والتناصر، وهم كانوا أحوج شيء إلى ذلك كانوا قبائل متفرقين وأحزابا مختلفين، لم تزل نيران الحروب متسعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم، فإنهم امتنعوا عن سلطان يقهرهم ويكف الأذى عنهم فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين به على خصومهم ومتناصرين على من شاققهم وعاداهم، لأن تعاطف الأرحام وحمية الأقارب يبعثان على التناصر والألفة ويمنعان من التخاذل والفرقة، ومن استعلاء الأباعد على الأقارب وتوقياً من تسلط الغرباء الأجانب . عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «**إنَّ الرَّحم إذا تماسَّت تعاطفت**» وقد بلغت العرب بإلفة الأنساب تناصرها على القوي وتأيدت به . واستحكمت به ركن مجدها العلى. وقد أعذر نبي الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بُعث إليهم: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود : ٨٠] . يعني عشيرة مانعة(١).

التفاخر بالأنساب :

قال رسول الله ﷺ: «**لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر أبداً**». فكانت شمس الإسلام الساطعة قد أحرقت ثوب الجاهلية السَّمَل فكان ثوب الإسلام برداً وسلاماً على البشرية، فأذهب عنهم المفاخرة بالأنساب وحمية الجاهلية بها وحل محلها التقوى مفخرة ومكرمة الانسان قال ﷺ: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**». وقال ﷺ أيضاً: «**فلتذهب نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء**». وذلك لِمَا أزهقت أرواحاً لا تعد ولا تحصى، وأراقت دماءً وذهبت بأنفس بريئة تحت راية القبلية والنسب، ومن هذه الحروب حرب خزاز بين بني نزار وملوك اليمن ـ حرب البسوس بين بني بكر وتغلب ـ حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان . وإلى آخره من حروب التي كانت تستمر لأجيال. ما أراده الرسول ﷺ هو ترك المفاخرة بالأنساب والبعد عنها لطالما تسبب العداء والكراهية وتجلب الحروب بين الناس. وقال ﷺ: «**يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم مَنْ بطأ به عمله، لم يُسرِع به نَسبه**» قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء : ٤٣].

ما يستخلص مما جاء ذكره بأن التفاخر بالأنساب إذا كان لمصلحة الناس لا بأس به، والتفاخر مع العمل الصالح الذي يجلب المنفعة للناس والمجتمع محبب إلى قلوب الجميع والتفاخر بالنسب لجمع شمل الناس وصلة الرحم فهو مبتغى الكل يقول رسول البشرية محمد بن عبدالله ﷺ: «**اعرفوا**

(١) كتاب "بُلُوغ الأَرَبْ" للألوسي البغدادي الجزء الثالث صفحة ١٨٢ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

أنسابكم لتصلوا أرحامكم، أو تعلموا أنسابكم لتصلو أرحامكم».

لا طريق إلى صلة الرحم إلا بمعرفة الأنساب

لقد شق رسول الله ﷺ طريقاً جديداً فأثلم في بوار العصبية الجاهلية وأتى بمفهوم قمة في الرقي حين جعل من الأنساب طريقاً نافعاً إلى معرفة الأرحام لقد حضَّ ﷺ على تعلم الأنساب وحفظها فقال: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»، فجعل غاية التعلم صلة الأرحام، فالرسول ﷺ اعتز في نسبه وعروبته وأهله فقال: «**لما خلق الله الخلق اختار العرب ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة**»(١).

الحَسَبُ ما يَعُدُّه المرءُ من مناقبه أو شرف آبائه.

تاريخ النسب والكنية لآل عبدالله:

تنحدر أصول آل عبدالله التاريخية الموغلة في القدم من القبائل اليمنية العربية التنوخية،ينتمون بالتحديد إلى قبيلة اللخميين الكهلانية القحطانية، حيث كان لها مِلكٌ عظيم وجاه كبير وشأنٌ رفيع، وقد كانت من أوائل القبائل العربية التي عقدت حلفاً عُرف بالحلف التنوخي في البحرين التاريخية. وهي من أوائل القبائل العربية التي أسست مملكة خارج أرض اليمن، وعرفت بمملكة اللخميين أو المناذرة التنوخيين في الحيرة من أرض العراق، وأنجبت ملوكاً كثراً، امتازوا بالعظمة والقوة والكرم والمقدرة على مر عصور دولتهم، وفاخروا بعراقة نسبهم ودافعوا عن دولتهم بشهامة وبطولة وتعدت إنجازاتهم أرض العراق.

العرب ينقسمون إلى طبقات ثلاث: فقبيلة اللخميين من الطبقة الثانية أي العرب العاربة(٢) المعروفون بعرب الجنوب، جدها الأول قحطان بن النبي هود، وقيل قحطان بن عابر وهي إحدى بطونه وأبو بطون ملوك حمير اليمنيين. كانت مساكنها قبل خروجها من اليمن بالقرب من سد مأرب السد المائي الشهير عبر التاريخ (سد العرم) الذي بناه عبد شمس (سبأ) في القرن الثامن قبل الميلاد ويرجع النسب التاريخي لقبيلة اللخميين إلى نمارة بن لخم.

وهو لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد ذكر هذا النسب في عشرات المصادر التاريخية(٣). وما

(١) من كتاب لباب الأنساب والألقاب والأعقاب لظهير الدين البيهقي صفحة ١٩ مكتبة المصطفى.
(٢) العرب العاربة: إما بمعنى الرسوخ في العروبية أو بمعنى الفاعلة العروبية والمبتدعة لها بما كانت هي أول أجيالها. تاريخ العرب القديم للشيخ أحمد مغنية صفحة ١٠ دار الصفوة ١٩٩٤م. بيروت – لبنان.
(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ص٣٢٨ نسخة إلكترونية موقع الوراق الإلكتروني/ الأغاني: أبو الفرج

يجدر التوقف عنده ما رآه النسابون من جواز النسبة إلى عدة طبقات في القبيلة المقسّمة إلى عمائر وبطون وأفخاذ وفصائل، وكذلك كانت النسبة في الأحلاف بحيث كانت إلى القبيلة الأم والقبيلة الحليفة معاً، وعلى سبيل المثال كان يجوز لبني هاشم أن ينتسبوا إلى هاشم أو قريش أو مضر أو عدنان، وقد ينضم الرجل إلى قبيلة بالحلف أو الموالاة وعند انضمامه إلى القبيلة جاز له أن ينتسب إلى قبيلته الأولى الأم والثانية الحليفة معاً، وما رآه ابن خلدون من أن الرئاسة على أهل العصبية لا تكون بغير نسبهم لأن الرئاسة إنما تكون بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية(١). أما بخصوص كنيتهم فإن المؤرخ حسن البعيني يشير بأن نسب آل عبدالله يعود إلى الأمير عبدالله ابن الأمير النعمان ابن الأمير مالك الذي هو والد الأمير أرسلان الذي ينتسب إليه الأرسلانيون وجد الأمير فوارس الذي ينتسب إليه بنو فوارس، مما يجعل الأرسلانيين وبني فوارس أبناء عمومة آل عبدالله(٢).

وقال أحد الشعراء بنسل قحطان:

قـوم هم الجـذم والأنسـاب تجمعهـم ... والمجـد والديـن والأرحـام والبلد(٣)
إذا قـريـش أرادوا شـد ملكهـم ... بـغـير قـحطـان لم يـبرح بـه أود(٤)

وقال أحد شعراء الجاهلية:

أبونا نـبي الله هـود بـن عابـر ... ونحـن بنـو هـود النبـي المطهر
لنا الملـك في شـرقهـا وغربهـا ... ومفخرنـا يسمـو على كـل مفخر
فمن مثـل كهـلان القواضـب والقنـا ... ومـن مثل أمـلاك البريـة حِمير(٥)

القحطانيون:

يجمع العرب كلها أصلان، فأحدهما عدنان، والآخر قحطان، فإلى هذين الأصلين ينتهي كل عربي في الأرض، ولا يخلو أحد من العرب من أن ينتمي إلى أحدهما، ولا بد أن يقال: عدناني، أو قحطاني. فكل من ينتسب إلى قحطان يقال له قحطاني وإذا قيل بأنه قحطاني فهو من العرب العاربة. وأما إذا قيل عدناني فهو من العرب المستعربة.

الأصفهاني، الجزء الأول ص١١٤ نسخة إلكترونية موقع المصطفى الإلكتروني.

(١) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ١٧، تأليف نديم حمزة، دار النهار، ط. أولى ١٩٨٤م.

(٢) كتاب "التنوخيون والمناذرة"، للدكتور حسن أمين البعيني، صفحة ٩٨، دار معن سنة ٢٠١٣م.

(٣) الجِذْم ويعني : الأصل يقال جِذْم الرَّجل : أهله وعشيرته.

(٤) الأود وهو الأمر من الشيء أقام أَوَدَه: أزال اعْوِجاجَه، أصلح أمرَه ، قوَّمه قام بأوَد عائلته: قام بإعالتها.

(٥) ملوك حمير وأقيال اليمن المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، و إسماعيل بن أحمد الجرافي الناشر: دار العودة، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٨ م.

قبل الإسلام كان الملك في قحطان وذريته حتى نقل إلى عدنان بعد الإسلام. يعود نسب أجداد آل عبدالله إلى قحطان الذي اختلف النسابون والمؤرخون حول نسبه، فقد جاء في كتاب الانصاف لابن العديم ما نصه: قَحْطان ـ وهو مجتَمَع قبائل اليمن ـ وهو قحطان بن عابَر وقيل هو هُودٌ عليه السلام، بن شالَخ (انتهى) وقال نشوان الحميري بأنه ابن النبي هود وقد تفرد ابن الكلبي بنسب قحطان إلى النبي إسماعيل عليه السلام[١].

عند وفاة النبي هود أوصى من بعده إلى ابنه قحطان وكان لقحطان من الأولاد ستة عشرة ولداً وهم: يعرب وخيار وأنمار والمعتم والمناحي ولأي وماعز وغاضب ومنيع وجرهم والملتمس والقاطمي وظالم والغشيم والمغتفر وباقر، وأمهم امرأة من عاد[٢]. وقد دُفِن هود عليه السلام في منطقة الأحقاف من أرض اليمن وهي تقع في شمال حضرموت وفي شمالها الربع الخالي وفي شرقها عُمان[٣].

نسب قحطان

كان الغالب على نسب قحطان حسب المصادر التاريخية من مؤرخين ونسّابين على أنه قحطان ابن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن مَتُّوشَلَخ بن أَخْنوخ وهو النبي إدريس عليه السلام بن يارد بن مَهائيل بن قينان بن طاهر وهو أنوش بن هِبَة (وهو شيث) بن آدم عليه السلام وخلق الله آدم من تراب[٤].

يقول اسكندر آغا في كتاب أخبار العرب: أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج هو قحطان ابن عابر وكان ملكه قبل عهد الإسكندر بن فيليبس المكدوني بنحو ألف وسبعماية سنة.(وإذا كان الإسكندر المقدوني قد ولد سنة ٣٥٦ قبل الميلاد[٥]، يكون ملك قحطان قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة). وذكر مخائيل غبريل في كتابه أساطير الأولين بأن قحطان لبس التاج سنة ٢٠٣٠ق.م[٦]. كان عادلاً محمود الطريقة حسن السياسة في الرعية كثير السماحة وفيه يقول بعض الشعراء:

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كابنه ربّ الفصاحة يعرب[٧]

(١) كتاب نسب معد واليمن الكبير هشام بن الكلبي ص ٥١ (ن أ) وجاء في كتاب الحميري.
(٢) مخطوطة «تاريخ ملوك حمير»، لنشوان الحميري ص٦-٧ مصدر سابق.
(٣) قصص الأنبياء ص٧٤ عبد الوهاب النجار دار الحديث القاهرة ٢٠٠٢م.
(٤) كتاب الإنصاف والتحري لإبن العديم ص٢.
(٥) كتاب الإسكندر الكبير(٣٥٦-٣٢٣ق.م فتوحاته ص٧ دار طلاس سنة ١٩٩٩ دمشق.
(٦) كتاب أساطير الأولين صفحة٦١. لمخائيل أفندي عبدالله غبريل، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت سنة ١٨٩٤م.
(٧) كتاب: «نهاية الأرب في أخبار العرب»، صفحة ٦ تأليف المعلم اسكندر أبكاريوس الأرمني.

ولما مات قحطان ملك بعده ابنه يعرب، ويعرب الذي ورث والده قحطان أول من نطق بالعربية وكان من الفصاحة على جانب عظيم وهو الذي ذكره حسان بن ثابت:

تعلمتم من منطق الشيخ يعربٍ أبينا فصرتم معربين ذوي نفرٍ
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمةٍ كلامٌ وكنتم كالبهايم في القفر

وتابع أباكاريوس في كتابه أخبار العرب قائلاً: «رأيت في بعض المجاميع أن يعرب لقب غلب عليه لاستنباطه العربية وأن بلاده سُمّيت باليمن لوقوعها عن يمين الكعبة. وكان أبناء قحطان وأحفاده يتوارثون الحكم وقد دامت مملكتهم لأكثر من أربعة عشر قرناً».(١)

يعرب بن قحطان

إذا كان أجداد آل عبدالله من نسل قحطان ويعودون بنسبهم إليه فقد استمر هذا النسب من نسل ابنه يعرب وهو أكبر أبنائه الستة عشر وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة، ولما مات أوصى بملكه لولده يشجب إلا أن يشجب لم يكن كابنه عبد شمس الملقب بسبأ، حيث كان سبأ ملكاً مَهيباً كثير الغزوات، شديد التيقظ في حروبه، غزا البلاد المصرية مراراً وأكثر المصاب في أهلها، وحمل السبايا إلى بلاد اليمن واقتاد الأسرى، وكانوا ينيفون على عشرة آلاف أسير، ولم يفعل قبله أحد من الملوك ولذلك قيل له سبأ وهو الذي أغار على بابل وفتحها وأخذ إتاوتها ... وفيه يقول الشاعر من أهل زمانه:

لقد مَلَكَ الآفاقَ من حيثُ شرقها إلى الغربِ منها عبدُ شمسٍ بن يشجبِ
لهُ مُلكُ قحطان بنِ هودٍ ووراثةً عن أسلاف صدق من جدود ومرأبِ
فما مِثلُ قحطان السماحةِ والندى ولا كابنهِ ربِّ الفصاحةِ يعربِ
ومن كالمُصفَّى عبدِ شمسٍ بن يشجُب إذا عُدَّ خيرُ الناس من خيرِ منصبِ
سما بالجيادِ الأعوجيةِ والقنَا إلى بابلٍ في مقنبٍ بعد مقنبِ
فآب بأبكارٍ وحُورٍ أوانسٍ مع الخَرجِ منها في الخميسِ العصبصبِ(*)
ورعَّلَ فيها الخيلَ شرقاً ومغرباً فمَشرِقُها يُجبى له بعد مغربِ

(١) المصدر السابق، صفحة ٧.

(*) معنى كلمة عصبصب أي وقت ضيق ولكن بفرج قريب.

حِمْيَر يرثي أباه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١]:

عجبت ليومك ماذا فعل وسلطان عزك كيف انتقل
وسلمت ملكك ذا طائعا وسلمت للأمر لما نزل
فيومك يوم رفيع النزال ودورك في الدهر دور رحل
فلا يبعدنك فكل امرئ سيدركه بالسنين الأجل

العرب على طبقات ثلاث:

ذكر المؤرخون والنسَّابون والرواة بأن العرب تُقسم من حيثُ القِدَمُ على طبقات ثلاث: العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة.

العرب البائدة:

الأقوام الذين هَلكوا وانقرضت قبائلهم وضاعت أخبارهم إلا ما قصته الكتب السماوية وحفظته الآثار، ومن هذه الأقوام عاد وثمود وطسم وجديس هم من أقدم أعراق بلاد العرب، وقد تحدث القرآن الكريم في بعض آياته عن العرقين الأولين (عاد وثمود) وهذه الأعراق الأولية تُعرف بالعرب البائدة أي العرب القدامى.

فبعد هلاك قوم نوح نشأت عاد التي امتدت مساكنها إلى مناطق بعيدة خارج تخوم البلاد العربية وقد رجحت بعض المصادر التاريخية سيطرة عاد على بلاد العرب ومصر ومواطن أخرى حتى إذا هلكت انتقلت السيادة إلى ثمود[٢]. وقد أهلكت عاد بريح صرصرعاتية وقبيلة ثمود التي أهلكت بالطاغية الصاعقة أو الراجفة، ويرى بعض المؤرخين بأن الدولة الحمورابية من العرب البائدة. وبعض المؤرخين قد زاد في عدد القبائل العربية البائدة على ما ذكره جواد علي في كتابه[٣] أن جماع العرب البائدة في عُرف أهل الأخبار هم: عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعبيل وعبد ضخم وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا وأضاف جواد علي بأن هلاك العرب البائدة كان بسبب الكوارث الطبيعية التي نزلت بهم.

(١) كتاب فتوح الشام للواقدي الجزء الثاني صفحة ٧٤ .
(٢) كتاب: «أنساب العرب»، صفحة ١٧، سمير عبد الرزاق القطب، دار البيان بيروت لبنان.
(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام صفحة ٢٩٥ جامعة بغداد سنة ١٩٩٣ .

العرب العاربة:

إلى هذه الطبقة الثانية من العرب ينتمي أجداد آل عبدالله وهي طبقة العرب العاربة من ولد قحطان كانت مساكنهم في الحجاز، وكان يعرب بن قحطان أول من نطق بالعربية، يقال بأن لسان والده كان سريانياً[١] ويقال بأن هذه الطبقة من العرب كانت معاصرة لأخوانها من أهل الطبقة الأولى. ومناصريهم إلى أن انتزعوا الملك منهم وكان قحطان بن النبي هود عليه السلام بن عابر أول من نزل اليمن وغلب عادا والعمالقة فانقرضت هذه الطبقة من العرب وبقيت الطبقتان الأخيرتان القحطانية والعدنانية المتنافستين فالعرب الموجودون من هذين الأصلين.

قيل أنّ رجلاً: هو فروة بن مسيق المرادي سأل رسول الله ﷺ عن سبأ أرجلٌ هو أم أمرأة أم أرض؟.. فقال: ﷺ بل رجلٌ ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، فأما اليمانيون: فمذحج ..وكندة.. والأزد.. والأشعر.. وأنمار .وحِميَر. وأما الشاميون: فلخم .. وجذام .. وعاملة .. وغسان. وتبين أنّ أباهم قحطان كان يتكلم العربية وأخذها عن الأجيال قبله. .. إلى أن جاء إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيه، وهؤلاء المسمّون بالعرب التابعة.. أو المستعربة[٢].

العرب المستعربة :

وهي آخر طبقات الشعوب العربية ويقال لهم العرب المتعربة أيضاً. هكذا ورَد في كتاب تاريخ الاسلام لحسن إبراهيم قائلاً: سموا بذلك لأن إسماعيل عليه السلام كان يتكلم العبرانية أو السريانية. فلما نزلت القبيلة العربية جرهم التي تنتسب إلى القحطانية بمكة وسكنوا مع إسماعيل وأمه، تزوج منهم وتعلم هو وأبناؤه العربية، فسموا بذلك العرب المستعربة. والذي استفاض في كتب مؤرخي العرب أن ابراهيم عليه السلام رحل بولده إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، فأقام اسماعيل وأمه مع قبيلة جرهم من أولاد قحطان فنشأ معهم، وكانت لغتهم العربية فتعلمها منهم. ثم صاهرهم، وولد إثني عشر ولداً تفرعت منهم بطون كثيرة، وجاء في كتاب العرب قبل الاسلام لجواد علي «يقال: للعرب المستعربة العدنانيون أو النزاريون وهم من صلب إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وامرأته رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي (القبيلة القحطانية) وقيل لهم العرب المستعربة لأنهم انضموا إلى

(١) كتاب: «أنساب العرب»، ص ١١٣/ ١١٩، سمير عبد الرزاق القطب دار البيان بيروت لبنان.
(٢) كتاب تاريخ العرب القديم صفحة ١٨ مصدر سابق . (نقل هذا الحديث من مسند الإمام أحمد).

العرب العاربة وأخذوا العربية منهم، ومن ثم تعلم إسماعيل الجد الأكبر للعرب المستعربة العربية فصار نسلهم من العرب واندمجوا فيهم، وكان موطنهم الأول مكة. وكان لاسماعيل عليه السلام من زوجته (رعلة) اثني عشر رجلاً»[١]. وكان كل واحد من أبناء اسماعيل أباً لقبيلة ثم انقرضوا جميعاً ولم يبقَ غير عدنان ولهذا تسمى هذه القبيلة بالعدنانية، وكان لعدنان ولد اسمه معد تزوج وأنجب ولدا اسمه نزار فعرفوا بالنزاريين[٢].

قِصَّةُ إسماعيل عليه السلام: كان أبوه النبي إبراهيم الخليل عليه السلام متزوجاً من سارة وكانت سارة عقيماً لا تلد، فوهبت جاريتها (هاجر) إلى ابراهيم وقالت له: لعل الله يرزقك منها ولداً. فتزوجها إبراهيم عليه السلام وكان قد سأل الله أن يهبه ولداً فوعده به، فولدت هاجر لإبراهيم، إسماعيل عليه السلام لستٍّ وثمانين سنة من عمره، فأوحى الله إليه إني قد باركت عليه. وكثرته ويكون رئيساً لشعب عظيم. وأدركت السيدة سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه إخراجها، فهاجَرَ بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم عند دوحةٍ هنالك وانطلق، فقالت له هاجر: الله أمرك؟؟ قال: عليه السلام نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. وانطلق إبراهيم وعطش إسماعيل عليه السلام عطشاً شديداً وأقامت هاجر تتردد بين الصفا والمروة إلى أن صعدت عليها سبع مرات لعلها تجد شيئاً من الماء، ثم أتته فوجدته يفحص برجليه فنبعت زمزم[٣]. من وحي هذه المناسبة وبالحديث عن سيدنا إسماعيل عليه السلام تحضرني بعض أبيات للشيخ العلامة المرحوم الشيخ عبد الكريم صادق، يذكر فيها قصة علي بن أبي طالب عليه السلام حين نام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم مفديه بنفسه دون تردد، بل أقبل على هذا العمل بكل طيب خاطر وحبور وصدر ممتلىء بالإيمان وبقلب ممتلىء بالشجاعة وهو يوم من أيام ذبيح الله النبي إسماعيل. عندما استجاب إسماعيل لوالده إبراهيم وجعل رقبته تحت سكينه ليذبحه.

يقول: ما شق عينا عليٍّ بعد مولده ... إلا وعين رسول الله ترميها
ناجاه في ليلة الغار الأمين عن ... الوحي الإلهي أن نَم موضعي فيها
فالتف ببرده للذبح مضطجعاً ... وتلك سُنَّة إسماعيل يحييها

طبقات النسب عند العرب:

فاعلم أن جميع ما بنت عليه العرب أركانها وأسست عليه بنيانها عشر طبقات:

---

(١) كتاب: «تاريخ العرب قبل الإسلام»، لجواد علي، صفحة ٣٧٥.
(٢) سلسلة أعلام العرب (الحارث بن المثنى)، صفحة ١٥، مطبعة الإسكندرية.
(٣) تاريخ العرب القديم، صفحة ١٩، مغنية مصدر سابق.

الطبقة الأولى: جزم النسب إما إلى عدنان وإما إلى قحطان وفيها جماع نسب العرب.

الطبقة الثانية: الجمهور وهو الإجماع والكثرة وفق قولهم جماهير العرب أي جماعتهم ومنه ترجمة مجموع لغة الجمهرة وجمهرة الأنساب أي مجموعها.

الطبقة الثالثة:الشعوب أحدها شعب،وشَعب يقال في القبيلة وفي الجِيل وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه ويُشبّه بالرأس من الجسد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الطبقة الرابعة: القبيلة وهي التي دون الشعب وهي التي تجمع العماير وإنما سميت قبائل لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد وهي بمنزلة الصدر من الجسد .

الطبقة الخامسة : العمائر واحدها عمارة وهي التي تجمع البطون وهي دون القبائل وهي بمنزلة اليدين من الجسد.

الطبقة السادسة: البطون: واحدها بطن وهي التي تجمع الأفخاذ .

الطبقة السابعة: الأفخاذ ويقال للفرقة التي تتشعب من البطن فخذ وفي هذه التسمية إشارة لقرب الفخذ من البطن .

الطبقة الثامنة: العشائر واحدها عشيرة وهم الذين يتعاقلون إلى أربع آباء وسميت بذلك لمعاشرة الرجل أباهم قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الحجرات: ١٣]. فدعا النبي ﷺ قريشاً إلى أن اقتصر على عبد مناف وهم يجتمعون معه في الجد الرابع فمن هنا جرت النسبة بالمعاقلة إلى أربعة وهم بمنزلة الساقين من الجسد. يعتمد عليها دون الأفخاذ.

الطبقة التاسعة: الفصائل واحدها فصيلة وهي أهل بيت الرجل وخاصته قال الله تعالى: ﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ [المعارج: ١١ - ١٣].

وهي بمنزلة القدم وهي مفصل يشتمل على عدة مفاصل .

الطبقة العاشرة: فهم رهط الرجل وأسرته وهي بمنزلة أصابع القدم والرهط دون العشرة والأسرة أكثر من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] .

قصة مختارة

ما بين أبرهة وسيف بن ذي يزن

في منتصف القرن السادس الميلادي، أقام أبرهة الحبشي على ملك اليمن إحدى وعشرين سنة، ومات قتيلاً في مكة سنة ٥٧١م. وكان قد قصدها بجيشه يريد أن يهدم البيت الحرام واتخذ فيلاً عظيماً يقدّمه في وجه جيشه ليتقوا به وقع النبال ولذلك يقال له صاحب الفيل، وملك بعد أبرهة ابنه يكسوم وكان قد استخلفه على اليمن عند مسيره إلى مكة فمات ولم يعد . وأقام المذكور على ملك اليمن مكان أبيه تسع عشرة سنة ثم توفي فتولى مكانه أخوه مسروق فأقام اثنتي عشرة سنة، ورأى أهل اليمن ثبات ملك الحبشة عليهم وتوارثهم إياه خلفاً عن سلفٍ فجزعوا من ذلك وأخذتهم العزة والأنفة والحمّية. كان في تلك الأيام قد نشأ سيف بن ذي يزن الحِمْيَري واجتمعوا إليه وقالوا له: إن الحبشة قد دخلوا بلادنا بسبب جدك ذي نواس وقد طال بلاؤهم علينا حتى ضاقت صدورنا عنه ورأينا أن نجمع لك من النفقة ما يجهزك إلى بعض الملوك تستنجده، لعلك تُقبل بجنود تقاتل هؤلاء الحبشة بهم فينقذنا الله بك وعلى يدك من ملكهم، فقال سيف بن ذي يزن: أنا ذاهب إلى قيصر ملك الروم فاقتسموا له مالاً وجهّزوه أحسن جهاز، فسار في البحر نحو أرض الروم إلى القيصر الروماني...

وافى سيف بن ذي يزن القسطنطنية وكان قيصر يومئذٍ يوستينيانوس الثاني (٦٨٥ - ٦٩٥) فدخل عليه وحدّثه بلسان الترجمان عما هم فيه من جور الحبشة منذ سبعين سنة مما يلقون من ظلمهم العنيف، وسأله أي سيف بن ذي يزن أن يمدّه بجيش، فقال قيصر: إن الحبش على ديني (أي النصرانية) وأنتم قوم مخالفون لنا وما كنت لأنصركم عليهم فخرج بن يزن من عنده وقد يئس منه، ولما عزم سيف على الانصراف أمر له قيصر بعشرة آلاف درهم يتقوى بها على انصرافه إلى بلاده فأبى أن يأخذها وقال للرسول: قل لمولاك إن لم ينصرني فلا حاجة لي بالمال (إلى الملك العربي والنصيحة بجمل ...بين الملك العربي والفارسي).

خرج إلى العراق وقصد النعمان بن المنذر وهو بالحيرة[1]، فدخل عليه وأخبره بما هم عليه من

---

(١) الحيرة: مدينة كبيرة بعراق العرب على الضفة اليمنى لنهر الفرات، يقال إن الذي بناها هو بخت نصر، وجددت في عهد الإسكندر، وقد ظلت الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامي، وفى عهد الإمام علي بن أبي طالب بنى بجوارها مدينة الكوفة واتخذت مقراً للخلافة الإسلامية، وبقيت الحيرة خراباً إلى أن عثر فيها على قبر (علي المرتضى) فعادت إليها حياتها قرية صغيرة وتُعرف الحيرة اليوم بإسم النجف، ومشهد، وتقع على بعد ٧٧ ك. من جنوب شرقي كربلاء... الأخبار الطوال، تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ص٥١.

استيلاء الحبشة عليهم منذ سبعين سنة، فقال النعمان: أقم عندي فإن لي وفادة على كسرى أنوشروان في كل عام وقد دنا وقتها، فأقام عنده حتى حان وقت الوفادة، فخرج معه حتى دخل على كسرى وهو جالس على السرير في إيوانه فحياه بتحية الملوك، فأمر له بكرسي من ذهب فجلس عليه. فقال كسرى: ما حاجتك التي قدمت بك من أرضك السحيقة البعيدة؟. قال ذي يزن: سودان تغلّبوا على بلادنا منذ سبعين سنة، يسوموننا الخسف فأتيتك لتنجدني بجيشٍ أدفعهم به عن بلادنا وتكون أنت ملكنا فإنك أحب إلينا منهم. فقال كسرى: قد بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة الخير، إنّ فيها الشاة والبعير وذلك ما لا حاجة لي به. فقال سيف: يا مولاي لا تزهد في بلادي فإنها أرض العرب والملوك الذين ملكوا الأرض ودانت لهم المشارق والمغارب. فقال كسرى: ما كنت لأخاطر بجيشٍ من جنودي في ما لا يجدي نفعاً.

خرج سيف من عنده آيسا منكسر البال، وقال كسرى: إذا لم ننجده فلا بد من إعطائه بما يستعين عليه في سفره وأمر له بعشرة آلاف درهم، فحملها سيف وخرج حتى انتهى إلى باب القصر وجعل يأخذ منها كفَّاً كفَّاً وينثر على الناس حتى أتى عليها، وبلغ ذلك كسرى فغضب وأمر بإدخاله عليه. فدخل فقال: ما حملك على أن تستخف بعطيّتي حتى نثرتها على الناس فقال سيف بن ذي يزن ما أصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة، ثم خنقته العبرة فرقَّ له كسرى وعلم أن ذلك لم يصدر إلا عن كآبة في قلبه، فقال له: أقم حتى أنظر في أمرك فخرج من عنده وزير ذكي لكنه خبيث...

جمع كسرى وزرائه وقال: ما ترون أمر هذا الأعرابي؟ ويقصد بن يزن الذي أتانا موتوراً مستغيثاً فقال رئيس وزراءه: أيها الملك إن في سجنك أقواماً قد استحقوا القتل بذنوبٍ لهم فإن رأيت أن تطلقهم من سجنهم وتعضدهم بالمال والسلاح وتجهزهم معه، فإن ظفروا كانت زيادة في ملكك وإلا سيقتلون لا محالة، فأعجب الملك بهذا الرأي وأخرجهم من السجن فكانوا سبعة آلاف وخمسماية نفر، ففرق فيهم المال والسلاح وقدم عليهم شيخاً كان معهم في السجن يقال له وهرز بن كامجار وكان فارساً مشهوراً وسيَّرهم مع سيف بن ذي يزن، فساروا إلى الأبلة[1] وركبوا من هناك البحر في إثنتي عشرة سفينة.

وأخيراً وصل سيف بسبعة آلاف سيف:

انتهى السبعة آلاف مقاتل فارسي مع سيف بن يزن إلى ساحل عدن، فنزلوا هناك واتخذوا خندقاً

(١) الأبلة وهي بلدة في زاوية الخليج العربي على شاطئ نهر دجلة. ذكرها الدينوري في كتابه الاخبار الطوال.

لأنفسهم، وقال وهرز: قد وردنا بلادك يا سيف فماذا عندك؟ قال سيف: عندي ما شئت من رجل يمني وسيف هندي وفرس عربي. قال: دونك فاستطاع بن يزن أن يجمع من قبائل حمير عشرين ألف فارس وراجل. ولما بلغ ذلك مسروق بن أبرهة ملك الحبشة تجهز في جنوده وسار نحوهم في ثلاثين ألفاً من الحبش، فتوافق الفريقان للحرب وقد صفوا صفوفهم ونصبوا راياتهم وأنشب القتال بين العسكر حتى إلى نصف النهار ... عند وصول سيف بن ذي يزن إلى اليمن التي غادرها قهراً تزينت له عروسٍ كابنة مالك (عبلة) عشيقة عنترة بن شداد وجرى على لسانه شعر عنتر قائلاً:

هَلاَّ سألتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ إن كُنتِ جاهلةً بما لَم تَعْلمِي
يُخبرِكِ مَن شَهِدَ الوقيعةَ أنَّني أغْشى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَمِ
ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم
ومُدَجج كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمْعنٍ هَرباً ولا مُسْتَسلِمِ
جادت له كفي بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
لما رآني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديد مخذم
في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتها الأبطال غير تغمغم

فَقُتِلَ مسروق بن أبرهة وانهزم أصحابه، وكان قاتله وهرز بن كامجار قائد الفرس رماه بسهم فأصاب جبينه ونفذ من مؤخرة رأسه، وحمل جيش العرب والفرس على الحبشة يقتلون من أدركوا منهم حتى أتوا على آخرهم سنة ٦٠١ ميلادي(١)، وتقدم سيف ووهرز نحو صنعاء حتى دخلوها فأقام وهرز بصنعاء، وأرسل رجاله إلى كل ناحية من اليمن وأمرهم أن لا يظفروا بأسود إلا قتلوه، ثم كتب إلى كسرى يخبره بافتتاح اليمن، فكتب إليه كسرى أن يتحرى عن سيف بن ذي يزن إن كان من أبناء ملوك اليمن أمّرهُ على ملكه وانصرف عنه وإلا فليُضرب عنقه وتجلس على ملك اليمن. فجمع وهرز أشراف قحطان وسألهم عن سيف بن ذي يزن، فقالوا: إنه من ولد ذي نواس الملك

(١) من كتاب: "أساطير الأولين"، صفحة ٦٣ لميخائيل أفندي عبدالله مطبعة اليسوعيين بيروت ـ لبنان.

الذي غزا نجران وكان إيقاعه بهم سبب قدوم الحبشة إلى اليمن، فسلم وهرز اليمن إلى سيف وجمع من كان معه من رجال العجم بصنعاء وانصرف إلى كسرى فحياه كسرى وأحسَن جائزته، وانقرضت عند ذلك دولة الحبش من اليمن وكانت مدة ملكهم اثنتين وسبعين سنة، وجلس سيف على سرير اليمن بقصر غمدان، ولما خلا بالملك وتمهّدت له الديار وسار بنفسه في جميع مدن اليمن ومخاليفها فلا يقف على أحد من الحبشة إلا قتله، سوى نفر يسير منهم استبقاهم وجعلهم عبيداً له وكانوا نحوماية رجلٍ فخلو به ذات يوم في الصحراء وقد خرج للصيد فقتلوه بالحراب وهربوا، فحزنت على سيف قبائل اليمن، ودفنوه في صنعاء بمقبرة كانت لأجداده ووضعوا في سريره عند رأسه لوحاً قد كُتب فيه هذه الأبيات:

أنا ابن ذي يزن من فرع ذي يمن ... ملكت من حدّ صنعاء إلى يمن

جلبت من فارس جيشاً على عجل ... في البحر أحملهم فيه على السُّفُنِ

حتى غزوت بهم قوماً مهاجرةً ... في البر جاسوا خلال الحي من يمن

بالخسف والذل حتى قال قائلهم ... ذوقوا ثمار ذوات الحقد والإحن(*)

ونلت أكثر مما كنت آمله من ... قتلى الحُبْشِ حتى طاب لي وطني

(*) الإِحَنَ: شَدائِدَ الأَوْجاعِ.

هجرة القبائل العربية التقسيم الزمني للتاريخ

إن هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام لم تتوقف عبر العصور القديمة، وذلك لأسباب عديدة منها: مزاولة النشاط التجاري، ومنها الجفاف المتزايد لشبه الجزيرة بين عصر وآخر، وخاصة بعد انهيار سد مأرب لمرات عديدة والذي كان يتم بناؤه بعد كل مرة، والأمر الآخر ما كان يحدث من حروب بين مختلف القبائل، الأمر الذي دفعهم للهجرة إلى بلاد الشام في شكل موجات ، ومن المعروف أن بلاد الشام ما هي إلا امتداد للحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية. إن خصوبة الأرض، ووفرة الكلأ، وانتظام وتعاقب فصول السنة، وخاصة فصل الربيع، كان ذلك من أهم عوامل جذب القبائل إلى بلاد الشام[١]. وقد دأب المؤرخون على التقسيم الزمني للتاريخ إلى حقب، وكان التحقيب يختلف من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى مدينة، وهناك مَنْ أشار إلى العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث والجديد وذلك نسبة إلى شيوع استعمال الأدوات المصنّعة من الحجر، والذي تعود إلى آلاف السنين. وأشار إلى ذلك (ديورانت) قائلاً: رأى علماء الآثار علامة مميزة للعصر الحجري الجديد الذي ازدهر حوالي سنة ٥٠٠٠ ق.م في أوروبا[٢]. وكان يعود التقسيم وتحديد الأدوار إلى حدث عظيم ونقلة نوعية تغيِّر وجه تركيبة الحكم والحياة الاجتماعية من حضارة إلى آخرى. وتحت عنوان: أقسام التاريخ، أسهب آل صفا في تاريخ جبل عامل شارحاً كيفية تحقيب التاريخ وحركة تدوينه ومن فقراته نقتبس ما جاء:

التاريخ قسمان: عام وخاص

وينقسم العام إلى أربعة أدوار:

الدور الأول : العصر القديم منذ الخليقة الأولى إلى سقوط مملكة الرومان[٣] وانقراضها سنة ٤٧٦م.

الدور الثاني: عصر القرون الوسطى الأول منذ سنة٤٧٦م إلى سنة ١٤٥٣م. وهي السنة التي سقطت فيها حكومة بيزنطة وفُتحت القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح العثماني.

---

(١) كتاب الأوضاع الحضارية، صفحة ١٥، للحويري دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٩م.
(٢) كتاب قصة الحضارة (المجلد الأول) صفحة ٩٢، من تأليف المؤرخ ويل ديورانت.
(٣) مملكة الرومان والتي تأسست سنة ٧٥٠ق.م إلى سنة ٤٧٦ ميلادي. وكان فابيوس بيكتور أول مؤرخي الحقبة الرومانية وذلك سنة ٢٠٠ قبل الميلاد. كتاب "حضارة الرومان"، تأليف الدكتور السعدني، صفحة ٢٦ الطبعة ١٩٩٨، القاهرة.

الدور الثالث: عصر القرون الوسطى الثاني من سنة ١٤٥٣م إلى سنة ١٧٨٩م.

الدور الرابع: وهو الدور المعاصر من سنة ١٧٨٩م. وهي السنة التي استعرت فيها نار الثورة الفرنسية التي دحرجت التيجان ودكت العروش وقلبت أوضاع الأمم وقوانينها في أوروبا وغيرها من بلدان العالم وذلك إلى سنة ١٩١٤م.

ولقد ارتأينا من المفيد الأخذ بهذا الخيار، أي بالتقسيم الزمني لأهم المنعطفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التاريخية الكبرى، التي تشكل مادة بحثنا المتعلق بأسرة آل عبدالله الخيامية، هذا وسوف يكون تحقيب الزمن متعلق في حركة تاريخهم والتي سوف نلقي بالضوء قدر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً رغم وعورة البحث وصعوبته في الوصول إلى أحداثهم وأخبارهم، كان ذلك منذ الخروج الأول لها من اليمن إلى البحرين، فعُرفوا آنذاك بالتنوخيين وفي العراق باللخميين، ثم ساروا إلى حلب عُرفوا ببني عبدالله أو آل عبدالله، وأخيراً قدومهم إلى لبنان فالهجرة الداخلية في مناطقه حتى الوصول إلى بلدة الخيام فعُرفوا مرة أخرى فيها بآل عبدالله. لقد كان تاريخهم، عبر المراحل والمحطات، التي قطعوها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات بعضها ببعض إن كان على مستوى السياسي في ممارسة الحاكمية (نمط الزعامي السلطوي) وأهمية الأحداث في التأثير عليها أو التأثر بها، إلى جانب دوافع أخرى كحركة تنقلاتهم التي كانت قيمة حضارية وإنسانية. من هذا المنطلق جاء تحقيب تاريخهم من أجل بلورة ما أمكن من صورة واضحة بيّنة، نقوم من خلالها بتحديد العناوين والمفاهيم والمنطلقات الرئيسية المرتبطة بمكانهم وزمانهم وتقسيم ذلك إلى أدوار. على الشكل التالي:

الفَصْلُ الأَوَّلُ

هجرة أجدادنا من اليمن إلى البحرين

(بداية الميلاد - ١٣٨ ميلادي)

الفَصْلُ الأوَّلُ

الدور الأول: هجرة أجدادنا من اليمن إلى البحرين

(بداية الميلاد - ١٣٨ ميلادي)

خرجت قبيلة آل عبدالله من اليمن القبيلة العربية اللخمية نسبة إلى لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وأشار جرجي زيدان إلى هذه الهجرة وتاريخها قائلاً: "تنوخ فرع كبير من قضاعة جاء ذكره في تاريخ اليونان وقد ذكر النسابون أن تنوخاً مزيج من قضاعة والأزد، وكان ذلك في ايام ملوك الطوائف أو في أوائل النصرانية"[١]. ولم تقتصر واجهة هذه الهجرة نحو البحرين، بل قسم من التنوخيين هاجر إلى بلاد الشام آتياً من اليمن. إن قبيلة تنوخ ظهرت في سوريا آتية من جنوب جزيرة العرب في أوائل التاريخ المسيحي[٢]. كانت هجرتهم إلى البحرين وفي البحرين عُرفوا بالتنوخيين.

يقع اليمن موطنهم الأول في الإقليم الجنوبي من بلاد العرب (وفي جنوب غرب آسيا)، يحده من الشمال السعودية ومن الشرق سلطنة عمان قامت فيها حضارات، جذبت إليها أنظار العالم القديم وأثرت فيه وتأثرت به، بلغت من ذيوع الصيت ما جعل الكُتّاب والمؤرخين يتحدثون عنها بكثير من الإعجاب[٣].

وقد يعود تسميتها باليمن إلى أول من قطنها من العرب الذي قال له والده قحطان: أنت أيمن ولدي، أو لأنها تقع على يمين الكعبة[٤].

إن الدول المجاورة لليمن لم تكن أفضل حالاً منه . فكانت الخضرة تزين مرابعه حدائق وأعناباً وللظامئين كأساً دهاقاً. وقد ذكر الألوسي: أن فيها من الخيرات والفضائل ما لا يُخفى إلا على جاهل أو متجاهل، وكم فيها من البساتين والعيون الجارية والفواكه والروعات والأشجار والثمرات

(١) «العرب قبل الإسلام»، تأليف جرجي زيدان، الجزء الأول الطبعة الثانية، صفحة ١٧٣ سنة١٩٢٢م. مطبعة الهلال مصر.
(٢) كتاب «التنوخيون والمناذرة» للدكتور حسن أمين البعيني، صفحة ١٥ الطبعة الأولى ك.ث٢٠١٣ دار معن.
(٣) كتاب تاريخ اليمن القديم. لمحمد بافقيه صفحة ١١ المؤسسة العربية للدراسات ١٩٨٥م.
(٤) العرب قبل الإسلام، تأليف أحمد أمين سليم، صفحة ٦ ، مكتبة كريدية أخوان لبنان ـ بيروت.

والمعاقل والحصون القاهرة. مما لا يوجد في كثير من الديار مثله ولا يوصف شكله.

وتابع الألوسي قائلاً: اليمن إقليم عظيم متسع الأرجاء متباعد الأطراف والأنحاء، لم تزل محمودة على ألسنة الأصفياء لما أودع الله فيها من البركة في جميع الأشياء وكانت تُسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ومراعيها وريعها[١].

قال الكلاعي عن اليمن في قصيدته:

هي الخضراء فاسأل عن رُباها يُخبِرك اليقينَ المخبرونا
ويُمْطِرِها المهيمنُ في زمانٍ كل البرية يَظْمؤونا
وفي أجبالها عزّ عزيز يظل له الورى متقاصرينا
وأشجارٌ منوّرةٌ وزرع وفاكهة تروق الآكلينا

فبالعودة إلى ما نقله المؤرخون عن قبيلة تنوخ فقد ذكر زيدان بأن تنوخ نزلوا البحرين ثم رحلوا إلى الحيرة وأنشأوا بها دولة[٢]. وكذلك جاء في تاريخ وادي التيم بأن تنوخ تسمية أطلقت في البدء على أول إتحاد معروف امره قام بين مجموعة من القبائل العربية في بلاد البحرين قبل الإسلام في حدود سنوات الميلاد الأولى على وجه التقريب، كان قد نزح قسم من هذه القبائل من تهامة بعد اقتتال وتناحر فيم بينهما ألحق بها بالغ الضرر فارتحلت إلى البحرين[٣].

مدينة مأرب وسدها الشهير

يبعد سد مأرب عن مدينة صنعاء شرقاً مسافة ١٩٣كم. وفي هذا السد يلتقي عشرات الوديان المائية المنحدرة من جبال اليمن. والسد هو إحدى عجائب العالم القديم. ويرجع بناؤه إلى ثمانية قرون قبل الميلاد على يد السبائيين ويعتبر سبأ الأكبر، حفيد جد العرب يعرب بن قحطان، ويستنتج من آثار مدينة مأرب وما عثر عليه مما بقى من السد أنه قد عاش في هذه المنطقة الكثير من أبناء اليمن قديماً. وقد صيّروا من الأرض القاحلة المغبرة مروجاً خضراء وحدائق غنّاء استحقت ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

(١) كتاب: «بُلُوغ الأَرَبْ للألوسي البغدادي»، الجزء الاول، صفحة ٢٠٢ و٢٠٣، مصدر سابق.
(٢) كتاب: «العرب قبل الإسلام»، ط.الثانية صفحة ١٧١، مطبعة الهلال ١٩٢٢ مصر.
(٣) كتاب: «تاريخ وادي التيم»، تأليف يحيى حسين عمار، الطبعة الأولى، صفحة ١٢٥، ينطا ١٩٨٥.

أضاف جرجي زيدان: بأن مأرب تسمى أيضاً سبأ وأن لفظها أرامي الأصل مركّب من ماء ورأب أي الماء الكثير أو السيل الكبير مدينة في جنان وغياض(*)، وما أصاب مدينة مأرب من دمار بسبب انفجار السد المذكور، وإليه أشار القرآن. فكان في تهدمها عبرة أرادها الله .ومن أخبار ما ذكر عن تصدع السد وانهياره بسبب فجوة أحدثها جرذ(١).

ومن أشهر الشعراء الذين كتبوا عن هذا السد الأعمش ومما قال:

كفى ذلك للمؤتسي أسوة ... ومأرب قَفَّى عليها العرم (**)
رخام بناه له حمير ... إذا جاء مواره لم يرم (***)
فأروى الحروث وأعنابها ... على سعة ماؤهم إذ قسم
فعاشوا بذلك في غبطة ... فجارفهم جارف منهزم
فطار القيول وقيالها ... بيهماء فيها سرابٌ يطم (****)

البحرين هي المحطة الأولى

فبالعودة إلى ما ذكرناه سابقاً بأن المحطة الأولى لهجرتهم كانت البحرين، والبحرين هنا لا يقصد بها ما يقصد اليوم من دولة أو مملكة بل يقصد ما كان مصطلحاً عليه تاريخياً. وقد كانت البحرين محطة مهمة ينزل فيها الناس في هجراتهم نحو الشمال. سقطت البحرين بيد التنوخيين على يد زعيمهم مالك بن فهم القضاعي، أما تنوخ فهو حلف ضم قبائل عربية من قحطانية وعدنانية فأقام التنوخيون في البحرين ووطدوا سلطتهم وإن طمحت نفوسهم إلى إحتلال العراق(٢). مكثت

(*) غاض: موضع كثير الشجر والماء ـ شجر كثير ملتف (المعجم الرائد).

(١) «العرب قبل الاسلام»، تأليف جرجي زيدان، الجزء الاول الطبعة الثانية، صفحة ١٢٠، سنة١٩٢٢م. مطبعة الهلال مصر.

(**) قَفَّى على الشيء : غَشِيَهُ أو ذَهَبَ به/ / العَرِمُ : السَّيلُ الذي لا يطاقُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]. و العَرِمُ الجُرَذُ ؛ لأنه كان سببًا لسَيْل العرم (المعجم الوسيط).

(***) حمير : وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. أخو كهلان بن سبأ./ / موار: مبالغة المآئر. موار: « ريح موارة »: تثير التراب.

(****) أي ذهب بزرعها وضرعها. والأقيال هم قبائل صغيرة برزت في بعض انحاء الجزيرة / / يهماء : « أرض يهماء »: لا أثر فيها ، ولا مرعى ، ولا عَلَمٌ أو إشارة.

(٢) قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم ـ الكويت والبحرين، تأليف أمل عجيل، بيروت (Edito Creps International) ١٩٩٩م.

القبائل العربية بعد تحالفها في البحرين مدة من الزمن ، ومن ضمنها بطون قبائل لخم أجداد آل عبدالله الذي توسع هذا التحالف بقدومها وتحالفها معهم، في البحرين التاريخية التي كانت بالنسبة لهم المحطة الأولى ومقامهم الأول الذي نزلوا به. البحرين التاريخية اسم أطلقه العرب قديما على المنطقة الممتدة على ساحل الخليج العربي، فيما بين البصرة شمالاً وعُمان جنوبًا وهذه المنطقة تشمل حالياً الكويت والبحرين وقطر والجزء الأكبر من دولة الإمارات العربية المتحدة(١).

يتبين أن التنوخيين من أجداد آل عبدالله وهم من بطون اللخميين وحلفائهم من القبائل العربية الأخرى، كانت مساكنهم بما يعرف حالياً دولة الكويت ومملكة البحرين ودولة قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة. وقد زاد بعض المؤرخين على هذه الدول التي كانت ضمن البحرين التاريخية مدينة الأحساء شرقي المملكة العربية السعودية، إن اسم البحرين تقلص تدريجياً عن المنطقة وأصبح يُطلق على مجموعة من الجزر في الخليج العربي. وبعد مكوثهم مدة من الزمن في هذه المنطقة الممتدة من البصرة شمالاً إلى حدود عُمان جنوباً تطلعوا إلى العراق. ولو كان لديهم كاهنة كالتي أنجت عمرو بن عامر بن حارثة وهو من سادات أهل سبأ ، كانت تلك الكاهنة تدعى «طريفة»، التي تنبأّت له بخراب سد مأرب، وخراب الجنتين فنصحته بالخروج، فأطاعها، وباع كل ما يملكه وهاجر أرض اليمن(٢). وهل كانت لو وجدت هذه الكاهنة لتنبئ القبائل التنوخية بأن متاعهم وأنعامهم وزرعهم وضرعهم وأجسادهم وثمارهم وأشجارهم التي احتضنتها أرضهم سوف تدر ذهباً أسود مستقبلاً بخروج النفط منها؟ فعدلوا عن تركها!!.. أما أن طبيعة العراق في الحيرة التي نزلوا فيها أكثر جذباً وإغراءً لهم من كل شيء. ولقلة الكتابة عن مكوثهم في البحرين لم يصل من أحوالهم إلا القليل القليل والنزر اليسير. وبالطبع هذه ليست دعوة إلى أهلنا وأبناء عمومتنا في الخليج العربي للمطالبة بحصة في النفط، هنيئاً لهم والله سبحانه وتعالى مقسّم الأرزاق .

أصل التنوخيين وتسميتهم :

اجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا، على التوازر والتناصر فصاروا يداً على الناس وضمهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من

---

(١) كتاب: «دور البحرين في الملاحة والتجارة»، تأليف محمود قمر، ١٩٩٧ كلية الآداب جامعة الزقازيق ـ مصر، «فصول في تاريخ الإسلام»، صلاح خليفة، صفحة ٩ ـ مصر.
(٢) «معجم البلدان» لياقوت الحموي صفحة ٢٤، قصة الكاهنة، مكتبة المصطفى.

العمائر(*) . وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم وكلمة تَنوُخ كلها واحدة . وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم(١) .

كما أخذ حلف تنوخ اسمه من التنوخ أي المقام. فقريش أخذت اسمها من التَقَرُّش وقد قيل اشتقاق قريش من قول العرب تقرشوا أي اجتمعوا لأنهم اجتمعوا وكانوا كيدٍ واحدة على من سواهم(٢) .

وما جاء في نص ابن الأثير يتقارب إلى حد كبير مما رواه الطبري. قال ابن الأثير: اجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنُّوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدًا واحدةً وضمّهم اسم تنوخ، وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي إلى التنوخ معه وزوجه أخته لميس، فتنخ جديمة وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف، وإنماسمّوا ملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الأرض(٣) . أوردت السيدة عابد في كتابها (تاريخ التنوخيين في لبنان) ما ملخَّصه: إن كلمة تنوخ تعني الإقامة وقد أطلق على تكتل قديم بين جماعة عربية يمنية ومن بعض القبائل كقيس عيلان تعود إلى الأزد وقضاعة ولخم متوسعة بانضمام قبيلة نمارة إليها وإسم تنوخ كقبيلة ورد في جغرافية بطليموس في جملة ما ذكر من قبائل العرب(٤) .

أهمية الحلف التنوخي:

وقد كان لتحالف القبائل العربية اليمنية على أرض البحرين الذي عُرِف بالحلف التنوخي. كان له الأثر الكبير على مجمل ما شهدته المنطقة آنذاك من أحداث بين الروم والفرس حيث كان له الأثر الطيب حين أسهم في علو شأن الحضارة العربية، وقد كان لقوّته دافع بالغ الأهمية استطاع

(*) دون القبائل العمائر، واحدتها عَمارة ودون العمائر البطون، واحدها بطن، ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ، ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة. (كتاب لباب الانساب للبيهقي ظهير الدين صفحة ١٣ مكتبة المصطفى ن.أ).

(١) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري، الجزء الاول، صفحة ٦١٠-٦١١ ، تحقيق ابو الفضل، الطبعة الثانية، دار المعارف ـ مصر.

(٢) مصدر سابق «البيهقي»، صفحة ٩، مكتبة المصطفى ن.أ.

(٣) كتاب «الكامل في التاريخ»، تأليف ابن الاثير، الجزء الأول صفحة ٦، مكتبة المصطفى .

(٤) كتاب «التنوخيون في لبنان»، تأليف د.مفيدة عابد، صفحة ٢٠ مطابع دويك ٢٠٠١م، كتاب «تاريخ ملوك الحيرة»، لعلي ظريف الأعظمي صفحة ٧، المكتبة السلفية ١٩٢٠م مصر.

أن يؤسس لمملكة عربية عريقة على أرض العراق، تداول على حكمها أكثر من عشرين ملكاً كانوا من صفوة ونخب العرب قبل الإسلام استمرت لخمسة قرون، وقد أثبتوا جدارة عالية في الحكم ومارسوا أروع فنون السياسة حتى برعوا فكانوا دهاتها، وقد استطاعوا بذكائهم وكرمهم واتحادهم فيما بينهم أن يطوعوا دولة الفرس الساسانية وريثة الحضارة الفارسية، فحملوها على المرونة في التعامل. ورغم علاقاتهم بهم إلا أنهم مارسوا الندية والخصومة والتنازع إذا اقتضت الحاجة ضدها، والصداقة والمحبة والتعاون والألفة حينا. ضرب التنوخيون أروع الأمثلة في التعاون مع محيطهم حين تميزوا بعقلية منفتحة وبصيرة نافذة، فالإنسان لم يُخْلَق عبثاً ليعبث في الأرض بل شاء الله أن يجري على خلقه سننه الكونية وحكمته الإلهية: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [سبأ: ١٥].

المكان الذي عقد فيه هذا الحلف لم يعرف أهله في منطقة ساحل الخليج والبحرين حكومات قوية كانت تستطيع رد الغزاة والطامعين مثلما كان عليه الحال أيام التنوخيين. إن أهل الساحل أقاموا حكومات مدن أو حكومات قبائل وإمارات ومشيخات، وهذا يفسر سهولة سقوطها بيد الغزاة،حين أسقطوا من خياراتهم الاستراتيجية وحدة الدولة لا الكيانات، أغلب الظن بأن التنوخيين كانوا رجال بحر وتجارة حيث كانت البحرين من أهم المحطات التجارية مع الهند والبلاد الأخرى[١]. وإذ كانت الممالك العربية اليمنية كمملكة حمير ومملكة سبأ ملكوا اليمن لبضعة عشر قرناً ، جاءت مملكة الحيرة لتكون من أوائل الدول والممالك القحطانية التي أسست في العراق خارج أرض اليمن كان ذلك نتاج هذا الحلف التنوخي.

التنوخية إلى يومنا هذا..

كان لهذا التحالف من ان بعض القبائل العربية اليمنية القحطانية، التي نزحت من اليمن، قد ضمها اسم واحد. حتى وأصل واحد على الأرجح هو القحطانية، فكان العرب يرون في النسب جامع قوي لشد العصب فيبادرون بحماسة إلى الأحلاف بين القبائل وهو يشبه التحالفات والمعاهدات الدولية في هذه الأيام. إن الكوارث الطبيعية قد أدت بهؤلاء القوم إلى الرحيل، وإن كان ليس الأول فقد سبقت قبيلة عاملة بن سبأ هذه القبائل بقرون عدة إلا أن الرحيل أوجعهم فأنشدوا التحالف حتى أصبحوا بذلك إخواناً وجسداً واحداً، فعُرفوا بالتنوخيين وصَاحَبهم هذا

(١) «العرب قبل الإسلام»، جواد علي، ص ٥٦٩ ج١.

اللقب إلى يومنا هذا، ففي مدينة الخيام اللبنانية الجنوبية الواقعة على تُخوم فلسطين كان لها نصيب من هذا اللقب الذي تحمله عشيرة آل عبدالله العربية اليمنية القحطانية التنوخية،ففي معرض حديثه عن العيال المرجعيونية ذكر حردان في كتابه (سوف يكون لنا وقفة معه) عن بعض الشخصيات من آل عبدالله الذين يحملون لقب التنوخيين. فقد درج الحال في أيامنا بأن نفوس الأحوال الشخصية لاتضيف الاسم الرباعي للاسم فسقط هذا اللقب عن أسماء عشيرة آل عبدالله. إلا أنَّ أولاد وأحفاد المرحوم أمين افندي ابن الحاج حسن عبدالله ما زالوا إلى يومنا هذا يعرفون بالتنوخيين. وعند سؤالنا للإستفسار عن هذا الأمر الذى أدى إلى احتفاظ ذرية المرحوم أمين أفندي عبدالله التنوخي دون غيرها بلقب التنوخي، أجاب المرحوم محمد حسن عبدالله التنوخي (أبو حسان) قائلاً: في بداية الثلاثينات من القرن الماضي كان لإحصاء عام ١٩٣٢ دوراً أساسياً في لبنان والأساس الذي بني عليه تسجيل السكان المقيمين في لبنان في حينه فضّل أحد أنجال أمين أفندي أن تبقى ذرية والده حاملة لهذا اللقب، احتراماً لتاريخ هذه الأسرة التي صاحبها هذا اللقب حتى دخولها الخيام، وأقول في ذلك: كلنا فخر واعتزاز أن نحمل هذا اللقب التاريخي التي تجاوز عمره أكثر من ألفي سنة.

أقرباء آل عبدالله في الوطن العربي

من ذرية التنوخيين اللخميين وهم أقرباء تاريخيين لآل عبدالله ما زالوا يعيشون في دول آنفة الذكر، وغيرها من الدول العربية الأخرى التي اخترنا منهم بعض البطون لانهم يعدون، بالمئات: بنو عامر وبنو حبيب وبنو هانىء والظواهر وبنو عبد الدار وبنو شيبان في البصرة وبنو عمارة وبنو اسير. وبنو عقيل الذين يقيمون بين العراق وتيماء وبنو عقبة يقيمون في الجوف المملكة العربية السعودية، وبنو واصل في مصر وبنو مطير ومنهم هلال المطيري في الكويت ومن الكعوب الكعبان مقيمون في قطر والبحرين وبنو عياش وبنوجابر[١]. ومما ذكره الصليبي: كان التنوخيون تاريخياًعبارة عن ائتلاف قَبَلي من جنوب الجزيرة العربية نزح شمالاً ليستقر في جنوب العراق في القرن الثالث الميلادي، ومن هذا الائتلاف قبيلة لخم التي صار رؤساؤها ملوك الحيرة في العراق ومن لخم أيضاً عشائر استقرت في فلسطين[٢]، وذكر نويهض الحوت في كتابه: ومن هذه القبائل سكنت شمال فلسطين بالقرب من طبريا وعكا وغزة. فآل هيكل سكنوا يافا وآل الحاج محمد في نابلس وقبيلة

(١) كتاب «أنساب العرب»، سمير عبد الرزاق القطب، صفحة ١٧٣، دار البيان بيروت لبنان.
(٢) كتاب «بيت بمنازل كثيرة»، تأليف كمال الصليبي، صفحة ١٥٩، مؤسسة نوفل الطبعة الخامسة سنة٢٠١٢م.

الجُبارات وبنو نبهان في بئر السبع. وقد حاربوا في صفوف زنوبيا ملكة تدمر في أواسط القرن الثالث للميلاد. والمساعيد في الغور وبنو تميم (التميميون) في الخليل وسواها، أما البواسل فسكنوا مصر، ومن هذه البطون توجه إلى السودان وبنو صخر سكنوا الأردن وعرب العائذ في سيناء ودولة بني عبّاد في إشبيلية في الأندلس. وينتسب إلى لخم في الأردن اليوم آل الغنيمات وفي لبنان آل أرسلان وفي مصر بنو مُرّ [١]. وقد أحصى الدكتور البعيني في كتابه: "التنوخيون" أكثر من أربعين فرعًا، وقد ذكر منهم بنو مسند[٢] وبنو مسند هي من كبريات القبائل العربية القحطانية في قطر.

كل هذه العشائر والقبائل تلتقي بصلة قرابة مع آل عبدالله الذين سكنوا في منطقة جبل عامل، وبالتحديد في بلدة الخيام من الجنوب اللبناني، حيث هذه القبائل والعشائر والبطون هم لخميون تنوخيون قحطانيون.

(١) كتاب: «فلسطين القضية، الشعب، الحضارة»، بيان نويهض الحوت، صفحة ٧٠ ، دار الاستقلال للدرسات والنشر بيروت ـ لبنان.

(٢) كتاب: «التنوخيون والمناذرة، اللخميون والمعنيون»، صفحة ١٩، تأليف د. حسن أمين البعيني، دار معن، الطبعة الأولى ك٢ -٢٠١٣م.

الفصل الثاني

انتقال أجدادنا من البحرين إلى العراق

(١٣٨ ميلادي ـ ٦٣٢ ميلادي)

الفَصْلُ الثَّانِي

الدور الثاني انتقال أجدادنا من البحرين إلى العراق

(١٣٨ ميلادي ـ ٦٣٢ ميلادي)

الحيرة لفظها سرياني ومعناه الحصن أو المعقل فكان الناس يعرفونهم بقولهم حيرة النعمان أو حيرة المنذر أي حصنه ومعقله[١]، فهكذا عرفت الحيرة بحصون وقلاع ملوك المناذرة اللخميين أجداد آل عبدالله بدافع اقتصادي وسياسي، طمعت وطمحت بالهجرة قبائل تنوخ متطلعة إلى أرض العراق فنزلت في الحيرة والأنبار ووصِفت الحيرة بالبيضاء للون أبنيتها. ولروعة مناخها إن ليلًا ونهارًا يقضيان في الحيرة لأحسن من تناول الأدوية طوال عام كامل[٢] .أشار أكثر المؤرخين بأن سبب هجرة القبائل التنوخية من اليمن يعود إلى انهيار سد مأرب، وقد أجمعوا على ذلك إجماعًا تامًا بينما اختلفوا في تاريخ تلك الانهيارات.

كانت مسيرة القبائل التنوخية وخط سيرها من البحرين إلى أرض العراق. محطتها الثانية وبه بنت مملكتها ودولتها سنة ١٣٨ ميلادي وهي مملكة الحيرة والتي عرفت بمملكة المناذرة اللخميين) أول من أسس هذه الدولة في العراق الحلف التنوخي، ثم انتقل الملك منهم إلى بني لخم أجداد آل عبدالله وكلاهما من تنوخ ومن بني قحطان عُرفت بدولة ملوك الحيرة ١٣٨-٦٣٢م[٣]. وبلغ عدد ملوكها اثنين وعشرين ملكاً[٤] وقيل ست وعشرين ملكاً[٥]، فقد كان نفوذها يقوى ويضعف وحدودها تضيق وتتسع مستمدة ذلك من قوة ملوكها وضعفهم، فكانت كلما توسعت وتمددت

---

(١) "العرب قبل الاسلام"، تأليف جرجي زيدان، صفحة ١٩٩، الجزء الاول الطبعة الثانية، مطبعة الهلال ـ مصر ١٩٢٢م.

(٢) "محاضرات في تاريخ اليمن"، تأليف أغناطيوس غويدي، صفحة ٢٢، دار الحداثة لبنان ـ بيروت سنة ١٩٨٦.

(٣) "تاريخ ملوك الحيرة"، بقلم علي ظريف الاعظمي، صفحة ٦ ، المطبعة السلفية مصر ١٩٢٠م. كتاب التنوخيون والمناذرة ص٢٢ و٢٣ د. حسن البعيني.

(٤) "العرب قبل الإسلام"، تأليف جرجي زيدان، صفحة ١٩٩، الجزء الأول الطبعة الثانية مطبعة الهلال ـ مصر ١٩٢٢م.

(٥) "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، د.جواد علي، صفحة ٣١٤ الجزء الثالث ط.٢ جامعة بغداد ١٩٩٣م.

تشعبت جغرافية سكانها من القبائل حتى وصلت إلى معرة النعمان وحلب ومنطقة قنسرين من بادية الشام.

استمرت إمارة الحيرة بالوجود إلى ظهور الإسلام، وكان لأهلها أثر كبير في الحضارة العربية فقد كانوا يجوبون أرجاء الجزيرة العربية بالتجارة، ويشتغلون بتعليم القراءة والكتابة. وبذلك أصبحوا واسطة في نشر المعارف في الجزيرة ، كما ساعدوا على نشر النصرانية قبل الاسلام في بلاد العرب على أثر اعتناق بعض ملوكهم الدين المسيحي بعد ان تركوا الوثنية. وصفوة القول أن أهل الحيرة كانوا واسطة بين الفرس والعرب، وعلى أيديهم انتقلت الحضارة الفارسية إلى بلاد العرب[١].

كانت تجاورها الدولة الساسانية الفارسية وهي امتداد لدول فارسية سبقتها بقرون عدة من الميلاد،أسّسها أرديشير بن بابك (٢٢٦-٢٤١ميلادي) ذات النفوذ القوي، وكانت العلاقة بين الدولة الفارسية الساسانية وعرب الحيرة التنوخيين بين مد جزر، بين علاقة طيبة وتعاون وبين هجمات متبادلة،وإن بعض التنوخيين الذين لم يطب لهم المقام بسبب تدخل الساسانيين في شؤون دولة المناذرة العتيدة هاجروا إلى الشام[٢]. ورد في كتاب تاريخ الإسلام بأن علاقة الحيرة ببلاد فارس كعلاقة الغساسنة بدولة الروم ،وقد اتخذ الفرس إمارة الحيرة ، للاستعانة بها على حرب الروم. ولتكون حائلاً بين العراق وغارات العرب على الدولة الفارسية. كما اتخذ الروم أمراء الغساسنة أعوانًا لهم على الفرس، ووسيلة لحكم قبائل العرب القريبة منهم[٣]. لم تكن القبائل العربية التنوخية في الحيرة محكومة حكمًا مطلقًا من الساسانيين الفرس،لأن للعربي حرية غريزية تأبى عليه الانقياد لغيره ولأنه فخور بعروبته مزهو ببلاغته[٤]. وقد أكد على ذلك بعض الكتبة اليونانيين واللاتين وصف ديودورس الصقلي[*] العرب بأنهم يعشقون الحرية ، وهم يعتقدون بالإرادة الحرة وبالحرية، وقد شاركه في هذا الرأي هيرودوتس الذي أشاد بحب العرب للحرية ومقاومتهم لأية قوة تحاول استرقاقهم، واستذلالهم فالحرية عند العرب هي من أهم الصفات التي يتّصف بها العرب في نظر هؤلاء الفلاسفة[٥].

(١) "تاريخ الاسلام السياسي والديني"، تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن، صفحة ٣٣، دار الجيل ٢٠٠١م.
(٢) "تاريخ الدول الفارسية في العراق"، تأليف علي ظريف الأعظمي، صفحة ٣٢، مطبعة الفرات بغداد ١٩٢١م.
(٣) "تاريخ الإسلام السياسي"، مصدر سابق صفحة ٣٢.
(٤) كتاب "ابن المقفع"، بقلم خليل مردم بك، صفحة ١٩ مكتبة عرفة ـ دمشق ١٩٣٠م.
(*) ديودورس الصقلي مؤرخ يوناني ولد في صقلية ازدهرت شهرته في القرن الأول قبل الميلاد.
(٥) د.جواد علي، مصدر سابق، صفحة ٢٦٢ ، الجزء الأول.

لم يقتصر التحالف فقط على ملوك الحيرة مع الفرس فقد ذُكر بأن زنوبيا عندما فكرت بالاستيلاء على المملكة الرومانية، عقدت مع سابور ملك الفرس معاهدة للتخلص من الرومان، وقد استطاعت أن تحرز الانتصارات في مواقع عديدة على الرومان وجاء في كتاب التنوخيون: إن ملوك تنوخ في هذا العصر لم يقيموا الاعتبار الأول لعلاقاتهم بدولة الفرس بقدر ما كانوا يطمحون لجمع شتات الأعارب في دولة واحدة قوية وبعيدة عن هيمنة الفرس ونفوذ الروم، ولكن هذا الحلم الذي راود ملوك الحيرة لم يكن بمنأى عن عيون الفرس الذين قتلوا النعمان ليس بدافع الانتقام بل قصدوا من وراء ذلك إجهاض أركان هذه المملكة وتقويض دعائمها، ما نتج عن ذلك ترك غالبية التنوخيين أرض الحيرة والتوجه إلى الديار الحلبية وكانوا اثنتي عشرة أسرة من أشراف الدولة فاستوطنوا قصبة المعرة. فالهجرة من العراق إلى المعرة جعلت الأخيرة المركز التنوخي الأهم حيث اجتمعت عشائرهم، واشتد ساعد القبائل بمن كان في المعرة من أقارب يمنيين حتى دعيت المعرة بصليبية تنوخ[١].

مملكة الحيرة

تميز الكاتب العراقي علي الأعظمي عن معظم المؤرخين حين تفرد بتأليف كتاب خاص يتناول فيه تاريخ ملوك الحيرة التنوخيين، فأجاز لمبضعه الدخول بين مفاصل القبائل العربية التي أسست هذه المملكة العظيمة، متوخيًا كل الحرص إظهار الحقيقة من عدمها، موضحًا طبيعة تركيبتها والأنساب التي جمعتها وضمتها، وتنوخيتها التي اشتهرت بها جاعلًا لتاريخ هجرتهم من اليمن أوائل القرن الثاني. ولكن أوائل القرن الثاني هو تاريخ تأسيس مملكتها في الحيرة وقد توخينا الدخول في متاهات التواريخ فإن التواريخ التي حددناها في هذا الكتاب كانت على أساس المفاضلة والواقعية والانسجام مع الأحداث، وتصديقاً لما نقوله ورد في كتاب الشرق العربي القديم: هناك اختلاف غير قليل بين الأخباريين حول أسماء ملوك الحيرة وأعمارهم وترتيب توليهم ومدة حكمهم وغير ذلك[٢]، وتجد مصداق قولنا هذا في بطون أكثر الكتب التاريخية، وبالطبع إن هذا الكتاب لا يختص بالبحث العام الموسع وإنما ببعض إطلالات على محطات تاريخية لها علاقة بموضوعنا. وقد

(١) "التنوخيون تاريخ وحضارة" صفحة ١٥٤-١٥٦، تأليف حافظ أبو مصلح/ ملاعب/ يحيى. المركز العربي للأبحاث سنة ١٩٩٩م.

(٢) كتاب "الشرق العربي القديم"، تأليف د. حلمي اسماعيل، صفحة ٣٢٠، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية سنة ١٩٩٧.

يجتمع الأمران وذلك إنّما لتعلّق أحدهما بالآخر،وعلى قاعدة لا يستطيع اللاَّحق ان يستغني عن السابق. فآل عبدالله هم خَلَفُ هذا السلف ونتاج هذا النسب نسب ملوك الحيرة اللخميين. وقد ذكر الأعظمي عن حصيلة تنقيبه عن هذه الدولة، و مدة بقائها الذي يقدربالخمسة قرون، من سنة ١٣٨م إلى سنة ٦٣٢م.

واذ تميزت الحيرة بجغرافيتها وبنقاء هوائها وقصورها وملوكها وتجارتها وعلاقتها المميزة مع محيطها.

مِسكيّةُ النّفَحاتِ تَحسَبُ تُربَها بُرْدَ الخَليعِ مُعَطَّرَ الأرْدانِ

فلا يقل عن ذلك كله تميزها بالشعر والشعراء. فكان النعمان بن المنذر الذي حكم ثمانية وعشرون سنة٥٨٥-٦١٣م. محباً للشعر والشعراء والخُطب والخُطَباء وهو من خيرة خطباء زمانه، فقد فتح أبواب قصره لقصاده منهم أمثال: النابغة الذبياني والمنخل اليشكري، والمثقب العبدي والأسود بن يعفر وحاتم الطائي.

وقد جاء في كتاب التنوخيون: إن التنوخيين قبل الفتح الاسلامي لم ينحصر وجودهم الاجتماعي والسياسي في منطقة الحيرة، وإن كانت الحيرة هي مركز تواجدهم ونقطة ثقلهم، بل عم ذلك المناطق الشامية، ومن الأرجح أن التنوخيين الذين انتشروا وسادوا أحيانا في المناطق الواسعة المذكورة آنفا لم يكونوا فقط أحفاد القبائل العربية الأولى التي تناصرت وتحالفت على المساعدة والمؤازرة في البحرين، ولكن بعد أن قويت شوكة هذه القبائل وأصبحت تمثل القوة العربية في مناطق العراق وقسم من الشام، وجدت بعض الأفخاذ العربية خيرًا لها بالإنتماء إلى هذا الحلف والانضواء تحت رايته وذلك حماية لها ورفعة لشأنها[١]. ومما ذكره المؤرخون بأن الكثيرين من التنوخيين إن لم يكن أجمعهم قد اعتنقوا النصرانية قبيل الفتح العربي الاسلامي.

إن ظهور الإسلام وامتداد دعوته وقوته ونفوذه وضعف دولة المناذرة اللخميين في الحيرة التي كان عامل الزمن كفيل بإضعافها وزوالها.حين أدى ميلاد الكوفة في الاسلام إلى أفول نجم الحيرة إذ انتقل الناس من المدينة القديمة إلى المدينة الجديدة واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة، وهذا مما ساعد على اندثار بعض تأريخ المدينة الجاهلية التي ظلت تقاوم في الإسلام إلى أن جاء أجلها فذهبت في عداد المدن المندثرة[٢]. ومن لواء الزعامة العربية الذي دام طويلاً في ذلك

(١) "التنوخيون تاريخ وحضارة"، صفحة ١٥٥ مصدر سابق.
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي: ج٣/ ١٥٩.

العصر ما قبل الإسلام والذي كان أول ملوكه مالك بن فهم التنوخي، وكان آخر ذلك العصر قبل أن تنتقل الزعامة من الحيرة إلى مكة إيذانا بعهد جديد وروح جديدة نكهتها الإسلام، كان الملك المنذر بن النعمان الملقب (بالمغرور) الذي لم يمكث إلا شهورًا معدودة حتى قدم الحيرة خالد بن الوليد ففتحها صلحاً.

أسماء ملوك الحيرة من اللخميين المناذرة التنوخيين فقط وهم أجداد آل عبدالله وكان أولهم:

١- عمرو بن عدي سنة ٢٦٨-٢٨٨م، وبه بدأ عصرهم أما مملكة الحيرة فقد تأسست قبل هذا التاريخ بكثير على يد الحلف التنوخي واللخميين هم جزء مهم من هذا الحلف.

٢- امرؤ القيس بن عمرو بن عدي الذي يملك شهرة واسعة عثر على قبره في منطقة النمار في حوران واسمه محفور على القبر وكانت وفاته سنة ٣٢٨م. وقد ذكر جواد علي في تاريخه الجزء الثالث صفحة ١٨٩ قائلاً: كان أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره إلينا مدونًا وكذلك خبر تاريخ وفاته، كان رجلًا شجاعًا وقائدًا كبيرًا، أخضع كثيرًا من القبائل العربية لحكمه ففرض سلطانه عليهم فلم يبلغ ملك مبلغه فامتد حكمه من الحيرة وبلاد الشام التي خضعت له إلى نجد والحجاز ونزل به أجله وهو في بلاد الشام في موضع النمارة (وهو في الجهة الشرقية من جبل الدروز) حالياً.

٣- عمرو بن امرؤ القيس بن عمرو .

٤- امرؤ القيس بن عمرو بن امرؤ القيس.

٥- النعمان بن امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن ربيعة بن الحارث بن مسعود ابن مالك بن عمم واسمه عدي بن نمارة بن لخم واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[(١)] كان قويًا كثير الغزوات غزا الشام مرارًا وكان من أشد الملوك بأساً. كان تحته كتيبتين، دوسر وأهلها من تنوخ والثانية الشهباء وأهلها من الفرس، يغزو مَن لا يدين له من العرب وإلى الملك النعمان هذا ينسب قصر الخورنق الشهير[(٢)].

---

(١) هكذا ورد ذكر نسب النعمان في جامع الدرر البهية تأليف الشيخ د.كمال الحوت صفحة ١٠٢ دار المشاريع للطباعة ط.أولى٢٠٠٣ ن.أ.

(٢) "العرب قبل الإسلام"، جرجي زيدان صفحة ٢٠٤، مصدر سابق.

قصة النعمان مع قصر الخورنق

ارتبطت قصة هذا القصر باسم النعمان بن امرؤ القيس ولم يعرض مدوّن تاريخي عن ذكر قصة الخورنق. إن قصر الخورنق كان بظهرالحيرة، وقد اختلفوا في بانيه،فقال: الهيثم بن عدي الذي أمر ببناء الخورنق هو النعمان بن امرء القيس الأول ابن عمروبن نصربن الحارث بن عمروبن لَخم بن عدي بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان ملك النعمان ثمانين سنة وبنى الخورنق في ستين سنة بناه له رجل من الروم يقال له: سِنمار فكان يبني السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثرمن ذلك فلم يزل يفعل هذا الفعل ستين سنة حتى فرغ من بنائه فصعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحرتجاهه والبرخلفه فرأى الحوت والضب والظبّي والنخل فقال: ما رأيت مثل هذاالبناءِ قط فقال له سنمار: إني أعلم موضع حجر لو زال لسقط القصر كله فقال النعمان: أيعرفه أحد غيرك قال: لا قال: لاجرم لأدعنها وما يعرفها أحد ثم أمربه فقُذف من أعلى القصرإلى أسفله فتقطع فضربت العرب بسنمار المثل وقد ذكره الكثيرمنهم[١].

قال الشاعر في سنمار:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سِنِّمارَ وما كان ذا ذنب
سِوى رَصّهِ البنيان عشرين حجة ... يُعلى عليه بالقراميد والسّكب
فلما رأى البنيان تمّ سموقهُ ... وأضحى كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
وضن سنمارٌ به كل خبرة ... وفاز لديه بالمودة والقربِ
فقال اقذِفوا بالعلج من فوق برجه ... فهذا لعمر الله من أعظم الخطبِ

الملك يزدجرد وقصة ولده بهرام مع النعمان بن امرئ القيس

في سنة ٣٩٩م تسلم يزدجرد الأول حكم الدولة الساسانية كان محبًا للعرب ويكرمهم وكان لملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس الأول الذي كان مدة حكمه من٤٠٣ إلى٤٣١م. منزلة رفيعة، ولما مرض بهرام ابن الملك يزدجرد أعطاه وهو طفل للنعمان ملك الحيرة ليربيه في الحيرة لطيب هوائها وعذوبة مائها فربّاه النعمان أحسن تربية، وعلّمه الكتابة والحكمة والرمي والفروسية وكل ما يلزم للملوك وبنى له قصراً فخماً. توفي الملك يزدجرد سنة ٤٢٠م. وما زال ولده بهرام يعيش

(١) "معجم البلدان"، ياقوت الحموي صفحة١٠٧٠، مصدر سابق.

في كنف الملك النعمان وعندما همّ لإستلام الحكم ووراثة والده لعرش الملوكية، وقع الخلاف بين أبناء يزدجرد واستعر الصراع على الحكم، استنجد بهرام بالملك النعمان الأول ملك الحيرة اللخمي (وهو أحد أجداد آل عبدالله) فجهز النعمان جيشاً لنصرته، كيف لا يدافع عنه وكيف لا يبذل الغالي والنفيس من أجل نصرته وهو الذي رباه وأشرف على نشأته، فكان بالنسبة له أكثر من ابن، وسار النعمان بالجيش حتى مكّنه منهم ونصره وحقق له رغبته بالحكم فألبسه التاج وأجلسه على كرسي المملكة. فمن أجل ذلك أحب الملك بهرام العرب حبًا جمًا لم يظفروا بمثل هذا الحب والتعاطف من قبل، إلا في عهده حتى أنه رفع منزلة ملك الحيرة وفضله على سائر رجال دولته[١].

النابغة الذبياني يمدح النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة:

تِلْـكَ تُبْلِغُنِي النُّعمَانَ إنَّ لَـهُ فَضلاً ... عَلَى النَّاس فِي الأَدنَـى، وفِـي البَعَـدِ
وَلاَ أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشبِهُهُ ... وَلاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقوَام، مِـنْ أحَـدِ
إلاَّ سُليمَـانَ، إذْ قَـالَ الإلـهُ لَـهُ ... قُـمْ فِـي البَرِيَّـة، فَاحْدُدْهَا عَـنِ الفَنَـدِ
وخيّسِ الجِـنّ ! إنِّي قَدْ أَذِنْـتُ لَهُمْ ... يَبْنُـونَ تَـدْمُـرَ بالـصّفّـاحِ والعَـمَـدِ
فَمَـنْ أَطَـاعَـكَ ، فانْفَعْـهُ بِطَاعَـتِـهِ ... كَـمَـا أَطَـاعَـكَ وادلُلْـهُ عَلَـى الرَّشَـدِ
وَمَـنْ عَصَـاكَ، فَعَاقِبْـهُ مُعَاقَبَـةً ... تَـنهَـى الظَّـلومَ وَلاَ تَـقعُـدْ عَلَى ضَمَدِ

ومما يلي بعض ملوك الحيرة :

الملك المنذر بن النعمان٤٣١-٤٧٣ق.م.حكم اثنين وأربعين سنة وقد اختلف المؤرخون بين المنذر والنعمان في عهد أيهما بُنِيَ قصر الخورنق.

* **الأسود بن المنذر٤٧٣-٤٩٣م:** اشتهر هذا الملك بمعركة حارب بها الغساسنة وأسر عددًا من ملوكهم، وقد لاقى الملك بن المنذر اللخمي كل تشجيع من ابن عمه على قتلهم بعد أن قتل آل غسان له أخاً فقال أبو أذينة في ذلك قصيدة يغري بها الملك ويحثه على قتلهم:

ما كُلَّ يومٍ يَنالُ المَرْءُ ما طَلَبَا ... ولا يُسَوِّغُـهُ المقـدارُ ما وهَـبَا
وأنصف الناس من إن فرصة عرضت ... لـم يجعل السببَ الموصل مُقتضيا
والعفـو إلا عن الأكفاء مكرمة ... مـن قـال غـير الذي قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقـد رأيت ... رأيـاً يجـر الويـل والحربـا
لا تـقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنـت شهمـاً أتبـع رأسها الذنبا

(١) "تاريخ الدول الفارسية"، الأعظمي، صفحة ٣٧ ـ ٣٨ مصدر سابق.

* المنذر بن المنذر بن النعمان.

* النعمان بن الأسود بن المنذر.

* امرؤ القيس بن النعمان.

* المنذر بن امرؤ القيس الملقب ابن ماء السماء ٥١٤-٥٦٣م: كان ذو شهرة واسعة عاصر كبار أكاسرة فارس وملوك الغساسنة، وفي أيامه فتح الأحباش بلاد اليمن على يد أبرهة (وقد ذُكرت قصة سيف بن ذي يزن مع الأحباش) الصفحة: ص ٤٩ من هذا الكتاب.

* عمرو بن هند يُلقب بالمحرق: لأنه كان يحرق أعداءه بالنار وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس حكم من ٥٦٣ إلى ٥٧٨م.كان كثير الغزوات ذو هيبة شديد السلطان، قد بالغ بالعظمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس كلهم، وخيل له أنه ليس من أمير في العرب لا يرغب في خدمته ويتمنى رضاه. ولكن استحضرت هذه القصة قولاً في الشعر للمتنبي:

ليس كل ما يتمنـاه المرء يدركـه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فقد قُتل هذا الملك رغم كل عظمته بسيفه الذي هابته الجبابرة فكان قتله بسيفه على يد عمرو بن كلثوم التغلبي.. هذه قصة طويلة.لا داعي لذكرها.

* قابوس بن المنذر ٥٧٨-٥٨١م.

* المنذر بن المنذر بن ماء السماء٥٨٢-٥٨٥م.

* النعمان بن المنذر أبو قابوس٥٨٢-٥٨٥م: في أيامه بلغت مملكة الحيرة منتهى الترف والرخاء اقتداءً بالفرس.

يقول المثقب العبدي في أبي قابوس النعمان بن المنذر شعرًا يعتمد المدح طريقًا للتقرب من الملك، فالشعر هنا إذن أداة استثمار وحاجة كل منهما إلى الآخر حاجة الشاعر إلى الملك وحاجة الملك إلى الشاعر، باعتباره أداة إعلامية قوية يبث من خلالها شتى أنواع المدح والثناء والإطْراء العظيم، تتجلى قيمة الملك في ميزان الكلمة فمنها يأخذ صك اعترافه و بها يهيمن و يستمر[(١)].

وهذا شعر العبدي بالملك أبو قابوس:

فَـإِنَّ أَبـا قـابـوسَ عِنـدي بَـلاؤُهُ جَـزاءً بِنُعمـى لا يَحِـلُّ كُنـودُها

(١) مجلة علوم إنسانية السنة السادسة: العدد ٤٠ سنة ٢٠٠٩ م. عنوان الموضوع: هجاء الملوك في إمارة الحيرة نظرة حول طبيعة الخطاب الشعري الجاهلي: عماد شارف الجزائر.

رَأَيْــتُ زِنَــادَ الصَّالِحِيــنَ نَمَيْنَــهُ قَدِيمــاً، كمــا بــذَّ النُّجُــومَ سُعُودُها

فَأَنْعِـمْ أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ إِنَّـكَ أَصْبَحَـتْ لَـدَيْـكَ لُـكَـيْـزٌ كَهْلُهَـا ووَلِيـدُها

وأَطلِقْهُـمُ تَمْشِـي النِّسَـاءُ خِلالَهُـمْ مُفَكَّكَـةً وَسْـطَ الرِّحَـال قُيُـودُها

* **المنذر بن النعمان ٦٢٨-٦٣٢م الملقب بالمغرور:** وهو آخر ملوك الحيرة اللخميين التنوخيين وبه انتهى عهد ملوك الحيرة. كان قدر المنذر أن يقتل بالبحرين وهو آخر ملوك الحيرة اللخميين وكأن البحرين كانت على موعدين مهمين في تاريخ الحركة التنوخية موعد قدوم أجداد الملك المنذر على البحرين، حين عقد أول تحالف بين القبائل العربية عرف بحلف التنوخيين، من حينه كانت بداية انطلاقتهم نحو الشمال العربي وبداية حركتهم السياسية التي توّجت ببناء مملكة الحيرة، وبعد خمسة قرون كانت البحرين مرة أخرى مع حدث مهم وهو أفول شمس التنوخيين اللخميين في العراق، فاحتضنت البداية الأولى لهم ونهايتهم الأخيرة بمقتل آخر ملوكهم المنذر. هذا وقد تخلل حكم ملوك الحيرة اللخميين التنوخيين، ستة من الملوك الدخلاء الذين لاينتمون في نسبهم إلى قبائل التنوخيين، وطمعت القبائل العربية بالحيرة وذلك مع شروق شمس الإسلام التي حملت على جناحيها الشريعة الإلهية الأخيرة، والقيم الروحية الجميلة التي يقوم عليها الإسلام بوحي من الله أنزل على نبي الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم.كانت فترة من الفترات المهمة في تاريخ البشرية مازال أثرها قائمًا حتى الآن. وفي ظل هذا الحدث العظيم بظهور الإسلام الذي قضى وقوّض كثيرًا من الممالك.طمعت القبائل العربية في حكومة الحيرة التي ظهر عليها الوهن والضعف فكان من تداعيات ذلك أن هاجرت قبائل الحيرة في اتجاهات شتى، فكانت هجرة أجداد آل عبدالله ضمن هذه الهجرات، فكان من نصيبهم أن سلكوا طريقا نحو بلاد الشام فاستوطنوا في حلب في بدايات القرن السابع الميلادي.

الخاتمة

قال الأعظمي: قُتل المنذر في البحرين وبه انقرضت هذه الدولة وهو آخر ملوك الحيرة وآخر من ملك من آل نصر اللخميين. وتابع الأعظمي في كتابه تاريخ الحيرة: بَنت ملوك الحيرة (آل لخم) المدن الواسعة والقصور العظيمة والأديرة الفخمة حولها الحدائق والأنهار، وكانت دولتهم ومملكتهم ضخمة، وقد نالوا من السطوة العظيمة والنفوذ ما لم ينله من ملوك العرب من قبلهم أحد. هذا ما تدل عليه آثارهم الكثيرة من القصور الشامخة ونبوغ جماعة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والشعراء في عاصمتهم، وكانوا مرجع المستنجدين وملاذ الخائفين ومركز الشعراء والمادحين ولهم شهرة واسعة في العلم والأدب، ومن ألقابهم التي اشتهروا بها مثل «ذي التاج» و«ملك العرب». وكانت القبائل العراقية وسكان الجزيرة تحت سلطتهم خلال مدة وجودهم على أرض العراق، ولهم كامل النفوذ عليهم وخافتهم الملوك في أيام سطوة الفرس وضعف الروم، وكانت بينهم وبين الروم عداوة شديدة بسبب حربهم المتواصلة مع الغساسنة ومعاونتهم للفرس عليهم. ولما انقرضت هذه الدولة تفرق من بقي من آل لخم في البلاد، وكان لبقاياهم ملك بأشبيلية من الأندلس وهي دولة بني عباد، ومنهم من سكن مصر ومن بقاياهم كانت إمارة في سفح جبل لبنان، ومن أشهر الأديرة التي بناها المناذرة اللخميون التنوخيون في الحيرة دير مارت مريم، كان بين الخورنق والسدير وأديرة كثيرة بينها دير علقمة بن عدي اللخمي[١].

جاء في كتاب التنوخيون[٢]: ومن هنا نعلم إلى أي مدى من الحضارة والرقي بلغت الدولة الحميرية في اليمن، موطن الآباء والأجداد لهؤلاء القادمين الجدد إلى الحيرة والأنبار وبلاد الشام أي التنوخيين. فعندما جاءت أحلاف تنوخ واستوطنت الحيرة وجدت أن هذه البقعة من الأرض هي

---

(١) مراجعة في "تاريخ ملوك الحيرة"، لعلي ظريف الأعظمي، من صفحة ١١٨ إلى ١٣٠، المطبعة السلفية مصر ١٩٢٠م.

(٢) "التنوخيون: تاريخ وحضارة"، تأليف أبو مصلح، ملاعب، يحيى، صفحة١٠١، المركز العربي للأبحاث سنة ١٩٩٩م. لبنان - بيروت.

التي كانت يومًا من الأيام المهد الذي ولدت فيه حروف الهجاء والألسن المتعددة منذ زمن البابليين، أليست هذه البقعة من الأرض هي بابل التي كما يقال في الأساطير إنما سميت ببابل لأن الألسن تبلبلت فيها. هذا وكانت كلما سنحت للتنوخيين فرصة من فرص السلام في موضع إقامتهم في الحيرة يستغلونها للعمران وترسيخ الثقافة التي هي من مقومات الدولة، فاستنبطوا طريقة جديدة للكتابة لم يسبقهم إليها أحد في العصور السالفة ألا وهي حروف الجذم (الجزم) وغيرها من الفنون.

ومن تأمل قصائد الشعراء التي قيلت فيها يتضح له ما كانت عليه الحيرة من العظمة والعمران والحضارة الباهرة.

ففي سنة ١٠٠٢ ميلادي (٣٩٢هجري) بعد أن فرغ الشريف الرضي(قدس سره) (٩٦٩م - ١٠١٥م) وهوأبوالحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى من زيارة مشهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في الكوفة وعرج إلى الحيرة، فشاهد عجيب آثارها وبنائها ورأى الظباء ترتع في عراصها وذلك في جمادىٰ الأول سنة ٣٩٢ للهجري ونظم هذه القصيدة يرثيها ويرثي ملوكها[(١)].

زفر الزمان عليهم للشريف الرضي :

ما زلتُ أطّرِقُ المَنازِلَ بالنَّوَى ... حَتّى نَزَلْتُ مَنَازِلَ النُّعمانِ
بالحِيرة البيضاء حيث تقابلت ... شُمُّ العِمَادِ، عَرِيضَةُ الأعطَانِ
شَهِدَتْ بفضْلِ الرَّافِعِينَ قِبابَها ... وَتُبِينُ بالبُنيانِ فَضلَ الباني
ما ينفع الماضين إن بقيت لهم ... خُطَطٌ معمرة بعمر فان
ورأيتُ عجماءَ الطلولِ من البلى ... عن منطقٍ عربيةَ التبيانِ
باقٍ بها حظّ العيونِ وإنما ... لا حظّ فيها اليومَ للآذنِ
وعرفتُ بين بيوتِ آل محرِّقٍ ... مأوى القِرى وَمَوَاقِدَ النّيرانِ
ومناطُ ما اعتقلوا من البيضِ الظبا ... وَمَجَرَّ ما سَحَبُوا مِنَ المُرّانِ
وَرَأيتُ مُرْتَبَطَ السّوابِقِ للمَهَا ... ومعاقلُ الآسادِ للذُّؤبانِ
الهَاجِمِينَ عَلى المُلُوكِ قِبابَهُم ... وَالضّارِبينَ مَعَاقِدَ التِّيجانِ

(١) "تاريخ ملوك الحيرة"، مصدر سابق صفحة ١٣٨، "ديوان الشريف الرضي" لعبد اللطيف شرارة، صفحة ٣١٠، دارالشركة العالمية للكتاب بيروت لبنان ١٩٩٣م.

وَكَأنّ يَوْمَ الإذْنِ يَبرُزُ مِنهُمُ ... أُسْد الشَّرَى وأساود الغيطان(*)

وَلَقَدْ رَأيْتُ بدَيْرِ هِنْدٍ مَنزِلاً ... أَلِماً مِنَ الضّرّاءِ وَالحِدْثَانِ

أغضَى كمُستَمعِ الهَوَانِ تَغَيَّبتْ ... أنْصَارُهُ، وَخَلا مِنَ الأعْوَانِ

بالي المعالم أطرقت شرفاته ... إطرَاقَ مُنجَذِبِ القَرِينَةِ عَانِ

أَوْ كَالوُقُودِ رَأوْا سِمَاطَ خَليفَةٍ ... فَرَمَوْا عَلَى الأعْنَاقِ بالأذْقَانِ

وَذكَرتْ مَسْحَبَهَا الرِّياطُ بجَوِّهِ ... مِنْ قَبْلِ بَيعِ زَمانِهَا بزَمَانِ

وَبِما تَرِدُّ عَلَى المُغِيرَةِ دهَيَةُ ... نَزْعَ النَّوارِ بَطِيئَةَ الإذْعَانِ

أَمَقاصِرَ الغِزْلانِ غَيّرَكِ البِلَى ... حَتّى غَدَوْتِ مَرَابِضَ الغِزْلانِ

وملاعبَ الأنسِ الجميع طوَى الرَّدَى ... منهُم، فَصِرْتِ مَلاعِبَ الجِنّانِ

مِنْ كُلِّ دارٍ تستظلّ رِواقَها ... أدمَاءُ، غَانِيَةٌ عَنِ الجِيرَانِ

وَلَقَدْ تَكُونُ مَحَلّةً وَقَرَارَةً ... لأغرّ من ولد الملوك هجان

يطأُ الفراتُ فناءها بعبابِهِ ... وَلَهَا السُّلافَةُ مِنْهُ وَالرُّوقَانِ

ووقفتُ أسألُ بعضهَا عَنْ بَعضِها ... وَتُجيبُني عِبَرٌ بغَيرِ لِسَانِ

قدحتُ زفيري فاعتصرتُ مدامعي ... لو لَمْ يؤلْ جزعي إلى السلوانِ

ترْقى الدّموعُ وَيرْعوي جزَعُ الفتى ... وينامُ بعدَ تفرقِ الأقرانِ

مسكيةُ النفحاتِ تحسبُ تربهَا ... بُرْدَ الخليع معطرَ الأردانِ

وَكأنّمَا نَشَرَ التِّجَارُ لَطِيمَةً ... جرت الرياح بها على العقيان

مَاءٌ كجيبِ الدّرْعِ تَصْقُلُه الصَّبا ... وَنَقاً يُدَرّجُهُ النّسِيمُ الوَاني

حلّ الملوك رمى جذيمة بينها ... وَالمُنذِرينِ، تَغايُرُ الأزْمَانِ

طَرْداً، كَدأبِ الدّهرِ في طرْدِ الأُلى ... وَالَى الحَفائِظَ في بَني الدّيّانِ

نَعَقَ الزّمانُ بجمعِهِمْ عن لَعلَعٍ ... وَأقَضّ مَنزِلَهُمْ عَلَى نَجرَانِ(**)

(*) الشرى :مأسدة مشهورة بأسودها. ويُقال : هم أُسْد الشَّرَى : أشدَّاءُ شجعان.

(**) لعلع: يُطلق على جبل وماء في البادية. نجران: بلد باليمن.

وَكـــآلِ جفنَـةَ أزْعَجَتهُــمْ نَـبْــــوَةٌ   نَـقَـلَـتْ قِـبـابَـهُـمُ عَـنِ الـجَـوْلانِ
وَعَلـــى المَـدائــنِ جَلجَلَتْ بِرعادِهـا   عَـرِكـاً لكَلكَلِها عَـلـى الإيـوَانِ
وإلــى ابـنِ ذي يـزنٍ غـدتْ مرحولـةً   نَـفَـضَـتْ حَـويّـتَـهـا عَـلـى غُـمـدانِ
قصفَـتْ قنـا جَـدَلِ الطعـانِ وثـوّرتْ   بَـعـدَ الأمَـــانِ بِـعَـامِـرِ الـضَّـحْـيَـانِ
زَفَـرَ الزّمَـــانُ عَلَيهِــمُ، فتفـرَّقـوا   وَجَـلَـوْا عَـنِ الأوْطَــارِ وَالأوْطَــانِ

الفصل الثالث

انتقال أجدادنا من العراق إلى الشام

(٦٣٢ ميلادي ـ ٨٢٠ ميلادي)

الفَصْلُ الثَّالِثُ

انتقال أجدادنا من العراق إلى الشام

من ٦٣٢ ميلادي ـ ٨٢٠ ميلادي

انتقال أجدادنا من العراق إلى الشام بين التقلبات السياسية والفتح الإسلامي:

كان الدور الثالث من أشد الأدوار شحًا في المعلومات إذا ما قورن بالدور الذي سبقه وهو دولة التنوخيين في الحيرة، اشتد فيه الغموض على قدر اشتداد الوضع السياسي والتقلبات الدراماتيكية السريعة والمتلاحقة.فتوحات وحروب بالجملة على طول حدود الجزيرة العربية أدت إلى زوال أمم بكاملها. قال الصليبي: تمثل ذلك بالحدث الأبرز الذي غيّر وجه الكون هي الدعوة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلّم بوحي من الله، وكان الفتح الإسلامي لبلاد الشام مابين ٦٣٤-٦٤١ ميلادي. كان وقتًا عصيبًا اختلط فيه الصراع الداخلي الذي تمثل في إتباع العقائد الوثنية التى تغلغلت في نفوس الكثيرين في جزيرة العرب وغيرها قبل الاسلام.وبعد الفتح الإسلامي أصبحت المنطقة في حالة تعريب كامل مما أدى إلى انسحاب فلول الجيش البيزنطي من بلاد الشام عبر جبال طوروس إلى الأناضول[(١)].

استيطان حلب:

إن خروج أجداد آل عبدالله التنوخيين من الحيرة في أرض العراق إلى حلب من بادية الشام قد دللت عليه كثير من مصادر التاريخ .وهانحن بصدد الدور الثالث الذي جعلنا بدايته نهاية دولة ملوك الحيرة التنوخيين من اللخميين في الثلث الأول من القرن السابع ميلادي أي سنة ٦٣٢م.ومما ذكر سابقاً أن هجرات التنوخيين كانت تتم على دفعات، حيث كانت الدفعات الأولى سابقة لهذا التاريخ حسب بعض المصادر التاريخية، وكان استقرارهم في منطقة حلب وقنسرين التي هي من أعمال حلب.. هذا وقد جاء في كتاب ولاية بيروت صفحة ١٦: بعد حادث قتل أحد ملوك الحيرة

(١) كتاب "بلاد الشام في العصور الإسلامية الأولى"، الصفحات الأولى من الكتاب لكمال الصليبي، مؤسسة نوفل سنة ٢٠٠٩م.

على يد الملك الفارسي، هاجرت قبائل لخم مع النعمان ملك الحيرة من العراق إلى الديار الحلبية مع اثنتي عشرة أسرة من أشراف الدولة، فاستوطنوا المعرة، ثم تزوج النعمان بابنة الأمير معن أحد ملوك الأيوبية الذين كانوا يحكمون ما بين النهرين وكان الحاكمون في عشيرة النعمان (بني هاشم التنوخي) ولما ظهر الدين الاسلامي واتسعت دائرة فتوحاته تشرف التنوخيون بالدين الاسلامي وانضموا إلى جيوشه، وشاركوا في الفتوحات واتخذوا جبل لبنان وطناً لهم[١]. وجاء في كتاب التنوخيون بأن مجموعة من قبائل تنوخ قد هاجرت نحو بلاد الشام بعد مقتل النعمان بن المنذر، وعلى الأرجح أن التنوخيين الذين تركوا الحيرة في هذه الفترة كانوا على دين النصرانية[٢]. وإن كثيرًا من القبائل العربية بقيت على الدين المسيحي إلى يومنا هذا، وهم عرب أقحاح حيث بقي تاريخهم ما قبل البعثة الإسلامية موضع فخر واعتزاز بالنسبة لهم وللكثيرين ـ ذكر الصليبي في كتابه بيت بمنازل: كان تاريخ ما قبل الإسلام عامل فخر بالنسبة للكثيرين، لقد أرسى المسيحيون تشديدًا مماثلاً على تاريخ العرب في عصور ما قبل الإسلام، واعتبروه لا يقل أهمية من الناحية القومية عن التاريخ العربي الإسلامي. وعمدوا إلى إبراز الدور المهم الذي كان للمسيحية بين العرب قبل الإسلام، ألا وهو دور الملوك الغساسنة المسيحيين في الشام[٣]. وأردف الصليبي قائلًا: عندما فتح العثمانيون جزيرة قبرص عام ١٥٧٠م. والقضاء فيها على حكم البنادقة من مسيحيي إيطاليا فلوحظ أن المسيحيين المقيمين في الجزيرة تلقوا معاملة خاصة بعد انتهاء العمليات العسكرية، والتفسير الوحيد لذلك هو أن قائد الحملة العثمانية على قبرص كان عربياً فتعاطف مع سكانها لهذا السبب أي لأصولهم العربية[٤]. ولما ظهر المسلمون جاءت قبيلة من التنوخيين ، فيها قحطان بن عوف المسلسل إلى الملك النعمان ، وسكنت البرّية التي بين حلب ومعرّة النعمان بن بشير الأنصاري، ورفع مقام قحطان فيها ، وولد له صبي سمّاه تنوخاً، وقام تنوخ هذا بدوره أميراً عليهم. ثم رحل هؤلاء التنوخيون إلى الجبل الأعلى من أعمال حلب وعمّروا فيها قرى ومزارع وفي ذات يوم تعرض

(١) كتاب "ولاية بيروت"، تأليف رفيق التميمي ومحمد بهجت، صفحة ١٦ دار لحد خاطر للطباعة والنشر سنة ١٩١٦م. وكذلك ورد هذا الخبر في كتاب "قواعد الآداب حفظ الأنساب"، صفحة٢١ الياس القطار بيروت.

(٢) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ٦٢، تأليف نديم حمزة، دار النهار ط. أولى ١٩٨٤م.

(٣) كتاب "بيت بمنازل كثيرة"، تأليف كمال الصليبي، صفحة ٧٣، الطبعة الخامسة سنة ٢٠١٢م نوفل - بيروت.

(٤) كمال الصليبي، صفحة ١١٨، مصدر سابق.

المشد(*) لبعض حريمهم، وهو الذي ولاّه عليهم نائب حلب، فوثب على المشد رجل منهم اسمه نَبَا وقتله وفر بأهل بيته إلى كسروان وعّمر فيها، وسميت برج نبا محلته وتوطنها، ولما طلبه نائب حلب من عشيرته خاف هؤلاء من انتقامه فهرب بهم رئيسهم الأمير تنوخ وكان ذلك سنة ٨٢٠م. وجاؤوا إلى كسروان عند نَبَا، فوجههم هذا إلى الديار الخالية من السكان يومئذ فتوطن الأمير تنوخ حصن سرحمور، وسكن الآخرين في أماكن مختلفة وظل الأمير تنوخ يحكم فيهم ومثله حكمهم بنوه من بعده(١).

التنوخيون والقبائل المهاجرة

جاء في كتاب قواعد الآداب في حفظ الأنساب في معرض كلامه عن اللخميين التنوخيين وسبب هجرتهم من العراق ما نصه: رحل النعمان ومعه اثنَى عشرة طائفة أصحاب النسب إلى معرة حلب هم الأمير شهابي ابن الأمير خالد والأمير مسعود بن رسلان بن مالك والأمير فوارس والسيّد عزايم والسيد (عبدالله)* والسيد شرارة وسكنوا المعرة مدة طويلة من الزمان(٢).

وقد جاء في كتاب إعلام النبلاء: بأن أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك وحمص أتى قنسرين فرفض أهلها في البداية ما حمله أبو عبيدة بن الجراح على دخولهم في الاسلام فلم يلبثوا أن صالحوه، وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ تنخوا في الشام فأسلم بعضهم وبقى البعض الآخر على النصرانية كبني سليم بن حلوان القضاعيين، وكان ذلك سنة ٦٣٦ ميلادي(٣). وأردف مؤلف كتاب إعلام النبلاء في صفحة ٩١ نقلاً عن البلاذري في فتوح البلدان: ذاكرًا بأن قرب مدينة حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم، فكانوا مقيمين وأعقابهم به إلى ما بعد وفاة هارون الرشيد (٧٦٣م -٨٠٩م) فأسلموا جميعًا وبعدها تفرقوا في البلدان.

(*) لقب من يتولى الديوان ومعناها : الرئيس. يقولون شاد الجيش وشاد الديوان.

(١) كتاب "ولي من لبنان"، تأليف يوسف إبراهيم يزبك، ط.الثالثة صفحة ٢٢ ، تاريخ الطبع ١٩٦٠م.

(*) حسب كتاب "قواعد الآداب" فإن عبدالله آنف الذكر إليه تُنسب أسرة آل عبدالله القادمة من العراق في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي بعد انتهاء حكم اللخميين التنوخيين في الحيرة.

(٢) "قواعد الآداب في حفظ الأنساب"، نشره وحققه الياس القطار، صفحة ٢٨، بيروت سنة ١٩٨٦م.

(٣) كتاب "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء"، تأليف محمد راغب، المجلد الاول، صفحة ٨٨، سنة ١٩٢٣، المطبعة العلمية حلب.

تلاقت رغبة أهل اليمن في الفتح وتوجههم إلى الشام مع رغبة مماثلة لدى الرسول ﷺ والخلفاء الأوائل، وذلك لما كان لأهل اليمن من قوة وعدد وغنى وكانوا بسبب عددهم وتدريبهم واندفاعهم قوة مهمة لدعم جهود الخليفة، فاليمن كان لها دولة قبل الإسلام بقليل وما زالت تحتفظ بتقاليد ونظم تلك الدولة التي من ضمنها التقاليد والنظم العسكرية، كصناعة السيوف والرماح وآخره وكان عرب الحجاز مطلعين على الخبرة العسكرية لأهل اليمن[١].

تنوخية أبي العلاء المعري:

في بحثنا هذا لا نقدر أن نمر في جغرافية حلب وجوارها دون أن نبرز شأن رجل لا يحتاج إلى كلماتنا ولا إلى إشارتنا كي يبرز، هي شخصية عربية تنوخية مميزة، قحطانية النسب الشاعر أبو العلاء المعري أحمد بن عبدالله بن سليمان الذي ينتمي أجداده إلى الدوحة التنوخية، فمعرة النعمان موطنه ومسقط رأسه. لابد لنا من أن نغترف من معينه النقي العذب. وقد وصلنا من أخباره وشعره الكثير الكثير، ونوجز ما نراه مناسبا وما رواه ابن العديم عنه بأن تنوخ من أكثر العرب مناقب وحسبًا ومن أعظمها مفاخر وآدابًا وفيهم الخطباء والفصحاء والبلغاء والشعراء.

مختارات من شعر أبي العلاء المعري واصفًا أهل الحيرة:

مـــاذا أُؤمِّــلُ بعـدَ آلِ مُـحَــرِّق ... تَـرَكُـوا مَـنازِلَـهُـم وبَـعْــدَ إيـــاد
أهـلِ الخَورْنَــقِ والسَّديــرِ وبَـــارِقٍ ... والقَصْـرِ ذي الشُّرفـاتِ مــن سَنْداد
جَـرَتِ الرِّيـاحُ على مـحـلِّ ديارِهـــم ... فـكـأنَّـمـــا كــانُـوا عـلــى مِـيعــادِ

واصفًا الثلج:

أتــانــا فــي الــولادة وهــو شيــخٌ ... فـــأزرى بالشبـــاب وبالشيـــوخ
فقـــال أريـــد عندكـــم تنوخـــاً ... فقلـــت أصبـــت وإنـي مـن تنـوخ

ومن الألقاب التي اختارها لنفسه بعد رجوعه من بغداد واعتزاله الناس لقب رهين المحبسين، للزوم منزله وذهاب بصره على أنه ذكر في اللزوميات سجونا ثلاثة حيث يقول:

أراني في الــثـلاثــة مــن ســجــوني ... فــلا تــســأل عــن الخـــبر الـنَّبيثِ
لفقــدي ناظـــري ولــزوم بيتـــي ... وكـــون النفــس في الجسم الخبيـــثِ

فأجداد أبي العلاء كانوا حكام المعرة وقضاتها، أما هو فقد ملأ الأرض شهرة رغم فقدانه البصر

(١) نديم حمزة، مصدر سابق، صفحة ٦٢ .

واستطاع أن يفوق أهل زمانه، ففي المعرة استمر الوجود التنوخي رغم الهجرات منها لظروف مختلفة حتى القرن الثالث عشر للهجرة كما تشير المصادر. توفي أبو العلاء المعري سنة ٤٤٩هجري ١٠٥٧ميلادي تاركاً وصية بأن يكتبوا على قبره:

هـذا مـا جـنـاهُ أبي عـلـيَّ ... ومـا جـنـيـت عـلـى أحَـدْ[١]

أما ما عليه آل عبدالله في أيامنا هذه من نبوغ في الشعر والأدب فيعود إلى تلك الأرومة الطيبة أرومة أبي العلاء المعري أحمد بن عبدالله التنوخي.

التنوخيون في اللاذقية:

قامت الإمارة التنوخية في اللاذقية في أيام خلافة المستعين بالله العباسي٨٦٢-٨٦٦م.

وذكر نديم حمزة[٢] بأن تنوخيي اللاذقية ثاروا بزعامة الحسين التنوخي واستقلوا بها تماماً، وحافظت على استقلالها حتى قدوم الفرنج. وكان هناك علاقة تربط بين تنوخيي اللاذقية وتنوخيي جبل لبنان، وأردف قائلا: لا نعرف الكثير عن هذه الإمارة التنوخية التي لولا قصائد الشاعر أبي الطيب المتنبي التي مدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي وعلي بن إبراهيم ورثى الأمير محمد بن إبراهيم التنوخي لكانت هذه الإمارة في طي النسيان، وقد مكث المتنبي في بلاط أمراء اللاذقية مدة تفوق العشر سنوات، قبل أن تبرز الإمارة الحمدانية في حلب حيث انتقل المتنبي إلى بلاط أميرها سيف الدولةعام ٩٤٨م. وتفيد احدى قصائد المتنبي إلى اسحق التنوخي سنة٩٣٥م. وقد جاء في القصيدة:

أتُـنـكِـرُ يـا ابـن إسحـاق إخائـي ... وتحسبُ مـاء غيري مـن إنائـي

أأنطـق فيـك هجـرًا بعـد عِلمـي ... بأنـك خيـرُ مـن تحـت السمـاء

ومـا أربَـت عـلى العشـريـن سنـي ... فكيـف ملـلـت مـن طـول البقـاء

وأخرى يقول فيها :

يَـمِينُ بني قحطـان رأس قُضاعـةٍ ... وعِرنِينُهـا بـدر النجوم بني فهم

أبـت لـك ذمـي نـخـوة يمنيـة ... ونفـس بهـا في مـأزقٍ أبـدا ترمي

(١) كتاب "الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري"، تأليف تغريد زعيميان، صفحة ١٢٤، دار الثقافة للنشر سنة ٢٠٠٣م ـ القاهرة.

(٢) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ٦٢، تأليف نديم حمزة، دار النهار، ط. أولى ١٩٨٤م.

وكان يتولاها آنذاك أمير تنوخي هو الأمير جهير بن محمد التنوخي، ومما يذكر بأن اللاذقية والجبال المحيطة ببيروت ربط بين أمرائها إلى جانب الإنتماء إلى الحلف التنوخي، المسؤولية المشتركة في مواجهة غارات الروم على السواحل الشامية(١).

أبو الطيب المتنبي في مرثية لأحد أمراء التنوخيين الأمير محمد بن إسحاق بن يوسف التنوخي في مدينة اللاذقية:

إِنّي لَأَعلَمُ وَاللَبيبُ خَبيرُ ... أَنَّ الحَياةَ وَإِن حَرَصتَ غُرورُ
وَرَأَيتُ كُلّاً ما يُعَلِّلُ نَفسَهُ ... بِتَعِلَّةٍ وَإِلى الفَناءِ يَصيرُ
أَمُجاوِرَ الديماسِ رَهنَ قَرارَةٍ ... فيها الضِياءُ بِوَجهِهِ وَالنورُ
ما كُنتُ أَحسَبُ قَبلَ دَفنِكَ في الثَرى ... أَنَّ الكَواكِبَ في التُرابِ تَغورُ
ما كُنتُ آمُلُ قَبلَ نَعشِكَ أَن أَرى ... رَضوى عَلى أَيدي الرِجالِ تَسيرُ
خَرَجوا بِهِ وَلِكُلِّ باكٍ خَلفَهُ ... صَعَقاتُ موسى يَومَ دُكَّ الطورُ
وَالشَمسُ في كَبِدِ السَماءِ مَريضَةٌ ... وَالأَرضُ واجِفَةٌ تَكادُ تَمورُ
وَحَفيفُ أَجنِحَةِ المَلائِكِ حَولَهُ ... وَعُيونُ أَهلِ اللاذِقِيَّةِ صورُ
حَتّى أَتَوا جَدَثاً كَأَنَّ ضَريحَهُ ... في قَلبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحفورُ
بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلى مِن مُلكِهِ ... مُغفٍ وَإِثمِدُ عَينِهِ الكافورُ
فيهِ السَماحَةُ وَالفَصاحَةُ وَالتُقى ... وَالبَأسُ أَجمَعُ وَالحِجى وَالخيرُ
كَفَلَ الثَناءُ لَهُ بِرَدِّ حَياتِهِ ... لَمّا اِنطَوى فَكَأَنَّهُ مَنشورُ
وَكَأَنَّما عيسى اِبنُ مَريَمَ ذِكرُهُ ... وَكَأَنَّ عازَرَ شَخصُهُ المَقبورُ

أحد الشعراء التنوخيين يردد قصيدة سليمان بن قتة(٢):

إن قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاباً من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرَ أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
ألم تر أن الأرض أمست مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم عادوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

(١) نديم حمزة، مصدر سابق، صفحة ٥٩ .
(٢) كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب"، لابن النديم، صفحة ١١٩٨، مكتبة المصطفى.

نداء ...الرحيل.. ..سيوفٌ كأقواس نصرٍ

صوتٌ اخترق سكون الشام وبطحائها، صوت المؤذن.

توضأت الجموع ملبية نداء الله أكبر ، أطاعوا الله حق الطاعة فكانوا خُلَّصاً..

إذا الصبح تنفس وشهد شاهدٌ وهمس ..تدلت خيوط بياضه، ماحية خيوط السواد الحالك.

خلع الفجرعنه رداء وَسَنه، و شقشقة النهار همت بالخروج من خدر الليل.

عروس تمسح عن نُـجْـل العيون الكحل وندى الفجر، وصهيل الخيل يعلن النصر نصر جديد، تخطه قوافل التنوخيين كأنه رياح لواقح تحي الزرع والضرع وتقيم لرب العباد الشرع وتبعث في رميم قوم عزة بعد مذلة.

تنوخ رحالهم فترى من عظيم بنيانهم حضارات مضت وأخرى قادمة كأن الموت تخطى جموعها.

ليس للكلل طريقًا إلى أجسامهم ولا لليأس مكانًا في حساباتهم.

تسبق أثافيهم شروق الشمس ، ومساءً كأنها حمرة الشفق، والليل وما وسق.

سيوفهم كأقواس نصرٍ تذود عن فيافيها وروابيها.

يلوح ثائريها ويُسْمِعوا صدى بواديها شعر فيه ألوانٌ من بيان سحر قوافيها....

الفصل الرابع

انتقال أجدادنا من الشام إلى لبنان

(٨٢٠ ميلادي ـ ١٦٩٥ ميلادي)

الفَصْلُ الرَّابِعُ

انتقال أجدادنا من الشام إلى لبنان

(من ٨٢٠م ـ ١٦٩٥م)

الخروج من حلب والتوجه إلى لبنان والتنقل بين مناطقه الجبلية:

للتذكير دأبنا منذ البداية على ذكر أسرة آل عبدالله وانتقالها من العراق إلى حلب ومن ثم إلى لبنان، وانتمائها إلى قبيلة نمارة بن لخم الذي اسمه (مالك)، وما لخم إلا لقب لمالك وذلك لاكتناز وامتلاء وكثرة لحم وجهه حسب الروايات. فعرفوا باللخميين في العراق والذي يأتي في سياق عمود النسب المنتهي بقحطان وهو لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١]، وتعود نشأة القبائل اللخمية إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً، حين أخرج جرجي زيدان في كتاب: "العرب قبل الإسلام" بأن مملكة سبأ أُسِّست سنة ٨٥٠ قبل الميلاد هذا ما ذكره[٢]. ونقول في ذلك بأن بين لخم وسبأ عشرة جُدُود، وكان سكنها في أرض اليمن ناحية سد مأرب.

يؤكد إلياس القطار واقع أجداد آل عبدالله من خلال كتاب قواعدالآداب ما مفاده وفي معرض حديثه عن ملوك الحيرة وأنسابهم كالملك النعمان والملك المنذر في الصفحة ٣١ يذكر: بأن هؤلاء أجداد عبدالله وفوارس وغيرهم من القبائل التي هاجرت من العراق إلى حلب، وأضاف وعند هجرتهم إلى لبنان أي بنو عبدالله تنقلوا في سكنهم بين عين كسور وطردلا ورمطون وعبيه وأخذ بنو عبدالله من قرايا الغرب إقطاعاً كبيراً وظل بنو عبدالله ساكنين هذه المناطق حتى نشأ فيهم رجل يقال له معن بن معتب بن أبي المكارم بن عبدالله وكان كبير قومه وله ولدين الأمير سيف الدين غلاّب والأمير زين الدين عبد المحسن[٣]. وأخيراً تفرق بنو عبدالله بين طردلا ورمطون(*) ولم يبق أحد منهم في حارة عبيه، رحل معن وبعض أقاربه إلى طردلا وسكن ولداه الأميران المشار اليهما في قرية رمطون. وكان من نسل بني عبدالله في هذه المناطق المذكورة بيت ابن كرام، بيت أبو زيدان وبيت

(١) "جمهرة النسب"، لإبن حزم الأندلسي (اخرج نسب لخم) ص ٣٦٢، مكتبة المصطفى.
(٢) جرجي زيدان صفحة ١١٨، مصدر سابق.
(٣) "مخطوط قواعد الآداب في حفظ الأنساب"، الياس القطار، صفحة ٣٣ ، مصدر سابق.

(*) طردلا: تقع غرب قرية عبيه. أما رمطون فهي قرية تقع في منطقة الشوف.

أبو سعيد وصلة قرابة مع آل معضاد في كفرا. وعن ذكر طباع الطوائف الاثنتي عشرالتي خرجت من معرة النعمان إلى لبنان سنة ٨٢٠ ميلادي من شهرمحرم سنة٢٠٥ هجري. قال: لم يكن أحلم ولا أعلم ولا ألطف ولا أصدق من العبادلة أي بنو عبدالله[١]. كما تحدث عن هذه الهجرة الباحث يحيى عمار في كتابه (تاريخ وادي التيم) قائلاً: جاءت هذه الهجرة وهي الثانية عام ٨٢٠م باسم بني بحتر المعروفين بالتنوخيين وكانت قد سبقتها الهجرة الأولى إلى لبنان الأمراء الأرسلانيون عام ٧٠٨م والجماعتان توقفتا في وادي التيم قبل أن تصعدا الجبال اللبنانية[٢]. وتجدر الإشارة إلى أن التنوخيين قد بنوا القرى إلى جانب سكناهم في قرى كانت مأهولة قبل قدومهم، وأعطوا للقرى التي أنشأوها تسميات عربية ومنها كانت أسماء معروفة في اليمن كشملال وفلجّين والقبي والرفيد وغيرها[٣].

مصاهرة بين الخيام والشوف:

وقد استرسل الكاتب وأسهب ناقلًا ما جاء في مخطوط قواعد الآداب حرفياً في ذكر خصائص عن الاثني عشرة عشيرة التي هاجرت من حلب ومعرة النعمان وحركة تنقلاتها، بل و زاد عليهم بعض العائلات التي كان لها تنقلات أيضاً بين المناطق اللبنانية وبعض دول الجوار وقال :بأن طايفة قد جاءت من كفركَلَا يقال لهم بني ظفير سكنوا في بدغان[*] وكفرا الشوف وبمهرية[**] والعنية وطايفة من جبل البُقيعة[***] سكنوا في بدغان وقرط آذار بالمتن، ومما جاء على ذكره بأن يوسف بن أحمد جاء من بعلون(؟) سكن في دير القمر وتزوج يوسف من بني صاعد وهم بدير القمر وخلّف يوسف البعلوني سبعة بنات، تزوج حسام بن صاعد منهم واحدة وعبدالمنعم الميداني واحدة وهمّام بن فهد الشويزاني بواحدة وبحتر بن علامه الكسرواني بواحدة، وكوكب ابن الغُوْل العُدَيْسي من العُديس بواحدة، وكوكب بن الغويل من مرجعيون من الخيام بواحدة، وهذه الخيام بمرجعيون وهم قرايب الشوافنة ويقربوا إلى بني جندل ونسبتهم إلى خالد بن الوليد، ومن بني

(١) "مخطوط قواعد الآداب في حفظ الأنساب"، الياس القطار، صفحة ٤١، مصدر سابق.
(٢) كتاب "تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة"، تأليف يحيى حسين عمار، صفحة ١٣٨.
(٣) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ٥٤، تأليف نديم حمزة، دار النهار ط. أولى ١٩٨٤م.

(*) بدغان : قرية درزية صرف من قرى منطقة عاليه.

(**) مهريه: هي قرية لبنانية من قرى قضاء عاليه في محافظة جبل لبنان.

(***) البُقِيعة: هي احدى قرى الجليل الاعلى قرية درزية في فلسطين.

خالد طايفة في خيام وليد المذكورة بمرجعيون[١]. هذا وكان قد ذكر عن هذه المصاهرة في صفحة ١٩ من قواعد الآداب ناسبا آل العديسي وابن الغويل إلى مرجعيون.وما أعاد ذكر الخيام لاحقا إلا ليؤكد على صحة هذه المصاهرة بين الخيام ودير القمر.

واقع لبنان الجغرافي والسكاني قبل مجيئ التنوخيين :

ذكر المؤرخون بأن الدفعة الأولى من القبائل التنوخية التي جاءت إلى لبنان مع الفتح العربي الإسلامي كانت بعد منتصف القرن الثامن الميلادي أي سنة ٧٥٨م، استوطنت جبل لبنان حيث كان موزعاً قبل الفتح العربي والإسلامي بين عمالتين:

الأولى عمالة فينيقيا الساحلية والثانية عمالة فينيقيا الداخلية.

فعمالة فنيقيا الساحلية: كانت تشمل الساحل اللبناني والجبال الغربية المطلة عليه وتصل إلى عكا جنوباً وإلى جبلة شمالاً أما مركزها السياسي فكان مدينة صور.

أما عمالة فينيقيا الداخلية: التي تُعرف بفينيقيا اللبنانية: كانت تشمل منطقة البقاع وحمص ودمشق وتمتد حتى تدمر ولا تدخل المناطق الساحلية اللبنانية فيها. والعمالتان تتبعان ولاية سوريا الثانية. أما اسم لبنان فلم يكن أكثر من تعبير جغرافي يطلق على الجبال الغربية من البقاع المشرفة على البحر حيث لم يكن للبنان مدلول سياسي معين.ويخضع الحكم المحلي للحكام البيزنطيين والجميع كانوا يتبعون الحاكم البيزنطي العام الذي يتخذ أنطاكية عاصمة له. ولقد تعرضت البلاد إلى كثير من الاضطرابات السياسية في الربع الأول من القرن السابع الميلادي بسبب الحروب الفارسية

---

(١) هكذا جاء النص وقد اقتبسناه حرفيا. من صفحة ٤٢و٤٣ من مخطوط قواعد الآداب ورغم التشابه والألتباس في الأسماء إلا أن لا مرية بأن كوكب المذكور من بلدة الخيام الواقعة في قضاء مرجعيون، لأن صاحب المخطوط تعمد ذكر مرجعيون ليعرّف بالخيام ويُرجع أصول أسرة الغويل إلى خالد بن الوليد، ويوضح بأن الخيام سميت خيام وليد نسبة إلى خالد بن الوليد، ومن جملة ما ذكره قرية البُقيعة في فلسطين وهي قرية محاذية للحدود اللبنانية وذكر قرية كفركلا والعديس (ولا ندري هل يقصد العديسة التي تقع في قضاء مرجعيون؟) وذكر مرجعيون والخيام اذاً شريط من القرى المتقاربة بعضها لبعض. من هذه القرى مَن نزح إلى مناطق الشوف وكذلك من كان له نصيب المصاهرة مع عائلات منطقة دير القمر. ويعود تاريخ هذا المخطوط للقرن الثاني عشر حسب ما ذكر بمقدمة الكتاب من صفحة٧، ويضيف الكاتب في معرض تعليقه على الأخبار الواردة في حاشيته بأن هذه الأحداث وقعت في فترة حكم القائد الفرنجي أندرونيكوس كومنينوس، وبالبحث عنه وجدنا بأنه كان حاكما إلى سنة ١١٨٥م. هذا والله أعلم.

البيزنطية واحتلال فارس للبلاد مدة من الوقت إلى قبيل الفتح العربي أي حتى سنة ٦٢٨ ميلادية[١].

أما الصليبي فقد ذكر بأن بلاد الشام كانت ما زالت تحت الحكم البيزنطي، أي الروماني المتأخر عندما بدأ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوته إلى الإسلام في العام ٦٢٠ ميلادي في بلاد الحجاز من شبه جزيرة العرب. وقد وحد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبائل جزيرة العرب تحت قيادته في ظل راية الإسلام وذلك حتى وفاته في العام ٦٣٢ ميلادي وبعد ذلك بعامين بدأ فتح بلاد الشام في عهد الخلفاء الراشدين الذين تولوا العمل السياسي بعد رسول الله ﷺ، وانسحبت آخر القوات البيزنطية إلى بر الأناضول عبر جبال طوروس في العام ٦٤١م. ومنذ تلك الأيام وحتى العام ١٩١٨م بقيت بلاد الشام بما فيها لبنان جزءاً من أراضي الدولة الاسلامية الجامعة التي تتابع على حكمها الخلفاء ومن بعدهم السلاطين، باستثناء فترة الحروب الصليبية بين ١٠٩٨ و١٢٩١ ميلادي. وقد شهدت هذه الفترة الأجزاء الساحلية والشمالية من الأراضي الشامية تحت حكم من أسماهم العرب بالفرنجة أي المسيحيين الغربيين[٢]. أما القاعدة السكانية الأساسية كانت تتكون من بقايا الكنعانيين (الفينيقيين)(*) والأرامين(**) وقد عرفوا فيما بعد باسم موحد لهما وهو السريان وأطلق العرب عليهم اسم الأنباط وبقايا من العناصر اليونانية والرومانية، وهذه العناصر اليونانية والرومانية لم تكن من سكان القرى بل كانت تتمركز إجمالاً في المدن الساحلية وفي بعلبك. وجماعة كثيرة من الأرمن استوطنت في المدن اللبنانية منذ احتلال الأرمن للبلاد قبيل الميلاد، ثم من جراء خدمة الأرمن في الجيوش البيزنطية في أنحاء سوريا ولبنان. والعنصر الفارسي الذي قدم إلى لبنان قبل الحروب الفارسية البيزنطية في الربع الأول من القرن السابع الميلادي

---

(١) كتاب "لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني"، صفحة ١٢، تأليف محمد علي مكي، دار النهار سنة١٩٧٧م.

(٢) كتاب "بيت بمنازل كثيرة"، تأليف كمال الصليبي، صفحة٢٠، الطبعة الخامسة سنة ٢٠١٢م نوفل ـ بيروت.

(*) الفينقيون هم كنعانيون لم يكن اسم (فينيقي) إلا تسمية أجنبية مألوفة، ارتبط اسم الفينيقي مع كلمة الفيونيكس (أي الأحمر القاني وهو تعبير إغريقي) التي تذكر عادة بالأرجوان الفينيقي وقد اشتقت من اللون الأحمر القاني للأرض الحمراء، "كتاب تاريخ لبنان القديم" ترجمة ميشال كيلو، صفحة ١٥١ سنة ١٩٩٩م. قدموس للنشر والتوزيع سورية ـ دمشق.

(**) الأراميون: قبائل من الرحل في بادية شمالي الجزيرة العربية سكنت في ضفاف وادي الفرات وبعدها احتلوا دمشق وسكنوها سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد. فيليب حتي: "تاريخ سورية ولبنان" صفحة ١٧٦، بيروت ١٩٥١م.

بالإضافة إلى مجموعة من القبائل العربية القديمة «كاليطُريين»(***) الذين اتخذوا مدينة عنجر عاصمة لهم والأنباط بدأوا من الأردن وبسطوا سلتطهم على جنوب لبنان ومن آثارهم الاسمية النبطية في جنوب لبنان، والقبيلة العربية اليمنية كقبيلة عاملة التي أقامت في جنوب لبنان وأعطت اسمها لتلك المنطقة:جبل عاملة أو جبل عامل، وهو الاسم الذي ما يزال يطلق عليها إلى وقتنا الحاضر. وهي من القبائل اليمانية التي خرجت إلى الشام عند سيل العرم. وأردف مكي في كتابه نقلا عن اليعقوبي: بأن كندة وقيس وكنانة ولخم وجذام وعاملة أنها أقامت في نواحي فلسطين وفي غربي الشام. من كل ذلك يمكننا القول بأن سكان لبنان قبيل الفتح العربي مزيجاً من أنواع السكان المذكورين[١].

هجرة التنوخيين إلى لبنان:
آل عبدالله وآل أرسلان

كان لمجيء التنوخيين إلى لبنان على دفعات أسباب نذكر منها على وجه الاختصار ما نقلته بعض مصادر التاريخ. إن بعض القبائل العربية قد جاءت مع قوات الفتح العربي الاسلامي وسكنوا بلاد الغرب من جبل لبنان وشرق بيروت والمناطق المحيطة بها.

وجاء في كتاب مفيدة عابد: في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور(٧٥٣-٧٧٤) تمكن الروم في إحدى غاراتهم على السواحل الشامية من احتلال طرابلس، فكان هذا الحدث سبباً مباشراً حمل المنصور على إرسال عشائر تنوخية من معرة النعمان إلى المناطق المحاذية لجبال بيروت للمحافظة على السواحل اللبنانية والثغورسنة ٧٥٨م[٢].

وكانت هذه الدفعة بقيادة الأمير منذر وأخيه الأمير أرسلان من آل تنوخ (ويلتقي آل عبدالله الخيامين مع الأمراء الأرسلانيين) حسب تسلسل الانساب بالأمير النعمان بن المنذر (ماء السماء).أو الأمير النعمان بن الأمير مالك وهو والد الأمير أرسلان الذي ينتسب إليه الأرسلانيون، مما يجعل الأرسلانيين أبناء عمومة آل

(***) كان الياطريون من النبط، ومن الباحثين من يقول من العرب الأراميين وهؤلاء يمثلون مرحلة في التاريخ اللغوي للشام كان فيها الكلام الأرامي لأهل البلاد سائداً في بعض المناطق العربية. "بيت بمنازل" صفحة ٢٢١.

(١) كتاب "لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني"، صفحة ١٤، تأليف محمد علي مكي، دار النهار سنة ١٩٧٧م.

(٢) الدكتورة مفيدة عابد، صفحة ٣٥ ، مصدر سابق.

عبدالله[1] وبالتأكيد الكاتب يشير إلى آل عبدالله التاريخيين الذين هم أجداد آل عبدالله في بلدة الخيام.

وقد جاء في كتاب التنوخيون تاريخ وحضارة: إن الأمراء الأرسلانيين هم تنوخيو الأصل، وهناك إشارة يذكرها السجل الأرسلاني بأن الأمير منذر الذي تعود نسبة المنذرية إليه ابن مسعود ابن عون في المعرة كان يلقب بالتنوخي...، إن الأرسلانيين هم من نفس أرومة العشائر وأنهم تنوخيو القبيلة. ولهذا فإن ماورد في السجل من مدونات قبل منتصف القرن السادس الهجري يمكن اعتبارها مدونات تنوخية، لأن الأرومة الأرسلانية ما هي برأينا سوى فخذ من القبائل التنوخية ولكن نتيجة الخلاف الذي يمكن أن يحصل أصبح نسب أرسلاني وآخر بحتر تنوخي[2].

وفي سنة ٨٠٤م. اشتدت هجمات الروم والمردة وزادت الأطماع وطابت نفوسهم بالاستيلاء على الشواطئ اللبنانية، فما كان من الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (٧٦٣-٨٠٩) إلا أن حثَّ عشائر تنوخية أخرى وشجعها على القدوم إلى لبنان لحماية الثغور والالتحاق بأقربائهم الذين سبقوهم. وكثيرًا ما كان يترك الصراع بين القوى المهيمنة والانقسامات فيما بينهم أثره على التنوخيين فالصراع القرمطي ـ الفاطمي كان له تداعيات على الأمراء التنوخيين فعمل على انقسامهم وأوجد شرخًا داخل كل إمارة بين جناحي المتصارعين[3].

قدوم آل عبدالله الأجداد مع عشائر تنوخ بعد قتل ممثل والي حلب :

كان تنوخيو حلب من أواخر الذين دخلوا في الإسلام من التنوخيين عام ٧٨١م. فلما صار الخليفة العباسي المهدي ٧١٤-٧٨٥م ثالث الخلفاء العباسيين بجند قنسرين عندما خرج إلى الشام لقيته تنوخ بالهدايا وقالوا: نحن أخوالك يا أمير المؤمنين فقال من هؤلاء فقيل إنهم نصارى تنوخ ووصف له حالهم وكثرة عددهم، وقيل له: إنهم كلهم نصارى فقال لا أرضاكم أنتم إلى خؤولتي وارتد منهم رجل فضُرب عنقه فخافوا فثبتوا على الإسلام[4]. هذا وفي سنة ٨٢٠م، وعطفًا على ما سبق من أسباب أدت إلى هجرة التنوخيين إلى لبنان من معرة حلب والنعمان حيث كان لقدوم قبيلة آل عبدالله ضمن اثنتى عشرة قبيلة حدث مميز عن غيره من الأحداث عرفت بحادثة (المشد) نسبة

(١) كتاب "التنوخيون والمناذرة"، د.حسن أمين البعيني، صفحة ٩٨، دار معن.

(٢) "التنوخيون تاريخ وحضارة"، تأليف أبو مصلح/ ملاعب/ يحيى، صفحة١٦٠/ ١٦٢، المركز العربي للأبحاث سنة ١٩٩٩م ، لبنان ـ بيروت.

(٣) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ٦٦، تأليف نديم حمزة، دار النهار ط. أولى ١٩٨٤م.

(٤) "تاريخ اليعقوبي"، الجزء٢، صفحة٤٨٠، طبعة عام ١٨٨٣م، مكتبة جامعة ليدَن.

إلى اسم ممثل الوالي في حلب، الذي تحرش ببعض نسائهم في الطريق وكأن لسان حالهم يقول:

لا يسلمُ الشّرف الرفيعُ من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدمُ

فما كان من غَيَارى الرجال حتى وثب أحدهم ويُدعى (نبا) وما زال كالليث في وثبته إلى أن رماه صريعًا، وقبل أن ينتشر خبر مقتل ممثل الوالي عمد (نبا) على الفرار ومعه النساء والأطفال إلى كسروان(*) في لبنان، ولحقه أقرباؤه وتفرقوا في المتن والغرب والجرود والشوف[1]. إن آل عبدالله التاريخيين المذكورين هم أجداد آل عبدالله الخياميين، سلسلة من النسب مترابطة عمرها ما يقارب ٩٠٠ سنة من سنة قدومهم إلى بروز آل عبدالله في الخيام وسوف نتناول هذه المرحلة بشكل أوسع. ويكون آل عبدالله الخياميين في لبنان قد مضى على وجودهم إلى يومنا هذا ١٢٠٠ سنة، هذا وقد عرف من القبائل الاثنتى عشر التي وصلت لبنان وضمنها بنو عبدالله هم: بنو فوارس،وبنو عزائم،وبنو شجاع ،وبنو شرارة...الخ.جاء في كتاب التنوخيون وفي مجال توزيع التنوخيين في جبال لبنان، تذكر بعض المصادر المتأخرة أن العشائر التنوخية عندما وصلت إلى بعلبك انبثوا في سهل البقاع حتى وصلوا زحلة، ثم سلكوا سلاسل الجبال إلى عين دارة فبنوا هذه القرية وسكنوا فيها، فبنو فوارس هم أجداد اللمعيين، أما بنو عبدالله وهلال وساروا إلى الشوف، واستقروا في قرى كثيرة منها كفرمتى ورمطون وطردلا وعرمون وعين كسور وعبيه[2].

إنَّ اختيار التنوخيين بلدة عبيه قاعدة لحكمهم مدة أربعة قرون متواصلة،لم يكن وليد المصادفة بل لما اتسمت به هذه البلدة من مميزات وذلك لموقعها المهم من الناحية العسكرية، إذ أنها تشرف على بيروت وشواطئها، وتقع في سفح جبل يسمى جبل المطيَّر يرى فيه طول الشاطئ الممتد من خليج عكار شمالاً حتى الناقورة جنوباً ويشرف ايضا على القسم الأكبر من جبل الشوف. وموقع عبيه أجمل مواقع لبنان، فكأن عبيه من لبنان صدره وجبلها رأسه، وعبيه بلدة أثرية قديمة ومصيف

(*) في الأيام المبكرة للأمويين استقدم معاوية عشائر فارسية حديثة الإسلام من إيران لكي تستوطن في هضاب بعلبك وطرابلس. وكذلك في كسروان للمساعدة على حماية الممرات الجبلية وطرق الساحل لحساب الدولة الإسلامية. ولا بد أن اسم كسروان نفسه كان في الأصل اسماً لعشيرة من هؤلاء المستوطنين علماً بأن كسروان هو الجمع بالفارسية لاسم العلم (خُسرو) وتعريبه كسرى ذكره الصليبي بكتابه بيت بمنازل كثيرة صفحة ١٨٠ مصدر سابق.

(١) الدكتورة عابد، صفحة ٢٩٨، مصدر سابق.

(٢) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ٥٤، تأليف نديم حمزة، دار النهار، ط. أولى ١٩٨٤م.

مشهور، تبعد عن بيروت نحو ساعة بالسيارة وهي على ارتفاع ثمانمائة متر عن سطح البحر[١]، وفي هذه البلدة يوجد مقام للأمير السيد عبدالله التنوخي قدس سره.

ومن كلام السيد عبدالله التنوخي المأثور:

"اعلَموا أنَّ الدنيا مَيْدان، والأجْسامَ خَيْل، والنُّفوسَ فُرسْان ،والسِباقَ هو إلى الله، فَمَا يَلْحَقُ بالقَومِ إلاَّ مَنْ شَمَّر، ولا يُبارِزُ في حَلْبَةِ السِباقِ إلاَّ مَنْ ضَمَّر".

يـا ساكنـي أعيـه حُـيّيتـم فحيُّونـا ... بـكـتـبـكـم وعـن الأوطـان سلُّـونا
وخبّرونا عن الأحباب ما صنعوا ... هـل عندهـم مثلما عنـد المحبينا
مني السلام عليكم فهو متصلٌ مع ... الرياح يا جهد المضلينا

استنتاج:

أسباب جوهرية دفعت بالتنوخيين إلى القدوم إلى لبنان على دفعات، فالدفعة الأولى كانت سنة٧٥٨م. والثانية بعثها هارون الرشيد كانت عام ٨٠٤م. وتبعتها دفعة (نبا) وكانت عام ٨٢٠م، والتي كان آل عبدالله ضمنها، والمعنيون ومن جاء معهم عام ١١٢٠م، والجنبلاطيون ومن جاء معهم سنة١٦٠٠ م، واختلفت أسباب قدومهم فكانت عوامل دفاعية وسياسية ودينية واقتصادية واجتماعية.إن الأسرتين المعنية والجنبلاطية لا تنتميان إلى الحلف التنوخي، أما آل معن فينتمون إلى الدوحة التنوخية بحكم الزواج بين الأسرتين فقط.هذا وعندما استقر التنوخيون في جبل لبنان كانت الزعامة في بداية العمل السياسي والحاكمية للأسرة الأرسلانية الذين لبثوا طويلاً، ثم أخذت تنتقل السلطة إلى البحتريين وآل عبدالله وبني فوارس وآل شوزان وهناك قرابة وثيقة بين أسرة آل عبدالله وبني فوارس التنوخيين[٢].

يتحدر آل جنبلاط من الأكراد وكانوا يدعون جانبولاد[٣]، وعرف منهم حاكم حلب الكردي

(١) الدكتورة عابد، صفحة ٢٨١، مصدر سابق.
(٢) مفيدة عابد، صفحة ٤٥ ، مصدر سابق.
(٣) لعبت العائلة الجنبلاطية، دورًا سياسيًا فاعلاً في لبنان والمنطقة، قبل تأسيس دولة لبنان الكبير في العام ١٩٢٠. وكلمة جنبلاط محوّرة من جانبولاد الكردية، ومعناها الروح (جان) الفولاذية (بولاد).اعترف العثمانيون بعائلة جانبولاد، وعينوا علي باشا جانبولاد حاكمًا على حلب، حيث بقوا حكامًا، حتى ثار على العثمانيين. فقضوا على ثورته، وأعدموه في العام ١٥١١. وتقول الروايات التاريخية أن جنبلاط بن سعيد، حفيد علي باشا، لجأ إلى جبل لبنان في العام ١٥٣٠، ملبيًا دعوة حليف جده الزعيم الدرزي الأمير فخر الدين المعني الثاني، أمير جبل لبنان، وبعد وصوله أسس العائلة الجنبلاطية الدرزية. استوطنوا أعالي جبال الشوف منذ ذلك الحين، وجعلوا المختارة مركزهم.

علي جانبولاد حليف فخر الدين المعني ثار جانبولاد على العثمانيين في سنة ١٦٠٥-١٦٠٧ إلا أنه هزم[١].

(التنوخيون عنوان أغرى العديد من الأقلام في فترات مختلفة نظرًا للمكانة التي احتلتها تلك القبائل التي قدمت إلى بقاعنا هذه في تاريخ ما أصبحنا نعرفه اليوم بلبنان. التنوخيون الذين أسّسوا لنا هذا الوطن الذي نعتز به بين الأمم وهذه هي فنونهم وما تبقّى منها طالبين من أبنائه وحكومة شعبنا أن يحافظوا على آثار السلف وأن لا يفرطوا ولو بحجر واحد مما صنعته أيديهم...).

هذه العبارات مقتبسة من كتاب: " التنوخيون تاريخ وحضارة"، تأليف: أبو مصلح، صفحة ١٤٥.

الحزب القيسي والحزب اليمني:

الحزب اليمني والقيسي حزبان شهيران، عرفا بالقيسي واليمني، شطرا العرب إلى شطرين ولم يكن من عربي إلا وقد انضوى تحت لواء أحدهما، حتى أن ذلك تجاوز إلى الأعجام من مجاوري البلاد العربية اتباعا للوالي العربي الذي كان يتولى شؤونهم، وقد تناقضت الأراء في أسباب نشأة هذين الحزبين[٢]. وفي تعريفه للقيسية واليمانية، يقول ابراهيم يزبك: مسمى لحزبية عربية نشأت في الجاهلية، وانتقلت إلى لبنان وسورية وفلسطين قبل الفتح الإسلامي فعاشت قرونًا عديدة فيها وأثرت كثيرًا في حياة سكانها: إن اليمانية قبائل من بني مضر المنحدرة من قحطان نزحت من ديارها في جنوبي الجزيرة العربية، قبل الإسلام، طلباً لمساقط الغيث ومنابت الكلأ لمواشيها إلا أنهم أبقوا

ثم دخلوا في السياسة المحلية في جبل لبنان، وحتى في السياسة الدرزية الخاصة، وساهموا في انقسام الموحدين الدروز بين جنبلاطي ويزبكي. يؤكد المؤرخون أن علي باشا جانبولاد كان كرديًا سنيًا، يبلغ عدد أفراد عائلة جنبلاط ٦٥٠ فردًا تقريبًا، في بعلبك والشوف وحاصبيا وجبيل، يتوزعون بين الشيعة والموحدين الدروز. وثمة أفراد من عائلة جنبلاط، من الشيعة والدروز، استبدلوا مذهبهم لأسباب خاصة، فصار بينهم سنّة ولاتين وروم أرثوذكس وموارنة، وعلى رغم أن الجنبلاطيين دروز وشيعة، فلا أدلة موثقة تاريخياً إلى رابط بين الفرعين. أما توزيع أفراد العائلة، فيتوزع الجنبلاطيون الشيعة في بلدات اللبوة وشمسطار وطاريا وشعث في بعلبك، وطورزيا وحجولا في جبيل. ويتوزع الجنبلاطيون الدروز في المختارة وعين قني وبتلون وبتاتر والبرامية في الشوف، وفي حاصبيا في البقاع الغربي لمع من الجانب الدرزي من العائلة كمال جنبلاط وابنه وليد، وخالد رشيد جنبلاط بعد الاستقلال في العام ١٩٤٣، ورشيد داود جنبلاط وحكمت علي جنبلاط ونسيب جنبلاط قبل الاستقلال.(نقلاً عن مجلة إيلاف العدد ٤٨٣٧ الثلاثاء ١٩ أغسطس ٢٠١٤م.

(١) "تاريخ لبنان الحديث"، تأليف فواز طرابلسي، صفحة ١٤، (رياض الريس للكتب والنشر) سنة ٢٠٠٨م.

(٢) "الإمارة الشهابية"، تأليف نسيب سعيد نكد، صفحة ٨٨، دار النهار، سنة ٢٠٠٤م.

على تقاليدهم ونزعاتهم وعاداتهم القبلية، ونشروا بعضها في جوارهم. وبلغ من تكاثرهم أن قويت بطونهم وامتدت أفخاذهم وأنشأوا إمارات في حمص وتدمر والبتراء ولبنان.

لم يكن الإنتماء الديني والمذهبي لبعض القادة والزعماء والأمراء عنوان أو شعار لمسيرة حكمهم وسلوكهم السياسي. ذكر الصليبي بأن بشير الثاني ولد مارونياً ومات مارونياً، حيث لم يظهر عقيدته المسيحية التي كان عليها في أي فترة من فترات حكمه حيث اتخذ شعاراً كان مخطوطًا فوق الكرسي الذي يجلس عليه «وساعة العدل خيرٌ من ألف شهر عبادة[١]».

إن الصراع القيسي ـ اليمني الذي اشتعلت أواره حتى قبل استيلاء العثمانيين على بلاد الشام، قد شمل مساحة واسعة من لبنان وفلسطين، لسيادة النظام القبلي فيهما. وبناءً عليه فإن أبرز السمات التي ميّزت المجتمع في المقاطعات اللبنانية في العهد المعني، هي انقسام هذا المجتمع انقساماً حزبياً لا طائفياً، بحيث يلتقي في الحزب القيسي كما في الحزب اليمني أُسر وزعامات من جميع الطوائف دون عصبية طائفية ولا حساسيات مذهبية، وكانا الحزبان الوحيدان اللذان عُرفا في ذلك العهد، وبمعنى آخر كان الحزب الواحد يضم أتباعاً من مذاهب مختلفة، كالسنّة والشيعة والموارنة المسيحيين والدروز، وفي الوقت نفسه كان الحزب الآخر يضم أيضاً أتباعًا من المذاهب نفسها، وخلاصة الأمر أن ولاء الفرد كان للحزب الذي ينضم إليه، وليس للمذهب الديني الذي ينتمي إليه. أما في فلسطين ونظراً لعدم وجود اختلافات مذهبية عميقة كشأن لبنان، ونظراً لديانة معظم القبائل العربية فيها بالإسلام، خاصة المذهب السنّي، فقد كان الانقسام فيها إلى حزبين اثنين أيضاً وتحت ذات المسمى، القيسي واليمني؛ ولكن على أساس الأصول الأولى لتلك القبائل[٢]. جاء في كتاب "بيت بمنازل كثيرة" صفحة ١١٨: أنه حصل في احدى مناطق لبنان وهي منطقة العاقورة التابعة لجبيل، لاحظ الدويهي انقسام الموارنة في هذه المنطقة إلى قيسية ويمنية وفي ذلك دليل على عروبة قبليتهم.

التنوخيون: آل بحتر وآل علم الدين عبدالله وفروعهم:

إن الجد الجامع لنسب التنوخيين من آل بحتر وآل علم الدين في لبنان هو الجد الأقرب أبو اسحاق إبراهيم التنوخي، وحسب ما ذكرت الدكتورة عابد بأن أبي اسحاق كان أميراً على منطقة

---

(١) الصليبي، مصدر سابق، صفحة ١٤٦.

(٢) دراسة للدكتور أسامة محمد أبو النحل: "علاقة الأمير فخر الدين المعني الثاني بالزعامات الفلسطينية" صفحة ٥، سنة ٢٠٠٣م.

البيرة في لبنان سنة ١٠٢٨م، وهي قرية في الشوف قريبة من مجدل معوش[١].

فأنجب أبو إسحاق إبراهيم التنوخي ولدان: الحسين ومنه كان السادة الأمراء التنوخيين من بني بحتر، وولداً آخر هو هرماس، ومنه كان السادة الأمراء آل علم الدين التنوخيين أجداد (آل عبدالله الخياميين)، وأما هؤلاء جميعاً فهم من آل عبدالله التاريخيين القبيلة التي تسمت باسم عبدالله[٢]، والتي جاءت مع اثني عشرة طائفة من الحيرة إلى حلب فلبنان. فنسب البحتريين التنوخيين كالتالي: أنجب الحسين عليًا وأنجب علي الأمير بحتر ومن بحتر الملقب بناهض الدولة كان كرامة الملقب بزهر الدولة وأنجب كرامة جمال الدين حجي، وأنجب حجي نجم الدين محمد.

وأنجب محمد ولداً هو سعد الدين خضر، ثم أنجب سعد الدين صلاح الدين يوسف، وصلاح الدين أنجب ولداً هو بدر الدين محمد، فأنجب محمد ولدًا هو علم الدين سليمان، الذي أنجب جمال الدين عبدالله المعروف بالسيد عبدالله التنوخي(١٤١٧-١٤٧٩) الذي يوجد مقامه في منطقة عبية، ونكتفي بهذا القدر من نسب البحتريين، لأن عمود النسب وفروعه يطول ذكرهما وما قصدنا إلا لتوضيح صلة القرابة بين التنوخيين الذين يرجعون إلى جدهم أبي اسحاق التنوخي[٣]. ومما تجدر الإشارة اليه أنه كان للبحتريين التنوخيين دورهم رغم انتقال الزعامة من جبل الغرب إلى جبل الشوف، ورغم صعود نجم فخر الدين المعني الكبير، حيث كان سيف الدين يحيى التنوخي قد تكفل بتربية ابني أخته وهما: فخر الدين وقرقماز ولمدة ست سنوات، حيث ولي الأمير فخر الدين على الشوف وسلمهما الحكم في الشوف بعد أن قوّاهما بالمال والرجال[٤].

مما يُذكر بأن فخر الدين عثمان بن معن قد توفي في تموز سنة ١٥٠٦م، وكانت بيروت قد أصبحت قاعدة آل بحتر الثانية بعد عبيه مع عدم ميلهم إلى السكن فيها، يعود ذلك إلى تعودهم على الحياة الجبلية لفترة زمنية، وكذلك عدم تفاعلهم مع حياة أهالي بيروت التجارية عندما رأى الأمير ناصر الدين الحسين التنوخي البحتري وما أنكره على أهل بيروت فقال في ذلك شعراً:

متى أرى بيروت لا عُمِّرت ... تُحرثُ يوماً بالمحاريث

(١) مفيدة عابد، صفحة ٧٧، مصدر سابق.

(٢) جاء في كتاب التنوخيون والمناذرة صفحة ٩٨، للدكتور حسن أمين البعيني: ينتسب آل عبدالله إلى الأمير عبدالله، ابن الأمير النعمان ابن الأمير مالك الذي هو والد الأمير أرسلان الذي ينتسب إليه الأرسلانيون وجد الأمير فوارس الذي ينتسب إليه بنو فوارس مما يجعل الأرسلانيون وبني فوارس أبناء عمومة آل عبدالله.

(٣) مفيدة عابد صفحة ٣٧٥، مصدر سابق.

(٤) "التنوخيون أجداد الموحدين"، صفحة ٢١٨، مصدر سابق.

فمـــا بـــهـــا خيـــر يـــراهُ الفتى إلا أفـــاعــــي أو بـــراغيــث
أو حاســـد نذلُ قليـــل الحيـــا لـــلشـــرِّ مخلوقٍ ومبعـــوث
فشيـخهـــم أفســقُ مـــن ظلمـــه وأولادهـــم جميعـــاً مخانيـــث
فيعمـــل الله لهـــم مـــا أتـــى لقـــوم لـــوطٍ وهـــو محثـوث(١)

ذكر الصليبي بأنه في عام ١٥١٦م. عندما اختار البحتريون في الغرب الوقوف إلى جانب المماليك ضد الغزاة العثمانيين تطوع المعنيون للقتال مع العثمانيين، وما إن استولى هؤلاء على الشام حتى أعطوا المعنيين ولاية الجبل الدرزي التي كانت حتى اليوم للبحتريين، وذلك مكافأة على الدعم الذي قدموه لهم .خلال قرن من الزمن في عهد الأمير فخر الدين المعني.وعندما انطفأت السلالة المعنية بموت الأمير أحمد المعني في العام ١٦٩٧م.اتفق أعيان لبنان دروزًا وموارنة على أن يخلفهم أقاربهم الشهابيون على ولاية البلاد.وهكذا بدأت ولاية الشهابيين في جبل لبنان واستمرت بلا انقطاع حتى العام ١٨٤١م. وبقى البحتريون أمراء على الغرب طيلة عهد الفرنجة وعهد المماليك من بعده، وقد اقتربوا بالمماليك وتقربوا منهم، ووطدوا أقدامهم في بيروت أيامهم.وعندما وصل العثمانيون لفتح الشام قاتل البحتريون إلى جانب المماليك،وبالتالي فإنهم فقدوا ولايتهم في العام ١٥١٦م.عندما هزم العثمانيون المماليك واستولوا على بلاد الشام(٢).

نسب آل علم الدين عبدالله :

أما نسب آل علم الدين كالتالي: أنجب الأمير أبو إسحاق إبراهيم التنوخي الذي حكم مناطق الشوف سنة ١٠٢٨م. ولداً هو هرماس، فأنجب هرماس طريف وأنجب طريف عبد الوهاب، ثم أنجب عبدالوهاب ولداً هوعبدالله، وأنجب عبدالله أبا المكارم وأنجب أبو المكارم مُعتِب ثم أنجب مُعتِب ولداً هو علم الدين معن، وأنجب علم الدين معن ولدًا هو سيف الدين غلاب ثم أنجب سيف الدين غلاّب عميد آل علم الدين الأمير علم الدين سليمان (١٢٧٤-١٣٤٥)(٣).

ومن نسب الأمراء آل علم الدين كانت ذرية آل عبدالله في الخيام قضاء مرجعيون.

وإذا كان آل بحتر وآل علم الدين ينتسبون إلى التنوخيين، فلا بد من ذكر الأمراء الأرسلانيين

---

(١) "التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان"، صفحة ١٣٦، تأليف نديم حمزة، دار النهار ط. أولى ١٩٨٤م.
(٢) "بيت بمنازل كثيرة"، الصليبي، صفحة ١٥٤و١٥٥.
(٣) مفيدة عابد، صفحة ٣٧٥.

الذين هم بدورهم ينتسبون إلى التنوخيين، وقد جاء في كتاب مفيدة عابد : "الأرسلانيون والبحتريون وآل عبدالله وبنو فوارس والعشائر التي معهم، من أرومة عربية عريقة، فهم تراثنا الذي دار حوله تاريخ بلدنا"(١).

هذا وقد تفرع من آل عبدالله التاريخيين الطوارقة نسبة إلى هرماس أبو طارق التنوخيين ،وبيت إبراهيم، وبيت ابن كرام، وبيت أبو زيدان، وبيت أبو العيد، وبيت معضاد من كفرا.

وآل علم الدين: كما ذكرنا سابقا فهم من آل عبدالله التاريخيين و يعودون بنسبهم إلى الأمير علم الدين معن بداية القرن الثالث عشر أما شهرتهم تعود إلى علم الدين سليمان الرمطوني١٢٧٤-١٣٤٥م. نسبة إلى بلدة رمطون التي سكنها، وهو الجد الثامن لآل عبدالله الخياميين وهو ابن الأمير سيف الدين غلاب بن علم الدين معن التنوخي بن معتب بن أبي المكارم بن عبدالله. ومنهم تفرعت أسرة آل عبدالله في الخيام وهم أجدادهم.

آل فضائل: هذا البيت من آل عبدالله التاريخيين وقد برز من آل فضائل عز الدين فضايل بن علي ابن عز الدين صاحب النفوذ والسلطة، سكن عين دارة وكان من أعيان زمانه ومقدمًا على بلاد الجرد توفى سنة ١٣٥٦م.تولى بعده ابنه سيف الدين فرج، اشتهر بالرئاسة والوجاهة كان يسوس البلاد وكان واليًا على الجرد توفى سنة ١٣٨١م.

آل القاضي: هذا البيت هو من آل عبدالله التاريخيين ويرجع في نسبه إلى القاضي عماد الدين حسن الملقب بأبي اليقظان بن جمال الدين أبي الحسن أبي القاسم منصور بن علم الدين معن بن معتب، هو أول من تولى القضاء من الأمراء التنوخيين ولقب بالقاضي، كان ذو شخصية قوية مميزة عادل في أحكامه وهو الذي بنى جسر القاضي وعُرف باسمه توفى سنة ١٣٦٧م، وآل عبدالله الخياميين و آل القاضي أقرباء يلتقون بالجد العاشر لآل عبدالله الخياميين وهو الأميرعلم الدين معن(٢). فحسب النسب يكون معن بن معتب بن أبي المكارم بن عبدالله بن عبدالوهاب بن هرماس بن طريف بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن عيسى بن جميهر بن تنوخ بن قحطان .وهذا قحطان ليس قحطان التاريخي أبو القبائل القحطانية جد سبأ بن يشجب بن يعرب. الذي يرجعه بعض المؤرخين بنسبه إلى النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهم السلام وقد تفرد ابن الكلبي بهذا النسب مخالفًا إجماع المؤرخين.

---

(١) صفحة ١٦٦، المصدر السابق.

(٢) "التنوخيون في لبنان"، صفحة ١٨٥ ـ ١٨٨، مصدر سابق.

الأمراء آل ناصر الدين وآل أمين الدين:

كما ذكرنا آنفا بأن آل القاضي هذا البيت العريق من آل عبدالله التاريخيين ولهم صلة قرابة مع آل عبدالله الخياميين. حيث توالى القضاء بين أيدي أبناء الأمير عماد الدين حسن وأحفاده، وكان كل منهم يلقب بالقاضي، ولقب القاضي كان يعادل لقب الأمير. توفى الأمير عماد الدين حسن بن جمال الدين أبي الحسن بن أبي القاسم منصور بن علم الدين معن سنة ١٣٦٧م، عن ولدين هما الأمير جمال الدين محمد والأمير بهاء الدين صدقة، ومن ذرية الأمير بهاء الدين صدقة آل أمين الدين في عبيه وآل ناصر الدين في كفرمتى، ومن خلال هذا التسلسل العائلي يتضح بأن هناك قرابة تربط بين آل عبدالله في الخيام مع الأمراء آل أمين الدين وآل ناصر الدين، ونزيدكم علماً بأنه قد جرت مراسلات بين مفتي مرجعيون الحاج علي بن محمد أفندي بن الحاج حسن عبدالله والأمير أمين آل ناصر الدين أمير الدولتين (يؤكدان على العلاقة التاريخية والقرابة فيما بين الأسر التنوخية آل عبدالله وآل ناصر الدين[١]. استمر دفء العلاقة التاريخية والقرابة العائلية، كان يتجدد من جيل إلى جيل، وفي أوائل الأربعينيات من القرن الماضي حيث كانت مراسلات بين أمير الدولتين الأمير أمين آل ناصر الدين والمربي الكبير الأستاذ علي حسين خليل عبدالله[٢]. هذا وسوف نتناول بالتفصيل هذه العلاقة في الفصل التالي من هذا الكتاب والمخصص لأسرة آل عبدالله في الخيام.

وقد أكد كل من السلطان عبد المجيد الثاني (١٨٦٨ - ١٩٤٤) الخليفةالعثماني الأخير الذي تولى الخلافة من ١٩ نوفمبر، ١٩٢٢ حتى ٣ مارس، ١٩٢٤ والملك العراقي غازي بن فيصل الأول ابن الشريف حسين الهاشمي (١٩١٢ - ١٩٣٩) أكدا لقب الإمارة إلى الأمراء آل ناصر الدين القاضويين التنوخيين اللخميين القحطانيين. من سلالة جمال الدين صدقة بن شرف الدين ابن عز الدين صدقة بن زين الدين عبد الحي بن زين الدين عبد الوهاب بن بهاء الدين صدقة بن عماد الدين حسن بن جمال الدين أبي الحسن بن ابي القاسم بن علم الدين معن التنوخي[٣] ومعن التنوخي هوالجد العاشر لآل عبدالله الخياميين المتوفي سنة ٧٠٠هجري ١٣٠٠ ميلادي.

---

(١) صفحة ١٨٦ ـ ١٨٩، المصدر السابق.
(٢) ديوان "مختارات شاعر"، للاستاذ علي حسين عبدالله، صفحة ١٣، دار الحرف العربي.
(٣) "التنوخيون في لبنان"، ص٣٧٥، مصدر سابق.

آل كرامي في طرابلس:

ما بين أسرة آل كرامي في طرابلس وأسرة آل عبدالله في الخيام هو ميزة قرابة تاريخية، كالتي جمعتها مع أسر أخرى آنفة الذكر، آل كرامي تنوخيون يرجعون بنسبهم إلى كرامة التنوخي جاء آل كرامة إلى عين زحلتا بعد عدة حروب في كسروان والمتن. إلا أن قسمًا كبيرًا منهم نزح من عين زحلتا إلى طرابلس سنة ١٦٠٨م .على ما ذكره المؤرخون .وقد جاء في كتاب نصري الصايغ الذي اثنى على تاريخ آل كرامي، من جملة ما جاء به حول شخصية عبد الحميد كرامي: بأنه يعود في تميّز شخصيته لتاريخ أسرته التي تعود بنسبها إلى آل بحتر التنوخيين و أَرْدَف قائلا :في الوثائق ينتسب آل كرامي إلى تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن طي بن تيم بن المنذر بن ماء السماء[١]. وهذا النسب الآنف الذكر يطابق إلى حد كبير ما ورد في أوراق لبنانية ليَزبك[٢].

وتعليقاً على ذلك إذا ما أخذنا بالنسب الأدنى فإن لتنوخ الذي بدأ فيه الصايغ بنسب آل كرامي،ولداً هو جميهر، ولجميهر عيسى، ولعيسى أحمد، ولأحمد علي ولعلي أبي عبدالله محمد، ولأبي عبدالله محمد ولد هو إبراهيم التنوخي، ولأبي ابراهيم ولد هوطريف، ولطريف هرماس، ولهرماس عبد الوهاب ولعبد الوهاب عبدالله، ولعبدالله ولد هوأبو المكارم ولأبي المكارم ولد هو معتب ولمعتب معن ولمعن ولد هو غلاب ولغلاب سليمان ولسليمان ولد هو جواد ولجواد ولد هو علي ولعلي ولد هو غلاب، ولغلاب ولد هو مظفّر ولمظفر ولد هو علي ولعلي ولد هو موسى ولموسى ولد هو عبدالله، الذي تنسب إليه أسرة آل عبدالله في الخيام ولعبدالله محمد ولمحمد خمسة أولاد أكبرهم الحاج حسن عميد أسرة آل عبدالله في الخيام وللحاج حسن أربعة عشر ولدًا وأربعة إخوة منهم تفرعت أسرة آل عبدالله في الخيام. والتي تعود في تاريخ وجودها في الخيام لنهاية القرن السابع عشر.وإذا ما اعتبرنا الأمير عبدالله هو الجد الأول لآل عبدالله في الخيام ، يتضح من خلال ذلك بأن آل عبدالله يلتقون مع آل كرامي بالجد السابع عشر لآل عبدالله وهو أبو إسحاق إبراهيم ابن أبو عبدالله محمد. وذكرت الدكتورة عابد في كتابها "التنوخيون" بأن أبي إسحاق كان أميرًا على منطقة

---

(١) كتاب "عبد الحميد كرامي رجل لقضية"، لنصري الصايغ، صفحة ٥١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان ط١ ٢٠١١م.

(٢) كتاب "أوراق لبنانية"، ليوسف ابراهيم يزبك، المجلد الثاني، الفصل الاول، صفحة ٣٠٦ ، دار الرائد اللبناني بيروت لبنان.

البيرة في الشوف عام ١٠٢٨م[١]. حيث أن الأمير ابراهيم التنوخي هو جد آل بحتر أجداد آل كرامي. ذكرت مجلة الأفكار بأن عبد الحميد كرامي قام بتعديل كلمة كرامة إلى كرامي لتمييز آل كرامة السنّة عن آل كرامة من الطوائف الأخرى، علماً بأن أصل آل كرامة من التنوخيين[٢]. وعبد الحميد كرامي (١٨٩٣-١٩٥٠) ابن الشيخ رشيد بن مصطفى لطفي بن عبد الحميد كرامي.

وُلد عبد الحميد في بيت جمع بين الزعامة والإفتاء تولى الإفتاء بعد وفاة والده الشيخ رشيد سنة ١٩١٢م، وهو ما زال دون العشرين من عمره، كان يتحدث الفارسية والتركية إلى جانب العربية ومن مواقفه القومية والوطنية نضاله ضد الاستعمار والانتداب.

أمراء آل علم الدين آل عبدالله:

وكما ذكر سابقاً بأن آل علم الدين يرجعون بنسبهم التاريخي إلى بني عبدالله أو آل عبدالله تلك القبيلة العربية التي قدمت إلى لبنان ضمن اثني عشرة طائفة بمسيرتها التاريخية المشرفة والرائعة، كان استقرارها في لبنان عام ٨٢٠ ميلادي. هذا وسوف يكون لنا لمحة تاريخية مع بعض أمراء آل علم الدين الذين دخلوا في عمود النسب الأعلى لآل عبدالله في الخيام وهم[٣]:

- الأمير علم الدين معن التنوخي.
- الأمير سيف الدين غلاب بن علم الدين معن التنوخي.
- الأمير علم الدين سليمان بن سيف الدين غلاب التنوخي.
- الأمير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان التنوخي.
- الأمير ظهير الدين علي بن عز الدين التنوخي.
- الأمير غلاب بن ظهير الدين علم الدين التنوخي.
- الأمير الشيخ مظفر بن غلاب علم الدين التنوخي.
- الأمير علي بن مظفر علم الدين التنوخي.
- الأمير موسى بن علي علم الدين التنوخي.
- الأمير عبدالله بن موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي (جد آل عبدالله في الخيام).

(١) كتاب "التنوخيون في لبنان"، للدكتورة مفيدة عابد، صفحة ٧٧، مطابع دويك، بيروت - لبنان ٢٠٠١م.
(٢) مجلة "الأفكار اللبنانية"، ضمن مسلسل حلقاتها عن الشخصيات اللبنانية الحلقة ٣٣.
(٣) الدكتورة عابد، صفحة (١٧٩-١٨٦) مصدر سابق.

الأمير علم الدين معن التنوخي:

هو الأمير معن بن معتب بن أبي المكارم بن عبدالله كان كبير قومه وهو الذي رأس عشيرته أولاده: سيف الدين غلاَّب ومن (سيف الدين غلاب كان عمود النسب الذي منه نسب آل عبدالله في الخيام) وزين الدين المحسن، إن ذراري الأمير معن التنوخي انتقلوا من عبيه إلى رمطون بعد وفاته سنة ١٣٠١م حيث كان يسكن عبيه عاصمة الأمراء التنوخيين[١].

الأمير علم الدين سليمان التنوخي:

هو الأمير علم الدين سليمان (١٢٧٤-١٣٤٥م) ابن سيف الدين غلاب بن معن التنوخي هو أول الأمراء الذين سكنوا رمطون بل ولد فيها، وشيد في حيِّها الغربي عمارات وكان أحد الأمراء التنوخيين البحتريين وهو الأمير ناصر الدين الحسين، تنازل عن إقطاعه للأمير علم الدين سليمان الرمطوني سنة ١٣١٠م. وهو ربع قدرون ـ ربع طردلا ـ ربع رمطون ـ ربع عين كسور ـ نصف الخريبة ـ نصف عالية ـ نصف الدوير ـ ونصف عيثا واللباني وغيرها من الأملاك أنجب الأمير علم الدين سليمان أربعة ذكور هم:

ـ سيف الدين غلاب وعز الدين جواد وبهاء الدين داود وركن الدين محمد.

وكان له بنت وحيدة اسمها ريمة، تزوجت من أحد الأمراء التنوخيين البحتريين هو الأمير زين الدين صالح توفي سنة١٣٧٧م. وهو ابن ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر بن نجم الدين محمد بن جمال الدين حجي بن كرامة بن بحتر. ويقال بأن الأمير زين الدين صالح قد تزوج من شمسة ابنة فارس الدين معضاد مقدِّم الأشواف، وذلك بعد وفاة ابنة علم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني[٢].

عاش علم الدين سليمان في رمطون فعُرف لأجل هذا بالرمطوني ومكث أبناؤه وأحفاده مدة فيها، وابتنوا القصور والبيوت الجميلة .إلا أن رمطون خربت في أوائل القرن التاسع الهجري الموافق لأواخر القرن الرابع عشر الميلادي لأحد السببين التاليين:إما لكثرة الوباء فيها جراء رطوبة المناخ وكثرة المياه، وإما لمعارك أو غزوة حصلت آنذاك،وهذا هو الأرجح، وهو الذي أدى إلى خراب رمطون ونزوح من فيها إلى عين دارة حيث عرف بعضهم بلقب العنداري نسبة إليها[٣].

(١) الدكتورة مفيدة عابد، صفحة ١٨٠.

(٢) "التنوخيون أجداد الموحدين"، نديم نايف حمزة، دار النهار ١٩٨٤، صفحة ٢٧.

(٣) "التنوخيون والمناذرة"، د.حسن أمين البعيني، صفحة ١٠٨، دار معن الطبعة الأولى٢٠١٣م.

ومن شعر الأمير سليمان الرمطوني:

قنعـــت من ربي بحـــسن العمـــل هـــذا هـو القصـد وكـل الأمـل
إن قـلَّت الـدنيـــا وقـــلَّ الـعـنـــا فالأصـــل عنـــد الله خـير العمل
ارفـــق بضـعــفـــي وارثِ لـــذلـــتـــي وانـــتـحـــالـــــي

ومن شعره أيضا مرسلاً إلى ابنه عز الدين جواد أبيات رائعة فيها يقول:

ألا يـــا نسيماً هـــب من نحـو جلـق فـهـيَّج أشـواقـي وزاد تـحـرقـي
فهـل لـي من ابـنـي جـواد رسـالــة تخـبـرني في أي يــوم سـنـلـتـقـي
فقد طـــال لبـــث منـه عني وهـــزَّني إلى نحـوه وجـد مـقـيـم الـتـشـوق
سألـــت إلهـــي أن يوحـد شـمـلـنـــا برمطـون في مـرج المسيل المرونـق(١)

الأمير عز الدين جواد التنوخي:

هو الأمير عز الدين جواد (١٣٠٥-١٣٥٦) ابن الأمير علم الدين سليمان سيف الدين غلاب ابن معن التنوخي كان من أشهر رجال زمانه نابغة في الخط حيث درس أصوله على الشيخ بهاء الدين محمود بن محمد خطيب بعلبك.تسلم إقطاع أبيه. اشتهر بالمعجزات بالنسبة لخطه الذي جارى فيه أبرع خطَّاطي عصره، فكتب آية الكرسي على حبة الأرز وكتب مصحفاً حمائلياً توفي عن ثلاثة أولاد(٢). وفي رواية حمزة ومن الصناعات التي أتقنها الأمراء التنوخيون التي كان الاشتغال بها يتطلب جهداً ودقة وصبراً صياغة الحلي للنساء والنقش عليها، وأكثر من نال شهرة في إجادة هذه الحرفة كان الأمير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان الرمطوني، كانت هذه الحرفة في أيدي الصناع اليهود فأخذ الحرفة عنهم وعمل على تطويرها، فقد صنع قواعد فولاذ وغيرها.وقد جاء في كتاب السيدة عابد صفحة ٣٧١ بأن الأمير عز الدين جواد أنجب ابنتين هما: السيدة لولوه والسيدة زمرد وولداً هو الأمير ظهير الدين علي ومن الأمير ظهير الدين علي كان نسب آل عبدالله في الخيام.

الأمير غلاب علم الدين التنوخي:

هو الأمير سيف الدين غلاب بن الأمير ظهير الدين علي أكبر من أخيه عز الدين حسن، كان

(١) "التنوخيون تاريخ وحضارة"، تأليف حافظ ابو مصلح وفارس حليم ملاعب أنيس يحيى، صفحة ١٦، المركز العربي للأبحاث سنة ١٩٩٩م، لبنان ـ بيروت.
(٢) مفيدة عابد، صفحة ١٨٣، مصدر سابق.

سيف الدين جيدًا خيرًا ذا عقل وسكون وسمو نفس ورائضة خلق، سكن رمطون في عمائر جده وكان إقطاعه نصف عين حجية ونصف القبي ونصف الفسيقي[١]. بقي بيده مدة ثم باع ذلك لشرف الدين عيسى ابن شهاب الدين أحمد، تزوج ريمة بنت علاء الدين علي ابن ناصر الدين الحسين يوم الثلاثاء الموافق ٢٣/ ٩/ ١٣٧١ ميلادي وكانت وفاته يوم : الخميس ٢٣/ ١٢/ ١٤٠٧م.

الأمير الشيخ مظفر علم الدين التنوخي١٥٦٤-١٦٢٣:

هو الأمير مظفر ابن غلاب بن ظهير الدين علي ابن عزالدين جواد ابن علم الدين سليمان الرمطوني، كان زعيم الحزب اليمني ساكنا عين دارة، ولذلك عرف بالعينداري وقد عينه الحافظ أحمد باشا حاكماً على الغرب والجرد والمتن، هذه المناطق التي حكمها فيما بعد أحفاده الأميرين محمد ومنصور أولاد الأمير علي علم الدين وأخوه الأمير موسى علي علم الدين الذي هاجر إلى الخيام .هذا وقد حكم الأمير الشيخ مظفر المناطق المذكورة بعد سفر الأمير فخر الدين المعني الثاني سنة ١٦١٣م.مما أزعج والدته الست نسب، فاسترضت الحافظ أحمد باشا فأعاد الحكم إلى المعنيين، وتسلم الحكم الأمير يونس أخو الأمير فخر الدين فلم يستمر الحال فغضب الحافظ عليه ثانية، فجهز الأمير الشيخ مظفر جيشًا لمحاربة الأمير يونس في منطقة دير القمر فالتقاه في الطريق أبناء قرى الجرد والعرقوب المنتمون إلى الحزب القيسي بنحو أربعمائة فارس، فكانت المعركة لصالحهم قرب نهر الباروك، وكر الأمير مظفر ثانية على جموعهم بدعم من الحافظ فكان وصول الأمير يونس بعسكره قادماً من دير القمر مساهمة فعالة بتغيير سير المعركة، وترجيح كفتها لصالحه وصالح من حالفه إلا إنه عاد وهرب بمن معه أمام جيش الحافظ[٢].

(١) صالح بن يحيى، صفحة ١١٤.

(٢) كتاب "أعلام الدروز"، تأليف محمد خليل الباشا، المجلد الثاني صفحة ٢٠٤، الدار التقدمية.

الأمير علي علم الدين
آل عبدالله التنوخي

الأمير علي علم الدين عبدالله التنوخي ١٦٠٠-١٦٦٠م:

هو الأمير علي علم الدين بن مظفَّر الملقب بعلي اليمني، هو أشهر من تناقل اسمهم التاريخ وهو جد الأمير عبدالله بن الأمير موسى علم الدين عبدالله، الذي تنتسب إليه أسرة آل عبدالله في الخيام. وصفه الأمير أمين ناصر الدين: إنَّه بطل مقدام خواض غمرات قليل الأمثال في شدة البأس والسطوة، جاهد مع لواء السلطان مراد الرابع في العراق رفع السلطان مراد منزلته عنده وجعله من أقرب المقربين.ذكر أبو مصلح بأنه في عام ١٦٣٣م. كانت نهاية الإمارة البحترية.وذلك بعد هزيمة الأمير فخر الدين عثمان المعني أمام الجيوش العثمانية.عندها تسلم الحكم في الشوف زعيم اليمنية في ذلك الوقت الأمير علي علم الدين الذي تفنن في الثأر لأسلافه آل علم الدين، فحاول القضاء بكل قسوة على أخصامه السياسيين الذين حالوا دون حق آل علم الدين المعنيين[١] التنوخيين[٢].

رأس الحزب اليمني الذي ورثه عن والده مظفر، كان في صراع مستمر مع آل معن القيسيين قتل عددًا منهم واستولى على أموالهم واعتقل بعض أمرائهم. سنة١٦٣٣م.تسلم إمارة الجبل بعد أسر الأمير فخر الدين الثاني. كان شديد التعصب لحزبه اليمني ضد القيسيين، فهو لا يتوانى عن فعل أي شيء من أجل الحزب اليمني حتى ضد أقربائه خصومه السياسيين المناوئين للحزب اليمني والمنضوين في الحزب القيسي، جاء في كتاب التنوخيون في لبنان لمفيدة عابد صفحة ١٨٤: بأن الأمير علي علم الدين ذهب إلى عبيه معه بعض من رجاله واغتال أربعة من أبناء عمه البحتريين بسبب تأييدهم للمعنيين. فكانت نهاية أمراء آل بحتر في العام الأول من إمارته حيث تم قتل الأمراء السبعة من آل بحتر في سرايا عبيه[٣]. وبعد هذه الحادثة مع الأمير علي علم الدين تشرذم التنوخيون في الغرب إلى أسر خسرت زعامتها السياسية، كما خسر أفرادها لقب الإمارة باستثناء الأسرة الأرسلانية[٤].

---

(١) المقصود بآل معن الأمير معن علم الدين التنوخي الذي توفي١٣٠١م.(وهو الجد السادس للأمير علي علم الدين).
(٢) "التنوخيون تاريخ وحضارة"، صفحة ٢٢٦، مصدر سابق.
(٣) مفيدة عابد، مصدر سابق، صفحة ١٨٤، ونديم حمزة، مصدر سابق، صفحة٢١٩.
(٤) "التنوخيون أجداد الموحدين"، تأليف نديم حمزة، صفحة ٢٢٠، دار النهار ١٩٨٤م.

توفي الأمير علي علم الدين بالطاعون سنة ١٦٦٠م عن ثلاثة أولاد هم: الأميرمحمد والأمير منصور والأميرموسى، (والأمير موسى هو والد الأمير عبدالله الذي تنتسب اليه أسرة آل عبدالله في الخيام). استمر هذا البيت أي آل علم الدين لأكثر من أربعة قرون ينازع خصومه السياسيين خاصة القيسيين منهم آل معن والشهابيين وغيرهم إلى سنة ١٧١٠ حيث معركة عين داره التي انتصر فيها القيسيون على اليمنيين. أضافت مفيدة عابد: بأن البطل علي علم الدين صَرَعَ أسداً، تقول: اضطرب الجيش ذات يوم، والقوّاد ماثلون في السرادق أمام السلطان، وارتفعت الجلبة، ذلك أن أسداً ضارياً اقتحم الجيش، باطشاً بمن لقيهم، فما لبث البطل التنوخي الأمير علي علم الدين أن سارع إلى حيث كان الأسد يزأر، فانتضى سيفه وكرَّ على الأسد وضربه فشقَّ رأسه، وعاد إلى السلطان، وكأنه لم يقتل أسداً أخاف جيشاً فأثنى عليه السلطان الثناء الجميل[١].

الأميران محمد ومنصور علم الدين التنوخي:

هما الأميران محمد ومنصور ولدا الأمير علي علم الدين ابن الأمير مظفر بن الأمير غلاب بن ظهير الدين علي ابن عز الدين جواد ،وَرِثَا الانتماء للحزب اليمني أباً عن جد، رافق الأمير محمد والده في تحركاته ضد الحزب القيسي وكان إلى جانب والده الأمير علي علم الدين حين وافته المنية في دمشق سنة ١٦٦٠م إثر اصابته بمرض الطاعون. وفي نفس السنة وما سبقها وتلاها من أحداث حين اجتاح الوالي محمد باشا الكبرلي وادي التيم، عين الأمير محمد والياً على وادي التيم فلم يبق طويلاً ضمن حدود جغرافيتها، فتوسّعت مناطق نفوذه لتشمل مناطق الغرب والجرد والمتن، فعاونه في حكم هذه المناطق أخوه الأمير منصور وجاء حكم آل علم الدين بعد مقتل الأمير قرقماز المعني وفرار الأمير أحمد المعني، وتسلم الأمر الأمير محمد بن علي علم الدين وحليفه الشيخ أبي علوان لبلاد المعنيين من بلاد الباروك وكان ذلك سنة ١٦٦٢م. ولم تبق طويلاً في يدهما فقد عاد إليها الأمير أحمد المعني ولم يُعرف شيئ بعدئذ عن الأمير محمد[٢]. أما الأمير أحمد المعني هو من اختلف مع الأمير موسى بن علي علم الدين والأمير موسى أخ للأميرين محمد ومنصور، وبسبب هذا الخلاف الذي ورثه عن جده ووالده وأخوته نزح إلى الخيام من قرى جبل عامل (جنوب لبنان)، متحالفًا مع آل علي الصغير أجداد آل الأسعد.

(١) مفيدة عابد، مصدر سابق، صفحة ١٨٣.

(٢) كتاب "أعلام الدروز"، محمد خليل باشا، صفحة٢٠٣و٢٠٤.

الأمير موسى بن علي علم الدين التنوخي:

هو الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين ابن الأمير الشيخ مظفر ابن الأمير غلاب ابن الأمير ظهير الدين علي ابن الأمير عز الدين جوادبن الأمير الكبير علم الدين سليمان الرمطوني. وللأمير موسى من الأخوة إثنان: هما الأمير منصور والأمير محمد[1] وهو والد الأمير عبدالله الذي إليه تنسب أسرة آل عبدالله في الخيام، وعندما نزح الأمير موسى من بلاد الشوف إلى الخيام سنة ١٦٩٥ ميلادي كان بصحبة زوجته وولده الأمير عبدالله، وعندما توفي الأمير موسى كان عمر الأمير عبدالله أقل من عشر سنوات، وأشرفت على تربيته وتنشئته والدته فتزوج من الخيام وكان من ذريته أسرة آل عبدالله في الخيام، وهي من أكبر الأسر ليس في الخيام بل في منطقة جبل عامل (الجنوب اللبناني).

الأمير عبدالله بن موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي :

آتاه الله الحكمة والعلم والبلاغة وأورثه علم أجداده، وما تفتقت عنه مداركهم وقرائحهم وجميل حلمهم وسرائرهم، وما تطيب به مئزره من شذى عطرهم الفواح وشجاعة البطاح، وما أسكن قلوب أعدائه من الأنين والنواح وغائر الجراح، وتسنم ذروة المعالي وفدى الأهل بالنفائس الغوالي، وهو جد الأولين والآخرين والقادة المحجلين والزعماء المفضلين السالفين والقادمين آل عبدالله الأكرمين، إلى جدهم هذا يعود نسبهم وحسبهم، واسمه لا يفارق الأبصار حبيب قلوبهم وحبيس صدورهم ومهوى عقولهم وأحلامهم وآمانيهم وعواطفهم، فارسًا من فوارس العرب مسكنه القلوب تفرقت الخليقة في عهده مسالك ودروب، ثورات وحروب سلاطين وملوك أمراء من الشمال والجنوب، قسمت البلاد إلى دويلات وبدت للعين الويلات، كان ينظر الأمير عبدالله من خلال نفس تأبى الخنوع منذ مهدها وعهدها وبدئها، جنح بروح لا ترعبها أسنة الرماح وعجاج البطاح وأفواه البنادق وعلو البيارق، وقف وقفته وأشار إلى موضع الحرية وسلك دربها وتجشم وعورتها، من الخيام انطلقت طلائع الاستقلاليين لترسم تاريخاً من الحرية فوق هضاب وسفوح وأودية جبل عامل، ملتقى القرنين السابع عشر والثامن عشر يروون أحاديث الأبطال الغابرين والحاليين والقادمين .. فعبدالله سليل القرون جميعها وأحفاده وأحفاد أحفاده إليه ينتسبون واليهم ينسب . هذا وسوف يكون لنا وقفة مع سيرته المباركة.

(١) مفيدة عابد، صفحة ١٨٥، مصدر سابق.

- الخارطة السياسية والعسكرية لجوار منطقة الخيام.
- الصراع الشهابي الشهابي ـ صراع أجداد آل عبدالله مع الشهابيين.
- الأوضاع السياسية والاجتماعية...قبل وصول الأمير موسى علم الدين آل عبدالله إلى الخيام.
- إلقاء الضوء على العلاقة المضطربة بين أجداد آل عبدالله وخصومهم التاريخيين من الأمراء الشهابيين والمعنيين.

أحداث لها دلالة وتأثير ... دروس لم يتعظ منها أحد:

أحوال المنطقة:

لربما كان حرياً بنا أن نلجأ للبحث عن أحوال المنطقة،حتى يتكوّن لنا صورة واضحة يسهل من خلالها تتبع مسار الأحداث بدقة ووضوح وأكثر واقعية، كي يتوفر لنا مساحة أكثر قابلية على التحليل لمعرفة غثها من سمينها.وتتبع فرقدها للوصول إلى الحقيقة كل الحقيقة.ومن أهمها الدور السياسي لأمراء آل شهاب والأمراء المعنيين، والأمراء الأخصام من آل علم الدين في حاصبيا والجوار قبل وصول الأمير موسى علم الدين من آل عبدالله إلى الخيام. كان يقتضي منا دراسة السنوات التي سبقت قدومه للوقوف على أهم الأحداث في الخيام ومحيطها، كي يتضح لنا المشهد ونقف على أسباب هذا النزوح إلى الخيام، وإذا ما دققنا نجد بأن حاصبيا[١] التي تقع شمال شرق بلدة الخيام قد لعبت دورًا سياسيًا هامًا على صعيد المنطقة، حيث كانت بمثابة قاعدة لوادي التيم، وكذلك العاصمة السياسية والمقر الرئيسي لحكام الأمراء الشهابيين الذين قدموا إليها منذ سنة ١١٧٠م.حين جمع الأمير منقذ الشهابي عائلته ووجوه عشيرته في القيام من حوران إلى وادي التيم وتوطنوا حاصبيا[٢]، جل هذه الأحداث بإدارة عثمانية، جهابذة عصرهم يجيدون صناعة الفتن، حيث لم يكن العثمانيون بعيدين عن تأجيج الصراع على قاعدة فرق تسد وإدارة الفتن بشكل

(١) حاصبيا: كلمة سريانية الأصل تعني (بلاد الفخار) وهي بلدة قديمة العهد كانت مركزاً للإله (بعل كاد) المعروف ببعل حرمون، كانت مقر حكم الأمراء الشهابيين الذين بنوا فيها سرايا على انقاض قلعة صليبية، اصبحت فيها بعد قلعة اثرية تشرف عليها المديرية العامة للآثار بعد ان رممتها. في أعالي هضابها أقامت طائفة الموحدين الدروز الكريمة المعابد المشهورة والمعروفة بـ: (خلوات البياضة) التي يؤمها الأجاويد من كل حدب وصوب، كتاب "تاريخ الأمراء الشهابيين" بقلم أحد امرائهم صفحة ١٧، إشراف الدكتور سليم هشي، دار لحد خاطر ١٩٨٤، بيروت ـ لبنان.

(٢) "تاريخ الأمراء الشهابيين"، صفحة ٢٩، مصدر سابق.

مُمنهج وتأليب الحكام بعضهم على بعض دون استثناء، فمن نصّبوه اليوم حاكمًا تجده غداً بلا مأوى يبحث عن مغارة نائية يختبىء فيها، أوكهفًا في بطن جبل يلجأ إليه متخذًا منه ملاذًا آمنًا قبل أن يداهمه العسكر العثماني ويسوقه إلى حيث رغب ويُنْزل به ما أراد من قصاص،ولكن سفينة نجاته وفك وثاقه هو رنين ماله إذاما أفاض به على جيوب هؤلاء الحكام قنع الوالي وقنع عسكره ببراءته فيتركوه، وأحياناً تتفاجأ بأن نصّبوه وأعادوه إلى تخت إمارته حاكمًا مطاعًا يأمر وينهى. وإما أن يغيبوه ويبعدوه إلى الأبد.

كان للأمير موسى علم الدين ووالده الامير علي علم الدين وجده الأمير الشيخ مظفر بن الأمير غلاب التنوخي وحلفاؤهم، نزاع طويل مع الشهابيين في حاصبيا ووادي التيم كما يروي الشهابي في تاريخه. تاريخ الأمراء الشهابيين، ص٧٧.. وفي معرض التعليق على أسرة آل علم الدين يقول: عائلة عريقة تنوخية الأصل يرجع أصلها إلى اللخميين اشتهر منها علم الدين الذي تبرأ عام ١٣٠١م.من القيسية وأصبح أميرًا على اليمنية.. ولا بد أن نذكّر هنا وذلك لعدم الالتباس بأن الكثيرين من هذه الأسرة لقبوا بعلم الدين ولكن أول من عُرفَ بهذا اللقب هو الامير علم الدين معن التنوخي توفي في أواخر سنة ٧٠٠ هجري ١٣٠١ ميلادي[١] أما ما قبله من أمراء فعرفوا بآل عبدالله. وإذا ما أخذنا ما أورده الشهابي في تاريخه يكون عمر الصراع أكثر من أربعة قرون بين القيسية واليمنية من سنة ١٣٠١م. إلى سنة ١٧١١م.وهو سنة وقوع معركة عين دارة بين الشهابيين القيسيين وحلفائهم وآل علم الدين اليمنيين وحلفائهم.

النزاع الشهابي في وادي التيم:

في سنة١٥٩٧م توفي الأمير منصوربن ملحم بن منصور بن يونس بن علي الشهابي وله ولدان الأمير علي والأمير أحمد الشهابيين، تسلم الحكم بعده ولده الأمير علي في نفس السنة التي توفي والده الأمير منصور، ولكن الولدين الأميرين كانا على خصام دائم يتنازعان كرسي الإمارة في وادي التيم، في السنة الثالثة من ولايته أي في سنة ١٦٠٠م بنى الأمير علي سرايا في حاصبيا[٢]. استمر النزاع بين الأميرين قرابة العشرين عاما وكان كل منهما يحذر من الآخر ويريد هلاكه. كان والي دمشق آنذاك أحمد باشا الحافظ العثماني الذي قاد حملة كبيرة ضد فخر الدين المعني أدت إلى خروجه من لبنان، فقد وجد الحافظ ضالته في هذين الأميرين اللذين تنافسا بدفع المال له وإغراقه بالهدايا

(١) "التنوخيين"، مفيدة عابد، صفحة ١٨٦.

(٢) "تاريخ الشهابيين"، ص٥٠، "تاريخ المقاطعات اللبنانية"، ص٣٢و٣٣، "أخبار الأعيان ص٣٥و٣٦.

الثمينة، كانا يتهافتان عليه لنيل رضاه وكسب وده لعل وعسى يفوز أحدهما برضاه للإستقواء به، بعضهما على بعضٍ. ارتفعت منزلة أحمد الشهابي لدى الحافظ باشا بعد أن وقف بعسكره إلى جانبه، بل راسل الأمير يونس الحرفوش وجعله في صف الحافظ لعداوة بين الحرفوش وفخر الدين المعني.

أدت حملة والي الشام الحافظ إلى خروج فخر الدين المعني من لبنان حين أبلى الأمير أحمد الشهابي في هذه المعركة بلاءً حسنا، إذ أغار على جيش فخر الدين قادماً من سعسع عند جسر المجامع فقتل منه الكثير ولم ينج منهم إلا من فر هاربًا مذعورًا بعد أن تبعهم الشهابي إلى منطقة جب يوسف. فأعجب الحافظ بما فعله أحمد الشهابي فشكره وسُرّ منه كثيرًا. اتخذ الأمير فخر الدين المعني الثاني من دير القمر مركزًا لإمارته تاركا بعقلين وفوض أمر الولاية إلى أخيه يونس المعني وغادر لبنان عن طريق البحر إلى إيطاليا كان ذلك في أواخر سنة ١٦١٣م توغل الحافظ بديار آل معن قادمًا من القنيطرة إلى الحولانية ومنها إلى مرجعيون، بذلك استولى على كامل ديار بيت معن وجميع مقاطعاتهم في كل من دمشق ولبنان وفلسطين، وحرق تلك المحلات والديار وقطع أشجارها وهلك بذلك خلق كثير من الفريقين. استطاع أخو فخر الدين الأمير يونس بن قرقماز المعني أن يوقف هذه الحملة بعد أن توسل إلى الحافظ مبدياً الدخول في طاعته فقدم له هدية بألف غرش وتبعها بمبلغ ثلاثمائة ألف غرش فقفل الوزير الحافظ عائدًا إلى الشام.

موقف الأمير علي الشهابي من هذه الأحداث؟؟

قعقة السيوف ودحرجة الرؤوس وإزهاق النفوس والخيل وما تجوس، كل ذلك لم يدخل الحماس إلى قلب الأمير علي الشهابي ويتخذ قرارًا بالوقوف إلى جانب فخر الدين المعني، بل طفق يرتئي حلاً لنفسه ونجاة لعله يقيه أهوال هذه المعركة، بعد أن رأى كبير القوم يغادر لبنان إلى بلاد أوروبا، إن عدم مشاركته بهذه المعركة هو خوفه من أخيه أحمد الشهابي فاختار الحياد والمحافظة على كرسي الإمارة لنفسه، فرغم شراسة الحملة التي قادها الحافظ العثماني كان مقدورًا عليه فلكل داء دواء والباب المشرع للرياح يمكن إغلاقه، فجهز الدواء وإقفال الباب عندما أرسل بعض من خواصه للقاء الوزير حافظ باشا ومعهم الميرة الوفيرة، وساق له فرسين من الخيول العربية الأصيلة فقبلهما وكان ذلك سبباً لنجاته من شر الحافظ وضرره واستقام الأمير على حاصبيا إلا أنه كان مرتابًا من أخيه أحمد. فما كان من الأمير علي الشهابي إلا أن توجه إلى دير القمر للقاء يونس المعني مهنئا بالسلامة والاعتذار له وعجزه عن مساعدته بتلك الأحداث وأنه تقاعد عن ذلك خشية من غدر أخيه فلم يترك حاصبيا[1].

(١) "تاريخ الأمراء الشهابيين"، صفحة ٥٢.

توثيق العلاقة بين العليين الشهابي والمعني!!

محاربة آل علم الدين ـ ضم مرجعيون والحولانية

اشتدت أواصر الصداقة بين الأميرين الشهابي والمعني، وتوثقت علاقتهما حتى وصلت إلى داخل خدر الفتيات الشهابيات في حاصبيا وذلك لتقوية الروابط العائلية، ففتحت القلوب على بعضها ويُسِّرت الدروب وكان آخر غروب، بعده زالت المسافات وتقربت الهامات ففي سنة ١٦١٦م.وفي العشرين من كانون الثاني عقد الأمير علي الشهابي عقد ابنته على الأمير علي المعني ابن فخر الدين الثاني حين توجه جماعة من آل معن إلى حاصبيا وأتوا بالعروس إلى صيدا حيث زفت، وبعدها أصبح سيفا الأميرين في غمد واحد وترس واحد يظلهما، حتى كانا في الحرب جنبًا إلى جنب، لم تكن وحدها الروابط الاجتماعية والعائلية تجمعهما بل وحدة الحال والمصير، فكان يضمهما حزب واحد هو الحزب القيسي ففي نفس سنة عقد القران، نازلا معاً الحزب اليمني الذي كان يرأس جماعة منه الشيخ الأمير مظفر علم الدين التنوخي وهو جد الأمير موسى علم الدين، وجماعة أخرى يرأسها آل سيفا وهما من الحزب اليمني. وحسب ما أورده الأمير الشهابي في تاريخه لقد أظهر علي الشهابي من القوة والشجاعة في هذه الأحداث ما لفت أنظار الكثيرين، حين حقق انتصارات نالت إعجاب المعني، فعندما عاد الشهابي إلى حاصبيا ضم إليه علي المعني مقاطعتي مرجعيون والحولانية نظرًا لخصوبة أرضها ولأنها كانت من الديار التابعة لولاية آل معن، فضمها الأمير الشهابي إلى بلاد وادي التيم وعمل واليًا عُليها فحسن حاله واتسع ماله ونواله. لم يُعْجِب ذلك الأمير أحمد الشهابي أعاد الكَرَّة بعد الكَرَّة ومِرْجَل الضغينة يستعر في صدره نارًا على أخيه، لم ييأس من زيارته لولاة دمشق عندما نهض من راشيا قاصدًا الوالي الجديد جركس محمد باشا والذي تولى ولاية دمشق سنة ١٦١٥. حاملاً إليه مالاً كثيراً على أمل أن يولّيه مكان أخيه ويستحوذ على ما بين يديه من إقطاعات ويزيحه عن الحكم.

عودة فخر الدين ـ العلاقة بين فخر الدين وعلي الشهابي
المعركة الأخيرة بين الأميرين الشهابيين ... وصلح بعد خصام

عاد الأمير فخر الدين المعني من إيطاليا عام ١٦١٧م.بعد غياب استمر حوالي خمسة سنوات من شاطئ عكا إلى صيدا، كان لعودته فوائد جمة منها توطيد العلاقة بينه وبين الشهابيين في وادي التيم، شاكرًا لهم ما فعلوه في غيابه من مساندة ودعم لولده علي المعني حين زاره الأمير علي الشهابي فاصطحب معه ولداه الأميرين محمد وقاسم، وبهذا أصبح الأميران المعني والشهابي قائدين لجيش واحد يقاتلان في خندق واحد سويًا، حتى استعدى كل منهما أعداء الآخر وسارا على قاعدة عدو صديقي عدوي، وهكذا استنجد فخر الدين المعني بالامير علي الشهابي لمنازلة آل سيفا في عكار وطرابلس وكان النصر للأميرين المعني والشهابي حسب ما ذكره الشهابي في تاريخه، فكانت تجربة مهمة لكلا الأميرين لجس متانة العلاقة فيما بينهما. وجاء في تاريخ حاصبيا: عندما أصبح الكره مستحكماً بين الأميرين الشهابيين انتقل الأمير فخر الدين الثاني إلى قرية مشغرة ومعه أكابر الشوف. وأرسل في طلب الاثنين إلى ذلك المكان حيث جرى عقد صلح وميثاق عهد بين الأميرين المتخاصمين، على أن يقتسما وادي التيم: فأخذ المير علي وادي التيم السفلي أي حاصبيا والقرى المحيطة بها، وأخذ الأمير أحمد وادي التيم الأعلى أي راشيا الوادي والقرى المحيطة بها وعاد الوئام والمحبة بين الأخوين[١].

صراع الأمير موسى علم الدين مع الأمير أحمد المعني:

لقد وجد العثمانيون بشخص أحمد المعني حفيد شقيق الأمير فخر الدين المعني متعهدًا جديدًا لجمع الضرائب حين عين سنة ١٦٦٧ ملتزما على الشوف وكسروان وغيرها، ما عدا بيروت وصيدا وهو أكثر طواعية وأقل طموحاً من فخر الدين الذي تخلص منه العثمانيون عام ١٦٣٣م . حين أوقع بالأمير واعتقل في أحد ملاجئه الجبلية[٢]، ومنذ ذلك التاريخ لم تهدأ الثورات ولا الحركات المعارضة لحكم أحمد المعني من قبل أمراء علم الدين من آل عبدالله، ففي سنة ١٦٩٣ ميلادي توارى الأمير أحمد المعني عن الأنظار لخلافه مع أولياء نعمته العثمانيين حيث دأب التناوب على الحكم في مناطق الشوف والغرب في نهاية القرن السابع عشر الذي كان بين كر وفر بين آل علم

(١) "تاريخ حاصبيا"، غالب سليقة ص٤٥-٤٧، ط.أولى، المطبعة العصرية صيدا ١٩٩٦م.

(٢) كتاب "بيت بمنازل كثيرة"، تأليف كمال الصليبي، صفحة ٩٤، دار نوفل الطبعة الخامسة٢٠١٢ميلادي.

الدين وآل معن المتمثلين بآخر أمرائهم الأمير أحمد المعني وآل علم الدين المتمثلين وقتذاك بالأمير موسى بن علي علم الدين جد آل عبدالله في الخيام، فبعد هروب أحمد المعني لجأت الدولة إلى تَقَفِّي أثره لكن لم تعثر عليه، قلدت الدولة الأمير موسى علم الدين حكم السبع مقاطعات وهي: الشوف،والجرد،والعرقوب، والمتن، وكسروان، والغرب وإقليم جزين، فأتى الأمير علم الدين بكتيبة من عسكر قاصدًا دير القمر مع الذين انحازوا إليه من القيسية ونزل دار ابن معن[١].

هذا ورافق الأمير موسى علم الدين أخويه الأميرين منصور ومحمد في تحركهما ضد القيسية في البلاد، وفي سنة ١٦٧١م وقعت مناوشة بين آل شهاب وآل حيمور في البقاع الغربي، فذهب هؤلاء إلى الشام فأنجدهم الباشا بعسكر كان معه الأميرين منصور وموسى علم الدين فاجتاح العسكر وادي التيم، فانهزم الأمراء الشهابيون فأحرق العسكر دار الأمير علي الشهابي والأمير فارس عمه في راشيا وبعض القرى وفي سنة ١٦٨٣م. رجع الأمير أحمد المعني إلى بلاد الشوف. فما كان من الأمير موسى أن غادر إلى طرابلس فكانت الحرب سجال بين كر وفر وفي سنة ١٦٩٤م.تولى الوزارة حاكم طرابلس علي باشا، فنال الأمير موسى عند هذا الوالي حظوة كبيرة وفي هذه السنة أي سنة ١٦٩٤ قتل ابن الأمير موسى[٢] في قرية بتاتر وكان محافظاً لقلعة جبيل. إن المزاجية العثمانية وسياستها المتلونة والمتغيرة والمتبدلة عادة ما كانت تخضع لأهواء الحكام والسلاطين والولاة.

بعد غضب الباب العالي على الأمير أحمد المعني وأمر بعزله وتوارى عن الأنظار وقتذاك وتم في حينه تعيين الأمير موسى علم الدين على المقاطعات السبع سابقة الذكر التي كانت تحت حكم الأمير أحمد المعني، فلم يمض وقت طويل حتى ظهر الأمير أحمد المعني في وادي التيم(*) فكبر الوهم عند الأمير موسى فترك دير القمر وتوجه إلى صيدا(**) فكتب والي صيدا إلى الباب العالي وكان قد توفي السلطان أحمد وحل محله السلطان مصطفى الذي فضّل أن يكون الحاكم على هذه المناطق الأمير

---

(١) "الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز"، تأليف نسيب سعيد نكد، صفحة ١١٧، دار النهار .

(٢) ابن الأمير موسى الذي قُتل هو أخ الأمير عبدالله الذي حملت اسمه أسرة آل عبدالله في الخيام.

(*) جاء في كتاب الدكتور ياسين سويد بأن أحمد المعني قد لجأ إلى وادي التيم وبالتحديد كان متخفيا عند الأمير نجم ابن الأمير قاسم أمير حاصبيا هرباً من أرسلان باشا والي طرابلس وفي عام ١٦٩٤ميلادي اتحد الأميران الشهابيان بشير أمير راشيا ونجم أمير حاصبيا، والأمير أحمد المعني الذي كان قد جمع حوله عدداً كبيرا من أنصاره وزحفوا جميعا من وادي التيم إلى الشوف لطرد الأمير موسى علم الدين الذي تسلم إمارة الشوف بعد هروب المعني.

(**) كانت صيدا المرجع الإداري للشوف ومقر الوالي .

أحمد المعني، فلما كان من الأمير أحمد أن قدم مئتي كيس من النقود فصدر الأمر بإعادته إلى الولاية وذلك سنة ١٦٩٤م. بقيت العلاقة بين آل علم الدين والمعنيين في حالة إضطراب مستمر وبين مد وجزر. ولم يمض سوى سنوات قليلة حتى غادر الأمير موسى علم الدين إلى الخيام إحدى قرى جبل عامل (الجنوب اللبناني) عندما أدرك بأن نفوس العثمانيين الأمارة بالسوء والنفوس اللوامة قد نضجت وأطلت برأسها وتحولت من الطموح إلى الطمع والمصالح الضيقة.كان الأمير موسى قد غادر إلى الأستانة برفقة أحمد بن دويعر سنة ١٦٩٨م. بقصد إعادته إلى حكم بلاد الشوف إلا أن من كان مع بن دويعر حكم عليه بالإعدام، وعاد الأمير موسى يملأه اليأس فتوجه بعد ذلك إلى الخيام حيث توفي وله ولد صغير اسمه عبدالله، فتعهدته والدته فنشأ هناك وتزوج وحملت ذريته اسمه وأصبحت عائلة كريمة كبيرة معروفة بآل عبدالله في الخيام من طائفة المسلمين الشيعة(١).

علاقة المصاهرة أدت إلى وراثة حكم الإمارات المعنية:

كان بين أمراء آل معن والأمراء الشهابيين علاقة قوية حَيْثُ يربطهما نسب المصاهرة، وهو من الأسباب التي أدت بالنهاية إلى انتقال إمارة لبنان من أمراء آل معن إلى الأمراء الشهابيين عام١٦٩٧م. بعد وفاة الأمير أحمد المعني. خلف الأمير فخر الدين الثاني ابن أخيه الأمير ملحم ١٦٣٥-١٦٥٨وعند وفاته خلفه حفيد فخر الدين أحمد معن(*) (١٦٥٨-١٦٩٧) الذي كان على خلاف دائم مع الأمير موسى علي علم الدين، وبسبب الخلاف بينهما نزح الأمير موسى إلى الخيام سنة ١٦٩٨م. وعند وفاة أحمد المعني (١٦٨٣-١٦٩٧) ومات من دون أن يعقِب ذكراً ما أدى إلى انقطاع السلالة المعنية. فدعا العثمانيون المقاطعجية الدروز إلى الاجتماع في السمقانية لانتخاب حاكم جديد. ولم يتفقوا فيما بينهم على واحد منهم فاختاروا بشير شهاب، الأمير السني من مصاهري آل معن في وادي التيم(٢).

وقد انتقلت إمارة لبنان إلى الشهابيين عام ١٦٩٧م.عند وفاة أحمد المعني(**) وقد توالى على

---

(١) كتاب "معجم أعلام الدروز"، تأليف محمد خليل الباشا، المجلد الثاني، صفحة ٢٠٧، الدار التقدمية.

(٢) "تاريخ لبنان"، فواز طرابلسي، صفحة ١٩.

(*) أعلام الدروز صفحة ٢٠٧ مصدر سابق.

(**) الأمير أحمد معن هو ابن الأمير ملحم وحفيد الأمير يونس، والأمير يونس هو أخ الأمير فخر الدين الثاني كما جاء في كتاب "أخبار الأعيان في جبل لبنان"، الجزء الأول صفحة ١٨٦، وليس حفيد فخر الدين كما جاء في كتاب "تاريخ لبنان الحديث"، لفواز طرابلسي صفحة ١٨.

الحكم من الأمراء الشهابيين[1] كل من:

الأمير بشير شهاب الأول١٦٩٧-١٧٠٦م:

توفي الأمير بشير سنة١٧٠٦ وقيل أن الأمير حيدر الذي خلفه في الحكم قد دس السم له في قرص الحلوى، في هذه الفترة الممتدة ١٦٩٧ إلى ١٧٠٦ سجل نزوح الأمير موسى علي علم الدين عبدالله من مناطق الشوف إلى الخيام وفي الفترة نفسها توفي الأمير موسى ودفن في الخيام.

الأمير حيدر ابن الأمير موسى الشهابي ١٧٠٦-١٧٣٢م:

في عهد الأمير حيدر زخرت ولايته بالأحداث الهامة فكان عام ١٧٠٨م وقعة النبطية بينه وبين بني علي الصغير زعماء جبل عامل، وسنة ١٧١١م وقعة غزير بينه وبين الأمير يوسف علم الدين زعيم الحزب اليمني، وقد تزعم الحزب اليمني بعد غياب الأمير موسى علم الدين عن المسرح السياسي والعسكري ومن المرجح أن يكون الأمير يوسف من أعمام الأمير موسى، وكانت وقعة غزير هي المقدمة لوقعة عين دارة سنة١٧١١م بين الحزب القيسي والحزب اليمني، كانت الحرب لصالح الحزب القيسي، إلا أن العصبية والحزبية اليمنية لم تكن بعيدة عن زعماء جبل عامل الذين حملوا رايتها ودافعوا عنها وعن انتمائهم للحزب اليمني. وفي فترة حكم الأمير حيدر الشهابي ١٧٠٦-١٧٣٢م بلغ الأمير عبدالله بن موسى علم الدين عبدالله أشده وتزوج وأنجب ولداً هو الأمير محمد والد الحاج حسن أفندي عبدالله.

الأمير ملحم بن الأمير حيدر١٧٣٢-١٧٥٤م:

تخلل حكم الأمير ملحم مزيد من الحروب وكثير من المعارك العسكرية مع زعماء جبل عامل من بني علي الصغير أجداد آل الأسعد، الذين رفضوا قرارًا بتولي الأمير ملحم مناطق جبل عامل، فحمل ملحم عليهم وجرت بين الفريقين عام ١٧٣٤م وقعة يارون، وبعدها معركة أنصار. وفي عام ١٧٤٤م. هاجم أهالي جبل عامل، بعد أن احتشد أهل وادي التيم وحلفاؤهم من الشوف لمواجهتهم، ودارت بينهما معركة شرسة انتهت بهزيمة التيميين والشوفيين وحرق مرجعيون وتدميرها وذلك انتقامًا لما فعله الأمير ملحم في أنصار عام ١٧٤٣م[2]. وكثير من المعارك بين الأمير ملحم وأهالي جبل عامل

(١) "تاريخ الأمراء"، ص١٦-١٧،"التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين"، ص ٣٦-٣٧.
(٢) "التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين"، صفحة ٣٦، تأليف العميد الركن د. ياسين سويد، الجزء الثاني.

سجلت خلال حكم هذا الأمير نتجاوز عن ذكرها لعدم التوسع والإسهاب ونكتفي بما أوردناه. وفي هذه الفترة خلال حكمه من ١٧٣٢ إلى ١٧٥٤ بقي الأمير عبدالله بن الأمير موسى في الخيام غائبا عن الساحة، دون ممارسة أي عمل سياسي بعيدًا عن أنظار الشهابيين، الخصم الأول والعدو اللدود له ولأجداده من آل علم الدين عبدالله الذين لو استطاع الشهابيون لنالوا منه.

الأمير بشير الثاني

هو الأمير بشير بن الأمير قاسم بن عمر بن حيدر الملقب ببشير الثاني الشهابي الكبير كانت فترة حكمه (١٧٨٨-١٨٤٠) توفي في منفاه بالأستانه عام ١٨٥٠م وكان تحالفه مع ابراهيم باشا عندما اجتاح بلاد الشام وخرج منها منهزماً، أدى ذلك إلى نفيه إلى مالطا ومن ثم إلى الآستانة. في هذه العجالة من إلقاء الضوء على بعض الأمراء الشهابيين، نتجاوز حكم بعضهم ونتناول حكم بشير الثاني الذي حكم طيلة نصف قرن من الزمن، والذي كانت فترة حكمه وفيرة بالاضطرابات وقد تفوق على أسلافه بالدهاء والحنكة، تسلم الأمير البشير الحكم عام ١٧٩٠م. بعد مؤامرة دبرها على سلفه الأمير يوسف بن ملحم الشهابي الذي حكم من سنة ١٧٧١ إلى سنة ١٧٨٨م. بمساعدة الجزار في عكا، بقي حكمه في حالة كر وفر بينه وبين أولاد الأمير يوسف الشهابي، حيث كان الجزار بدهائه وخبثه تارة يُحكّم الأمير بشير وأخرى أولاد الأمير يوسف الشهابي، وبقي عدم الاستقرار يسود الحكم إلى سنة ١٨٠٤ السنة التي توفي فيها الجزار، واستقر الحكم للأمير بشير الثاني وتمكن من القضاء نهائيا على خصومه أولاد الأمير يوسف، فسمل أعينهم واستولى على أملاكهم وجعل لهم نفقة مالية ومنعهم من أن يتزوجوا كي لا يتناسلوا ويكون لهم ذرية. ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن بشير الثاني وفي سنة ١٨٢١م. نفي إلى الخارج فغادر إلى مصر وهناك لجأ إلى صديقه محمد علي باشا الكبير حاكم مصر الذي رحب بضيفه وصديقه وهو يحسب جيدًا أنه يعد هذا الضيف والصديق لدور تاريخي وهام في المستقبل القريب في بلاد الشام[1]. وفي مقاربتنا للحكام الشهابيين وفترة حكمهم وتاريخهم والرابط بينهم وبين أجداد آل عبدالله والصراع الذي امتد لأكثر من أربعة قرون، حيث إرهاصات معركة عين دارة التاريخية وما سبقها من صراعات ليبنى على الشيء مقتضاه، كل ذلك كان له رابط بل العامل والأساس الذي أدى بالنهاية إلى هجرة أجداد آل عبدالله إلى الخيام.

وتسلم الإمارة بدلاً منه الأمير بشير قاسم بن ملحم الملقب ببشير الثالث عام ١٨٤٠م. والذي

(١) "التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية"، صفحة ٤٠ ـ ٤١.

سبق أن سلمته الدول الكبرى زعامة الثورة على المصريين في البلاد، فكافأته بالتالي بأن سلمته البلاد خلفًا لسلفه الكبير بشير الثاني، ولكن بشير الثالث لم يكن في مستوى المسؤولية، إذ أن الثوره التي أشعلها الدروز ضده في السنه الأولى من حكمه انقلبت إلى حرب أهليه بين الدروز والنصارى الأمر الذي أدى إلى تدخل الباب العالي والدول الكبرى من جديد في شؤون الإماره الشهابية المضطربة، فقررت عزل الأمير بشير الثالث عن الإمارة وإرساله إلى الاستانه، وإقامة نظام جديد في البلاد هو نظام القائمقاميتين (١٨٤٢ -١٨٦٢)وهكذا فقد انتهت بعزل الأمير بشير الثالث الشهابي ولاية الأمراء الشهابيين، كما انتهى عهد الإمارات ودخلت البلاد في دوامة جديدة من الأنظمة الطائفية لا تزال تعيش ويلاتها إلى اليوم.

خاتمة الصراع

تمضي السنين والأيام تنقضي بين كر وفر يوم لك ويوم عليك: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]. لم ينته مِلك آل علم الدين ولا تَداعىَ حكمهم، ولا إماراتهم تهاوت على وقع خبر وفاة الزعيم السياسي والعسكري صاحب الشجاعة النادرة الأمير علي علم الدين والد الأمير موسى وجد الأمير عبدالله الذي أعطى اسمه لأسرة آل عبدالله في الخيام فهو من العبادلة (أي آل عبدالله التنوخيين عُرفوا بهذا الاسم مذ دخولهم لبنان سنة ٨٢٠م.) وقد اشتهر الأمير علي بنسبه بعلم الدين نسبة إلى جده الرابع علم الدين سليمان الكبير التنوخي الرمطوني الذي ولد في رمطون ١٢٧٤ وتوفي سنة ١٣٤٥م.

كانت وفاة الأمير علي علم الدين سنة ١٦٦٠م. عن ثلاثة أولاد هم الأمير محمد والأمير منصور والأمير موسى المجدد لأسرة آل عبدالله الخيامية. استمروا في الحكم على إماراتهم حين ولاهم والي الشام ليمتد نفوذهم إلى مناطق حاصبيا وراشيا. كان العثمانيون قد ولّوا على الإمارة المعنية، إمارة الجبل بعد أسر فخر الدين الثاني وسوقه إلى الاستانة عام ١٦٣٣، الأمير علي علم الدين زعيم الحزب اليمني، والخصم اللدود لآل معن الذين كانوا على رأس الحزب القيسي، رغم ان أهل جبل عامل حاربوا إلى جانب المعنيين القيسيين إلا أنهم كانوا يمنيي الهوى، ناصروا الأمير علي علم الدين وتحالفو معه، وحاربوا المعنيين في عدة معارك منها وقعة أنصار عام ١٦٣٨ ضد الأمير ملحم بن الأمير يونس المعني... الذي قصد «أنصار» بجيش لمداهمة واعتقال الأمير علي علم الدين فيها، إلا

أنه لم يتمكن منه، فصب جام غضبه على قرية أنصار[1] وأهلها متهما إياهم بالإنحياز إلى خصومه اليمنيين. انظر إلى البلاد كيف فتحت ، وإلى الأرض كيف سطحت فتذكر وذكر إن نفعت الذكرى، هكذا تذكر الأمير موسى ما وجده والده من دعم وحفاوة وتكريم وبذل الغالي والنفيس من أهالي جبل عامل. إن أباك يا موسى كان عليهم نزيلاً ورفيقًا وعونًا بعضهم إلى بعض. ألم تر أنهم يبتغون أصولهم اليمنية وهو الملقب بالأمير علي اليمني، فلا جناح عليهم إن ارتضوا أن يكونوا مع الزعيم اليمني التنوخي الأمير علي علم الدين. بقي بيت آل علم الدين ينازع المعنيين حكمهم إلى سنة ١٧١٠م. حيث معركة عين دارة التي انتصر فيها القيسيون على اليمنيين مرورًا بمعركة دير القمر عام١٦٩٤ بين الأمير موسى والأمير أحمد المعنى الذي توفى الآخر سنة ١٦٩٧م. وبما أن مناطق راشيا وحاصبيا كانت ضمن إمارة آل علم الدين فمن المرجح أن يكون الأمير موسى قد لجأ إلى هذه المناطق بعد عام ١٦٩٤م. وبعد تداعيات سقوط الحزب اليمني واستيلاء القيسيين الشهابيين على الحكم وإعدام ثلاثة أمراء من آل علم الدين هم منصور وأحمد ويوسف. لم يكن أمام الأمير موسى إلا أن يهاجر إلى بلدة الخيام المتاخمة لمناطق حاصبيا. والتي تقع ضمن نفوذ ونطاق عمل سنجق جبل عامل الذي استقل سنة ١٧٠٥م. بعد أن استطاع أهالي جبل عامل بقوتهم واجتماع كلمتهم أن ينتزعوا استقلالهم في زمن بشير باشا الذي تولى حكومة صيدا أنذاك، وسلخ بلادهم عن سنجقية صفد وولاهم حكومة بلادهم ، هذا وتكون الخيام خارج نطاق هيمنة الشهابيين، فهي بعيدة عن نفوذهم وليس لهم عليها اليد الطولى. فيكون الأمير موسى قد وجد المكان الآمن الذي كان والده الأمير علي قد وجده في أرض عامل من قبله، تلك حدود الغير لا تقربوها فتذلوا.

(١) وقعة أنصار (١٦٣٨): كان العثمانيون قد ولّوا على الإمارة المعنية، بعد أسر فخر الدين وسوقه إلى الأستانة عام ١٦٣٣ الأمير علي علم الدين زعيم الحزب اليمني، والخصم اللدود لآل معن، بينما فرّ الأمير ملحم بن الأمير يونس المعني، وهو الأمير الوحيد الذي بقي حراً من أسرة آل معن، إلى قرية «عرنا» بسفح جبل الشيخ، حيث لجأ إلى أحد أنصار أسرته، ومن هناك بدأ يتصل بأنصاره من الحزب القيسي، مهيئاً نفسه لمعركة فاصلة مع العثمانيين وحلفائهم اليمنيين، الحكام الجدد للإمارة، فخاض، ضد هؤلاء وأولئك، معركة في أرض «القيراط»، قرب قرية «مجدل معوش» بالشوف، عام ١٦٣٥، كان النصر فيها حليفه، وفرّ الأمير علي علم الدين اليمني على أثر هذه المعركة وتشتّت جيشه، فلجأ إلى قرية «أنصار» بجبل عامل مستنجداً بمشايخها من آل منكر، وكانوا يوالونه، ضد الأمير المعني، فلما علم الأمير ملحم بذلك جهّز جيشاً وقصد «أنصار» عام ١٦٣٨ لمداهمة الأمير علي فيها، ولكن هذا الأخير تمكن من الفرار وأرسل يطلب النجدة من والي الشام، الذي أرسل لمساعدته فرقة من السكمان توجهت لقتال الأمير ملحم، الذي ما إن علم بتوجهها إليه، حتى ترك «أنصار» بعد أن هدمها وقتل نحو ألف وخمسمئة من أهلها، إذ اتهمهم بالانحياز إلى خصومه اليمنيين.وقد ذكر وقعة انصار جابر آل صفا صفحة ٨٣.

الفصل الخامس

آل عبدالله في تاريخ جبل عامل والجوار

الفَصْلُ الخَامِسُ

آل عبدالله في تاريخ جبل عامل والجوار

جبل عامل

ثورات عربية: محلية وإقليمية ـ الثورة الفيصلية ـ ثورة جبل عامل ـ ثوار عامليون ردود فعل عاملية ـ أمين أفندي عبدالله والمقاومة الشعبية ـ المناضل شبيب الحاج جواد العبدالله والمقاومة ضد الفرنسيين.

إن واقع الحياة لأبناء جبل عامل الأشاوس، أوجدت فيهم صورًا رائعة ومميزة، فيها من القوة والصلابة ونماذج من الوحدة والتكاتف في وجه المخاطر، ودرء الفتن وصد الهجمات الشرسة المتعاقبة للغزاة الطامعين، إن هذه الخصال قد أنبتت في نفوسهم حب التضحية والوفاء وعشق الشهادة من أجل الوطن، كما يذبُّ الأحرارُ عن وطنهم أصبح العمل النضالي سمة من سماتهم الطيبة، فكانوا بذلك أبطالاً ومقاومين عبر كل العصور، تتوارثه الأجيال أباً عن جد وجيلًا بعد جيل دفاعًا عن الحق. ما من استغاثة إلا ولبّوا نداءها وأجابوا صداها حقًا أوفياء وذخراً لأبناء أمتيهم العربية والإسلامية. مثلهم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فمن أبطاله من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. ولا هم بدلوا ولا أرضهم بدلت أو استبدلت لقد كانت عبر كل الأزمنة يقصدها الطامعون لأهمية جغرافيتها، تعرضت لكثير من التدمير على يد الغزاة وإلى يومنا هذا فكان الصهاينة أكثر من غيرهم في الوحشية حتى كان تدميرهم يفوق بكثير ما تعرضت له (وارسو على يد هتلر). إلا أن المقاومة في لبنان سقتهم من عين آنية وحققت عام ٢٠٠٦م. نصرًا إلهيًا. منطقة تضرب بجذورها الصلبة عمق التاريخ، التاريخ الإنساني وكانت عبر كل العصور الغابرة ممرًا للرسل، ارتوت من دماء أبنائها فأضحت بقعة طاهرة مقدسة.

استجابة جبل عامل للثورة العربية ضد العثمانيين :

كان العامليون من أبناء الجنوب اللبناني وما زالو من أوائل المستجيبين للثورات العربية، حيث لم يتوانوا عن بذل الغالي والنفيس، غير آبهين بالتحديات فعندما أعلن شريف مكة الحسين ابن علي الثورة على العثمانيين التي بدأت شرارتها من الحجاز في الأول من حزيران سنة ١٩١٦. لم يتأخر أهالي جبل عامل (الجنوب اللبناني) عن تلبية النداء، فأسسوا الجمعيات والأحزاب، والكتل الشعبية دعما للثورة، وعملوا على فتح فروعٍ لها في كثير من مناطق الجنوب اللبناني[١]، إن الحركة العربية في جبل عامل، وفكرة التخلص من نير الحكم العثماني الثقيل فكرة قديمة منذ أن وطئت جحافل جيوشهم بلاد الشام، لا سيما بعد أن فتك بالأبرياء من أهلها فتكاً ذريعًا وذلك على عهد سليم الأول غازي ياوز ١٤٧٠-١٥٢٠م. الذي قتل الألوف بتحريض طائفي لمآرب سياسية. إن جبل عامل على ضيق رقعته وقلة سكانه قاوم العثمانيين مقاومة عنيفة، ودافع دفاعًا شديدًا عن كيانه، ولم يخضع للحكم التركي إلا مدة يسيرة لا تزيد على نصف قرن من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٩١٨م. كانت ثورات أبنائه لا تنطفئ جذوتها[٢]، إلا أن الاستجابة من الجانب العربي كعادتها جاءت بعد قرون، بعد أن أعلن شريف مكة الحسين بن علي الثورة على العثمانيين سنة ١٩١٦.

إبّان حكم علي بك الأسعد سنة ١٨٥٢م. استطاع هذا الزعيم العاملي أن يجمع كلمة العرب حوله من سوريا ولبنان والجوار من حواضر وبوادي ووجه أنظارهم إليه، فحامت آمالهم عليه حتى أصبحوا نصاله التي إذا رمى بها أصاب، وجنده الذي إذا غزا به فتح، من أجل ذلك كله أصبحت الحكومة التركية على حذر شديد منه وأخذت تتربص به الدوائر[٣]، هذا وتم استدعاء علي بك الأسعد وأخوه محمد بك الأسعد من قبل والي دمشق محمد رشدي باشا بحجة التباحث بشؤون المنطقة، إلا أن الأول قضى نحبه في سنة ١٨٦٥م. وتوفي الثاني بعده بأربعة أيام وقيل ماتا مسمومين[٤]. ولقد لجأ العامليون إلى نظم الشعر التحريضي والقصائد في وصف حالة العامليين وتحفيزهم على اشعال الثورة ضد الترك، وقد نظم صاحب كتاب تاريخ جبل عامل هذه القصيدة :

(١) كتاب "مطالب جبل عامل"، صفحة ٥٠.
(٢) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٢٠٦.
(٣) كتاب "جبل عامل في التاريخ"، صفحة ١٣٨، الشيخ محمد تقي الفقيه.
(٤) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ١٥٨.

إذا جئت القرى ألفيت فيها وطيس الجور يتقد اتقادا[1]
ترى فيها نساءً حاسرات جياع الجوف لا يلفين زادا
تبيت على الطوى غرثى وتمسي بلا رمقٍ فتكتحل السهادا
أناديكم وهل منكم مجيب (ولكن لا حياة لمن ينادى)
بكين دماً على الأوطان لما رأيت الجور فيها قد تمادى
فحتى مَ السكوت وقد غدونا على الغبراء نفترش القتادا[2]
وهذي نار عسف الترك حاقت بنا طراً فأصبحنا رمادا
فمن للخيل يملؤها صهيلاً ومن للحرب يعكها جلادا

وكان قد سبق إعلان الثورة حركات احتجاجية تمثلت بحركة فكرية واسعة عمادها القلم والمحبرة عبر الصحف، تطالب باستقلال الوطن العربي وانسحاب الأتراك العثمانيين الذين عمدوا في أيامهم الأخيرة من عمر امبراطوريتهم إلى مزيد من التنكيل والتعسف الغير مبرر بالعنصر العربي فانتدب جمال باشا السفاح من قبل السلطنة العثمانية لهذه الغاية. إلى أن ألقوا القبض على بعض من اتهموهم بالإنقلابيين الذين هم في الحقيقة ثلة من المؤمنين بالحرية والاستقلال، فعمدوا إلى إعدامهم وكان من بين هؤلاء الشهداء عبد الكريم الخليل في ٢١ من آب سنة ١٩١٥م. الذي غدر به جمال باشا نفسه الذي كان يتظاهر بصداقته.

عبد الكريم الخليل يبكي بكاء الثكلى:

انتهت المحاكمات في ٢٨ تموز سنة ١٩١٥م. حيث الحكومة التابعة للدولة العثمانية كانت تجبر الشهود على الشهادة ضد الموقوفين زوراً وبهتاناً رغبة بالتخلص منهم، فأطاعها المنحطون في أخلاقهم وترفع البعض عن هذا العمل الدنيء، ولما أدلى الشاهدان بشهادتهما واللذان لم يذكر اسمهما أجهش عبد الكريم الخليل ببكاء مرٍ أشبه ببكاء الثكلى ..فسأله رئيس الديوان عن سبب بكائه فقال: إنما أبكي على وطن تعيس فسدت فيه الأخلاق وهوت النفوس فأنتج مثل هؤلاء الأنذال الذين غررتم بهم، وأكرهتموهم للشهادة علينا .فأين القانون والإنصاف[3] نقول حي على خير العمل... العمل النافع ذو الفائدة العظيمة يستحق أن يراق على جوانبه الدم.

(١) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٢١١ .
(٢) شجرة صلبة ذات شوك كالإبر، جمعه قتاد.
(٣) "تاريخ جبل عامل"، ص ٢١٧، مصدر سابق.

إن الشهيد عبد الكريم الخليل قدم مثالاً صادقًا عما في نفسه، فقد شجى بالهم فلم يجد منه مخرجًا فخنقته عبرة ليس وجلاً من دنو أجل بل هي تلك الطعنة التي سددها له أخ في الوطنية وشى به هو ورفاقه، أبكاه ما اعترى هؤلاء من عطب في ضميرهم وأخلاقهم فاعتدوا على من يمثلون رموز الضمير الحي والصادق حين رفعوا أقلامهم وقراطيسهم مطالبين بالحرية والاستقلال، ليس لأنفسهم بل إلى بلدهم وأقوامهم. وإصرار على النصر في مجالدة الخطوب، و السيوف العاتية.

جمال باشا يعرض وطنه للبيع والتدمير مقابل تنصيبه سلطانا:

كان لزاماً علينا في هذه العجالة من الانعطاف ولو قليلاً في سرد مقتضب للتعريف بشخصية جمال باشا السفاح: حيث كان وصول السفاح جمال باشا إلى سوريا في أوائل كانون الأول سنة ١٩١٤م. وجدت الدولة العثمانية في شخصه الابن البار لها، فحملته ملف ينحصر في أمرين القضاء على الحركة العربية المطالبة بالاستقلال، ومحو امتياز لبنان حيث كانت الدولة العثمانية تعتبر مناطق بلاد الشام هو إرث وممتلكات عمرها أكثر من أربع قرون أي منذ عام ١٥١٦م. بعد معركة مرج دابق، وعمق استراتجي يصعب التخلي عنها، لكن الذي أوكلته لهذه المهمة كان ولداً عاقاً حيث كان يظهر كبريائه أمام الضعفاء الذين ليس بيدهم حيلة، ولكن بالوقت نفسه ما هو إلا عميل صغير أمام القياصرة الروس بواسطة بعض الجواسيس الأرمن، يعرض على الروس قلب حكومة آل عثمان وتمكينهم من رقابهم وتسليم الأستانة (اسطنبول) والمضايق وهي الأمنية الكبرى التي كانوا يسعون إليها والتي تسيل لعابهم عند ذكرها، وكذلك كانت مخابراته مع الفرنسيين بواسطة مندوب فرنسي يدعى شوفيل. ومع اليهود بواسطة فتاة يهودية حسناء. كل ذلك مقابل أن يساعدوه مساعدة عسكرية وأن يعترفوا به ملكًا على سوريا ولبنان وفلسطين، هكذا أمر هؤلاء ينطقون بالولاء وهم عملاء يريد أن يستلم البلاد ويسود العباد الذين فتك بهم وأعدم زهرة شبابهم وأمات الناس فيها قهرًا وجوعًا وفقرًا(١).

فاتح عهد المقاومين السياسي العروبي أمين أفندي عبدالله التنوخي

شباب آل عبدالله طلائع الحركات الوطنية:

دعمًا لعروبة القرار التركي المتطلع آنذاك لمنح العرب حريات واسعة ونيل استقلالهم بعيدًا عن تأثير سلاطين الأتراك كان حدثًا مهمًا ومستجدًا أقرو به الأعضاء المؤسسون لجمعية الاتحاد

(١) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ١٩٩.

التركية، بمنح العرب حرية تأسيس الأحزاب والجمعيات قرارًا للأسف لم يدم طويلاً،
جمة التريك التي عادت بشراسه على يد جمال باشا والمدعومة في بعضها من قوة غربية، لم
ن أذاها عربي واحد مؤمناً بالحرية.كانت هجمة مبيته ذات ثلاث شعب:
تداعيات عقد المؤتمر الصهيوني في بال عام ١٨٩٧م.
الإعداد لثورة عربية ضد الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى.
لإعداد مبكراً لهيمنة بريطانية فرنسية على المنطقة، والتي عُرفت فيما بعد بإتفاقية سايكس-بيكو.
و التخطيط لتقاسم الإرث العثماني بعد الحرب العالمية الأولى بين الإنجليز والفرنسيين.
أمين أفندي كغيره من المؤمنين بالعمل العربي القومي والوطني حيث قام سنة ١٩٠٨م.
ى جمعية الإصلاح الخيري من أهالي الخيام والجوار فاق عدد أعضائها المئتين، وقد كانت خليطًا
باب المسلم والمسيحي.بهدف نيل الإستقلال ومقاومة المشاريع الإستعمارية وفك قبضتها عن
، إلا أن حجم المؤامرة أكبر بكثير من أن تقاوم مع بدء الإعداد لثورة عربية ضد العثمانيين.
ن أفندي فاتح عهد المقاومين والثائرين في بداية القرن العشرين من القرن الماضي، كان إحياؤه
كر بمثابة التمهيد وحجر الأساس للإتجاهات القومية والاجتماعية، فنادى إلى حمل السلاح
بهة الواقع بالقوة حتى كانت هناك نهضة في مناطق جبل عامل، واستمر هذا الخط بالبزوغ
شيئاً لتنسحب هذه الظاهرة الوطنية مبكرًا فحسبك المقاوم والمناضل الكبير شبيب الحاج
عبدالله، فلمواقفه الوطنية حكمت عليه فرنسا بالنفي والإعدام وثلة من الشرفاء المؤمنين
م وعروبتهم، أمثال الحاج خليل العبدالله ونجيب الحاج جواد عبدالله ولطفي عبدالله[١]. وفي
الأربعينات من القرن الماضي انخرط جل شباب آل عبدالله، حين شكلوا طلائع الحركات
ية الوطنية في لبنان، فمع البدايات الأولى لتأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي بزعامة
ل كمال جنبلاط التحق المفكر الخيامي الكبير المرحوم الاستاذ كامل عبدالحسين عبدالله
ب التقدمي الاشتراكي، حتى إنه يعرّف حزبيًا من مؤسسي الحزب الاشتراكي، وتبعه
ات من أسرة آل عبدالله الذين ما زالت أسرهم تلقى تكريماً وشهادات تقدير من قيادة الحزب
مي الاشتراكي إلى يومنا هذا وقبلها شاركوا في معركة المالكية وسقط لهم شهداء.وانخرطوا في
ر الستينات بالحركات والمنظمات الفلسطينية كالجبهة الشعبية وحركة فتح، وإذا ما فتحنا ملف

كتاب "حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا، تحقيق منذر محمود جابر، صفحة ١٦٦، دار النهار.

الحركات اليسارية والأحزاب الوطنية والقومية لوجدت بأن أكثر مؤسسيها من أسرة آل عبدالله، فعلى سبيل المثال انخرط كثيرون من شباب آل عبدالله في الحزب الشيوعي اللبناني، مما تسبب بشق أسري داخل أسرة آل عبدالله، والحزب القومي السوري الاجتماعي الذي يعد شباب آل عبدالله من نخب مؤسسيه على صعيد الخيام، وكذلك حزب البعث العربي الاشتراكي والمرابطون الناصريون واتحاد قوى الشعب العامل الناصري، وقد استشهد أحد أهم مؤسسيه في الخيام الشهيد علي خليل إبراهيم إسماعيل عبدالله في بيروت دفاعًا عن عروبة لبنان وذلك في نيسان من عام ١٩٧٦م.ومع تغير المناخ السياسي والعقائدي في بداية الثمانينيات من القرن الماضي كانوا السباقين في الالتحاق بالحركات الإسلامية، وبرزوا كقادة في العمل المقاوم، هكذا أضحت بلدة الخيام على أيديهم في طليعة الحركات الفكرية التنويرية وحركات المقاومة المسلحة.

أدى الصراع الاستعماري على بلاد الشام إلى ظهور حركات الوعي القومي العربي في جبل عامل، رغم ضعف المقدرة أمام ترسانة متوحشة لا تفرق بحديدها ونارها بين طفل وشيخ، شجروحجر، تنبه الغرب مبكرًا وهو المتنبه والمتربص والمتأهب والمتوثب استعدادًا للانقضاض على لبنان والمحيط، وكانت فرنسا طليعة الغرب ورأس حربته في لبنان تتطلع إلى جبل عامل لجعله مركزًا لنشاطها السياسي والعسكري، لأهمية موقعه الجغرافي المطل غربًا بساحله الطويل على البحر الأبيض المتوسط الممتد إلى غزة مروراً بعكا وحيفا ويافا، عكس هذا التغلغل الواسع من قبل الغرب المتمثل بفرنسا صحوة قومية عربية مع بلوغ الوهن والضعف مبلغًا في جسد الامبراطورية العثمانية.

كان طموح الحركة القومية العربية بإنشاء دولة عربية مستقلة تقي شعوب المنطقة في كل من سوريا ولبنان وفلسطين شرور أعمال الطامعين الغربيين، وتخلصهم من سياسة التجهيل المتعمدة من قبل العثمانيين.بدأت الاجتماعات مبكرًا لتلافي تبعات انهيار الامبراطورية العثمانية على أول مفترق كان ذلك على مستوى الشخصيات المؤثرة في الواقع الاجتماعي من مختلف مناطق بلاد الشام وذلك سنة ١٨٨٠م. وكانت الوفود من جبل عامل، بيروت، دمشق وجبل الدروز وكان المحرك لهذه الاجتماعات أحمد باشا الصلح، وابنه منح الصلح واقترح المجتمعون أن يكون رئيس الدولة العربية المتطلع إليها عبد القادر الجزائري ١٨٠٨-١٨٨٣م.

لم تكن تلك الإرهاصات من جانب الغرب وفرنسا إلا مقدمة وتمهيدًا واسعًا لانشاء دولة صهيونية على تراب فلسطين، إنها المؤمرات الخبيثة تحاك في الظلام .إن نور نهار الأحرار كفيل

بمحوها عاجلاً أم آجلاً، فقد تكشف للجميع أن ما كانت تمهد له فرنسا في جبل عامل في مطلع القرن العشرين كان فقط لرعاية المولود الجديد ومنحه ما يخططون لسلبه من أوطان وفي الطليعة فلسطين لتكون هدية المولود بعيد ميلاده الواحد والخمسين ...منذ أول مؤتمرعقدعام ١٨٩٧م. عقد في مدينة بال بسويسرا إلى إعلان دولة اسرائيل عام ١٩٤٨م.

انعكاسات المؤتمر الصهيوني وخلفيته ـ عائلات انتهازية تشتري وتبيع احتلال أجنبي ـ انقسامات وفتن بين الطوائف..

زيادة الاستيطان وتوسيعه في فلسطين.كل ذلك كان نتاج مؤتمربال في سويسرا لجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود.وقد سبق ذلك خطة فرنسية قبل مئة عام على انعقاد مؤتمر بال فقد أعدت حكومة الإدارة الفرنسية عام ١٧٩٨م.خطة سرية لإقامة تجمع يهودي في فلسطين في حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي بما فيه فلسطين(١) لم تحدد الحركة الصهيونية حدوده فكانت عينها على فلسطين والأخرى على الجوار يتطلعون لجعل جبل عامل جزء من هذا المشروع الاحتيالي، والوطن المزعوم تمثيلية رعاها الغرب وأدواتها فرنسا وبريطانيا لقد رسمت فرنسا خريطتها مبكرا عام ١٨٦٠م. وأظهرت مناطق جبل عامل داخل حدود الدولة العبرية المنوي إنشاؤها بمعاونة بريطانيا حيث أفرز مؤتمر بال في سويسرا تداعيات على الشرفاء من أبناء الوطن أن نهضوا بامكانياتهم المتواضعة للتصدي له، ولكن للأسف ثمة هناك من يستغل هذا الحشد الدولي لصالح مآرب ضيقة وشخصية للغاية، اذا ما قيست بحجم الأوطان لا تساوي جناح بعوضة، عمدت بعض الأسر الغنية إلى ملء جيوبها بمص دم الفقراء من حجارة منازلهم وأرضهم حين عمدت إلى شراء مساحات واسعة من الأرض الفلسطينية مستغلة عدم قدرة الفلاح الفلسطيني على السداد كعائلات: سرسق وبسترس وتويني ومتى والخوري(٢). وإعادة بيعها إلى الحركة الصهيونية.

لو استطاع بعض نفر من تجار الأرض بيع مناطق الجنوب اللبناني ـ جبل عامل لفعلوها كما كانت تخطط له فرنسا لكن هيهات ذلك لقد سارع المخلصون من ابناء جبل عامل رغم شح المال وقلة العتاد وقلة الدعم والمساندة والعون فأظهروا تعلقًا قويًا بحبهم لأرضهم فغرسوا أقدامهم في ترابها، ورفضوا التفريط ولو بمقدار ذرة منه تسارعت الأحداث بين مشروع كوني يدعمه الغرب، وخدعة يقودها الاتحاد والترقي التركي الذي تسلم الحكم في الآستانة عام ١٩٠٨م مبدئيًا تعاطفه

(١) كتاب "مشاريع الإستيطان اليهودي"، صفحة ١٢، للكاتب أمين عبدالله محمود، سلسلة عالم المعرفة، صفحة ٧٤.

(٢) "مطالب جبل عامل"، صفحة ٥٠.

مع الحركات العربية، ولم يصبر طويلاً حتى أظهر خديعته وعمل على إضعافهم. إلا أن أصالة العامليين ووحدة كلمتهم لم تثنهم عن آداء واجبهم العربي والقومي:

وعد ربي جاء

انهض أخي ولبي النداء
ألم تر ألم تسمع إن وعد الله جاء
ألم يرق لك بعد.. حقًا وعد الله جاء
لاخصام لا تباعد بل تلاحم بالسواعد اضرب صوّب
جاور ربك ونفع شعبك واطرد معي هذا الداء
احمي أهلك وارفع عنهم سوء الغي والفحشاء
هدفي هدفك هدفٌ واحد لا زوال بل بقاء
ارفع صوتك ارفع رأسك حان الوقت و اللقاء
احمي ظهري جاور ظلي رصاص يلعلع بالبيداء
أدعس واعبر عشب الأرض ناجي ربك والسماء
ارفع همسك واكتب اسمك فوق الصخر والاحياء
ورق الشجر ونبت الحجر والهضاب والهواء
خذ بيدي وعاهد غدي ووشاحي والرداء
انهض انهض حقاً أخي وعد ربي جاء

أمين أفندي عبدالله ينشئ جمعية سنة ١٩٠٨ هدفها مقاومة المشاريع الاستعمارية:

عمد العامليون إلى تأسيس الجمعيات والحركات السياسية والعسكرية وكان آل عبدالله في الخيام في قلب الحدث، لم يألوا جهدًا في مد يد العون ولم يدخروا وسعًا في سبيل إعلاء كلمة الحق وبذل الغالي والنفيس، مستندين بذلك إلى تاريخهم الحافل بالبطولات دفاعًا عن الجنوب وأهله ووحدة أرضه من الغزاة والطامعين، رغم ثقل وحجم المؤامرة إلا أن صرخة بذي وادٍ يخيّم عليه السكون كانت ترتعد منها فرائص الطامعين.

في الخيام قد لبى النداء نداء الأمة وصرخة مستغيثيها من قبل أبناء آل عبدالله كانت التلبية سريعة، إذ أسس أمين أفندي عبدالله ١٨٦٣-١٩١٣م.ابن الحاج حسن عبدالله جمعية الإصلاح

الخيري سنة ١٩٠٨ م[1]. ونادى من حوله القوم من أبناء الخيام والجوار بعيداً عن الانعزال الطائفي والعائلي، فإن المُخلصين كثر من أبناء البلدة وغيرهم وفاق عدد الأعضاء المئتي عضو من مسلمين ومسيحيين، وكانت أفكار الجمعية ومبادئها قائمة على عنصر التحدي وإظهار القوة بوجه الخصم، وقوة وحدة الكلمة بين المسلمين والمسيحيين التي عمل المحتل الطامع على ضربها وإثارة الفتن التي طالما اتخذها مطية للوصول إلى مآربه وغاياته الخبيثة، ومن ضمن افكار هذه الجمعية التي تميزت بها حين فرضت على كل عضو أن يقدم بارودة. إن ثقافة السلاح في وقت من الأوقات كفيلة في المحافظة على ديمومة العمل الوطني وسدًا منيعًا لأي فتنة طائفية بين أبناء الوطن الواحد، كان المحتل دائما يستسهل الدخول من ثغرة الفتنة الطائفية، كان الثبات والصمود في المواجهة مطلبًا مهمًا للجميع وشرطه تفعيل روح سلاح الثقافة،بكل أبعادها الاجتماعية والتراثية، عمادها الانفتاح على الآخرين والتقرب منهم لخلق طمأنينة من خلالها تتجاور النفوس مع بعضها، وتؤسس لمرحلة قوية ومحصنة كان قد أسس لها عميد أسرة آل عبدالله ومجدد نهضتها المرحوم الحاج حسن بن محمد آل عبدالله، إن ثقافة الوعاء الجامع والإطار الشامل لأطياف النسيج الاجتماعي. يمثل الأرضية الصلبة والمقام الرفيع من خلاله يدرك المواطن أمانيه ويحقق رغباته وينال غرضه، هذه هي ثقافة المؤسس أمين أفندي عبدالله، كانت رغبته أن يعمم هذه الثقافة، ومما لا شك فيه بأن تشكيل أي حزب أو جماعة حول هدف وطني وقومي لم يكن بالأمر السهل أبداً بل بلوغ هذا العمل بحد ذاته يمثل نصراً: (**إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**) المؤمن بحفظ كرامة أبناء وطنه وأبناء جلدته في سبيل صون الوطن والدفاع عنه.

خاطرة من وحي المناسبة

مدافع الشياطين وعرائس البحر

من خلف البحار حيث لا يُرىَ الوجود، ومن آلاف الأميال حيث مهبط الشمس وأفولها، ينتهي الأفق عند اتكاء السماء على بساط أزرق فتنحني السُحب البيضاء هابطة من أبراجها، مقوسة كظهر شيخ، تجاعيد وجهه توحي بأنه من أسرة عريقة في النسب والوجاهة. الله.. الله أين ذهبت تلك الوجاهة؟ قامات وهامات تتلمس أجسادًا كأنها ألواح من الثلج: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. لكن دع عنك هذا القول وانظر واقترب وادن .. لكن انتبه .. إياك .. والاستسلام

(١) "مطالب جبل عامل"، صفحة ٥٥.

اقبض على جـراحك وعض عليها بنواجذك ألم ترَ إلى الذين جاؤوا بجيوشهم، ووجوههم ليست كوجه ذاك الشيخ، الذي ما زال متعلقًا بين السماء والأرض .. يدٌ أثقلها الحديد و الأخرى مِلؤُها البارود، ملابسهم أشبه بفَتَائِل قنابل ..اللعنة وألف لعنة عليهم...إنه وجه المستعمر الله يخرب بيت... يخرب بيت الخلفوك والليجابوك وريث الشيطان..انظر قرون.. وأسنان...وأنياب.... وأظافر..... شو هل قرف... بدو قرد حتى يشيل القمل من راسو كل هذا وهو يبحث عن وليمة ، يا قوم .. يا قوم.. لدي سؤال يمكن يكون سخيفًا وبدون فائدة من دعا هؤلاء لهذه البلاد والعباد؟عُمْر ما حدا يجاوب لأنو الكل مشارك بهذه الجريمة .....المشكلة أنكم تربيتم على الوقاحة.. نعم هذه تُسمىَ وقاحة بل قِمَّة الوقاحة ..ماذا نحن فاعلون هذا من بلاد الذين يدَّعون الديمقراطية بل والأستذه في الأخلاق، أزاحت فرنسا من حولها الحشود، صفق لها الجميع، لوّحت بريطانيا بيدها مودعة، قائلة إلى اللقاء انتبه الحضور في اللحظة الأخيرة، هذا صوت مســترسايكس ما هذا الصوت أشبه بالفحيح ابتسم بـيـكو ابتسامة صفراء تبعها بغمزة عين أشبه بأعور الدجال أخرج لسانه مستهزءًا من الحضور.﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] شمّرت فرنساعن ساعديها، وألقت حبال سفنها على شاطئ من أرض لبنان..هناك من يصفق لها ويرش عليها الأرز، الناس يعانون من الجوع من أين أتوا بهذه الكمية من الرز؟؟؟ حيث رسول قحطان أبو العرب، عاملة قد سبقها بألفين من السنين بيده شمس سبأ وبالأخرى حجارة مأرب، وعلى كتفه قرب الماءمتطيب بعطر حضرموت من أرض اليمن. أعجبُ المستعمربامتداد الشاطئ جنوبًا، يتظاهر بأنه غبي يرفع يديه ويراقص أكفه، بيده عصاه مرقطة أشبه بأفعى يخط على الرمال لمن حوله من عساكر وقد انحنت روؤسهم وكأنها فكت عن أعناقها يخط رسومات أشبه بالدوائر بينها خطوط متصلة، الله يستر على الجميع، صرخة الخوف والوجع على أفواه الكثيرين والصدور تغلي كالمراجل ساعة الحسم تدنو، ينظر المستعمر السخيف إلى عرائس البحرالمسترخية على الرمال الذهبية وفي أعناقها قلائد من اللؤلؤ والمرجان، تقدم ببطئ أخرج يده من جيبه وقد غرست بقفازات ناعمة الملمس فإذا هي بيضاء للناظرين، ابتسم المستغيث وكأن يدًا بيضاء امتدت إليه، هذا يوم الخلاص، يلقي التحية ويسأل قالت أنا عكا وإخواتي حيفا ويافا، ألقى بقفازاته جانبًا فإذًا بالشوك قد نبت على كفيه ما أقبح هذا المنظر قبحكم الله، قد حسبت بأن الحق جاء وزهق الباطل فوجدت بأنه قد تسرول بالباطل كله وتقمص الشر كله. ثم أخرج من جعبته قرار حكم بالقبض على كل

من له صلة بعكا وأخواتها. وأن موعد التنفيذ لقريب، يتوعدهم بالوحش، وبهمهة الغول، وفيلة أبرهة، عرفته إنه ذاك اللعين بالفور السكير العربيد ابن السبعة وذمتها، تعالت الصرخات والتفت الساق بالساق لكن إلى أين المساق، وإلى من سوف تسلم أرض كنعان وحضارة الفينيقيين وشعب فلسطين. أليس هذا تينها وعنبها وزيتونها ونخلها ألم يتساقط على مريم منه رطبًا جنياً: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾[مريم: ٢٥ ـ ٢٦] ألم يسرج عيسى من زيتها قناديله ليعلم تلامذته الأخلاق والفضائل الطيبة والنبل والمحبة أليس هذا الطريق مسرى الرسول محمد بن عبدالله ﷺ ألم يكن هذا البيت المقدس محط إسرائه لم نعد نسمع لاغية وكأن أنفاس عزرائيل لبست المكان أو ريح ثمود وعاد قد هبت. الناس تلمس رؤوسها، تعالت الاستغاثات من كل حدب وصوب وا...عرباه وا... إسلاماه وا...مؤتمراه وا...قمتاه ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٧].

أرضي وطني

هذا المستعمر قد عاد
حاقد ينفخ بالرماد
قالها هرتزل بدون حياد
نعم هذه أرض الميعاد
قالها بكل وقاحة وعناد
هذا يومنا ..وأعلن الميلاد
وطني وطني أرض الأجداد
ترابكِ فوق العنق قلاد
لاغنى عنه ولا بعاد
تحت جلدي منبته وفي الفؤاد
إلى مقصلة الموت يقاد
أضحيت بلا دعمٍ وإمداد
هل أنعيه وأعلن الحداد
أرضي..وطني يبع بالمزاد

أهلي ولدي دون الزاد

شهـداء في كـل أرض وواد

قال العلامة عبدالحسين صادق متوجعًا متحرقًا على حال العرب:

قسماً بكـــم يـــا عـــرب وهـــي أليّـــةٌ عُظمــــى بهـــا منكــــم عظيمٌ يقسمُ

ليست بــراجـعـةٍ لـكـم أوطـــانــكـــم (حـتـى يـــراق عـلى جـوانـبـهـا الـــدمُ)

فرحة ما تمت ... ماذا قال الملك فيصل لأهل جبل عامل؟؟

لقد وقف العامليون بصلابة مع الحركة العربية عام ١٩١٦-١٩٢٠ وساهموا بفعالية في طرد الأتراك، وتابعوا عملهم المسلح ضد وجود الحلفاء وضد مشاريعهم السياسية لتقسيم سوريا.

كان يوم الثالث عشر من آذار / مارس ١٩٢٠وقع عظيم في نفوس الناس وكان الاحتفال في مناطق جبل عامل رائعًا والفرحة به عامة، ضنًا بأن أيام الجور والظلم الذي مورس على يد المستعمر التركي والأرواح التي زهقت قد أثمرت نصرًا، ما إن ذهبت سكرة الاحتفالات والنشوة بالنصر حتى جاءت فكرة الانتداب، حين أعلن في التاسع من أيار/ مايو ١٩٢٠م بيانًا رسميًا على لسان غورو يبلغ فيه أن مؤتمر الصلح قرر انتداب فرنسا على سوريا.مخيرًا الناس في جبل عامل بين الخضوع والمبايعة له أو أنهم سيصلون نارًا ذات لهب. وقد دعاهم إلى الابتعاد عن الثورة العربية في دمشق، ورمزها الملك فيصل، الذي قال لزائريه في دمشق بلغوا تحياتي إلى أهالي جبل عامل لقد كنت أقولها وما زلت أرددها..يا أهل جبل عامل انتم يدي اليُمْنَى.

شبيب العبدالله ينجو ..مقاومون ضد الانتداب الفرنسي:

إنهم ثلة مؤمنة صَدَقُوا ما عاهدوا الله وأهلهم عليه، رغم كل الصعوبات في شح العدة وندرة النصير وقلة المعين على هذا المحتل، المدجج من رأسه حتى أخمص قدميه بالعتاد والعدد والعدة، لقد برزت من خلال سلسلة المواجهات مع المحتل الفرنسي منذ أن وطأت قدميه أرض عامل أسماء قادة كبار مقاومون ثائرون أمثال: شبيب الحاج، جواد عبدالله، أدهم خنجر، صادق الحمزة، محمود أحمد بزي الذين وصفهم المستعمر الفرنسي بزعماء عصابات وقطاع طرق، كما الحال في أيامنا هذه حيث أصبح المقاوم للمحتل والمدافع عن أرضه وعرضه يوسم بالإرهاب، بينما الإرهابي الحقيقي يسرح ويمرح.أصبح هؤلاء العامليون الثائرون يشكلون عائقًا أساسيًا أمام استقرار الانتداب الفرنسي. فلقنوه دروسًا في ملاحم الصمود والتصدي والتحدي.لم يأل المحتل جهدًا،ولم يترك فرصة،

يستطيع من خلالها بأن ينال بأي طريقة من الطرق من المقاومين الثائرين،كان يتربص بهم الدَّوَائِرَ فبتاريخ ٢٤ من شهر آذار/ مارس سنة ١٩٢٠م. كان شبيب العبدالله عائدًا إلى منزله متشوقًا لملاقاة أهله وأسرته فرصدته قوة إستطلاع فرنسية شرقي بلدة الخيام، فأطلقت عليه رشقات متتابعة حتى إن مطلق النار على شبيب غمرته فرحة عارمة وهو كولونيل فرنسي قائد للمنطقة حين ظن أنه قد نال من الثائر العبدالله. عندما رأوا فرسه عائدًا إلى المنزل من دون فارس إلا أنه نجا[١]. ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، هذا وسوف نقف بالتفصيل ما أمكننا مع الثائر العاملي شبيب عبدالله.

حملة عسكرية فرنسية شعواء على مناطق جبل عامل:

ماذا فعل صادق الحمزة ورجاله؟؟ أهالي بنت جبيل يفرون إلى فلسطين:

لم يكتف المستعمر بممارسة الإغتيالات ضد المناضلين الجنوبيين كما كان الحال بمحاولته الفاشلة مع المناضل شبيب العبدالله، لجأ المستعمر الفرنسي إلى خططه الخبيثة وأعماله الدنيئة مؤججاً الصراع الطائفي نافخًا في كوره حين دقَّ إسْفينًا بين المسلمين و المسيحيين، قاصدًا بث روح الفرقة على قاعدة فرّق تسد عن طريق الوِشاية وزرع العملاء بين الطرفين، لإذكاء نار الخلاف فتوثَّبوا للتقاتل والتناحر خدمة لهذا المستعمر. ترامت الأحداث وأصبح المسرح جاهزًا بما يكفي. شكل رأس الانتداب حملة لتأديب العامليين على موقفهم المناوئ له والرافض لتقسيم المنطقة، فكانت هذه الحملة بقيادة الكولونيل (نيجر) فبتاريخ ٢١ من شهر أيار/ مايو ١٩٢٠بدأت هذه الحملة بالزحف على بلاد بشارة أي قرى جبل عامل (الجنوب اللبناني) فكانت قوات نيجرإذا دخلت قرية أفسدتها وجعلت أعزة أهلها المسالمين أذلة.عندما كانت تطلق العنان للعصابات التي دربتها على السلب والنهب والقتل وحرق المنازل، بطولات نادرة ثائرون شكلوا شوكة في خاصرة المحتل، ما أظهره الحمزة من شجاعة نادرة كان لزاما علينا أن نروي ما حصل: ما إن وصلت الحملة المؤلفة من أربعة آلاف جندي إلى اطراف بلدة جويا حتى تعرض لها الثائر الشيخ صادق الحمزة. لقد جاء في كتاب حوادث جبل عامل ص ١٣٠ قال: سمعنا اليوم أي بتاريخ ٢١ أيار / مارس ١٩٢٠ أن الحملة المؤلفة من أربعة آلاف جندي بالقرب من بلدة جويا بعد أن اجتازت سهل صور تعرض لها الثائر الشيخ صادق الحمزة ومعه بضعة عشر رجلاً، فصدوها عن التقدم بما كانوا يملكون من الذخيرة

(١) "حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا، صفحة ٩٩، تحقيق منذر محمود جابر.

القليلة مدة سبع ساعات حتى نفذت ذخيرتهم ، ولم يمدهم أحد بمدد تراجعوا ولم يفقد منهم أحد. بينما فقدت الحملة عددًا من جنودها، حتى إن أحد الثائرين استطاع أن يهجم على مصفحة ويقتل سائقها ويعود سالماً. ومن نتائج الحملة على جبل عامل وأمام قسوتها وجبروتها أن بنت جبيل قد أخلاها أهلها إلى فلسطين وبالتحديد (قرية ديشوم ومحيطها في الجليل الأعلى) كان ذلك بتاريخ ٢٩أيار / مايو سنة ١٩٢٠م. حيث لم يبق فيها نافخ نار بعد أن تركوا ما ثقل حمله عليهم فأحرق المتطوعون مع الحملة بيوتًا وهدموا آخرى حتى المساجد لم تسلم، ونهبوا جميع ما تركه أهلها وقدرت المسروقات بعشرات الألوف من الذهب..

تعليق ...

كانت الحملة على جبل عامل تأخذ طابعًا أكثر تشددًا وتصعيدًا في عمليات القتل التي طالت الأبرياء من الشيوخ والأطفال وهدم البيوت ودور العبادة والسرقة والنهب، وأثناء ما كان يحصل في جبل عامل (الجنوب اللبناني) من اعتداء على كرامة الإنسان وحقوقه كان الشعب الفرنسي الباريسي بعام الاجتياح هذا سنة ١٩٢٠م. يحتفل في ساحة (الشانزليزيه) بالذكرى السنوية لمرور مائة وثلاثين عاما على اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م.كانت حناجر الجماهير تهتف بشعارات الثورة التي قامت من أجل تحرير الانسان من الظلم والقهر والعبودية، وكانت حلقات الرقص بهذه المناسبة تستمر حتى مطلع الفجر وكان فجر الجنوب من أرض عامل يكشف عن عوراتهم، وهذا لباسكم لا يواري سوآتكم ولا قبح أفعالكم ولا شرور أعمالكم حيث حناجر أبناء جبل عامل تستغيث وتصرخ لرفع الضيم عنه: (هل من ناصر ينصرنا) وأيّة شعارات حرية يحمل هؤلاء البشر بيدهم اليُمْنَى، بينما اليد اليُسرى تقتل و تسرق دجاج الفقراء وعلف دوابهم. لكم فجركم ولنا فجرنا وعلى الله أجرنا.

الفصل السادس

تاريخ وسيرة
آل عبدالله في الخيام

الفَصْلُ السَّادِسُ

تاريخ وسيرة آل عبدالله في الخيام

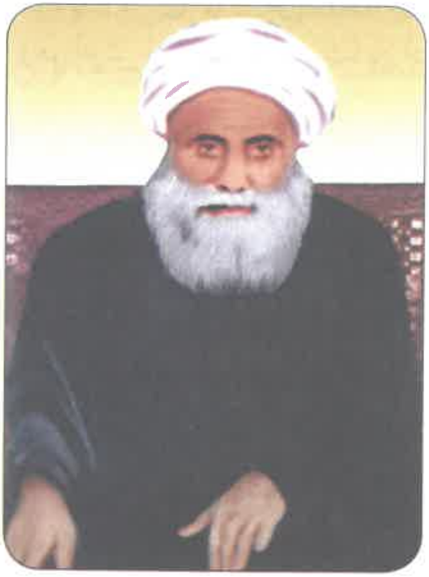

الحاج حسن ابن الأمير محمد ابن الأمير عبدالله التنوخي

الحاج حسن ابن الأمير محمد ابن الأمير عبدالله التنوخي وعبدالله ابن الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين ابن الشيخ الأمير مظفر ابن الأمير غلاب ابن الأمير ظهير الدين علي ابن الأمير عز الدين جواد ابن الأمير الكبير علم الدين سليمان الرمطوني ابن الأمير سيف الدين غلاب ابن الأمير علم الدين معن التنوخي ابن الأمير معتب بن أبي المكارم بن عبدالله بن عبدالوهاب بن هرماس ابن طريف ابن الأمير الكبير أبو إسحاق إبراهيم التنوخي بن أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن عيسى بن جمهير بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن مذحج بن سعد بن تميم ابن الملك النعمان ابن المنذر ابن الملك امرئ القيس بن الملك النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن[١]

(١) جواد علي في الجزء الثالث من كتابه: "تاريخ العرب قبل الإسلام"، صفحة ١٨٤، يتحدث عن ملوك الحيرة اللخميين ذكر من نسب ملوكهم على هذا النحو: عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك ابن غنم بن نمارة بن لخم. هذا ويختلف عمود النسب عند كثير من المؤرخين. وقد اعتمدنا عمود النسب هذا لوروده في كتاب عن آل نصر الدين أخرجته الدكتورة عابد، وأخرج هذا النسب في الدرر الشامية فاعتمدناه لمعرفة هؤلاء=

عدي بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم واسْمُهُ عدي بن نمارة بن لخم واسمه مالك ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[١] بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي هود عليه السلام وقيل بن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن مَتُّوشَلَخَ بن أَخْنوخ وهو النبي إدريس عليه السلام. بن يارد ابن مَهائيل بن قينان بن طاهر وهو أنوش بن هِبَة (وهو شيث) بن آدم عليه السلام. وخلق الله آدم من تراب.

=بحال قبائلهم.وإنما أوردنا ما جاء في كتاب جواد علي فقط كنموذج، وإلا سوف ندخل في نفق الأنساب ولا خروج منه فاعتمدنا أسلوب المفاضلة بين روايات الأنساب. لأن الاختلاف والاجتزاء في عمود النسب و تسلسل الأسماء لدى المؤرخين أصبح تقليدًا لكثرة تكراره وهذا حق لكل مؤرخ. انظر أوراق لبنانية ليوسف يزبك مج.٢ صفحة ٣٠٦ سنة ١٩٨٣م.

(١) سُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا رسول الله وما سبأ؟ أرض هي أم امرأة؟. فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: "ليس بأرض ولا بامرأة لكنه رجلٌ ولد عشرة من العرب: فأما ستة فتيامنوا (جاءوا إلى اليمن، وأما أربعة فتشاءموا جاءوا إلى الشام وأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وغسان وعاملة". "كتاب الجوهر المجرد"، صفحة ٦٦ الجزء الأول.

المدخل إلى الخيام

مقدمة

من الصعب على أي إنسان أن يدعي المعرفة حتى أن الإحاطة بالشيء نسبي، فلذلك أنا لا أدَّعي ولا أزعم أني قد ملكت قلب المعرفة وسبرت غورها، ليس من السهل أن أميط اللثام عن تاريخ أسرة كأسرة آل عبدالله، حيث يتطلب الكثير الكثير من الجهد ذلك التاريخ الذي لا يزال بعضه غامضًا وبعضه الآخر تلاشى بكثير من مستنداته، حتى أن أوراقه ذهبت إما بالرطوبة التي حوّلته إلى عجين لا يطبخ ولا يؤكل، وإما إهمالاً غير متعمد، وما بقي كانت نار الحروب كفيلة بإحراقه، وما طمسته الحروب ومهالك الدروب وشمس الغروب، إلا أن بعضه ترسّخ في العقول واحتضنته الصدور فأجادت به دفيئ القلوب وفصاحة الألسن، غير أني لا أرتاب مهما أوصدت الأبواب في أن ما تيسر لي جمعه من أخبار وآثار كافٍ لأن ينير السبيل لمن شاء أن يخوض من بعدي غُمار هذا البحث وعناءه.فتاريخ أسرة آل عبدالله تاريخ ضارب بالماضي السحيق والبعيد كل البعد عن متناول اليد وما أدراك ما يحمل منه إليك الغد.

إن هذا الكتاب مخصص لتناول تاريخ وسيرة عائلة آل عبدالله، فكان لزامًا علينا التوسع بعض الشيء، لكون هذه الأسرة جزء مهم من مكون اجتماعي وسياسي واقتصادي لم تقتصر حدوده على البيئة الخيامية ومنطقة جبل عامل ولبنان، بل امتد ليشمل الوطن العربي بكل جغرافيته كما ذكرنا سابقًا في أجزائه الأولى، وذلك إسهاما في التعرف على هذه الأسرة أكثر تفصيلاً من خلال واقعه التاريخي مع تناول أهم الأحداث... أحداث شكلت منعطفًا تاريخيًا أسهمت في بلورة كيانات سياسية واجتماعية على أرض جبل عامل، ويعرف بتسميته الحديثة (جنوب لبنان) على يد رجال اوفياء ساهموا في ذلك الكيان العظيم ورسخوا دعائمه أباً عن جد، هذا الكيان العظيم بشعبه، أفرز حركات مقاومة عبر التاريخ كان لأسرة آل عبدالله الوجه البارز والمكانة العالية والمشاركة الفعالة، أنجبت رجالاً مميزين في العمل السياسي والاجتماعي والأدبي.يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: إن أهم العائلات في بلدة الخيام وأكثرها نفوذًا ووجاهة هم آل عبدالله[١].

(١) مجلة الشراع، الحلقة ٣٨ من سلسلة حلقات: هكذا تكلم أحمد الأسعد.

إن ما نقله إليّ الرواة الثقات جزاهم الله خيرًا من آل عبدالله وغيرهم من أبناء بلدتي الخيام الكرام، كنت أرى في تلك الروايات أن بعضها مناقض لواقع الحال إلى حد ما، لكن البحث والسؤال والمقارنة بين أحداث التاريخ التي كنت أجدها في بطون الكتب كانت تهديني إلى ضالتي وتسعفني نحو مبتغاي.

إن أبطال الرجال المميزين هم القادرون وحدهم على صنع البلدان والأوطان وحمايتها، ومهمة التاريخ أن يتحدث عنهم بكل صراحة وصدق. إن ما مرت به أسرة آل عبدالله عبر هذا التاريخ الطويل الذي يمتد ل٤٠٠٠سنة، وما جنته من تعدد ثقافي وتنوع حضاري واختلاف عمراني وسكاني وجغرافي، قد أثرى شخصية أبنائها فتميزت بالثقة المتقلة بالاعتزاز بالنفس والجرأة الكافية على تحدي الصعاب، هذا ما ميزها عن مثيلاتها من الأسر، فإن الكثير الكثير من أبناء آل عبدالله تربوا و نشأوا وترعرعوا في بيوت جلها مفتوحة ومشرّعة للضيوف والزائرين والمستغيثين والمحتاجين والطالبين والفقراء والمساكين وابن السبيل، وتميزت بشبكة من العلاقات الاجتماعية الواسعة(هذا ما يعرف اليوم بعلم أو فن الإتيكيت) لأنهم يملكون الحنكة والتمرس السياسي اللذين كانا كفيلين للعبور نحو النجاح، ليس هناك أداء مصطنع بل حقيقة ترمز إلى أصالة قديمة ومكانة عريقة، وإلى قيم هذه الأعراف والتقاليد والعادات النبيلة ينتسبون. هذا ما أكد عليه أحد المعمرين في بلدة الخيام عندما زرته قال لي بأن آل عبدالله يتميزون عن غيرهم بشيئين وإن هذين الشيئين كانا كفيلين بتحقيق مرادهم والوصول إلى غاياتهم من خلالهما وهما الكرم والذكاء.

وأضف إلى ذلك إن ما ميز شخصية القيادة لديهم عبر مراحل التاريخ هو التحلل من الفردية المقيتة إلى حالة مؤسساتية، وإن كانت صنيعة شخص وحركة فرد أو أفراد إلا أنها تقوم مقام الجماعة حتى تأتي بأعمال في غاية الفائدة، وقد يساوي رجل ألف رجل مما تحسبون أعمال تصب في مصلحة الجماعة وتحقق رغباتها، إذ ليس هناك التابع والمتبوع بالمعنى السَلبي المطلق، بل أشبه بمعادلة كيميائية، إذ أن العنصر الكيميائي الذي تتحقق فيه شروط التفاعل يستطيع أن يحدث تفاعلاً بيني للوصول إلى أفضل النتائج، لأن لكل عنصر خصائصه المعينة والمميزة لا يمكن للعنصر الآخر أن يستحوذ عليها، بل ممكن أنْ يستجيب لها، وهذا ما يحدث في تكويننا الاجتماعي أي المفاهمة بروح العطاء والأخذ. إن بيئتنا مرت بأوضاع وأزمات وتعرضت لهزات فكرية، كانت بعض القوى تعمل على سلب منتوجها الفكري والتراثي وحتى الإيديولوجي الديني، أزمات اجتماعية واقتصادية

تطيع كلها مجتمعة أن تسلب شيئًا من خصائصها وقناعاتها، بل استطاعت هذه السياسة أن
ف نفسها مع أصعب الظروف وكذلك استطاعت أن تستوعب الآخر وتروضه. كان لها رجال
ال بالمرصاد فاستعانوا بالصبر والصلاة والتضحية والبذل والعطاء، فاهتدى الناس إلى من
ي تطلعاتهم ويذود عن آمالهم إلى منقذ ينقذهم وإلى قائد تتجلى فيه صفات القيادة، والقوة
ت نقدر أن نقول عنها صفات تراكمية مكتسبة من أوضاع اجتماعية تاريخية، تحمل في طياتها
لويلاً من الحاكمية السياسية المترابط في حلقاته، ساهمت في تشكيله ونشأته عوامل كثيرة تحتاج
حث طويل ومعمق أفضت إلى مشروعية حاكمية صلبها مبايعة وانقياد طوعي من قبل الناس،
عن الشعور بالرضى وبقبول لهذه القيادة في مظهرها الكاريزمي المميز، وقد صدق شكيب
لان في قوله: نحن قوم لا ندعي ما ليس فينا ولا نتزيّد بأكثر مما عندنا وأسماء آبائنا وأجدادنا
فة.

منظر عام للخيام يعود إلى سنة ١٨٣٧ م

٢

الخيام موقع وتاريخ

تقع مدينة الخيام في الطرف الجنوبي الشرقي من لبنان وفي الجنوب الشرقي من جديدة مرجعيون، على بُعد أقلّ من ٥ كلم عن فلسطين وأكثر قليلاً عن الأراضي السورية **المحتلة**، وتبعد عن العاصمة بيروت ١٠٠كلم. يزيد عدد سكانها على ٣٠ ألف نسمة يتوزعون على **أكثر** من مئة أسرة[*] ويربو عدد بيوتها على ٥٠٠٠ بيت، الواقف على أعلى قمة في الخيام (٧٥٠م) **يشاهد: من** الشرق: الجولان، جبل الشيخ، حلتا، كفرشوبا، كفرحمام، الماري. ومن الغرب: **قلعة الشقيف**، دبين ، جديدة مرجعيون، القليعة، برج الملوك، كفركلا، الطيبة، عديسة. ومن الشمال: **إبل السقي**، حاصبيا شويا، عين قنيا، عين جرفا، لبَّايا، مرتفعات الباروك، تومات نيحا، الريحان. ومن **الجنوب**: الأراضي الفلسطينية[١]. وفي دراسة لمحمد عبدالله يقول: تبلغ مساحة الخيام ١٥٥٧ **هكتار** وحدود الخيام من الناحية السياسية عرفت منذ دخولها في الكيان تغييرات أساسية.فالخيام **منذ ١٩٢٧م**. تاريخ أول مجلس للنواب في لبنان هي بلدة في لبنان الجنوبي ومنذ ١٩٥٣م. تاريخ **مجلس النواب** الثامن هي بلدة في قضاء مرجعيون، ويضيف العبدالله تتميز الخيام بموقعها العسكري **الدقيق** وقد سميت قديمًا بوابة جبل عامل ففي سهلها المحاذي لحدود فلسطين يوجد مطار يعود بناؤه **إلى** الحرب

(*) من كتاب محمد حسن محمود عبدالله: يتوزع سكان الخيام على أكثر من مئة أسرة هم : **عبدالله، عواضة، حيدر**، خشيش، أبو عباس، سويد، فاعور، قانصو، صادق، حميد، أبو غيدا، هزيمة، صفاوي، **قوصان، زهر، تليجي**، الدقور، عليان، الشيخ علي، مخزوم، شكر، غزاوي، رسلان، شعيب، الشميساني، العباني، **الأمين، شحادة، مهنا**، إبراهيم، الحاج علي، هيثم، إيليا، هاشم، غصين، مرعي، رشيدي، قشمر، إدريس، روماني، **أبو حمد، حامد، فياض**، بدران، شقراوي، عيسى عزير، العجوز، عقيل، عياش، غصن، عطوى، باشا، غريب، زيبارة، **زلزلة، شيري، جمعة**، يزبك، رشيد، زلاية، رحال، الرحيم، كلش، قاعوري، سعد، وهبي، عبود، سمور، صادق، **حسان، زعرور**، طويل، زريق، نصار، خريس، دوبان، ضاوي، خضر، قدومي، حمود، عكر، شحادة، عطاالله، **غانم، الجلبوط**، حويلة، قاصوف، حشمة، قسيس، الشماس، مزرعاني، واكيم، ونا، الأشقر، الحداد، صعب، **أبو عسلي، أبو سمرة**، عبود، شاهين، عساف، فرحات، سلامة، باسيل، بصبوص، الخوري، شمعون، أبي عازار، **عيث، نعوم، مرقص**، خنعور، موسى، داوود، عبيد، كرم، سمارة، عواد، دخل الله، طاهر، عيد، إبراهيم.

(١) كتاب "الخيام حوادث وتواريخ في ظل الإعتداءات الإسرائيلية"، تأليف الأستاذ عبد الأمير **علي مهنا، صفحة** ٩، ط.أولى ٢٠٠٩م.

العالمية الثانية، وعلى المدخل الغربي للخيام الذي يشق سهلها يوجد مستشفى فيه عشرات الغرف تحت الأرض كذلك إنشاء ثكنة عسكرية في أعلى رابية جنوبية للخيام، إن هذه المعالم ما زالت آثارها ظاهرة وتعود إلى الحقبة الفرنسية والإنجليزية، كذلك تتميز الخيام بكثرة الينابيع فيها، وأهم هذه الينابيع نبع الدردارة،ونبع الحمام،ونبع المسيل، وعين أبو مزراب، وعين أبو منصور، ونبع الرقيقة، ونبع الباردة، وكثير من الينابيع وفي وسط البلدة وقرب المسجد المركزي يوجد مقام لناصر بن نصير وهو من أولياء بني اسرائيل وفوق مدخله لوحة تحمل نجمة داوود،عليها كتابات غير واضحة[١].

يقول الأمين في كتابه خطط جبل عامل: الخيام بلفظ جمع خيمة، من أمهات قرى جبل عامل، من قرى مرجعيون، يقع غربها مرج فسيح ينسب إليها (مرج الخيام)يشق مرج الخيام جدول يسمى الدّردارة، وهي على جبل مشرف على ذلك المرج. وفي أسفل الجبل عين تسمى عين الدوير وعندها حدائق وبساتين، تحسن في مرجها زراعة الذرة والبطيخ الأخضر والبصل وغيرها[٢].

الخيام من أملاك الأمير موسى علم الدين عبدالله:

لم نستهد إلى مسار يؤدي بنا للكشف عن أي دور سياسي للخيام أو أسرة قبل بروز أسرة آل عبدالله فيها، أما الأسر القديمة التي سكنتها كذلك لم نتوصل إلى أسمائها إلا ما ذكر في سياق هذا الكتاب، ولقد حاول الكثيرون وبذلوا جهدًا استثنائيا دون جدوى، إلا ما ذكره الأمين عن الخيام وسوف نأتي على ذكره قد تكون الخيام تاريخيًا ملاذًا جبليًا تقليديًا نأت بنفسها عن أحداث المنطقة ولم تقم بأي دور سياسي سوى الحياد، هذا ما يفسره سياق التاريخ حيث إن البلدات المجاورة للخيام التي هي أصغر منها بكثير، إن كان من الناحية الجغرافية أو من حيث عدد السكان إلا أنها لعبت دوراً تاريخياً بارزاً ومميزاً في حقب متنوعة ومختلفة من التاريخ، منها حاصبيا وقرى وادي التيم ومرجعيون وأغلب قرى منطقة مرجعيون. فلم يذكر أحد من المؤرخين شيئًا عن أحوال الخيام وسكانها، ويغلب على الظن أنه لم يكن لها وضع سياسي خاص.يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: إن آل عبدالله أسرة تنوخية فهم من التنوخيين الذين جاؤوا من الجزيرة العربية وسكنوا

(١) "العلاقات السياسية في الخيام عشية الحرب اللبنانية"، دراسة محمد حسن محمود عبدالله، اشراف الدكتور وضاح شرارة، صفحة ٥و٦ ، بيروت سنة ١٩٨١ .

(٢) كتاب "خطط جبل عامل"، تأليف السيد محسن الأمين، صفحة ٢٣٩، دار المحجة البيضاء، ط.أولى ٢٠٠٢م، بيروت ـ لبنان.

جبل لبنان إلى أن نزح الجد الأول[١] إلى بلدة الخيام فاشتراها كلها واستوطنها ونال لقب الأفندية فيها من السلطات التركية[٢]، لكن دون ذكر تاريخ نزوحها. وقد ذكر كامل فاعور في كتابه عروس المرج بأن أسرة آل عبدالله ملكت سبعين بالمئة من أراضي مرج الخيام[٣].

من خلال مطالعتنا لبعض الكتب التاريخية ألحَّ علينا بعض من أخبارها أن لا ندعه طي الدفتين، فقد جاء في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين عن حصار صلاح الدين الأيوبي لقلعة أرنون وعزمه على استردادها من يد الفرنج ما مفاده: بتاريخ ١١ ربيع الاول من (سنة ٥٨٥ هجرية ٢٩-٤-١١٨٩م) ورحل أي صلاح الدين إلى بانياس ومنها إلى مرجعيون فخيم به وهو قريب من شقيف أرنون بحيث يركب كل يوم يشارفه ويعود والعساكر تجتمع وتطلبه من كل صوب، فأقمنا أياما نشرف كل يوم على الشقيف، ويضيف بأن عسكر السلطان الأيوبي صعد الجبل ليشرف على قلعة أرنون ويقرب من المكان ويمنع من دخول نجدة وميرة إليه، وأظهر أن سبب ذلك أي الصعود إلى الجبل ووضع الخيم عليه هو من شدة حمو الزمان والفرار من وخم المرج، ويتابع صفحة ٧٧: وكان مع المسلمين أربعة من أمراء العرب فحملوا كما وصاهم السلطان الأيوبي على عزم الطراد ليقصدوا الكمين، وسلكوا أسفل الوادي وإنما الطريق أعلاه ولا خبرة لهم بتلك الأرض، فعرف الفرنج أنهم ضائعون فطاردوهم وردوهم إلى المضيق وانفلت العرب من الهزيمة فاستشهدوا، قال: وكان معهم مملوك للسلطان يقال له أيبك الساقي، فاعتزل إلى صخرة واحتمى بها ونكب كنانته ورماهم بنشابها وهم لا يقدرون على الاقتحام إليه بالخيل، فرموه بالزنبورك (نوع من أنواع السلاح القديم) حتى كثرت فيه الجراحات وظنوا أنه قد مات، ووصل الخبر إلى المسلمين فأدركوهم ووقفوا على الشهداء وقبروهم وجاؤوا إلى أيبك فوجدوا فيه الروح فنقلوه إلى الخيام.. انتهى[٤]... ومما يستنبط من خلال هذا الخبر: بأن الجيش الأيوبي نزل في المرج الواقع بين بلدة الخيام ومرجعيون وبسبب الحر والرطوبة صعد الجيش إلى الجبل ووضع خيامه، وأن تحركه هذا يدل على أنه توجه غربي المرج بعد أن ترك المكان ليتسنى له مراقبة قلعة أرنون، وحرب الكر والفر بين الجيشين الفرنجي والأيوبي،

(١) الجد الأول لآل عبدالله في الخيام، قد ثبت لدينا هو الأمير موسى بن الأمير علي علم الدين عبدالله نزح إليها عام ١٦٩٥م. وذكرت بعض المصادر بأن موسى علم الدين سكن الخيام عام ١٣٥٠م.

(٢) مجلة الشراع الحلقة (٣٣)، سلام الحاج، مصدر سابق.

(٣) كتاب "عروس المرج"، صفحة ١٣٩.

(٤) كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، لشهاب الدين المقدسي الدمشقي، الجزء الرابع، مؤسسة الرسالة سنة ١٩٩٧م.

نتج عنه أن أصيب أحد القادة وتم نقله إلى الخيام ...ولا ندري ما المقصود هل هي قرية الخيام والتي تقع شرقي المرج وتم نقل الجرحى إليها بعيدًا عن المواجهة المباشرة وأرض المعركة، أم خلاف ذلك ويقصد الخيام أي جمع خيمة وهذه الواقعة حصلت في عام ١١٨٩م. هل كانت الخيام أنذاك مأهولة بالسكان؟ يعود بنا هذا السؤال إلى مسألة الترابط الأسري الذي حصل بين عائلات خيامية وأخرى من مناطق الشوف على ما ذكر ذلك في كتاب قواعد الآداب، ويقترب جدًا تاريخ الترابط الأسري في القرن الثاني عشر الميلادي من تاريخ وجود الجيش الأيوبي في المنطقة. وإذا صح ذلك هل يكون سكان الخيام قديمًا على مذهب الموحدين الدروز(١).

لا نريد هنا قراءة المزيد من العناوين واستحضار كتب الجن والإنس والبحث في فلسفات الماضي والحاضر، كي نجد كلمة هنا ودلالة تاريخية هناك ما علينا إلا أن نلخص ما جاء به الأستاذ مهنا في كتابه يقول: إنَّ مَن يحاول الكتابة عن الخيام لا يجد كتاباً جامعاً مفيداً يتناولها ويتناول تاريخها وبنيتها الاجتماعية، ما يمكن الإفادة منه في هذا المجال كتابات متواضعة في موضوعات محدَّدة فقيرة مبعثرة هنا وهناك أكثرها لكَتَبَةٍ غير خياميين مع كثرة النُّخب الخيامية المثقفة(٢). لربما يكون بإمكاننا إلقاء الضوء على بعض حقب في تاريخ الخيام الحديث التي تروي ما تخصص بحثنا فيه في متابعة سير وأحداث عن رجالات آل عبدالله.يقول آل صفا في كتابه: وقد لعبت هذه الأسرة أي أسرة آل عبدالله دوراً هاماً في تاريخ جبل عامل في عهده الحديث(٣). يمتد إلى أكثر من ثلاثة قرون خلت من تاريخها في الخيام.

إن تناول تاريخ وسيرة آل عبدالله هذه الأسرة الخيامية ليس المقصود الانتقاص من تاريخ أي أسرة إن كان في الخيام أو في المحيط،وسوف نكون جدًا مسرورين لأي سير تاريخية تتناول العائلات الخيامية. وما قصدناه من ذلك هو أن نبر لآبائنا وأجدادنا، هذا ومن خلال متابعتنا التاريخية وجدنا ان أكثر أسر الخيام هم خؤولة لآل عبدالله والكثير الكثير الذين التقيتهم وجالستهم خلال مشواري هذا يكنون محبة منقطعة النظير لهذه الأسرة.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الترابط بين الأسر وسنة حصوله مراجعة صفحة ٥٤ من هذا الكتاب تحت عنوان مصاهرة بين الخيام والشوف.

(٢) "الخيام حوادث وتاريخ"، عبد الأمير مهنا، صفحة ٦ مصدر سابق.

(٣) كتاب " تاريخ جبل عامل"، تأليف محمد جابر آل صفا، صفحة ٢٥٧، دار النهار ط.الثانية١٩٨١، بيروت - لبنان.

لا نؤرخ ولا نكتب من وجهة نظر عائلية بل عنواننا الحقيقة والحقيقة فقط، وما تيسر لنا من أحداث تاريخية نرويها عن أسرة آل عبدالله هذا موضع فخر للجميع، كثيرون من الذين قابلتهم من غير أسرة آل عبدالله، كنت عندما أسألهم عن بعض حوادث متعلقة برجالات آل عبدالله بكل صدق وأمانة كانوا يترحمون على الماضي ويكيلوا لهم المديح والإطراء، كما يترحمون على عهود بعض من تسلم المسؤولية السياسية والاجتماعية من آل عبدالله، كانوا يقولون: رزألله على أيامهم الحلوة، هذه هي المحبة والصدق، المحبة المتبادلة من الجميع إنشاء الله. إن أسرة آل عبدالله التي مضى على وجودها في لبنان ١٣٠٠ سنة لم ولن ترضى حيث هي أن يتجاهلها المكان والزمان، فلذلك رفضوا أن تبقى الخيام بعزلة عن أحداث المنطقة كما ليس في إرثها وجرثومتها أن تمارس دور المتفرج والمراقب لأحداث المنطقة، بل عملت على جعل الخيام في قلب الحدث وعلى لسان كل مسؤول، وتناولتها أقلام المؤرخين وكَـتَـبَـة التاريخ أمثال السيد محسن الأمين و محمد تقي آل فقيه ومحمد جابر آل صفا، والأمير شكيب أرسلان. والأمير أمين آل ناصر الدين. وكثير الكثير من المراجع التي أتينا على ذكرها.

يا رعى الله بلبنان مقاماً ... وحمى من سفحه قوماً كراما[1]
يا خليلي إذا ما جئتما ... بعد وخدٍ في فيافيها الخياما(*)
فاقرأ مني على سكّانها ... وعليها أبد الدهر السلاما

وقد لعبت أسرة آل عبدالله دورًا بنّاءًا وكان لها مشاركة فعالة في ترميم صيغة العيش وردم هوة التباعد والانقسام التي كان البعض يعمل على ترسيخها.

وتنقسم المصادر التي اعتمدنا عليها إلى ثلاثة أقسام:

المصدر الأول: ما وجدناه في بطون الكتب وكان أغزرها الحقب التاريخية التي سبقت دورهم في الخيام.

المصدر الثاني: الروايات المتواترة واللقاءات الشخصية في الخيام والمحيط.

المصدر الثالث: والقليل جدًا وهو الآثار المتبقية.

(١) شعر المرحوم الشيخ إبراهيم صادق والد الشيخ عبدالحسين صادق، ص٦١ د.حسن صالح.

(*) معنى كلمة الوخد: نوع من الجري السريع.

آل عبدالله في الخيام

مضى على وجود أسرة آل عبدالله في الخيام أكثر من ثلاثة قرون، إذا ما أخذنا تاريخ الهجرة سنة ١٦٩٥ لكن بعض المصادر أعادت وجودها إلى ٧٥٠ هجرية أي ١٣٥٠ ميلادي. وكان صاحب الهجرة الأمير موسى بن الأميرعلي علم الدين آل عبدالله التنوخي بصحبة زوجته وولده الأمير عبدالله. ليس هذا التاريخ فقط ما تناقله الخلف عن السلف بل هو مثبت بكثير من المراجع التاريخية التي سوف نأتي تباعًا على ذكرها كاملة إنشاء الله، وتكون أسرة آل عبدالله من أوائل الأسر التي دخلت ليس الخيام بل جبل عامل (جنوب لبنان)، وهي تحمل تاريخاً مترابط الحلقات في هجرتها وتثبيت عروبتها القحة وأصالتها النقية، والأولى في جبل عامل التي تحمل تاريخاً من الحاكمية امتد لقرون عدة وإن كانت هجرتها قد حصلت في عصر من عصور القرون الوسطى الثاني[(١)]، متأخرة عن بعض العشائر والقبائل العربية التي استوطنت جبل عامل على سبيل المثال كآل علي الصغير أجداد آل الأسعد الذين يرجعون إلى جدهم الأول محمد بن هزاع الوائلي القحطاني والقبيلة اليمنية العربية عاملة بن سبأ[(٢)]، وقد زاد على ذلك وضاح شرارة في كتابه قائلًا: "بأن آل الزين وآل عسيران وآل الخليل وآل العبدالله الذين تردهم الأخبار وحدهم إلى نسب عربي قديم هو النسب التنوخي[(٣)]"، ومما لاشك فيه أنه عند وصول الأمير موسى وأسرته إلى الخيام كانت أسر خيامية تسكنها، لأن الأمير عبدالله أبي محمد بن موسى بن علم الدين عبدالله التنوخي تزوج من فتاة خيامية لكن لم نجد ما يوثق أو يثبت تاريخيًا أي من العائلات الحالية التي تسكن الخيام كانت تسكنها عند وصول أجداد آل عبدالله في القرن السابع عشر الميلادي[(٤)] ومن المرجع بأن

(١) "عصر القرون الوسطى الأول (٤٧٦م-١٤٥٣م)"، "عصر القرون الوسطى الثاني (١٤٥٣م-١٧٨٩م)"، وأخيراً الدور المعاصر من سنة ١٧٨٩ إلى ١٩١٤م.

(٢) نفس المصدر، جابر آل صفا، صفحة ٢٨-٢٩.

(٣) كتاب "الأمة القلقة"، تأليف وضاح شرارة، دار النهار، صفحة ١٢٦، بيروت سنة ١٩٩٦م.

(٤) كتاب "الأخبار الشهيّة عن العيال المرجعيونيّة والتيميّة"، حنا حردان خوري، بيروت ١٩٥٦، ذكر المؤلف في صفحة ٦٣٦ و٦٣٧ و٦٣٨ عن تاريخ بعض العائلات الخيامية دون معرفة تاريخ قدومها إلى الخيام. إلا أن هناك أسرة خيامية مسيحية من بيت الأشقر مَن تدل المصادر على أنها تقترب بتاريخ وجودها في الخيام مع آل عبدالله فقد ذكر حردان خوري في صفحة ٦١٥ بأنه قد اشتهر من عيلة الأشقر الطيب الذكر الخوري سمعان الأشقر ولد في الخيام في أوائل الجيل الثامن عشر.

أكثر الهجرات للأسر التي سكنت الخيام كانت تزداد مع الوقت، وكانت مع البدايات الأولى للقرن التاسع عشر بعد ان استطاع المرحوم بإذنه تعالى أبا علي الحاج حسن أفندي عبدالله من توفير الأمن والاستقرار للأفراد والجماعات مما شجع الكثير من أسر الجوار على القدوم الى الخيام والإقامة فيها، خاصةً عندما أصبحت القرى المجاورة في أجزائها غير صالحه للإقامة، بسبب زيادة غارات البدو و انعدام الأمن وقسوة الحكام. فكان ينتقل الفلاحون والمزارعون إلى حيث يستأمنون على رزقهم وعيالهم وقد مثلت الخيام نموذجًا في ذلك.ونذكر الخلاف الذي وقع بين فؤاد سليم والحاج محمد افندي عبدالله عندما عزم الأول على دخول الخيام دون التنسيق والتشاور مع الحاج محمد عام ١٩٢٥ م.بسبب اندلاع الثورة ضد الفرنسيين فمنعه من الدخول واشترط عليه الاستئذان أولاً والتنسيق معه فيما يخص رجال الخيام ومشاركتهم في الثورة أو عدمه، فالتف من حوله القوم، على أن يكون المتحدث عن الخيام وأهلها. وحادثة أخرى هي حادثة الخيام التي تناولها آل صفا في تاريخ جبل عامل، صفحة ٢٥٦ شرحا وتفصيلاً،مبرزاً الدور المتميز لكل من الحاج محمد أفندي، وأخيه الحاج إبراهيم أفندي،هذا وسوف يكون لنا وقفة مطولة مع هذه الحادثة.

وقد جاء في كتاب خطط جبل عامل صفحة ٢٤٠ للسيد محسن الأمين في سياق حديثه عن الخيام يقول :وفيما وجد بخطّ)المقداد السّيوري(تلميذ الشّهيد الأول : إن تقي الدين الجبلي أو الخيامي هو الذي وشى أولاً بالشهيد الأول بعد ما ظهرت أمارة الارتداد من تقي الدين وكان عاملاً.وبعد وفاته قام شخص اسمه يوسف بن يحيى وارتد عن مذهب الإمامية وكتب محضراً يشنع فيه على الشهيد وكتب في المحضر سبعون نفساً من أهل الجبل ممّن ارتدّ عن مذهب الإمامية وما ينيف على الألف من أهل السواحل من المتسنّنين، فكان ذلك سبب قتل الشهيد،وأضاف في سياق كلامه حين قال: وفي الخيام مشهد يقال له ناصر بو نصير وله أوقاف.

ونقول في ذلك لقد ورد في سياق الخبر اسمان الأول تقي الدين الجبلي أو الخيامي والثاني يوسف ابن يحيى في إشارة منه إلى أن هذين الشخصين من الخيام، ولا ندري مدى صحة هذا الخبر الذي حدث سنة ١٣٨٤ م وهي سنة وفاة الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني.هل حقاً أن هذين الشخصين سكنا الخيام؟.

وبما أن الأمان ضالة الجميع، وهو الشيء المفقود في ذلك الحين، كان على الناس البحث عنه واللجوء إلى كنفه، ومن كان يكلف نفسه بتوطيد دعائم الأمن، كان يتطلب منه الكثير من المهارة

والجد والاجتهاد والتضحيات لتثبيت أركانه وبناء اسواره وقد وفد إلى البلدة عائلات من سوريا والعراق وفلسطين وبعض المناطق اللبنانية(١)، وزائدًا على ذلك حصلت هجرات من فلسطين ومن مناطق جبل عامل كالطيبة وشقرا وجويا والنبطية(٢) مما يدل على توفير مظلة من الأمن والأمان توفرت في بلدة الخيام، ليس فقط في عصر الحاج حسن عبدالله بل في عهد أولاده كالحاج محمد أفندي عبدالله والحاج إبراهيم أفندي عبدالله و أمين أفندي عبدالله التنوخي، الذي عمل على تأسيس جمعية مقاومة سنة ١٩٠٨م(٣) ضد تتريك عرب جبل عامل وسوقهم إلى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل،ووقفته الصلبة ضد التغيير الديمغرافي والتركيبة السكانية للمنطقة، وكما سمعناه مستفيضًا ومتواترًا من الثقات بأن أمين أفندي كان يدفع بدل من المال كي لا يأخذوا أبناء قرية الخيام إلى التجنيد للقتال ضد أعداء العثمانيين ومصالح سلاطينهم(٤)، وما ظهر من تصميم الأتراك العثمانيين على تتريك العرب ومحاولة نقلهم من بلادهم إلى الأناضول ومبادلتهم بالأرمن، وبدأت الجمعيات السرية والعلنية العربية والمؤتمرات لمعرفة مصير هذا البلد، وكان للعامليين وقادتهم ومفكريهم أثر كبير في هذه الجمعيات رغم الإرهاب الذي مورس بحقهم من قبل السلطة، ماذا يعني ذلكَ؟ إلا أن المطلوب هو وقفة عز وقول الحق في وجه الجائر لمنع الدمار. عودٌ على بدء تشير الوقائع والتحليلات أن هجرة أجداد آل عبدالله إلى الخيام لم تكن سوى مرحلة تحمل في طياتها مرحلة الإعداد والتجهيز وجمع وإعداد العدة والعديد؛ بالتحالف(٥) مع زعماء جبل عامل من آل

(١) كتاب "قضاء مرجعيون بلدات وبلديات"، صفحة ٥١.
(٢) مقابلات شخصية تمت في بلدة الخيام.
(٣) كتاب "مطالب جبل عامل"، للدكتور علي عبد المنعم شعيب، صفحة ٥٥.
(٤) حسبك ما جاء في كتاب "حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا تحت عنوان "سفربرلك" من صفحة ٣٤ و٣٥ ما يصيب الناس في جبل عامل من دهشة وحيرة وخوف ورعب كأنه يوم القيامة.. وكذلك ما جاء في كتاب "جبل عامل في محيطه العربي، صفحة ٣٠، للدكتور مصطفى محمد بزي عن المعاناة التي كانت تصيب سكان أهل جبل عامل.
(٥) تحالف قديم منذ وقعة أنصار سنة ١٦٣٨م بين الأمير علي علم الدين آل عبدالله و آل منكر صفحة ٨٣ من كتاب "جبل عامل" لمحمد جابر آل صفا. وكذلك جاء في كتاب "أخبار الأعيان في جبل لبنان" الجزء الثاني صفحة ٣١٢ بأن آل علي الصغير قد وُصفوا باليمنيين، أي نسبة إلى الحزب اليمني الذي كان جل رؤسائه من آل علم الدين عبدالله التنوخي، حيث كان الأمير علي علم الدين الملقب بعلي اليمني من قادته والذي ورث هذه القيادة عن والده الشيخ الأمير مظفر، ومن الأمير علي ورث الأمير موسى قيادة الحزب اليمني وبقي على رأسه حتى غادر واتخذ من بلدة الخيام مقراً له. وقد جاء في كتاب "الجوهر المجرد في تاريخ الأمير ناصيف النصار" للدكتور حسن صالح: أن تاريخ لبنان هو تاريخ لإمارتين: إمارة جبل عامل وإمارة الشوف. والتاريخ الحقيقي للبنان هو تاريخ الصراع السياسي والعسكري بين هاتين الإمارتين: أي بين الأمراء الشهابيين والأمراء من آل الأسعد. أما تاريخ ما بعد سنة ١٨٦٤م هو تاريخ مزوّر هذا ماجاء في صفحة ٥١ من الجزء الأول.

علي الصغير أجداد آل الأسعد لاستعادة ما كان لآل علم الدين عبدالله التنوخي أجداد آل عبدالله في الخيام من حكم على بلاد وادي التيم ومناطق الشوف، حيث كانوا يملكون مئات القرى وآلاف الهكتارات في أماكن مختلفة من جبل لبنان وخاصة في الغرب منه، وقد روىٰ لي شخص أن أراضي أجداد آل عبدالله في الشوف ومناطق متفرقة من جبل لبنان، ما زالت مسجلة بأسمائهم بالطابو العثماني في تركيا وقد يضيق البنك المركزي اللبناني بأسعارها الفلكية لِما تساويه من أموال. هذا ولم يمض وقت طويل حتى كان القدر أسرع من كل التحالفات حين وافت المنية الأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي، تاركًا خلفه ولده الأمير عبدالله ابن البضع سنوات الذي لم يكمل العقد الأول من عمره. فاستقرت ذريته في الخيام فكانت بردًا وسلامًا عليها وعلى محيطها وهكذا قدر الله وما شاء فعل، وكانت قرونهم عبقة بالنجاحات يتناقلها جيل بعد جيل.

في ظل السلطة العثمانية:

قرون التواجد العثماني في المنطقة كان له تداعيات سياسية ضخمة على الواقع اللبناني، فكانت علاقة زعماء آل عبدالله بالسلطة العثمانية وقتذاك كمعظم الزعماء العامليين أمر يمليه عليهم واقع الحال، وذلك باتباع سياسة المماشاة والممالأة رغم أنهم يمقتون الممالأة ويحتقرون التملق، وكثيراً ما تمردوا على هذا الواقع برأس مرفوع وقامة عالية منتصبة، حين أوكل العثمانيون إلى عبداللطيف الأسعد أمرًا بمهاجمة الشوف قال: تظاهرت بالطاعة كان التظاهر بالطاعة بتنفيذ أوامر الولاة والحكام العثمانيين شأن يمليه ويحركه الواقع ضمن تبادل المصالح والسعي كل من الآخر للوصول إلى مبتغاه في عملية معقدة، أكثرها وأهمها هو الوعي والحكمة والإرادة، الإرادة التي تعمل على تطويع وتليين وتمهيد الطرق الوعرة والصعبة في رفع الغبن وقبضة القهر والعسف عن مجتمعات جبل عامل بكل طوائفه، هذاليس تزييفاً في الشخصية ولا هو من مفاسد إنسانيتها وفضائلها. لكن الحذر الحذر من هذا وذاك المستعمر والمحتل (لا ندّعي بأن هذه الزعامات من آل عبدالله وغيرها كان لديها طائرات آواكس وصواريخ عابرة للقارات وتجارب نووية...ترددوا في استعمالها. لا.. لا.. ليس كذلك، كان الواقع يتطلب رجالاً مميزين باستطاعتهم أن يديروا حلبة الصراع على الأرض، دون الانغماس الكلي في تفاصيله الذي يفوق إمكانياتهم وقدراتهم، ولا الوقوف على التلة لنصرة المنتصر وفتك المهزوم. إن تدبير شؤون البشر وحماية الناس وتشجيعهم على الصمود في أرضهم والذب عن حياضهم ودفع المكروه عن ديارهم، هو الهدف في ذلك الزمن الصعب والأسود والمخيف لم يكن في منطقتنا ما يبعث على الطُمأنينة والراحة، ولا على أي شئ من التفاؤل

لا من الداخل ولا من الخارج، كان كل شئ يحيط بهم ومن حولهم ومن خلفهم وأمامهم كان يثير القلق ويبعث على الاضطراب والهم والغم، بسبب مزاج الدولة التي يحيون في كنفها، الحاكمة بقوة السوط والسيف واقع مشبع بالغلاء والفقر وفتن متنقلة وشرور لا ترحم إلى جانب شعوب ينهشها التخلف والجهل والأمية، وكل يوم ينام الناس على والي ويستيقظون على آخر ومزاج جديد وواقع سياسي جديد مدة حكمه أسبوع ليأتي آخر وهلم جرى نكبات يطول شرحها حتى قال أحد الشعراء:

هــذي أمـــور عِظـــام مِـــن بعضهـــا القَلـــب ذائب

مـــا حـــالُ قُـطـرٍ يـلـيـه فـــي كـل شـهـريـن نـائـب

انظر إلى هذه الحادثة التي يصعب تصديقها لترى أخي القارئ نموذج من هؤلاء الحكام الذين مروا بحكمهم على مناطق جبل عامل وغيره، أمثال الطاغية أحمد باشا الجزار هذا المجرم الإرهابي وفي صورة شنيعة عمل على إعدام سبعة وثلاثين امرأة من حريمه بعد عودته من مكة وذلك حرقاً بالنار[(١)].

إذن أية إمكانيات ضخمة يحتاجها هذا الواقع الصعب كي يخفف من حدة صراع العمالقة وانعكساته على الأرض وعلى البشر والحجر، حيث كانت المجتمعات العاملية والخيامية جزء لا يتجزأ من هذا النسيج والبيئة، حيث إن الناس لا تعيش على ظهر كوكب عطارد ولا المريخ بل هم أبناء هذه الأرض وملحها، ومكان ركوعهم وسجودهم وحياتهم ومماتهم. لهم وعليهم السؤال كيف تعايشت كل هذه الزعامات وكل من معهم مع هؤلاء القوم من الأتراك العثمانيين؟؟ الذي قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"الترك أوّل من يسلب أمتي ما خوّلوا"**. وغيرهم من المستعمرين والمحتلين بكل أشكالهم بل تجد بأن هناك نجاحات مميزة من زعماء آل عبدالله تمثلت باستقطاب عارم لكثير من الأسر التي قدمت إلى الخيام بحثًا عمن يحميها ويحمي أرزاقها من بطش المعتدين، ويروى بأن الحاج إبراهيم بن الحاج حسن عبدالله التنوخي قد أعاد الكثير من الأراضي إلى أصحابها الفلاحين من يد العثمانيين بعد أن عجز هؤلاء عن تسديد ما عليهم من مستحقات (الطابو) العثماني، مقابل سند تملك لأراضيهم[(*)]، خاصة بعد إصدار القوانين التي تنظم ملكية

---

(١) كتاب "مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان"، صفحة ٥٤، تأليف الدكتور مخائيل مشاقة، طبع بمصر سنة ١٩٠٨م. وفي كتاب "في الزوايا خبايا"، لسلام الراسي، صفحة ٦٣، مؤسسة نوفل، الطبعة السابعة ٢٠٠٦م.

(*) ذكر لي شخص كان على أخلاق عالية ومهذب جدًا في حديثه وهو من بلدة الخيام: بأن جده لوالدته كان يعمل في الفلاحة والزراعة في أرض تعود ملكيتها لأحد الزعماء من آل عبدالله، وبعد سنوات قليلة وهبه هذا الزعيم الأرض التي كان يترزق منها إكرامًا لأمانته وصدقه.

الأرض في منتصف القرن التاسع عشر من قبل الحكومة التركية. هذا وسوف نروي في الصفحات القادمة من سير رجالاتها، كيف كانوا يتعاملون مع الحركات الاستعمارية التي حكمت باسم الدين وتحت مسميات كثيرة، كانت في ظاهرها بردًا وسلامًا، وفي باطنها نارًا وحربًا وموتًا ودمارًا، والتي تولدت منها مختلف الكوارث القومية. كان التجنيد الإجباري يمثل عبئًا كبيرًا على الناس، وكان يرهق كاهلهم بما لا يطيقون حمله، ويمثل معضلة كبيرة تحتاج إلى إمكانيات استثنائية. دأب أمين أفندي التنوخي على مواجهة حملات التجنيد الإجباري. ومما يروى بأن بعد عهد إبراهيم باشا المصري الذي احتل بلاد الشام ومنها لبنان بين ١٨٣١-١٨٤٠، كان التجنيد على ثلاثة مراحل: أولاً سنة ١٨٦٠م بعد حرب القرم، ومن سنة ١٨٧٢-١٩١٣ بعد حروب اليمن والبلقان، وسنة اندلاع الحرب العالمية الأولى. ومن نتائج التجنيد الإجباري في الجيش العثماني ارتفاع عدد القتلى في الحروب. ونادرًا ما كان المجندون يعودون لأهلهم سالمين. وأعفي كل من دفع البدل العسكري ومقداره ١٠٠٠٠ قرش. وكذلك أعفي الابن الوحيد والمعيل الوحيد. وقد ذكر بأن المرحوم أمين التنوخي أعْفَىٰ الكثيرين من الخدمة. وبسبب هذه الميزة نزحت عائلات كثيرة في أواخر القرن التاسع عشر، واستقرت في الخيام.

بعد كل هذه الصراعات الطويلة من القرون (١٦-١٩)، لا بد أن نقف ونحدد من هو المنتصر. وإن كان ليس هناك منتصر، نقول لم يكن هناك مهزوم. لربما يسأل سائل: ما بالنا بكل هذه القرون؟ وما علاقتنا نحن بالماضي، نبحث ونصنف وننقب؟ نريد أن نتحدث عن واقعنا، دعنا من أيام زمان..مهلاً... مهلاً، لا تنفث دخان سيجارتك، لقد أعميت من حولك. من قال لك بأنك تملك واقعًا قابلاً للبحث؟ أنت تملك نظامًا طائفيًا أو مرضًا معديًا نجحنا كلبنانيين بتصديره إلى كل المحيط، كان نتاج هذه القرون الأربعة. لا يقدر أي شخص مهما علا، ومهما عظم شأنه، ومهما كبر، لا يقدر أن يسقط هذه القرون الأربعة من تاريخ لبنان. وإذا أسقطت هذه القرون من تاريخ لبنان، فيكون تاريخ هذا الوطن في عهدة المنجمين والمبصرين وضاربي المندل. وهذا ما آل اليه واقعنا، فقد زاد فيه عدد المنجمين، وأضحت سياسته بين أيديهم.لا نقدر أن نمضي من دون أن نرى تأثير سياسات القرون الماضية على الواقع .في قراءة بسيطة وسريعة: بعد مذبحة ١٨٦٠م في الجبل، تدخلت حينها أوروبا وخصوصًا فرنسا، فضرب الأتراك على يد المتصارعين بعد أن كانوا هم وراء تأجيج نار الفتنة (راجع من هذا الكتاب: سيرة الحاج إبراهيم عندما أرادوا تأجيج الفتنة في الطيبة بين السنة والشيعة، وتصدى لهم الحاج إبراهيم) وضرب اللبنانيين بعضهم ببعض. وبعد أن

تدخلت الدول الأوروبية وبعد مناقشات ومماحكات كثيرة بين الأروبيين وناظر الخارجية العثماني تم التوصل إلى بروتوكول ١٨٦١م وعدل عام ١٨٦٤م، وعُرف بنظام المتصرفية وهكذا تأسست قاعدة التمثيل الطائفي في مؤسسات الدولة ووظائفها. وقد ارتضاها الجميع بصفة مبدئية وإن اختلفوا في حيثياتها وأساليب وضعها فكانت موضع التطبيق الفعلي وهذه القاعدة الطائفية مستمرة حتى الساعة على ما ترتب عليها من مساوىء ومتاعب وما واجهت من نقد وتجريح، وعندما ولد لبنان الكبير في العشرينات من القرن الماضي لم تكن ولادة محتاجة إلى تصفيق وإقامة الأهازيج لأن الولادة تمت منذ زمن والولد كبر، ولكن كل هذه السنوات كانوا مختلفين حول اسم المولود فعندما وجدوا له الاسم أعلنوا الولادة، ذلك أشبه بحفلة زفاف معازيم وأعراس وأهازيج حقا هو حفل زفاف ولكن المحتفى بهما لديهما أسرة كبيرة، وقع الزواج منذ فترة طويلة ولكن بعد أن اتفقا كيف يسيّرون حياتها أعلنا خبر زواجهما في العلن، يعني بدون طولة شرح قبل وبعد لم يتغير حال اللبنانيين.

معالم على طريق السياسة:

أسلوب الإدارة والحكم والزعامة عند آل عبدالله

إطلالة على وقائع تاريخية رسمت بعض المبادىء والرُّؤى السياسية، تركت لنا انطباعات نحاول أن نستحضرها و نضيف إليها بعض الشروح العملية، من سير رجال لا نستطيع أن نستخف بتراث تركوه لنا، لأنه في بعض الأحيان، فإن مجرى الأمور في واقعنا يؤدي إلى ظلم وإجحاف كبيرين واذا كان البعض في وقتنا الحالي يرى بأننا لسنا بحاجة إلى الأخذ بآراء السلف وسيرهم، قد يأتي آخر من هوبأمسّ الحاجة إلى ذلك.

نقول كانت سيرهم ممارسة فعلية،مشبعة بالتجارب بمختلف تناقضاتها في واقع ينشد الحاجة إلى تحصين نفسه وإلى لعب دور لا يقل عن أدوار الآخرين..يكون على قدر أهل رجاله،بحيث لا يبقى على هامش التاريخ، فكانت استفاقة ملأت أعماق التاريخ وكللته بمواقف كان لها الأثر البالغ في اثبات عامل الوجود، كان رأس الحربة فيه أفراد التفوا حول قيادة أو زعامة،استطاعت أن تبدد حاجب الضباب، حتى تراءت لهم آمالهم وطموحاتهم ورغباتهم وأحلامهم.

لا يمكن أن تكون طاقة التفكير في عزلة عن ممارسة دورها الفعلي، وتعيش متقوقعة تقتات على رومانسيتها، بل علينا أن نهبط بها إلى أرض الواقع، لتتصل الروح بكل ما تحمله من قيم نبيلة مع الجسد الذي يمثل حركة عبورها، فكل واحد منهما يحتاج إلى الآخر كاحتياج الجسم إلى القدمين،

وهذا ما ينطبق على السياسة، فإذا كانت السياسة نتاجًا فكريًا فهي بحاجة إلى مختبر، فالواقع هو ساحة مختبرها إلا أنها تحتاج إلى آليّة تضبط أداءها وتوجهاتها وتترجم نظرياتها وفلسفاتها. والآليّة هنا هو الإنسان أو رجل السياسة فدرب مسؤوليته طويل وشاق، فإذن أي مهمة تنتظر هذا الإنسان الذي سوف توكل إليه هذه المهام، بعد أن توفرت فيه شروط القيادة؟ السؤال هل هو جدير؟ وكم هي مقدرته على المواجهة والتحدي والصبر والتضحية والبذل والعطاء والسخاء والكرم و..و..و...؟؟ المعركة إذن تحتاج إلى كل هذه المواصفات، إلى كل هذه العناصر والشروط، إلى إنسان يصنع، إنسانٍ يبني، إنسان يعطي وأن يكون صاحب إرادة وإيمان وتقوى لمواجهة الجور والظلم، في واقع مرير بحاجة إلى هذه النوعية من الرجال، واقع لا يحتاج إلى رجل يعاني من ارتفاع نسبة اليأس والضعف والخوف في دمه، نحتاج إلى رجل شجاع حر يحسب له العدو ألف حساب، رجل قادر على خلق الروح القتالية في النفوس، رجل يوظف ما لديه من إمكانية معنوية ومادية استعدادًا للمواجهة. إذاً هي معركة نستطيع أن نصفها بأنها معركة إعداد عدة وعددًا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالبعض بكل أسف عندما يريد تعلم السباحة يقرأ كتابًا في فن السباحة، وهل هذا كافٍ لجعله سباحًا أم هي محاولة انتحار ورمي النفس في التهلكة، أو الانسحاب بمجرد رؤيته الأمواج العاتية يولي الأدبار هاربًا، أو إذا أراد شخص أن يكون بطلاً هل يقرأ سيرة عنترة بن شداد، ويستل سيفه ويتجه مسرعاً إلى أرض المعركة، لكن ماذا يحصل؟ هلاك في هلاك. وإذا ما رأى رجلاً قويًا مفتول العضلات، رمى بعدته وهرب. إن إشباع النفس وخداعها بتبريرات واهية، عمل لا يقوله عاقل، ولا يمكن أن يبنى عليه، وهو ضرب من الجنون والغرور، وانتفاخ في غير مكانه أن يبْلُغ المرء ماهية مراده. يقول أحد الفلاسفة :إن أفضل طريقة لإخراج المرء من حلم اليقظة، وجعل قدميه على الأرض، هو أن تضع على عاتقه مسؤولية كبيرة.

أخي القارئ لماذا تزداد نبضات قلبك عندما تتخيل نفسك وقد اخترت لهذه المهمة؟ نعم هو هول المسؤولية الثقيلة التي تطوق عنق الإنسان هو رعب الواقع والأمانة الكبرى قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، نعم حمّل الإنسان الأمانة رغم علمه بالمسؤولية والحساب والعقاب، إذن هي مسؤولية وتحمل عواقب هذه المسؤولية، طبعًا هي ليست نزهة إلى حديقة لجني الأزهار وقطف الثمار بل لخوض الغمار غمار يتعدد فيه الفرسان

ولا يثبت إلا يعسوبها لكن لا نرمي بأنفسنا إلى التهلكة ونقول نحن أبطال لا نخاف: هذه سياسة تُمارس في ألعاب السيرك فقط، ولكن الذكاء أن نجتنب التهلكة قبل أن تصيبنا سهامها أو نخرج منها بأقل الخسائر. عندما أتى إبراهيم باشا غازيًا بلاد الشام - ولبنان جزء منها - عام (١٨٣٠-١٨٤٠) كان يعبر بجيشه الجرار القوي، المكون من آلاف الفرسان الشجعان ناحية منطقة "الخيام" وهي الأقرب في طريقه نحو الداخل اللبناني. وقتذاك، رفض الحاج حسن عبدالله مبايعته، لكن بطريقة تليق به ولا تغضب الغازي المحتل: ماذا تقول؟ هل هي سياسة أم تهلكه أم هي استسلام؟ "سميها مثل ما بدك"، ولكن ماذا كانت النتيجة أخي الكريم، انتبه: بعد عشر سنوات من هذا الحادث خرج إبراهيم باشا مهزومًا مذلولاً معلولاً. يومها نظر الناس إلى الحاج حسن عبدالله نظرة المؤمنيين، إلى أنبيائهم، حين عادت طلائع المنتصرين تحج إلى دارة الحاج حسن عبدالله، لتنهل من رجاحة عقله، الزيارة التاريخية لأمراء الحرافشة، يومها اعتبر الكثيرون بأن ما قام به الحاج حسن عبدالله-قدس سره-كان خطأ لأنه لم يبايع ابراهيم باشا القائد، ولم يسمح وقتها للناس بأن يستقبلوا غازيًا لديارهم بالزغاريد والورود... وإلا لكان الناس قد عاشوا يومها عيشة راغدة وحالة من الاسترخاء. وعندما انهزم الباشا حمدوا الله على ما قام به الحاج حسن عبدالله، فالنظر إلى هذه الحقيقة الجوهرية يبين لنا بأن الإنسان افترق عن الكائنات الأخرى بالعقل، وكذلك افترق عن أخيه الإنسان بالعقل، مع العلم بأن لكل واحد منهما عقله، فالذي لايملك رجاحة العقل أو هذه الآلية أو هذه السياسة يسقط بأول اختبار له، ولكن من يصْغي إلى نداء العقل يهتدي إلى حسن السبيل. وهناك أمر بغاية الأهمية تعقيبًا على ما نحن بصدده، أرى الأفكار تتلاقح تلقائياً وتلح بطرح السؤال التالي: ما صحة ما تقوله عن أن الإنسان افترق عن أخيه الانسان بالعقل، مع العلم بأن لكل واحد "عقل بيوزن بلد"؟؟ نعم كلام سليم ورائع، لا أريد أن أجيب عن هذا السؤال بسؤال، ولكن أريد أن أوضح مسألة "هذا طبيب ناجح جدًا" و"فلان طبيب ناجح جدًا": الأول يساعد الفقراء، والثاني يمص دم الفقراء، تعادل مهنيّ واختلاف ثقافيّ" لأن أهم عنصر محرك للإنسان هو ما يملكه من ثقافة زوّدته بها بيئته وخلفيته التاريخية. هنا الحاج حسن عبدالله عبر عن موقف رافض للغزو بعقل يستند إلى ثقافة، والثقافة ليست بين ثنايا الكراس بل في الراس، وبالبيئة التي نشأ فيها الإنسان وترعرع، ثقافة الأخلاق والفن والذوق والشجاعة والمروءة. وعندما وقف وعارض كان يقول: يا أهل لبنان انتبهوا إلى هذا الغازي. كان لندائه وقعا، وإلا لو أراد بإمكانياته المتواضعة والقليلة جدًا أن يواجه، لكان حُمل الناس على ظهور البغال ونقلوا إلى صعيد مصر، يعملون بالسُّخْرَة. (سخرة:

عمل يُعمَل قهراً من غير أجرة). هذه تهلكة، ولكن أخيرًا هزم إبراهيم باشا. قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**".فعندما سبق لسان الحاج حسن عبدالله يده أثمر نصرًا، وكان نداؤه ثورة حسينية في جبل عامل، وسوف نأتي على ذكرها. فعندما تم إعداد العدة بالرجال والسلاح ماذا حصل عام ٢٠٠٦م. للعدو الصهيوني؟ بدون إعداد العدة تبقى المقدرة ضعيفة، وسوف يبقى الناس يعيشون من هزيمة إلى هزيمة، مما يسبب يأسًا واحباطًا وتبلدًا وتقاعسًا وحالة من الفتور التي تؤدي بالجميع إلى الافلاس. كل هزائمنا التاريخية كان العدو بذكائه يستدرجنا إلى معركة أعد لها العدة.

رفض الحاج حسن أن يسقط بالاختبار ولكن قرر أن يخرج منتصرًا بأرجح الحلول يا أخي، هل تريد أن تأكل العنب أم تريد قتال الناطور فتقع في فخ القتال؟ إن السير في الطريق القويم يكتب له النجاح يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٧]، أولو الألباب، أي: أصحاب العقول الحكماء الوجهاء والحل والعقد.كانت المؤسسة الجامعة آنذاك هي مؤسسة الفرد، في ظل غياب مؤسسات الدولة المستقلة. وكان ملفتًا للنظر أن قوميتهم العربية هي محور شخصيتهم، مقابل التطبيع الكلي للغة التركية. وكان ظاهرًا بأن العامل الديني يمثل أبرز تكوين ملامح الشخصية القومية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، من منطلق الشعور بالثقافة الدينية واللغة العربية، مثل القرآن الكريم مصدرًا حيًّا من مصادر عروبتهم، ومصدر إلهامهم واعتزازهم بلغتهم.

إنّ كل غازٍ ومستعمر كان يضيف معولاً إلى معاول الحاقدين، ليزيد من حجم الهوّة وعمقها في بلادنا، مما يتطلب عزيمة استثنائية وإرادة صلبة لردمها. فكم من أوطان انتهت وتلاشت تحت قبضة سنابك معاولهم. إن الصمود الأسطوري للناس في مناطق جبل عامل، في وجه الحاقدين والجلادين والمزايدين على الأوطان أفشل الكثير من مخططاتهم، مثلما عمد المستعمر في أحداث الخيام عام ١٨٩٤م. إلى النفخ في كور الفتنة بين أهل وادي التيم – الذين هم إخوة لنا – والجوار، ليتراجع بعدها أمام الحشود الهائلة من أبناء جبل عامل في الخيام سببه قادة عظماء أمثال: الحاج محمد أفندي عبدالله، والحاج إبراهيم أفندي عبدالله اللذان لم يتهاونا ويساوما ولم يعبرا التاريخ كالمتفرجين من مدرجات اليأس والإحباط والخوف والتردد على إحداثه، بل صنعوا الكثير من الأحداث التاريخية قد يراها البعض صغيرة ولكن وحده الخصم ذاق وجعها ويعرف قيمتها

ويقدرها حق التقدير وكذلك المدركون لقيمة هذا العمل. عندما استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) كثير من الناس سمعوا الآذان، توضأوا مثل كل يوم استعدادًا للصلاة ولكن قليل منهم عندما سمعوا الآذان ماذا قالوا ؟؟ استُشهد الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل أن تبقى مآذن بيوت الله تصدح بالأذان، ويبقى الإسلام النقي، الإسلام المحمدي.

تعليقًا على حادثة الخيام يقول الأستاذ كامل فاعور: "جاءت حادثة الخيام التي ألقت أضواء جديدة على أهمية الموقع الاستراتيجي لهذه البلدة وخصوصًا نسيجها الاجتماعي، وعلى تطورها الذي كان قد تمخض حينئذ عن بروز زعامة فيها راحت تتطلع مع لفيف كبير من الزعامات الصاعدة في جبل عامل إلى إثبات حضورها[1].

قال الفيلسوف ديكارت: " **أنا أفكر .. إذن أنا موجود..**"، بمعنى يستطيع الإنسان أن يُمنَع عن الكلام لكن ليس هناك قوة بالعالم تمنع الإنسان عن التفكير. عندما يفكر الإنسان يخاطب نفسه أو يخاطب غيره، فمن عجلة الفكر تأتي الفكرة ويأتي الجهد، ومن جهد الجهد يأتي العمل، ومن العمل يأتي الإنتاج. فهي سلسلة متواصلة في العطاء بغض النظر عن نوع الإنتاج، إن كان نووي أو فني أو غيره. ونقول نحن موجودون إذن بسبب ما أوجده لهذا الوجود ما سبق وجودنا، وهم اسلافنا المؤسسون الحقيقيون لما نحن عليه اليوم، وإلا كنا اليوم في مناطق الدرديل وأذربيجان وعلى شواطىء بحر إيجة نصطاد السمك ونبيع الكافيار بقايا من جنود جاهدوا تحت راية السلاطين العثمانيين. إن الذين عاصروا تلك المرحلة وحدهم يدرُكون معنى الحياة، وعرفوا قسوة المعاناة، وذاقوا شتى الويلات، ووحدهم كذلك يعرفون دور القادة العظماء. ما أسهل أن نقطف الثمار، وما أطمعنا أن نختار أحسنها وأفضلها! ولا يخطر على بالنا أن نسأل أنفسنا عن الغارسين الذين بفضلهم نجني هذه الثمار. فتقييم واقعهم لا يتطلب الاستعجال، فالحكم على السلف وما مثله من زعامة وقيادة يتطلب منا الانصهار النفسي والشعور الحسي والذوبان في بوتقتهم الزمنية، لأن كل جيل له تفكيره المعين، تفرزه وتحدده ضرورات الحياة ومقومات العصر... لا يمكن أن يقف شخص وقدميه على شاطىء البحر، ويهزأ بربان مركب يقارع أهوال الأمواج العاتية، مقلّلًا من مهارته وتفانيه في إيصال المركب إلى بر الأمان بكامل حمولته. وكذلك لا يمكن أن يتكلم أي شخص نما وترعرع في بحبوحة العيش، في ظل طفرة اقتصادية وثورة معلوماتية يعيشها اليوم عن

(١) كتاب "عروس المرج" صفحة ٧٥.

سلف ومجتمع عاش نقيض المجتمع الحالي. إذن لا يمكن أن نخرج بخلاصة مقبولة وعادلة إلا اذا كان ما مضى من زمن يقع بمجمله تحت مرمى بصرنا وفكرنا، بكل جوانبه وأطرافه المترامية بأقصى بُعدها (زوم آوت).

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. ففي عام ١٩١٨م عندما عمت الفوضى مناطق جبل عامل، وارتفعت أصوات الخائفين والمرعوبين من شبح الفتنة التي كان الجميع يتخوف منها، وقف الحاج محمد أفندي عبدالله بسيفه ليدافع عن المسيحيين، ليس بمنة منه وإنما ما يمليه الواجب الديني والإنساني، ووضع لهذا الغرض الشبان المسلمين على مداخل القرى المسيحية لتأمين الحماية لهم، حين وقف ضد بعض المتحمسين من المسلمين المقتنعين بأن فرنسا جاءت إلى لبنان لدعم المسيحيين ضد المسلمين. نعم هكذا عمد الفرنسيون إلى التشويش على العقول، وفي كثير من الحالات بصب الزيت على النار وإذكاء لهيب الفتنة، ولكن كان الحكماء لهم بالمرصاد كثيرون من الذين لاموا الحاج محمد عبدالله على هذا الموقف، ليعترفوا له لاحقًا بكثير من الإعجاب عندما نجىّ المنطقة من أتون الفتنة والصراعات المذهبية..هنا يصح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أشرنا إليه آنفًا: إذا سلم الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة .. نعم لا يسلّم الأمر لأي إنسان معجب بنفسه، نبت الشعر تحت إبطيه فصعد إلى سقف منزله استعدادًا للطيران، وإلا غرقت سفينة المجتمع بكل حمولتها، ويبقى شيء مهم ومهم للغاية فلا يمكن أن يستمر النجاح إن لم يُفعّل العمل الأخلاقي، ويكون طريق الحياة القويم إلى النجاح، ولا الشجاعة وحدها كافية، فالتواضع سر نجاح الانسان.كانت ميزة الخيام الكبيرة والوحيدة هي براعة قياداتها السياسية ووعي زعمائها الأشاوس.

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّ له الجبابرة ساجدينا

كانت ممارسة السياسة تتطلب ممارسة سلطة وبسط نفوذ، باعتبار الواقع مضماراً للنجاح أو الفشل، بغض النظر عن حدود وجغرافية النفوذ، حيث لا يقترن النجاح في الكبر أو الصغر للولاية والسلطة والإمارة والنفوذ، ولا هو معيار لأن إذا حفرنا عند جذور ماهي عليه الصين الآن من عظمة لوجدنا بأن حضارتها العظيمة نشأت من سهل صغير في شمال الصين وحوض النهر الأصفر، وعلى ضفاف هذا النهر كانت نشأتها على يد أسرة (تشو). الانخراط في الحياة السياسية يتطلب سلوكًا راقيًا يمثله عمل أخلاقي بامتياز يسعى لبناء منظومة إنسانية نبيلة. بالتأكيد

لا نتحدث عن سياسة اليوم فالسياسة اليوم حرفة ومهنة واكتساب دراهم وبحث عن ماء وكلأ، وإذا ما نضب الماء وجف الكلأ صحبه موجة من قلة الحياء جابت تبحث عن مرعى جديد لها، ولكن سياسة الأولين هي الضرب في بواطن الأرض بسواعد قوية لإخراج مائها وحرث وجهها لإخراج كلئها وحيّا الله أناسًا يأكلون مما يزرعون. سياسة الأولين تبسط العدل وتحمي الضعيف وتحارب الظلم وتحرس الطريق وتخيف العائثين فسادًا في العباد، فأثبتت جدارة وتفوقًا في التعامل مع حقائق الواقع لأن أصحابها على قناعة مطلقة بأنهم لا يتعاملون مع الأحلام، وليست سياسة تُسخّر الأقوياء من أجل أن يهنأ الضعفاء، بل سياسة أقوياء يخدمون الضعفاء، كان أهلها أصحاب تقوى وسماحة ومن بيت له كرم النسب العريق، وليس فيهم لؤم الثروة من أجل الثروة، ولكن ثروة كانت تسخر لخدمة الناس والمجتمع. ولم تكن الجامعات والمؤسسات التعليمية مسؤولة عن هؤلاء السياسيين، بل هنا السياسة التي مارسها زعماء آل عبدالله هي جزء من شخصيتهم التي تكونت عبر مراحل تاريخية طويلة من الحاكمية، تمثلت بمراحل وتعدد هجراتهم من بداية القرن الميلادي الأول. وما نحن بصدد التحدث عنه هو واقع تواجدهم التاريخي في بلدة الخيام، وتأثيرهم بسياسة المنطقة والمحيط عبر ما مارسوه من سلطة، وما بسطوه من نفوذ منذ السنوات الأخيرة للقرن السابع عشر، والانطلاقة الأولى للقرن الثامن عشر، وتلاهما القرن التاسع عشر، بهذه القرون الثلاثة تأسس وجه المنطقة وتكونت هويّتها السياسية والعقائدية ورسمت معالم سياستها المستقبلية، وحددت جغرافيتها وتأسست مجتمعاتها التي نحن جزء منها اليوم بفضل أمثال هؤلاء الزعماء الذين حافظوا على السياق التاريخي وجاهدوا حق الجهاد كي لا يخرج الناس عن مساراتها بفعل القوى الحاكمة، وأن لا يعيشوا غرباء في أوطانهم، فاستقطبوا الكثير من الأسر التي لجأت إلى "الخيام" في بداية القرن التاسع عشر. انجذب إليها الناس مما أثرى هذا الانجذاب المجتمع الخيامي حين أضحى مجتمعًا متعدد السمات منفتحًا وواعيًا فاق وعيه مجتمعات كل البلدات المحيطة. أخي: أن تجد مكاناً آمناً وتضرب في بواطن تربته أوتار استقرارك، لتفسك وعيالك وأهلك وأسرتك، فذلك منتهى الراحة الإنسانية وأسمى آياتها وغاياتها، وما حياة الإنسان وسروره وفرحه يسبقه مكابدة وجهاد وعناء وابتلاء في هذه الدنيا ليحظى بحياة فضلى ومكانٍ آمنٍ..يقول أحدهم تأخذني الرغبة في السفر إلى مكان أجد فيه مكاني...ولكنني لم أجد مكاناً في العالم.وهأنذا أنتمي إلى جيل قارب في هجرته على النصف قرن بحثاً عن حياة آمنة لنا ولعيالنا،

لأننا نقيم في وطن(لا دق فيه جرس ولا طن فيه خرز). إن مَن ترأس هذه السياسة أصحاب خلق وتقوى وإيمان وعزم وصبر وضمير إنساني حي، ولسان حالهم يقول: لو وضعوا الشمس في أيماننا والقمر في أيسارنا ما تركنا أمر أهلنا، ولا تخلينا عنهم في واقع مضطرب وغير مستقر، واقع كان يفوق بمرارته مرارة العلقم كانت مؤامرات الاستعمار والأعداء كثيرة، خاصة وأن سلطة العثمانيين السياسية معظمها ثقل على الناس ونير على رقابهم، ولم تعد خلافة بحق كما صوروها في بادئ أمرها بأنها خلافة المؤمنين .فلذلك ليس هناك شيء سهل وهين، واقع يحتاج إلى مراسٍ سياسي وخبرة عملية لها قنواتها الخاصة وتشعباتها وخصوصيتها المثقلة بالتجارب والمتخمة بالخبرة. هذه الخصوصية ليست دعوة للتمييز عن الآخرين وإنما خصوصية صاغتها عوامل موضوعية تأثرت بالتكوين الجغرافي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي، وليس كما يفهمها البعض بأنها خصوصية استعلاء وتفاخر. ليس كذلك يا أخي، مهلاً... مهلاً فإنهم لم يدعوا الاستعلاء، فهم أكبر من أن يقولوا ذلك لأنهم جماعة جبلوا على التواضع. ولا يسعنا إلا أن نقول بأن واقع الحال وقتذاك لا خيار لأحد فيه سوى مقاومة شروطه وتداعياته وعدم الرضوخ له، فكم من نوائب الخطوب ساقتهم نحو المنايا وقارعوا الدهور بكل سرور وصمدوا. كان واقعاً يتطلب إدارة أزمة بنجاح وبأقل الخسائر ليس أكثر. وحتى في أيامنا هذه مازالت حلول المشاكل تأتي عن طريق شيخ الربعة أو شيخ العشيرة. وهذا ما كان يسبب قلق وعدم رضى للكولونية السياسية بكل حركاتها الاستعمارية والتي كانت تراهن على تفكك المجتمع وإضعافه وتفريغه من محتواه الثقافي، والدفع به نحو الهاوية والتهلكة عبر الحروب الجانبية. كانت تتفاجأ هذه الحركات على مقدرة القادة المحليين على منازلتها باستنفار مجتمعها بوقت قصير وقياسي، وهذا من الصعب على أي شخص القيام به ما لم تتوفر فيه شروط القيادة لمعالجة آفات كانت تنذر بخطر قاتل على المجتمع. فالمشهد السياسي لأي مجتمع يحتاج إلى رجل شجاع يصيغه. حقًا ما وجدناه مدون في بطون الكتب، وما روي لنا أماط اللثام عن مناقب وأحداث ونجاحات حققتها أسرة آل عبدالله كرجال دولة ورجال مجتمع، من خلال حرصهم على الانتقال بالمجتمع الخيامي في بدايات النصف الثاني من القرن الثامن عشر، على يد المرحوم الأمير أبي حسن محمد ابن الأميرعبدالله ابن الأميرموسى علم الدين آل عبدالله التنوخي (والد الحاج حسن عبدالله) من تركيبته التي غلب عليها التقوقع والنأي في حيز جغرافي ضيق، بعيدًا عن أي دور سياسي أو عسكري (إلى فضاء أوسع وأرحب كان من أهم نتائجه هو التغيير في موازين القوى،

الذي منح الخيام دورًا متقدماً ومقعدًا أماميًا في جبل عامل. استمر هذا الدور في التوسع وكان فِي أوْجِ عَظَمَتِهِ،ومَجْدِهِ على عهد أبي علي الحاج حسن ابن الأميرمحمد ابن الأمير عبدالله طيب الله ثراه ورضي الله عنه والحاج حسن ليس جدًا لآل عبدالله فقط، بل جد الخياميين جميعاً، فقد تزوج من ثلاث أسر خيامية معروفة بقدمها: آل مهدي وآل شقير وآل أبوعباس، فأولاده وأحفاده إلى يومنا هذا يشكلون طلائع الجيل السابع في الخيام. وإذا ما أخذنا بالأجيال السابقة لأجداد الحاج حسن عبدالله نكون على مشارف الجيل الحادي عشر لهذه الأسرة الكريمة، وهذا ما عليه إخوته الأربعة. وقد أدى هذا الدور فيما بعد إلى المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار على أرض جبل عامل(الجنوب اللبناني)، من خلال العمل السياسي الذي تواصل بأولاد الحاج حسن أفندي عبدالله وأحفاده، مما أغنى هذا المجتمع وأدى إلى اكتساب سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة للاضطلاع بأدوار اجتماعية مهمة، فاق العمل السياسي إلى الأدب والشعر، وأنشأوا علاقة بين الشعر والسياسة بل وزاوجوا بين السياسة والشعر ليتمكن المجتمع بعد ذلك من الاندماج والانصهار في مساحة اجتماعية واسعة وشاملة، تجاوزت جغرافيا "الخيام" كبلدة وأصبح مجتمعًا محررًا من قيود قوى الأمر الواقع إلى حدٍّ ما. بالطبع لا أتحدث هنا عن صراع الحضارات والصناعات الثقيلة على أرض جبل عامل (الجنوب اللبناني)، وإنما نبرز الحاجة إلى هذه النقلة النوعية والتي أقل ما فيها أن نصل إلى مستوى المشاركة مع المحيط، بل تجاوزنا مستوى المشاركة إلى صنع القرار الخيامي بامتياز. أقول هؤلاء رجال يرفضون أن يعيشوا على أطراف المجتمعات، لأن مسؤولياتهم تحفزهم لحضور الأحداث الكبرى. فهم ملزمون إذاً ليس من منطلق العنتريات ونفخ الصدر، يا أخي: هذه ليست لعبة، هنا يتحدّد مصير أوطان، نكون أو لا نكون. من هذا المنطلق ومن هذا المنظور نتكلم، لا نتكلم عن الأسرة الفلانية أو العلانية. يقول الأستاذ محمد حسن محمود عبدالله في دراسته: بأن أحد الخياميين الطيبين اشتكى إلى مأمور الدورية التركية، قال له: لماذا كلما دخلت الخيام بعسكرك استرحتم بدار الحاج محمد أفندي عبدالله؟ أوليس في الخيام غيره؟ قال له مأمور الدورية: وماذا تريد؟ قال الخيامي: أريد وابتداء من غدٍ أن يكون منزلي استراحة لك ولعسكرك، أنا لست أقل شأنًا عن الآخرين. قال مأمور الدورية: أبشر يا أخي، من غدٍ ان شاء الله. فلم يمض أسبوع على دعوة المأمور وعسكره إلى داره حتى سارع الخيامي إلى دار الحاج محمد أفندي مترجياً متمنيًا عليه أن يستقبل العسكر العثماني مرة أخرى في داره، فقال له الحاج محمد: تنازلت لك احترامًا لرغبتك قال: يا حاج محمد لم يبقَ في غرفة المونة ما يكفي أسرتي لأيام، حتى علف الدواب شارف أن ينفذ لكثرة خيولهم ودوابهم، وفي رواية أخرى

قال له الحاج محمد أفندي: هل تعلم خلال هذا الأسبوع بان العسكر العثماني تعرض لعدد من شباب الخيام، ومنعهم من العمل والتجوال، وأنا أطالبك بأن تعوّض هذه الأسر الخيامية مما لحق بها من أذى. خرج الخيامي وهو نادب حظه الذي أوقعه في هذه الورطة.

كان المرحوم بإذنه تعالى الحاج حسن عبدالله يعتبر سكان الخيام أسرة واحدة، من منطلق ما أشرنا إليه سابقًا رافضًا أي وجود لمؤسسات ذات طابع حكومي وقتذاك، وذلك لعدم إفساح المجال بدخول غرباء إلى الخيام، إلى هذا الحد كان الحرص على الخيام وأسرها. ومما يذكر بأن الحاج حسن قدس الله سره اتخذ قرارًا بعدم السماح للعثمانيين بأن يقيموا سرايا في الخيام. وعندما سئل لماذا رفضت إقامة سرايا في الخيام قال: لا نريد أن يدخل الغرباء إلى الخيام ونوافذنا مشرعة على الطرقات، (فلنبقِ على أهلنا أحرارًا في ممالكهم ولا نقيد حركتهم بحركة الآخرين). تمهل أخي القارىء ولا تستعجل بتقليب صفحات الكتاب وتقول: قرأته. هل دققت بذلك الحديث أو القول؟ فوالله إني أحفظ هذا الحديث منذ زمن طويل، قاله لي والدي رحمه الله. ولكن المشكلة أين؟ لو كان الحاج حسن قد ولد في ألمانيا أو فرنسا لأخذ مفكرو الدولتين هذا الحديث وألّفوا منه عشرات المجلدات عن حقوق المرأة، ولقالوا: قال الفيلسوف الفلاني.... وقال: الفيلسوف الفلاني... حتى تتهتك طبلات آذاننا.. عندما قال الحاج حسن قوله هذا، وجعل من المرأة الخيامية وغيرها مَلِكات، وجعل من منازلهن، خدوراً لهن وحافظ عليهن (صلوا على محمد وآل محمد). بالوقت الذي كانت المرأة آنذاك سلعة تُباع وتُشترى بأبخس الأثمان في شوارع أوروبا، وقبلها كيف حرقت (جان درك).

قال الحاج حسن مقولته هذه عام ١٨٨٠م.نعم أيها القوم، أيها السادة، أيها العالم. هذه هي حقوق المرأة. ما أحوج العالم إلى أمثالك أيها المربي العظيم والفيلسوف المبهر والشيخ الجليل، لأن تقف على منبر الأمم المتحدة خطيبًا تُعلّم هذا الكون معنى الحقوق والقانون والأخلاق وتجعل من "بان كي مون[١]" تلميذًا جالسًا على كرسيه بصمت، مكتوف الأيدي يصغي إليك، ويتعلم كيف تُعَامل الشعوب. يومها انبرى ولده الحاج محمد أفندي ونقل سرايا القائم مقامية من "كفركلا" إلى "جديدة مرجعيون" ولم ينسَ أهل الجديدة هذه الخدمة الكبيرة، ومازالوا يحفظون هذا الجميل للحاج محمد أفندي.

في عصر الصراع على النفوذ لم تتعرض الخيام لأي غزو أو هجمة كما حصل لبعض القرى

(١) بان كي مون، هو أمين عام الامم المتحدة حالياً، زار لبنان في أواخر شهر آذار ٢٠١٦م.

المجاورة لها، وما دار فيها من أحداث وكوارث على مدى سنوات، كحرق جديدة مرجعيون في العشرينات، وأحداث حاصبيا بقيت الخيام عصية على الجميع. هذا وجاء في تاريخ حاصبيا نص الرسالة التي وجهت إلى وجهاء آل عبدالله في الخيام للتّدخل في إعادة الهدوء، ولملمة الوضع في حاصبيا وبعض قراها عندما تدخل مسيحيو الخيام في شؤون حاصبيا مع القوات الفرنسية.مثّل آل عبدالله بيضة القبان التي تحفظ التوازن الاجتماعي في تركيبته الطائفية والديمغرافية والمناطقية. قال الخليفة العباسي هارون الرشيد: (أمطري أينما شئت فسوف يأتيني خراجك). ونقول اذهبي أيتها السياسة والزعامة، وحلقي حيث شئتِ.فطوبي لكم أيها الأجداد، لقد منحتم هذا الكون سلامًا ووئامًا رغم خبث اللئام، وما زالت أسرة آل عبدالله إلى يومنا هذا تُمثِّل دافعًا معنويًا وحالة من الاستقرار، وذلك لحساسية التركيبة الاجتماعية لمنطقة الجنوب اللبناني. مهمًا تعددت الهويّات السياسية تبقى بحاجة إلى مصل يحفظ توازنها ووجودها، وعكس ذلك هو ارتكاب فداحة سياسية وهروب من التاريخ، أو هي جنحة ومخالفة لمنطق التاريخ، لأننا بكل صراحة وجرأة ما زلنا نعيش الماضي بكل أبعاده، إن كان على مستوى المجتمع أو على مستوى الأمة. وهذه حقيقة، ومهما استُعمل من مساحيق تجميلية ومكياج ورتوش لتغيير مظهر الواقع لا يجدي نفعاً، لأننا بصراحة في مرحلة انفصام وعدم انسجام بين الشكل والمضمون. للأسف ما زلنا نؤمن بأن مفهوم الدولة وتعريفه في ثقافتنا ووعينا هو: السلطان والوالي والملك والرئيس والزعيم والبيك ورجل الدين والأفندي، ولانملك تفسيرًا آخر نُعْرّف من خلاله مفهوم الدولة بأنها دولة المؤسسات السيادية، ونحن نعيش في القرن الواحد والعشرين. يقول أحد التنويريين: بأن مجتمعاتنا تعيش حالة من تقديس السلف أو تراث الأجداد أو حضارة الأمة، وهذا لعلة كبيرة تمنع أي ثقب تنويري من أن يتخلل عباءتها الأصلية، هذا على حد تعبير المثقف التنويري. أولاً نحن معك أيها التنويري لكن ما البديل؟ وأين البديل؟ مشكلة كبيرة يواجهها المواطن اللبناني أو العربي، لكن مشكلة اللبناني أكبر بنظامه الطائفي. عندما يتحول المؤرخ إلى شاعر يصيغ التاريخ بلغة الشعر الرومانسي طارحًا الكثير من الأفكار الجميلة والمفيدة، لكنها في النهاية خيط دخان أو سراب يحسبه الظمآن ماءً.. نحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، هل لك أن تدلنا على نموذج عاش فيه هذا المواطن بكامل وطنيته؟ متى ؟؟؟ عصر التتار، عصر الصليبيين، عصر المماليك، عصر العثمانيين؟ يا أخي: خرج العثمانيون بعد ٤٠٠ سنة (١٥١٥ـ١٩١٨م) لم يستطيعوا خلال حكمهم الإسلامي أن يجمعوا الناس على كلمة

سواء تقول لي في السنة الفلانية، في العهد الفلاني، أقول لك عندما خرج العثمانيون تنفس اللبناني والسوري والمصري واليمني والخليجي الصعداء، ليكتشف بأن كل واحد منهم يحتفظ بهويته، ولم تستطع هذه الدولة أو لم تسعَ بالأحرى أن تجمعهم تحت مسمى واحد او هوية واحدة أو دولة واحدة، أشبه بمزج الزيت والماء: أن هززته حسبته مزج وإن وقف هزه عاد الماء ماء والزيت زيتًا. إن مساحة نظرتنا إلى الخلف يحجبها اتساع مساحة وضوح المستقبل، بمعنى لا ننظر إليه طالما تتضح لنا رؤية المستقبل وإرهاصاته وتباشيره، أضحى ذلك شأنًا بغاية الصعوبة لا تدركه الأبصار ولا العقول. فنحن بحاجة إلى قالب سبك يتحمل تجويفه حرارة عالية تستطيع تذويبنا وتركيبنا من جديد. كثير من كتب التاريخ ترى بأن الكاتب أو الباحث لديه فكر منفتح ونيّر، يرغب بالتغيير ويتطلع إلى المستقبل، طارحًا أكثر من فكرة، ولكن عندما يريد أن يعطي مثلاً يقول: كان لدينا برلمان من أهم البرلمانات حرية وديمقراطية في العهد الفينيقي، قبل ألفي سنة، وإذا به إن خطا إلى الأمام خطوة عاد إلى الخلف مئة خطوة. إن تعثر الواقع الحالي وانسداد افق المستقبل يدفع الكثيرين إلى مغازلة الماضي، أو عندما يريد أن يتحدث عن التعايش الديني يقول: كان لدينا مجتمعًا رائعًا في التعايش في زمن الأشوريين والفينيقيين والكنعانيين، كان لدى كل طائفة منهم آلهة دون أن يختلفوا.. قبل ألفي سنة، إذن نحن عاجزون عن إيجاد مخرج لواقعنا، ونعيش بين جمال الماضي ودمامة الحاضر... تجاوزنا إلى غاية هذا اليوم أكثر من سبعين سنة من عمر استقلال لبنان، وكل مرحلة تلعن التي قبلها وما أن يذهب الرئيس حتى تذهب معه إنجازاته ونعود ونبدأ من الصفر. إن علب الهدايا المملوءة رومانسية ووعودًا لم تعد تفي بالمطلوب، ولا قادرة على أن تمد المواطن بالصبر ولا أن تشحذ الهمم إن غمامة اليأس تلف الجميع بأصفادها، أشبه بمن يقول لك: يا ابن آدم، أنت معزز مكرم هنيئاً لك هذا المقام الرفيع وهذه المنزلة العظيمة، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. نعم قال الله حقًا.. لقد كرّمنا بعقولنا وبهيئتنا وشكلنا وبنعمه التي لا تحصى، لكن أنت أيها الإنسان مَن يظلم أخاه الانسان، الواقع لا يحتاج إلى كلام معسول، بل يحتاج إلى إرادة مسؤول. لم نلاحظ أي تأثير على المعادلة الاجتماعية التي تمثل القيمة الحقيقية للوطن، والتي عمادها المواطن بعد حقبة الاستقلال، بل استعرنا قوالب السبك من جعبة الكولونيليات السابقة بجعبتيها العثماني والفرنسي باعتبار الانتداب الفرنسي، على لبنان لم يكن له شريك في تقسيم الورثة، ولم يورث "للذكر مثل حظ الانثيين" بل كان أنثى واحدة فحصلت على كامل التركة، . تمتع الفرنسي بكامل الورثة العثمانية فيما يخص لبنان، فكان من عماد نتاجها الطائفية، بكل أبعادها وعلى طريقة اللبناني القبضاي جعل لها

مسمى جديدًا: "الميثاق الوطني"، ونظر الساسة اللبنانيون إلى هذا الميثاق باعتباره نصًا مقدسًا لا اعتراض عليه ولا اجتهاد أمام قدسيته، بالتالي أصبحنا أمام مأزق مشابه للدجاجة والبيضة: أيهما قبل الآخر؟ ويطرح السؤال التالي: هل انتقلت الطائفية من النفوس إلى النصوص أم بالعكس؟ إذا كانت الطائفية ظاهرة متأصلة بشرائح المجتمع اللبناني فهذا شأن خاص، لأنها شأن ديني وتعبدي لكل شخص، في هذه الحالة، تخضع لقانون الشخصانية الكينوني المستقل استقلالاً تامًا في وجوده، وتمثل نظرة الإنسان إلى ربه: "**وإنما لكل امرئ ما نوى**"، حديث شريف، ضمن القوانين التي أودعها الخالق سبحانه وتعالى في الإنسان من: صلاة وصوم وعبادة وغيره، الذي يخضع لسلطة الله فلا سلطة عليه من الناحية التعبدية، وهذا لا جدال فيه، فهي بالتالي لا تحتمل أن تدرج بالنصوص القابلة للمساومة لأننا بذلك نخرجها من حالة القانون الخاص الخاضع للمشيئة الإلهية إلى الحالة العامة التي لها قانونها، فأصبحنا أمام قانونين متناقضين متضادين: قانون الله وقانون الانسان، أو إذا صح التعبير أي بين القانون اللاهوتي والقانون الناسوتي، فإنها حالة مستحيل أن تخضع للتداول والنقاش فهي حس وشعور وروح لأن تسربها خارج غلافها الإنساني إلى الفضاء العام كتسرب الاشعاعات النووية.وهل يرتضي أحدٌ أن تخرج الحميمية الزوجية لتصبح على لسان كل إنسان؟ بالطبع هذا انهيار للمنظومة الزوجية والأسرية والمجتمع. إن محور ما يسمى الميثاق الوطني لم يضع المواطن اللبناني أمام ضرورات سياسية متقدمة تدفع به نحو التغيير والإصلاح، بل وضعه في قفص محكم الإغلاق مع آلة الفرم الطائفي، جاعلاً منه مونة لسنابكها وشفراتها. وللأسف ارتضاه البعض ودافع عنه مع علمه اليقين بأنه لعبة الروليت الروسية. وعجبًا كل العجب من البعض الذي يدعي الرقي والفهم والوعي بينما هو على استعداد لأن يقدم ولده الوحيد دفاعاً عن الطائفية، ولا يقدم صوت حق في وجه سلطان الطائفية الجائر وكما جاء في الإنجيل: ((سيكرهون بعضهم بعضاً بسبب الفظائع التي ارتكبوها ولسبب سائر خطاياهم)) (قزحيا:٦ـ ٩) لم أرَ بلدًا لديه ضعف مناعة في المحافظة على مكوناته الاجتماعية، ويشكل لقمة سائغة وسهل البلع لتدخلات خارجية مثل لبنان. منذ مئتي سنة بسبب ثغرة الدفرسوار الطائفي التي وفرت ممرًا آمنًا للتدخلات بحجة حماية الطائفة الفلانية من العلانية. عندما خرجت اليابان من أكبر محنة عرفها التاريخ كان خروجها أسطوريًا من تحت رماد القنابل النووية. خروج باهر وخارق كان بمثابة معجزة عندما تجاوز نمو اقتصادها أكثر دول العالم تقدمًا، مما فتح عقول الباحثون والمفكرين لدراسة هذه الظاهرة الاسطورة، بما حققه

الشعب الياباني. بالطبع لم يجد الباحثين بأن لدى اليابانيين نظام طائفي أسرع في نموها، بل على العكس وجدوا روح الانسجام الوثابة تجاه عمل جماعي صاغته متطلبات الواقع جعلت الحرب من الشعب الياباني فريق عمل واحد ناتج عن العقلية النفسية للفرد الياباني، ليس عن العقلية الطائفية. وكم من عجلة حرب مرت على الجسد اللبناني دون أدنى مراجعة لأسبابها، ولا أحبذ أن يزور باحثون لبنانيون للاستفادة من تجربة اليابان، لأنهم سوف ينقلوا عدوى الطائفية إلى الشعب الياباني الفذ، ويحطموا صناعته، ويحرموا العالم من أعظم تكنولوجيا عرفها التاريخ فاتركوا ما لليابان لليابان وما للبنان للبنان، فلدينا تكنولوجيا يعجز العالم عن فك شفرتها... لقد تعمدنا هذا الدخول إلى عمق الواقع اللبناني لنتعرف أهو واقع بين الماضي والحاضر، أم واقع الماضي أم كلاهما، أو ليتبين لنا خيط بياض الماضي من خيط سواد الحاضر؟ ولماذا يولد الإنسان اللبناني معلبًا طائفياً؟؟ والذي أراد لنا الطائفية أراد سحقنا، فهي المخدر الذي ذهب بعقولنا وتركنا أجساداً خاوية وجثثًا هامدة تقتات كواسر الحروب وجوارحها منها:

سل مضاجعنا عنَّا.. تُنبيكَ بأنها
أدمنت ماء مآقينا..
وأجسادنا الباردة أدمنت حرارة تأوهاتنا
هل سمعت عن شعب مثلنا
يستعجل حفر قبره
هربا من جَور الدنيا
إلى عدالة الآخرة...
هل سمعت عن شعب
يكتب تاريخ وفاته
قبل تاريخ ميلاده
على شواهد القبور
هل سمعت عن وطن
جدرانه من ورق
وسقفه من أعواد الكبريت
يا ترى... تفاحة أخرجت آدم
فمن يُخْرج من وطننا تسعة عشر عفريتًا

أقول: عندما هيمنت القوى الاستعمارية الجديدة في أوائل العشرينات من القرن الماضي على المشرق العربي، ولبنان جزء منه كان واقع حاله كحال أبنائه أشبه بمائدة وحولها توزعت مقاعد المعازيم، وكل واحد منهم يواجه قَصعته، توزعت القِصاع بالترتيب وحصل كل واحد على حصته. إن القوى الجديدة والتي تمثلت بدولتين هما فرنسا وبريطانيا لم يجهدا كثيرًا في ملء المقاعد وتوزيع الحصص على اللبنانيين، لأن من سبقهم كرس هذه الحالة كما ذكرنا. كان للعثمانيين الدور الكبير في تهيئة أجواء الانقسام عندما ألغيت الخلافة عام ١٩٢٢م. وقع التقسيم في الوطن العربي، وجُزِّىء المجزّأ إلى دويلات وضاعت الولاءات المفترض أن تصب في مصلحة الوطن، فارتدّت الناس عملياً بولاءاتها إلى العائلة والعشيرة والمذهب والطائفة. في أيامنا هذه والحرب الطاحنة قائمة في سوريا تجاوزت مدة الخمس سنوات، كانت شرارتها في مارس ٢٠١١م، تتحدث بعض القوى الكبرى عن مشاريع تقسيم والعودة إلى نظام القائمقامية أو نظام الإمارة، نحن بدورنا نأمل أن لا نصل إلى هذه المرحلة، ولكن للأسف كنا وما زلنا كلبنانيين عبر التاريخ عاجزين عن التأثير بأي قرار أممي، ليس لدينا سوى التمتمات المقدسة والصلوات والدعاء...هل استطعنا أن نجد منظومة من الحصانة تمنع الانهيار ؟هل جهدنا لا يجاد مصل يقوي مناعة الجسد اللبناني من الأمراض والآفات المتنقلة؟ بالتأكيد كل واحد منا مطالب بالرد.

ألم نكن عاجزين أمام قرار سايكس ـ بيكو، حين قسّمت المنطقة بين فرنسا وانجلترا؟ اذا وقعت الواقعة لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه. كانت آخر انتخابات نيابية على أساس تحالف الأسر وزعامات العائلات عام ١٩٧٢، وكان الانفجار الكبير المتمثل بالحرب اللبنانية لا نريد أن نخوض في تفاصيلها لأن الشيطان متربص عند كل منحدر ووادٍ وسهل وجبل. هدفنا من هذا الكتاب أن نجمع ولا نفرق. إن الذين يقتاتون على فُتات الفتن والتفرقة نقول لهم أديروا للكتاب ظهوركم واقرأوا كتب تفسير الأحلام، وما أحلامكم تلك سوى أضغاث أحلام.

توارثت أسرة آل عبدالله الزعامة والوجاهة جيلًا بعد جيل، في منطقة الخيام والجوار (سنة ١٧١٢ على يد الأمير عبدالله) وقد تعدى أداء دور الوجاهة فيها إلى ممارسة نوع من الحكم والسلطة والنفوذ، إن كان برضى السلطة والولاة العثمانيين أو بعدم رضاهم. كان الولاة العثمانيون يتطلعون في الغالب لرؤية إقطاعاتهم وقد خلدت إلى الهدوء ولو بالحد الأدنى. كانت سياسة تركيا في لبنان هي إعطاء الحرية المطلقة لكل طائفة في تنظيم شوؤنها داخل إطار الحكم الإمبراطوري العام. يقول ابن خلدون في مقدمته: ذلك أن الرئاسة لاتكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية، فلا بد

في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم. الرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية، فالأولية والرئاسة لابد وأن تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية.

وكانت ممارسة آل عبدالله للعمل السياسي منذ القدم، وعبر أكثر من مرحلة تاريخية أوجد فيهم خِبرة سياسية عريقة، ومخزونًا هائلًا من التجارب ساعد على لعب دورٍ هامٍ ومحوريٍّ ترجم عملياً من خلال الإمساك بناصية العمل السياسي، إن كان في الخيام أو على صعيد المنطقة والجوار، مما أدى أحيانًا إلى منافسة شديدة مع بعض الأسر الجنوبية العريقة سياسيًا، بلحظة تاريخية معينة ناتجة عن تحالفات سياسية، على سبيل المثال كأسرة: آل الأسعد والخليل وبزي وأسر أخرى نافذة محيطة بمنطقة نفوذهم، كآل شهاب في وادي التيم واليوسف في منطقة الحولة فلسطين، وآل الفضل الفاعور في الجولان وغيرهم من الأسر القوية والعريقة في العمل السياسي، الذي كان يؤهل أسرة آل عبدالله للقيام بدور الريادة والقيادة هو ما كان برجالاتها من الصفات التي تؤهلهم للاضطلاع بهذا الدور، ومن تلك الصفات: الشجاعة والمروءة والجود والحكمة ورجاحة الرأي والتضحية والتفاني في خدمة الناس والمجتمع وتحمل المسؤوليات الجسام، فمتى توفرت القدرة القيادية تستطيع حينها رسم التوجيهات السياسية، مما أهَّل قياداتها لأن ترقى إلى مستوى التحديات، وتتعامل معها بصورة واعية ومهارة عالية وثقافة عربية أصيلة ومسؤولية وحكمة قل نظيرها، مما أدى إلى أحتكام الناس إليهم وطلب الحماية منهم في رفع ممارسات التعدي والظلم والخوف، حتى جاء القوم تترى يلتصقون بهم ويبايعونهم، طمعًا بمستوى أفضل في حياة هانئة، تعمل على تحقيق الهدف وهو: المحافظة على حياة الناس وصون أعراضهم. يقول الحاج حسن عبدالله رضي الله عنه وهو يوصي أبناءه: (ناصروا المظلوم حتى يرفع عنه الظلم والضعيف حتى يسترد حقه وليلقَ كل منكم ربه وهو مناصر لهذين). صدقت أيها الشيخ الجليل والعالم البصير، كم نحن بحاجة إلى هذا الوعظ قبل أن تبتلعنا الآثام. يقول النائب السابق إبراهيم العبدالله: رغم امتلاك آل عبدالله لنصف أراضي بلدة الخيام لم يكونوا من الأفندية الطغاة كما كان الحال في القرى والمناطق الأخرى، حتى أنه اشتهر عن علي أفندي وقوفه إلى جانب الفلاحين ضد آل العبدالله أنفسهم إذا اقتضى الأمر (حديث لمجلة الشراع في الحلقة ٣٨ من هكذا تكلم أحمد الأسعد). ومما يقال بأن الملك المستبد تموت دولته بموته. ويروى بأن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله استطاع أن يفك رجلًا من حبل

المشنقة، حصل هذا في بلدة كفركلا بعد أن حكم الوالي العثماني على ذاك الشخص بالشنق، وهو من جبل الدروز في سوريا. وفي عام ١٨٨٣م. عمد الحاج محمد أفندي إلى إغلاق القائمقامية في كفركلا ونقلها إلى جديدة مرجعيون لخلافه مع آل الأسعد، وكان يملك من الجرأة ما يكفي لأن يهز سيفه بوجه أعتى الطغاة من أجل تحقيق ما يريده. كان الحاج محمد أفندي نموذجًا من الرقي الإنساني في العطاء، إن كان على الصعيد الفردي أو الاجتماعي. كانت دارته كخلية نحل لا تهدأ ومشرّعة الأبواب لكل الطبقات ولكل الاحتياجات، كان مجهوده الفردي ومهامه تصب بكل طاقاتها في مصلحة المجتمع وبنائه ليس الخيامي فقط بل المجتمع الجنوبي، انتخب رئيسًا لجمعية جبل عامل لمحاربة الظلم والطغيان عام ١٩٠٥م، ويكون الحاج محمد أفندي بذلك قد سبق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٥م.بأربعين سنة، وسوف نأتي على قصته مع أهل دير ميماس الذين لجأوا إليه لطلب الحماية منه على إثر التعديات عليهم. وكذلك دوره المميز حين وضع خطة عسكرية أدت إلى حماية الخيام أثناء أحداث الماري سنة ١٨٩٤م، وكرس كل علاقاته مع مشايخ وادي التيم لمنع الفتنة وخاصة آل شهاب، وسد كل ثغرة عمد المندسون لاستغلال هذه الأحداث والعبث بعلاقات تعود إلى قرون. كان يمثل ركيزة قوية وسندًا مهمًا حين كان آل الأسعد يرجعون ويلوذون إليه في المُلِمات، وكان لا يتهاون في زعامته التي كان يرى فيها مسؤولية وطنية في دفاعه ليس فقط عن الخيام بل عن كل القرى العاملية، حتى وقعت المواجهة بينه وبين فؤاد سليم، عندما تجاوزه الأخير وأهمل الدور القيادي للحاج محمد وتصرف دون الرجوع إليه، وهوحامي الحِمَى بالصارم الصمصام، وقال كلمته المشهورة: من أراد دُخول الخيام فأنا بابها. أما ولده الحاج علي الذي مثّل مرجعية دينية لأكثر من أربعة عقود، حين تبوّأ كرسي الإفتاء في منطقة مرجعيون من سنة ١٩١٥ وحتى وفاته سنة ١٩٦١م.

حسبك ما حصل أثناء ثورة جبل العرب ضد الفرنسيين، ومراسلات قادة الثورة لآل عبدالله في الخيام. ولا ننسى الدور الذي قام به المرحوم الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله حين منع الفتنة الشيعية ـ السنية عام ١٩١٥م. هذاوكانت ديارهم محط رحال الضيوف والعابرين والقادمين والمستضعفين والملاحقين والفقراء والمساكين، وسوف نذكر الاستضافة التاريخية التي حظي بها الأمير سلمان الحرفوش أميرُ مناطق بعلبك، خلال وفادته إلى دارة الحاج حسن عبدالله عام ١٨٤٠م. ومعه مئات من الفرسان، بعد فراغه من حرب إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا. وكان استقبالاً فيه من العجب العجاب الذي لم ترَ مثله البلادُ جاء متممًا لدور الحاج حسن من حملة إبراهيم باشا الذي تحول إلى ثورة في جبل عامل.

إن ظروف المنطقة وخطورة أحداثها دفع هذه القيادات إلى الواجهة وممارسة سلطة بإرادة مستقلة ذاتية تمثل في الغالب إدارة أزمة. إن تجسيد هذا الأمر عملياً نوع من تقليد وعرف يطبق في مختلف مناطق جبل عامل وبلدانه وبيئته المتنوعة في كثير من الفترات التاريخية، فأضحوا يمثلون واجهة الخيام السياسية ويتصدرون أعيان المنطقة ووجهائها،وبحضور وتأثير كاريزمي على المشهد، بدءاً من ثلاثة قرون تقريبًا. يذكر بأن المرحوم أمين أفندي التنوخي، ابن الحاج حسن عبدالله كان يمنع الدرك العثماني من سوق الناس من الخيام بالقوة إلى الحرب في البلقان والقرم واليمن. مهما كانت التضحيات والأثمان المادية والمعنوية، لا قيمة لها أمام الحفاظ على الناس وممتلكاتهم وبلدة الخيام الوحيدة تكاد بين بلدات جبل عامل التي سُجّلت فيها حالات فقدان قليلة وقليلة جداً، تكاد تكون لا تذكر من أهلها في الحروب التركية مع أخصامها، وأمين أفندي التنوخي هو من الشخصيات التي أدت دورًا فاعلًا في الأحداث الوطنية والقومية، وهو مؤسس أول حركة مقاومة مسلحة في الخيام ضد التتريك سنة ١٩٠٨م إيمانًا منه بعروبته وقوميته العربية.

وحسبُك ما قال الأمير محمود الفاعور - أمير الجولان-: لا أغزو الخيام وفيها الحاج محمد أفندي عبدالله أو آل عبدالله. كان ذلك عندما اختلف الأمير الفاعور مع كامل بك خليل الأسعد، وكان آل عبدالله آنذاك متحالفين مع زعيم الطيبة مجرد تحالفهم مع الأسعد تمنَّع الأمير الفاعور عن غزو الخيام المتحالفة مع الأسعد (صهرهم) بكل جيشه الجرار ماذا يعني هذا القول: تَمنّع شخص مثل الأمير الفاعور بجيشه الجرار عن القيام بأي عمل؟ أليس يعني مكانة شخصية الحاج محمد وتفوقها وقوة تأثيرها وقوة وجودها وفعاليتها؟ هذا هو دور آل عبدالله وهذه مكانتهم عبر التاريخ. بالتأكيد لم يكن الحاج محمد يملك طائرات (سوخوي أو قنابل عنقودية أوغواصات نووية) ولم تكن له علاقات مع دول العالم ولا يتلقى مساعدات منها لردع الآخرين عن غزو الخيام، ولم يكن يملك حسابًا مصرفيًا بمئات الملايين من الدولارات، لكن كان يملك الحكمة ورجاحة العقل وباستطاعته أن يؤثر بكل أحداث المنطقة، ويقلب المشهد لصالحه متى شاء، يملك أرضية صلبة في الخيام وشبكة علاقات قوية بزعماء يشبهونه بالإخلاص والمحبة والصدق لناسهم وللمنطقة، كان يتمتع بسمعة طيبة تؤهله لأن يحدث ثورة بأي وقت كما فعل سنة ١٨٩٤م.عندما أرعب سلاطين الباب العالي..

أيها القارئ العزيز: لا تستعجل، إقرأ مرة ومثنى وثلاث ورباع.. اقرأ وربك معك اقرأ سيرهم وأحداثهم ومواقفهم وأنا كفيل بأن نفسيتك سوف ترتاح وتتبسم لك الدنيا، لأن جمالها من جمال قادتها وسوف تجد الكثير من المواقف المشرّفة والأحداث التي قل نظيرها، مع أسرة لو تسنى

للعالم فرويد - المحلل النفسي - أن يلتقي رجالاتها الأشاوس لقضى كل حياته يبحث ويدون ويستفيد، ولأدرك الكثير من المفاهيم النفسية والقواعد الاجتماعية في تحليلاته، ولأحدث ثورة في علم الاجتماع. ولو تسنى لنابليون والتقى الحاج محمد أفندي - القائد العسكري العظيم - لجثا أمامه وقبل يده وأخذ الكثير من مكنون علومه العسكرية. ولو تسنى لكارل ماركس والتقى الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله أبو الفقراء لمزق نظريته وبكى على كتفه ليل نهار. ولو التقى هرقل ملك الروم بإسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله لسلمه درع البطولة وتنازل له عن شارات النصر. رحم الله أجدادنا ما أكثر الذين يتمنون أن يغترفوا من سلسبيل سيرهم ويسيروا على نهجهم. أجداد أحرقوا أنفسهم وسنوات عمرهم من أجل أن يضيئوا لنا مستقبلًا، وكفى بأنهم عاشوا كما عاشت عشرات الأجيال وفنيت تحت ظل حكام فَجَرَة وسلاطين خونة. كانت تكفي كلمة من حاكم ينطق بها لتعلق المشانق وأعواد القتل ويُزج الناس في السجون وظلمة الكهوف وغياهب السجون وحفر النار واللحود والوأد. استطاعوا أن يجعلوا لأنفسهم مكانة انتزعت من بين أنياب الذئاب ومخالب الوحوش، وحصانة أوجدوها بقوة بسالتهم وتكاتفهم وعدالة مطالبهم.

لم يكن هذا التميز والتفوق لدى هذه الشخصيات هدية أومكافأة من ملائكة السماءوسلاطين الأرض، ولم تتنزل عليهم كالمن والسلوى ولم يسلبوها من أحد والعياذ بالله، إنما هي بنية متكاملة كونتها خِبرة طويلة جدًا وعوامل تاريخية بدأت ترتسم ملامحها منذ خروجها الأول من أرض اليمن، لتبلغ المدة الزمنية إلى يومنا هذا أربعة آلاف سنة، أسرة عمرها أربعة آلاف سنة تحفظ نسبها إلى جدها الأول: "قحطان أبو يعرب"، باسمه تسمت اللغة العربية:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] صدق الله العظيم. قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا سُلِّم الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة". **كانت أسرة آل عبدالله وما زالت قادرة على القيام بأي دور يصب في مصلحة أهلنا وبلدتنا وطائفتنا ووطننا لبنان إلى قيام الساعة.** قال الحاج حسن عبدالله ﷺ وأرضاه وقدس الله سره واعظاً أبناءه: «سنّوا للغريب النصال حتى تحمر شفرته، فسأله ولده الحاج حسين: ومن هو الغريب يا أبتاه؟ قال: من يسلب الأوطان ويهدم البنيان ويهلك الأبدان - اللهم صلِّ على محمد وآل محمد» وكأنه يعلم شيخنا الجليل الذي وسع علمًا ومعرفة بأنه سوف يكون بزماننا صهاينة ودواعش يأتون على الحجر والبشر، فلذلك قال سنّوا السنان، أي: جهزوا لهم السلاح حتى تحمر شفرته، أي قاتلوهم بسفك دمائهم حتى لا تكون فتنة بعد ذلك.

كانت سلطة يغلب عليها التكليف وليس التشريف، لأن القيادة مهمة شاقة وتكاليفها عالية عام ١٨٣٧م. كاد حريق مفتعل في إحدى غرف التموين ببيت الحاج حسن عبدالله رضي الله عنه أن يقضي عليه وعلى أسرته، لكن لطف الله أنجاهم من هذه الحادثة، (لا نقول: إلا يا ليتنا كنا معك يا جدنا لجعلنا الأرض وبالًا ودماءهم أنهارًا وما ارتضينا إلا أن نكون أحرارًا وأن نستشهد تحت رايتك، راية الصدق راية آل بيت محمد التي رفعتها بوجه إبراهيم باشا وبين يديك الكريمتين).

الكثيرون من زعماء جبل عامل دفعوا أرواحهم لتحملهم مسؤولية القيادة والزعامة، وعلى رأسهم الزعيم الشيخ ناصيف بك النصار، سقط شهيدًا عام١٧٨٠م. على يد جيش أحمد باشا الجزار.. إذا تباعدت الأزمنة تتشابه الوقائع السياسية والأحداث العسكرية إن ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال في لبنان وقيادته السياسية تتشكل بأجواء جلها توافقية بين اللبنانيين (أي مبايعة سياسية بالتراضي) لرئيس قد يتردد في الترشح لعلمه المسبق بمشقة العمل والكثيرين من الرؤساء دفعوا أرواحهم اذاً ليس الأمر سهلًا، وبالعودة إلى حديثنا: كانت قيادة جاهزة لتحمل المسؤولية وجاهزة لدفع أثمان كثيرة .يقول النائب إبراهيم العبدالله عن جده الحاج إبراهيم أفندي ابن الحاج حسن عبدالله كان يملك ٢٠٠ ألف دونم أرض وكان مبعوثًا في تركيا، أي ضمن نواب مجلس المبعوثين لذلك ورث علي أفندي قرابة الـ٦٠ ألف دونم(*) أرض في حولا والخيام وميس الجبل وسهل الحولا في فلسطين باعها في سبيل السياسة والزعامة، وصرف ثمنها على الأنصار والناس الموالين. إن ممارسة العمل السياسي والقيادي إن كان على مستوى فردي أو جماعي له أثمان باهظة فإن نجت الروح فلن تنجو الجيوب وما أدراك ما الجيوب. بقى الولاء في المنطقة يتجاذبه عامل النفوذ وشكيمة السلطة إلى مطلع السبعينات من القرن الماضي. يقول سلام الحاج في مجلة الشراع[١]:كانت الولاءات في المنطقة الحدودية من جبل عامل مقسومة إلى قسمين:

الأول: وهو المعروف ببلاد بشارة ويضم مجموعة قرى نذكر منها: كفركلا وعديسة والطيبة ورب الثلاثين وعيترون وحولا وبليدا وميس الجبل والصوانة ومجدل سلم، وكانت هذه القرى تدين بالولاء التام والكامل لأحمد الأسعد دون نزاع.

(*) الله يرحم أبو سطام يا ليت كان استثمر هذه المبالغ ببورصة نيويورك لكان اليوم آل عبدالله هم من يأتو بالرئيس الأمريكي ويرسمون السياسات في العالم ولرأيت هذا العالم ليس فيه فقير ولا جائع ولا مظلوم ولا يعاني من الاحتلال بل واحة من السلام والوئام وزد على ذلك لكانوا اليوم يشربون الشاي ويدخنون الشيشة في حديقة البيت الأبيض .

(١) الحلقة ٣٨، مجلة الشراع، مصدر سابق.

أما القسم الثاني: المعروف بمرجعيون فكان يضم مجموعة قرى نذكر منها بلاط ودبين والخيام وجديدة مرجعيون والقليعة والخربة، وهي قرى متعددة الولاءات أغلبها كان يدين بالولاء السياسي لأفندية بيت العبدالله.وفي الختام نقول إن لم تكن السياسة خلقت إلا لهؤلاء القوم فكفى بهؤلاء القوم القدرة على أن يجعلوا للسياسة مجدًا عظيمًا.

الروابط الأسرية بين آل عبدالله والأسر الخيامية والجنوبية واللبنانية:

أثناء حادثة الخيام أظهر الحاج محمد أفندي عبدالله قوة من الصبر والجلد والتحمل، فاوض وانتصر فكان ركنًا قويًا يعتمد عليه في الملمات، وحكيما عاقلاً تكاملت فيه صورة الزعيم. وما لمالك الحق سوى سلطان عادل غِيرته على أهل بلدته كانت بغاية الشجاعة، لم يقل وقتها الحاج محمد أفندي: أنا موجود هنا ليس إلا لحماية أسرة آل عبدالله، قال: أنا هنا لحماية الخيام والدفاع عن أهلها. .وقالها في هونين عندما حمى أهلها، وقالها في عيناثا عندما حمى أهلها، وقالها في عين إبل عندما حمى أهلها، وقالها في حداثا عندما حمى أهلها، وقالها في مشغرة عندما حمى أهلها، وفي سوق الخان عندما حمى المنطقة، وقالها في واسط عندما حمى أهلها. هذه القرى كانت مسرحًا لحوادث تاريخية أشار إليها السيد عبدالحسين – صادق قدس الله سره – في ديوانه سقط المتاع صفحة ٢٤. ليس فقط الخياميين بايعوا زعامته بل كل المنطقة وأهلها واضعين ثقتهم به باعتباره حامي الحِمَى والناصر والمعين والقائد الذي سخر كل إمكانياته. وكان ردًا قويًا على الذين اعتدوا على رجلين من الخيام. ولا يجمع بين قرى الخيام فقط الحوادث التاريخية، بل عقد رابطة المصاهرة في الخيام نفسها وفي الجنوب اللبناني وكثير من الأسر اللبنانية ما يجمع أسر الخيام من روابط اجتماعية مع آل عبدالله، الذي هو موضع فخر ليس له نظير في المنطقة، ولقد سقنا هذا المثال البسيط عن سيرة الحاج محمد أفندي ليكون لنا مدخلاً وبابًا نلج من خلاله، لأن الخيام وقتها دق بابها وأسمعت العالم جوابها. ولقد تناول الكاتب محمد حسن محمود عبدالله موضوع الحادث قائلاً: تراجع المهاجمون عندما رأوا الجد في الدفاع عن الخيام وقرار الحسم مهما يكن حجم الحادث، فإنه من المؤكد أن الاعتداء على رجلين من الخيام ومن غير عائلة العبدالله استتبع ردًا عنيفًا على أهل الماري من الحاج محمد أفندي عبدالله(١). هذا ما يقودنا إلى طرح السؤال التالي: كيف كانت الروابط الأسرية في الخيام إبان القرن التاسع عشر وما تلاه ؟ ارتبطت أسرة آل عبدالله بالأسر الخيامية التالية كما جاء في المستند: أسرة آل

(١) "العلاقات السياسية في الخيام عشية الحرب الأهلية"، رسالة لنيل شهادة الجدارة في العلوم الاجتماعية، صفحة ٤٢، إعداد محمد حسن ـ محمود عبدالله، إشراف الدكتور وضاح شرارة، بيروت ١٩٨١م.

مهدي، آل شقير، آل أبو عباس، آل عواضة، آل سويد، آل زلزلة، آل يونس، آل صادق، آل حمود، آل فاعور، آل زعرور، آل عزير. ومن غير الخيام ارتبطت أسرة آل عبدالله بأسر من مناطق الجنوب اللبناني وغيره أمثال: آل بزي (بنت جبيل)، وآل فرحات (ميس الجبل)، وآل هاشم (دير سريان)، آل عجمي (أرنون)، آل الأسعد (الطيبة)، آل حجازي (رب الثلاثين)، آل الحكيم (سوريا)، آل فضل الله (عيناثا)، آل عباس (حولا)[١]. ما أوردناه آنفًا من روابط اجتماعية بالطبع يعود تقريبا في مجمله إلى القرن التاسع عشر.

كما نذكر من العائلات الجنوبية واللبنانية التي تربطها بعائلة آل عبدالله «العائلة الأم» رابطة المصاهرة والنسابة: آل الأسعد، آل فرحات، آل بزي، آل عسيران، آل الزين، آل فضل الله، آل شرف الدين، آل شمس الدين، آل بدر الدين، آل نور الدين، آل حمادة، آل حيدر، آل مكي، آل الحر، آل غندور، آل قباني، آل بيهم، آل زكا، آل الدرويش، آل ابراهيم، آل جابر، آل شكر، آل الأمين، آل الموسوي، آل رمضان، آل حرب، آل دندش، آل خليل، آل زعيتر، آل الحسيني، آل الحلباوي[٢].

أهم الوثائق التاريخية التي وقع عليها آل عبدالله:

- عام ١٨٣٥ وثيقة بين حمد البك المتوفى سنة ١٨٥٢م. والحاج حسن عبدالله في التنسيق فيما بينهما بعد سقوط جبل عامل في يد جيش إبراهيم باشا المصري.

---

(١) "مستند شجرة عائلة آل عبدالله" تحقيق الحاج أحمد محمد مالك آل عبدالله.

أما ما سوف يأتي تباع موضوع يلقي الضوء بشكل أوسع على ما ذكرناه من روابط اجتماعية بين آل عبدالله والأسر الخيامية في وثيقة أعدها الأستاذ علي حسين عبدالله تحت عنوان:

لمحة موجزة عن آل عبدالله:إن عائلة آل عبدالله التنوخيين هي من العائلات الخيامية الكريمة والقديمة.ولقد كان لها دورها الفاعل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في القرنين التاسع عشر والعشرين على يد باعث نهضتها ومحيي أمجادها الحاج حسن بن محمد آل عبدالله وأولاده وأحفاده من بعده والذين انتهجوا نهجاً اجتماعياً ليس له نظير في بلادنا.

لقد انفتحوا على العائلات الخيامية بخاصة وعلى العائلات الجنوبية كما على العائلات اللبنانية بعامة. ولقد بلغ عدد العائلات الخيامية التي ناسبوها وصاهروها سبعين عائلة. كما بلغ عدد العائلات الجنوبية واللبنانية تسعين عائلة لذا يصح القول في عائلة آل عبدالله «العائلة الأم» بالنسبة للعائلات الخيامية والجنوبية ونذكر من العائلات الخيامية الأكثر عددًا على سبيل المثال لا الحصر التي تربطها بعائلة آل عبدالله «العائلة الأم» رابطة المصاهرة والنسب: آل عواضة ، آل خريس، آل فاعور، آل سويد، آل حيدر، آل أبو عباس، آل صادق، آل ضاوي، آل مهنا، آل حسان، آل طويل، آل حميد، آل غريب، آل زلزلة، آل رشيدة، آل باشا، آل زيبارة.

(٢) وثيقة أعدّها الأستاذ المربي علي حسين خليل عبدالله، حصلنا عليها من أرشيف الأستاذ علي مزرعاني، النبطية، سنة ٢٠١٢م.

- عام ١٨٣٧م وثيقة وقعت بين الحاج حسن عبدالله والشيخ شبلي العريان مثله أحد مساعديه ويعتقد بأن اسمه الشيخ مجيد لمحاربة ابراهيم باشا بالتنسيق فيما بينهم.

- عام ١٨٤٠ وثيقة بين الأمير سلمان الحرفوش أمير الحرافشة في مناطق بعلبك والحاج حسن عبدالله على متابعة التنسيق والعمل سويًا على حماية الطائفة ونيل استقلالها بعد فراغ الحرفوش من معاركه مع إبراهيم باشا.

- عام ١٨٦٤ وثيقة بين علماء الدين بمرجعية العلامة إبراهيم صادق والحاج حسن عبدالله على تأسيس هيئة للإشراف على التعليم الديني في الخيام والجوار وبناء مسجد الخيام العام على نفقة الحاج حسن عبدالله.

- عام ١٨٨٢ وثيقة بين ناظر الباب العالي للتعليم وأمين أفندي التنوخي ابن الحاج حسن عبدالله لإرسال طلاب العلم إلى استنبول.

- عام ١٨٩٤ وثيقة الصلح على نهر الحصباني بين وجهاء المنطقة في وادي التيم وبين الحاج محمد أفندي والحاج إبراهيم ولدي الحاج حسن عبدالله بعد أحداث الخيام.

- عام ١٩٠٥م أهم وثيقة إنسانية وقعت في جبل عامل عندما انتخب الحاج محمد أفندي عبدالله رئيسًا لجمعية جبل عامل لمحاربة الظلم والطغيان.

- عام ١٩٠٨ وثيقة تأسيس أول جمعية مسلحة في الخيام للعمل القومي العربي بين أمين أفندي التنوخي ووجهاء المنطقة من مسلمين ومسيحيين في العمل المقاوم في دعم عروبة لبنان.

- عام ١٩١٦ وثيقة العمل المقاوم بين شبيب الحاج جواد عبدالله وزعماء المقاومة في جبل عامل مثل أدهم خنجر ،صادق الحمزة ،محمود أحمد بزي،محمد علي حدرج الهونيني،حيدر قاسم حيدر الدويري.

- عام ١٩٢٠ من نيسان وثيقة وادي الحجير بين زعماء المنطقة ووجهائها وعلمائها وقعها من جانب آل عبدالله الحاج محمد أفندي عبدالله ومعه ابن أخيه الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم عبدالله.

- عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ وثيقة التوقيع على التجمع السياسي(المؤتمر السوري) وقع الوثيقة الحاج خليل بن الحاج إبراهيم عبدالله.

- عام ١٩٢٠ وثيقة إحلال السلام بعد حملة نيجر على مناطق جبل عامل وعودة المنفيين بين الحكومة الفرنسية ووجهاء جبل عامل وقعها من جانب آل عبدالله كل من علي أفندي عبدالله وخنجر أفندي عبدالله.

- عام ١٩١٨ وثيقة إحلال السلام وعدم التعدي وعدم الاقتتال الطائفي في مناطق مرجعيون بتشكيل حكومة محلية، الاتفاقية بين أعيان المنطقة بكافة أطيافها الطائفية وقع الوثيقة المرحوم علي أفندي عبدالله ممثلًا لطائفة المسلمين الشيعة.

- عام ١٩٢٥ وثيقة عدم الاعتداء على الخيام وعدم ملاحقة المسيحيين إلا بإذن مسبق وقعت بين متعب الأطرش وكل من الزعيمين: علي أفندي عبدالله وخنجر أفندي عبدالله .
- عام ١٩٤٠ وثيقة عدم الاعتداء على الخيام مع الانتداب الفرنسي واعتقال رجالاتها وقعها المرحوم خنجر أفندي عبدالله.
- عام ١٩٤٣ وثيقة مقاومة الانتداب والسعي لنيل الاستقلال، اعتقال الشاعر عبدالحسين عبدالله في قلعة راشيا.
- عام ١٩٨٩م المشاركة في العمل السياسي قبل وبعد الاستقلال حتى توقيع اتفاقية الطائف. كان ضمن الموقعين عليها النائب الحاج علي الحاج خليل عبدالله، بها ختمت فصول الحرب الأهلية في لبنان.

من الأجداد إلى الأحفاد .. آل عبدالله

بناة الحضارة، ملوك العرب، أمراء الأديان، فلاسفة الشرق، حماة الأوطان:

من الحضارات الموغلة في القدم الضاربة بعمق التاريخ بأوتادها وأركانها وقواعدها ومنابع طبقاتها، فمن أجسادهم وأبدانهم وأنعامهم ودوابهم ورفاتهم المدفونة على شواطئ الخليج العربي كان الذهب الأسود (النفط). خرج الأجداد فكانوا بذلك درة الحضارة البشرية القديمة وكانوا حركة الوصل في بلاد الرافدين، فأسسوا في الحيرة في بلاد العراق أهم دولة ألا وهي دولة المناذرة أو دولة التنوخيين أو دولة اللخميين، فكانت من أعظم الدول وأقواها وأوسعها. لعبت دورًا هامًا في تقريب الفرس من العرب، وأسست لتجارة مدت جسورها شرقًا وغربًا. في بيوتها ومنازلها وقصورها العامرة الرحبة المميزة (قصر الخورنق) تحفة كونية ليس له مثيل فيها تربى ملوك الفرس وفيها نشؤوا وفيها تعلموا، فأجادوا اللغة العربية ولغة الشعر، ومنها تعلموا الفروسية والجود والكرم. لم تكن منازلهم سوى معاهد ومدارس أفاضت بعطاءاتها وعلمها فأنارت السبل وفتحت الأفق، وملكوا الشمس التي لم تكن تغيب عن دولهم وأمصارهم ورزقهم، فكان ملوكها السباقين، إلى دين الله، السابقين إلى دين النبي عيسى ابن مريم (ع) فَوَجَدَ في قلوبهم كل محبة وعطاء وحماية

ورعاية واهتمام، فبنوا له الأديرة والمعابد التي فيها يُتلى اسم الله يوم كانت المسيحية في باكورة نشأتها، وجدت هذه الحاضنة المميزة والغيرة فجعلوا منها حركة نهضوية سمحة قبل أن يتربّع على كرسيها ملوك الفرنج، وتتقاسمها النزاعات والأهواء، وترتكب باسمها الحروب والغزوات، وتسفك الدماء (الحروب الصليبية).

طفق الأجداد الذين لم ينكسر لهم جانح ولم تجنح شمسهم، ولا لانت شوكتهم، وحواضرهم مناهل وعي ومعرفة وإبداع فني وحضاري مستمد من منظومة فكرية مترابطة في حلقاتها وفصولها، الضاربتين بعمق تجربة تاريخية قلّ نظيرها بلغت من القرون مبلغًا عظيمًا جاورت حضارات عريقة: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

يطوون الأرض تحت أقدامهم وخيلهم وليلهم وبيدائهم بين ضياءين، وهوادجهم تمخر الرياح فتزداد شموخاً وسناءً ورفعة حتى غدت في السماء فرقداً. وكانوا من أوائل الذين دخلوا في دين محمد بن عبدالله ﷺ، لبوا الدعوة إلى الإسلام فدخلو في دين الله أفواجاً، فكان لهم محطة مهمة في أرض الشام، فمكثوا سنوات طوال فكانوا أمراء البلاد وقادتها.

محطات تاريخية تستحق منا أن نبادلها بدل الإعجاب انحناءً واحتراماً. عبقرية فذة ومقدرة غنية وعطاء غير متناهٍ ولا هو محدود، حاملين تجاربهم وفنونهم وعلومهم من غير أن ينوءوا بها، ما إن يحلوا في مكان حتى يخرجوه من اقفراره وجدبه وموته بنفخ الروح وبثّ حرارة الحياة فيه، فتلك الأبنية والعمائر والدواوين وهذه المنازل المقنطرة والحصون الشاهقة والقلاع الصلبة والطرق المعبدة والحدائق الغناء والمروج الخضراء والمعابد والمصانع صنيعة أيديهم.

عام ٨٢٠ م، حطّ آل عبدالله أو بنو عبدالله رحالهم على القمم اللبنانية، نسور بواسل، فكانت حياتهم لا تقل عن الحيوات الأخرى في غناها المادي والفكري والريادي، يحكمون وإليهم الخلق يحتكمون فكانوا حماة الثغور والسواحل، فبسطوا نفوذهم ووسعوا سلطانهم فأضحوا أمراء لبنان (الأمراء التنوخيين). يقول أحدهم: في خضمّ الظلام الفكري المحلولك شعّ نورٌ في لبنان الوسيط في إمارة الغرب التنوخية التي بقي الشعر مزدهراً فيها طيلة مدة حكم أمرائها(١) فنالوا من الشهرة ما لم ينال الآخرون، وأسهموا إسهاماً مشرّفاً في إبراز هوية لبنان العربية وذلك لنقاوة عروبتهم التي كانت ومازالت رافدًا صافيًا ومسارًا عروبيًا أصيلاً، حتى أضحى لبنان متميزًا بغناه الفكري والأدبي فنقشوا نثر شعرهم وفنون بديعهم على صخوره وجذوع أشجاره الباسقة الوارفة فأثمرت من أطيب

(١) كتاب "تباشير النهضة الأدبية"، وليم الخازن، صفحة ١٩، دار العلم للملايين.

الأثمار حين لبوا بفكرهم المستنير والمتوقّد ذكاء ومعرفة وفلسفة وعلمًا الدعوة الفاطمية(١)، فكانوا من دعاتها ومن روادها وعلمائها الأفذاذ ورجالاتها المخلصين فأقاموا المساجد والمعابد وحلقات الذكر والعلم لترسيخ معالم الدين وقيمه السمحة، حتى عُرِفوا في القرن الثالث عشر ميلادي (بآل علم الدين) وقرّبت الدعوة الفاطمية وألّفت بين القلوب قلوب أبناء الجبلين(*).

جبلان حكما لبنان لقرون عديدة: جبل لبنان وجبل عامل(**) فتارة يلتقيان وأخرى يفترقان. فعلت السياسة فعلها واشتد الصراع بين أمراء الجبل وعظم التنافس بين أبناء البيت الواحد، وتسارعت الأحداث ودارت الدوائر فكانت معركة عين دارة التي ألقت بظلالها على الحياة التي أصابها العطب حتى خرج مسار الأمور عن ثوابته، وازدادت وتيرة الصراع بين المعنيين و أمراء آل علم الدين بنو عبدالله حتى كتب على أميرهم الرحيل، فكانت الخيام محط رحال الأمير موسى بن الأمير علي ابن الأمير مظفر بن علم الدين آل عبدالله التنوخي، وهي ساحة من ساحات جبل عامل، ساحة من ساحات الكرامة والعزة شاءها الأمير بأن تكون له منطلقًا بالتوافق والتنسيق مع رجالات وأمراء جبل عامل، إرث من العلاقة القوية والانسجام الروحي التام أسسه والده الأمير علي علم الدين مع زعماء وحكام جبل عامل أو بلاد بشارة، الذي لنا وقفة مع سيرة الأمير علي التنوخي.

لم يكتب للأمير موسى متابعة نضاله وتحقيق تطلعاته لقد وافته المنية في الخيام، فكان لولده عبدالله أن يحمل الراية من بعده، فمن نجل إلى نجل ومن فارس إلى فارس، أبطال وليوث حماة الديار ماذا نقول في الأمير أبي حسن محمد بن عبدالله الذي ورّث أنجاله علاقات واسعة مع أمراء

(١) ما ذكره شكيب أرسلان في كتابه "ولاء حتى الفناء"، صفحة ٥٦، صادر عن دار التقدمية.

(*) نسب شجرة عائلة آل عبدالله التنوخيين في خيام مرجعيون. جاء هذا البحث في دراسة قيّمة وموثقة ذُكِرَت في مستند شجرة آل عبدالله التنوخيين، تحقيق الحاج أحمد محمد مالك آل عبدالله.

(**) يقول الأمير شكيب أرسلان: ففي القرن الرابع الهجري كان الشيعة في هذه الجبال (أي جبل لبنان أو جبل الشوف) قبل هذه الطوائف التي خرجت منهم أي الإسماعيلية والموحدين ومنازل الفريقين لم تزل متناحية (الناحية قرب الناحية) مما يستدل على وحدة الجرثومة (الأصل) فضلا عما بين كثير من العشائر الفريقين من القربات والأنساب المتحدة في الأصل وقد تواتر ذلك خلفًا عن سلف. هذه المقالة للأمير شكيب نشرتها مجلة العرفان عام ١٩١٠م. وأشار اليها الدكتور حسن صالح في كتابه الجوهر المجرد صفحة ٨٩. وقد قام صاحب كتاب الجوهر المجرد ببحث مطول أثبت فيه القرابة والنسب بين الطائفتين المسلمتين الشيعة والموحدين. وأضاف في صفحة ٩٧ بأنه يوجد في لبنان أكثر من خمسمائة عائلة درزية من أصل ستمائة عائلة تحمل نفس الكنية والشهرة مع عوائل شيعية، أما المائة الباقية، تغيّرت شهرتها عبر السنين.

الجولان حتى تزوج من ابنة أميرهم. وكفانا فخرًا بعميد الأسرة الحاج حسن أبي علي صاحب أهم ثورة حسينية ضد إبراهيم باشا، ولنا الفخر بإخوته المساندين له والمدافعين عنه يأتمرون بأمره وحسبنا ولده محمد أفندي أبو علي، صاحب الصولات والجولات الذي جمع بين السيف والقلم، وكان اسمه يبث الرعب في قلوب الأعداء. وكذلـك ولده الحاج ابراهيم أبو خليل مفخرة العرب والمسلمين حكيم الشرق والغرب وولده أمين التنوخي، رئيس وعميد أول جمعية مقاومة عام ١٩٠٨م. فكل ولد من أولاد الحاج حسن وكل أخ من إخوته له حكاية مع البطولة والشجاعة، وأحفاده الذين ساروا على نهج آبائهم وأجدادهم وأعمامهم. فخنجر الحاج حسين عبدالله الذي لم تُخِفْه بنادق المحتل الفرنسي فطرد عسكرهم من الخيام، وحسبك به وجيهًا وزعيمًا، وابن عمه الزعيم أبو سطام علي أفندي الذي كان مدرسة في السياسة وابن عمه وما أكثرهم، الوجيه والزعيم الحاج خليل العبدالله زعيم شارك الزعماء في مؤتمر وادي الحجير الذي أرسى ثوابت وطنية، وأطلق شرارة مقاومة ما زلنا نعيش فصولها إلى اليوم، نقدم سيرهم وتاريخهم بكل فخر واعتزاز والله ولي التوفيق..

آل عبدالله..

رواد النهضة الأدبية والحركات السياسة في جبل عامل التي غيَّرت وجه المنطقة

القلم والسيف صنوان، ليس لأمة في الكون دون المعارف والعلم أن يكتب لها الاستمرار والنجاح والتفوق، ولقد مثل الشعر والأدب في حياة الشعوب مكانة عظيمة فكان بمثابة الروح من الجسد. ففيه تكمن الموروثات الثقافية والعادات القيمة والبسالة والشجاعة. ولطالما مثل الشعر لفترة طويلة من الزمن البوق الإعلامي والكلمة الصارمة، التي كانت تقلق الطغاة وتجرح كبريائهم وتؤرّق مضاجعهم، فكان الشعر والأدب في حياة العامليين بثالوثه: نظمًا ونثرًا وأدب الرواية يمثل عبر كل الحقب غنًى معرفيًا، من أجل خدمة اتجاهات لها أهمية في سيرة الحياة والفكر. فالشعر الراقي والأدب الموزون يعدان ثروة اجتماعية، فإذا كانت الكلمة تفرق فكانت مهمة الشعراء أن يجمعوا الناس حول قضاياهم وتشد من عصبهم فبكلمات قليلة: (هلموا لنصرة إخوانكم، ودافعوا عن كرامة طائفتكم)، تحت هذه الكلمات والشعارات، وبأسلوب حدائي اجتمع في بلدة الخيام قرابة

العشرين ألف مقاتل[١]. لا ينفك أحدهما عن الآخر، فبالقلم تفجرت المعارف وفتحت العقول، وبالسيف فتحت البلاد وحميت الأعراض. ومما يذكر بأن أمين أفندي التنوخي آمن بالعلم فأرسل عددًا من أبناء العائلة، إلى المدرسة الرسمية في مرجعيون، ومنهم من أرسلهم إلى إسطنبول ليتعلموا فيها وعلى نفقته الخاصة. كذلك آمن بالصحافة فكفل لدى السلطة المعنية جريدة المرج التي كان يصدرها في جديدة مرجعيون الدكتور أسعد رحال – المسيحي المرجعيوني – مما اعطى فرصة كبيرة حين أوجدت فيها طائفة المسلمين الشيعة منبرًا للتعبير عن رأيها، والتشجيع بالانخراط بالعمل الصحفي حتى صدور مجلة العرفان لصاحبها أحمد عارف الزين.

فقد أشار آل صفا في تاريخه وهو يتحدث عن النهضة الأدبية في جبل عامل إلى ما مثله آل عبدالله في هذه الحركة، حيث ذكر أربعة من رواد هذه الحركة: الحاج محمد حسن آل عبدالله الخيامي، أمين الحاج حسن آل عبدالله الخيامي، الحاج علي ابن الحاج محمد آل عبدالله الخيامي – مفتي مرجعيون الجعفري – والشاعر عبد الحسين آل عبدالله الخيامي[٢]. هكذا غدا جبل عامل وغدوا به حتى اعتبر العلامة الشيخ عبدالحسين صادق – قدس الله – سره أن لبنان هو طفل جبل عامل وليس العكس، وأنه ما زال حتى الآن يرضع من جبل عامل:

ألا قل للبنان وهو الصغير ومن عامل لم يزل يرضع
تأبّطت عاملة واتكأت عليه فضاق به الأوسع

أمّا على صعيد الأمة اللبنانية، ففي القرن السابع والثامن والتاسع عشر؛ لعبت أسرة آل عبدالله دورًا رياديًا في اندماج الطائفة الشيعية في دولة حديثة إلى جانب الطوائف الأخرى، أكان ذلك في ظل الدولة العثمانية أم بعد الاستقلال من خلال الحركات السياسية وتأثيرها في خارطة المنطقة. فهناك أحداث سياسية مهمة استطاعت أن ترسم معالم الطريق إلى يومنا هذا، وتوثق لملاحم سياسية فالاطلاع على سير رجالات آل عبدالله من خلال كتابنا هذا ينير الطريق، ويكشف ملاحمهم البطولية والسياسية والعسكرية ولا نرغب في الإطالة لأننا ذكرنا في أكثر من مكان وألقينا الضوء على أهم الأحداث التي حصلت، وخاصة في بداية القرن التاسع عشر ولا بأس في هذه العجالة من ذكر أحداث كانت غاية في الأهمية غيرت وجه المنطقة، ومازال بعضها يشكل مرجعية لأهل المقاومة

(١) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٢٥٧.
(٢) المصدر السابق، صفحة ٢٩٠ و٢٩١.

والمقاومين ألا وهو مؤتمر وادي الحجير الذي مثل انطلاقة العمل المقاوم، والرافض لكل الهيمنة تمثلوا فيه رجالات آل عبدالله فكانوا قطب الرحى لهذا المؤتمر الذي عقد في نيسان من عام ١٩٢٠م.

أمّا المؤتمر السوري العام، أهم مؤتمر عربي لدول الجوار حيث مثل أكثر من عشرين مدينة ومنطقة في كل من سوريا وفلسطين ولبنان والأردن، وهو إعلان استقلال سورية باسم المملكة السورية العربية بحدودها الطبيعية (بما يشمل لبنان وفلسطين والأردن والأقاليم السورية الشمالية التي أعطيت لتركيا من قبل الفرنسيين والإنكليز في معاهدة لوزان ولواء اسكندرون. وقد مثل منطقة مرجعيون الوطني الصادق الحاج خليل أفندي عبدالله، هذا ما جاء في كتاب جبل عامل في محيطه العربي صفحة ٨٦، للدكتور مصطفى محمد بزي.

ولا بد من أن نشير إلى هذين الحدثين أو المؤتمرين اللذين لا يضاهيهما حدث آخر، فقد شكلا منعطفًا خطيرًا في حياة الأمتين العربية والإسلامية لأنهما نتجا عن حصيلة من التطورات والأحداث في منطقتنا عمَّ صداهم في العالم.

أولا: الحرب العالمية سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨م.

ثانياً: الثورة العربية ضد الأتراك ١٩١٦ـ١٩١٨م.

ثالثاً: اتفاقية سايكس ـ بيكو ١٩١٦م.

رابعاً: وعد بالفور ١٩١٧م.

فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، فلم تغب زعامات آل عبدالله عن هذين المؤتمرين المهمين.

امّا مؤتمر الحاصباني عام ١٨٩٤الذي مثل وحدة طائفية ما زالت تلقي بدفء حميميتها على العلاقات بين أبناء المنطقة، وقد لعب كل من الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله وأخوه الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن عبدالله دورًا بارزًا، وشكلت نتائجه ارتياحًا واطمئنانًا لدى جميع الطوائف. وكان للحاج محمد أفندي ما اراد وكتبت الوثيقة حسب رغبته[١]. وقد ذكر شعيب في كتابه مطالب جبل عامل صفحة ٥٥ بأن أمين أفندي عبدالله كان من أوائل العروبيين والقوميين على مستوى المنطقة، حين لبى النداء نداء الأمة سريعًا، حين أسس جمعية الإصلاح الخيري سنة ١٩٠٨ م التي فاق عدد أعضائها المئتي عضو من مسلمين ومسيحيين، كانت مهمتها مقاومة التتريك والاستقلال عن الدولة العثمانية بمباركة من حزب الاتحاد والترقي التركي، غير أن الود لم يدم طويلًا بين الترقي والعرب وكانت البدايات الأولى نحو ثورة عربية ضد العثمانيين.

(١) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٢٦٤.

المصادر والمراجع التاريخية(*) وفيها صنوف من قطوف درر المحبين في ذكر آل عبدالله التنوخيين:

١) كتاب "التنوخيون في لبنان"، الدكتورة مفيدة عابد، صفحة١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦، مطابع دويك كفرنبرخ، ٢٠٠١م.

٢) كتاب "السجل الأرسلاني"، صفحة ١٥٤، حققه وفهرسه وضبط حواشيه د.محمد خليل الباشا ود. رياض حسين غنّام، قدَّم له الأمير طلال أرسلان.

٣) كتاب "أوراق لبنانية"، تأليف يوسف إبراهيم يزبك، صفحة ٤٥١، الفصل الثاني عشر، المجلد الثالث، دار الرائد اللبناني ١٩٨٣م.

٤) كتاب "معجم أعلام الدروز"، لمحمد خليل الباشا، المجلد الثاني، صفحة ٢٠٧، المركز الوطني للمعلومات والدراسات ـ الدار التقدمية طبعة أولى ١٩٩٠م.

٥) كتاب "التنوخيون"، لنديم نايف حمزة، صفحة ١٣٠، دار النهار للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٦) كتاب "الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل"، تأليف علي داود جابر، صفحة ٤٦٦، دار الهادي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٧) كتاب "خطط جبل عامل"، تأليف السيد محسن الأمين، حققه ولده السيد حسن الأمين، صفحة ٢٢٨، مطبعة الإنصاف، بيروت ١٩٦١، وصفحة ٢٣٩-٢٤٠الطبعة الاولى ، دار المحجة بيروت ٢٠٠٢م.

٨) كتاب "تاريخ جبل عامل"، تأليف محمد جابر آل صفا، صفحة ٢٥٦، منشورات دار متن اللغة، ونفس الصفحة طبعة ثانية صادرة عن دار النهار ١٩٨١م.

٩) كتاب "الأمة القلقة"، تأليف وضاح شرارة، صفحة ١٢٦، دار النهار للنشر١٩٩٦م.

١٠) كتاب "التنوخيون والمناذرة اللخميون والمعنيون"، تأليف د.حسن أمين البعيني، صفحة٢٩٢، الطبعة الاولى ٢٠١٣م.

١١) كتاب "جبل عامل في محيطه العربي"، تأليف د.مصطفى محمد بزي، صفحة ٣٧-٤٧، الطبعة الاولى، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٣م.

(*) بعض هذه المصادر قد ذكرت أيضًا في مستند شجرة آل عبدالله التنوخيين الحاج أحمد مالك آل عبدالله ٢٠٠٦م. (وهو عبارة عن سجل- يحتوي على أنساب أسرة آل عبدالله - طبع منه عدة نسخ في مجال العمل المعرفي وهو من النسخ المهمة جدًا ومرجع للتعرف على أنساب آل عبدالله تفصيليًا).

١١) كتاب "جبل عامل في محيطه العربي"، تأليف د.مصطفى محمد بزي، صفحة ٣٧-٤٧، الطبعة الاولى، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٣م.

١٢) كتاب "معجم أسماء الأسر والأشخاص"، تأليف أحمد أبو سعد، صفحة ٦٥٠-٦٥١-٦٥٢-٧٠٣، دار العلم للملايين الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

١٣) كتاب "تاريخ حاصبيا"، تأليف الأستاذ غالب سليقة، صفحة ١٤٣، الطبعة الاولى ١٩٩٦م. المطبعة العصرية، صيدا ـ لبنان.

١٤) كتاب "الخيام في ظل الاعتداءات الإسرائلية"، تأليف الأستاذ عبد الأمير مهنا، صفحة ١٧، طبعة أولى سنة ٢٠٠٩م.

١٥) كتاب "جبل عامل في التاريخ"، تأليف الحُجّة الشيخ محمد تقي الفقيه، ط.الثانية ١٩٨٦م. دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

١٦) كتاب "مطالب جبل عامل"، د.علي عبدالمنعم شعيب.

١٧) "حوادث جبل عامل"، تأليف الشيخ أحمد رضا، تحقيق منذر محمود جابر، صفحة ٩٩-١٤٠-١٤٤-١٦٦، دار النهار، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٨) كتاب "مذكرات رضا التامر"، دار النهار.

١٩) "حصاد الأشواك"، ديوان شعر للشاعر عبد الحسين إسماعيل العبدالله.

٢٠) كتاب " الأخبار الشهية عن العيال المرجعيونية والتيمية"، حنا حردان الخوري.

٢١) كتاب "كامل الحسين"، للكاتبة آمال م.اليوسف.

٢٢) كتاب "صفحات من التاريخ"، جديدة مرجعيون.

٢٣) كتاب "من كل وادي عصا"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٨و١٢٩.

٢٤) كتاب "لئلا تضيع"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٢٠٧،١٢٨،١٢٠،٩٩،١٣.

٢٥) "القيل والقال"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٢٠٠،١٩٩،١٩٨.

٢٦) كتاب "جود من الموجود"، تأليف سلام الراسي، صفحة ١٣٥،١٣٣،١٠٠،٤٤، دار نوفل، الطبعة الأولى ١٩٩١، بيروت ـ لبنان.

٢٧) كتاب "يا جبل ما يهزك ريح"، تأليف سلام الراسي، صفحة ١٠٠،٥٥.

٢٨) كتاب "ثمانون العمر الذائب"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٢٣٣،٢٢٢،١٨٠،١٤٨،٩٠،٢٤.

٢٩) كتاب "الهجر"، تأليف نجاح طاهر، صفحة ١٥، دار الآداب، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، بيروت ـ لبنان.

٣٠) كتاب "جمهورية فؤاد شهاب"، تأليف نقولا ناصيف، صفحة ١١٦، دار النهار، الطبعة الثالثة ٢٠١١م.

٣١) كتاب "حجر وطين"، تأليف العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه.

٣٢) كتاب "حركة الإصلاح الشيعي علماء جبل عامل وأدباؤه"، تأليف صابرينا ميرڤان، ترجم عن الفرنسية هيثم الأمين، صفحة ٥٦-٥٧-١١٧-١١٨-٤٩٧، دار النهار الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

٣٣) كتاب "الصالونات الأدبية في تبنين"، تأليف الدكتور حسن محمد صالح، صفحة٤٠٤،٧٥،٧٤،٦٣،٦٢،٦١،٥١دار الجمان للطباعة والنشر ٢٠٠١م.

٣٤) كتاب "الجوهر المجرد في تاريخ الأمير ناصيف النصار والأمراء من آل الأسعد"، تأليف الدكتور حسن محمد صالح، الجزء الثاني، صفحة ٨٤٧،٩٦٥ ، دار المحجة البيضاء.

٣٥) كتاب "سفينة الحق" ديوان شعر للعلامة الشيخ حسن صادق.

مصادر ووثائق أخرى:

١- الوثيقة الأولى: يقول أمير البيان الأمير شكيب أرسلان «يوجد في قضاء مرجعيون من ولاية بيروت قرية اسمها الخيام تسكنها عشيرة وجيهة من طائفة الشيعة ظهر منها رجل اسمه الحاج حسن عبدالله عمره فوق المائة سنة سمعت بالتواتر أن هذه العشيرة بطن من تنوخ، ويكون ذلك موافقًا لكتاب قديم في ذكر العشائر الاثنتي عشر (راجع) اللواتي قدمت من معرة النعمان إلى جبل لبنان قرأت فيه ذكر آل أرسلان أجدادنا وآل فوارس وآل عبدالله. ومما جاء فيه أن من آل عبدالله من سكن الخيام.

٢- الوثيقة الثانية: يقول أمير الدولتين الأمير أمين آل ناصر الدين التنوخي(*) في قصيدة أرسلها إلى مفتي مرجعيون الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله التنوخي:

لنا ولكم يوم التفاخر نسبة ... إلى شمّ أجداد مقاحيم شجعان

أباة نفوس من تنوخ ديارهم ... عرائن أسد لا مراتع غزلان

٣- الوثيقة الثالثة: يقول المؤرخ العاملي محمد جابر آل صفا في الخيام: "يقيم آل عبدالله الذين ينتسبون إلى التنوخيين ولقد لعبت هذه العائلة دورًا هاما في تاريخ جبل عامل وكان له مواقف مشرفة".

٤- الوثيقة الرابعة: يقول العلامة الشيخ عبدالحسين صادق (قدس سره) في عميد عائلة آل

(*) وقد أطلق على الأمير أمين آل ناصر الدين التنوخي لقب أمير الدولتين أي دولة الشعر والنثر.

عبدالله الحاج محمد أفندي عبدالله في قصيدة صفحة ١٥ من ديوانه سقط المتاع الجزء الأول.

جـــاء فيـه محـمـدٌ وابـــن عـــبـــدالله لـكـــن مــــن يــــعـرب لا نــزار
أيـــــباري شــــأوا وفي مــــئــــزري مــن تـنـوخ الـعـلـيـآ صـمـيـم نجــار

٥- الوثيقة الخامسة: شجرة الأمراء آل تنوخ التي حققها العلامة الأمير أمين آل ناصر الدين التنوخي، ووضعها العلامة الأمير نديم آل ناصر الدين التنوخي، ثم أهدى نسخة عنها إلى واضع هذه اللمحة التاريخية المربّي علي حسين عبدالله والتي جاء فيها أن "السادة أبناء العم آل عبدالله التنوخيين فرع من فروع هذه الشجرة البواسق.

٦-الوثيقة السادسة: ما ورد في إحدى مخطوطات العلامة الشيخ ابراهيم يحيى العاملي حيث جاء فيها: "لقد دخل هذا الكتاب في ملك موسى علم الدين عبدالله التنوخي القاطن في بلدة الخيام في سنة ٧٥٠هجرية".

٧- الوثيقة السابعة: تحت عنوان: "واقع موثق ضمن الوثائق" التي أعدها الأستاذ علي حسين خليل عبدالله جاء فيها : الناخبون التنوخيون من آل عبدالله الذين وردت اسماؤهم في لوائح الشطب لانتخابات سنة ٢٠٠٠ ميلادي والبالغ عددهم خمسة وسبعين ناخبًا وناخبة وهم من ذرية أمين ابن الحاج حسن عبدالله(١).

اخترنا ما اختاره الأمير أمين آل ناصر الدين!!

تحت عنوان: "الأمراء آل تنوخ"، أسهَبَ الأمير أمين آلَ ناصر الدين في شرح ما لديه من معلومات تاريخية عن الأمراء التنوخيين: بيوتهم، فروعهم، مواطنهم، أخبار رجالهم، فاخترنا هذه المقدمة التي استهل بها حديثه وذلك لسببين:

أولاً: حيث أن مقدمة الأمير أمين بك تناسب ما نحن نكتبه عن تاريخ وسيرة آل عبدالله وتبوح بكثير مما يدور في خلدنا وما تُحدّث به نفوسنا وترقى لأن تكون مقدمة لموضوعاتنا.

ثانياً: حيث أن الأمير أمين آل ناصر الدين كان حلقة الوصل بين تاريخين تاريخ شهده أجداده وشهدوا أفوله، وتاريخ في الخيام شهد أجداد الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي شروقه، فتخاطبا بلغة أدبية وشعرية راقية سوف يكون لنا وقفه بعد مقدمة الأمير أمين:

(١) هذه الوثائق السبع أعدّها الأستاذ المربي علي حسين خليل عبدالله لكتابه «تاريخ آل عبدالله التنوخيين في القرنين التاسع عشر والعشرين" تحت عنوان: "عائلة آل عبدالله والتنوخيون" والمعدّ للنشر منذ سنة ٢٠٠٣ حسب ما جاء في هذه المصادر، وقد حصلنا على هذا المؤرَّخ من أرشيف الكاتب، والمؤرخ علي حسين مزرعاني ـ النبطية٢٠١٢م.

الحمد لله الذي أجرى أخبار السلف على ألسنة الخلف، وجعل الناس يعقب الأبناء منها الآباء وينتمي كل فرع منها إلى أصله منذ علّم الله آدم الأسماء، والصلاة والسلام على رسوله النبي المشفع يوم تقوم الساعة وتفتح أبواب السماء وعلى سائر من بعثهم هداة للناس من الرسل والأنبياء.

أما بعد، فإن من أحق الأمور بعناية أولي الألباب أن يؤلف لكل أسرة تاريخ موجز يبين منتماها ونسبها، ويضمن ما هو جدير بالذكر من أخبارها ومناقب مشهوري رجالها، فيكون إرثًا ثمينًا ينتقل إلى أبنائها من آبائهم، ويضاف إليه ما يرويه الثقات من صحيح أنبائهم عصرا فعصرا ولكن قل الذين عنوا بهذا الامر في الزمان الأخير، فباتت معظم الأسر لا تعلم من تاريخ أجدادها إلا النزر اليسير، وما ذلك في الحقيقه إلا إهمال لا يرضاه لنفسه عاقل بصير ولولا ما يتناقله الخلف عن السلف من حقائق ثابتة يرعونها حق رعايتها، وما لدى بعضهم من مخطوطات قديمة يستدل بها على منتماهم، وأدلة تاريخية يعلمها ذوو الاطلاع ويتذاكرونها، ومعلومات يحدث بها الشيوخ المعمرون، لجهلت كل أسرة نسبها كل الجهل، ولاختلط الحابل بالنابل فانقطعت صلة الفرع بالأصل، ولما بقيت أسرة من الأسر القديمة على خمول بعضها مرعية الحرمة معترفًا لها بالقدم والنبل، ولسهل على كل ذي مال أو عصبية أن يدّعي أشرف الأنساب ويمت إلى أزكى الناس منبتًا بأسباب، ولكن لم يكن شيء من هذا لأن الأنساب لن تقبل ما كان أجنبيًا عنها، فمن ثم وجدنا كل أسرة لا تنكر أصلها وإن لم يكن قديمًا، ولا تدّعي غير نسبها وإن لم يكن ذلك النسب رفيعًا، ووجدنا الناس منذ أقدم الأزمنة قد اعتادوا إجلال ذوي النسب الموروث، علمًا منهم بأن الخالق الحكيم برأ الخلق طبقات بعضها فوق بعض، فهم كشجرة تغذيها تربة واحدة ويجري في ساقها وأغصانها ماء واحد، ولكن تلك الأغصان تتشعب من الأصل واحدًا فوق آخر وورقها إنما يكون ورقة فوق ورقة حتى ينتهي إلى الشناغيب وهي أعالي الأغصان، فلولا أن علم الناس ذلك حق العلم لما بقي لكثير من الأسر القديمة في هذا العصر شيء من الكرامة، بعد أن أناخ الفقر على سوادها الأعظم بكلكل، وبات من الخمول والجهل في ليل أَلْيَل وشذّ كثير من أفرادها عن السنن الموروثة، فجنوا بذلك على أعقابهم حتى كاد الناس ينكرون عليها أنسابها، متناسين قول الرسول عليه الصلاة والسلام:

"**الناس مصدقون في أنسابهم**".

ألفت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تواريخ خفيت في أكثرها الحقائق، وظهرت الأباطيل، فمن يتصفحها لا تقع عينه إلا على أضاليل مترادفة وجنايات على التاريخ متتابعة، فان المؤرخ كان

يجاري أولى السلطة الغاشمة مع أهوائهم فيكتب عنهم في تاريخه ما يريدون هم أن يكتب، ويرفع الوضيع الذي يسني لها الجائزة ويضع الرفيع الذي يأبى أن يؤدي لقول الحق ثمنًا، ويغفل ذكر من لهم مآثر تحمد وأياد بيض لا تكفر وأعمال عظيمة لا تحصى وأنساب شريفة لا تنكر، ومن المؤرخين من كان يأبى التنويه بذكر هؤلاء إما تعصبًا في دين أو مذهب سياسي يحول بينه وبين إنصاف مخالفيه، وإما نزولًا على إرادة قوم يسوءهم أن ينبه لغيرهم ذكر، أو أن تذكر لسواهم مأثرة أو أن تقوم على تجلية الأماثل في شوط المكارم بينة، لئلا يكسف سنا البرق ضوء الحباحب، وتخفي طلعة البدر محول الكواكب. ولكن الحقيقة لم تلبث أن ظهرت فكان مثل أولئك الحساد المتأهبّين مثل الذين أرادهم الله بقوله في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]، فليس عجبًا والحال هذه ألا تحفل تلك التواريخ إلا بأخبار الظالمين الطغاة، والسفاحين العتاة وأولي الرذائل والموبقات، متضمنة من إطرائهم ما هو الإفك بعينه أما هاميم الرجال أُولو المفاخر والمناقب وأقطاب الفضائل والمكارم فلم يرد ذكرهم فيها إلا في القليل النادر، ذلك بأن هؤلاء اطمأنت نفوسهم إلى ما فعلوا من خير أرضى الله ونفع الناس، فلم يحاولوا بمختلف الوسائل أن يحملوا المؤرخين على الإشادة بذكرهم، اكتفاء بأن الله عليم بذات صدورهم وتجافيًا عن الرغبة في الظهور وهي من أدلة الكبرياء.

أما أولئك فكانوا يتذكرون فظائعهم ومساوئهم، فيحاولون أن يستروها بما يقوله فيهم المؤرخون من إطراء كاذب يموهون به الباطل على الناس، ولا يجدون بدًّا من استمالة المؤرخين تارة بالوعد وطورًا بالوعيد، حتى يصبحوا أتبع لهم من ظلالهم لعمر الحق إن في ما تقدم ما يثبت أن من أشرف مزايا أهل الفضيلة كونهم يأبون الظهور لئلا يلفتوا الناس إليهم، فهم أبدًا كاللآلئ في صدفها وإن أهل الرذيلة قد ملكت عليهم مشاعرهم الرغبة في الظهور بعد أن يلبسهم المؤرخون غير أثوابهم، ويجعلوا سيئاتهم حسنات ومعايبهم ممادح، وإن نصراء الفضيلة والحق في الأزمنة المتأخرة يعدون على الأصابع ونصراء الرذيلة والباطل هم أكثر من أن يحصوا.

والله يشهد وأنبياؤه بأننا لم نقصد بهذا التاريخ تباهياً بنسب تليد، وأصل عربي صميم، وأنا القائل في أن المرء بأخلاقه لا بنسبه وأجداده:

قالوا كفاكم فخاراً إن تقدمكم	أجداد صدق نماهم من تنوخ أبُ
شمُّ المعاطس محميّ ذمارهم	بكل منصلتٍ في متنهِ شُطبُ(*)
تنهل كالوابل الهامي عوارفهم	على العفاة ويرضى المجد إن غضبوا

أما وفاؤهـــمُ والنـاس قـد غـدروا فـطـالـمـا جـمـعـت أخـبـاره الـكـتـبُ
فقلت إن لم تكـن أخـلاق مَنْ سلفـوا أخـلاقـنـا لـم يُـفـدنـا ذلـك الـنـسـبُ
ومـن يـفاخـر بـأجــدادٍ لـه شـرفـوا ففخـروه إن يمـل عن نهجهم كـذب

ولكننا قصدنا به البر للآباء والأجداد بذكر مآثرهم وأخلاقهم من جهة، ومعرفة الحقائق عن العشيرة في الزمان القديم من جهة ثانية، وخدمة للتاريخ من جهة ثالثة، والحرص على حقيقة هذا النسب بعد أن كثر اختلاط الناس حتى أوشكت الأنساب أن تضيع من جهة رابعة. ونود أن يقوم من كل أسرة عربية في هذا الوطن من يؤلف لها تاريخاً يضمنه ما تلقاه الخلف عن السلف، وما رواه الثقات من أخبار أجدادها ونسبها، لأن في ذلك من الفائدة التاريخية ما لا يخفى على ذوي البصائر والله الهادي إلى الصواب .. كفرمتى ٧ت٢-١٩٣٩م، الأمير أمين ناصر الدين.

يتابع الأمير أمين بك آل ناصر الدين تحت عنوان: "أمراء آل تنوخ"، متحدثًا عن آل علم الدين التنوخيين بعد معركة عين دارة الشهيرة:

يختلف المؤرخون فيما آل إليه آل علم الدين التنوخيون بعد معركة عين دارة الشهيرة سنة ١٧٠٨ للميلاد، فمنهم من يزعم انقراضهم عن آخرهم ومنهم من ينفي هذا الزعم قائلًا: إن بقايا السيف من آل علم الدين التنوخي في تلك المعركة الدموية الرهيبة قد فروا إلى أمكنة متفرقة بعيدة عن متناول المتعقبين. ويؤكد آل عبدالله في خيام مرجعيون ومن كبار زعماء الشيعة في جبل عامل أن لديهم من الاستدلالات التاريخية الثابتة ما يرجعهم إلى آل علم الدين التنوخي، وأن جدهم نزح من مواطن التنوخيين في مشارف الغرب والجرد إلى بلدة الخيام واستقر فيها. وكان من نسله هذه الأسرة الكبيرة المعروفة اليوم بآل عبدالله. وكتب إلينا الحاج علي عبدالله مفتي مرجعيون: يزيد على هذا التأكيد أن في حيازة الأسرة كتابًا خطيًا قديمًا موسومًا بهذه العبارة: لقد دخل هذا الكتاب(**) في ملك موسى ابن علم الدين التنوخي من آل عبدالله القاطن الخيام من أعمال مرجعيون سنة ٧٥٠ للهجرة(٢).

(*) هذا الهامش تابع للصفحة السابقة = شم المعاطس: الشم بضم الشين مأخوذ من الشمم بفتح الشين الارتفاع في قصبة الأنف وحسنها و استواء أعلاها، ثم الشمم في الأنف علامة علو الهمة وسعة الصدر وقوة القلب كما ذكره علماء علم القيافة والفراسة، والمعاطس جمع معطس كمجلس ومقعد الأنف ومن المجاز العاطس الصبح، ثم شم المعاطس كناية عن جلالة القدر. الطود: الجبل العظيم المتطاول في السماء.

(**) إن كتاب موسى هذا ليس الحديث عنه حديثًا وهميًا بل حقيقة ثابته ومؤكدة وقد بقي هذا الكتاب تتناقله أسرة آل عبدالله وينتقل من بيت إلى بيت ومن يدٍ إلى يد حتى استقر به المطاف في بيت المرحوم الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِنا مع ولده المرحوم العم الحاج رضا عبدالله وهو مَن بادر وتحدث عن الكتاب وقد كان الحديث عنه مفاجأة لي لأنني كنت كل من ألتقيه أسأله عن هذا الكتاب وكان الجواب

وأما ما تبقى لنا في حوزة الأمير هو هذا الحوار القيِّم بين أمير الدولتين الأمير أمين آل ناصر الدين والمفتي الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله، كان فيه الحاج عادل الحاج جواد عبدالله واسطة خير أفلح في إعادة حرارة العلاقات بين قرابة أسرتين باعدت بينهما السنين، حوار فيه من دفء الكلام وسحر البيان ومكنون اللؤلوء والمرجان و فصاحة اللسان لسان عربي مبين، حوار فيه أرخى الصدق العنان وكان مبعث إحسان وتعارف بعد طول زمان.يقول أمير الدولتين:

زارنا مرة في كفر متى الشاب عادل عبدالله(١) من الخيام، وأعاد ما يقصّه آباؤه وأجداده من أن آل عبدالله من آل علم الدين التنوخي، وأنّا نحن وهم أبناء عمومة وإن شحطت الدار، ورأينا في هذا الشاب من الخلق الكريم ما يدل على طيب محتده فارتجلت يومئذٍ هذه الأبيات :

لقد فرقتنا حادثات تقادمت ... وما جمعتنا بعد ذلك أوطان
فروع نمتها دوحة يعربية ... تنوخ أبوها القرم والجد قحطان
حوى اليمن العلياء قبل انتزاحها ... ومن بعده عز العراق ولبنان
بنت فيهما للمجد كل ممرد ... كأن حفافيه ثبير وثهلان
وأعقابها شمّ الأنوف ومنهم ... شيوخ يصونون الدمار وشبان

بين من سمع به وبين من لم يسمع عنه، ولكن كانت المفاجأة بأن العم الحاج رضا لم يسمع عنه فقط بل قرأ في كتاب موسى وتلمس صفحاته وكان يحتفظ به مع مجموعة من الكتب التاريخية القيمة التي ورثها عن والده المرحوم الحاج محمد عبدالله إلى بداية منتصف السبعينات وبالتحديد ١٩٧٧م.إن ما حل بالخيام من أحداث أمنية واجتياحات إسرائيلية كان كفيلًا بتدمير منازلها وما بقي لم يسلم من النهب والحرق الذي قضى على كل شيء وقد كان المرحوم الحاج رضا عبدالله يحفظ عن ظهر قلب هذه العبارة: (لقد دخل هذا الكتاب في ملك موسى ابن علم الدين التنوخي من آل عبدالله)وقد وصف لنا الكتاب وكأنه بين يديه وأشار إلى أنه مكتوب بخط اليد كتابةً حَسُنَ خطها تدل على مهارة عالية ووضوح في الكلام، وأضاف بأن الكتاب يلخص أحداثًا تاريخية وسير رجالات واصفًا الحاج أبو علي رضا حجمه حين قال بالحرف الواحد:كأنك تحمل بين يديك كتاب مفاتيح الجنان بكل صفحاته وسَميك بسمَكته. كان هذا الحديث في أيار ٢٠١٣.

(٢) هذا الهامش تابع للصفحة السابقة = كتاب "أوراق لبنانية" ليوسف يزبك، دار الرائد اللبناني، سنة ١٩٨٣م، الفصل الثاني عشر، صفحة ٤٥١.

(١) ترأس المرحوم الحاج عادل الحاج جواد عبدالله في أواخر الخمسينات من القرن الماضي جمعية آل عبدالله ولم يدخر وسعاً في سبيل أسرته وبلدته الخيام فكان رحمه الله رجلًا شجاعًا وذا عزم وجرأةٍ ونشاطٍ، فكانت زيارته إلى الأمير أمين بك ناصر الدين من أهم الزيارات التي أعادت العلاقات بين اسرتين تتقاربان بالنسب، كان قد مضى عليها الكثير الكثير من السنوات فدونت هذه الزيارة في مذكرات الأمير أمين ناصر الدين فاستقرت في كتاب أوراق لبنانية ليوسف إبراهيم يزبك في الفصل الثاني عشر. رحم الله عمنا الحاج عادل عبدالله.

مواطنهم شتى ولكن يضمهم	نجار كما ضم الأزاهير نيسان

الأمير أمين

اطّلع (أي الحاج عادل الحاج جواد عبدالله) المفتي الشيخ الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله وهو شاعر مجيد على هذه الأبيات فأعجب بها وما لبث أن بعث إلينا بقصيدة منها:

أبا المجد من عليا تنوخ ابن قحطان	وساحر ألفاظ بأروع تبيان
لئن فرقتنا الحادثات مواطنا	ففي وحدة الأرواح وحدة أوطان
كفانا فخارا أننا نلهب الوغى	إذا التحمت فرسان حرب بفرسان
وإن لنا في كل نادٍ وبقعة	مواقف جلت عن عداد وحسبان
ولا عصر إلا فيه منا مبرز	بعيد مرامي العزم عاطر أردان
ولو لم يكن إلا الأمين لكان من	فخار تنوخ فيه أعظم برهان
وقل لنديم تـه فخارا وعزة	فأنت وبدر الأفق بالفخر سيان
ودوما بعز وأسلما ما تأرجت	بطيب الشذا الذاكي أزاهير نيسان

الحاج علي بن الحاج محمد أفندي

فأجبناه بالقصيدة التالية:

أحييك أرضاً ذات روح وريحان	ظليلة واد بالأراك وبالبان
وللأثلات الخضر في جنباتها	عليل نسيم من ندى الصبح ريان
إذا حلّها المرتاد سائل نفسه	أهدي خيام المرج أم دار رضوان
موائس في الوشي المنمنم حورها	نواعم أعطاف سواحر أجفان
ألمّت بنا حوراء منهن وجهها	تألق منه نور علمٍ وإيمان
لها مقلة لم ترن إلا تخازرت	عيون منا الوادي وآرام عسفان
توهمت أن الكهرباء كأنما	تقول لها إني ولحظك سيان
ممتعة شمّاء تنبئ أنها	سليلة بيت من تنوخ ابن قحطان
إلى آل عبدالله تنتمي وأنهم	لأقطاب عرفان وفرسان ميدان
زجاها علي ذو الكمال فأقبلت	تبختر عجباً في مطارف تبيان
بليغ إذا ما انهلّ صوب يراعه	على الطرس حلاه بدر وعقيان
لأبياتها من رقة وحماسة	تسلسل ماء في توهج نيران

***

لـنـا ولكـــم يـــوم التفاخـــر نسبـــه ... إلـــى شـــم أجـداد مقاحيـــم شجعـــان

أباة نفـــوس مـــن تنـــوخ ديـــارهـــم ... عرائـــــن أســـد لا مـــراتـــع غـــزلان

دماؤهـــم مُنسابـــة فـــي عـــروقنـــا ... ومـــن قصـــرات الـــدوح ري لأغصـــان

تحاكـــي مذاكيهـــم إذا أعنقـــت بهـــم ... خطاطيـــف تعلوهـــا كواســـر عقبـــان

غطاريـــف منهـــم كـــل قطـــب حلاحـــل ... وكـــل أميـــر بالمآثـــر هيمـــان

إذا ضحكـــت يـــوم الجـــلاد سيوفهـــم ... بكـــى النقـــع لكـــن الدمـــوع دم قانـــي

ولكنهم في السلم والدهر شاهد ... منـــاهـــل إحســـان وأقمـــار ديـــوان

***

علـــي ارتجـــاك المجـــد فاحـــم ذمـــاره ... بهمـــة قـــرم لا هيـــوب ولا وانـــي

ومثلك في الأعقـــاب يحســـب فضلـــه ... لـمـا ميّـــز الأجداد أوضـــح برهـــان

الأمير أمين

الحاج علي ابن الحاج محمد آل عبدالله (١٨٧١-١٩٦١م):

مفتي مرجعيون طيلة أربعة عقود من الزمن شاعر كبير من شعراء جبل عامل وخطيب مفوه من خطباء لبنان، عرف بمواقفه الوطنية المسؤولة شاعرًا وخطيبًا وكان بحق داعية محبة ووفاق في جميع المناسبات الدينية والزمنية الإسلامية والمسيحية. ولقد تميز عن غيره من شعراء وخطباء عصره بعدم استجابته لكلمة (أَعِدْ) أولكلمة (أحسنت) يُطلقها في الاحتفالات أهل العلم والمعرفة استحسانًا وإعجابًا بأبيات من الشعر في القصيدة أو جمل في الكلام في الخطاب. ولقد اخترنا بعض أبيات من قصيدة عصماء ألقاها في كنيسة مدينة جزين بمناسبة زيارة مرجع ديني مسيحي كبير لتلك المدينة في العشرينات من هذا القرن:

للحـــب في الدهـــر معنا جـــلّ تبيانـــا ... لا يبعـــد العقـــل عنـــه قـــط إنسانـــا

فرض علـــى علمـــاء العصـــر قاطبـــة ... أن لا يعيـــرو الغيـــر الحـــب آذانـــا

وأن يســـود بهـــم حـــبّ الوفـــاق وأن ... تـــزداد فيهـــم بـــلاد الله عمرانـــا

لـــو كـــل راع رأت فيـــه رعيتـــه ... حـــب الوفـــاق لكـــان الكـــل إخوانـــا

أي الشعـــوب رأت قبحـــا بتفرقـــة ... وأي شعـــب رأى بالحـــب خسرانـــا

يمين صدق بمَـــنْ أرســـى الجبال ومَـــنْ ... أنشـــأ مـــن الطيـــن وهـــو الله إنسانـــا

ولا الرياسة ما في الناس تفرقة ولا خلافًا ولا كان الذي كانا

كما اخترنا بعض أبيات من قصيدة ثانية بعث بها إلى أمير الدولتين الأمير أمين آل ناصر الدين التنوخي في الأربعينات من هذا القرن، والشاعران من جيل واحد وينتميان إلى الأمراء التنوخيين:

أبا المجد من عليا تنوخ ابن قحطان لئن فرقتنا الحادثات مواطنا
كفانا فخارا أننا نلهب الوغى إذا التحمت فرسان حرب بفرسان
وأن لنا في كل ناد وبقعة مواقف جلّت عن عداد وحسبان
ولا عصر إلا فيه منا مبرز بعيد مرامي العزم عاطر أردان
ولو لم يكن إلا الأمين لكان من فخار تنوخ فيه أعظم برهان

من أولاد الحاج علي محمد عبدالله :مفتي مرجعيون السابق المرحوم الحاج حسين والعقيد المتقاعد المحامي يوسف والإداري الجامعي محمد والحاج حسن ومحمد علي[(١)].

آل عبدالله في كتاب «حنا»

ذكر مؤلف وصاحب كتاب "الأخبار الشهية عن العيال المرجعيونية والتيمية"، حنا حردان الخوري، وهو من أهم الكتب القديمة وقد صدر في بداية الخمسينات من القرن الماضي حيث تناول تاريخ العائلات المرجعيونية وبعض العائلات الخيامية وسوف ننقل ما كتبه دون زيادة أو نقصان، وهذا ما حدا بالكتاب أن ينقل ما حصل عليه من معلومات من الأستاذ المربي علي حسين خليل عبدالله، وينشرها كما هي، وها نحن ننقل ما جاء بكتاب حنا حردان جملة وتفصيلًا وتحت عنوان: "آل عبدالله" يقول:

لقد شاء الحظ الطروب أن يُوفّق مسعانا في الخيام بالتعرف إلى شخصية متفهمة من آل عبدالله هو الأستاذ علي حسين عبدالله مدير مدرسة المعارف في الخيام، الذي راقت له فكرتنا فكان خير مناصر لنا فساعدنا بالحصول على المعلومات الخاصة بالعيال الشيعية، كما جاد بفذلكة موجزة عن عائلته الكريمة، رأينا ان لا نحدث فيها شيئًا من التغيير محافظة على رونقها وطلاوة أسلوبها فأثبتناها لحضرته مسجلين له كلمة شكر على مجهوده ومناصرته الأدبيه وراجين له دوام التقدم والرفعة.

المؤلف

يرجع آل عبدالله بنسبهم إلى قبيلة تنوخ العربية التي نزحت إلى البلاد السورية اللبنانية مع من

(١) نشرة داخلية تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي، العدد ٧، السنة الثالثة نيسان ١٩٩٧م، تحت عنوان: "من الماضي من تاريخ العائلة"، صفحة ٢ (جمعية آل عبدالله والتي كان يرأسها الأستاذ حسن علي حسين خليل عبدالله ابن المربي الأستاذ علي عبدالله).

نزح من القبائل العربية كالمعنيين والشهابيين وغيرهم، واستوطنت سورية الشمالية وشمال لبنان وأواسطه وحكمت البلاد في زمن المماليك من الوجهتين السياسية والدينية، وعرف أمراؤها بأمراء الغرب. وكان منها الولاة كالأمير سيف الدين التنوخي والمؤرخون كصالح بن يحيى التنوخي. وقديمًا الفلاسفة كأبي العلاء المعري وغيرهم وغيرهم، وبعد انكسار المماليك وانتصار العثمانيين أخذ نفوذ التنوخيين يضعف ويضمحل لأن السلطان العثماني استبد بهم لمناصرتهم المماليك وتحزبهم لهم، فاضطروا للتخفي والتنكر خوفًا من بطش الحاكم وانتقامه وذلك في القرن السادس عشر حيث قدم إلى الخيام واتخذها موطنًا له، وهو موسى بن علم الدين التنوخي وبصحبته ولده عبدالله ولقد توفي موسى وولده عبدالله لا يزال قاصرًا، فتعهدته أمه بعنايتها فشب وترعرع ثم تزوج وخلّف. وكانت منه عائلة عبدالله التي قوي نفوذها وسمت معنوياتها في زمن باعث نهضتها ومحيي أمجادها المرحوم الحاج حسن عبدالله، الذي كان عضوًا في مجلس إدارة ولاية بيروت والذي أنجب أربعة عشر ولدًا لعبوا دورًا مهمًا في سياسة الجنوب بصورة عامة، وجبل عامل بصورة خاصة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين واشتهر منهم:

محمد عبدالله: وهوالحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي. ولد في الخيام عام ١٨٣٩ وكان عالمًا كبيرًا وزعيمًا خطيرًا يتقن اللغتين العربية والتركية، وقد لعب دورًا مهمًا في سياسة ما نسميه بالجنوب اليوم وتحفظ له الطائفة الشيعية بصورة خاصة أطيب الذكر. وتروى عنه وعن أعماله الأساطير ينقلها الآباء إلى الأبناء. وكان يعالج العداوات المستحكمة بين زعماء الطائفة بحكمة ودراية .ولقد وفق إلى حد بعيد لإزالة الخلاف السياسي بين الزعيم الكبير كامل بك الأسعد من جهة وآل الخليل زعماء الساحل الجنوبي من جهة ثانية، وبينه وبين الأمير محمد الفاعور أمير عرب الفضل وزعيم الجولان، وهذا يدل دلالة واضحة على الروابط التاريخية التي كانت تربط آل عبدالله بآل الأسعد زعماء عاملة، وهو ولا شك الذي مهد للزعيم كامل بك الأسعد الطريق إلى مجلس المبعوثان التركي فانتخب نائبا بالإجماع. (راجع صفحة ٢٧٧ من هذا الكتاب سيرة الحاج محمد أفندي).

إبراهيم عبدالله : هوالحاج ابراهيم ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي. ولد في الخيام سنة ١٨٣٧ وهو عميد العائلة بعد أبيه بلا منازع. حافظ على عائلته وبنى لها أمجادًا فوق أمجادها، ولعب دورًا مهمًا في تاريخ عاملة، وكان يلقب بسيف الطائفة هذا عدا عن حبه لبقية الطوائف المجاورة وعطفه عليها وبره بها. (راجع صفحة ٣٣٤ من هذا الكتاب سيرة الحاج إبراهيم أفندي).

أمين عبدالله: هو أمين بن الحاج حسن ابن محمد بن عبدالله التنوخي. ولد في الخيام سنة ١٨٦٤ وكان سياسيًا أريبًا وشاعرًا أديبًا ساس بلدة الخيام فأحسن سياستها . وكان له اتصالات مع الحكومة المحلية بالإضافة إلى اتصالاته مع الولاية في بيروت. وكان مشهورًا برأيه السديد ونظره الحديد . ومن أراد أن يعرف أمين عبدالله فليسأل عنه العلامة الأمير فؤاد شهاب الذي يقول فيه (ولد أخي أمين في القرن التاسع عشر إلا أنه كان يفكر تفكير أبناء القرن العشرين) هؤلاء هم الذين اشتهروا من أبناء المرحوم الحاج حسن عبدالله أما احفاده فهم. (راجع صفحة ٣٤٩ من هذا الكتاب سيرة أمين أفندي عبدالله).

علي محمد عبدالله: هوالحاج علي بن الحاج محمد ابن الحاج حسن ابن محمد بن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام سنة ١٨٧٠ وهو عالم كبير وشاعر مجيد وخطيب مفوه له مواقف مشهورة، أهمها وقفته أمام السفاح جمال باشا عند زيارته للزعيم الكبير كامل بك الأسعد، فلقد ألقى خطبة لا تزال تتناقلها الألسن حتى أيامنا هذه وكان مفتي مرجعيون. (راجع صفحة ٢٨٦ من هذا الكتاب سيرة المفتي الحاج علي).

خليل إبراهيم عبدالله: هو الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام سنة ١٨٧٢ . عين مستنطقًا في محكمة مرجعيون، وعندما انتهت الحرب الكونية الأولى نفاه الفرنسيون فرحل إلى الشام، وعين عضوًا في المجلس التأسيسي السوري في عهد الملك فيصل الأول. ثم عاد إلى الخيام واعتزل السياسة، وكان موضع احترام وتقدير عموم أفراد العائلة. (راجع صفحة ٣٩٨ من هذا الكتاب سيرة الحاج خليل افندي عبدالله).

علي إبراهيم عبدالله: هو علي أفندي ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام سنة ١٨٨٢ وتسلم زعامة الخيام سنة ١٩٢٠ وفي عام ١٩٣٧ عين نائباً في المجلس النيابي اللبناني، كما انتخب في عام ١٩٤٣ نائبًا عن الجنوب وهو معروف ببعد نظره وسداد رأيه. خدم بلدته ومنطقته ووطنه خدمات جليلة. (راجع صفحة ٣٦٨ من هذا الكتاب سيرة أبوسطام علي أفندي عبدالله).

خنجر حسين عبدالله: هو خنجر ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي ولد في الخيام عام ١٨٨٤ وهو من كبار العائلة ومن وجهاء المنطقة المرجعيونية المرموقين، وله أياد بيضاء على بلدته وعلى منطقته بالخدمات التي أداها ويؤديها مباشرة، أو بالخدمات التي

يقوم بها نجله النائب والوزير حسين أفندي العبدالله. (راجع صفحة ٤٠٧ من هذا الكتاب سيرة خنجر أفندي).

محمد حسين عبدالله: هو الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام عام ١٨٨٨ وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون، وعين موظفًا في قائمقامية مرجعيون في العهد التركي ثم موظفًا في وزارة المعارف اللبنانية. ترأس بلدية الخيام مدة من الزمن فأدخل بعض الإصلاحات المهمه على بلدته وهو من وجهاء المنطقة المرجعيونية المرموقين . (راجع صفحة ٤٨٧ من هذا الكتاب سيرة الحاج محمد عبدالله).

حكمت أمين عبدالله: هو حكمت بن أمين ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، وُلد في الخيام عام ١٨٨٧، وهو مختار لبلدة الخيام منذ عشرين سنة. يتمتع بثقة أهالي البلدة واحترامهم على اختلاف مشاربهم وأهوائهم.

عبد الحسين عبدالله: هو عبد الحسين بن اسماعيل ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام عام ١٨٩٦ وهو شاعر مبدع معروف بنزعته الاستقلالية وميوله الوطنية. اعتقله الفرنسيون وهو موظف في العدلية، تتناقل قصائده العصماء الألسن وهو عنيد في حزبيته وعريق في عروبته. (راجع صفحة ٥٥٠ من هذا الكتاب سيرة الشاعر عبدالحسين عبدالله).

حسن علي فايز عبدالله: هو حسن بن علي ابن الحاج مصطفى ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي ولد في الخيام عام ١٩٠٥، وهو من وجهاء العائلة ومن شبابها المبرزين. له رأيه في سياسة العائلة، تقلّب في عدة وظائف حكومية وغير حكومية. (راجع صفحة ٥٠٥ من هذا الكتاب سيرة الوجيه حسن علي فايز عبدالله).

محمد خليل عبدالله: هو محمد ابن الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن بن محمد ابن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام عام ١٨٩٢ وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون. عين كاتبًا في محكمة شرع مرجعيون ثم موظفًا في وزارة الزراعة اللبنانية، ثم كاتبًا في محكمة شرع مرجعيون. وهو من وجهاء العائلة ومن أصحاب الرأي فيها.

علي إسماعيل عبدالله: هو علي بن إسماعيل ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي، وُلد في الخيام عام ١٨٨٠ وهاجر إلى الأرجنتين، وعندما عاد منها ترأس بلدية الخيام وأدخل كثيرًا من الاصلاح في البلدة وهو وجيه من وجهاء العائلة، توفي سنة ١٩٥٤م. (راجع صفحة ٥٠٢ من هذا الكتاب سيرة الوجيه الحاج علي إسماعيل عبدالله).

علي خليل عبدالله: هو الحاج علي ابن الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن بن

محمد ابن عبدالله التنوخي، ولد في الخيام عام ١٩١٤، وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون وعلومه الثانوية في بيروت، وهو يتمتع بمركز أدبي وسياسي مرموق، وهو رئيس محاسبة المجلس النيابي اللبناني. (راجع صفحة ٤٤٩ من هذا الكتاب سيرة النائب السابق الحاج علي عبدالله).

حسيب خنجر عبدالله : هومحمد حسيب بن خنجر ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن بن محمد ابن عبدالله التنوخي. وُلد في الخيام عام ١٩١٥، وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون، والثانوية في مدرسة الفنون في صيدا، والعالية في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم تخرّج محامياً من إحدى جامعات بغداد. تسلم منصبًا كبيرًا في وزارة العدل في بيروت وهو الآن من كبار موظفي وزارة الخارجية اللبنانية. يتحلى بجرأة أدبية ممتازة تجعله في الرعيل الأول من الشباب اللبناني الطالع؟. (راجع صفحة ٤٦٣ من هذا الكتاب سيرة الشهيد حسيب العبدالله).

حسين خنجر عبدالله: هو حسين ابن خنجر بن الحاج حسين بن الحاج حسن بن محمد ين عبدالله التنوخي. وُلد في الخيام عام ١٩١٧، وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون والثانوية في صيدا والعالية في بيروت، ثم تخرج مهندسًا من إحدى جامعات فرنسا وكان متفوقًا على جميع أقرانه. ثم مثل حكومة اليمن في إحدى دورات جامعة الأمم وتقلب في عدة وظائف حكومية كبيرة، وانتخب نائبًا عن لبنان الجنوبي في دورة ١٩٥١ ووزيرًا للأنباء والبرق والبريد، حيث برهن عن جدارة واستحقاق فائقين. ويعلق عليه المواطنون أعز الآمال وأطيب المنى وهو وديع متواضع طيب القلب ونقي الوجدان . (راجع صفحة ٤٢٢ من هذا الكتاب سيرة حسين أفندي العبدالله)

إبراهيم علي عبدالله : هو إبراهيم بن علي أفندي ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن بن محمد ابن عبدالله التنوخي. وُلد في الخيام عام ١٩٢٠، تلقى علومه الابتدائية في مرجعيون والثانوية في بيروت، عين مأمور نفوس في مرجعيون ثم موظفًا كبيرًا في المجلس النيابي اللبناني، وهو يتمتع بمركز أدبي سياسي مرموق. (راجع صفحة ٤٢٩ من هذا الكتاب سيرة الزعيم ابراهيم افندي عبدالله).

حسن علي عبدالله: هو الحاج حسن بن علي أفندي ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي. وُلد في الخيام عام ١٩٢٢، وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون ثم عُيّن موظفًا في المالية، وهو اليوم أمين صندوق مال مرجعيون يتمتع بثقة وتقدير واحترام مواطنيه.

(راجع صفحة ٤٧٠ من هذا الكتاب سيرة الوجيه الحاج حسن علي أفندي عبدالله)

كامل عبد الحسين عبدالله: هو كامل بن عبد الحسين بن اسماعيل بن حسن بن محمد بن

عبدالله التنوخي، وُلد في الخيام عام ١٩٢٤، وتلقى علومه الابتدائية في الخيام والثانوية في بيروت. وهو أديب معروف وشاعر مطبوع وصحافي قدير، يرأس تحرير جريدة الأنباء اللبنانية ويشغل أمانة سر الحزب التقدمي الاشتراكي (*).

عباس خليل عبدالله: هو الحاج عباس ابن الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي. وُلد في الخيام عام ١٩٢٥، وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون ثم عُيّن كاتبا في وزارة الداخلية، وهو اليوم مأمور نفوس في النبطية. (راجع صفحة ٥١١ من هذا الكتاب).

علي حسين عبدالله: هو المربي الأستاذ علي بن حسين بن خليل ابن الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي. وُلد عام ١٩١٩، وتلقى علومه الابتدائية في النبطية، والثانوية في بيروت وتخرّج في دار المعلمين اللبنانية. وهو شاعر موهوب ومدير مدرسة الحكومة في الخيام وهو ذو أخلاق عالية مع رقة ودماثة وذوق سليم، وصاحب حزم في إدارة المدارس، وله مستقبل باهر في حقل التهذيب.

(راجع صفحة ٥٨٧ من هذا الكتاب سيرة المربي علي حسين خليل عبدالله)

هذا وإن أكثر من مائة شاب من شباب العائلة يخدمون في الجيش والدرك والشرطة والجمرك، ومنهم نائب الضابط والرقيب والعريف والجندي، عدا مَنْ يتعاطى التجارة والصناعة والزراعة والأعمال الحرة. وإن هذه العائلة من العائلات اللبنانية الكبيرة التي خدمت ولا تزال تخدم البلاد بأشخاص رجالها الأفذاذ الذين تسنموا مراكز عالية في الدولة سابقاً ولاحقاً.

التاريخ السياسي لأسرة آل عبدالله

بدأ التمثيل العائلي السياسي والإداري في العهد العثماني ثم في عهد الإنتداب وفي عهد الاستقلال وما يزال حتى عامنا هذا (**).

١ ـ الحاج حسن بن محمد آل عبدالله: (١٧٩٠ م ـ ١٩٠٤م) أبو العائلة وباعث نهضتها، مثل منطقة مرجعيون في مجلس إدارة ولاية بيروت يوم كانت المنطقة تابعة لولاية بيروت.

(*) (توفي بتاريخ ٢٧-٩-١٩٧٠م، هذا ولم يتسنّ لنا الإطلاع على سيرته وسوف يكون لنا وقفة مطولة عنه في الطبعة الثانية انشاء الله).

(**) من أرشيف الأستاذ علي حسين مزرعاني، جنوب لبنان ـ النبطية ٢٠١٢م. وقد قمنا لاحقاً بإضافة الصور المتوفرة لدينا إلى جانب كل شخصية ذُكرت في هذه الوثيقة. وكذلك مع إضافة بعض المعلومات التي حصلنا عليها من الكتب التاريخية والمقابلات الشخصية.

٢_الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله: (١٨٣٩م_١٩٢٩م) عميد العائلة وصاحب سيفها وقلمها ممثل الطائفة الشيعية في مؤتمر الحاصباني لسنة ١٨٩٤م الذي عقد فيه الصلح بين الطائفتين الشيعية والدرزية . كما انتخب رئيسًا لجمعية جبل عامل لمحاربة الظلم والطغيان عام ١٩٠٥م.

٣ _ الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله: ١٨٤٢م _ ١٩١٦م)، ممثل الخيام في مجلس إدارة قائمقامية مرجعيون.

٤ _ أمين ابن الحاج حسن عبدالله: ١٨٦٥م _ ١٩١٣م) ممثل الخيام في مجلس معارف القائمقامية.

٥ _ الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم عبدالله: (١٨٧٠م _ ١٩٤٤م) مثل منطقة مرجعيون في المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠ الذي بايع الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكاً على سوريا، انتُخب رئيسًا لبلدية الخيام عند إنشائها في آخر العهد العثماني .

٦ _ علي أفندي ابن الحاج إبراهيم عبدالله: (١٨٨٦م _ ١٩٥٧م)، انتُخب رئيساً لبلدية الخيام في عهد الانتداب سنة ١٩٣٢ .عين نائبًا سنة ١٩٣٧ في المجلس النيابي الرابع المؤلف من اثنين وستين نائبا .عين منهم واحد وعشرون نائبا، وانتخب منهم واحد وأربعون نائبا سنة ١٩٣٧ . انتخب نائبًا في المجلس النيابي الخامس المؤلف من سبعة وخمسين نائبًا ..... وفي هذا المجلس صار تعديل الدستور وتحقيق الإستقلال ووضع العلم الحالي سنة ١٩٤٣ .

٧ _ حسين أفندي بن خنجر عبدالله: (مواليد الخيام ١٩١٩م)، انتُخب نائبًا في المجلس النيابي السابع المؤلف من ثمانين نائبًا وشغل رئاسة لجنة الأشغال العامة سنة ١٩٥١م. عُين وزيرًا للأنباء والبريد والهاتف سنة ١٩٥٢ . وعين سفيرًا في وزارة الخارجية وسفيرًا معتمدًا في تونس سنة ١٩٦٦، في إيران سنة ١٩٦٧، في نيجيريا سنة ١٩٧٢، وفي مصر، ومندوبًا لدى الجامعة العربية سنة ١٩٧٨ . وهو مهندس من معهدي الإلكترونيك والهندسة المالية من جامعة غرينوبل في فرنسا.

٨ _ إبراهيم بن علي أفندي عبدالله: (مواليد الخيام سنة ١٩٢٠م)، انتُخب نائبًا في المجلس النيابي العاشر المؤلف من تسعة وتسعين نائبًا سنة ١٩٦٠ .

٩ _ علي ممدوح بن خنجر عبدالله: (مواليد الخيام سنة ١٩٣٢)، انتُخب نائبًا في المجلس النيابي الحادي عشر المؤلف من تسعة وتسعين نائبًا وشغل رئاسة لجنة الزراعة سنة ١٩٦٤ . ثم انتُخب نائبًا في المجلس النيابي الثاني عشر سنة ١٩٦٨ .عمل رئيسًا لجمعية الصداقة اللبنانية الكورية. مجاز في إدارة الأعمال.

١٠ـ علي ابن الحاج خليل عبدالله: (١٩١٤م ـ ١٩٩٨م)، انتُخب نائبًا في المجلس النيابي الثالث عشر سنة ١٩٧٢ المؤلف من تسعة وتسعين نائبًا وشغل رئاسة لجنة الزراعة فيه. وهو يحمل دبلوم في الاقتصاد والمحاسبة لذا شغل مديرية المحاسبة في المجلس النيابي منذ عهد الاستقلال حتى انتخابه نائبًا. ولقد مدد للمجلس النيابي الثالث عشر بسبب الأحداث اللبنانية الأليمة حتى سنة ١٩٩٢.

١٢ـ الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله: (١٨٧١م ـ ١٩٦١م)، مفتي مرجعيون طيلة نصف قرن من الزمن، شاعر الجنوب وخطيبه.

١٣ـ الحاج حسين ابن الحاج علي عبدالله: (١٩٠٥م ـ ١٩٩٠م)، مفتي مرجعيون السابق.

١٤ـ الشيخ عبد الحسين ابن الحاج محمد خليل عبدالله: (مواليد الخيام ١٩٤٢م)، مفتي مرجعيون الحالي وإمام بلدة الخيام.

١٥ـ إبراهيم ابن الحاج خليل عبدالله: (مواليد الخيام سنة ١٩٣٢م)، رئيس جمعية حقوق الإنسان اللبنانية، شغل رئاسة المجلس التأديبي لنقابة المحامين وعضوية أمناء المركز الثقافي الإسلامي. مجاز في الحقوق من جامعة القاهرة.

١٦ـ محمد حسيب بن خنجر عبدالله: (١٩١٨م ـ ١٩٧٧م)، سفير لبنان في الأمم المتحدة، ثم في سويسرا، ثم في ليبيريا، ثم في الكويت، ثم في الإمارات. خرّيج الجامعة الأمريكية يحمل دكتوراه في الحقوق والسياسة والإقتصاد.

١٧ـ الحاج محمد ابن الحاج حسين عبدالله: (١٨٩٢م ـ ١٩٧٠م)، انتُخب رئيسًا لبلدية الخيام في العشرينيات.

١٨ـ الحاج علي بن اسماعيل عبدالله: (١٨٨٠-١٩٥٤م)، انتُخب رئيسًا لبلدية الخيام في الثلاثينيات.

١٩ـ حسن بن علي فايز عبدالله: (١٩٠١م ـ ١٩٨٥م)، عُيّن رئيسًا لبلدية الخيام في مطلع العهد الشهابي.

٢٠ـ الحاج حكمت بن أمين عبدالله: (١٨٨٦م ـ ١٩٧٦م)، انتُخب مختارًا لبلدة الخيام في مطلع الثلاثينيات وبقي حتى وفاته، حيث كان للبلدة مختار واحدٌ.

٢١ـ عبد الحسين بن اسماعيل عبدالله: (١٩٠٠م ـ ١٩٩١م)، شاعر الجنوب الثائر على الإنتداب والإقطاع اعتقله الفرنسيون في قلعة راشيا سنة ١٩٤٣م، ديوان شعره حصاد الأشواك.

٢٢ـ كامل بن عبد الحسين بن إسماعيل عبدالله: (١٩٢٣م ـ ١٩٧٠م)، أستاذ الأدب العربي في ثانوية الجامعة الأمريكية، من مؤسسي الحزب التقدمي الاشتراكي والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي وجمعية أصدقاء الكتاب، مؤلف: "مع الشعراء"، و"حدثني يا أبي".

الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين عبدالله التنوخي (١٦٣٥-١٧٠٥م)

ولد الأمير موسى سنة ١٦٣٥ في منطقة الغرب من جبل لبنان بعد سنتين من معركة حامية الوطيس بين الحزب اليمني بقيادة والده الأمير علي علم الدين من آل عبدالله، وبين الأمراء المعنيين توفاه الله سنة ١٧٠٥م.ودفن في الخيام في الناحية الجنوبية للبلدة، يوم كانت الخيام لا تتعدى بيوتها الترابية أصابع اليد ـ كانت البيوت منحوتة بالكلس والجص- وتتألف من طبقة واحدة بيوت عادية خالية من العقود وأكثر سقوفها من جذوع الأشجار مغطاة بالتراب.

وكانت المقبرة آنذاك بعيدة نسبيًا حيث تقع في الطرف الجنوبي مما يعرف اليوم بجامع الخيام وما حوله، وقد أشار بعض الصحفيين حين زار الخيام سنة١٩٢٧م. للإطلاع على سوقها الذي كان يقام دوريًا، ذكر بأن بيوت الخيام تعدت المقبرة جنوبًا، كان قد مضى على وفاة الأمير موسى أكثر من مئتي عام.

الأمير موسى هو الابن الثالث للأمير علي علم الدين التنوخي، سكن الخيام وابنه الأميرعبدالله الذي تزوج فتاة من الخيام ومن ذريته عائلة آل عبدالله. وقد ذكرت الدكتورة عابد في كتابها ما يلي: لا بد لنا من ذكر آل عبدالله في (خيام مرجعيون) ومن كبار زعماءالشيعة في جبل عامل، ويؤكدون أن لديهم من الاستدلالات التاريخية الواضحة والثابتة ما يُرجعهم إلى نسبهم آل علم الدين التنوخي، وأن جدهم نزح من مواطن التنوخيين في مشارف الغرب والجرد إلى بلدة الخيام واستقر فيها،وكان

نسله هذه الأسرة الكبيرة المعروفة اليوم بآل عبدالله. وكتب الحاج علي عبدالله مفتي مرجعيون يزيد على هذا التأكيد (وهو الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله): إنَّ في حيازة الأسرة كتاباً خطياً قديماً موسوماً بهذه العبارة: لقد دخل هذا الكتاب في ملك موسى ابن علم الدين التنوخي من آل عبدالله القاطن الخيام من أعمال مرجعيون سنة ٧٥٠ للهجرة. وعبدالله الذي ينتسب إليه آل عبدالله في الخيام هو عبدالله بن موسى بن علي بن الأمير الشيخ مظفر علم الدين آل عبدالله التنوخي، وقد سكن الخيام (وكان نزوحه إلى الخيام مرتبط بالصراع مع المعنيين، وهو الأمير أحمد المعني آخر رجالات المعنيين). توفي الأمير موسى في الخيام وله ولدٌ صغيرٌ اسمه عبدالله فتعهدته والدته، فنشأ هناك وتزوج وحملت ذريته اسمه وأصبحت عائلة كريمة كبيرة معروفة بآل عبدالله في الخيام من طائفة المسلمين الشيعة المكرمة[١].

تشير الدلائل والوقائع والآثار والأحداث والروايات المأثورة مما لا يدع مجالاً للشك بأن الأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي اتخذ له منزلًا على رابية عالية نسبيًا نظرًا لموقعها المطل، حيث تقع في الجهة الشمالية لبلدة الخيام، تشرف شمالًا على ممر واسع يؤدي إلى إبل السقي وحاصبيا وقرى وادي التيم، وشمال غرب منه تقع جديدة مرجعيون والتلال المحيطة بها، وغربًا يشرف على مرج الخيام وباستطاعة الواقف على هذه الرابية أن يرى قلعة الشقيف بوضوح، وفي الجنوب الغربي قرى جبل عامل. كما يشرف على مناطق واسعة من شمال فلسطين وقرى قضاء صفد، كالخالصة والخصاص والجاعونة وغيرهم من القرى ويعرف المكان حاليًا (بدار الحوش) حيث لهذه الدار ممر واحد فقط تتوسط بيوته البالغة ثلاثين وحدة سكنية من البناء الحديث، تشرف معظم نوافذ بيوته على ساحة، ينبي بعض ما تبقى من آثار حجارتها المنحوته بأن التاريخ لم يستطع تجاوزها وحط رحاله هاهنا، وحسب التقسيم الإداري والاختياري لبلدة الخيام تقع الدار أو المكان بالحي الغربي، وفيه أعلى كثافة سكنية ونسبة أصوات انتخابية عالية لآل عبدالله. فإذا كان الأمير عبدالله ابن الأمير موسى قد سكن هذه الدار وأحفاده، فإن أبناء الحاج حسن أفندي عبدالله وأحفاده الذين ما برحوا يسكنون حول هذه الدار منهم أحفاد أبنائه: خليل وإسماعيل والحاج زين والحاج جواد والحاج حسين وأمين أفندي التنوخي والحاج علي - الابن البكر للحاج حسن عبدالله - والحاج محسن والحاج أحمد، وكذلك أحفاد شقيق الحاج حسن - وهو الحاج موسى بن محمد عبدالله التنوخي - وأحفاد أخيه الحاج حسين بن محمد عبدالله التنوخي(*).

---

(١) مفيدة عابد، مصدر سابق، صفحة ١٨٥ ـ ١٨٦.

(*) آل عبدالله في الخيام الورثة التاريخيين لاسم عمره أكثر من ١٣٠٠ سنة، إن الموجة التنوخية التي دخلت لبنان

اختيار الأمير موسى للخيام:

إن القراءة المتأنية لجملة أحداث تاريخية وقعت بالمناطق المحيطة والقريبة وفي الجوار من بلدة الخيام، وخاصة في وادي التيم التي كانت حاصبيا هي العاصمة السياسية لهذا الوادي والمقر الرئيسي للأمراء الشهابيين . تؤكد تلك المعطيات التي تمخضت عن هذه القراءة بأن الأمير موسى علم الدين عبدالله تلقى دعوة للقدوم إلى منطقة جبل عامل(جنوب لبنان) حيث وقع الخيار على بلدة الخيام.ومما لا شك فيه بأن مسألة خروجه من جبل لبنان، بعد صراعه مع الأمير أحمد المعني تمت بالتنسيق مع رجالات جبل عامل وحكامه من آل علي الصغير، أجداد الذين عرفوا فيما بعد بآل الأسعد التي كانت الطيبة التي هي قرية من قرى جبل عامل مقرهم، لأن رجلًا بحجم الأمير موسى علم الدين عبدالله، سليل أسرة مناوئة للمعنيين ومن بعدهم الشهابيين، وفترات من الحكم في مناطق مختلفة من لبنان لسنوات طويلة قاربت الخمسة قرون، حيث كان الخلاف خلافًا سياسيًا ورؤية في الحاكمية، وانقسام في الانتماء إلى كل من الحزب القيسي والحزب اليمني. لا يمكن أن يأتي الأمير موسى إلى الخيام بدون التنسيق والمشورة مع زعماء جبل عامل، الذين هم بالأصل ينتمون إلى الحزب اليمني وحلفاء لآل علم الدين عبدالله منذ أن لجأ الأمير علي علم الدين والد الأمير موسى إلى بلاد بشارة وبالتحديد إلى بلدة أنصار للتنسيق مع رجالاتها لمحاربة الأمير ملحم المعني وذلك سنة ١٦٣٨[١]، فعوقبت قرية أنصارعلى الموقف الداعم لآل علم الدين، ولانتماء رجالاتها للحزب اليمني العدو التقليدي والرئيسي للحزب القيسي ورجالاته من آل معن وآل شهاب: أن هذا التنسيق بين الأمير موسى وزعماء جبل عامل، واختيار الخيام مقرًا له ولأسرته إنما يدل على الإعداد للعب دور سياسي وعسكري تكون أرض الخيام نواة لتكوين هذه الهيكلية، بدعم يوفره هذا التحالف التاريخي بين زعماء جبل عامل المنتمين للحزب اليمني، وآل علم الدين

عام ٨٢٠م. كانت تضم عشر طوائف من القادمين من بينهم قبيلة بني عبدالله أو آل عبدالله التي اتسع سلطانها وزاد نفوذها وعلا شأنها وامتد ملكها وتعددت بأسمائها خلال هذا التاريخ، فخرج منها آل علم الدين آل عبدالله التنوخي ولنتيجة العامل السياسي والصراع الذي كان بامتياز صراعًا على السلطة توزعت منها أسر باتجاه سوريا والأردن وفلسطين كانت في مراحل وتواريخ مختلفه في هجرتها ففي القرن الثامن عشر عرفت أسرة آل عبدالله في الخيام بهذه التسمية ولم يعرف غيرها من التنوخيين بهذا الاسم.

(١) تاريخ "أخبار الأعيان في جبل لبنان"، للشيخ طنوس الشدياق، الجزء الأول، صفحة ١٢٥ بيروت سنة ١٩٧٠، منشورات الجامعة اللبنانية. وفي تاريخ جبل عامل صفحة ٨٣. ذكر آل صفا قصة لجوء الأمير علي علم الدين والد الأمير موسى وهذا يدل على التحالف القديم بين آل علم الدين وزعماء جبل عامل وقد دفعت قرية (أنصار) ثمناً باهظاً لوقوفها إلى جانب الأمير علي علم الدين.

عبدالله المترئسين لهذا الحزب، لأن بلدةالخيام هي آخر نقطة من الناحية الشمالية تقع ضمن نفوذ الخارطة الجغرافية لزعامات جبل عامل، وعلى تماس ليس ببعيد عن مواجهة النفوذ الشهابي في (حاصبيا ووادي التيم) المتحالف إلى حد الاندماج والانصهار والمصاهرة مع المعنيين، حيث كان لآل علم الدين عبدالله من القوة والنفوذ والسيطرة فيما سبق على هذا الإقليم. لكن جرت التمنيات والتطلعات بعكس ما تشتهي الأنفس، حيث لم يكتب النجاح لهذا العمل لأن المنية كانت أسرع من كل شيء عندما توفي الأمير موسى تقريبًا سنة ١٧٠٥ للميلاد، تاركًا خلفه إرثًا سياسيًا غاية في التعقيد وثقيلًا يعجز الكثيرون عن حمله، ولم يكن بوسع ولده الأميرعبدالله أن يقوم بعبء هذا العمل حيث كان في العقد الأول من العمر، فأشرفت والدته عليه فأحسنت كفالته و تربيته وتنشئته، فنشأ يتيم الأب متخفيًا عن عيون الأعداء كي لا يظفروا به ويلقى مصير أخيه الذي كان بصحبة والده الأمير موسى، عندما تعرضوا لكمين قتل فيه ومعه تسعة وثلاثين رجلًا من عسكر الأمير سنة ١٦٩٣ ميلادي[١]، وكذلك مصير أعمامه الأميرين محمد ومنصور اللذين قتلا في معركة عين دارة ١٧١١ ميلادي حيث لم يبق من سلالة الأميرعلي علم الدين هذا الرجل الأسطورة الذي دوّخ أعداءه لسنوات طوال فأماته المرض سنة ١٦٦٠ للميلاد.ولم يبق سوى الأمير عبدالله ابن السنوات القليلة على مشارف عقده الأول حيث كُتب له النجاة بفضل الله، فكان ثمرة بقائه هي أسرة آل عبدالله الخيامية التي مَنّ الله بها وببركاتها على هذه المنطقة والجوار، فأنجبت أفذاذ الرجال،الذين سوف نتعرف عليهم ويكون لنا وقفة معهم في صفحات هذا الكتاب - المخصص ريعه بالكامل للأيتام - وقد أوضح الشدياق في أخبار الأعيان بأن سنة ١٧٠٠ ميلادي خرج الشيخ مشرف بن علي الصغير ...اليمني صاحب مقاطعة بلاد بشارة،عن طاعة أرسلان باشا وقبض على بعض من غلمانه وقتلهم[٢].

قراءة أدبية في الهجرة :

ودّ الأمير بعدم المغادرة والفراق فراق الأهل، لكن قضى الله أمرًا كان مفعولًا ولسان حاله يردد ما قاله المتنبي:

أبلى الهوى أسفًا يوم النوى بدني وفرّق الهجرُ بين الجفن والوسن

(١) الشدياق، نفس المصدر، الجزء الأول، صفحة وصفحة ٢٩٩.
(٢) الشدياق، نفس المصدر، الجزء الثاني، صفحة٣١٢.

كان ذلك بدافع حفظ النفس وحمل العرض فوق أكف الخلاص، بعد أن أوصد المعاندون آذانهم عن سماع الحق. استأنس الأمير موسى صرخة من فوق سماوات الرحمة، وومضات أرشدته للسير فوق صراط النجاة إلى حيث الاستقرار الأبدي وبلوغ المرام، إلى تربة عاملة العبقة بنفحات رياح مأرب وملكها قحطان يستصرخ بعد فراق أوجع الفؤاد، وكأن الزمن دار دورته يدعو أحفاده وبنيه. عندما استيأس الأمير من الواقع بين حانق ومحرض في السر والعلن، جرت الليالي في أثلام أيامها رسمتها المعاول على اختلاف مواسمها بين عجاف وسمان الحصاد وتناظر صور بين الماضي والحاضر. فتحت الأسماع والأفئدة نوافذها في محطة من محطات الهجرة الموروثة التي يصعب الفكاك منها، وقدرًا محتومًا على أهلها وعلى المرء أن يستجيب لقدره وكأنهم خلقوا للحرب والترحال هكذا هي منذ زمن بعيد منذ أن خلق الله آدم، تتجاذب سخونة الواقع سير الابطال لملء فراغ هنا وهناك، وكأنهم جنود الله الأوفياء. حمل الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين بين جنباته نبتة طيبة أنبتت من كل زوج بهيج في أرض الخيام، إلى الأرض التي سالمته وكانت له سلماً ليغرسها في تربتها العطرة، لتكون شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، شجرة أورف ظلها أرض عامل. استوى الفارس على صهوة جواده وبرقت عيناه بلون النجوم ولون ضياء القمر لم يرَ بدا من الرحيل، فحيح الفتنة في جبل لبنان أطلّت بقرنها واختلفت الأهواء بين من هو يمني وقيسي، فتنة عمياء قد أهلكت الزرع والضرع وأحرقت الأخضر واليابس،وشقت الجسد الواحد بين من هم إخوة وأعمام. ماذا نقول عن هذا الرحيل؟ أهو فرار من سهام الغدر ونصال الأخوة وسيوف أهل البيت الواحد، أم اعتزال فتنة أو استجابة لفلسفة التبعث بعد الفناء، حوار ألبسته النفس شجاعة الفوز والخلاص من شبح الإنتحار الذي ألقى بغمامة سوداء ألبسته ذنوب التنافس لون الغراب، ليكون القرار المناسب في لحظة تماسك الفارس الشجاع.

من أعالي جبال لبنان إلى سهل الخيام ليس هناك من مراسيم استقبال كعادة استقبال الأمراء والسلاطين، حيث تقام الأفراح والأعياد وأقواس النصر والأهازيج الشعبية. خلت الطرقات من المارة ولم يعد يسترسل لتلك الملذات، وكأنه أراد أن يختم القرن السابع عشر بإطلالة توحي من بعده القرون القادمة الأمجاد المفعمة بالبطولات، سر أيها البطل في هذه الفلاة إلى حضن التاريخ العاملي.. من ظفر إلى ظفر وإكليل شعاع الشمس على رأسك، يخترق السحاب فيبعث الدفء في قلوب ذراريك فيشيدون ممالك المجد ويصنع.. أحفادك بقوتهم وبسنابك خيلهم ورماحهم صروح من

العزة.. يا عبدالله قم وأصغِ إلى أمانة والدك، تقلد سيفه ودرعه ولا تنسَ فأوصِ ما أوصيت به إلى قيام الساعة.

حين لم يبقَ إلا حمرة متوهجة من قرص شمس ذاك اليوم أُذن لها بالغروب، وقف الأمير على مفترق ولسان حاله يردد ما قاله علي بن أبي طالب : "وصبرت وفي العين قذًى، وفي الحلق شجًا أرى تراثي نهبًا". وقولًا آخرَ: "كُنْ فى الفتنة كابن اللّبون لا ظهر فيُركب، ولا ضرع فيُحلب". لقد دخل هذا اليوم في مِلك موسى، كما دخل أول يوم في كتاب أجدادك على شواطىء بحر هائج، هناك حطت أشرعتهم وتّنخوا المكان وتوّجهم الزمان. ها قد عادت سفن الحياة تشق بأشرعتها عباب الماء وعنان السماء ودَياجير البطحاء.

.... أيها الأمير!!!

دع عنك قـــول مـدلس وجـاهـــل واســـرج جيــــادك إلى أرض عامــــل

ومــــد يــــدًا لصائـــب وعــــادل فــلا تصــــغِ إلى قـــول مجـــــادل

واحـــرص مـــا بـــين ظـــالم وعـــادل

لقد أيقن الأمير موسى بأن البقاء في إمارة الجبل أصبح ضربًا من الانتحار فكان من المهاجرين. فولّى الأمير موسى وَجْهَه شَطْرَ الخيام (فأينما تولوا فثمة وجه الله)، فركب فرسه وما زال يلتفت دون أن يشير بيد مودعًا حيث قلة النصير، فما كان يؤنسه سوى النظر إلى وجه القمر ليطوي صفحة ويقرأ أخرى لتضفي على نفسه جرعة أمل أخمدت لهيب الكبد وأسكتت حشرجة الصدر.لم يكن ليقصد أرض عامل إلا بوصية والده الأمير علي علم الدين الذي كان يلجأ في الملمات إلى أمراء جبل عامل من آل علي الصغير الذي كان يجمعهما روابط شتى، منها رابطة العقيدة السياسية والعسكرية وروابط أخرى[(١)].

(١) يقول الدكتور صالح: استمر العداء بين آل معن وآل علي الصغير (أجداد آل الأسعد) بعد مقتل فخر الدين، وانحسر حكم المعنيين عن الشوف، وتولى عليه الأمير علي علم الدين من قبل والي الشام سنة ١٦٣٩م. فكان من الطبيعي أن يناصره آل الصغير باعتباره عدو المعنيين ومنافسهم على الحكم. فلما مر السلطان مراد في حلب قاصدًا بغداد لمحاربة الصفويين، فاجتمع إليه أصحاب الإيالات والحكم من بلاد الشام وغيرها، فخاف ابن علم الدين وارتحل إلى بلاد بشارة فاجتمع عليه أهلها وناصروه، فقصدهم الأمير ملحم المعني وهاجم قرية أنصار في ١٩آب ١٦٣٨م. وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وتوالت الصدمات بين علم الدين وملحم المعني فهرب أهل الشوف والغرب والمتن والجرد من بلادهم وخليت بلاد الدروز، وفر الأمير ملحم ويقول المؤرخون العامليون أن ألفا وخمسماية قتيل

تشابه الأحداث ولقاء الأحفاد
بين الأمير علي الصغير والأمير عبدالله:

عندما تتشابه الأحداث تتحفز النفس شغفًا وتنطلق مرحة في رحابها، وتود أن تطول المسافة الموصلة إلى خط النهاية، لتتمتع بأنس فصولها وتتأثر برموزها وأبطالها وجمال مكنونها من المغامرات والصور الجمالية، التي لاتخلو من المخاطر ولا من تربص الكائدين والحاسدين، ولاتخلو من صنوف المحن والابتلاء فكانت كفيلة بشحذ الهمم وإثبات الوجود .. في قصصهم كثير من العِبر والمعاني، وفي حياتهم قليل من السعة ورغد العيش واللين. وبطلا هذه الأحداث هما: الأمير علي الصغير جد أسرة آل الأسعد والأمير عبدالله التنوخي جد أسرة آل عبدالله.

ركض علي الصغير الشاب اليافع إلى والدته حنقًا متجهمًا يتصبب عرقًا، وهو في لحظة غضب لم تثقل من عزيمته ولافروسيته. وقف علي أمامها وهدد بأن يغادر المنزل، إذا امتنعت والدته عن إطلاعه على حقيقة ما حل بأسرته على أرض جبل عامل. استجابت الأم إلى ولدها دون تردد، لأن عليًا بالنسبة لها حياتها الباقية وقالت بكل جرأة وتحدّ: يا علي، خذ سيفك بيمينك ولا تدعه طي غمده حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا فاستحق القول، وما أخفيته بالأمس وأعرضت عنه مخافة عليك، كانت الأيام كفيلة بإظهاره لك لأنك أنت السيد والوارث لآبائك وأجدادك، ومن صلبك يخرج النسب ويملأ أرض عامل وسهولها وهضابها رجال قلما يأتي التاريخ بأمثالهم، فقصّت عليهوالدته ما حل بهم على يد العشائر المنافسة لهم في جبل عامل، كآل شكر وغيرهم وأردفت قائلة: لقد بقروا بطون الحوامل كي لا يبقى أثر لبني وائل، وقتلوا والدك الشيخ حسين النصار وأخاك عليًّا ابن الثامنة عشر من العمر، وقد أسميتك عليًّا تيمنًا بأخيك الكبير الذي فقدناه في تلك الليلة الهوجاء، ونجوت أنا وقد كنت حاملًا بك فهؤلاء هم أجدادك. وما عليه أنت اليوم فإنك تقيم وسط أخوالك من عرب السوالم وهم فرع من قبيلة عنزة العربية، جاء بهم جدك الأول محمد ابن هزاع الوائلي، وكانت محطته أرض جبل عامل قادمًا من بادية نجد في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر. فمهدت والدة علي لولدها الطريق حيث لعبت دورًا هامًّا في تحفيزه على العودة إلى جبل عامل، فلم تتوانَ حتى لو اقتضى الأمر أن تقدم حياتها من أجل أن يسترد علي الصغير ملك آبائه وأجداده، فكانت له الغلبة من جديد على أرض جبل عامل، وبقيت هذه الأسرة أي أسرة آل

سقطوا من أهل جبل عامل في أنصار مقر آل منكر.. ورد ذلك في كتاب "الجوهر المجرد"، صفحة ٣٠٦ من الجزء الأول.

الأسعد إلى يومنا هذا فكانت من صلب علي الصغير الذي نجا بأعجوبة من تلك المعركة.

أما الأمير عبدالله بن موسى آل علم الدين آل عبدالله التنوخي، فقد بلغ العقد الأول من عمره في بلدة الخيام، فاستقبل سِنِيِّه الأولى طارقًا باب يفاعته وقلبه الطري متحسرًا على فقد أبيه سنة١٧٠٥م، وهو منكسر الخاطر ولا يمحو ذلك التكدر سوى ما اشاعت والدته في نفسه مسحة من الطهر والعطف، وبارقة من الأمل أحيت فيه رجولة وشخصية قل نظيرهما وأكرمته وأحسنت تنشئته وتربيته، فكانت علامات النبل بادية عليه منذ صغره، فشب على أكمل الأوصاف عاملًا بما تعلمه من شجاعة ونبل حتى أورث ذلك إلى ذريته، وما اشتداد أيمانه إلا من عصف بلائه، رغم الغنى الوافر الذي كان يلف حياته المحاطة بسياج الرغد، وكانت تحمي أكنافه سيدة جليلة ذات نفس كريمة وروح طاهرة، كابَدَت وجاهدت وقاسَت وعانت من شدائد الأمور وتحمَّلت مشاقها وركبت أهوالها وصعابها دون أن تستسلم وتضعف في ظل غياب حامي حومتها.

لم يكن الأمير عبدالله يحتاج أن يسأل والدته عن والده الأمير موسى، فكانت والدته مولعة بأن تقص عليه من كتاب أجداده وآبائه الذين سبقوه إلى أرض عامل، وخاضوا المعارك الواحدة تلو الأخرى إن كان ضد الأمراء المعنيين أومع وَرَثَتهم الشهابيين.

كان لجده الأمير علي معركة كبيرة عام ١٦٣٨م في بلدة أنصار ضد الأمراء المعنيين، الذين حكموا مئة وثمانين سنة من سنة ١٥١٦م إلى ١٦٩٧م والذي كان يخيف والدة الأمير عبدالله أن يحصل له مكروه خاصة وأن المتربصين به شرًّا لن يتوانوا عن قتله لو ظفروا به، كان الشهابيون الجدد الوارثين لآل المعني أمراء الشوف على استعداد أن يفعلوا أي شيء للقضاء على خصومهم وان استطاعوا لن يتأخروا عن ذلك و محوهم كي تستقر لهم الأوضاع كانت أم عبدالله تعلم بأنه لم يبقَ لها شيء من هذا الكون سوى ولدها الذي حمله والده الأمير موسى في معية والدته، يوم تكالب على ملكه وإمارته القوم من كل حدب وصوب كما تتكالب الأكلة على قصعتها. يا عبدالله، خذ سيف والدك ولأمته ودرعه وجياده وترسه، سوف يكون لك فيهم شأنٌ عظيمٌ، فشب الأمير وهو ينازع هنا وهناك إلى أن كانت من صلبه ومن نسله أسرة آل عبدالله، فكان لهذين الأميرين حالة خاصة في نشأتهما فأنسلا وأنجبا ذرية شاء القدر أن يتصاهرا ويلتقيا في ساحات سياسية مختلفة، ويختصما في حدود الطلاق الرجعي الذي لم يرتقِ إلى الطلاق البائن بينونة كبرى. وإن في قصصهم موردًا غزيرًا لمن يريد أن يستنبط دروسًا من الأخلاق والشجاعة والصبر.

الأمير عبدالله ابن الأمير موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي (١٦٩٣-١٧٧٨م)

هو الابن الأصغر للأمير موسى، جاء بصحبة والديه إلى الخيام وبعد وفاة والده تكفلته والدته تربية ونشأة، فكانت حريصة أشد الحرص عليه. عمدت إلى إخفائه عن عيون المتربصين الجاحدين المستندين إلى تاريخ من التنكيل الذي هو مآلهم الطبيعي لعدم تقبل الغير..كانت الأم مدركة للمخاطرالتي عاصرت جل أحداثه، حيث كانت إلى جانب زوجها الأمير موسى.. سيدة جليلة ضربت أروع الأمثلة في التضحية والثبات والإيثار والصبر.فإن مقتضيات الظروف الصعبة قد أجبرت الأمير عبدالله على أن يعيش بغيبة عن المجتمع.فلم تـثنها مرارة الحرمان ولاطعم الحزن والأسى، حين تجرعت مبكرًا كأس فراق ولدها صريع سيوف المناوئين لسياسة الحزب اليمني، حين كان بصحبة والده الأمير موسى سنة ١٦٩٣ م، فكانت أمّ عبدالله رمزًا للتضحية مُذ غادرت مكان الأهل والأصحاب على أمل العودة واللقاء، فداهمت المنية الأميرموسى في بلدة الخيام فكان له القدر بالمرصاد، وفرق الموت بينه وبين زوجته وولده وصعدت الروح إلى بارئها، فكانت زوجة صنو الرجال حملت مر الأثقال، وأوصدت دروب الزوال وتهيأت للنزال، ورحل الفارس باكرًا عنها فكانت سيرة أم عبدالله عنوانًا لأعظم سيرة نسائية. عنوانًا من عناوين الفداء والنبل والطهر والنقاء والحب والحنان. لم تتردد برهة في أن تبقى إلى جانب زوجها رغم المخاطر التي أحاطت به، فلم يكن لها كفواً ولانظيراً بما قامت به، سهرت كثيرًا وجاهدت كثيرًا وأعطت كثيراً، بقلب كبيرلتكمل مسيرة ابتدأتها بكل إخلاص ومحبة، وها هي تحتضن صغيرها، الأمير عبدالله بعيدًا عن عيون الأمراء الشهابيين، ورثة آل المعني الذين انتهوا وانقطعت سلالتهم ونسبهم بموت آخر أمرائهم الأميرأحمد المعني[1] فقد ورث الشهابيون سلوك المعنيين واتفقوا على أن يبحثوا عن أعداء

(١) راجع كتاب "أخبار الأعيان" صفحة ٣١١، الجزء الثاني.

آل المعني إثباتًا منهم بالمحافظة على نهجهم، فكانوا يشنون الغارات الواحدة تلو الأخرى على مناطق جبل عامل[١] دون جدوى لفرض هيمنتهم وسياستهم.

فبموت أحمد المعني انقطعت سلالة المعنيين الذين حاربوا أجداد آل عبدالله لقرون طويلة، فأين الذين جاؤوا من بعدهم، وأين مشروعهم بالقضاء على خصوم آل المعني ونقول الشيء بالشيء يذكر، لقد رحلتم أيها المعنيون والشهابيون ورحل الأمير عبدالله إلا أنَّ أحفاده الآن يزيد عددهم على الستة آلاف نسمة في الخيام، فأي رحم ونسب أردتم قطعه هيهات لقد حُطِمت وبعثرت رغباتكم ولم تنالوا ما عاهدتم أنفسكم عليه. لقد تخطى هذا الحدث الثلاثة قرون وقد أصبح في ذمة التاريخ وما بقي منه سوى العبر والدروس يختصرهما مشهدان:

المشهد الأول ينبيك عما تحمله صدور القوم من حقد وغرور، فاتبعوا شهواتهم وركبوا رؤوسهم، فما كان لهم سوى أن ذاقوا مر عصارة صلفهم وكبريائهم فناخت خيولهم و حطمت نصالهم ودفنت سيوفهم.

أما المشهد الآخر في مقابل هذا فقد كان مشهداً فريدًا ورائعًا وعظيمًا، رغم تراجيديته امرأة وطفلها يحققان النصر من «عظمة الإمارة إلى واقع من الحزن والمرارة». رفضت أم عبدالله أن تستسلم أن ترضخ أو تضعُف، رغم ما تملكه من عاطفة جياشة حين كانت تجهش بالبكاء كلما نظرت إلى وجه ولدها عبدالله وهي تقبله. فما كان منها إلا أن استلت سيف موسى من غمده وكتابه الذي دخل ملكه، فسنت السنان للذّب عن ولدها والذود عنه، ومن الكتاب الذي دخل مُلك أبيه وأجداده كانت تتلو عليه من تاريخ صولاتهم وجولاتهم وصراعهم مع من ناوأهم حكمهم لقرونٍ وقرون، فشب شهمًا بطلًا وهو يعلم من يكون ومن هم أجداده، فكان كل واحد منهم يوصي للآخر راويًا له من عبق التاريخ ومحملًا إياه وصايا كانت مفاعيلها خليطًا من العزة والسؤدد والمجد، يُسْتَسْقىٰ من فكرهم خلاصة من التجارب الفذة. تزوج الأمير عبدالله فتاة من الخيام وأنجب منها ولدًا أسماه محمدًا قلده سيفه وهو في سن الخامسة عشر .توفي الأمير عبدالله إلا أن اسمه مازال قلادة على صدور آلاف الأسماء من أحفاده يحملون اسمه بكل فخر واعتزاز (آل عبدالله)، فأحفادك هم أهلك وعيالك وأتباعك وأنصارك إلى يوم القيامة إن شاء الله. دفن الأمير عبدالله في الخيام، إلى جوار والده الأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي.

---

(١) راجع كتاب ياسين سويد "التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين"، الجزء الثاني، عن سيرة الأمراء الشهابيين.

كفانا فخارًا أننا نلهب الوغى إذا التحمت فرسان حرب بفرسان[1]
وأن لنا في كل نادٍ وبقعة مواقف جلّت عن عداد وحسبان
ولا عصر إلا فيه منا مبرّز بعيد مرامي العزم عاطر أردان

محاولة للأمير عبدالله لم تنجح:

لم يكن الأمير عبدالله، جد أسرة آل عبدالله في الخيام قادرًا على أن يفك قيده من معصم المسؤولية التاريخية التي وجد نفسه وحيدًا يصارع أمواجها العاتية، قويًّا صلبًا شجاعًا دون أن ينوء تحت ثقلها، رغم حذره الشديد من خطورة الأوضاع التي تحيط به، ورغم علمه بأنه لو تسنى للأمراء الشهابيين لنالوا منه. كان يتحين الفرص ليسدد ضربة للشهابيين تسبق ضربتهم، ورثة المعنيين على إماراتهم الشوفية في جبل لبنان ووادي التيم، وورثوا سياستهم التي يغلب عليها الفظاظة والقساوة وروح التحدي والمناوئه لآل علم الدين من آل عبدالله. الأمير عبدالله لم يتوان عن الاقتصاص منهم والثأر لوالده وأخوته وأعمامه الذين كان يجمعهم الحزب اليمني، فكانت موقعة عين دارة سنة ١٧١١م. آخر فصل من فصول حياتهم لِيُغَيَّبوا عن المسرح السياسي، فلم يستسلموا ولم يهادنوا حتى اجتمع عليهم القوم من كل حدب وصوب فأثقلت النبال بعضهم، وحزت السيوف رؤوسهم حتى كانوا صرعى فوق بطحاء جُبِلت بدمائهم، فكانت لهم لحودًا استقروا فيها إلى الأبد في أحشاء أرض استماتوا من أجلها ليبقى لهم مجدهم، ليعود وينبت على أرض الخيام رجالًا أداروا ظهورهم إلى دروب الفشل، ذاكرتهم لا تعرف سوى النصر حية بأمجاد لم ينلْها غيرهم، ولم تسقط مهما كانت قوة الرياح وقوة المؤامرات ومهما كانت الأنواء، ففُلكهم جارٍ فهنيئًا لمن دخله وأوى إليه.

توفي الأمير أحمد المعني عام ١٦٩٧م دون عقب، فاختارت السلطنة أميرًا شهابيًا هو الأمير حيدر بن موسى الشهابي من أمراء وادي التيم وقاعدتهم حاصبيا[2]. ومما يروى عن بعض محطات تاريخية بأن الأمير عبدالله بن الأمير موسى آل عبدالله استطاع أن يخترق صفوفهم، عن طريق بعض الأشخاص الذين مازالت أفئدتهم تنبض بحب وولاء إلى تلك الدوحة التنوخية. طاعة المحب

(١) بعض أبيات من قصيدة للمفتي الحاج علي بن الحاج محمد أفندي بن الحاج حسن عبدالله. "أوراق لبنانية"، الفصل الثاني عشر صفحة ٤٥٣.
(٢) مراجعة في كتاب "التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين"، الجزء الثاني، صفحة ٥٢٩ و٥٣٠.

بوبه المخلص لقائده تدبر عبدالله الأمر مع والدته التي لم تخفِ عليه سرًا كانت تزقمه التاريخ كما
قم اليمامة فراخها، فأوصل رسالة مع أحد من خاصته إلى الأمير أحمد الشهابي أحد أمراء راشيا،
ستغلًّا الصراع بينه وبين الشهابيين أمراء الشوف توطدت العلاقة دون أن يتسنى لأحد منهما رؤية
آخر، كان ذلك في منتصف القرن الثامن عشر. لم يكن أحد يعلم سبب أو سر هذا الانفتاح على
ذا الأمير، وما كان يريده الأمير عبدالله أو ينوي فعله، وقد تكلَّف الكثير من الجهد والمال
تى استطاع أن يصل إلى هذه النتيجة المتقدمة من العلاقة مع الأمير أحمد، إلا أن هذه العلاقة
تهت بعد أن قُتل الأمير الشهابي على يد أقربائه الشهابيين حكام إمارة الشوف ..هل كان الأمير
بدالله سوف يبلغ عندهم من الحظوة والمنزلة ما بلغ آله السابقون؟ وهل كان ليظفر منهم بما كان
طمح فيه من إعادة لسلطان قد أفل؟ جهود الأمير عبدالله طوى صفحاتها التاريخ بكل أسرارها،
مكنونها هذا والله وحده عالم الغيب والشهادة.

الأمير محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي (١٧٣٥ - ١٨٠٥م)

كان قد ورث علاقة قوية بدأها والده المرحوم الأمير عبدالله، الذي عايش عهد ناصيف النصار من آل علي الصغير، مما ذكرنا سابقًا من تفاصيل تلك العلاقة في معرض حديثنا عن سيرة الأمير عبدالله، وكان الأمير محمد على علاقة قوية مع زعماء آل علي الصغير، وقد تبادلا الزيارات على مر التاريخ. فإن الأمير محمد على ما يذكر وسّع دائرة علاقاته فتميز بعلاقة قوية وروابط أسرية بينه وبين أمراء عرب الفضل في الجولان. ومما يُروى بأن الأمير محمد كان يصطحب معه في بعض الأحيان أسرًا من الجولان شجعها على الاستقرار في الخيام، حيث كانت المناطق منفتحة بعضها على بعض، وقد اتخذوا من جنوب شرقي منزله بيوتًا لهم ولأسرهم، الذين اشتهروا بالصدق والأمانة والإخلاص وتعرف المنطقة الآن في الخيام بالساحة الفوقا، وذلك لتحصين المنطقة، وتشكيل حزام قوة يمنع تسلل الغزاة واللصوص حيث كان عامل الغزو والسطو يثير قلق المجتمع آنذاك. ولكن لم يبقَ الحال على ما هو فبعض هذه العائلات عادت إلى الجولان والبعض الآخر تفرق في الخيام ففي مطلع عام ١٨٦٠م، نزح إلى الخيام، أعداد كبيرة من المسيحيين من مناطق الشوف، بعد أن شهدت حروبًا أهلية. هذا وسوف نذكر بالتفصيل وقائع النزوح وأسبابه في معرض حديثنا عن سيرة الحاج حسن عبدالله الذي أكرمَ وفادتهم إلى الخيام وساعدهم على الاستقرار، حيث تشير بعض الوقائع التاريخية إلى وجود بعض العائلات المسيحية في الخيام قبل نزوح مسيحيي الجبل عقب الحرب الأهلية ١٨٤٠-١٨٦٠م. جاء في مستند شجرة آل عبدالله بأن الأمير محمد تزوج من إحدى أميرات عرب الفضل آل فاعور ومنهم الأمير محمود الفاعور من أمراء الجولان، وهي السيدة الجليلة أم حسن ربية الفضل أنجبت خمسة ذكور وبنتان: أكبرهم سنًّا الحاج حسن، الحاج حسين، الحاج حمود، الحاج موسى، والحاج عبدالله، والحاجة رحمة، وعرفنا لاحقًا بأن اسم البنت الثانية هي بيداء.

خصائص التركيبة الأسرية لآل عبدالله :

خلال القرون المتعاقبة أصبحت أسرة آل عبدالله في الخيام من كبرى العشائر، وهي بطن من بطون آل علم الدين الذين كانوا بطنًا من بطون بني عبدالله أو آل عبدالله التنوخيين، فآل عبدالله في الخيام تربطهم صلة قرابة بمئات الأسر اللبنانية، الموزعة جغرافيًّا وسكانيًّا على كثير من الطوائف اللبنانية[١]، وآلاف من الأسر العربية موزعة على امتداد الوطن العربي.

فقد تفرع من عشيرة أو قبيلة آل عبدالله في الخيام عدة أفخاذ أو بيوت كما يحب البعض أن يطلق على تلك الفروع، زائدًا إلى قوة العصبية والحمية بين مكوناتها وأفرادها بحيث يعودون بنسلهم، إلى أب واحد جامع للكل. والذي عليه العرب والقدماء أن الكثرة لا اعتبار لها، وإنما العبرة بتلك الصفات التي تميز القبيلة وقبيلة آل عبدالله ليست من القبائل الصغيرة في عدد أفرادها ومكوناتها وهم والحمدالله كثر.

إن تحليلنا عن الأنساب يتطلب منا الدخول والاستعانة بمصطلحات تؤدي الغرض وتوضح ما نحن بصدده.فآل عبدالله كعشيرة يجمعها أب واحد هو الأمير محمد، هو والد لخمسة أنجال أكبرهم الحاج حسن وأصغرهم الحاج عبدالله، فإذا أخذنا من الجد الأعلى لآل عبدالله في الخيام تكون الطبقة الأولى متمثلة بالأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي، وإذا ما نزلنا بعمود النسب من أعلى إلى أسفل تكون الطبقة الثانية متمثلة بالأمير عبدالله بن موسى بن علم الدين عبدالله التنوخي أمّا الطبقة الثالثة والمتمثلة بالأمير محمد بن عبدالله بن موسى توزع منها خمسة بطون ومن الخمسة بطون، كان ٢٥ فخذاً[٢] أو كما قلنا سابقًا بيتًا والذي يميز هذه الأسرة كثرة عدد بيوتها، التي ليست كبعض الأسر قائم على تحالف أو مجموعة من الأسر الصغيرة تكونت بمجاميعها حتى

---

(١) مراجعة ما جاء في كتاب د. صالح عن قرابة الموحدين بالطائفة الشيعية، والتي تربو على خمسماية أسرة في صفحة ٨٩ و ٩٧، الجزء الأول، ومن صفحة ٩٥٧ إلى ٩٦٩ من الجزء الثاني.

(٢) الفخذ: جعله بعض النساب الطبقة الخامسة من طبقات النسب، وعرّفوه بأنه الذي تنقسم فيه أنساب البطن، وأنه الذي يجمع الفصائل ويجمع الأفخاذَ البطنُ، فالفخذ أسفل البطن، قال في لسان العرب: « وفَخِذُ الرجلِ : نَفَرُهُ مِن حَيِّهِ الذين هم أقرب عشيرته إليه، وهو أقل من البطن، وأولها الشَّعْبُ، ثم القبيلة ثم الفَصِيلة ثم العِمَارة ثم البَطْن، ثم الفخذ ؛ قال ابن الكلبيّ : الشَّعْبُ أكبر من القبـيلة ثم القبـيلة، ثم العِمارة، ثم البطن، ثم الفَخِذُ. قال أبو منصور : والفصيلة أقرب من الفخذ، وهي القطعة من أعضاء الجسد». انتهى ومثلوا للأفخاذ بالنسبة للعمود النبويّ ؛ كآل عبد مناف بطن انقسم إلى أفخاذ وهي: بنو هاشم، بنو عبد شمس، وبنو المطلب، و بنو نوفل. ومما لا شك فيه بأن هذه الأفخاذ مع الزمن سوف تحتل المرتبة الأولى بطبقات النسب وتتحول مع الوقت إلى شعب في سلم طبقات النسب.

أصبحت أسرة كبيرةً وهذا كثير ما تجده بين القبائل العربية، وإنما رابطة أسرة آل عبدالله هي وحدة الدم ووحدة الرحم والقرابة الواحدة التي تعود إلى أبٍ واحدٍ، وفي أيامنا هذه فقد شارفت أسرة آل عبدالله في الخيام على الأحد عشر جيلًا، وقلما تنسل أسرة بهذه الأعداد وبمكان واحد، هذا ما قاله أمير البيان والبلاغة الأمير شكيب ارسلان (اللهم صلِّ على محمد وآل محمد). راجع صفحة أنساب أسرة آل عبدالله من هذا الكتاب. وإن من أروع هذه التركيبة بأن كل فرد من أسرة آل عبدالله التقى بفرد آخر من أسرته يبادر ويقول: يا ابن العم، وهذا ما يميز هذه الأسرة حيث جميعهم أولاد عم - إن شاء الله - إلى قيام الساعة. وسوف نجد خلال قراءتنا للكتاب بأن هناك أسماء معرّفة (بأل (العبدالله)، وغيرها غير معرّف كعبدالله، ولكن حقيقة النسب هو عبدالله، نقول في ذلك إن دخول لام التعريف يرمز إلى كثرة عدد بيوتها الذي يربو على خمس وعشرين بيتًا.

الحاج حسن أفندي ابن الأمير محمد ابن الأمير عبدالله التنوخي (١٧٩٠-١٩٠٤م)

هو أكبر أنجال الأمير محمد وأوسعهم شهرة وأعلاهم منزلة، والصورة التي يظهر فيها كان شابًّا يافعاً، توفي والده وهو في البدايات الأولى من العقد الثالث من عمره، ولد سنة ١٧٩٠ في الخيام يقول السيد الأمين[١]: كان في الخيام من أهل الوجاهة والصّلاح الحاج حسن عبدالله عُمِّرَ طويلًا حتى تجاوز المائة، وولد له أولاد كثيرون وهم وذريتهم من أهل الشهامة والوجاهة والذّكاء وفيهم الشعراء والأدباء، وفيهم يقول الشيخ عبدالحسين صادق:

أخاف من جور الزمن وعصمتي — أُسْد الشرى من آل عبدالله
هم طوع أمري والورى طوع لهم — إن فاه منهم آمرٌ أو ناهِ
لهم القواضب والسحائب والرُّبى — ضربٌ من الأضراب والأشباهِ
معنيّة الإيمان لقمانيّة الـ — برهان سحبانيّة الأفواهِ

توفاه الله سنة ١٩٠٤ ودفن في الخيام بجوار المسجد الذي بناه إلى جانب والده وجده ووالد جده، وتابع بناء المسجد من بعده ولده الحاج إبراهيم وقد أثنى الأمين في خطط جبل عامل على هذا المسجد[٢]. كان الحاج حسن عالمًا فاضلاً حافظًا للقرآن ورعاً زعيماً رئيسًا عالي الشأن وجيهًا حرًّا كريمًا سخيًا، أوتي سعة في المعرفة واللباقة واللياقة والاحترام والعلم والمال، وفي عهده انتهت إليه الرياسة الدينية والدنيوية يملك جرأة وشجاعة لا مثيل لهما، قوي الحجة شديد المراس شاعرًا أديبًا، ولكن للأسف لم نعثر له على أثر من شعره ورسائله كان جليل القدر عظيم الشأن، في عصره صار الكل في الكل إلى جانب تواضعه عالي النفس رفيع الهمة مهيبًا عند الحكام والأمراء جريئًا

(١) كتاب "خطط جبل عامل"، تأليف السيد محسن الأمين، صفحة ٢٣٩.
(٢) "خطط جبل عامل"، مصدر سابق، صفحة ١٥٢.

عليهم لا يخاف في الله لومة لائم عظيمًا للغاية في نفوسهم، لا يطأطىء رأسًا ولا ينكس جبينًا ولا راية، لا يهادن ولا يرضخ ،صاحب تقوى وصلاح. كان أنجب إخوته وأذكاهم وأفطنهم زاهدًا عابدًا شهمًا أبيًا كريمًا حسن الخَلْق والأخلاق وتنم أسارير وجهه عن حسن خلقه، جميل بمكارم أخلاقه، ووجيهاً نبيهاً محدثاً جامعاً للفنون حسن الصفات صاحب الصولات والجولات فارسًا عربيًّا تنوخيًّا قحطانيًّا، فهو ورع جليل القدر عظيم الشأن كثير المحاسن و الحمد والثناء، وأخوه حمود محبٌّ ومَوَاسٍ للناس، وأخوه موسى كثير السجود والتعبد لله، وأخوه عبدالله حسن الطلعة البهية وحسيني الهوى، وأخوه حسين كان حليمًا صفوحًا لا يستعين بغير الله وقوة جنانه صبيح الوجه بهي المنظر جهوري الصوت طلق اللسان، تلوح الشجاعة وعلو الهمة على أسارير وجهه الكريم، بايعه القاصي والداني، كان يجد من المحبة في قلوب إخوته بحجم الجبال والرواسي الثقال وما لا يخطر على البال وما حاكاه قديمًا ولا حديثًا منوال، تعدى أقرانه بكثرة المحبين ما لم يبلغه زعيم على ظهر الأديم، يتدفق رجولة صوته كالرعد الهادر جهوري لأقصى حد، صاحب الحول والطول، وفي الحرب الأهلية التي نشبت بين الموحدين الدروز والمسيحيين كان له الدور الرائد في ذلك حين حلّوا عليه ضيوفًا فأكرمهم وجمع شملهم، وبعد شتات لمهم وفرّج همهم وأزاح كربهم، على يده وفي عهده قامت قيامة الخيام بقوة سيفه وطهر عمامته وزحفت جموع الناس إليها طلبًا للأمن والأمان وراحة المكان، واطمئنان الجنان، كان شهمًا هِمامًا شديد الشفقة على الفقراء ينتدب في المناسبات العلماء والقراء بيته محط العامة والأمراء والأدباء والشعراء ومن كِبارالعُرفاء وسيدٌ من سادة البلغاء وجيه النقباء، استوى على سرير العلياء لا يعرف البغضاء جزيل العطاء القائم على الشؤون طارد الشجون والقلم وما يسطرون ذو أسارير وليس بقمطرير طويلُ القامةِ عريضُ المَنْكِبَيْن ذو سحنة تميل إلى السمرا. يوم التقت الجموع وودعت بالدموع وبايعت ولده الأفندي المعز العزيزصاحب السيف البتار ليث الليل والنهار أبا علي محمد يوم توفاه الباري يوم النوائب يوم خرجت الفرسان والجموع من المضارب أبكته بالدموع السواكب، منهم الحاضر والغائب وسارت خلفه الكواكب فكانوا كالبحار الزواخر وصفوفًا كالعساكر وضرب شدة الحوافر وأولاده حوله كالنسور الكواسر وكبار كرام العشائر .هاكم سيرة المرحوم بإذنه تعالى سيدي ومولاي أبا علي الحاج حسن بن محمد آل عبدالله (قدس الله سره).

مولده ونشأته:

يتردد على ألسنة الكثيرين بأن الحاج حسن عبدالله (قدس الله سره) هو من جاء إلى الخيام، وهذا من الأخطاء الشائعة والمتداولة على ألسنة الكثيرين، بل ولد في الخيام ومضى على تاريخ أجداده في الخيام إلى وقت ولادته قرابة المائة سنة، ووالده المرحوم الأمير محمد ولد في الخيام ويرجح بأن سنة ولادته كانت عام١٧٣٥م في الخيام. وقدجاء في مستند شجرة آل عبدالله للحاج أحمد مالك ما مفاده: والد الحاج حسن هو المغفور له محمد بن عبدالله ابن الأمير موسى علم الدين من آل عبدالله الذين ينتسبون إلى الدوحة التنوخية، ووالدة الحاج حسن هي المرحومة ربية الفاعور ابنة أمير عرب الفضل(*) في هضبة الجولان هذا وقد ذكرت الروايات أن مولده الشريف كان في سنة ١٧٩٠ م، ويروى أن جده لأمه،أمير عرب الفضل قد أهداه عند ولادته مزرعة الميسات الواقعةعلى ضفاف نهر الوزاني جنوب شرقي بلدة الخيام[1]، وما زالت تلك المزرعة تعود في ملكيتها لعائلة آل عبدالله حتى أيامنا هذه.و يعتبر المغفور له المرحوم الحاج حسن بن محمد آل عبدالله التنوخي - طيب الله ثراه - المؤسس الحقيقي لبلدة الخيام، حيث مثل فيها زعامة دامت قرنًا من الزمن.ومما يروى بأن الحاج حسن عبدالله شب في بيتٍ أدرك الزعامة التي حاول المعنيون محوها، شب في محيط وهج من سياسات إمارتهم التي استمرت إلى قرون في مناطق مختلفة من لبنان. والده الأمير محمد بن عبدالله مثل حالة استثنائية من العلاقات مع أمراء الجولان الذين وجدوا في الخيام بيتًا كان محجةً ومقصداً لجميع وجهاء وزعماء المنطقة، من آل يوسف وآل الأسعد بالإضافة إلى أمراء عرب الفضل ووجهاء المنطقة المطلة. كل هذه العلاقات المميزه قد ورثها الحاج حسن عبدالله بل وتعدت إلى زعامات أخرى سوف نذكرها تباعاً.

(*) ينتسب آل الفضل أمراء الجولان إلى الفضل بن الفضل بن العباس، هكذا جاء في كتاب "عشائر الشام"، صفحة ٩٧، لأحمد وصفي زكريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان. ومما ذكره أيضا في الجزء الثاني من كتابه صفحة ٣٩٢ بأن: آل الفضل عشيرة كبيرة والقسم الذي في قضاء الجولان لا يتعدى جسر بنات يعقوب جنوباً، والقنيطرة شرقاً، وبانياس شمالاً. ويرأس عشيرة الفضل آل فاعور وقد اختصوا في أنحاء دمشق بلقب الإمارة، وآل الفضل الذي طالما رددته كتب التاريخ، الأنساب العربية يؤيدان بأن آل فاعور الحاليين هم من آل الفضل الذين كان لهم أمجاد قديمة، وآل الفضل بن عيسى هم الذين أنجبوا آل فاعور عشيرة الفضل في قضاء الجولان.

(١) "مختصر السيرة التاريخية"، للحاج حسن عبدالله، وقد وردت في مستند آل عبدالله، مصدر سابق. كما وردت نشرة الدردارة، والتي كانت تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية الإنمائية الاجتماعية، العدد ٢، السنة الثانية، حزيران١٩٩٥م.

الحاج حسن عبدالله ... واقع يبحث عن مُخلِّص :

كان الحاج حسن عبدالله مدركاً أبعاد الواقع السياسي المتردي وخطورة الوضع المتأزم، مدركًا لأزمة هذا الكيان العربي قارئًا لتاريخه، متوجسًا في ظل غياب كيان سياسي مركزي إذا ما أخذنا بتاريخ الوجود العثماني ومعركة مرج دابق سنة ١٥١٦م، إلى بداية القرن التاسع عشر يكون قد مضى عليه ثلاثمائة سنة، والمنطقة تجتر أوضاعها السياسية وتنتج أزماتها المتجددة والسائدة تحركها سياسة السلطنة العثمانية وتحرك كياناته المتجزِّئة وإقطاعاته المتناثرة، وجغرافيا تسودها في كثير من الحالات الفوضى وعدم الأمان، وخاصة الحالة التي تفرد بها سكان جبل عامل وذلك لإنتمائهم المذهبي وليس موضوع بحثنا، بل يكفي أن نلقي الضوء على بعض أحداث ومحطات تاريخية تعكس تلك الحالة، وتظهر نوايا الولاة العثمانيين اتجاه مجتمع جبل عامل، لقد مثلت السياسة مقتلا لصاحبها وإشكالية، فكلنا يعلم وبمختلف العصور منذ آدم (ع)حين خالطت السياسة العقيدة، فوسوس إبليس وساسها فكان ما كان لسيدنا آدم وحواء. ثم إن السياسة في مفهومها ترتكز إلى قواعد معينة ولكل بيئة من البيئات قواعدها الخاصة في التعامل مع الواقع بكل تشعباته وإن عامل الزمان والمكان لها تأثير حيث أن السياسة ليست عملا أو حرفة صناعية:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، لا يستطيع مَن شاء ورغب في العمل السياسي أن ويبدع وينجح، فهي الجانب الأكثر خطورة في حياة المجتمع والأفراد فهي أشبه بقنبلة، من لا يحسن التعامل معها تتحول إلى مأساة وكارثة على الجميع. فكم من الزعماء والولاة والسلاطين والأمراء دفعوا حياتهم ثمنًا في سبيل ممارسة العمل السياسي، إن الجلوس على كرسي السلطة هو عمل شاق جدًا حتى أن كثيرًا من الناس تعوذوا بالله من السياسة، فسياسي الأمس مستنزف ماديًا ومن جيبه الخاص. ليس بالطبع كرجل السياسة اليوم، نتحدث عن واقع سياسي وزمن مختلفين عما نعيشه اليوم، ورجل السياسة اليوم يعيش ضمن مؤسسة سياسية تؤمن له الحماية والرعاية والبدجت الخاص والتغطية، أين هذا من ذاك، مشهد سياسي مختلف كان الزعيم سابقًا يمثل أمة بأكملها وكان الرجل بألف رجل هذا ليس كلامًا رومانسيًا.. والله من قرأ في التاريخ بين رمضان ورجب لرأى العجب، ليست مبالغة بل واقع أجدادنا مثخن بالجراح والعذابات والتآمر والتنكيل والتكفير والعزل والإبادة والحرمان والطرد والإبعاد والسُّخرَة والقهر والجوع والفقر، والظلم القاسي وسياط الحاقدين، بل نار وحديد بل فواجع بالجملة كانت مواجهة هذا الواقع من أشق الأمور وأبلغها

صعوبة كمن ينوي أن يتسلق سور الصين العظيم، أو لعبة الروليت الروسية، أو هو نزال متكافىء.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، كان التهيوء يصب في منازلة درء المفاسد الذي هو أعَمّ وأوسع من جلب المصالح أة المنافع "هذه قاعدة فقهية".

كان واقعًا يريد سياسيًا وزعيمًا، مميزًا، رجل في أمة، وأمة في رجل، يحمي ويساعد ويعاون ويساند ويضحي ويُعلّم ويكرّم ويسخى ويعطي يقدم النصح والمشورة ويرسي الوعي في العقول.

لقد تصدى الحاج حسن عبدالله لهذا الواقع بكل ثقة وحزم وكان هو رجل المرحلة وذلك لمجموعة عوامل أهمها :

- تكوين الشخصية الأسرية لديه وجذورها التاريخية.
- مقدرته على معالجة المعضلات والمشاكل السياسية والاجتماعية.
- شبكة علاقات قوية وواسعة.
- تنشئته ورعايته للحركة الدينية في الخيام والجوار.

مرحلة لم تغب عن ساحاتها ومسرحها الثورات الدموية أحيانًا وحركات التمرد والرفض ومقاومة المحتل أحيانًا. كان واقعًا محتاجًا إلى إدارة وكثير من الأخذ والعطاء وتسويات متبادلة، باعتبار السياسة هي فن الممكن وفن البناء، إن أسرة آل عبدالله تميزت عبر تاريخها بمحطات كثيرة ومتنوعة، وهي امتداد لحاكمية تاريخية امتدت لقرون عدة كانت قادرة بنفسها على تسيير شؤون المنطقة. إن البيئة الخيامية بكل أطيافها وأسرها العربية، إن كانت من حضر أو بادية من سهل أو جبل أتت بها عوامل تاريخية كثيرة ومتنوعة. (ذكر مهنا في كتابه صفحة ١١ نقلًا عن بزي: أن معظم عائلاتها، أي عائلات الخيام ليسوا أصلًا منها بل كانوا مكاريَّة، تُجّاراً، جاؤوا إليها تباعًا مِن أماكن متفرّقة من الجنوب وغيره، نصبوا خيامًا في أرضها الزراعية القريبة من عدَّة مصادر للمياه)[1].

في بعض سردنا التاريخي نعرّج أحيانًا هنا وهناك وذلك لإلقاء الضوء على بعض نقاط ومحطات تاريخية كي تكتمل الصورة، ونقول بأن هذه العائلات ذابت بهذه البوتقة لتكون مجتمعًا واحدًا مجتمعًا رائعًا في رحابته. لم يكن هذا الوجه الخيامي الجميل والمتميز والمنفتح والراقي إلا لأن هناك نتاج رجالٌ أخلصوا العمل، فان العنصر الخيامي أو ابن الخيام كان وجوده محض حاجة اجتماعية،حين

(١) كتاب "الخيام حوادث وتواريخ"، تأليف الأستاذ عبد الأمير علي مهنا، صفحة ١١.

وجد وفرة من الرعاية والالتزام الأخلاقي والمعنوي والمادي فكوّنت حالة في داخله، أسست لسياق متناغم في كلياته الإنسانية والروحية، مما أكسبه حالة إيجابية حفّزته وساعدته على المزيد للجنوح نحو الانفتاح الفكري على ساحات الاندماج الاجتماعي فتشكلت لديه خصوصية ونزعة جامحة نحو التآلف عَلَى الإخَاء والمحبَّة المُتَبادلة، والانسجام والوئام والرغبة في العيش مع جميع المكونات الاجتماعية بحضورها المذهبي والطائفي ليتمثل بعدها بأدوار سياسية ليس على قاعدة غالب ومغلوب ولا تفوق عنصر على عنصر ولا أسرة على أخرى، بل هو تواصل واندماج في جو من المحبة والعمل الجماعي، كان الدور الذي لعبته أسرة آل عبدالله دوراً بناء ومحوريًّا ضمن معادلة تعمل على توازن شديد الحساسية ألا وهو المحافظة على جغرافية المنطقة وتوازنها الديمغرافي أو الجيوسياسي بعيدًا عن الأنانية. أضحت الخيام في أيام الحاج حسن وأولاده ملاذًا آمناً للكثيرين من أبناء المنطقة وها نحن نُبرز ما نستطيع إبرازه من أحداث ومواقف، ونضع بين أيدي القراء الأعزاء ما تيسر من معلومات نوجزها في سيرة المرحوم الحاج حسن عبدالله.

المبارزه بالسيف والنزال الأول للحاج حسن عبدالله :

نشأ الحاج حسن عبدالله الشاب في بيئة أشبه ببادية لكن من غير صحراء، وإن كانوا حضريين في طبعهم. لم تكن الخيام آنذاك سوى بضع بيوت، كان الغزو والنهب من بعض العشائر على بيوت القرى المتناثرة يشكل عند البعض مورد رزق واعتياش، مما يتطلب من الناس مزيدًا من الحرص على تنشئة أبنائها على القوة والقسوة والغلظة وأحياناً الفظاظة. ومن جانب آخر كانت الفروسية والشجاعة والمنازلة موضع تباهٍ ومفخرة ومبعث أمجاد عند كثير من الأسر، إن نشأته في بيئة اجتماعية تسودها علاقات وجاهة وسلطة وبعضها إقطاعية تميّز فيها الوجهاء والأعيان عن غيرهم من الفلاحين ببعض السلوك والمميزات، كتعليم ركوب الخيل والفروسية وفرص التعليم وبث روح الجرأة و الشجاعة في أولادهم، لأن ذلك من مؤهلات السلطة والرئاسة في ذلك العصر.

كانت الزيارات بين الخيام والجولان لا تنقطع بحكم علاقة المصاهرة بين آل عبدالله وأمراء الفضل. يروى بأنه في إحدى الزيارات كان الحاج حسن الشاب يرافق والده إلى ديار أخواله في الجولان مع بعض أهله، وكان كل منهما يمتطي فرسه وبصحبتهما جمع من الأهل يتوسطهما الهودج، وكان الحاج حسن لايتعدى من العمر السابعة عشر، وكان يرغب أن يسير خلف والده وهو على صهوة جواده، وقد ذكر بأنه كان يختار من الخيول أحسنها، وكان يفضل من الألوان الأشهب، كان

من بين أقرباء والدته شاب يافع قوي البنية، فارس اكتسب شهرة واسعة بين عشيرته في الجولان والمحيط يدعى حسان أو إحسان الفضل، لا يتعدى العقدين من العمر إلا أنه قوي البنية ما نازل أحدًا إلا وغلبه، كان استقبالًا مميزًا ذلك اليوم لمناسبة ما وذلك لكثرة الحشود، وكالعادة وبعد الانتهاء من تناول الطعام تعقد حلقات الشعر والأدب، والعروض في مهارة القتال والمبارزة، امتطى حسان فرسه وبدأ يستعرض أمام الحشود ما لديه من مهارات وفنيات في ركوب الخيل، وكانت حركاته السريعة المرنة تحظى باعجاب الجميع والأصوات لا تنقطع تعلو مرة، وأخرى يزيد حماسها التصفيق. لم تكن نظرات حسان الشاب تنقطع باتجاه الحاج حسن وكأنه يدعوه للمبارزه بتلك النظرات.. نظرات من التحدي يتابع باستعراض مهاراته إلا أن نظراته لم تنقطع، والحاج حسن إلى جانب والده كالليث المتوثب لا خوف يصرف همة خاطره ولو طرفة عين،شاب في مقتبل العمر كَانَ بَهِيَّ الطَّلْعَةِ والمهابة والإجلال لكنه جميل الصبر صائب البصيرة.

إذا ضحكـــت يـــوم الجـــلاد سيوفهـــم ‌ ‌ ‌ ‌ بكـــى النقـــع لكـــن الدمـــوع دم قانـــي
ولكنهـــم فـــي السلـــم والدهـــر شاهـــد ‌ ‌ ‌ ‌ مناهـــل إحســـان وأقمـــار ديـــوان

لقد أدرك الحاج حسن تلك النظرات وتبلَّغَ الرسالة وهو الفطين النبيه، وقد جرى على لسانه قول عنترة:

أَحِـــنُّ إِلى ضَـربِ السُـيوفِ القَواضِـبِ ‌ ‌ ‌ ‌ وَأَصبـو إِلـى طَعـنِ الرِمـاحِ اللَواعِـبِ
وَأَشتـاقُ كـاساتِ المَنـونِ إِذا صَفَـــت ‌ ‌ ‌ ‌ وَدارَت عَـلـى رَأسـي سِهـامُ المَصائِـبِ
وَتَلمَـعُ فـيها البيضُ مِـــن كُلِّ جانِـبٍ ‌ ‌ ‌ ‌ كَـلَمـعِ بُـروقٍ فـي ظَلامِ الـغَياهِـبِ
لَـعَمرُكَ إِنَّ الـمَجـدَ وَالـفَخـرَ وَالعُـلا ‌ ‌ ‌ ‌ وَنَـيـلَ الأَمـانـي وَارتِـفاعَ الـمَـراتِـبِ

وما زال الاستعراض قائمًا والحضور متفاعل إلى أقصى حد، لم يطوِ الفارس حسان من نظراته كشحًا بل زادت، وطفق يتمايل في ذهابه وإيابه وفي ذهابه بأحد أشواطه الاستعراضية عاد مسرعًا وكأنه قرر هذه المرة برفع وتيرة التحدي، مسكين هذا الحسان لقد حرّك هذا الحضور في عروقه دم التحدي وهو متوهم يريد أن ينَصِّبَ نفسه بطلًا وذلك بمنازلة الحاج حسن، غرور الشباب والاندفاع إلى حيث لا يعلم ولايعتقد بأنه بذلك ينصب لنفسه شركًا وليس لغيره، كان همه الإيقاع بالحاج حسن ولكن حال الجَرِيضُ دون القريض. وفرصة من فرص العمر وهدية من السماء لا تعوض سيما وأن هذا الحضور المحتشد قلما تجده إلا في مناسبات استثنائية واستعراض استثنائي،

فلذلك كثرٌ هم الذين يعولون على هكذا مناسبات لإظهار ما لديهم من فنون المبارزة والمفاخرة بأسرهم وعشائرهم، كآل الفضل والنعيم واللهيب والفاعور. قد اجتمعت بنفس هذا الشاب كل عناصرالتحدي حين وقف حسان الفضل أمام الحاج حسن عبدالله ولوّح له بالسيف، فاشتدّ حماس الحضور وتعالت الصيحات، ألم يدرِ إلى مَن يلوح ومن يتحدى؟ الذي يلوح شاهد الحماس في وجوه الحضور والمتفرجين والمعجبين والمتحمسين إلا أنه لم يقرأ التاريخ ففاته الكثير،ألم يأتكَ حديث أجداده وحديث تاريخهم وكيلهم وما وزن، تاريخٌ لم يصبه النوم ولا الوسن، تاريخ مفعم بالبطولات من أرض اليمن إلى حيث شواطىءالخليج العربي إلى أرض العراق والشام ولبنان، إلى جبل عامل يبلّغ السلام رجالًا صنعوا التاريخ. نظر الأمير محمد إلى وجه ولده حسن رآه فرحًا متبسمًا متوثبًا كالضرغام ترتعد لنظراته غلمان العرب والفرسان، وتخر لوقع خطاه الجبابرة، تبسم والده وهز برأسه وعلامات الرضا تغمر وجهه، حديث النظرات انتهى بين الوالد وولده وحان وقت النزال، لم يبرح حسان المكان، يستفز ويستعجل ساعة تتويجه ونيل لقب الفارس البطل، معتقداً تفوقه على الحاج حسن. الحضور يهتف بحياة حسان ومن الحضور من انحاز إلى شخص الحاج حسن ووالده الأمير محمد، وكأن اليوم أعدّ لهذه المبارزة. علامات القلق ارتسمت انزعاجًا على وجوه الحضور عندما بدأت الشمس تلملم خيوطها نحو المغيب، ونسمات ذلك اليوم تعبث بخصال شعر الشاب حسن بعد أن خلع القلنسوة من تحت عمامته وأبقى عليها مشدودة على قدر الرأس، مَن يتوج اليوم بطلاً؟ يستحضرني هذا السؤال وأحيله إلى العلامة المرجع عبدالحسين صادق (قدس الله سره)بالطبع أسأل تراثه القيم وتاريخه وما جاء فيه من درر الكلام قولًا وشعرًا، وما تركه لنا في بعض مدّخراته التاريخية النفيسة والرائعة التي نقل عنها العلامة الأمين في خططه عن آل عبدالله، يجيبنا العلامة شعرًا يقول عن آل عبدالله:

لهـم القواضـب والسحائـب والرُّبـى ضـربٌ مـن الأضـراب والأشبـاهِ

نعم وصلنا حديثك أيها الشيخ الجليل عن جدنا الحاج حسن وعن إخوته وبنيه، أنت مَن عاصرهم وصاهرهم وصاهروك، وعاصرت جميع أبنائه، عليك الرحمة أيها العلامة عندما أوضحت لنا من جميل القول رحمك الله.

نهض الأمير محمد من مكانه وخلع عن وسطه حزامًا يتدلى منه سيف كان قد وضعه إلى جهة الشمال من وسطه، وكان يتكيء على قبضة السيف بيده اليمنى والسيف ما زال في غمده. كان يعني استلال السيف من غمده إيذانًا ببدء النزال والمبارزة. ألبسَ ولده الشاب حسن الحزام وقبله وشد على يده ودعا له بالفوز والغلبة في هذا النزال، وأخذ بيد ولده ووضعها على قبضة السيف. ولهذا السيف قصة من أروع القصص وكأنها ليلة من ألف ليلة، صنعها بطل تأتيك قصته من كل فج عميق من أصقاع المعمورة من أحشاء التاريخ. على إيقاع التحدي تستسلم الأنفاس وتُبْتلع الألسن،من عبق التاريخ تتهاوى القصص والحكايات إلى مرج الجولان، قصص ممزوجة بالبطولات مليئة بالصور والعبر يستلهم منها صيحات النصر... السيف الذي على وسطه حُزّ به رأس أسد وقطَّعت أوصاله على يد الأمير علي علم الدين عبدالله التنوخي، هكذا قالت مفيدة عابد في كتابها، وورث هذا السيف الأمير موسى عن والده وجاهد به ضد الأمراء المعنيين والأمراء الشهابيين، ولم يتخلَّ عنه طيلة حياته، وحين وافته المنية في الخيام سنة ١٧٠٥م. احتفظت زوجته الجليلة أم عبدالله بالسيف، وعند سن البلوغ تسلم الأمير عبدالله جد الحاج حسن السيف، وتقلده الأمير محمد وهو في سن الخامسة عشر من والده عبدالله.

نهض الحاج حسن من مكانه واستوى كالسنانُ، اشرأبت له أعناق الأعيان واستوت على سوقها الأبدان، معركة ليس بعدها نسيان تتوارثه الأجيال والخلان. وجرى على لسان المحبين قول الشاعر المبين الشريف الرضي:

ونحن النازلون بكل ثغر	نريق على جوانبه الدماءَ
ونحن الخائضون بكل هول	إذا دب الجبان به الضراءَ
ونحن اللابسون لكل مجد	إذا شئنا ادراعًا وارتداءَ
أقمنا بالتجارب كل أمر	أبى إلا اعوجاجًا والتواءَ

استل سيفه من غمده وضرب ضربة قوية سُمع لها صفير كأنها رياح عاتية من الجنوب آتية، ولمعان كبريق الرعد، فارتعد من حوله النفير كيوم الوعد وود الذي يقابله لو ابتلعه الحفير في يوم زمهرير لا لاغية فيه ولا زفير، وناخت الأبل والعير. التقت الأَسِنَّة ووقع بينهما القتال واشتد النزال وكثر القيل والقال. وقال أحدهم: ما رأت عيني مثل هذه المبارزه والنزال وقوة القتال ارتفعت الجلبة من الحضور، وزاد حماس المتبارزين والتقى حد النصلين حتى تحير الفريقان من هو الرابح من الإثنين.

نظر بعضهما إلى بعض، وعاجله الحاج حسن بضربة أصابت سيفه فلم يبقَ بيده إلا قبضته فأفزعته، ففصل النصال وداس عليه بالنعال، وليس بعدها من رجل يختال في الميدان وانتهى القتال بضربة فارس بألف من الرجال، وطاف الحضور بالبطل المغوار، وكان يوم فرح وزغاريد وكأنه يوم عيد، وامتدت الأيدي إلى الأيدي وتصافحا من جديد، وغُرس في الغمد الحديد ولبى الحضور عبدالله الحفيد. السلام عليك يوم ولدت ويوم رحلت ويوم تبعث حيًّا.

علاقة الحاج حسن عبدالله بزعماء جبل عامل:

آل علي الصغير... أجداد آل الأسعد وعلاقاته بأمراء وادي التيم .. الجولان.. الحولة

ورث الحاج حسن عبدالله علاقة قوية بدأها والده المرحوم الأمير محمد ١٧٣٨ ـ ١٨١٠م الذي عايش عهد ناصيف النصار (ت١٧٨٠م) من آل علي الصغير، وقد ذكرنا بعض تفاصيل تلك العلاقة(*) في معرض حديثنا عن سيرة الأمير محمد بن عبدالله. توطدت هذه العلاقة ووصلت مفاعيلها وحميميتها إلى علاقة مميزة بين الحاج حسن عبدالله وحمد البك بن محمود النصار. ولد حمد البك تقريبًا في بداية القرن التاسع عشر وتوفي سنة ١٨٥٢ ميلادي. ترسخت هذه العلاقة واستوت على سوقها واشتد عودها بعد أن التقيا بخطهما السياسي ضد ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا الذي غزا بلاد الشام وأخضعها لنفوذه ويذكر المؤرخون بأن محمد علي باشا قد ألغى حكومة الإقطاعات وألحقها بولاية الأمير بشير الثاني(**)، أما عن الحاج حسن وسياسته ضد إبراهيم باشا، لقد أدرك مبكرًا خطر هذا الغزو لبلاد الشام ولبنان الذي هو جزء من هذه الجغرافيا بعد أن عمد إبراهيم باشا إلى تغليب فئة ضد أخرى. وقد ذكر حمادة في تاريخه: إن أسبابًا عامة أثارت الاستياء في جميع أنحاء سوريا دفعت الناس إلى الوقوف إلى جانب العثمانيين في هذا الصراع، كما أن هناك أسبابًا خاصة بالعامليين زادت في نفورهم من الحكم المصري، ودفعت الشعور التقليدي المعادي للعثمانيين إلى أن

(*) عندما كنا نجري اللقاءات مع المعمّرين والرواة وحفظة التاريخ، كانت بعض الروايات المأثورة جلّها مبتورة أو لا تتعدى السطرين، كان لزاماً علينا أن نبحث في بطون الكتب التاريخية عن تلك الأحداث حتى نمسك بطرف خيط يدلنا عليها ويقربنا منها، ذكر بأن علاقة الحاج حسن عبدالله مع آل الأسعد الذين هم من آل علي الصغير سبقتها علاقة تأسست على يد الأمير محمد والد الحاج حسن عبدالله مع آل علي الصغير الذي عاصر الأمير البطل ناصيف النصار الذي استشهد سنة ١٧٨٠ ميلادي على يد جنود الطاغية أحمد باشا الجزار.

(**) راجع "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٥١ ـ ٥٢، سيرة حمدالبك.

يتراجع وعوامل الثورة والعصيان أن تترسخ وتتفاقم ضد السلطة الجديدة[١]. كانت زيارات لا تنقطع بين عميد أسرة آل عبدالله الحاج حسن طيب الله ثراه وآل علي الصغير والمشاورات والتنسيق على جميع المستويات خاصة وأن آل علي الصغير وأحفادهم آل الأسعد كان لهم الدور الرئيس في سياسات المنطقة.

جاء في المستند: أما عن موقعه في طائفته فقد كان الحاج حسن آل عبدالله موضع ثقة وتقدير كل العائلات الدينية والزمنية في جبل عامل، وفي طليعتهم آل علي الصغيرزعماء المنطقة وحكام جبل عامل حينئذ، وفي مقدمهم حمد بك الأسعد صاحب المقام الرفيع . ولقد كان للحاج حسن آل عبدالله ديوان خاص في سراي آل علي الصغير في قلعة تبنين في عهد حمد بن الأسعد وخليفته ابن أخيه علي بن الأسعد عرف بديوان الحاج حسن عبدالله، ينزل فيه ويستقبل الوافدين للسلام عليه من علماء المنطقة ووجهائها[٢]. وتأكيدًا للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط آل علي الصغير بالحاج حسن آل عبدالله، وتثمينًا لدوره الريادي في المنطقة قام الزعيم كامل بك خليل الأسعد بمصاهرة آل عبدالله وتزوج الحاجة مريم ابنة المغفور له بإذنه تعالى الحاج حسن عبدالله، فأنجبا ابنتين فاطمة وخديجة . كبراهما فاطمة تزوجت من ابن عمها أحمد بك عبداللطيف الأسعد، والأخرى زينب تزوجت من ابن عمها محمد بك محمود الأسعد. وقد روي بأن الحاج حسن دخل وساطة خير بين تامر بيك الحسين وعلي بك الأسعد سنة ١٨٦٢م. بعد نزاع بينهم على زعامة المنطقة وتمثيل العشائر، وكان ذلك بعد منتصف القرن التاسع عشر رغم ميل الحاج حسن إلى سياسة علي بك الأسعد. وسوف يكون لنا وقفة أخرى في تسليط الضوء على العلاقة بين آل عبدالله وآل الأسعد بشكل موسع.

ومما جاء في المستند بما جمع فيه من معلومات قيمة تعبد لنا الطريق للمضي في بحثنا بأنه كان للحاج حسن آل عبدالله علاقات صداقة مع حكام وادي التيم من الأمراء الشهابيين ومع مشايخ الدروز من آل قيس وشمس ونوفل، وقد ارتبط بعلاقة صداقة وثيقة بالأمير سعيد الشهابي كبير الأمراء الشهابيين في حاصبيا في ذلك العصر، وكما كانت زيارته إلى السراي الشهابية في حاصبيا في عهدالأمير سعيد شهاب مناسبة خيرة في حساب الأمير، يصدر فيها عفوًا خاصًّا عن بعض الموقوفين في سجن السراي إكرامًا له وتقديرًا لزيارته. ومع آل فاعور (أخواله) أمراء عرب الفضل في الجولان ومع آل اليوسف زعماء عرب الحولة ومع كل الفعاليات في المنطقة من رجال دنيا ودين.

(١) "تاريخ الشيعة"، لسعدون حمادة، الجزء الأول، صفحة ٥٢٢.
(٢) مستند شجرة آل عبدالله، لأحمد مالك عبدالله.

الحاج حسن عبدالله يدعم ثورة حسين الشبيب :

كان قرار الحاج حسن عبدالله صائبًا وتقييمه للأمور في مكانه، وهذا دليل على اتساع حركات الاحتجاج والمقاومة ضد إبراهيم باشا ١٧٨٩-١٨٤٨م يختصر قولنا هذا كله، قول المتنبي :

وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها　　وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

لم يتخلّ الحاج حسن عن قناعاته ورؤيته فكان الظهير والداعم والمساند فقد كان مجزلًا في عطاياه، فعندما اندلعت الثورة ضد إبراهيم باشا في جبل عامل سنة ١٨٣٦، بزعامة حسين الشبيب[١]،كان له موقفٌ مميزٌ وصائبٌ من هذه الثورة، حيث أوعز إلى أخيه حمود ابن الأمير محمد بن عبدالله التنوخي، طالبًا منه بأن يتوجه إلى الجولان لإحضار بعض البنادق وتسليمها لثوار جبل عامل في حربهم مع إبراهيم باشا.ومما يذكر أن حمود نجا من الموت بأعجوبة وذلك أثناء عودته إلى الخيام مع الفجر بعد أن أنهى مهمته بنجاح، وقد اعتقد رجال إبراهيم باشا بأن السلاح في حوزة حمود وسوف يأتي لتسليمه في الخيام إلا أنه قد سلمه في مكان آخر. وبوشاية عليه كمنوا له وأطلقوا عليه النار من أسلحتهم الحربية فصرخ صرخة قوية متظاهرًا بأنه أصيب، فقفز عن صهوة جواده فهم العسكر ناحية سقوطه للإمساك به فلم يجدوه فتوارى خلف الصخور ولم يعثروا على أثر له، وعاد إلى أخيه وأهله وعلامات الفخر والاعتزاز تملأ صفحات وجهه، إلا أنه لم يستطع ان يخفي تأثره على جواده الذي تركه غنيمة بأيدي من أرادوا قتله ولكن "يا روح ما بعدك روح."

ومما أجمع عليه المؤرخون أن إدارة المصريين في سوريا وما اتخذوه من الشدة في جمع الضرائب ومضاعفتها، وجمع السلاح، وتجنيد الشبان على غير قاعدة نظامية وفرض السخرة، كان من الأسباب الداعية لسخط السكان، واندلاع لسان الثورة في جبال النصيرية وبلاد بعلبك ووادي التيم وحوران وفلسطين وجبل عامل وشمالي لبنان.

شبلي العريان يبعث برسول إلى دارة الحاج حسن عبدالله:

ومما يذكر بأن الشيخ شبلي العريان[٢] ١٧٩٠ـ ١٨٧٠م من مواليد راشيا المناوئ لإبراهيم باشا وجيشه الذي انتفض بوجهه، بعث برسول إلى دارة الحاج حسن عبدالله في الخيام كان ذلك في بداية

---

(١) حسين الشبيب هو حسين بك، ابن الشيخ شبيب بن الشيخ علي الفارس من آل صعب، "تاريخ جبل عامل"، صفحة ١٤٨.

(٢) هو شبلي ابن الشيخ علي العريان ولد في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي في راشيا الوادي موطن أسرته وتوفي عام١٨٧٠م. في مدينة الرها بالعراق.٨٥ تاريخ حاصبيا.

العقد الرابع من القرن التاسع (١٨٣٢-١٨٣٧). في طلب ومما يذكر بأن الشخص المبعوث في مهمة قد اختلى بالحاج حسن لمدة مقدارها ساعة، و حصل على مايريد وخرج وهو مسرور من الدار، وقد سار إلى جانبه الحاج حسين شقيق الحاج حسن وكانا يتبادلان أطراف الحديث بشغف، والحديث لم يتوقف بينهما بل تخلله اقتراب وهمس في الآذان وودعه حتى اعتلاء صهوة جواده، ومما يذكر بأن للحاج حسن موقف من الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا. وكانت هذه الزيارة لدار الحاج حسن من أحد رجال العريان بعد أن أوغل جيش إبراهيم باشا بطشًا في المنطقة، وشن جيشه عمليات وإغارة على مناطق الجوار، وذكر بأن الجيش المصري اقتحم قرى عدة منها: راشيا وحاصبيا، ويقال بأن رسول العريان توجه إلى حيث كان يقيم حمد البك، وكان لحمد البك مشاركة فعالة ضد جيش إبراهيم باشا عندما نهض بخيله ورجاله لمحاربته، وقد أبلى بلاءً حسنًا على ما جاء في صفحة ٥٢ من كتاب جبل عامل. وللحاج حسن أيادي بيضاء حيث لم يتوانَ عن تقديم الدعم والمساعدة وتوفير كل السبل لرفع الظلم عن الناس، وكان من أوائل الزعماء إذا لم يكن أولهم على الإطلاق حين نبه على خطورة غزو جيش إبراهيم باشا، الذي احتل مناطق الشام وألغى جميع حكومات جبل عامل وألحقه بولاية الأمير بشير الشهابي الثاني. (ولآل عبدالله عداء تاريخي مع آل معن وآل شهاب منذ قدوم الأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي إلى الخيام متوجسًا حيطة وحذر على حياته، وكانت آخر معاركه مع الأمير أحمد المعني سنة ١٦٩٧م)، ومشاركة حمد البك في المعارك ضد جيش إبراهيم باشا لبلاءه الرائع نال إعجاب الشعراء ومنهم الشيخ حبيب الكاظمي الذي اخترنا بعضاً من أبيات قصيدته ومنها:

وطوى البشر الأماني إذ وطى	حمد البك من الظهر السناما
حلب الدهر بـه ضرعَ الندى	فارتوى صوبًا وما استسقي غماما
قد شكا السيف الظما حتى ارتوى	وانحنى عود القنا حتى استقاما

من وصايا الحاج حسن عبدالله لأولاده:

"عيشوا أحراراً وموتوا أحرارًا، لأن الحر عند ربه مكرّم محق، لأنه رافض للظلم طالب للعدل".

موقف الحاج حسن عبدالله من حملة إبراهيم باشا يتحول إلى ثورة حسينية :

لم يتوانَ الحاج حسن عبدالله عن اتخاذ المواقف الشجاعة تنسيقًا وترتيبًا مع زعماء المناطق المجاورة، وكانت أهم مواقفه المعلنة موقفه من حملة إبراهيم باشا – قائد الجيش المصري – أثناء غزوه لبلاد الشام في عام ١٨٣١م، حيث جرت العادة أنه في كل محلة كان يحل بها الجيش المصري، وغيره من الفاتحين ثقيلي الدم، يقوم كبير الناحية بتقديم بيرق بلدته فكبير البلدة الحاج حسن عبدالله والفاتح إبراهيم باشا، وكان تقديم البيرق يرمز إلى الاعتراف بدخوله سلطة طاعته وتقديم الولاء له. ولكننا نجد أن الحاج حسن عبدالله تأبى كرامته وعنفوانه أن يقوم بنفسه بهذا الفعل أو حتى أحد من أبنائه، لذا عندما وصلت جيوش حملة إبراهيم باشا إلى سهل مرجعيون وأقامت خيامها في مرج الخيام(*) استنكف أن يذهب الحاج حسن عبدالله إلى ملاقاتهم، ودفعًا للحرج في هذا الأمر، اتفقت الجموع على إيجاد مخرج فتطوع للقيام بهذه الزيارة حماه الحاج ملحم شقير (والد زوجته) للقيام بهذه المهمة، وينزل الحاج ملحم شقير للمرج ويقدم للباشا بيرق الخيام الذي كان مكونًا من القماش الأخضر العريض مكتوبًا في منتصفه عبارة: (**لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار**)[1].

ما مر ببلدة أوقرية من القرى الموزعة على أطراف الطرق التي سلكها مع جيشه إلا ويكون في استقباله كبير قوم البلدة وعميدها ليقدم له الطاعة والمبايعة، وهذه عادة كان يتبعها العثمانيون في بلداننا وعندما وصل إلى ناحية الخيام كان من واجب كبيْر البلدة أن يزوره في محل إقامته ويقدم له الطاعة ويسلمه الراية، وبما أن الكبير ابن الكبار هو الحَاج حسن عبدالله وجده الأمير ابن الأمراء هو عبدالله ابن الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين آل عبدالله التنوخي، أكيد يرفض أن يقدم له الطاعة.. لماذا؟ انتبه أيها القارئ، أنا لا أبالغ وإنما هناك حقائق تاريخية ومعطيات لا بد من فصفصتها. وكما يقال بأن وقائع التاريخ لا تحتاج إلى مدح ومبالغة، يعني بأن لدى الحاج حسن عبدالله سند تاريخي طويل جدًّا من الزعامة والقيادة قد يصل إلى قرون وقرون، هذا ما تؤكد عليه جذوره التاريخية وسوسيولوجيته السياسية. هل يقدر أحد أن يقول بأن هذا الشيء لا يعطي الإنسان دفعًا معنويًا؟

(*) المعروف بجغرافيته الحالية والممتد من مثلث الخيام مرجعيون حاصبيا إلى غاية الشريط الفاصل بين لبنان وفلسطين المحتلة. وتُشرف عليه عدة بلدات من شمال غربه: دبين وبلاط مرجعيون، ومن ناحية الغرب القليعة وبرج الملوك، ومن جنوبه الغربي كفركلا، ومن الشرق تشرف الخيام على تسعين بالمئة من السهل.

(١) مستند شجرة آل عبدالله التنوخيين، للحاج أحمد محمد مالك آل عبدالله ٢٠٠٦م. وقد جاء في "تاريخ جبل عامل" لآل صفا. فقد ذكر في صفحة ٩٠: كان الإقطاعيون لا يُلزمون برفع علم الدولة الرسمي في اجتماعاتهم، بل كان لهم أعلام خاصة من نسيج الحرير أخضر وأحمر، كُتب عليها بالنسج الأبيض ثلاثة سطور الأول.

لا داعي إلى التكرار ولكن نقدر أن نمرر بهذه العجالة بأننا تعمدنا أن نذكر أجداده التنوخيين، لماذا؟ لأن التنوخيين كان لهم أعظم دولة في الحيرة في العراق، استمرت لأكثر من أربعمائة سنة، وأنجبت عشرات الملوك، وأرست دعائم حضارة عربية ما زالت تدرس إلى يومنا هذا.وكان لهم أعظم ملك في لبنان وأعظم دور في تاريخه. هذا رد الحاج حسن على إبراهيم باشا.بينما في الجانب الآخر ومما يذكر بأن والد إبراهيم باشا بدأ حياته كعسكري بالجيش العثماني فكيف من يحمل في جنباته حرارة دم الملوك والأمراء والقادة والزعماء والوجهاء والكبار أن يقدم التحية إلى ابن عسكري، حتى لو كان يملك جيش هتلر وطائرات الحلف الأطلسي وحلف الناتو وجيوشهما كلها.. (فشر وألف فشر) ابن مين هذا كي يقدم له الطاعة الحاج حسن عبدالله؟ وهناك عامل مهم وفي غاية الأهمية ألا وهو الإرادة والشجاعة الحسينية التي تربى وربى أبناءه وأحفاده وأهل بلده عليها ..إن موقفه الرافض كان نداء وشعار علي بن أبي طالب: "لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا" إرادة وكفاءة استطاع أن يزرع الثورة ويجذرها ويسعّرها وينفخ في كورها لتلتهب أرض عامل لا أن يطلقها كلامًا في الهواء..كم أنت رائع أيها البطل، فالكرامة والعنفوان خلقا من أجلك ما أقلت الغبراء وما أظلت الخضراء غيرك وأنت تزرع نبتة طيبة في أعماق الناس. هناك موقف لا بدّ من ذكره قد يلخص بعض الشيء ما نحن في ذكره هو عندما وقف حفيد الحاج حسن عبدالله المفتي الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي أمام جمال باشا في الطيبة عام ١٩١٥م. ليذكره ويذكر الحضور بتنوخيته لأنهم يعتزون بها لما تحمله من قيم وصفات رائعة أهمها الشجاعة والكرم قال يومها:

إن كنتم لم تعرفوني من أنا وما نـــ سبي ينبيكم السيف عني والرمح
بأني تنوخي الصيد من تبع العلى كفاني بهذا مفخرة حين أفخر

لاحظ معي ما الذي قاله الحاج علي المفتي قال: ينبيكم السيف عني والرمح. ما المقصود؟؟ المقصود يا أيها العابرون من مناطقنا وسهولنا وأوديتنا، أيها القادة، يا صنيعة الظروف وصنيعة اللعبة السياسية الكونية وصنيعة حوانيت البلقان وصنيعة شوارع أوروبا وصنيعة التشرد والعربدة واللصوصية، يا شذاذ الآفاق عودوا إلى التاريخ إن كنتم تجيدون القراءه ليخبركم عن ساحات الوغى والحومات والبطحاء، بأننا أسيادها وروادها وقادتها وملوكها وأمراؤها وأبطالها لم تنكس لنا راية منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وإن كنا بينكم اليوم فهذه رسالتنا ...اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد.

وكانت الرسالة الثانية إلى ابراهيم باشا في غاية الأهمية والشجاعة، عندما ذهب الوفد بدون الحاج حسن لمقابلة إبراهيم باشا، كانت الراية التي يحملها هي راية حسينية تؤكد على الانتماء إلى خط أهل البيت عليهم السلام. كان بيرق الخيام مكونًا من القماش الأخضر العريض مكتوبًا في منتصفه عبارة: (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار). ومما يذكر بأن هذه العبارة قد نقشت على سيوفهم تيمنًا وتبركًا بهذه العبارة التي كان لها الأثر الطيب في معاركهم. واستطرادًا مما روي لي بان المرحوم أسعد إسماعيل عبدالله حفيد الحاج حسن عبدالله المعروف بقوته الخارقة كان يملك خنجرًا حفر عليه: "نصر من الله وفتح قريب" لم يدخل معركة إلا وكان النصر حليفه فأهدى خنجره إلى أخيه محمد، وقبل وفاة محمد قام بدوره بإهداء الخنجر إلى ولده علي، وبقي في حوزته إلى أوائل السبعينات من القرن الماضي.

إن علاقة الحاج حسن بزعماء آل علي الصغير في جبل عامل وزعماء وادي التيم والأمراء الحرافشة في منطقة بعلبك قد أنتجت تفاهماً كان الحاج حسن عبدالله قد أشار إليه وحذر من خطورة إبراهيم باشا منذ اللحظات الأولى. كان استقبال إبراهيم باشا بالراية الحسينية له مدلوله، ونوايا كان يعلم بها الحاج حسن عبدالله، وكأنه يقول: صبراً أيها القوم إن النصر صبر ساعة فاعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ..وسوف ترون بأم أعينكم وأنتم مرفوعو الرأس واقفين على هضاب الخيام تشاهدون انهزام جيش إبراهيم باشا وكل من معه.. فما فتئت حتى ظهرت نوايا حملته فأظهر عداءً شرسًا لأتباع أهل البيت على جميع الأراضي اللبنانية فنال منهم أو ممن سانده ووقف إلى جانبه. كانوا يشنون الحملات تحت أسماع وعيون جيشه، ومما يذكر بأن إبراهيم باشا أظهر كثيرًا من العدل في كثير من المناطق اللبنانية وكان موقفه موضع إعجاب الكثيرين ما عدا مناطق أتباع أهل البيت، فعاملهم بقسوة.ومما ذكرنا لقد أنتجت علاقة الحاج حسن بهذه الأطراف المؤثرة في بيئتها وفي ناسها، فلم يطُل مكوث جيشه حتى كان كثير من زعماء الطائفة في طليعة الجيوش التي حاربت إبراهيم باشا، أمثال الأمراء الحرافشة والزعيم حمد البك الأسعد من آل علي الصغير، فاتسعت حركة الاحتجاج ضد جيش إبراهيم باشا، فكان كل من يستطيع أن ينال منهم لم يتأخر عن فعل ذلك ومما يروى بأن إخوة الحاج حسن عبدالله والمرجح أن يكون حمود أوأخوه موسى وآخرون كانوا يقدمون المساعدة للثوار بنقل الأسلحة والذخائر التي كانوا يشترونها من العثمانيين، الذين دأبوا على التخلص من إبراهيم باشا، فخرج جيش الباشا من لبنان وبقيت راية الخيام مرفوعة خفاقة بيد من قدمها للمرة

الأولى الحاج حسن عبدالله، ذهب الباشا وولى الأدبار وبقي آل عبدالله وبقى كثير من الشرفاء إلى جانبهم، هذا وقد زار الحاج حسن عبدالله في دارته في الخيام الأمير سلمان الحرفوش بعد أن انتهى من ملاحقة إبراهيم باشا حتى فلسطين. كانت زيارة تاريخية للأمير مع مئات المئات من جنوده البواسل وقصة زيارته موجودة في كتابنا هذا..

للخيام تحية

رايات الخيام في صولاتها قُرىء على المسامع من آياتها
يوم الجيوش أضمرت لها شراً وكادت تزحف من جميع جهاتها
وإن أظهرت من المودة شأناً فليس الصفو من صفاتها
لاتجزع فالآل عبدالله في الفلوات مهاباً أرعبت الكواسر الجسار في غاباتها
ساموا أبا علي من آل عبدالله فليس التسليم عادة من عاداتها
أمسى والحشد رهن قراره حيته الأماني فسما إلى غاياتها
حتى أرخى الليل ظلمته ففروا ذعراً تحت جنح ظلماتها
تالله يا ابن محمد أحييت الأرض بعد مماتها
ولقّنت غزاة الزاحفين درسا وأفضيت روح العدل في أقطارها
ما مددت قط يداً خشية إلا وقطعت من رقاب عُتاتها
(لما دعتكَ الخيام لنصرتها لبيتها ورضيت بَذلَ النفس في مرضاتها)

استراتجية الحاج حسن عبدالله ومستقبل الخيام:

لم تقتصر علاقات الحاج حسن عبدالله في اتجاه جغرافي معين، بل شمل جغرافية المنطقة كلها، وأصبح للخيام نافذة واسعة مطلة تشرف على علاقة جغرافية ممتدة من أقصى بلاد بشارة من جنوب غربه مع أمراء آل علي الصغير، إلى جنوب شرقي الخيام مع أمراء عرب الفضل في الجولان وعرب الحولة، وإلى شمال شرق الخيام علاقته مع أمراء وادي التيم لتمتد إلى أقصى جرود بعلبك مع أمراء الحرافشة.لقد استطاع بناء هذه الشبكة الواسعة من العلاقات، والتي وفّرت مظلة آمنة لا مثيل لها أسست لمنطق و رؤية ونظرية سياسية مستقبلية للخيام، حين أصبحت موطنًا لطائفة المسلمين الشيعة ولأقلية مسيحية، فكل تطور من هذا النوع هو بالتأكيد لصالح إنسان هذه الأرض الذي

تحول بفضل هذه الرؤية البناءة في صورة مواطن، وسط مشاعر إيجابية كان عمادها ومبتغاها البناء، بناء الانسان والمجتمع، مشروع تثقيفي يصبح مرتبطًا بالشعور وبالعادات والتقاليد، التي يصعب الفكاك منها ويصبح انتزاعها كانتزاع الروح من الجسد، هذا التأسيس لا يأخذ مسميات اليوم من بناء سلطات ووزرات، بل هو أهم من ذلك هو تكوين شعور وانفعالات ومقاييس ذاتية بغاية الأهمية تقوم عليها ضمائر الناس وتحتضنها أرواحهم، والنفوس قبل النصوص. كان الحفاظ على هذه الإنجازات يشكل أولوية استراتجية بالنسبة للحاج حسن عبدالله للدفاع عنها وصونها، ولقد استطاع بجهوده المطردة والحثيثة والمتواصلة تأسيس حركة دينية بدأها باصطحاب العلماء معه من النجف إلى الخيام أمثال العالم الجليل المرحوم الشيخ إبراهيم صادق والد العلامة المرحوم الشيخ عبدالحسين صادق. وتابع الحاج حسن حركته الدينية فبنى مسجدًا مازال إلى يومنا هذا، كانت تدار فيه حلقات العلم بإشراف علماء أجلاء من جبل عامل أمثال العلماء الأفاضل آل الفقيه من حريص، في هذا الحيز الجغرافي الذي هو الخيام اليوم، أصبح مجتمعًا متكاملًا يمارس العمل السياسي ومحصنًّا دينيًّا وثقافيًّا وموروثا قيماً من العادات والتقاليد الحسنة التي عمل الحاج حسن على إرسائها وإشاعتها بين الناس. هذه المجموعة من الصفات المثالية أدت إلى المحافظة على كينونة المجتمع واستقلاله وتحصينه، كان نبوغًا غير مسبوق بالمسؤولية، فقد رفض الحاج حسن عبدالله إقامة أي مؤسسات للدولة العثمانية كما كان يحدث بالجوار لبلدة الخيام، قاطعًا بذلك الطريق ورافضًا أن تتحول الخيام إلى عابري الطريق حينها يصعب التحكم بالداخلين إليها والخارجين منها.

إن رجلًا بحجم الحاج حسن عبدالله عاصر ثلاثة قرون ليس كثيرًا عليه أن يشكل مرجعية زمنية وروحية. ومما سمعناه بالتواتر كانت الأحاديث تروى لنا على قاعدة: قال أبي عن جدي وقال جدي عن أبيه وجده. وما قرأناه بمستند شجرة آل عبدالله فقد زاد تعداد سكان بلدة الخيام في عهده وتوسعت في العمران، فانتقلت البلدة في زمانه من عدد محدود من البيوت الترابية المتفرقة إلى إحدى كبريات البلدات في جبل عامل، المدافعة عن الواجهة الشرقية لجبل عامل الأشم في زمانه. ونقول أما في يومنا هذا فقد أصبحت الخيام البوابة الجنوبية حيث تشكل خط الدفاع الأول والأساسي في وجه العدو الإسرائيلي عن خط يمتد إلى حدود المصنع اللبناني حيث حدود سوريا، مرورًا بقرى وادي التيم والبقاع الغربي. ففي عدوان ٢٠٠٦ ميلادي كانت التحليلات العسكرية تنصب جلها على الواقع الجغرافي بحيث لو تسنى لا سمح الله بسقوط بلدة الخيام في يد العدو

الصهيوني لأصبح الطريق إلى سوريا خاليًا من الصعوبات، فالخيام تشكل البوابة الرئيسة والحصن الحصين في الدفاع عن الوطن العربي. إن الشخصية التي تخطط للمستقبل أو تعمل على سبر غور الحقيقة بكل أبعادها الاجتماعية وتشخيص آفاتها في مهدها تغرس الأمل في النفوس وتشيد روح التحّفز والعمل والتضحية. إذا كان لدى مجتمع كل هذه الخصال فاعلم بأنه يخطو في الطريق السليم والواضح نحو السعادة التي مثلت منذ آدم إلى يومنا هذا المبتغى الأول للإنسان في حركة التاريخ، فكل الرسالات السماوية تأكيد على هذا المعنى، وإذا ما نظرت إلى انسان ما فأعجبك خلقه وأخلاقه، قوله وفعله وسيرته فاعلم بأنه تشرّب الأصالة الأخلاقية والصفات النبيلة من بيت أصيل. هكذا استمرت سيرة الحاج حسن عبدالله بأنجاله الذين ساروا على طريقه وتحلوا بأخلاقه. وما قرأناه من موروثاته الفكرية يجذبنا إلى ذاك الماضي التليد الممزوج بعبق تلك العهود الجميلة.

زيارة الأمير سلمان الحرفوشي لعميد أسرة آل عبدالله الحاج حسن بن محمد آل عبدالله:

ألقينا الضوء وأولينا حركة الحرافشة في لبنان اهتمامًا في هذا الكتاب وذلك بسبب الزيارة التي قام بها أميرهم سلمان الحرفوش للحاج حسن عبدالله في الخيام سنة ١٨٤٠م[*].

إن الأهمية الاستراتيجية لمدينة بعلبك التي كانت تربط بين شمال سوريا وجنوبها عند سلسلتين مقتربتين من بعضهما البعض، قد أعطت بذلك أهمية معنوية وعسكرية لآل الحرفوش الذين رفضوا التعاون مع إبراهيم باشا خلال حملته على مناطق بلاد الشام، وأبقوا على ولائهم للعثمانيين على قاعدة: (يلي بتعرفو أحسن من يللي مابتعرفو). خاض الأمراء الحرافشة معارك عنيفة ضد إبراهيم باشا المصري ،حتى استطاعوا أن يشعلوا ثورة شملت أكثر المناطق اللبنانية،وكان في طليعة الثائرين الأمير سلمان الحرفوشي الذي لازم أخاه الأمير خنجر وشاركه في معظم تحركاته ضد فلول جيش إبراهيم باشا المنهزمة، التي وصلت إلى منطقة مرجعيون كان ذلك سنة ١٨٤٠م. واستمر الأمير سلمان الحرفوشي بملاحقتهم حتى تخوم غزة ودخولهم الأراضي المصرية.

الأمير سلمان الحرفوشي[١]. هو آخر أمراء الحرافشة الثلاثين الذين تناوبوا على إمارة دامت

(*) تأكد لنا جليًّا، ومن خلال ما قرأناه من أحداث، بأن غزوة الأمير سلمان الحرفوش ومشاركته في مطاردة إبراهيم باشا سالكًا سهل مرجعيون. فقد ذكر ذلك في صفحة٣٥١ في سياق حرب الحرافشة ضد الجيش المصري. وكذلك في الصفحة ٣٤٤ و٣٤٥ المجلد الأول في كتاب "تاريخ الشيعة في لبنان"، لسعدون حمادة.

(١) لمعرفة المزيد عن سلمان الحرفوش، راجع من ص ٣٥١ ـ ٣٧١ من "تاريخ الشيعة في لبنان"، لسعدون حمادة، مصدر سابق.

لأكثر من ثلاثة قرون ونصف، وبدأ أميرًا ثائرًا من سنة ١٨٤٠م. إلى سنة ١٨٦٦م. حتى مقتله على يد الأتراك كان سلمان قويًا شجاعًا يشهد له القاصي والداني، وصار ذكره على ألسنة الرواة والشعراء، ولا تزال أخباره وسيرته تروى في المجالس والسهرات حتى يومنا هذا، يرددون عليه هذا البيت:

يا ذلك يا بعلبك بعد سلمان صرتي مراح لخيول العدا

وقد ذكره العلامة عز الدين في كتابه في حوادث ١٢٨٣ هجري وهذا نص ما جاء فيه: كان رجلًا شجاعًا فتاكًا لا يقوم له أحد، وقد حصل له وقعات كثيرة مع الدولة التركية والأكراد والعرب، وفي كلها أو جلها يكون الظفر له، وربما كان يفرّ أصحابه ويبقى وحده، فيحارب السرية أو الجيش الذي يبلغ ألفا وأكثر، وبالجملة قلّما أو ما سمعنا بمثله في أعصارنا عفا الله عنه[١].

إن زيارة الأمير سلمان لعميد عشيرة آل عبدالله الحاج حسن صاحب المنزلة الرفيعة،الذي ذاع صيته حتى وصل إلى أسماع الأمراء الحرافشة وغيرهم.وهذه الزيارة من الأخبار المتواترة، من الذاكرة الشعبية التي حفظت لنا بعضًا مما جرى من أحداث وسير تاريخية، رغم كل الأهوال التي مرت بها المنطقة. وقد روي بأن الأمير سلمان حين كان عائدًا من ناحية فلسطين، نزل بعسكره في ضيافة الحاج حسن عبدالله.

ما إن تراءت بلدة الخيام الوادعة على تلة مرتفعة كارتفاع هامة أهلها للأمير سلمان، على صياح الديكة التي ما لبثت تهمس بأذن الفجر البارد مسرورة بقدوم الضيف الكبير، حتى همس القائد سلمان لأحد خاصيته والمقربين منه وهو في طريق عودته من آخر المعارك ضد إبراهيم باشا المصري، بأن ينقل رسالة للحاج حسن عبدالله مبديًا الرغبة بزيارته، كان ذلك في صباح يومٍ باكرٍ من الشهر الأول من سنة ١٨٤٠م. وعند وصول رسول الحرفوش إلى دارة الحاج حسن عبدالله الكبيرة على صهوة جواده ناقلًا خبر الزيارة للحاج حسن الذي سُرّ لهذا الخبر وأبدى رغبة قوية في استضافته. إن استقبال الضيف وإكرامه من الخصال التي كان يفخر بها الحاج حسن عبدالله وإخوته، وبقيت في ذريتهم إلى يومنا هذا يتوارثونها أبًا عن جد وكان على رأس مستقبلي الضيف الحاج حسن وإخوته[٢].

(١) كتاب "سوق المعادن والحِلل"، للعلامة محمد علي عز الدين، صفحة ٢١٨، المجلس الثقافي الجنوبي، لبنان - بيروت، ط.أولى سنة ٢٠١٠م.
(٢) للحاج حسن عبدالله اربعة إخوة هم: موسى، الحاج حسين، الحاج عبدالله وحمود.

قيل بأن جموع المستقبلين للأمير الحرفوش كانت عند أول البلدة[١]، وترجل الجميع إلى بيت
ج حسن عبدالله، وعند وصولهم انفرد الأمير سلمان بحديث جانبي مع الحاج حسن عبدالله
ة بضحكات عالية لفتت أنظار الجميع.

عدد الحضور فاجأ الحاج حسن عبدالله إلا أنه تدارك الوضع بذكائه!!!

م يكن الأمير الزائر وحده، ولم يكن إلى جانبه بعض من رجاله، فهوالحريص عليهم أليس
هم ومُلهمهُم؟ وكذلك هم قادة انتصاره. ليس هو من يترك عسكره في العراء، بل أتى به كله،
ن عددهم يفوق الخمسماية فارس مع خيولهم، لقد كان منظرًا مهيبًا لم تعرفه الخيام على مدى
خها، لقد ملأت الخيول والفرسان الساحات التي تحيط بمنزل الحاج حسن عبدالله، كان الأمير
رفوش يعلم أي بيت يقصد ومن هو الحاج حسن عبدالله[٢].

بهذه المناسبة تحضرنا أبيات للشاعر زهير بن أبي سُلمى يقول فيها:

هم مقامات حسانٌ وجوههم	وأندية ينتابها القول والفعل
ن جئتهم ألفيت حول	بيوتِهم مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهل
مكثريهم رزق من يعتريهم	وعند المقلين السماحة والبذل
ى بعدهم قوم لكي يدركوهم	فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
كان من خيرٍ أتوه فإنما	تَوارَثهُ آباءُ أبائهم قبل

لم يتردد الأمير سلمان بأن يصطحب معه جيشه إلى هذه الدار الكبيرة، التي على مدى أكثر من قرن
غلق أبوابها، وكانت محطة جامعة وحاضنة وملاذًا آمنًا لكل أبناء المنطقة والجوار بكل طوائفها.
تنفر الحاج حسن كل أخوته وأقربائه لإكرام ضيوفه، وحرص مع أهل بيته بأن هذا اليوم يوم
ٌ له ولعائلته، فهو متحفز لإكرامهم وهو على استعداد لأن يحرم نفسه وعياله وأهل بيته في سبيل
ضائهم، وهذا من خصال العرب وأخلاقهم المتأصلة بشخصية الحاج حسن. ومما قيل في ذلك:

---

(١) ولم ندرِ حقيقة أين كان أول البلدة باعتبار بيت الحاج حسن عبدالله كان بأقصى شمال البلدة، ويُعرف منزله
ار الحوش قرب الساحة التحتا، أو كما يعرفها البعض بساحة آل عبدالله. وبعد التمدد العمراني تحول أقصى شمال
لدة إلى وسط البلدة.

(٢) ومما ذكر بأن موكب الأمير سلمان الحرفوش، وصل قبل الظهر قادمًا من نواحي فلسطين، وقد اجتمع
ستقباله بعض أعيان المناطق المجاورة، وكان على رأس المستقبلين الحاج حسن عبدالله، وقد احتشد الناس على
ول الطريق المؤدي إلى دارة الحاج حسن عبدالله وواكب الضيف بعض الخيّالة. وقيل بأن الحاج حسن نحر يومها
٥٠ خروف.

كان العربي عندما يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أولاده، فتأخذه العزة في الكرم فيقوم إليها ويذبحها لضيفه، فهم يخشون مذمات الأحاديث ويقول قائلهم:

واعلم بأن الضيف يوماً سوف يحمد أو يذم

ومما قاله الأمير سلمان الحرفوش لشيخ العشيرة الحاج حسن عبدالله: جئنا فقط لنشرب القهوة في داركم . إلا أن ما يدور في خلد الحاج حسن هو أن يولم على شرف الأمير ويسقي ويطعم ويقدم القهوة إلى جميع من حضر، حتى من يرابط في الساحات المحيطة بالمنزل. وقد تعمد الحاج حسن بأن يؤخر تقديم القهوة لضيوفه بعد أن أوْعَزَ للذين يشرفون على إعدادها بالتأخير، ريثما يجهز الطعام ويكون الوقت كافيًا لإعداده .كان الحديث شيقًا وممتعًا لقد سرى الوقت خُفْيَةً في غفلة من آذان وعيون الحاضرين. وفي هذه الجلسة الطيبة، بدا للجميع وكأن الستار أزيح عن حلم كان تفسيره مؤجلًا، فتجلت وقائع هذا الحدث التاريخي.حتى نهض الأمير سلمان الحرفوشي قائلًا: جئنا لنتناول القهوة عندك يا أبا علي، وهل الضيف يسأل عن القهوة؟ فأجابه الحاج حسن عبدالله: عندما يكون الضيف مثلك أيها الأمير يصبح هو صاحب المنزل ونحن الضيوف. كل هذه الفترة ونحن ننتظر أوامركم لصب القهوة، فكانت أباريق القهوة التي اصطفت أمام الضيوف أشبه بعساكر الرومان المدججين بالخوذ والدروع. وكانت المواقد التي نصبت تتسع قدورًا تكفي ليس فقط خمسماية خيال بل جيشًا عرمرمًا. فكان للحاج حسن ما أراد فشملت الضيافة الجميع من الفارس إلى القائد ومن القائد إلى الأمير. هكذا انتهت مراسيم الزيارة فغادر الأمير وهو مسرور حين ظفِرَ بانتصارين: حربه ضد إبراهيم باشا وضيافة كريمة من شيخ عربي كريم، شرف أجداده وأسرته وأهل بلدته فكان من حسن الضيافة ما يعادل إنتصارًا.

أبعاد زيارة الأمير سلمان ومدلولها:

لا يسعنا في مثل هكذا زيارة إلا أن نستحضر بعض كلمات عن زيارة بهذا الحجم، لخاتم حقبة وآخر أمراء الحرافشة الأمير[١] سلمان القادم، وهو يحمل بيده لواء النصر على إبراهيم باشا، حيث أوكل إليه تصفية وجود جيشه وملاحقة فلوله حتى تخوم غزة في فلسطين. زيارة لها دلالة تاريخية ونحن في حضرة رجلين يجمعهما نقاوة العرق والنسب، فهما ينتميان إلى الأسرة العربية القحطانية الجامعة لأهم قبائل العرب اليمنيين، هو استحضار صور تاريخية كما قال قائل: هذه أسرة لم ينلها

نائل حصونها ظهور خيلهم ومهادها الأرض وسقوفها السماء وجنتها السيوف وعدتها الصبر، أحاطت أحسابها وحفظت بذلك أنسابها، فكل واحد منها يحفظ نسبه وإن ولج في أحشاء التاريخ حتى يصل إلى الجد الأول قحطان، إلى أن تمحو عنها شوائب الشك والشبهة.ولعل من المفيد حقًّا أن نهتم بأبعاد هذه الزيارة التي تنحصر في أمرين اثنين:

الأمر الأول:

عصبية النسب، حتى أمس القريب ومما تحتضنه الكتب التاريخية من أخبار ما مفاده: بأن القبائل العربية التي قدمت من اليمن إلى لبنان تحمل نزاعاتها وتحزباتها بين ما هو قيسي ويمني، متخذة شكل التنافس، حتى ورثها اللبنانيون والتزموا بأعرافها. في أيامنا هذه قد يلجأ البعض إلى شد عصب أسرته لموقف سياسي معين إذا ما كان هذا الفعل يوفر له مصلحة حزبية أو منفعة سياسية. أو أن يلجأ البعض إلى عامل الشد الطائفي لكسب طائفته وإن احترق الجميع بنار الطائفية. فعامل النسب منذ القدم كان تحت منظومة تتحكم فيها العادات والتقاليد والأعراف والإحساس دائماً بالحرص عليها في كل مناسبة. ومن هذه الأعراف والعادات بأن يلجأ الضيف العابر بأي بلد أو إقليم أو مقاطعة إلى إلقاء التحية على زعيمها أو شيخها أو كبير قومها، وهي مدعاة للمفاخرة بين الضيف والمُضيف فذلك من آداب السلوك العشائرية والحاكمية وهو الإقرار بمقام السيادة على عهدة معينة بحدودها. فما كان من الأمير سلمان الحرفوشي سوى التقيد بهذه المعايير ورغب في الزيارة وإلقاء التحية على الحاج حسن عبدالله وارتشاف القهوة في دياره الرحبة .

الأمر الثاني:

هل نقدر أن نضع هذه الزيارة ونقول: بأنها رسالة شكر يحملها الأمير سلمان الحرفرش باسم الحرافشة حيث قبل عشر سنوات من هذه الزيارة وبالتحديد سنة ١٨٣١م. كان للحاج حسن عبدالله موقفٌ سلبيٌ ومبدئيٌ تجاه إبراهيم باشا وحملته على لبنان. وكان أول المتعضين من هذه الحملة، التي فيما بعد أجمع على محاربتها أكثر اللبنانيين رغم ما أظهره بعض المؤرخين من أدوار ايجابية لحملة إبراهيم باشا. وها هو سلمان الحرفوش الزائر يطارد آخر جنود إبراهيم باشا. كان واقعًا يتلظى بالمشاكل ويعاني من عدم الاستقرار وحالة من القلق يواجهها أبناء جبل عامل. لقد عاثت الجيوش الجرارة بالناس قتلًا وترهيبًا وتهجيرًا، وكان من أولوية أهداف أي حملة هو التغيير الديمغرافي وفرز الناس على أساس طائفي، وتشكيل أحزمة دفاعية بشرية لحماية السلطنة. ولكن

يبقى للشجاعة والريادة موطئ قدم مهما كانت تداعيات الحدث وأهواله، ويبقى الموقف الحر والشجاع ذا مدلول يؤثر في مواجهة التحدي وذات أهمية مطلوبة، لأنه يبعث في نفوس الرعية الأمان والطمأنينة. والشخصية القيادية،مصدر مهم من مصادرالعزة والكرامة اللتين يرخص لها الغالي والنفيس. ففي عام ١٨٣١م على ما ذكر في تاريخ الشهابيين بأن ابراهيم باشا بعد حصار دام لأكثر من ثلاثة أشهر لمدينة عكا، استولى عليها وانتصر على واليها، لخلاف بين محمد علي باشا والد إبراهيم باشا ووالي عكا عبدالله باشا، وخلال مرور إبراهيم باشا في مناطق الجوار اصطحب معه أمراء حاصبيا وراشيا وعساكرهم الذين ساندوه خلال معاركه(١).

من هم آل حرفوش(*)

مع قرب نهاية العهد المملوكي (١٢٥٩ـ ١٥١٦) لبلاد الشام في أواخر القرن الخامس عشر، برزت عشيرة الحرافشة على المسرح السياسي في منطقة بعلبك والجوار، وقد دام حكم هذه العشيرة اللبنانية لأكثر من ثلاثمائة وخمسين عامًا ١٤٩٧ـ ١٨٦٥م. توالى على الحكم خلال هذه المدة أكثر من ثلاثين أميرًا وقد لعبت دورًا بارزًا، وكان لها اليد الطولى في التأثير على كثير من الأحداث المهمة، وذات البعد الأستراتيجي، فقد تجاوز هذا التأثير جغرافيًّا لبنان ليصل إلى دول الجوار كسوريا وفلسطين. تشير الوقائع التاريخية بأن عشيرة الحرافشة كانت كغيرها من العشائر التي انتقلت من الجرود الشرقية لجبل الشيخ واستقرت في بعلبك.لقد تميز الحرافشة كمحاربين أشداء متمرسين على القتال تحت أصعب وأقسى الظروف، وكان مجرد سماع اسمهم كافٍ لإدخال الرعب في قلوب أخصامهم. هذا ويعود أصل الحرافشة إلى حرفوش الخزاعي جد هذه العائلة الذي ينتسب إلى القحطانيين، وقد قدموا مع عمر بن الخطاب إلى بعلبك. مرت علاقات الحرافشة بالعثمانيين بين مد وجزر حينًا وتلاقٍ وفراق حينًا آخر، وفي بعض الأحيان يتصافحان مصافحة الند للند.حتى أن العثمانيين كانوا ينظرون إليهم على أنهم شر لا بد منه،حتى أن علاقاتهم بالقوى والزعامات المحلية لا تختلف عن علاقاتهم بالعثمانيين، وخاصة أيام فخر الدين المعني الحليف العنيد لهم، حيث لا تختلف علاقاتهم به عن سابقتها مع العثمانيين، رغم المصاهرة بين الحرافشة والأمير فخر الدين

(١) "تاريخ الأمراء الشهابيين"، من صفحة٢٠١ إلى ٢٠٣، إشراف د.سليم حسن هشي، دار لحد، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٤م.

(*) ما أوردناه من تاريخ وأحداث عن الحرافشة، كان ملخّص ما ذكر من صفحة ٢٤٨ إلى صفحة ٣٨٤، من تاريخ الشيعة في لبنان، لسعدون حمادة، دار الخيال، ٢٠٠٨م.

ي سنة ١٦١٧م عقَدَ الأمير علي ابن الأمير فخر الدين المعني عقْد ابنته فاخرة على الأمير أحمد ن يونس الحرفوش[(١)]، كانت المصالح تلعب دورًا رئيسيًّا في نسج التحالفات، كانا في حالات ناسمان العائدات المالية وفي أخرى يتنافسان على احتكار الإقطاعيات في عملية أشبه بعطاءات دمانها للدولة العثمانية. (هذا حال اللبنانيين جميعًا إلى يومنا هذا من دولة العائلات إلى دولة طوائف). لقد مد الحرافشة نفوذهم إلى الجنوب اللبناني، حتى إن أحد أمرائهم بنى له بيتًا في منطقة نغرة، وتواصلوا مع قيادات وزعامات جبل عامل خاصة أيام الأمير يونس الحرفوش(١٦٠٨-١٦٢ م). مع بداية القرن السابع عشر الميلادي أصبح الحرافشة مكانا آمنًا وملاذًا سالمًا لأهل جبل مل للنجاة من حراب الغزاة، خاصة أيام أحمد باشا الجزار (١٧٣٤-١٨٠٤)م. لم تسلم بعلبك من دمير فطالت الحرائق القسم الأكبر من بيوتها على يد حليفهم فخر الدين المعني(١٥٩٠-١٦٣٥) الذي مكث فيها سبعة عشر شهرًا ليغادرها سنة ١٦٢٣م، وكان خراب بعلبك واجتياحها د في عرف العثمانيين انقلابًا في موازين القوى العسكرية وتهديدًا لها من اتساع نفوذ أي قوة على احة سيطرتها مما يعتبر مسًّا بهيبتها، فكان نصر المعني سببًا لشن حربٍ عليه من قبل العثمانيين ين ألقوا القبض عليه وهو مختبئ في أحد الكهوف، فساقته إلى الآستانة وحكمت عليه بالموت ١٦٣٥م. عندما كان العثمانيون يعجزون عن النيل من الحرافشة كانوا يلجأون إلى إثارة الفتنة لدسائس وتحريض الحرافشة بعضهم ضد بعض، حتى كان الصدام يقع بين الإخوة في البيت احد (الخلاف سنة كونية) وقد برز منهم الأمير جهجاه (١٧٨٧ـ١٨١٧)م الذي أعاد حكم ه وأجداده من يد العثمانيين وذلك بمساعدة من رجال عشيرته في جنوب العراق بعد أن وفروا لمال والسلاح. بعد أن استطاع أحمد الجزار وبمساعدة والي الشام من القضاء على الأمراء الحرافشة هل بيته وعائلته، جعلت الاعتقاد يسود لفترة أن ذلك كان نهاية هذه العائلة إلا أن الأمير الشاب جاه بن مصطفى الذي قتل والده قد أعاد الحكم إلى سابق عهده.

وأنشد يقول وهو من القولين في ذلك العصر[(٢)]:

ليلة بعلبك شفت فعلي	ونهرات كنهرات السباعِ
ت الروح عالناموس خليف	دعيت لشاشهم من فوق قاعِ
دي رمح من بغداد جبته	وساقي بحربته سم الأفاعي

(١) "تاريخ بعلبك"، لميخائيل موسى ألوف، الطبعة الثالثة، صفحة ٦٩، المطبعة الأدبية ١٩٠٨م.
(٢) المرجع "تاريخ بعلبك"، لميخائل ألوف، ص ٨٢ ، طبع في بيروت، المطبعة الأدبية سنة ١٩٠٤م.

أنـــا قـاصــدك يـــا ربـي واهــي | بجــاه البيـــت والـــلي ليــه ســاعــي
بـجــاه المصطفــى خيــر البرايـــا | تـقبـــل يـــا إلـهــي لاختضاعــي
وتـعـطـنـــي بـمـشـــواري عـليهــم | سيفـــًا مـجـــردا عــا طـــول بـاعي
لنأخذ حقنـــا ويـــا الـطـلايـــب | ونـدعـــي كـــل واعـــي وداعـــي

وهكذا استمر حكم الحرافشة وكان آخر أمرائهم الأمير سـلـمـان الحرفوش (الذي خصّ الحاج حسن بن محمد آل عبدالله بزيارة سنة ١٨٤٠م أثناء ملاحقته لفلول جيش إبراهيم باشا المنهزم).

سياسة الحرافشة تجاه إبراهيم باشا: رفض الحرافشة التعاون مع الغازي الجديد إبراهيم باشا ١٧٨٩ـ١٨٤٨م. وجيشه،بعد أن استطاع محمد علي أن يبني جيشًا قويًّا ودولة ذات دعائم قوية في مصر، لم تعد تتسع لمخيلته الطامحة فتطلع لمد نفوذه متحديًّا الإمبراطورية العثمانية في مرحلة ضعف سلاطينها فغزا بلاد الشام واستولى عليها بين عامي ١٨٣٢ـ١٨٣٣م، جاعلًا من ولده إبراهيم باشا قائدا لهذه الجيوش الغازية. كان للقوى المحلية رأي آخر بجيش إبراهيم باشا فأعلنت غالبيتها عدم التعاون معه ومواجهته بالرفض. كما حصل في جبل عامل وانطلاق ثورة حمد بك الأسعد وللموقف الشجاع للحاج حسن عبدالله.

وعلى سيرة الحرافشة مع سلام الراسي:

يقول الراسي: قبل نهاية القرن السادس عشر قدم إلى قرية إبل السقي جدّنا (صعب الخوري صعب)، الملقب بصعب الراسي نسبة إلى بلدة رأس بعلبك التي قدم منها، هاربًا من وجه الأمراء الحرافشة لسبب ما. ونحن الآن لا نعرف من حسب ونسب جدنا هذا غير أنه أول من أنشأ معصرة لصناعة الدبس في إبل السقي وأن أحد أحفاده من شعراء القرن الماضي قال فيه:

إنّـــا عبيـــد الله نجـــري حسبمـــا | يقضـــي علينـــا الحـــقُّ بيـــن النـاسِ
أضحـــى كنبراسِ الـهُـــدى تاريخنـــا | حيـن اكتسـى فخـــرًا بصعـــب الراسـي

وصعب هذا ولد عبدالله الذي نعرف أنه صار خوري رعية للطائفة الأرثوذكسية في إبل السقي، واحتكرت ذريته من بعده كار صناعة الدبس وكار الخورنة حتى مطلع القرن العشرين[١].

(١) "من كل وادي عصا"، سلام الراسي، نوفل ١٩٩٩م، بيروت ـ لبنان.

محمد ويوحنا أولاد عم :

يتابع الراسي في أحد كتبه فيقول: عاش في قريتي إبل السقي ، في الأربعينات والخمسينات كاهن جليل نبيل هو الخوري يوحنا الحرفوش الذي نعمت قريتنا في ظلّه بعهد من التصافي والتآخي والتعايش المشترك بين أبناء القرية من جميع الطوائف. زرته يومًا فوجدت عنده رجلًاغريبًا،قال الخوري هذا ابن عمي الأمير محمد الحرفوش، والأمير محمد الحرفوش أمير شيعي من بعلبك جاء يتفقد ابن عمه الخوري يوحنا الحرفوش في إبل السقي، وكان الخوري يوحنا قد لجأ إلى حمى أبناء عمّه الأمراء الشيعة في بلاد بعلبك سنة ١٩٢٥م حين شعر بالخطر على حياته بعد اختلال الأمن في المنطقة حين كان يخدم في كنيسة حاصبيا،حيث استقبلوه استقبالًا حافلًا وهو ما زال يحفظ بيتًا من العتابا ارتجله أحد الحرافشة يومئذٍ:

أبونـــــا كِلِّنـــا الخـــوري يوحنـــا	زاد اليـــوم بقـــدومــو فرحنـــــا
إذا شـــي ضيـــم بيمسُّـو، ذبحنـــــا	ذبحنـــا بصـــايتـــــو غـلاظ الرقـــاب

على سيرة الحرافشة مع الشيخ عبد الكريم صادق :

كان الشيخ عبد الكريم صادق إمامًا في بلدة الخيام وكان شاعرًا أصيلًا ولا عجب، فآل صادق هم من أسياد العلم والفقه والأدب. وحدث يومًا، وفي حضور الشيخ عبد الكريم صادق في إحدى المناسبات أن كان الخوري (الأرشمندريت) يوحنا الحرفوش أحد المتكلمين فأجاد، ولا سيما أنَّه كان يُعزّز كلامه أحيانًا بآية كريمة أو بقول حكيم أو بأبيات من الشعر حسب المقام، فسأل الشيخ عبدالكريم عَمَّن تُراه يكون هذا الخوري العريق الواسع العلم والمعرفة!

فقيل له: هذا هو الأمير الخوري يوحنا الحرفوش، سليل الأمراء الحرافشة الذي تنصّر أجداده قديماً ، وصار الآن كاهنًا، وما زالت دماء الكرامة تجري في عروقه.

فقال الشيخ عبد الكريم صادق مرتجلًا:

يا سيِّـدًا لِبَنـــي الحـرفـــوش ينتسب	وكـاهنـــًا وَرِعـــًا هــــذا هـــو العـجبُ
وشــاعـرًا حسبُك الإســلامُ والـعــربُ	إرثًـــا ومــا نظمـــوا شعـرًا ومــا خطبــوا
كُنْ مَـن تشــاءُ أمـيــرًا كاهنـــًا عَلَمـــًا	تـكـــن أخـــي فــالـهـدى أمٌّ لـنـــا وأبُ

ونُقلت أبيات الشيخ عبد الكريم صادق(*) إلى الخوري يوحنا الحرفوش فقال معلقًا[١].

بُلِّغتُ ما قُلتَ عنِّي إنّه الأدبُ ... بيني وبينك يا خير الورى، نسبُ
آخيتني حَبَّذا هذا الإخاءُ وقد ... أوليتني حسبًا يا حَبَّذا الحسبُ
ذكَّرتني بجدودي إنَّهم نُجُبٌ ... بمثلهم نافح الإسلامُ والعربُ

أسباب هجرة المسيحيين، الحكاية والهجرة وموقف الحاج حسن عبدالله منها

تقول الحكاية إن حوادث الستين كما درجت تسميتها بدأت في آب/ أغسطس ١٨٥٩م في بيت مري، إحدى قرى المناطق المختلطة، وانتشرت منها إلى المتن حيث وقع عدد من الاغتيالات والمجابهات المسلحة المحدودة. مر شتاء وربيع ١٨٥٩ بدون حوادث تذكر، بسبب صمود (هدنة الحرير) وفي آواخر أيار / مايو ١٨٦٠م استؤنف القتال بهجوم درزي في المتن ثم تواجهت القرى والبلدات المسيحية والدرزية المتجاورة في الشوف والأقاليم.استمر القتال لشهرين،من نهاية أيار/ مايو إلى نهاية تموز/ يوليو. كانت جزين أول بلدة مسيحية تسقط ولكن بعد أن شن فصيل مسلح من أبنائها هجومًا على عدد من المزارع التابعة للدروز في منطقة نيحا.حوصرت دير القمر مطلع حزيران / يونيو، وفاوضت محاصريها لنحو ثلاثة أسابيع قبل أن تستسلم. إلاأنها هوجمت ونهبت وأحرقت وارتكبت فيها مجزرة. تزعم رواية درزية أن سكان دير القمر كانوا لا يزالون يملكون أربعة آلاف قطعة سلاح عندما احتلّت البلدة، ما يفسر أعمال القتل فيها، فيما تقول المصادر المسيحية أن السلطات العثمانية نزعت سلاح الأهالي الذين سلموا سلاحهم طوعًا، لقاء وعود بحماية تلك السلطات العثمانية التي جمّعتهم في سراي البلدة حيث شُنّ الهجوم عليهم. مهما يكن، نجم عن احتلال دير القمر مجزرة أودت بحياة مابين ٩٠٠ و٢٠٠٠من مسيحييها. أما الذين فروا من جزين ودير القمر وأسعفهم الحظ فلم يكتشفهم الخيالة الدروز الذين يصطادون المسيحيين على الطرقات، فتجمعوا في صيدا التي وقفت على الحياد بين الفريقين المتقاتلين. ولجأ العديد منهم إلى قرى المسلمين الشيعة واحتمى بالزعماء الشيعة في الزهراني والنبطية وجباع[٢].

(*) من مواليد بلدة الخيام ١٨٨٦ ـ ١٩٧٢.
(١) سلام الراسي، "العمر الذائب"، صفحة ٥٢، مكتبة نوفل ١٩٩٨م.
(٢) "تاريخ لبنان الحديث"، لفواز طرابلسي، صفحة ٦٠.

موقف الحاج حسن عبدالله من فتنة ١٨٦٠م :

لم تتوقف نار الفتنة والقتال بل امتدت إلى مناطق أخرى، فقد شملت أماكن تواجد الفريقين. وانتقل القتال إلى جوار الخيام إلى مناطق وادي التيم، ففي كتاب "تاريخ حاصبيا" كثير من التفاصيل عن فتنة ١٨٦٠م. بدأ القتل والقتل المضاد بين المسيحيين والدروز في مناطق مختلفة من جغرافيا وادي التيم، فكان أهل الخير من الفريقين من يسعى لوأد الفتنة وإصلاح ذات البين، إلا أن الفتنة كانت أقوى من سعاة الخير، فاشتد القتال بين الطرفين وأعداد القتلى تتزايد. وانجلى غبار المعركة ليتضح أن أعداد القتلى أكثر من ستمائة قتيل[١]، ورغم مايملك الحاج حسن عبدالله من علاقات قوية مع الشهابيين في حاصبيا إلا أن ليل الفتنة الحالك كان أقوى من نور الخيّرين.ولكن لم يبقَ مكتوف اليدين وهو صاحب المبادرات والناصر والداعم والمساند إلى كل ما هو نافع وصالح وذو فائدة يعم خيره الجميع .وجاء في مسند شجرة آل عبدالله: وقد أجار الحاج حسن آل عبدالله وأغاث نصارى حاصبيا والجوار حلفاء الأميرسعيد الشهابي، وأسكنهم في الناحية الشمالية من بلدة الخيام، عندما فر هؤلاء من وادي التيم مذعورين خائفين إثر المذابح الرهيبة التي تعرضوا لها أثناء الحرب اللبنانية الأهلية الأولى (١٨٥٨م - ١٨٦٠ م). وقد تسببت لاحقًا إجارتهم هذه، في مشاكل عديدة بين عائلة آل عبدالله وجيرانهم من الموحدين الدروز من سكان وادي التيم، استمرت تداعياتها إلى مطلع القرن الماضي. ولاسيما أثناء ما حصل في الحادثة التي عرفت في المراجع التاريخية لجبل عامل باسم حادثة الخيام في سنة ١٨٩٤ م، حيث كان لأسرة آل عبدالله المرجعية الروحية في إدارة الأمور أثناء تلك الحادثة، من خلال أبناء الحاج حسن عبدالله الأكارم، وبالأخص الحاج محمد أفندي آل عبدالله والحاج إبراهيم آلعبدالله[٢]. هذا وسوف يكون لنا وقفة مع حادثة الخيام في معرض حديثنا عن الحاج محمد أفندي.

الحاج حسن عبدالله رجل دين ودنيا :

لقد كان الحاج حسن عبدالله معروفًا بورعه وتقواه وحبه وتقديره لرجال الدين في عصره، إلى جانب مركزه السياسي والاجتماعي. وكانت داره في الخيام مشرّعة الأبواب للعلماء والشعراء كما للوجهاء والملاكين والفلاحين وأصحاب الحاجات من جميع الطوائف والفئات. لقد بنى

(١) "تاريخ حاصبيا"، صفحة ١٠٣، الأستاذ غالب سليقة.
(٢) مستند شجرة آل عبدالله، للحاج الدكتور أحمد مالك آل عبدالله.

جامع الخيام الكبير وأدى فريضة الحج، إلى مكة المكرمة في أواسط القرن التاسع عشر، وزار مقام النبي الكريم والرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة المنورة، ثم العتبات المقدسة في العراق حيث التقى في النجف الأشرف بالعلامة الشيخ إبراهيم صادق واصطحبه مع عائلته إلى الخيام وأكرمه وأنزله في داره[١]. وقد جاء في المستند: وقد قام الحاج حسن آل عبدالله في عام ١٨٦٠م بأداء مناسك الحج في الديارالحجازية المقدسة ومن ثم عرج في طريق عودته على العتبات المقدّسة في العراق وبلاد خراسان. ويُروى أن رحلته المقدسة تلك استمرت ثلاث سنوات حتى أن أحد أبنائه (المغفور له بإذن الله تعالى الحاج حسين) قد ولد في تلك الرحلة المجيدة. وكان قد شرع الحاج حسن آل عبدالله في بناء مسجد الخيام الجامع الكبير حيث فرغ منه في سنة (١٨٦٨ م)، وأوقف له الأوقاف الجزيلة،حيث يعد مسجد الخيام من أحد أكبر مساجد جبل عامل حسب ما ذكره العلامة المرجع السيد محسن الأمين (قدس الله سره الشريف) في خططه، حيث يصفه بأنه الوحيد الذي كان مبنيًّا بالقرميد[٢]. استطاع الحاج حسن عبدالله أن يجمع بين هاتين الهِبَتَين ونقول هبتين لأن فيهما من النعم ما لا يحصى ولا يعد ،نعمة الأخلاق وحسن الكلام وحسن التدبر وحسن التفقه، ولم يعرف أحد عنه إلا الجد والاجتهاد، ومن خلال ما استطعنا جمعه من أحداث ومواقف عن سيرة هذا الرجل العظيم تنبينا الكثير الكثير ،حيث لم تقم ثورة في جبل عامل وغيره إلا وجمع الناس من حوله وأوكل إليهم المهام. ويروى بأن الشباب من حوله كانت دماؤهم تفور بالحماس، فإذا تخاصم القوم من حوله فلا يهدأ له بال ولا تغمض له عين إلا بإفشاء الصلح وتقريب القلوب حتى يؤلف بينها، وما سأله سائل إلا وأخذ مراده وحاجته وخرج من داره مسرورًا. وعندما ألغت السلطنة العثمانية النظام الإقطاعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وألحقت أقضية جبل عامل بولاية بيروت، فقد تم تعيين الحاج حسن آل عبدالله رحمه الله مندوبًا لجبل عامل في المجلس التمثيلي لولاية بيروت، عضوًا لمجلس إدارة الولاية ١٨. ومما جاء في نشرة الدردارة أنه صاحب مكانة رفيعة، رأيه نافذ وقوله الفصل في شؤون وقضايا الخيام والمنطقة، لدى الحكومة المحلية في مرجعيون وحكام جبل عامل من آل علي الصغير، وحكام وادي التيم من الأمراء الشهابيين. لقد كانت زيارة الحاج حسن عبدالله لسراي الحكومة في مرجعيون ولسراي

(١) "نشرة الدردارة"، نشرة داخلية، تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي، الصفحة الأولى، العدد ٢، السنة الثانية، حزيران ١٩٩٥م.

(٢) مستند شجرة آل عبدالله، الحاج أحمد مالك عبدالله، مصدر سابق.

الشهابيين في حاصبيا ولسراي آل علي الصغير في قلعة تبنين موعدًا قيّمًا لمعالجة قضايا الناس وحلّ مشاكلهم، نظرًا للعلاقات الوثيقة التي كانت تربطه بالأمير سعيد الشهابي كبير الأمراء الشهابيين في حاصبيا ووادي التيم، وبالزعيم الكبير علي بك الأسعد حاكم جبل عامل، ثم بخليفته الزعيم الكبير خليل بك الأسعد، الذي اشتهر بكرم الأخلاق وسعة الصدر والاهتمام بشؤون جبل عامل الإجتماعية والثقافية، حيث كان افتتاح المسجد في الخيام عام ١٨٦٨ م.حدث بارز ومهم على صعيد المنطقة في حينه كان من أكبر المساجد في جبل عامل ولا يضاهيه آخر حيث كان سقفه مبني بالقرميد، ويتسع لكثير من المصلين، توافد إلى الخيام إلى جانب الحشد العلمائي من آل فضل الله وآل الفقيه وفد من آل فرحات وبزي وغيرهم من وجهاء المنطقة وأعيانها، ووفد كبير مثل خليل بك الأسعد وبهذه المناسبة ألقى الحاج حسن خطبة نالت إعجاب الجميع... هذا ما سمعناه بالتواتر ولكن لا نعلم ما جاء بالخطبة إلا أنها اختتمت بأبيات من الشعر، قيل بأن المرحوم سليمان داوود كان يحفظ أبياتًا منها، إلا أنهم جميعًا مضوا إلى جوار ربهم، رحمهم الله ورحم الله أمواتنا جميعًا.

الحركة الدينية في بلدة الخيام من الجد إلى الحفيد :

هكذا أرسى الحاج حسن أفندي عبدالله – قدس سره – مبادىء قيمة في المجتمع الخيامي وغيره من المجتمعات الجنوبية، إذ أسس مجتمعًا قائمًا على التقوى إذ بنى مسجدًا عامًّا في بلدة الخيام كما ذكرنا سابقًا، من خلاله تم نشر الدعوة المحمدية الأصيلة والتي قامت تعاليمهاعلى المحبة والمؤاخاة بين الناس، إذ بهذا التآخي استطاع أن يؤسّس مجتمعًا لَبِناته قوية متينة متراصّة، مجتمعاً فيه تكون الأسرة قوية نقية نظيفة متراحمة، مجتمعًا يستطيع أن يضطلع بأدوار ويكون عصيًّا على الأعداء، فإذا صلح هذا المكون الاجتماعي بهذه الحاضنة المتحفزة للصلاح والفلاح في أجواء مناسبة فإنه ينشأ لديه القابلية للمساهمة بفعالية في الحياة، وتحقيق الأهداف النبيلة التي هي جزء من تعاليم الإسلام، عزز المرحوم الحاج حسن عبدالله هذا العمل بأن جعل للبلدة وللمنطقة مرجعية دينية متمثلة في العالم الكبيرالشيخ إبراهيم صادق، المتوفى سنة ١٨٦٧، والد العلامة المرحوم المرجع الشيخ عبدالحسين صادق، توفي سنة ١٩٤٨م. الذي تابع رسالة والده وأضحى ليس مرجعًا للخيام فحسب بل لجميع أبناء جبل عامل في أواخر القرن التاسع عشر، والبدايات الأولى للقرن العشرين. بظل هذه المرجعية وما تلاها من مرجعيات وعلماء أضحى للخيام شأنٌ وموقعٌ خاصٌ وبارزٌ ومتميزٌ، إن كان في قرونها السابقة التي كانت من أصعب القرون على الطائفة إذ عمد أكثر

ولاة العثمانيين على منع إقامة أي شعائر دينية، إلا أن إصرار الحاج حسن عبدالله بحضوره استطاع إقامتها رغمًا عنهم، واستمرت هذه المرجعيات وقد تجلت ببروز مرجعية إفتاء كبيرة تمثلت بالعلامة المفتي الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله المتوفي سنة١٩٦١م. وولده المفتي الحاج حسين عبدالله وكذلك العلامة الشيخ عبدالكريم صادق المتوفى سنة ١٩٧٢م. الذي مثل مرجعية مهمة لبلدة الخيام والجوار، ويتابع هذه المسيرة الطاهرة بعلماء أطهار كفضيلة المفتي المجاهد الشيخ عبدالحسين عبدالله أطال الله في عمره، والذي مثل ومازال يمثل أهم ركيزة وطنية وإسلامية جامعة، إلى جانب سعة علمه وسعة اطلاعه و طول باعه في العلوم الإسلامية، إلى جانب تحركاته و نشاطاته في الجانب الاجتماعي برز في شتى ميادين الحياة: العلمية والفكرية، والعقدية والاجتماعية، والسياسية فهو إمام وخطيب مسجد الخيام المركزي إلى جانب كوكبة من العلماء الأفاضل - أطال الله في أعمارهم - أمثال الشيخ المجاهد عبدالله ابن الحاج عباس ابن الحاج خليل عبدالله وولديه صاحبي الفضيلة العالمين الجليلين الشيخ محمد والشيخ حسين.

الحاج حسن عبدالله يُحْيي النَّاقة!!!

والشيخ عبد الكريم صادق يسقط طائرة تركية يقودها صادق!!!

حدثان يختلفان في مكانهما وزمانهما تجلت فيهما إرهاصات عرفانية، فعكسا صورتين روحانيتين كأنهما جريا مجرى الكرامات في حضرة وليين من أولياء الله الصالحين.أمام فسيفساء من العطاء الرباني فيها من النقاءوالصفاء وجمال السريرة، مكافأة العُمل الصالح في لحظة سمو الروح خاشعة في محراب التعبد و مناجاة الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

في رحاب الحدثين على يد الشيخين

الحاج حسن عبدالله: الصبر مفتاح الفرج

كانت تنتشر حركة تجارة فردية بدائية متخلّفة عن غيرها من التجارة داخل بعض الجغرافيا اللبنانية، وذلك لبعدها عن موانئ التصدير وحركة التجارة الدولية. كانت هذه التجارة تجري بين البلدات المجاورة للخيام، يجوب الباعة القرى يعرضون ما لديهم من سلع وينشطون بتبادلها حسب الخبرة والقيمة لكل سلعة. وهذا النوع كان رائجًا وأكثر هذه التجارة كانت بين بلدات الجولان والحولة وقرى شمال فلسطين وصولًا في بعض الأحيان إلى موانئ حيفا، وكانت الخيام كغيرها من القرى يأتي الباعة إليها من كل حدب وصوب.

يذكر بأن آمرأة وبعلها وطفليهما تخلفا عن لقاء أقرانهم ورفقاء دربهم، في المكان والزمان حددين للانطلاق والعودة إلى مناطق الجولان، يأتون جماعات ويذهبون أشبه بالقافلة خوفًا من اع الطرق واللصوص، الذين كانوا يغيرون على القوافل. كان هذان الزوجان يملكان ناقة لحمل ضاعة والسلع التي يعرضونها للبيع من خلال تجوالهما بين القرى. إلا أن ناقتهما ناخت وبركت في كانها وتدلت رقبتها عن جسمها فالتصقت بالأرض، والزبد يخرج من فمها وتصدر شقشقة كأنه ع الموت الأخير. ولولت صاحبة الناقة وأجهشت بالبكاء وكان بكاؤها مرًّا وتعالى نواحها كما لو ها فقدت طفلها الذي تحتضنه، وعلامات الذعر والخوف ترتسم على وجه صغيرها الذي يحاول أن اري براءته بشال لف فيه، ارتعب مما يراه حوله من الناس، فمنهم من يعطي رأيه وآخران يتناقشان معرفتهما وخبرتهما وعلمهما بهكذا فعل، وآخر يدلي بدلوه وهكذا...وزوجها إلى جانبها كان جالسًا لى الأرض واضعًا يديه تحت ذقنه ينتظر فرجًا دون أن يحرك ساكنًا، وكأن التعب والإعياء نالا منه، حتى اعتكف دون أن يُفقه له قولٌ أو ينبس ببنت شفة. الشمس تجر خلفها ضوء ذاك اليوم بخفة، غابت في أحشاء الكون الواسع وحلَّ الظلام الدامس، وأذنا لجنود خفافيشه بأن تخرج من بين شقوق حجارة المنازل العتيقة، يسمع صرير أسنانها وهي تلتقط حبات شجرة الزنزلخت[(١)] وترمي فضلات طعامها تطير ذهابًا وإيابًا... ألقت المرأة باللوم على صويحباتها ورمتهن بكلام ثقيل: قبحهن لله على فعلتهن لقد غادرن دون أن يلتفتن، وها نحن مثقلان بأغلال الهم وسلاسل الغم. تركتهم لك القافلة وسارت بين الهضاب إلى مستقرها، حيث أنزلت متاعها وفرزت بضاعتها وتقاسمت غلتها بين ربح هنا وخسارة هناك. الجميع يحمدالله على العودة بالسلامة ومنهم مَن يردد عبارة: العوض على الله سبحانه، حتى لو نالوا من الربح قليلًا. كان الحشد يخف شيئًا فشيئًا وولولات المرأة أسكتتها حشرجة واختفى الصوت حتى بحت من كثرة الصراخ. يتراءى للواقف بين ما تبقى من الجموع نور قنديل الزيت القادم من الناحية الجنوبية، يختفي الضوء تارة وأخرى يتلألأ ينير أزقة الخيام الناعسة ويشق ظلمتها الساكنة. يا ترى من يكون صاحب ذلك الموكب؟ نعم إنه شيخنا وكبيرنا وعالمنا الحاج حسن عبدالله ومعه من أولاده وإخوته وضيوفه. اعتاد الحي أن يرى يوميًّا هذا المنظر كعادته عائدًا من ساعات اعتكافه وصلاته في جامع الخيام العام. النسوة ينظرن إليه خلسة من وراء حجب من القماش تدلت خلف نوافذ تجثو فوقها أعتاب الحجارة القديمة، يتساءل الناظر اليها كم من العزم وأيادي رجال تتطلب لرفعها ووضعها وصفها بشكل هندسي؟ اقترب القادمون ليروا

(١) شجرة برية متساقطة، أوراقها كبيرة سريعة النمو، تزرع في الحدائق والميادين لتوفير الظل.

هذا المنظر: إنها أسرة افترشت الأرض والتحفت السماء، اقترب الحاج حسن ليطيب خاطرهما، وأعادت المرأة على مسامع من حولها ما تردده منذ وقت، وقال بصوته الجهوري: إن ناقتك سوف تعود لك، وهي ليست بميتة وسوف لن تموت إن شاء الله فلا تيأسي من رحمة الله، فاصبري فالصبر مفتاح الفرج. فكّرت هذه المرأة مليًا وانتعشت كأن تجويف كف ملىء بحفنة من ماء الزهر رش فوق وجهها الشاحب. تغير المشهد بالنسبة لها مع تغير الوجوه، وودّت لو أنها التقت بهذا الشيخ الجليل قبل أن تصرع قلبها الهموم وتنيخ من عزيمتها الخطوب وتبتلع جسدها وساوس الشيطان، لكانت طوت صفحة يومها مبكرًا. أوعز الحاج حسن إلى ابن أخيه الحاج أسعد ابن الحاج حسين بأن يصطحب المرأة وزوجها وولدهما، على أن يبيتوا جميعًا في دارة أخيه الحاج حسين ابن الأمير محمد ابن الامير عبدالله، حيث لم يمض أسبوع على ولادة علي ابن الحاج أسعد. وبعد أخذ وعطاء استجابت المرأة لهم ورضيت أن تترك ناقتها، فأحسنوا ضيافتهم وأكرموا مثواهم وقدموا لهم كل ما يلزم. انبهر الرجل والمرأة من حسن الضيافة، لم يصدقا نفسيهما مما وجداه من رحابة استقبال قل نظيره. كانت المرأة تنتظر ساعات الصباح، وفي الصباح رباحْ تفتحت عيون الفجر واعتلى بياضه قِمة ظلمته وصياح الدِيكَة يودع تلافيف الظلام، وإذا بها يوقظها الفجر تتسلل دون أن تزعج أهل الدار تبحث عن باب يقودها إلى صحن الدار، وإذا بولد يلهو في الخارج يتقلد سيفًا مصنوعًا من خشب، أطرافه الطرية تمكنت منه فأخذ يدافع عن نفسه وكأن خصمًا أمامه يبارزه، عجبت المرأة لهذا المنظر، اقتربت منه وقد ناهز عمره السنوات الأولى وسألته عن اسمه فنظر إليها نظرة استغراب، متسائلًا: من تكون هذه المرأة؟ فليست من أهل الدار، ولم يَرَها من قبل، فربتت على كتفه فحاول الابتعاد كي يمنعها. وأعادت السؤال عليه ما اسمك أيها الشاب؟ استأمن لها وأجابها: أنا اسمي أمين ووالدي هو صاحب البيت وهذا المنزل لنا وكأنه يقول لها: من أنت؟ فخافت المرأة أن تنزل بولدها عن يدها مخافة من أمين، حيث ما زال يقبض على سيفه الخشبي وهو متوثب للنِّزال وعلامات وجهه تنذر بأنه يبحث عن خصم، فلا تريد هذه المرأة أن يصيب طفلها مكروه ويصبح والناقة حال واحد. تركت أمين الذي لم يقطع نظراته تجاهها مسالمة مبتسمة له. تابع أمين لهوه بالسيف وإذ به يتوارى خلف شجرة توت كأن جذعها عمود روماني، مداعبًا قطة سوداء خرجت من بين كومة قَصَل الذرة التي لم يبلغ اليباس عنق تيلته، ألفت اللّعب معه وراحت تمسح رأسها الكبير بسيفه غير مذعورة منه، تموء بحرقة وتستنجد بأمين الصغير ليأتي لها مثل كل يوم بقليل من الطعام لإطعام صغارها الأربعة، المتوارين خلف كومة قصل الذرة ينظرن خلسة إلى حوار بين

مهم والولد أمين... نفس المرأة صاحبة الناقة شغوفة جدًّا تريد أن ترى ناقتها هل تعافت؟ أم هي في عداد الموتى؟ لم تصدق حين رأتها واقفة شامخة بحيويتها وقوتها، وتوجهت إلى حيث يجلس الحاج حسن وجثت أمامه وقالت له: كيف أحييت الناقة ياسيدي، يا صاحب المهابة وجلال القدر العالي؟ فقال: سبحان الذي يحيي ويميت، فبكت أمامه أشد البكاء. وقال مايبكيك أيتها المرأة فإن ناقتك حية أمامك، ألم تصدقي ما تراه عيناك؟ قالت نعم ياسيدي لكن سأعترف لك بأنني مالقيته من احترام وحسن ضيافة في هذه الدار دفعني لقول الحق والجرأة على الكلام، لأن أهل الكرم هم أصحاب أخلاق وتسامح وعفو وصفح، فاصفح عني ياسيدي. فقال: قولي ماعندك واذهبي إلى أهلك. قالت: بالأمس وسوس الشيطان والنفس أمارة بالسوء وأنا أعرض بضاعتي في الأمس احتلت على أمرأة من الخيام وسلبت بعض مالها، وهي أرملة تطعم أولادها اليتامى حيث أنهم قد فقدوا والدهم منذ صغرهم، وأمهم تسعى طالبة الرزق لعيالـها لتمسك عنهم رمق الجوع.أما أنا همي الحياة الدنيا وجمع المال لا يهم إن كان حلالًا أم حرامًا، بالغش والخديعة والحيلة لايهم، وما حل بي بالأمس أعادني إلى رشدي و بفضلك ياسيدي أعدت لي حياتي، وهذا المال الذي سلبته أرغب بأن أعيده إلى المرأة. فقال: سامحك الله، اذهبي وابحثي عنها وطيبي خاطرها وأعيدي المال إليها ولا تكرري فعلتك هذه، ولكن سوف أعترف لك لتعتبري. حقًّا بأن ناقتك قد ماتت وما هذه الناقة إلا شبه ناقتك، وقد قدمها أخي لكِ لتكون عونا تنفعك وعائلتك في تجارتكم بعد أن رأى ما حل بكِ وبزوجك وطفلك. سكتت سكوت أهل القبور وجثت أمامه وكادت أن تقبل قدميه إلا أنه رفض، وخرجت خروج التائبين من صوامع المؤمنين والزاهدين والعابدين.. فحيَّ على خير العمل: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الشيخ عبدالكريم صادق: يرفعها الله إلى أسفل

جاء في كتاب سليم الراسي: كانت غيوم الحرب العالمية الأولى قد بدأت تتلبد في سماء أوروبا قبيل بداية سنة ١٩١٤م، عندما قررت السلطنة العثمانية الالتحاق بركب المدنية،فاشترت طائرة تتسع لملآحين أطلقت اسم(معاونت مليّة)وكان على العثمانيين أن يُظهروا عظمتهم أمام شعبهم، فأطلقوا طائرتهم في الأجواء وأطلقوا عليها أبواق الإعجاب والثناء.

في ١٥ شباط من تلك السنة وَصَلت إلى بيروت الطائرة العثمانية يقودها اليوزباشي أركان حرب فتحي بك والملازم صادق، وربضت ثلاثة أيام في محلة شوران،حيث كان الوالي التركي يقف مع فتحي وصادق أكثر ساعات النهار، يستقبل المهنئين ويصغي بفخر واعتزاز إلى بعض القصائد والخطب الوطنية. وأقلعت الطائرة (معاونت مليّة) من بيروت باتجاه القدس الشريف في سماء

جبل عامل. قيل إن العامليين أدهشهم هدير الطائرة واستعظموا الأمر واستكبروه، فقال الشيخ عبدالكريم صادق إمام بلدة الخيام، على البديهة:

يا راكبًا متنَ الفضاء انزلِ ما استكبر الإنسان إلاَّ ابتُلِي

مَن شاء من دون الهدى رفعةً يرفعُهُ الله إلى أسفلِ

ولم تكد الطائرة تبتعد قليلًا حتى (رفعها الله إلى أسفل) فسقطت وتحطمت قرب بحيرة طبريا واستشهد ملّاحاها فتحي وصادق ونُقلت جثّتاهما إلى دمشق حيث دفنتا في تكية السلطان سليم(١).

قراءة بلاغية نثرية في رحاب الحدثين :

في سكون الفلسفة عمامة وشيخ صوفي يشكل الإنسان هنا غاية في ذاته وتتناغم الأخلاق مع الحياة الاجتماعية، نفحة ربانية من نفحات الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وإن كرم الله أوسع من أن يدرك. إن طرح المبادرات وإيجاد الحلول التي تتطلع إلى أهداف وغايات نبيلة حقًّا عليها أن تسمو بأبنائها من حال إلى حال ومن طور إلى طور، وفي كل مرحلة يتم صقلهم تبعًا لمعطياتها حتى مرحلة النصح الكامل. وما بين الدعاء المستجاب وبركة الاعتكاف والعفوية الصادقة أعطت بعدًا نورانيًّا و روحانيًّا، يستيقظ العقل التائه في زوايا الزمن الخائف، يصغي لصدى الكلمات العائدة من حمرة الشفق قبل أن يبتلعها سواد الليل الحالك، فترسم على جبين العذابات خيوط أمل وتُغمس رأس قصبتها في أحشاء محاجر العَبَرات الثملة بالحكايات الحافلة بالروايات، القادمة من كهوف الصمت مرتدية أوراق الزيتون، وأفنانها ترشح صمغ اللوز المتدلي ببطء يرسم فوق أديم الأرض خيوطًا فضية.تنهال الآهات المثخنة بأنين عبث الرماح الصقال تجثو على أعتاب الأحلام المتدثرة ببردة الأولياء تستأنس بعطر القداسة. وتمحو الذنوب بالعَبَرات على صفحات المآقي الحمراء. هَلُمِّي أيتها الغوادي ارتدين من الفجر براقع... يا أيها الإنسان قم وأصغِ لآذان الهزار وانثر حبوب قوتك فإنَّ ماء المزن قادم..قادم.

(١) كتاب "القيل والقال والنظر في عقول الرجال"، لسليم الراسي، صفحة ١٦١-١٦٢. وجاء في كتاب "بيروت ذاكرتنا" لفؤاد دباس في شباط/فبراير ١٩١٤م: حط ضابطان من الجيش العثماني ، هما: اليوزباشي الركن فتحي بك، والملازم صادق بك بطائرة "معاونت مليه" (ما معناه بالعربية نصرة الدين) على مصب نهر بيروت، ومن ثم في شوران، جنوبي الحمام العسكري الحالي، وبعد حفلات استقبال رسمية وابتهاجات شعبية واستعراضات دامت ثلاثة ايام، أقلع الطياران باتجاه دمشق ومن ثم القدس، ولكن بسبب عطل في المحرك سقطت الطائرة في منطقة سمخ: (سمخ ـ قرية فلسطينية عند أقصى الشاطىء الجنوبي لبحيرة طبريا)، وقتل ملاّحاها ونقل جثمانها إلى دمشق حيث يرقدان في الجامع الأموي إلى جانب قبر صلاح الدين الأيوبي.

موقعة المخالط بين آل عبدالله وأهل المطلة :

قيل بأن هذه الموقعة حصلت قبل مقتل الحجار بمدة (والشيخ الحجار كان زعيم المطلة التي كانت ملكًا للدروز)، وقيل كذلك بأنها وقعت قبل وفاة الحاج حسن عبدالله بفترة ليست طويلة. وجدنا بأن الشيخ علي الحجار قتل سنة ١٨٩٤م(*) وكانت وفاة الحاج حسن عبدالله ١٩٠٤م. والفترة الغير طويلة قَدَّرناها ببضع سنوات ولمدة قبل وفاة الحجار بقليل من السنوات تكون موقعة المخالط قد حصلت تقريبًا سنة ١٨٨٨م. لماذا؟ لأن قبل وفاة الحاج حسن جاء وفد من قبل الحجار للتوسط وحل الخلاف بين آل عبدالله وأهل المطلة الذين لاناقة لهم إلا أنهم كانوا وسطاء.

أما أسباب الخلاف فتعود إلى أن ولدي الحاج حسن عبدالله إسماعيل والحاج زين ابتاعا أرضًا في منطقة المخالط (**) إلى رجلٍ من حاصبيا من آل بدوي عن طريق قريب له من قرية المطلة، وعندما علم الحاج إبراهيم بأن أخويه ابتاعا الأرض استنكر عليهما هذا العمل وغضب منهما، فحملا ما حصلا عليه من مال وانتبذا به مكانا قصيًّا، ودخل عليهما أخوهما فوجدهما وقد اتخذا الأرض جلوسًا وهما يتقاسمان المال، وقال لهما بصوت عالٍ ارتعدت له فرائصهما، مغضّنًا لهما جبهته: أنّى لكما هذا المال فحاولا إخفاءه، وعندما همَّ ناحيتهما تركا المال وولّيا مدبرين بعد أن رأيا أخاهما وهو بهذه الحالة من الغضب نتيجة فعلتهما، وخرجا من المنزل وملامحهما بل وتصرفهما يعكسان حالة من الغضب والاستياء، طالما الحنق والسخط يرافقهما على ضياع حُلمهما. ما فتئا يفكران كيف ينفسان ما أحقن صدرهما على ضياع ما ملكا من مال لبضعة سويعات؟

فقال إسماعيل لأخيه الزين: ثكلتك أُمك، ألم أقل لك يا أخي أن نحفر خلف دارنا حفرة نواري بها هذا المال، ونقول بأن اللصوص أغاروا علينا وسلبوا ما بحوزتنا من مال، ونكون بعد ذلك من الرابحين؟

فأجابه أخوه الزين: وكيف يطمئن القوم إلى هذا القول لن تجد منهم من يصدق قولك وسوف يجعلون كَلامَك دَبر آذانهم ولن يعْبَأ به أحد، وسوف يقولون إن أخانا لمن الكاذبين، فكيف يصدقون بأن اللصوص سلبوك وأنت بطل الصولات والجولات وقاهر الحومات وصنديد يوم الملمات؟

(*) مقتل الحجار ذكر في كتاب "صفحات من التاريخ"، جديدة مرجعيون، ص ٨٤، هنري أبو عراج.

(**) أرض المخالط المرجح أن تكون بمنطقة المطار المحاذي لمستعمرة المطلة حاليًا، أو ما تعرف بأرض اليهود، بالتأكيد ليست لليهود، ويتقاسم ملكيتها بين الخيام والقليعة وجديدة مرجعيون.

فقال إسماعيل: وددت أن ألقى أسدًا فأنازله كي أُخْرِجَ غيظي وأنفس عن كربي فليس إلى كظمه سبيل، كيف ننبذ من أخينا في العراء ونفترش الغبراء ونلتحف السماء؟ إن أخانا لشيخ كبير وحاشى الله أن نؤذيه ونكون بذلك آثمين.

قال الزين: أرى وجهك يا أخي تعتليه غمامة من الحنق فلا تخف ولا تحزن، إن الله معنا ونخشى عليك فهدّىء من روعك، وكن حليمًا فإننا نحتاج إليك في الملمات وأنت من ضارب أعناق الرجال، وكم من دم أهرقته فوق الرمال وفرّ أمامك صناديد الرجال .

إسماعيل: لا أريد مال قارون ولا وددت أن أعيش سنوات نوح، لكن حياة كريمة ورغد في العيش لقد منّ الله عليّ بالعيال وها هي زوجتي حامل وإن رزقني الله بذكرٍ أسميته عبدالله وإن كانت أنثى فعليك أن تسميها يا أخي.

الزين: هون عليك يا أخي العبرة ليس في كثرة المال بل ببركة هذا المال.

إسماعيل: أراك يا أخي تتكلم بلسان الحكماء، من أين لك هذه الحكمة، ما عهدتك من قبل؟

الزين: ألم تعلم بأن زائرًا من بلاد الشام قد أهدى والدنا كتابًا أحضره من بلاد فارس، تناوب أخونا عليٌّ على القراءة والقوم من حوله يصغون إليه، بين منهمك بالأحاديث الجانبية وآخر يهز رأسه يُمْنَةً ويُسْرة بأجفان ناعسة، وآخر يغطس بالنوم تارة يتدلى رأسه إلى الأمام فيوقظه تدحرج طربوشه عن رأسه، ومنهم مَن يسند رقبته بكتفه فيوقظه صُراخ الفرحين وزعاق المتحمسين بموقف هنا أو هناك، وهو يتحدث عن بطولة عنتر وعشقه لعبلة وآخر يسند مرفقه إلى مسند أو مخدة من قش وأنت في الخارج تنازعك نفسك بذبح الشاة وسلخها.

إسماعيل: والله ذبح الشاة وسلخها ولحمها الطري أحب إلى قلبي و أطيب عندي من كلامك هذا، ويبدو بأن حكايات التاريخ بدأت تجذبك وسيرة العاشقين. من المستحسن يا أخي أن تثقل سمعك عن مثل هذه الحكايات وإلا زعلت زوجتك الحاجة فاطمة ورمت بكلاكيشك خارج المنزل دع عنك هذه الخرافات والترهات يا زين واتبعني. علينا أن نضاعف حصتنا من المحاصيل فتمتعا بذلك إلى حين. فتوجها إلى ناحية مخزن الحبوب الذي يعود للحاج إبراهيم و يشرف عليه ابن أخيهما الحاج سليم ابن الحاج محسن ابن الحاج حسن عبدالله، وأخذا على ما يبدو بالقوة ما يبغيان ولم يستطع الحاج سليم أن يحول بينهما وبين مبتغاهما، وحصل ما حصل وارتفعت الجلبة والضوضاء، وتشابكت الأفواه بالكلمات، فالحاج سليم كان وزيرًا لشؤون التموين لدى الحاج

إبراهيم وكان أميناً جدًّا في عمله وهو اليد اليمنى له، وقال سليم :ماذا فعلتما بي يا عماه؟ ماذا حل بكما؟ لم يمضِ شهر على توزيع الحصص وأخذتما حصتكما كغيركم والله إني أخاف عليكما يومًا عبوس قمطريرًا وغدًا حسابكما عند جدي. فقالا: قل لعمك عندما تراه أن يعيد لنا مال الأرض نعيد لك ما أخذناه، وانصرفا.

ومن ناحية أخرى أوعز الحاج إبراهيم بالبحث عمَّن اشترى الأرض ليرد له المال ويأخذ الأرض منه، إلا أن من اشترى الأرض رفض استلام المال وإعادة الأرض إلى أصحابها، وحمَّل من أتاه رسالة كانت حادة وشديدة اللهجة، بمعنى: ليس لكم شيء هنا ومن يقترب من الأرض سوف ننال منه، بهذه الكلمات أنهى اللقاء فكانت رسالة فحواها التحدي، وفي اليوم التالي حضر إلى المكان الحاج إبراهيم للوقوف على ما يمكن فعله إلا أن عنوان اللقاء كان الصلابة والتحدي في الموقف وقد تجرأ أحدهما قولًا على الحاج إبراهيم ويدعى: صالح، وما إن وصلت أخبار هذا الجدال وأشيع ما تعرض له الحاج إبراهيم حتى بدأ الناس بالتجمع والحشود، وأكثر أولاد الحاج حسن احتشدوا مع بعض أبنائهم والشباب الخيامي منهم شبان من آل عواضة وآل إدريس، عرف منهم: خليل إدريس ومن آل نصار وكان ولده إسماعيل في المقدمة يبث الحماس في الحضور ناشدًا أمامهم:

يـــا إخوتِ يـــــا سبـــاع الرجالِ ويـــن لمنادي على عمامـــــي وعاخـــوالي
بإيــــدي اليـــــوم عصـــا موســـى ميـــن قـــادر يـــوقـــف قـــبـــالـــي

ووصل الحشد لأكثر من سبعين رجلًا يتسلحون بالعصي والطبنجات، ويقال بأن الحشد توجه إلى منطقة المخالط حيث الأرض، ومن ناحية المطلة حشد آخر، ثم ركب الفريقان وطلبوا الميدان ومقام الحرب والطعان:

سلُوا صرْفَ هذَا الدَّهر كمْ شَنَّ غـارةً ففرَّجْتُهـــا والمَـوْتُ فيهـــا مشَمّـــر
بصارم عَــزْم لـوْ ضـرَبْــتُ بحَـــدِّهِ دُجـــى اللّيــل ولّـى وهو بالنَّجْم يَعثُر
دعــوني أجـدُّ السَّعـي في طلب الـعُـلا فـــأُدْرِكَ سُـــؤْلي أو أمُـــوتَ فـأُعـذَرُ

وكان كل من الفريقين يردد الأهازيج الحماسية، وكانت الحشود تقترب من بعضها وكاد أن يلف الساق بالساق ولا تدري بعدها إلى أين المساق، والزند بالزند ويحصل كيوم هند(١) ويلتقي السيف بالسيف ويكثر الحيف. ولم يزالوا على هذا الوضع والجلبة تزداد وتتصاعد حيث كان هناك من الطرفين رجال يعملون على التهدئة، وعدم وصول الحشود إلى نقطة التصادم، فكانوا يصدون

(١) هند بنت عتبة التي بقرت بطن الحمزة بن عبدالمطلب عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

الشباب المتحمسين الداعين إلى التصادم والنزال، وأرسل الشيخ الحجار رسولًا إلى دار الحاج حسن عبدالله لحل الخلاف وإنهاء القضية وإعادة الأرض، ويقال: كان في دارة الحاج حسن عبدالله في الخيام رجل من آل فرنسيس استأذن الحاج حسن ليكون واسطة خير بين الطرفين، واستطاع أن يحل الخلاف وينهي النزاع فعادت الأرض إلى أصحابها. وقيل بأن رجلًا من آل فرنسيس يملك أرضًا في نواحي المطلة اتفق مع آل بدوي على أن يتبادلا الأرض وأعيد المال إلى صاحبه وحل الخلاف: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، الحمد الله والسلام على أهل الحل والعقد[١].

على سيرة آل فرنسيس الشيخ علي والشيخة عليا :

حين جاء الشيخ علي الحجار إلى جديدة مرجعيون سنة١٨٩٤م. ورجعت فرسه عند المساءإلى المطلة من دون فارسها، حينها هب أبناء المطلة للبحث عن زعيمهم فوجدوه مقتولًا ومطروحًا قرب نبع الحمام في سهل مرجعيون، شمال غرب بلدة الخيام فاتهموا أهل الجديدة بقتله وأخذوا يجيشون للهجوم على الجديدة. في ذلك الوقت كانت عليا فرنسيس في قرية القليعة قد شقت طريقها لتصبح من أسياد المواقف في المنطقة وشعرت بأن الجو قد اكفهرَّ بسرعة، وأن ملابسات جريمة مقتل الحجار قد تتطور إلى فتنة طائفية، فانتخبت وفدًا من وجهاء المسيحيين في المنطقة وهبطت إلى بيروت وقصدت رضا بك الصلح أمين سرّ ولاية بيروت،الذي رحّب بعليا فرنسيس وطيّب خاطرها وخواطر صحبها وقال في معرض الكلام : كُرمال عين تكرم مرجعيون (أصبحت هذه الكلمات من الأمثال الشعبية)، وبرّأ رضا بك ساحة المسيحيين من قتل الشيخ علي الحجار ووأد الفتنة[٢]. (وآل فرنسيس كانوا يلقبون بالمشايخ واشتهر منهم الشيخ يوسف فرنسيس ،وهكذا تكون عليا تربعت على المشيخة).

السلام عليك يوم ولدت ويوم رحلت ويوم تبعث حيًّا :

وها هو ذا يفارق الحياة ويختاره الله إلى جواره، عاصر الحاج حسن عبدالله ثلاثة قرون ميلادية حيث كانت ولادته الشريفة سنة١٧٩٠، أي في نهاية القرن الثامن عشر حيث عاش فيه عشر سنوات. أمّا القرن التاسع عشر فعاشه كاملًا بفضل الله تعالى حين مَنَّ على الخيام والجوار وأبقاه الله

(١) الكثير من أهالي منطقة مرجعيون يملكون آلاف الدونمات في مناطق فلسطين.. راجع كتاب "تاريخ حاصبيا"، للأستاذ غالب سليقة، صفحة ١١٣و١١٤.

(٢) كتاب "يا جبل ما يهزك ريح"، لسلام الراسي، صفحة ٥٠.

وأمده بالعمر الطويل ورزقه الصحة والعافية، ليكون عونًا وذخرًا، حيث القرن التاسع عشر كان من أصعب القرون شهد أحداثًا كثيرة، حيث كانت المنطقة بحالة مخاض حيث عاش فيه مئة سنة أما القرن العشرون فعاش فيه مدة ٤ سنوات ونيف توفاه سنة الله ١٩٠٤م. ويكون قد عاصر قرن أجداده وآبائه وقرن أولاده وأحفاده وقرن أحفاد أحفاد أحفاده. توفي عن عمر يناهز ١١٤ عامًا تاركًا أكثر من مئة ابنٍ وحفيدٍ.

وفد الجولان الذي جاء معزيًا بالحاج حسن عبدالله ومبايعًا ولده الحاج محمد :

وكان وفد الجولان من أكبر الوفود كالجيش العرمرم وكانت ندبيته على النحو التالي:

مـن الجـــولان اليـــوم جينـــا	عـــزا بكـــل البـــلادِ
لخيـــام سـقتنـــا مــر الـــردى	وانطـــفـــى جمـــر الـــودادِ
الحـزن فيهـــا اليـــوم بـادي	لابســـًا لـــون الســـوادِ
لا تـقولـــوا الحـــاج وَلّـى	خـلفتـــو أسـبـاع البـــوادِ
خلفتـــو محمـــد أفـنـــدي	فـــارس يـــوم الطـــرادِ

يا أيها الشيخ المعمم طهرًا والمكلل قداسة لم أجرؤ على التحدث إليك صوتك كهدير الموج على وجه الصخور، كم أنا ضعيف عندما أنظر إلى عينيك فقبسٌ ونورٌ وضياءٌ أرى فيهما تلألأ مجد أجدادك منذ فجر التكوين، وجهك يا أبا علي والأربعة عشر من البنين وجه الشمس والكواكب وقرص القمر، دعني أتقمص طيفك طهرك الذي ملأ الفضاء لأكون في رحاب الطاهرين والأقداس المبشرين والأخيار المحبين دعني في رحاب المُلْهِمين فيك نفحات من أسباط النبيين، وعباءتك من لون فجرهم وطعم نسائهم وعطر سيرتهم، تطييت مع الأولين من سبطي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، أعتقني من القساوة والعذاب في حبك يا سيدي، ومد يدك في سكون الليل حتى يرتسم لي قوس قزح وألوان الطيف، كي أعبر إلى ضفتك حيث ضفة الأحرار والأبطال والكرماء والنجباء، كي أرتشف من كأسك الدهاق فتحيا الروح في الجسد الفاني. كم عدوت إليك من السنين في لحظة إلهام ويقظة أحلام هوّن عليّ ياسيدي يا مولاي وامسح بيد الطهر فهذا يتيم: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، وهذا جائع وهذا خائف وهذا فقير وهذا مكلوم، فأنت أبوهم ومعلمهم وملهمهم ومطعمهم بيدك البيضاء، فافتح بابك إلى كل هؤلاء فإنهم يسمعون همس طُهرك من نوافذ البيوت العتيقة وجنباتها الثملة بالحكايات، حكايات

الفرسان والأبطال فوق روابي عامل وأوديته المملوءة سحرًا وآيات نصر، قرأتها في كتابك وعلى جبين الغسق صبر وعرق وجهاد. حيَّ على خير العمل، كم نذرف من الدموع حتى أن نتلمس طيفك وشعاعك القادم من طفح صفحات السماء، إليك ياسيدي شوقًا وحنينًا ورنين أجراس الأفئدة. عوّدتنا أن تقرع، ومآذن تردد: حيَّ على الصلاة بين كفيك خشوع وأنفاس المؤمنين، وفي ركن صومعتك بريق من السماء، وفي ركن إسلامك المحمدي الأصيل دعوات وتسبيحات ومغفرة وتسامح. اطرد اليأس من قلوبنا والكآبة من صدورنا والوسن من عيوننا يا جد الأجداد، يا مبعث الأمل والضياء من الأفق، وألوان الشفق وشلالات حمرته المتوهجة والمزن يملأ السماء، ويعبر فوق أجنحة الطيور الخضراء، حتى إذا جاء الفجر توضأت الجموع خلفك تتلو من مصحفك أنت تقرأه ونردد خلفك ونسجد خلفك حتى إذا سلمنا رأينا وجهك الباسم الراسم فوق البطّاح أمجادًا وعزًّا وغلالًا من النصر والأمل..ارفع صوت نشيدك الطروب، واملأ الدروب وأقم صلاة الغروب أَنشد كما أنشد الأنبياء وابذر بيمينك العدل وأقم غرسه مـن غيرك ياسيدي يوقظ فلول الهاجعين، ويرفع سبات الهائمين، فجبينك شمس وعيناك برق ومنارة وصوتك مصباح يفتت دياجير الليل.

تقول إحدى الروايات بأن فيلسوف الصين العظيم كونفشيوس عندما علم بدنو أجله أنشد قائلًا:

لا بد للجبل العظيم أن يهدم..

ولا بد للدعامة القوية أن تنكسر..

ولا بد للرجل الحكيم أن يذبل كما يذبل النبات..

موسى أفندي ابن الأمير محمد عبد الله التنوخي (١٧٩٥ ـ ١٨٨٢م)

هو موسى الثاني ابن محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين عبدالله التنوخي، وهو الابن الثاني للأمير محمد بن عبدالله، ويروى بأن بينه وبين موسى الأول بطنان إذ توفي للأمير محمد بن عبدالله بن موسى بنتاً وولدًا هما: بيداء وموسى وأما موسى، الذي نحن بصدد الكلام عنه أعقب ولدًا وحيدًا أسمه ضاهر(١).

يروى بأن لموسى صحبة عظيمة، كان الناس من حوله يقدمونه على سائر أقرانه عُرف بالاستقامة. محدثاً قوي الحجة حافظًا للشعر يجيد بلاغة الكلام. خلوقًا يتمتع بالجدية والوقار يفرض احترامه أينما حل ناصحًا، غيورا حليمًا، مسامحًا، وهو شديدُ العريكةِ قوي البنية، طويل القامة عاش متنقلًا

(١) كثيرًا ما كانت الأمراض السبب الرئيسي للوفيات أو حالات الولادة المستعصية والكوارث الطبيعية والحروب، كمرض الجدري الذي انتشر في منطقة شمال فلسطين، والذي أدى إلى انتقال العدوى إلى المناطق اللبنانية في أواخر القرن التاسع عشر، وأدى إلى موت نسبة كبيرة من الأطفال. كذلك مرض الكوليرا. وفي عام ١٨٣٧ حصلت هزة أرضية وتأثرت منها بيوت كثيرة ومات العديد من الناس، والجفاف سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠١، أو هجوم الجراد سنة ١٩١٥ . مما أدى إلى موت العديد من الناس أو الانتقال من مكان إلى آخر. والتجنيد الإجباري المرهق والمميت. فلذلك نلاحظ تفاوتًا كبيرًا في سن الولادة بين الأخوة على سبيل المثال: ولادة الحاج حسن عبدالله سنة ١٧٩٠م ولو فرضنا بالأحوال الطبيعية تزوج في سن الخامسة والعشرين يكون قد تزوج سنة ١٨١٥م أو تزوج في سن العشرين أي سنة ١٨١٠م، وولده الأكبر علي الذي كانت ولادته تقريبًا سنة ١٨٣٥م هذا لا يعني بأنه أنجب أول أولاده بعد عشرين سنة من زواجه. ومما يُعرف عن الحاج حسن بأنه كثير الإنجاب، والثابت لدينا بأنه أنجب خمس بنات وأربعة عشر ولدًا من ثلاث نساء. قد تكون ولادة الإناث قبل الذكور وهذا التفاوت في الأعمار شيء طبيعي يخضع لعوامل كثيرة تكلمنا عنها في سياق هذا الحديث، وهذا ينطبق على الكثيرين فتجد سيرة الشخص الواحد اختلفت سنة ولادته باختلاف الكتب التي تناولت سيرته، فقد يصل الاختلاف إلى سنوات، وهذا شيء عجيب في كتب التاريخ. انظر "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٤٩، الطبعة الثانية، سنة١٩٨١، دار النهار، أو إذا لم تتوفر نفس الطبعة، راجع النص تحت عنوان: (أقوال المؤرخين في الأسرة الشكرية)، يحلل محمد جابر آل صفا في تاريخه ما اختلف عليه المؤرخون والمدة لا تقل عن مائة سنة في اختلاف حدث..فالذي نود قوله أن كتابة التاريخ تجد فيه كثير من الاختلاف، فهذا بالطبع لا يؤثر على جوهر الحقيقة وإنما في تاريخ وقوعها، وهناك أمثلة كثيرة لكن لا نرغب في الإطالة ..

بين فلسطين والجولان والخيام، كثير التردد على قرى صفد وأقام فترة في "الجاحولا" التي كانت تتبع قضاء صفد، وهي قرية من قراه، عمل في التجارة وقد راجت في وقته تجارة الحرير والحبوب على أشكالها[١]. كان لديه أربعة من الفرسان الأشداء الأقوياء يعملون في حراسته وخدمته يمتطي فرسه الأبلق شامخ الجبين وإذا ما مر بقرية لفت أنظار أهلها، مما يدفع حشد من الفضوليين للحاق بموكبه. يروى بأن أخاه الأصغر الحاج عبدالله كمن له اللصوص وهو في تجارة في ناحية الغور، ولكثرتهم استطاعوا أن يسلبوا الكثير من حمولة جماله، وعندما علم بالأمر ثارت ثائرته ووزع فرسانه في كل الجهات مستنهضاً الهمم في معارفه وأصدقائه.

ومما يذكر بأنه رفض النزول عن فرسه عند أحد مشايخ العشائر العربية في مرج بني عامر، حتى يحصل على وعدٍ منه بالسعي في القبض على اللصوص وإعادة المسلوبات، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى ألقي القبض على اللصوص، وعادت المسروقات إلى أخيه مع فرض الجزية على اللصوص وعلى الذين يأوونهم و ينتمون إليهم، وزاد على ذلك بأن حصل على وعد من شيوخ المنطقة أن لا يعترض تجارة أخيه الحاج عبدالله أحد بعد اليوم. ويقال بأن ولادته كانت قبل موت الجزار بفترة. أنجب موسى ولدًا وحيدًا هو ضاهر، ومن شعره:

أنــا مـوسى بـن محـمـد بـن عـبـدالله	الكـون بيتي والريح أفشت أسراري
يـتـوارى مـن أمــامي كـل جبــار	ويـفـر تخوفاً عن يميني ويساري
وفـوق الـثرى قلـوب ضعــاف	أطهّـرُ الأرض من الشـر والأشـرار
فـما أحـنـو عـلى قـاسي القـلب جبار	فـتجري أحكـامي بعيـدا عن الثار
لكـن حـكـمي يجـري بأقدار	مـا بيـن ليـل الـدجى والأسحار
فـغـديـت بـين الـنـاس مـوضـع احـترام	وعـلـم عـصـي عـلـى الـنـار
كـل الجـوارح شـاخـصـات نـحـوي	وأنـا الأبـي هـكـذا شيمة الأحرار
تيمنـا بإسم جـدي سُميت موسى	وشـقـقـت بـالـعـصـا كـل البحار

(١) كانت سلعة الحرير تشكل ٨٠٪ من دخل اللبنانيين في ذلك الوقت، أي في منتصف القرن التاسع عشر عام ١٨٥٠م. كما كانت التجارة في الحبوب على تنوّع أشكالها المصدر الأول والأخير للكثير من الناس من مطلع القرن التاسع عشر. وكانت تُصدّر عبر ميناءي عكا وحيفا إلى دول أوروبا، ووصلت إلى حدها الأقصى عام ١٨٥٣م. في ذروة الحرب بين الدولة العثمانية والأمبراطورية الروسية، حيث كان إنتاج الحبوب الرئيسي منطقة حوران السورية، وشمال فلسطين (الذي كان جزء من جبل عامل) حيث كان العمل في هذه التجارة على قدم وساق أفراد وعائلات. من كتاب "دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر"، صفحة ٩٨ ـ ١٠٠، للكاتبة ليندا شيلشر، ترجمة عمرو ودينا الملاح، دمشق سوريا، دار الجمهورية، ١٩٩٨م.

الحاج حسين أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي (١٨٠٠ـ١٨٨٧م)

وهو الولد الثالث للأمير محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين عبدالله التنوخي. ولد في البدايات الأولى للقرن التاسع عشر، وفيه توفي وهو أكثر إخوته شبهاً بأبيه لهذا كان يحظى بحب إخوته جميعًا، وكان كلما رآه أخوه الحاج عبدالله يحضنه ويقول له: يا أبي، لأن الحاج عبدالله ولد بعد وفاة والده بفترة قليلة. كان الحاج حسين أفندي حسن السيرة والسلوك، ومن أهل التقوى والصلاح والذكاء والنبل وكان جريئاً مقداماً أبيًّا ممتازًا بمكارم الأخلاق، راجح العقل نظيف اليد مؤمنًا بالله طموحًا وذكيًا، برع في التجارة وكانت أكثر تجارته تجاه الجولان وكان له علاقات طيبة مع أهالي الجولان، وسافر مع قافلة إلى اسطنبول كان بعض أقارب والدته وخؤلته قد سهلوا له هذه الرحلة وبعضهم رافقه، ابتاع بعض ما كان يملك من الإبل كي يؤمن تكاليف هذه الرحلة الشاقة، التي استغرقت إلى اسطنبول أشهرًا وعاد بعدها وقد تعلم صناعة البسط التركية، وكان بعد عودته قد اصطحب معه أسرتين تركيتين تعاوناه في عمله ويجيد أفرادها هذه الصناعة، وقد نقل هذه الحرفة إلى منطقة الجولان واتخذ له معملًا صغيرًا كان يدر عليه أرباحاً، واتسعت نوعًا ما تجارته بين لبنان وفلسطين وسوريا والتي كانت تعرف ببلاد الشام آنذاك، إلا أن الرسوم والضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة التركية، وسياسة الجباية القاسية حالت دون أخذ حصة كبيرة من هذه الصناعة، حيث تعتبر الضرائب من مصادر التمويل للدول، وكان اسمها ضريبة (الدمغة) التي كانت تؤخذ على البضائع المباعة في الأسواق وكانت الضرائب تزداد على البضائع المصنعة محليًّا وذلك لعدم التأثير والمنافسة على الصناعات التركية في الأسواق الشامية. و خلال مكوثه في الجولان كان يملك ديوانًا يعرف باسم (الديوان الخيامي) نسبة إلى بلدته الخيام، حيث كان المترددون عليه وزواره وضيوفه يقولون: كنا عند الوجيه الخيامي أو ابن العبدالله، وقد كان من أصحاب البيوت المفتوحة

والعلاقات الواسعة مع وجهاء الجولان من عرب الفضل الفاعور، كان في ديوانه من يقوم بخدمة الضيوف وتقديم القهوة والطعام ومما يذكر بأن بعض العائلات الجولانية كانت تلجأ إليه لإعفاء أولادها من الجندية (الخدمة العسكرية في الجيش التركي) حيث كان يتوسط لهم لمنع أولادهم من الخدمة، إما عن طريق معارفه وسلطته وإما عن طريق دفع المال، حيث كان يدفع من ماله الخاص لإعفاء الشباب من الخدمة وكان مقدار هذا البدل ١٠٠٠٠ قرش[1]، وبسبب التجنيد العسكري الذي كان يستمر إلى ثلاث أو أربع سنوات، وكان العديد من هؤلاء المجندين في الجيش العثماني، والقلة القليلة هي التي كانت تعود بعد الخدمة، وأكثرهم لايعودون وتنقطع أخبارهم عن ذويهم وأهلهم إما يغيبون أو يفقدون أو يموتون.

عاد في آخر أيامه واستقر في الخيام، ومما يروى بأنه سقط يومًا من فوق ناقته التي كان يحبها ويفضلها، ويقال بأنه حج عليها إلى البيت الحرام، وكان لهذا السقوط تأثير كبير على صحته وقد يكون هذا السبب الرئيسي لوفاته. وقد ورث تجارته حفيده أمين، كان تاجرًا ماهرًا نشيط الحركة والعمل حيث كانت تجارته من الخيام إلى الجوار كالجولان وغيره، وتعد تجارته حمولة تسعة جمال في كل رحلة عمل يقوم بها ومما يذكر بأن أمين صعد يومًا سطح منزله ليرشد ويساعد صاحب المحدلة الحجرية[2] على حدل السطح قبل حلول فصل الشتاء، إلا أنه سقط من فوق السطح فتوفي في حينه، في حدود سنة ١٩٢٩م.

ولد للحاج حسين خمسة أولاد هم: طالب وخليل والحاج أسعد ومحمد والحاج محمود.

---

(١) في سنة ١٨٧٢ حيث استدعى العثمانيون كل الذكور البالغين، وأُعْفي كل من دفع البدل العسكري ومقداره ١٠٠٠٠ قرش، وكذلك أُعفي الابن الوحيد، والمعيل الوحيد، والمتزوج من امرأة من خارج بلده. وهذا يفسر ظاهرة زواج الكثيرين خارج قراهم بهدف إعفائهم من الخدمة العسكرية، أعمارهم ٢٠ ـ ٢٦.

(٢) تُستعمل هذه الأداة عادة قبل فصل الشتاء وبعده، وذلك لحدل السطح منعًا لتشققه. تتألف المحدلة من حجر مستطيل مــدوّر مثقوب من الجانبين يدخل فيهما عمود حديد كالكلابة متصل من الأعلى بمسكة حديدية تساعد على دورانه.

حمود أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي (١٨٠٣-١٨٩٦م)

حمود هو الابن الرابع للأمير محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين عبدالله التنوخي بعد أخيه الأكبر الحاج حسن عبدالله عاش في القرن الثامن عشر، موصوف بصغر عينيه لكنه قوي البصر والبصيرة وهو في غاية الجلد والدهاء والعقل. كان رجلًا متوسط القامة، قوي البنية يميل إلى الضخامة، موصوف بالحكمة والدهاء لا ينام على ضيم شديد الانتقام من الذين يكيدون له، كان يجد الحلول لمن قصده للمساعدة والعون، وقد كسب هذه الخبرة بعد أن عمل في إرشاد القوافل نحو ميناءي عكا وحيفا يروى بأنه تنكر يومًا بلباس جندي عثماني في منطقة الجولان كي يستطيع القبض على من احتال عليه، وقد أخذ وقتًا طويلًا في تتبعه حتى علم بمكان تجارته فقبض عليه بعد أن استدرجه إلى بعض الأزقة وحصل على كل المال الذي سلبه منه هذا الأعرابي، بعد أن وضع الخنجر على عنقه وعندما كشف له شخصيته، ترجاه الأعرابي أن يصفح عنه ويتركه لأنه المعيل الوحيد لأسرته فصفح عنه بعد أن أنّبهُ على فعلته.

وخلال عودته إلى الخيام سالكًا جسر بنات يعقوب القريب من الحولة متجهًا نحو الخيام حيث بعض القماري ما زالت لائذة منفوشة الريش بين أفنان أشجار الكينا الباسقة، وقد تمثل ببيتٍ من الشعر لامرىء القيس جرى على لسانه :

وقد أغتــدي والطَّيرُ في وُكُنَاتِهــا لِـغَيــثٍ مِـنَ الوَسْمِـيِّ رائِـدُه خَـالِ
تَحَامَــاهُ أطـــرافُ الرِّمـــاحِ تَحَامِيـًا وجـــادَ عليـــه كـلُّ أَسْحَمَ هَـطَّـــالِ
فلـو أنَّ ما أسعى لأَدْنَـى مَعِيْشَــةٍ كفـــاني ولم أطلبْ قَليلٌ مِـنَ المـــالِ
ولكنَّمـا أسعـــى لِـمَجْـدٍ مُـؤَثَّلٍ وقـد يُـدْرِكُ المَجْـدَ المُؤَثَّـلَ أَمْثَالِـي

من خلف جبل حرمون تتسلق الشمس خلسة، تحبس لهاثها عندما تصافح قِممه، وأجراس قطيع الأغنام تملأ سكون المكان، والفارس يتقدم على صهوة جواده وعلامات الشجاعة لا تفارق وجهه، يمضي جواده يمضي ويدوس الأرض الرخوة طابعًا على أديمها صورة تبعثها دوس حوافره، ينبيك عنها كهنة الفراسة، وتبتل قدما الفارس من تلك الحشائش الثملة بالندى. وما كادت الشمس تلقي بدفئها المتساقط من أعلى برفق حتى صحبها استغاثة تلو الأخرى، وإذا بأحد الرعيان يجري نحو جواد حمود بعد أن هاجم ذئب قطيع أغنامه فلم يغثه أحد خوفًا من الذئب سمع حمود تلك الحشرجات وتلك الأنفاس، زفير كأنه بخار ماء يغلي في مرجلٍ. لم يتردد في مد يد المساعدة فأخذ العصا بيمينه من يد الراعي المضطرب وجلًا واتجه نحو القطيع المضطرب ومكان حيز فراره وذعره، وإذا بذئب يهم بالانقضاض على فريسته الرابعة، فوثب إليه حمود وثبة قويّة كأنّه الأسد الهصور، وقبل أن يرتد طرفه إليه سارعه بضربة من عصاه نزلت عليه كالصارم المصقول، جعلته يتخبط تَيْهًا فعاجله بضربة أخرى قاتلة ذهبت بأنفاسه وتركته مخضبًا بدمائه، تقتات من لحمه الثعالب وتحوم من فوقه أبابيل الغربان. انبهر الراعي من قوة هذا الرجل الذي لايعرف الخوف طريقًا إلى قلبه فلا يدري ما يفعله هذا الراعي فجرى نحوه وهم بتقبيل يديه تلك، فرفض ذلك ورفعه نحوه حين كاد أن يجثو أمامه، ودعاه الراعي مترجيًّا إياه أن يختار ماشاء من غنمه فرفض ذلك، وتابع مسيره ممتطيًا جواده .(هكذا هم آل عبدالله لا تأخذهم عزة ولا أنفة في الكبرياء). ومما يروى بعد أن شاعت بعض أخباره واشتهر بالذكاء ورجاحة العقل وحسن التدبر وقوة الحجة عرض عليه أحد القادة الأتراك عرضًا سخيًا ومغريًا للانتقال والاقامة في مناطق القوقاز، إلا أنه رفض وفضل أن يبقى بين أهله وفي أرضه. ولد للحاج حمود ولدان هما: موسى ويوسف، ومنهما كانت ذريته رحمه الله.

الحاج عبدالله أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي (١٨٠٥-١٨٩٧)(*)

هو أصغر أبناء محمد عبدالله، ولد في سنة وفاة والده في البدايات الأولى للقرن التاسع عشر. وهو الشقيق الأصغر للحاج حسن عبدالله من أمه وأبيه. تعهده شقيقه الحاج حسن عبدالله وحافظ على تركته من الميراث. ورباه واعتنى به فعلمه القرآن الكريم والأدب والشعر والفقه، وكانت تلوح عليه علامات النجابة والذكاء وسمو الأخلاق، وقد خرج فارسًا ملمًّا بفنون القتال في ذلك الزمن وكان رجلًا طويلًا شديد البأس يركب على فرسه المطهم عندما يخرج من الخيام وأمامه مسلحان، حاملًا رمحه على كتفه ولابسًا لأمة حربه، وعلى جنبه سيف صقيل، وأمامه على قربوص السرج قرابينتان ومفردها قرابنيه وهو سلاح ذخيرته البارود والخردق، انتدبه أخوه الحاج حسن عبدالله في الأسفار القريبة والبعيدة سفيرًا له وممثلًا في الجولان لدى أفراد آل الفاعور، وفي الحولة لدى أفراد الغوارنه وهم فلاحون أتوا من غور الأردن لزراعة سهل الحوله الخصيب واستوطنوه، من آل الحسين وعرب الحمدون وشيوخ المغاربة في صفد وضواحيها. وكان له رحلتان إلى قلعة تبنين حيث مقر زعيم الشيعة في الجنوب علي بك الأسعد من أمراء آل علي الصغير، الذي كان له جيش ثابت ودائم تعداده سبعمائة جندي مدرب على أحدث فنون القتال، ومجهز بالأسلحة المتوافرة في ذلك الزمان. كما كان يتصل بعلماء الجنوب وفقهائه ويقوم بزيارتهم للتشاور في أمور المنطقة السياسية والاجتماعية والاستراتيجية، وكان يزور الأمراء الشهابيين في حاصبيا التي تبعد عن الخيام مسافة ٢٥كلم، وكان قدومه موضع حفاوة وترحيب، وكان الأمراء الشهابيون دائبين على إصدار عفو عام عن المساجين لديهم إكرامًا للحاج عبدالله حمود وشقيقه الأمير العظيم الحاج حسن عبدالله تزوج أخت زوجة [1] شقيقة الحاج حسن المدعوة زين الورود شقير، وهي ابنة ملحم

(١) زوّدنا بسيرة الحاج عبدالله المرحوم الأستاذ الحاج كامل عبد الرضا ١٩٣٨-٢٠١٦ كان رحمه الله صاحب أخلاق عالية وثقافة واسعة،بل كان موسوعة من العلم والأدب رحم الله ابا محمد.كانت زيارتي له عام ٢٠١٣.

شقير الذي ثبت له الحاج حسن شقيقه ميمنة الخيام، وكانت داره فيها تسمى دار المنزول، ولا تزال آثارها بادية بعد أن تغيرت حالها إلى مساكن وبيوت متعددة من نسله. أنجبت له زوجته الوحيده ثلاثة أبناء وبنتين اثنتين، فكان ابنه البكر الحاج محمد علي الذي كان مشابهًا لأبيه في النجابة والحصافة والذكاء، قد تفقه في مدرسة كفرا من أعمال النبطية، وتخرج منها عالما أديبًا شاعرًا إلى جانب اشتهاره بالورع والتقوى. أما ابناه الآخران الحاج سلمان وحسن فقد كانا مزارعين وملاكين في الخيام، وقد تزوجت ابنته الحاجة فاطمة من ابن عمها الحاج سلمان ابن الحاج حسن عبدالله وأنجبت له ثلاثة أبناء ولم تلد له بنات، وقد توفي زوجها الحاج سلمان عن عمر قارب الخامسة والثلاثين من الأعوام أما ابنته الحاجة خديجة فكانت قارئة للقرآن الكريم ومعلمة له، وكانت خادمة للحسين تقرأ مجالس عاشوراء. وقد تزوجها ابن عمها الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله وطلقها بعد أن أنجبت له ابنته تقية. تزوجها ابن عمها إبراهيم إسماعيل عبدالله وأنجبت له بنين وبنات هم: خليل (أبو غازي) وإسماعيل وحسن وحسين وفاطمة وشما.

إن الحاج سلمان كان إلى جانب أعماله في الأرض صاحب دكان يبيع فيه المواد الغذائية وبعض المنتوجات الزراعية من الخضار والفواكه والغلال، وقد تزوج من ابنة الحاج علي ابن الحاج حسن عبدالله المدعوة بدور وأنجبت له عبدالله وخليل والحاجة فاطمة. أما عبدالله فكان تاجرًا وملاكًا تزوج من بنت ابن عمه محمد الحاج حسين بن محمد عبدالله (محمد عبدالله ـ أخو الحاج حسن عبدالله) فولدت له ابنة أسماها زينب، وقد ماتت أمها فتزوج من شقيقتها أي بنت عمه المذكوره التي ربتها وهي ابنة أختها وأنجبت ولدًا سماه "علي" وابنة سماها فاطمة. أما حسن ابن الحاج عبدالله فقد تزوج من ابنة عمه خديجة بنت الحاج حسن وأنجبت له محمد وعلي وأمين ورؤوفة. لقد تزوج الحاج محمد حسن من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج سلمان وأنجبت له حسين وعبد علي وحسن. أما علي حسن فقد تزوج من عبدة الزهراء ابنة عمه الحاج خليل الحاج إبراهيم عبدالله وأنجبت له حسن وفاطمة. أما الحاج أمين فقد تزوج من ابنة عمه نعيم الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله المدعوة خديجة وقد أنجبت له حسن وحسين وعباس وصفية وفاطمة .أما الحاج محمد علي ابن الحاج عبدالله البكر فقد تزوج الحاجة فاطمة بنت محمود عبدالرسول نصار وكان والدها كبير عائلة، وكان له منزول اسمه دار آل نصار. وكانت الحاجة فاطمة قارئه للقرآن ومتفقهة في دينها وورعة وتقية. لقد تزوجها الحاج محمد علي ولها من العمر أربعة عشر عامًا وله من العمر ثمانية عشر عامًا، وحجا معا بعد سنتين من زواجها المبارك. وقد أنجبت له من الأولاد تسعة ذكور وأربع

إناث، وقد مات من أبنائه الذكور سبعة قبل بلوغ سن الرشد ولم يعش له سوى ابنين هما: الحاج أحمد وعبد الرضا . وقد كان الحاج أحمد تاجرًا كبيرًا أصاب من تجارته ثروة وقد تزوج فايزة بنت عمه الحاج خليل إبراهيم عبدالله، فأنجبت له الحاج علي والحاج إبراهيم والحاج عبدالله، وماتت فتزوج من أختها الحاجة رقية التي أنجبت له الحاج محمد طلعت والحاج محمد علي والحاج حسين والحاجة فايزة. أما عبد الرضا فقد تزوج من ابنة عمته الحاجة سكنة بنت الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم وأنجبت له الحاج كامل ومحمد علي والحاجة عفاف والحاجة فاطمة. وقد توفي قبل أن يبلغ أبناؤه الثلاثة سن الرشد باستثناء البكر الذي تولى تربية إخوته وتنشئتهم. إن ابنة الحاج محمد علي البكر الحاجة عبدة الزهراء بقيت من غير زواج . أما ابنة الحاجة زينب فقد تزوجت من ابن عمها الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله وأنجبت له علي والحاج حسين والحاج رضا والحاجة فاطمة . أما الحاجة مريم فقد تزوجت من ابن عمها عبدالله اسماعيل بن الحاج حسن عبدالله وأنجبت له الحاج محمد والحاجة منية النفوس وحيدر والحاج عبد علي . أما الحاجة سكنة فقد تزوجت من ابن خالها نايف حسين نصار وأنجبت له الحاج علي وفاطمة وحسين وخديجة .

الحاج عبدالله التاجر :

تزوج الحاج عبدالله حمود بعدما بلغ الخامسة والثلاثين من العمر، وبعدما كبر أبناء شقيقه الحاج حسن الذين تولوا شؤون العائلة السياسية عن أبيهم وعمهم، فانصرف الحاج عبدالله وهو ملاك إلى إدارة شؤون أرضه فإلى جانب الزراعة الناجحة عنده فقد تعاطى تربية دود القز وبيعه، وقد أصاب ثروة كبيرة من هذه التجارة المربحة والتي كانت تدر عليه ذهبًا. وكان بيدره في الخيام الذي تبلغ مساحته أربعة عشر دونمًا يتسع لما تنتجه أراضيه التي كانت في معدلها الوسطي تبلغ سبعمائة مد قمح وثلاثمائة مد شعير وأطنانًا من التبن والفصى الذي كان يستعمل مع الطين لسقوف البيوت الطينية. توسعت أعماله التجارية إلى فلسطين والعريش وشملت سوريا والعراق ولبنان، خصوصًا في تجارة الحرير وتصنيعه وبيعه. لقد كان رجلًا ورعًا تقيًا على نهج أخيه وشقيقه الحاج حسن ينفق من أرباحه للخمس والزكاة، ويخرجها ويرسلها إلى المقلد في العراق، وكان يعيل الفقراء واليتامى والأرامل والمحتاجين ويصرف عليهم قربة إلى الله، وكان يقيم مجالس عزاء الحسين في بيوته في عاشوراء وعلى مدار السنة. وقد روى لي عمي الحاج أحمد أن جدنا الحاج عبدالله وهو على فراش الموت أفاق من سكرة الموت ونادى ابنه البكر الحاج محمد علي وقال له: إدكني على أبي الحسن

أي سندني لأرى علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ونحن نعتقد اعتقادًا صارمًا أن أمير المؤمنين يأتي للمؤمن عند النزع الأخير فيريه مقعده في الجنة، فيسلم روحه وهو قرير العين كما يأتي للكافر فيريه مقعده في النار فيسلم لملك الموت روحه ليموت بغمه وغيظه.

الحاج عبدالله الإنسان :

كان الحاج عبدالله يتحلى بأخلاق عالية وكان حليمًا كريمًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعفو عن السيئة ويتجاوزها ويعمل الحسنة خفية وعلانية، يأمر بالخير وينهى عن الشر. وكان إذا غضب يكظم غيظه ويخرج من المكان ممتطيًا فرسه حتى يسري عن نفسه، ثم يرجع فيستغفر الله ويسترضي المسيء ويحسن إليه ويداريه ويطلب منه المسامحة، لقد قام على خدمة رجل من أهل بلدته بلغ من السن عتيًّا بعد أن هجره أولاده وأقرباؤه، فوكل له من يهتم بخدمته ويقوم على راحته حتى مماته. وقد ترك في وصيته أن تؤول تركته إلى الحاج عبدالله وحرمان أولاده منها، ولكن الحاج عبدالله اشترى التركة من أولاده برضاهم ودفع لهم الثمن وزيادة. أنجب ثلاثة أولاد هم: الحاج حسن والحاج محمد علي والحاج سلمان.

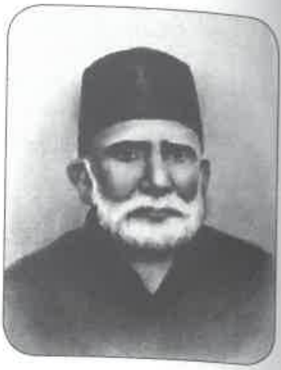

الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله التنوخي (١٨٣٩ - ١٩٢٩م)

أمير السيف والقلم وراية العلم والعَلم:

من القادة الكبار في التاريخ، لعب دورًا هامًا وبارزًا في تاريخ جبل عامل كان قائدًا عسكريًا بامتياز، وهو نموذج للمناضل القوي والمحارب الشجاع، حيث ظروف المنطقة وساحاتها الملتهبة قد جعلت منه بطلًا، فبرزت قدراته القيادية على أحسن وجه وأكمل حال، حتى أضحى مولى الجموع، ومَلَكَ فضيلتي السيف والقلم.. ولد الحاج محمد أفندي عبدالله في بلدة الخيام في بيت زعامة ووجاهة ووقار. أتقن الفروسية وتعلمها فكان فارسًا من فرسان العرب، فارس الطراد كما وصفه أهل الجولان، والطاعن بالرماح والسيف اللوّاح والكرار يوم الجماح، حاملًا سيفه الصقيل اللماع، وعندما يأتي الليل لم يكن على وجه البسيطة وأمام نجوم السماء رجل يسهر على ناسه وأهله ويحرسهم ويرقب أعدائهم مثل أبي علي حتى أصبح اسمه رعبًا وهولًا على المعتدين وقطاع السبيل والظالمين والعابثين في القرى والبلدات العاملية، بل على امتداد جغرافيا المناطق والبلدات المجاورة لجبل عامل، حتى حملت الأفواه صيت أبا علي من مكان إلى مكان.. في صباه كان ذكاؤه حادًّا ومميزًا. صادق الكبار ولفت الأنظار، ارتجل الشعر وهو يافع لا يزال في الحداثة. كان يصنع بنفسه الرماح ويجيد رميها واللعب بها ...كان وسيمًا بارتدائه طربوشًا أحمر تعتليه شرابة سوداء في تناسق تام مع هندامه. كان يتقلد سيفًا عربيًّا. كانت الفتيات على أعتاب بيوتهن ينتظرن خروجه من الدار لينظرن إليه، يبقين يتسللن بنظرتهن حتى تحمر خدودهن خجلًا كاحمرار الشفق. وكما يسمى بمصطلح اليوم فهو مخطط استراتيجي بامتياز يجيد منازلة الكبار في كل المواقع. وأهم من كل ذلك كان يجيد بصورة فعالة ومميزة عنصر المفاجأة، لقد فاجأ كبار القادة العثمانيين بإتقانه اللغة التركية، زائدا إلى مباغتة خصومه في ساحات الوغى وحومات المنازلة.

جاء في نشرة الدردارة: الحاج محمد أفندي عبدالله عميد أسرة آل عبدالله وكبير من كبار رجالات

جبل عامل، وصاحب الرأي المطاع والسيف الذي لا ينبو. لعب دورًا هامًا في تاريخ الجبل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. يقول العلامة الشيخ حسن صادق فيه: كان في الطليعة من رجالنا النوابغ والمجلي في مضمارهم، يمتاز عنهم فيما يشاركونه فيه ويختص بمواهب لم يشاهدوها في غيره، كان منقطع النظير في معارفه وبسالته وكرمه وجرأته ونجدته وغيرته على طائفته، والذود عن حياضها والتضحيه في سبيل كرامتها وصيانة عزها. وكم له من مآثر حميدة وخدمات جليلة نقلتها الألسن وحفظها التاريخ. كان فارس الحلبة في حوادث هونين وعيناتا وعين إبل وحداثا ومشغرة وسوق الخان وواسط وحاصبيا. وفي ذلك يقول العلامة الشيخ عبد الحسين صادق:

هو سيف براه باريه مشحوذ ... الغرارين من صدى العار عاري
سلَ ضواحي هونين من ذا حماها ... وهي بين الأنياب والأظفار
وثنى البؤس عن ثنيَة عيناثا ... وكانت مناخ ركب الدمار
وله يوم عين إبل وحدَاثا ... أيادٍ تناط فيها السَواري
لقفت يوم مشغراء عصاه ... كلَّ سحر لمفترٍ سِحار
وبيوم الخان انتضى مشرفيًا ... في شباه رقيمة الانتصار
وسراياه يوم واسط ثلت ... من صياصي الأعداء كل جدار
وله بالكراع آبت جهارا ... غير هيَابة من الأقدار
لم يكن يوم (حاصبيا) برعديد ... جنان كلا ولا خوّار
صال في وثبة وناهيك منها ... حتف أنفٍ لنخوة الجبار
لم ترعه ضوضاء تلك الأحابيش ... وإن طبّقت رحيب القفار
فلَّ منها الجيوش في عَضب قيلٍ ... هو أمضى من صارم بتّار
ولقد آب في لوائين خفاقين ... من نسج عزة وافتخار

** ** ** **

رابط الجأش والمرابط في ... الثغر الذي يرهب الهزبر الضاري
والشجا في لَهاة كل مناوٍ ... وبتامـوره الزناد الواري(*)

(*) التامور: حبة القلب.

ذو اللسان الماضي الشبا لا فليل … الحدّ يوما ولا كليل الغرار
واليراع التي تحّل بها من … كل معتاصة عُرى الأخطار(*)
ونبي الكلام أوتي آي … السحر نثرًا وحكمة الأشعار
جاء فيه محمد وابن عبد … الله لكن من يعرب لا نزار
أيارى شأوًا وفي مئزريه … من تنوخ العليا صميم نجار

كان فارسًا وخطيبًا وشاعرًا، وكانت داره في الخيام ملتقى العلماء والزعماء مثلما كانت مشرعة الأبواب لأصحاب الحاجات من مختلف الطوائف والفئات، وبذلك يقول العلامة الشيخ عبد الحسين صادق:

فأين الخيام البيض مضروبة على … عمود علا من دونه شأوكيوان
ضحى الأمس كانت ندوة أرحبية … لمعنٍ ولقمان وقس وسحبان
برى الله أنواع الكمال بأسرها … وقال لها كوني محمدًا الثاني
فكانته والإلهام والوحي رأيه … ومنثوره والنظم آيات قرآن

أما مؤلف كتاب رنة الشجن في مراثي الحسن الذي تضمن جميع القصائد التي تليت في ذكرى العلامة السيد حسن يوسف في النبطية سنة ١٩٠٦، فيقول فيه: قال حضرة الشاعر المفلق والهمام الأروع صاحب السيف والقلم محمد أفندي الحاج حسن عبدالله وجيه وجهاء مرجعيون قصيدة تليت في ذكرى أربعين الفقيد السيد ـ قدس سره ـ نثبت مطلعها:

بخطبك لم يُحمد سلو ولا صبر … فجدعًا وعقرًا إنها الفتكة البكر
بها دك هذا الدهر طودًا من النهى … رفيع الذرى يا بئس ما صنع الدهر

(*) معتاصة: الشديدة الممتنعة.

أما حادثة الخيام أو سنة الجرود كما يسميها الخياميون التي وقعت سنة ١٣١٢ هجري ١٨٩٤م، هذه الحادثة التي أظهر فيها الحاج محمد عبدالله من الشجاعة والحكمة ما أثار إكبار واحترام الزعماء والعلماء الذين اشتركوا في إخماد تلك الحادثة الفتنة. وفي ذلك يقول المؤرخ العاملي الأستاذ محمد جابر آل صفا في كتابه تاريخ جبل عامل ما موجزه: في خريف سنة ١٣١٢ هجري ١٨٩٤م حشدت الطائفة الدرزية في حاصبيا ووادي التيم جموعها لمهاجمة بلدة الخيام وحرق بيوتها والفتك بأهلها. وفي الخيام آل عبدالله الذين ينتسبون للتنوخيين والذين لعبوا دورًا هامًّا في تاريخ جبل عامل في عهده الحديث، وكان لهم مواقف مشرفة.

كتب الحاج محمد إلى علماء وزعماء جبل عامل، وفي طليعتهم العلامة السيد حسن يوسف في النبطية الذي بادر إلى عقد مجلس في منزله ضم علية القوم، ثم عهد إلى الأستاذ محمد جابر وإلى الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر كتابة منشور يدعو فيه أبناء الشيعة في جبل عامل لنصرة الخيام .

وخلال يوم واحد بلغ عدد الوافدين إلى الخيام عشرين ألفا على رأسهم علماء أجلاء وزعماء كبار أمثال: ناصيف باشا الأسعد ونعيم بك الفضل والحاج علي الزين والشيخ علي الحر والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ولقد عهد إلى الأستاذ محمد جابر الرد على الرسائل التي كانت ترد من زعماء العشائر إلى الزعيمين المغفور لهما: الحاج محمد أفندي والحاج إبراهيم ابن الحاج حسن آل عبدالله .

كما أوفد الأمير سعيد الشهابي أمير حاصبيا ووادي التيم الأميرين علي وسعود، وحملهما رسالة إلى آل عبدالله يعرض فيها توسطه لحسم الخلاف وعقد راية الصلح. كذلك أمر الباب العالي والي سوريا عثمان نوري باشا ووالي بيروت عبد الخالق نصوحي بك أن يحسما الخلاف بروية وحكمة، فوصل من سوريا القومندان خسرو باشا على رأس أربعمائة فارس رابطوا في حاصبيا. ووصل من بيروت البينباشي مصطفى بك الكردي على رأس فرقة من الدرك رابطت في الخيام. كذلك رابط الزعيم الكبير خليل بك الأسعد في سهل كفركلا حيث وافاه وفد من العلماء والزعماء وأطلعوه على الوضع في الخيام وعلى الرسائل والمحادثات المتبادلة بين الأمراء الشهابيين وآل عبدالله ومشايخ الدروز وموفدي السلطة في سوريا وبيروت، فأكبر اجتماع الطائفة وإجماعها على التصدي لكل اعتداء ثم أقروا القبول بالصلح الذي يحفظ كرامة الطائفة. أما المسيحيون في مرجعيون وحاصبيا فكان موقفهم إلى جانب الشيعة وحمل بعض شبابهم السلاح مع المسلمين .

اجتمع المؤتمرون على رأس نبع الحاصباني، وكان على رأس وفد الشيعة الحاج محمد عبدالله، وعلى رأس وفد الدروز الشيخ حمد قيس المعروف بحكمته وسداد رأيه، وقبل البدء بكتابة وثيقة الصلح طلب الحاج محمد عبدالله أن يقرن اسم المسيحيين مع اسم الشيعيين في متن الوثيقة فاعترض الشيخ أبو مزيد أحد أعضاء الوفد الدرزي على الطلب، فاحتدم الحاج محمد عبدالله غيظًا واستلّ سيفه وهزه في وجه الشيخ أبي مزيد قائلًا: أقسم لولا حرمة المجلس لقطعت رأسك. وهنا تدخل الحضور كما لام الشيخ حمد قيس أبا مزيد وصرفه، وكتبت وثيقة الصلح كما طلب الحاج محمد ووقعها الفريقان وتصافحا وانتهت الحادثة الفتنة بسلام[١].

الحاج محمد أفندي عبدالله يساند علي بك الأسعد في معركة هونين ضد تامر بك الحسين

(هذا ما تنتهي إليه الرواية) عندما رويت لنا هذه الحادثة التي مضى عليها أكثر من قرن، وبما أنه لم تحفظ وتدون إلى يومنا هذا، كانت كل هذه السنوات الطوال كفيلة بأن تعمل على تآكلها شيئًا فشيئًا ومن جيل إلى جيل كانت تفاصيلها تضعف، لكن ما قيل: بأن الحاج محمد أفندي عبدالله ـ أبا علي ـ دافع عن علي بك الأسعد وحماه وكان إلى جانبه في صراعه مع بك التامر، ويقال بأن الحاج محمد قد أبلى بلاءً حسنًا في (هونين) وكان يحمل الرجال بين يديه ويقذف بها بعيدًا، وكان همه الدفاع عن علي بك الأسعد والحفاظ على شخصه فما علينا إلا أن نمخر ونمخر حتى نصل إلى مايروي ظمأنا في البحث. هذا وقد أجاد العلامة الكبير الشيخ عبدالحسين صادق عندما أوجد مناخًا من العلاقة بين الشعر و السياسة فتخطى بحذاقته الفذة بلاغة الشعر وسحره ليتحول شعره إلى وقائع وأحداث زمنية تاريخية، ملقيًا الضوء بأبياته الشعرية حين أهمل التاريخ هذه الحوادث في قصيدة طويلة من ديوانه[*] يصف ويعدد من خلالها مواقف ومناقب وبطولات الحاج محمد أفندي. أهداه هذه القصيدة عند رجوعه من الحج قائلًا:

سل ضواحي (هونين) مَنْ ذا حماها وهي بين الأنياب والأظفار

ولم يتوقف حديث العلامة صادق شعرًا عند هونين، بل عدَّد كثيرًا من قرى جبل عامل ووادي التيم، كان للحاج محمد أفندي مواقف شجاعة وبطولات خارقة ونادرة لا يقدر عليها إلا الرجال

(١) جريدة "الدردارة"، نشرة داخلية تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي، العدد ٣، السنة الثانية، أيلول ١٩٩٥م.

(*) كتاب "سقط المتاع"، ديوان شعر للعلامة الشيخ عبد الحسين صادق، صفحة ٢٤.

الرجال الذين يملكون مهارات قتالية عالية. وكانت هذه القرى مسرحًا لحوادث تاريخية محلية، كما وصفها الشيخ حسن صادق ابن العلامةالشيخ عبدالحسين صادق. وبالعودة إلى حوادث هونين لقد ذكر آل صفا في تاريخ جبل عامل الخلاف بين تامر بك الحسين وعلي بك الأسعد، وقد حصلت هذه الأحداث ما بين ١٨٦٠ و١٨٦٥م. حيث كان الحاج محمد في العقد الثالث. وكان سبب الصراع بين التامر والأسعد عنوانه واحد في أكثر المناطق اللبنانية هو النفوذ على حكومة هونين ومرجعيون. كان يرى علي بك الأسعد بأن من حقه أن يترأس جميع العشائر العاملية التي زاحمه على رئاستها تامر بك الحسين(*) فلهذا آزره وشاركه في معاركه الحاج محمد أفندي. ومضت السنون ليجد الحاج محمد إلى جانبه ناصيف باشا الأسعد ابن علي بك الأسعد يؤازره ويقف إلى جانبه بالسلاح والرجال في موقعة الخيام عام ١٨٩٤ م، حيث العلاقة بين آل عبدالله في الخيام وآل الأسعد علاقة قديمة، قدم وجودهم وحضورهم ولقائهم على مسرح الأحداث في مناطق جبل عامل.

أهالي دير ميماس.. وسيف الأفندي :

لا مشاحة بأن آل عبدالله كانوا ثقيلي الوطأة على الولاة، لا تلين قناتهم ولا تقرع صفاتهم ولا تغمد سيوفهم دفاعًا عن الحق، والذود عن معاقلهم وأماكنهم وسلطانهم، ومناصرة المستضعفين إن كان في الخيام وغيرها، وحماية من لاذ إليهم من قرى جبل عامل ومن أقاصي البلاد، والذود عن هويتهم ومعتقداتهم وطائفتهم من العابثين والنافخين في كور الفتنة، لا ينال منهم مستبد حاقد ولا متربص عاقد، إن كان وزيرًا أو قائدًا سيدًا أو عبدًا، كأن موقف الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله موقفًا بطوليًّا عندما وقف إلى جانب أهل دير ميماس(١). والقصة أن وفدًا من دير ميماس قصد الأفندي طالبًا منه التوسط لدى الأتراك بعد عدة حوادث ضدهم، وتكرر عملية الاعتراض لأهالي ديرميماس ومنعهم من التجوال في القرى وهم من الطائفة المسيحية الكريمة مجموعة من أصحاب النفوس الضعيفة الذين يصطادون بالماء العكر، مستغلين بعض أحداث هنا وهناك حتى أن تصرفاتهم كانت موضع شك الكثيرين من الناس. كان يحدث ذلك أثناء تجوالهم بغرض البيع والشراء متنقلين بين القرى والضيع. وقد دأب بعض الشبان المسلمين المغرر بهم على اعتراضهم وسلبهم تحت عيون الدرك العثماني دون أن يبادر إلى التدخل أو منعهم من ممارسة هذا العمل

(*) "تاريخ جبل عامل"، صفحة ٥٨ ـ ٥٩، الصفا.

(١) دير ميماس: بلدة من قضاء مرجعيون، تقع بين كفركلا والعديسة. أهلها مسيحيون بأغلبية أرثوذوكسية. (من كتاب "حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا).

المستنكر، وقد ازدادت تلك الحوادث بين الطرفين، وكانت تتسع حينًا وتتحول إلى حوادث دامية وتربص وكمائن وغزو متبادل على أطراف القرى، يتخللها أعمال سلب ونهب وحرق.

توجه الوفد إلى بلدة الخيام قاصدًا دارة الأفندي، بقصد وأد الفتنة وعدم السماح لها بالتفشي بين أهل البلد الواحد والقرية الواحدة وحتى الحي الواحد، فما كان من الحاج محمد أفندي سوى أن لبى مطالبهم وعقد العزم بالذهاب إلى الوالي. كان ذلك في البدايات الأولى للقرن العشرين وقبل الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد، ليطلب منه بأن يضع حدًّا لهذه الأعمال والتدخل بحزم وقوة والإيعاز إلى عسكره بأن لا يغض الطرف عن هكذا أعمال تضر بسمعتهم، وأن يبادر بالعمل الجدي على كبح هكذا ممارسات طائشة والغير مقبولة، كان مقر الوالي في بلدة كفركلا، توجه العبدالله فارسًا من فوارس هذه الأمة العظيمة على صهوة جواده العربي الأصيل ومن خلفه من أحبوه وأحبوا صحبته، فكانوا على الدوام إلى جانبه تواقين لهذه الصحبة. توجه وهو مرفوع القامة عالي الرأس فارسًا لو اجتمعت صناديد أمة ما على أن تنال من عظمته وشأوه وهيبته ومجده وعزته لم تستطع إلى ذلك سبيلًا. هيهات أن ينازله مُنازِل سيفه لا تناله الأبصار سريع كالبرق بتار يقول الشاعر:

يا أيها الساعي ليدرك شأوه ... تزحزح قصيًّا أسوأ الظن كاذبه
فحسبك من نيل المراتب أن ترى ... عليًا بأن ليست تنال مراتبه

يخرق سكون الفجر على صهوة جواده ببسالة وشجاعة، والنسائم تداعب سنابل القمح المثقلة بِحمْلها، فتعطفها ذات اليمين وذات الشمال، تنحني أمام قدومه كأنها مجاميع جيش يؤدي واجب التحية بين يديه. المكان أشبه بخلية نحل، ذهاب وإياب من كل حدب وصوب، ترى الناس في ساحة مقر الحاكم العثماني من نواحي قرى فلسطين والجولان من تربطهم بمناطق جبل عامل التجارة والعلاقة الاجتماعية وحتى المصاهرة أحيانًا.خيول وعربات جيوش وحاشية، ذاك حر طليق يُستقبلُ بالأحضان وآخر يودع بالدموع وثالث مقيد بالأصفاد وهناك رجل خلف شجرة يخفي جسده وينظر خلسة نحو المكان، وامرأة اتخذت مكانا قصيًّا ترضع طفلها، وآخر يلهو بالتراب يخيفه النهيق والصهيل فيلوذ بثوب أمه السمل... ترجل الحاج محمد أفندي نحو مقر الوالي مقدامٌ تبدو عليه علامات النجابة والفخر والعزة التي ما برحت تملأ المكان، كما يقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

كان الموقف مع حراس الوالي مختلفًا، يقال بأن حراس الوالي على الباب طلبوا من الحاج محمد بأن يسلم سيفه قبل الدخول فاعترضه أحدهم ويدعى الآغا[1] . كان طويل القامة ضخم البدن كث اللحية معقوف الشاربين حليق الرأس، تهابه الناس وتخشاه، وأصبح اسمه وشكله مرادفان للشر والسمعة السيئة، وعندما لم يعره الحاج محمد الأفندي أي أهتمام همّ الآغا بانتزاع سيف الأفندي فنظر اليه الأفندي نظرة تجهم وامتعاض وغضب ولم يدخر وسعًا فعاجله بضربة من مقبض سيفه كادت أن تقطع أنفاسه، وسقط أرضًا بكل ضخامته وسطوته كأنه فيل من فيلة أبرهة الحبشي دخل الأفندي على الوالي وكان يجيد اللغة التركية بطلاقة، فاستقبله استقبالًا يليق بمقامه وقبل أن يجلس إليه طلب الحاج محمد من الوالي أن يأتي بأُناس يتحلوا بالرصانة واللياقة والأخلاق، وأن يكونوا أهلًا لتمثيل هذا المكان، فوعده الوالي خيرًا وكان له ما شاء وتوقفت أعمال الشغب والتعدي. إلا ان التطورات السياسية لاحقًا وبعد سنوات قليلة دخلت المنطقة بتداعيات وإرهاصات الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين في حزيران من عام ١٩١٦م، و تداعيات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، وصولًا إلى إدخال المنطقة بتقاسم النفوذ الفرنسي البريطاني ووو ولاينتهي حرف الواو حتى يصل إلى يومنا هذا....

هكذا تكلم أبو علي الحاج محمد أفندي :

كل نفس ذائقة الموت ولن أرخي يدي عن مقبض سيفي ولن أطوي عن مسيرتي كشحًا، ولا تستطيع صماصم القوم ردي ولا عظيم المغريات ولا شأو التحديات مهما بلغت لن تنال من عزيمتي وحميتي، وها قد عدت يا عبدالحميد، قالها الأفندي عندما تصالح مع الوالي العثماني في البدايات الأولى للقرن العشرين. كان موقفًا شجاعًا للغاية عندما جرد على الأتراك حربًا ترأس خلالها مجموعة من عشيرته ومن رجال بلدة الخيام ومن الجوار، فقاد حركة عصيان مسلحة ضد الدولة العثمانية وبطش بحملاتها العسكرية ونال منهاوأسر أفرادها وشتت شمل البعض، فكانت تزداد الشكاوي من الدرك العثماني لكثرة مافعل بهم الحاج محمد أفندي، واضطرت الدولة لإسقاط الأحكام يومئذ بعد أن طلب الوالي العثماني من الزعيم كامل بك الأسعد، ابن الزعيم خليل بك الأسعد التوسط بينه وبين الحاج محمد أفندي لم تكن المهمة سهلة فلم يرضَ أبو علي الحاج محمد في البداية بهذه الواسطة من صهره الزعيم كامل الأسعد خوفًا من غدر الوالي، حيث كان الولاة يلجأون إلى هكذا

(١) الآغا: لقب تركي، بمعنى السيد أو الآمر، والأخ الكبير، وأُطلق على ضباط الإنكشارية.

حيل للإيقاع بأخصامهم ومناوئيهم. وقد صارح الحاج محمد صهره الزعيم كامل الأسعد توجسه من هذا اللقاء مع الوالي قائلًا له: قد تكون مؤامرة ليس فقط للإيقاع بي شخصيًّا بل لإشعال فتنة بين الأسرتين، فإذا عمدوا إلى أسري فسوف يقال: بأن كامل الأسعد تآمر مع الأتراك وهذا ما لا أريده أن يحصل وتكون بداية فراق بين الأسرتين، لأن أقربائي وكثيرون هم معي الآن سوف لن يسكتوا ولن يطووا كشحًا عن هذا الأمر، فالزعيم الأسعد ما هو إلا رجل المهمات الصعبة ورجل سياسي من الطراز الأول وله مكانة و حُظْوَة خاصة ليس عند هذا الوالي بل عند السلاطين العثمانيين فقد كان يزور الآستانة مقر السلاطين العثمانيين، حاملًا بين يديه الهدايا الثمينة لقد تعهد الزعيم كامل الأسعد للحاج محمد بعد أن تعهد الوالي أمامه وحلف برأس سلطانه عبدالحميد بأنه قبل أن يعفو عن الحاج محمد يريد رؤيته لأنه لم يخفِ إعجابه به، وقال الأسعد للوالي: سوف تزداد إعجابًا به عندما تقابله، وحمل الزعيم الأسعد إلى الحاج محمد ما دار بينه وبين الوالي. حضر الحاج محمد إلى المكان المخصص للاجتماع بالوالي قادمًا على جواده وعلى وسطه سيفه وعلى كتفه بندقيته وهذا شيء غريب أن يحصل أمام الوالي العثماني وبحضرته، فترجل وهو على هذه الحال بوجود الزعيم كامل الأسعد، وأمر الوالي بإحضار مترجم فأجابه الحاج محمد بلغة تركية راقية تنم عن معرفته بها وإجادتها بشكل رائع فكان محل إعجاب الوالي ليتضح له: "من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم". وهكذا عفا عنه بعد الحرب التي شنها عليهم. ولا ندري السبب الذي حصلت من أجله هذه الأحداث، يقول البعض: بأن هذه الأحداث حصلت بعد أن اعتبر الوالي العثماني بأن دفاع ووقوف الحاج محمد عبدالله إلى جانب أهالي دير ميماس هو بمثابة إعلاء كلمة المسيحيين وتقوية شوكتهم ومناصرتهم، ومما لاشك فيه بأن الأتراك كانوا يلجأون إلى بث هذه السموم والضغائن الدينية ليحكموا ويسودوا على ظهرها، إلا أن الحاج محمد أفندي عندما ناصر أهل ديرميماس ضد بعض القلة من المسلمين الجهلة الذين يفتكون بالمسيحيين كان موقفه هذا ليس تحيزًا ولكن لمنع إشعال نار الفتنة خدمة للذين لا يرغبون لهذا المجتمع الصلاح والفلاح والنجاح، مقابل ذلك هناك فئة أخرى قليلة من المسيحيين الجهلاء تعمل بنفس الاتجاه والهدف على قاعدة من رأى منكم منكرًا فليغيره.

هذا الشبل من ذاك الأسد

الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله

كنا قد ذكرنا عن الزيارة التي قام بها جمال باشا إلى مناطق (جبل عامل) الجنوب اللبناني حين حل ضيفًا على دارة الزعيم كامل بك خليل الأسعد في الطيبة. ومما يروى بأنه حظي باستقبال كبير ومميز حيث آلاف العامليين خرجوا لاستقباله وفي حضور شخصيات المنطقة من زعماء ووجهاء وعلماء، وكان الشعراء والأدباء يتناوبون على إلقاء قصائدهم ويتبارزون أمام الزائر بأروع القصائد. خرج من بين الحضور شاب نال إعجاب الجميع لجرأته وشجاعته وتماسكه وثباته، تلوح على مُحيّاه علامات النجابة والفطانة والنباهة، متهلل الطلعة مشرق الوجه فارس الميدان طليق اللسان واضح البيان هو الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله عندما همّ عريف الحفل ليقدمه للحضور أشار إليه بأن لا يقدمه وطلب منه أن يبقى في مكانه، اعتلى المنبر المخصص لإلقاء الخطب قائلًا:

إن كنتــم لـم تعرفوني من أنا ومـا نــ	ــسبي ينبيكــم السيف عنـي والرمــح
بأني تنوخـــي الصيــد مــن تبع العلــى	كفانــي بـهــذا مفخـرة حـين أفتخـــر
ولـــي برســـول الله خيـــر قرابـــة	إذا افتخـــر الأنســاب كـان لي الربـح (*)

عندما انتهى من قراءة البيت الأول من الشعر استل سيفه أمام جمال باشا، وهذا من الأعمال النادرة والتي تنم عن جرأة وشجاعة أن يرفع السيف بحضرة الولاة أو السلاطين، فنال إعجاب الجميع وخاصة جمال باشا الذي رأى بهذا الشاب عنفوانًا وحدة كان يستأهل من جمال باشا بأن يعينه مفتيًا، فكان الحاج علي مفتيًا على المنطقة منذ ذلك التاريخ وانتقلت إلى ولده الحاج حسين ابن الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي ليكون بدوره مفتيًا.

هذا وقد أثنى الأمير شكيب أرسلان على ما رآه من فصاحة الحاج علي قائلًا: ولمحمد أفندي ولد أديب فصيح اللهجه نظير أبيه، سمعته يلقي خطابًا طويلًا في الحفل العظيم الذي اجتمع في دار كامل بيك الأسعد من آل علي الصغيركبير عشائر الشيعة في جبل عامل، ومبعوث ولاية بيروت وذلك يوم زاره جمال باشا قائد الفيلق الرابع في داره في قرية الطيبة سنة ١٩١٥ وكنت ممن دعاهم كامل بك إلى ذلك المحفل الحفيل.

(*) وما قصده المرحوم بإذنه تعالى المفتي الحاج علي قرابته برسول الله، عن طريق والدته الحاجة نور أم علي فهي من السادة آل فضل الله. هذا وما زال ضريحها في بلدة الخيام إلى يومنا هذا محط الزائرين ومقصد الناذرين لقراءة القرآن والأدعية.

كرسي الإفتاء في عهدة الشيخ الموقر
العلامة عبدالحسين العبدالله

ومن الحاج علي بن الحاج محمد أفندي إلى ولده الحاج حسين ثم إلى أن نال كرسي الإفتاء في أيامنا صاحب الفضيلة المجاهد العاملي الشيخ عبدالحسين العبدالله ولد سنة ١٩٤٢ نسأل الله تعالى أن يمن عليه بالعمر والصحة، وأبقاه الله لنا والخيام ذخرًا ومددًا وعونًا وشوكة في عيون العدو والمبغضين والحاسدين. الشيخ العبدالله إمام بلدة الخيام خطيب، كريم النفس، شجاع ذو نبل ومقدام ذو عزيمة، وقد اكتسب هذه الصفات، من أجداده. دارته الفيحاء قرب مسجد الخيام الذي بناه جده الأول المغفور له بإذنه تعالى الحاج حسن بن محمد آل عبدالله، وهي محط رحال الزائرين ومقصد المحبين وموئل المستغيثين. إذا قضى بأمر عدل لا يخاف في الله لومة لائم، لعب دورًا هامًّا وإيجابيًّا في أحداث كثيرة في الخيام والجوار، وأطفأ الكثير من الحرائق الفتنوية من سبعينيات القرن الماضي كان بالمرصاد لمن أغواهم الشيطان فعاثوا فسادًا بالأوطان وما زال بعضهم يقول زورًا وينطق بهتانًا .. قارع العلامة الشيخ العبدالله بعمته الطاهرة المحتل ومن معه حتى جاهد حق جهاد بلسانه وقلبه وماله وعياله، ما خاف يومًا من أعوان المحتلين ولا هاب أحدًا من الذين حاولوا أن يرهبوه أو يثنوا عزيمته، كان كالطود العالي صامدًا هكذا عرفته الخيام. مشيخته مفخرة الجميع إذا اعتلى المنبر تلا أروع الكلام وملك ناصية البلاغة. فهو القطب من الرحى للمنطقة.كان وما زال بيضة القبان وإبرة الميزان التي تحفظ التوازن في المجتمع الخيامي ومجتمعات الجوار، وهو قاطع دابر الشر ومستأصل الفتن.إن نقاوة نفسه وجمالها وصفاته الإيمانية والأخلاقية، كانت كفيلة لتؤهله لممارسة فضيلة العفو والمسامحة، ولقد رأينا العلامة العبدالله بكثير من المحطات المهمة وخاصة الزيارة الأخيرة للرئيس أمين الجميل، لدارة معالي الوزير علي حسن خليل في بلدة الخيام في الشهر الأخير من العام المنصرم٢٠١٤. كان في طليعة المستقبلين ونالت كلمته إعجاب الحاضرين. اللهم احفظ لنا شيخنا قرة أعيننا وحبيبنا أطال الله بقاءه وسدد الله خطاه، ولا نقول له إلا كما قال الشاعر:

عليك سلامُ الله يا خير مَنْ علا ... على منبر قد حفَّ أعلامه النصر
وأفضلَ أهل الأرض شرقًا ومغربًا ... ومَن جَدُّه من أجله نزل القَطْرُ
لقد شنَّفَتْ أسماعَنا منك خُطْبَةٌ ... وموعظةٌ فصل يلين لها الصخر
ملأتَ بها كل القلوب مهابة ... فقد رجفت من خوف تخويفها مصر
فللّه عصرٌ أنت فيه إمامُنا ... ولله دينٌ أنت فيه لنا الصدر

وفد برئاسة الحاج محمد أفندي عبدالله
في لقاء دير ميماس يسبق مؤتمر وادي الحجير

إن وجهاء وزعماء آل عبدالله لا يتركون مناسبة، ولا تفوتهم فرصة ولا يألون جهدًا في خدمة بلدهم وأهلهم ووطنهم، وهم خير عون وسند في سلوك أي سبيل مهما كانت المخاطر وحجم التحديات التي تواجههم، فهم على استعداد لبذل الغالي والنفيس. سبق اجتماع دير ميماس اجتماع في الطيبة الذي حضره لفيف من علماء جبل عامل ووجهائه. تدارسوا فيه أحوال مناطقهم والفوضى والتعديات التي تجتاح مناطق جبل عامل (الجنوب اللبناني). وكانت الاجتماعات تمهيدًا لمؤتمر عام وادي الحجير، ترأس وفد الخيام إلى دير ميماس الحاج محمد أفندي عبدالله وإلى جانبه ابن أخيه الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن أفندي عبدالله وبعض الوجوه، بعد دعوة وجهت إليه كان ذلك في ١٥ نيسان عام ١٩٢٠م. كان عن الجانب العاملي كامل بك الأسعد ووفد من النبطية منهم: فضل الفضل وأخوه محمود الفضل ويوسف بك الزين، وعن الجانب الفرنسي متصرف لواء صيدا شاربنتية وحاكم الجديدة الافرنسي لتدارس شؤون المنطقة، والوقوف على ما اتفق عليه في اجتماع الطيبة، إلا أن متصرف صيدا الفرنسي رفض بعض مطالب الحاضرين[١].

آل عبدالله يشاركون في مؤتمر وادي الحجير
الحاج محمد ابن الحاج حسن عبدالله مترئسًا وفد الخيام والجوار
قرارات المؤتمر لم تعجب المحتل الفرنسي - تفرّق الشمل وسقطت الثورة العربية..

يا حيا الله هؤلاء الرجال، رجال جبل عامل، صانعي المعجزات والثبات، الثبات يوم الْمُلِمَّاتِ، ما إن يسمعوا بثورة عربية وطنية وإسلامية إلا ولبوا النداء وناصروها وأيدوها وكانوا في طليعة صفوفها، طائعين راغبين خير عون وسند يتقدمون الصفوف بقلب ملهوف، غيرتهم أسمى من أن ترخص وتلين دفاعًا عن مناطقهم وأهلهم وناسهم. إنها أولى أولوياتهم وكل شؤونهم وعناوين صفحات كتبهم، فهؤلاء من طينة جبلت بنفحات ملائكية فإذا رفعت النصال تمزيقًا وتقسيمًا بالوطن واجهوا بالصدور المليئة بالإيمان رافضين أن تمزق وحدة وطنهم إلى أوطان، وتجزئته إلى وحدات طائفية متنازعة متقاتلة تتقاسمها عوامل السياسة اللعينة.

---

(١) "مطالب جبل عامل"، تأليف الدكتور علي عبد المنعم شعيب، صفحة ٧٥، وقد ورد خطأ في كتاب شعيب في الصفحة ٧٥، بأن الذي حضر اجتماع دير ميماس حسن عبدالله والصحيح هو الحاج محمد عبدالله ابن الحاج حسن عبدالله.

في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠م عُقد مؤتمر وادي الحجير(*) بأكثر من ٦٠٠ شخصية عاملية. حضر المؤتمر من رجال دين وزعماء ووجهاء وقواد الثورة العاملية كالشيخ صادق الحمزة ونحو خمسين من رجالاتهم، جاء زعيم جبل عامل كامل بك الأسعد وبوصوله انعقد المؤتمر. واندفع العلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين يتكلم ويشرح الأحداث الأليمة التي تتصاعد وتيرتها في أكثر مناطق جبل عامل (الجنوب اللبناني)[1]. ظهر في المؤتمر تجانس كبير في الرؤية وانصهار الشعور الوطني في بوتقة واحدة، والإحساس العربي في مقاومة المحتل يتمثل بدعم الثورة العربية الكبرى في سوريا بقيادة الملك فيصل ابن الشريف حسين، واعتبر المجتمعون أن مقاطعة جبل عامل مستقلة استقلالًا إداريًّا مرتبطًا بالاتحاد السوري. أقسم المجتمعون اليمين أن يتضامنوا لحفظ الأمن والحرص على سلامة الناس والنصارى بوجه خاص(**). من أهم شخصيات الحضور من قادة الرأي العامليين الذين شاركوا في مؤتمر الحجير: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، الشيخ حسين مغنية، والسيد عبد الحسين نور الدين، الشيخ موسى قبلان، السيد جواد مرتضى، الشيخ أحمد رضا، محمد جابر آل صفا، الشيخ محمد حسين شمس الدين، كامل بك الأسعد، محمود بك

(*) وادي الحجير هو مجرى نهر موسمي من روافد نهر الليطاني، يبعد ٧ ـ ٨ كيلومتر عن بلدة النبطية إلى جهة الجنوب، جرت فيه واقعة مشهورة سنة ١٦٩٠م بين قوات من جبل لبنان وبين العامليين، كثيراً ما قال فيها الشعراء العامليون شعراً ("مذكرات للتاريخ" الشيخ أحمد رضا)..ونضيف إلى ذلك ما جاء بصحيفة "الشرق الأوسط"، يوم الأربعاء ٢١ رجب ١٤٢٧هـ، ١٦ أغسطس ٢٠٠٦، العدد ١٠١٢٣، تحوَّل وادي الحجير في القطاع الأوسط من الجنوب اللبناني إلى مقبرة لدبابات الميركافا الاسرائيلية، أثناء حرب تموز عام ٢٠٠٦م، وأفشل آخر محاولات وصول الجيش الإسرائيلي إلى نهر الليطاني. وفي الذكرى التاسعة لحرب تموز وتكريماً لقادة وزعماء وادي الحجير سنة ١٩٢٠ وعلى رأسهم العلامة عبد الحسين شرف الدين عقد المحتفون بهذه الذكرى تجمعاً خطابياً أشاد خلاله السيد حسن نصر الله بشجاعة العلامة شرف الدين واعتبر قرارات مؤتمر وادي الحجير علامة مضيئة ونهجاً وطريقاً للعمل المقاوم.

(١) "مذكرات للتاريخ"، الشيخ أحمد رضا، صفحة ١١٠، دار النهار.

(**) وقد رُوي بأن الحاج محمد بن الحاج حسن عبدالله التنوخي هو من أصر على التشديد بالحرص على سلامة المسيحيين في وثيقة وادي الحجير، بعد أن طلب ذلك من صهره كامل خليل بك الأسعد، كما كان إصرار الحاج محمد أفندي سابقًا أي قبل أكثر من خمس وعشرين عاماً على مؤتمر الحجير بالتحديد عام ١٨٩٤م. ما عُرف آنذاك بوثيقة الحاصباني الذي طالب بأن تشمل وثيقة الصلح الطائفة المسيحية. راجع صفحة (كذا وكذا من هذا الكتاب). وعندما سألنا بعض كبار السن، من أسرة آل عبدالله عن هذا التعاطف الذي كان المرحوم الحاج محمد يخص به المسيحيين. قيل: عمل بسيرة والده الذي حمى المسيحيين في الخيام وقد توفي والده عام ١٩٠٤ بعد أن عاش مئة وأربعة عشرة سنة. وقد انبرى آخر من الحضور وقال: بأن الحاج محمد كان قلبه متعلقًا بفتاة من الطائفة المسيحية. قلنا لهم: يا ليت كل اللبنانيين مثل الحاج محمد تتعلق قلوبهم ببعضهم حتى يعم لبنان السلام.

الأسعد، عبداللطيف بك الأسعد،محمود الفضل، الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله الذي كان يرأس وفد الخيام وإلى جانبه ابن أخيه الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم عبدالله، الحاج اسماعيل الخليل، والحاج محمد سعيد بزي وغيرهم من وجهاء جبل عامل(١).

اعتبر المحتل الفرنسي قرارات المؤتمر بأنها قرارات استفزازية المراد منها تأليب أهالي جبل عامل على قواته، ففي الواحد والعشرين من أيار سنة ١٩٢٠ جرد حملة قوامها أربعة الآف جندي بقيادة الكولونيل نيجر أحرقت الأخضر واليابس، حملة لم تشهد مثلها مناطق جبل عامل من قبل، كانت على ما يبدو مقدمة لإسقاط حكم الملك فيصل في دمشق. تفرق قادة جبل عامل وتفرق بالأمس من كان يجاور أخاه في ديرمياس والحجير وغيرها من المناطق، بين مختفٍ ومطارد ومنفي حتى سقطت الثورة العربية في دمشق، بعد مقتل يوسف العظمة ـ وزير الحربية ـ إثر معركة ميسلون في ٢٧تموز ١٩٢٠م. فكانت ردة فعل المحتل الفرنسي على قرارات المؤتمر ردًّا عنيفًا وقاسيًا، وحرك الكثير من عملائه وأبواقه الإعلامية والصحف التابعة له بتشويه قرارات المؤتمر واعتبارها تحريضًا على العنف، وشارك بهذه الحملة آلاف الجنود وكثير من الآليات العسكرية التي قضت على الأخضر واليابس في أيار عام ١٩٢٠م.

الحاج محمد أفندي إلى سوريا للتهنئة بتتويج الملك:

ومما رُوي بأن الحاج محمد كان ضمن الوفد الذي ذهب إلى سوريا، برئاسة الشيخ الجليل والعالم القدير والمرجع الكبير الشيخ عبد الحسين إبراهيم صادق عن منطقة الخيام والجوار، لتهنئة ومبايعة الملك فيصل ملكًا على سوريا، وكان كلما وصل وفدٌ كان يستقبل بالحفاوة والتكريم ويعرّف عنه ومن أين وجهته من قبل المُضِيفين والمنظمين ثم يوجه كل وفد إلى أحد الخيام المخصصة للاستقبال. هرج ومرج جموع غفيرة والخيم مكتظة بالزائرين والمحتفين بهذه المناسبة. ترجل الحاج محمد نحو المكان المخصّص وإذ بحبل يعترض واجهة الخيمة أو باب الدخول إليها يتوجب على الداخل اليها أن يحني رأسه ويثني جسده قليلًا قبل أن يهم بالدخول إليها، إلا أن الحاج محمد أفندي العبدالله رفض الانحناء واستل سيفه وقطع الحبل ودخل وهو منتصب القامة، وكاد هذا العمل أن يتحول إلى إشكال لولا حكمة بعض الرجال المشاركين الذين عرَّفوا عن شخصية هذا الرجل وما يمثله

(١) "مطالب جبل عامل"، تأليف الدكتور علي عبد المنعم شعيب، صفحة ٧٣ ـ ٧٧، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

من مرجعية سياسية في منطقة جبل عامل. حين هَرَجَ القومُ وكادوا أن يقعوا في فتنةٍ وتقاتُل، بعد أن سقط جانب من الخيمة على الجالسين وانبرى أحدهم مازحًا ليشرح بأن هذا الحبل ليس المقصود منه إجبار الزائرين على الانحناء بل المقصود منه هو عدم انحناء الخيمة وإطباقها على جالسيها. وسوي الأمر وكأن شيئًا لم يكن.

فصاحة الزعيم الشاعر الحاج محمد أفندي عبدالله :

إنهم فقط الكبار الذين يجانسون بين شخصية القائد والزعيم وبين شخصية الشاعر الحكيم. من يطلع على دقائق أفكارهم لا يستهجن رقائق أفكارهم ومنثور كلامهم وما درج بين العوام.

أرادها الأفندي كما شاء فهي محسنات بديعية وألفاظ زخرفية، أظهر طيب مشاعره وعواطفه وقوة بديهيته، فكانت هذه المحسنات رائعة وروعتها ما جاء في قليلها، ومؤدية المعنى الذي كان يقصده الزعيم الشاعر. رحم الله شيخ الأدب الشعبي أبو علي سلام الراسي الذي زوَّدنا ببعض القليل مما ذهبت بكثيره رياح التاريخ العاتية وتحت عنوان تشابه الأشياء يقول:

كان الحاج محمد العبدالله زعيماً وشاعراً، قيل أنه مرَّ على فتاة تخبز الخبز المرقوق وقالت له : بارك يا حاج وعرضت عليه رغيفاً، فقال:

رَقَّ الرغيف ورقَّت الحسناء أفهكذا تتشابهُ الأشياءُ

وسأل الفتاة عن اسمها فقالت: اسمي رقية. فقال:

رَقَّت رقية وهو رَقّ وهكذا تتشابهُ الأشياء والأسماءُ[(١)]

أب مكلوم يحط رحاله بدارة الحاج محمد أفندي بعد مسيرة أيام :

بنظرة على الأوضاع السياسية في نهاية القرن التاسع عشر في بلاد الشام، نجد بأنها كانت تحت الضغط العسكري المباشر وذلك لوقوع مناطقها تحت النفوذ العثماني، وكان خروج الدولة العثمانية من حربها مع الروس مهزومة قد قلص من نفوذها في مناطق الصراع، فأضحت مناطق جبل عامل تعيش شبه أحكام عرفية. الداخل مفقود والخارج مولود فكانت القلوب تخفق خوفاً والألسن تلهج بالدعاء: اللّهم أخرجنا من محنتنا كما أخرجت يونس من بطن الحوت .. اللّهم فرحنا كما فرحت زكريا بيحيى ... وأخرجنا من حلق الضيق.. اللّهم بشرنا بالخيركما بشرت يعقوب بيوسف...

(١) كتاب "ثمانون العمر الذائب"، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، تأليف سلام الراسي، مؤسسة نوفل، صفحة ١٨٠.

اللّهم أرسل لنا رجلًا صالحًا يأخذ بيدنا ويعيننا على أمرنا هذا يا الله.. استجاب الله دعاء أب مكلوم ساقه قدره ليلتقي بالحاج محمد أفندي عبدالله في الخيام .

غيوم سوداء أحاطت هذا الكون الصغير، منظر يبعث على اليأس والتشاؤم، غابت الشمس وساد الهمس واقترب موعد الرمس ولم يعد اليوم شبيه الأمس .صرخ أحد العساكر العثمانيين برجل فر أمامهم، فقال أحد المارة: الله يريحنا منكم، وقال الآخر في جواره : إن أنكر الأصوات لصوت هذا الحمار التركي، وأخذت الدورية الراجلة تطلق النار في الهواء وتجري بسرعة ناحية بستان لاذ إليه الرجل الهارب. كان يترأس الدورية رجل قبيح الوجه لحيته طويلة، كأن الجرب باعد شعر وجهه بعضه عن بعض، صاحب أنف معقوف كمقبض المظلة، اختلط شعرِ شاربيه مع شعر أنفه فأضحى نبتة بلان توارى خلفها لحم وجهه، بهلول كثير الضحك وكأنه استعار أسنان دابة. ثرثار كَأن بعَيْنيه حَوَلٌ تَنْظُرَانِ فِي اتِّجَاهَيْنِ فِي آنٍ وَاحِد كأنه لم يغتسل منذ أن ولدته أمه ينتظر غسل الموت، وكم من إنسان تمنى موته فازداد عدد المتمنين واحد قد ألقي القبض عليه للتو حين كان يقصد مناطق فلسطين نواحي حيفا. لم يجِد نفعًا ما دثر نفسه فيه من قش وأوراق شجر لعل وعسى تدفع عنه عيون هذا الأحول فأصاب حوله ووقع المسكين في قبضة من لا يرحم أصدر ضحكات مليئة بالسخرية ومن كبائر سفاهته كان ينهي ضحكته بأن يدلي بلسانه خارج فمه أشبه بجسد خفاش تدلى من فجوة حائط، كانت العامة تعرفه باسم (البِسفهسلي)(١) ما الذي كان يفعله هذا الكائن شبيه البشر؟ كان عندما يلقي القبض على شخص يهم بقضم كتفه الأيسر حتى يصرخ من شدة الوجع، ولا يستطيع أحد التخلص من بين فكيه إلا عندما يفرغ شحنة غيظه في كتف ضحيته بعد أن ألقي القبض عليه. سيق إلى مقر الحاكم وكانت تهمته تهريب السلاح، تهمة تقوده إلى حبل المشنقة ..هذا الرجل من جبل العرب من مدينة السويداء كان ينقل سلاحًا إلى داخل فلسطين هذا كل ما روي حول هذا الرجل.

المحطة الأولى كانت في حاصبيا :

كانت سبل العيش مجهدِّة يزيدها الغلاء تأججاً ويصلى بحرارته البشر، فكان الناس يهيمون في أرجاء المعمورة بحثًا عن قوت عيالهم. كان الرجل يخرج من داره وخلفه أهله وأقرانه وعشيرته

---

(١) واللفظ الصحيح هو (الاسفهسلار): لقب مركب من كلمتين (أسفه) وهي فارسية بمعنى المقدَّم و(سلار) كلمة تركية وتعني الجند ـ العسكر والمعنى العام للكلمة : مقدَّم الجند.

الأقربون، يغيب الأيام بلياليها يصارع الأهوال والوحوش من أجل حفنة قروش أو يَرْجِعُ بخُفَّيْ حُنَيْن. كرت الأيام ولحقت بها الأشهر ليعلم أهـل الرجل وهو من أسرة نوفل بأنـه معتقـل لدى العسكر العثماني و يوجد في بلدة من بلدات جبل عامل تدعى كفركلا. قلوب أهله مصابة بسهام الحزن والأسى على فراقه واختفائه. خبر معرفة مكانه جدد في النفس الأمل لكن لم يبدد الخوف، ولم تزل شحابة رسمها طول غياب في غياهب السجن، ولم يصلح حال قلب مكسور في صدر تكاد شرايينه تتقطع وأنفاسه تزهق، يا أيتها النفس .. آه..آه كم أنت عزيزة على أهلها وفلذات الأكباد بين فكي الموت تنتظر ساعتها ..قرر الأب المكلوم بولده الخروج باحثًا عنه فتوجه على صهوة جواده ناحية قرى جبل عامل. كان جيش الليل ينهار أمام طلائع النهار، والشمس تتأنق في خدرها استعدادًا للخروج، كان يؤخر طلعتها البهية عنفوان.

رواسي حرمون كأن رؤوس قممها أكف تستند إليها قبب السماء وخرير الماء ووقع حوافر جواده يخرقان سكون البطحاء والوديان. كان الرجل السويدائي وهو من آل نوفل تحدثه نفسه ويتمتم بفمه الذي لم تَعْلُهُ ابتسامة منذ اختفاء ولده بكلمات تعلمه سرائر الروح، فقرر أن يعرج خلال رحله البحث عن ولده على حاصبيا، وهي بلدة من بلاد وادي التيم، وحل ضيفًا عزيزًا كريمًا على أحد وجهاء حاصبيا[١] من آل قيس فأكرمه ونعّمهُ وأحسن ضيافته ووفادته، وقص عليه الرجل حكايته وأخذ يحادثه ويشرح معاناته ويصب الكلام صبًّا تعلوه حشرجة، غمس المتحدث يده بجرن ماء كان إلى جانبه وأخذ بأطراف أصابعه يبلل شفتيه اليابستين، لكن كيف يبللِ قلبه ويرطب يباسه ويخمد زفرة حرارة صدره الذي تحول إلى مرجل؟ كان الرجل من آل قيس يصغي إليه ويتصفّح وجهه ويفكر مليًّا ثم نطق قائلًا: اسمع أخي، لقد حللت أهلًا ووطئت سهلًا، وليعلم الله كم أنا مسرور بهذه الزيارة وهذ اللقاء، وحق علينا إكرام وفادتك. واستطرد وجيه آل قيس: ألا أدلك على من يعيد ولدك إليك؟ هناك رجل قادر على ذلك، ولكن إذا اعتذر لك فاعلم أنه لايستطيع أحد في هذه المعمورة أن يعيد ولدك إليك حيًّا، ساعتئذٍ تأخذه جثة، والله على كل شيء قدير ما هذا الذي يسمعه؟ ارتسمت على وجهه علامات الأمل واليأس، وسكت كأن على رأسه الطير يريد أن يعلم من هو هذا الرجل القادر على أن يخلص ولده من حبل المشنقة، فقال بصوت خافت: أرشدني أرشدك الله فقال القيسي فما عليك إلا أن تسرج جوادك إلى بلدة الخيام غداً، واسأل عن الحاج محمد

(١) حاصبيا : وهي مركز قضاء حاصبيا وكذلك مركز مقاطعة وادي التيم.

أفندي عبدالله، سوف تجد الكثير من أبناء البلدة يرشدونك إليه فهو وجيههم وزعيمهم فأوِ إلى فراشك وإن غدًا لناظره قريب.

إلى الخيام وإلى زعيمها الحاج محمد أفندي عبدالله:

أوى الرجل المكلوم إلى فراشه فغادر جفنيه الوسن، وتركه يتقلب على فراش اليأس والأمل والفرح والحزن دون أن تكتحل عيناه بنوم، وقد ظل حتى الهزيع الأخيرمن الليل يقطع الغرفة جيئة وذهابًا كان ينتظر الفجر بعد ليالٍ عشر، فإذا بالخيط الأبيض قلادة نور على صدر الفضاء يطارد الخيط الأسود الذي طال إطباقه على رجل يبحث عن فلذة كبده وقبل بزوغ الشمس أسرج فرسه واعتلى صهوته فكانت الخيام قبلته، فوصل إلى تل شمال بلدة الخيام يشرف على سهلها الخصب لتكشف خيوط الشمس الذهبية سحر تلألؤ ينابيعه العذبة التي تملأ السهل، فيزداد البريق فوق أكف أوراق الحور فكان حفيفها كرنين أجراس تبعث على البشرى والتفاؤل، حيث روابي الخير والعزة والطهر مضاجع ومقرٌّ للنبي يعقوب عليه السلام ولأهله، يرتحل إلى الخيام صيفًا[1] لجمال طبيعتها وبرودة طقسها، وهي امتداد لقرى جبال الجليل. أحس وهو يقترب من دار الحاج محمد أفندي بتثاقل وصعوبة في خطواته حيث خفقان قلبه كاد أن يشقق أضلعه، فكان الخوف لا يفارق تفكيره عندما كان يخطر بباله لو فشلت مهمته ولم يستطع العودة سالمًا بولده. استقبل في دارة الحاج محمد عبدالله ودخل مجلس الضيوف، وكان هناك من يقوم بالخدمة والاعتناء بالغرباء القادمين من اماكن بعيدة وكان قد أرسل نظرَه وأجال طرفَه في المجلس الفسيح والمعد لاستقبال الزوار، ولفتت نظره صورة توسطت حائط القبلة، وكان في الصورة مجموعة من الرجال تحيط برجل يبدو جليل القدر وجيهًا ذا رفعة ومنزلة، فاقترب من الصورة وأحصاهم فإذا هم أربعة عشر ولدًا فعلم من الصورة بأنها تعود إلى والد الحاج محمد أفندي وأولاده. وما كاد يلتفت ليعاود الجلوس إذا بالحاج

(١) ومما يروى بأن تسمية الخيام تعود إلى النبي يعقوب عليه السلام عندما كان يقيم فيها صيفاً، فسُميت (خيام يعقوب). وفي دراسة مقتضبة ومهمة للأستاذ حسن علي عبدالله ابن المربي القدير الأستاذ علي حسين خليل العبدالله يقول في هذه الدراسة في الصفحة الثانية: أن الخيام هي خيام يعقوب سكنها مع عشيرته وأولاده الإثني عشر، ومنهم يوسف الذي ألقاه أخوته في (الجب)، والجب نبع محصور يعرف اليوم (عين الدوير) الواقعة في الجهة الغربية من مرج الخيام. ومما جاء في كتاب "المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب اللبناني" للدكتور يوسف الحوراني صفحة ٥٣، بأن تسمية الخيام تعود إلى أحد ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد، واسم هذا الملك الهكسوسي الكبير هو (خيان) فأصبحت فيا بعد تسمى الخيام.

محمد يدخل المجلس بلباسه العربي وفوق رأسه طربوش أحمر متقلّدًا سيفه، فأسرع الرجل نحوه وسلّم عليه وانحنى بجسده أمامه مصافحًا إياه بكلتا يديه. وقبل أن يجلس الرجل استأذن الحاج محمد بأن يقول فيه شعرًا بعد أن رأى الرجل الضيف من عظيم هيبته ووقاره وحظوته، الذي لو رأته سباع الوغى وليوث الجبال الكواسر لفرت مذعورة ولاذت في جحورها، فتلألأ وجه الضيف وعلم بأن لهيبته سطوة كبيرة يخر لها الجبابرة ساجدين، حدثته نفسه بأنه أمام صاحب عظمة تلوح عليه أمارات الشرف ومخايل النبل، وهذا ما جاء بشعره:

وجه استضاء به الفضاء	فأحيا لمكروب بالنوى الرجاء
وأزل عن نفسي كل شقاء	في طيب ملقى في روضة غناء
عميدها محمد أفندي من آل	عبدالله هو تبر وما عداه هباء
من أقاصي الشام جئت	فديتك أقضِ فبيدك القضاء
لم يكن لي غيرك وقاء وأنت	من يرفع إلى الأسماع النداء
وأنت الناصر والمعين وأنت من	يقود إلى قلبي االصفاء
أنت سيد من سادة الغبراء	فيك صفات الفضل والنعماء
في دارك الضيف الذليل عزيز	وبعقوة دارك لي استجداء
فنهض محمدٌ وسيف العدل رافعا	حتى جلب للمظلوم حكما فيه إعْفَاء
فقال والده: إنّي عاد ولدي وعدت إلى	أهلي، فأفضل منك لم تلد النساء

وعندما علم الحاج محمد بأمر هذا الرجل وما حل لولده قال للرجل: لا تدع اليأس يتملك فؤادك، بل كن واثقًا بالله عز وجل، وادعُ الله أن يستجيب لطلبك، وإن شاء الله نغادر اليوم إلى بلدة كفركلا لمقابلة الوالي رشيد بك أباظه، وبعدها اطمأن الرجل عندما رأى في وجه الحاج محمد عبدالله جِدية وحزم في الأمر، استطاعت أن تذهب عنه الخوف والألم والضجر. كل يوم يزداد حب الناس إلى الحاج محمد فكان لا يتوانى عن قطع المسافات والمسافات في القَر والحر، ويخوض البحار ويصعد الجبال على حصانه المطهم في خدمة الناس ومصالحهم وكأنه ولد فقط ليسير على درب الأنبياء والرسل والصالحين، لقد ولد حرًّا أبيًّا وعاش مكافحًا و مناضلًا ومناصرًا لا يرى في المجد سوى مرتبة واحدة مرتبة الأحرار، وما الظلم بالنسبة له سوى رجل ضعيف الإرادة والشخصية

انعدمت لديه سبل الحرية فسلك طريق الخبث والرياء والدهاء. فكان سيفه الصقيل حربًا ونارًا في وجه الطغاة وسنابك خيله تدخل الرعب في قلوب الطامعين....ما إن وصل إلى مقر الوالي العثماني ليجد الوالي في ساحة السرايا وحوله الحاشية، وكان الحاج محمد يجيد اللغة التركية بطلاقة فقال للوالي: لن أنزل عن صهوة جوادي ولن أتناول القهوة معك إلا إذا وعدتني بتلبية طلبي، فكان للحاج محمد أفندي عبدالله ما شاء، وهكذا عاد الرجل إلى أهله وبصحبته ولده الذي نجا من غد كان موعده حبل المشنقة...

الحاج محمد أفندي عبدالله قائداً عسكريًّا !!!

قراءة موضوعية في حادثة الخيام(*)

اشتهر الحاج محمد عبدالله بشجاعة مطلقة، لا تقيده حدود ولا قوة وجود بين أبناء جبل عامل، فكان فارسًا مغوارًا وهو أعلى الناس همة، عزيز النفس شديد البطش والنخوة وكان حليمًا كريمًا قائدًا عسكريًّا محنكًا وشاعرًا بليغًا، ما اجتمع بباب أحد من الزعماء ما اجتمع ببابه، اشتهر بغزواته وأعماله القتالية والفروسية.

لقد أسهبت كثير من كتب التاريخ في سرد ما عرف بحادثة الخيام[١] في خريف سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٤م. بين أبناء حاصبيا والماري ووادي التيم من جهة وأبناء بلدة الخيام من جهة. إن أكثر كتب التاريخ دوّنت هذه الحادثة نقلًا عن تاريخ جبل عامل أو عن مؤلفه المؤرخ العاملي محمد جابر آل صفا، لأنه سار إلى الخيام وشهد هذه الحادثة عن قرب، وكان أحد المشاركين في كتابة الرسائل والإجابة عليها، التي كانت ترد إلى الزعيمين الحاج محمد والحاج إبراهيم آل عبدالله[٢] يقول آل صفا في تاريخ جبل عامل صفحة ٢٥٦: الخيام قرية كبيرة تقع في آخر الحدود الشرقية من جبل عامل، وفيها آل عبدالله الذين ينتسبون إلى التنوخيين، وقد لعبت أسرة آل عبدالله دوراً هاماً في

(*) قراءة في كتاب "تاريخ جبل عامل" من صفحة ٢٥٦ إلى صفحة ٢٦٥، لمؤلفه الأستاذ المؤرخ محمد جابر آل صفا الذي حضر فصول الحادثة منذ يومها الأول حتى عقد راية الصلح، وكاتب جميع محاضرها في خريف عام ١٨٩٤م.

(١) عُرفت بحادثة الخيام أو معركة الجرود، وقد وردت بكتاب "تاريخ جبل عامل" لمحمد جابر آل صفا، صفحة ٢٥٦، وكتاب "تاريخ حاصبيا" لغالب سليقة، صفحة ١١٥، وكتاب "جبل عامل في التاريخ" لمؤلفه الشيخ محمد تقي الفقيه، صفحة ٣٤٧.

(٢) الحاج محمد والحاج إبراهيم هما أولاد المغفور له بإذنه تعالى الحاج حسن أفندي عبدالله، وكان للحاج حسن أربعة عشر ولداً.

تاريخ جبل عامل في عهده الحديث، وكان لها مواقف مشرفة، ولقد كانت إدارة هذه المعركة في شقيها العسكري والسياسي بإشراف الزعيمين الحاج محمد عبدالله وأخيه الحاج إبراهيم عبدالله، حين أظهرا قدرًا عاليًا من حسن الإدارة والحكمة في التعامل مع الأزمة...

حيث أننا نستلهم الكثير من آيات الفخر والإعتزاز و القوة من خلال قراءتنا لجوانب حادثة الخيام التي أسهب جابر آل صفا في الحديث عنها.

أما ما نقله إلينّا الرواة الثقات من أبناء أسرتي وأبناء بلدتي بالتواتر أن سبب الحادثة يعود إلى شجار بين شابين من بلدة الخيام وآخرين من بلدة عين قنية، اعترضا طريق الخياميين القادمين من القنيطرة بعد أن فرغا من بيع ما لديهم من خضار، حاول الشابان من عين قنية سلب ما لديهم من مال فوقع الخلاف، وكانت نتيجته أن قتل اثنان من عين قنية وجرح آخر من الخيام، فاحتشد الفريقان كل من الآخر يبث الحماس في أقرانه وناسه، فاجتمعت الجموع وارتفعت البيارق وتعالت الحناجر بالأناشيد الحماسية والأهازيج الشعبية التي تبعث على شد العصب والحَمِيَّةِ... لقد أشرف آل عبدالله مباشرة على هذه المعركة بكل جوانبها وحيثيتها. جاء في كتاب تاريخ حاصبيا تحت عنوان حركة الجرود: بعد مقتل الشيخ علي الحجار وانتقال القسم الأكبر من سكان المطلة إلى قرية الماري، توترت الأمور كثيراً بين أهالي الخيام وأهالي الماري (أهالي المطلة سابقًا) حيث أن مقتل الشيخ الحجار كان في أرض الخيام، عندها أخذت الأحداث تتفاقم بين الطرفين[١].

يقول آل صفا: وخشي آل عبدالله أن يتفاقم الأمر بطيش الشباب، فكتبوا رسالة للسيد الرئيس يبسطون له المسألة ويسألونه النجدة واتخاذ التدابير اللازمة لانقاذ الخيام من الدمار. احتشد الرجال في قرية المارية شرقي بلدة الخيام استعدادًا لمهاجمة الخيام، وذلك قبل وصول الحشود الأخرى من قرى جبل عامل والجوار للدفاع عن بلدة الخيام.

خطة الحاج محمد أفندي العسكرية

خطة عسكرية بالغة الذكاء بإيعاز من الحاج محمد أفندي أكرم الله مثواه، حيث كان يرقب الأمور بعين ساهرة ويدٍ ماهرة، وبإشراف مباشر من شخصه الكريم، وبخطة دفاع محكمة استطاعت مجموعة من رجال الخيام الأوفياء وبمساندة من الشباب المتحمس والنساء المخلصات إلباس كل رأس صخرة (حطة وعقال) حيث يظهر الصخر عن بعد وكأنه جموع غفيرة من الرجال المقاتلين

(١) كتاب "تاريخ حاصبيا وما إليها"، تأليف الأستاذ غالب سليقة، صفحة ١١٥، المطبعة العصرية صيدا.

المتمترسين خلف الصخر، استطاعت الجموع المحتشدة شرقي الخيام والقادمة من قرية المارية أن تسرّع من قوة الحشد ونشر البيارق التي كانت تتقدم الحشد، وجاءت هذه الخطة العسكرية لتأخير التقدم من الناحية الشرقية ووقف الزحف بإتجاه الخيام . (إنني على يقين يا عماه يا أبا علي لو تسنى لنابليون وتشرف بلقائك أو عاش في عصرك لجثا أمامك وقبل يديك إعجابًا بشخصيتك العسكرية).

يقول آل صفا في تاريخه: بعد أن جمعت جموعها من قرى وادي التيم وحاصبيا عزمت هذه الجموع على مهاجمة الخيام لحرق بيوتها والفتك بأهلها.

تعليق:

حتى إذا الصبح تنفس وانبعث الضوء وهمس ليوقظ كائنات الكون من بعد دمس كان يومًا فيه الشمس قد حاكت من خيوطها طرحة بيضاء أخفت بها نور وجهها. في يوم من أيام الخريف هفت فيه النسمات الباردة، والقائد على صهوة جواده. لاح بالأفق يومًا ربيعيًا جميلًا تظهر على محيا سحابته تباشير النصر، كان يشعر مَنْ حول القائد بنشوة النصر والحماس حتى يكاد المرء أن يحلق في الفضاء الواسع، فتزيده الحماسة رغبة وعزمًا تلين لشدته جلاميد الأرض، وشجاعة بألف من الفرسان وقوة فوق العادة. يروى بأن القائد والزعيم الحاج محمد أفندي طلب من أحد الرجال أن يتسلل باتجاه الحشد القادم إلى الخيام، ليكون على مسافة قريبة منه يستطيع أن يرمي من بندقيته، فبعد أن اقترب من الحشد استطاع هذا الرامي أن يصيب حامل البيرق، فعندها دب الذعر في صفوف المهاجمين وأوقف تقدمهم، بعد أن تظاهر لهم بأن المقاتلين المتمترسين خلف الصخور الصماء أكثر عددًا منهم.

يقول آل صفا: وصل الخبر إلى النبطية في خريف سنة ١٣١٢هجري ـ ١٨٩٤ميلادي، بعد اجتماع وجهاء المدينة والجوار برئاسة السيد حسن يوسف، فقرروا إرسال مُنادٍ إلى الأسواق يدعوا لنصرة إخوانهم في الخيام، ولم تمض اثنتا عشرة ساعة حتى بلغ عدد المسلحين عشرين ألف مسلح للدفاع عن الخيام.

يُروى: بأنه بعد إصابة حامل البيرق ووقف الزحف باتجاه الخيام تلاشى الخطر، فكانت خطة الحاج محمد أفندي خطة محكمة تنم عن شخصية عسكرية بامتياز وكفاءة عالية، وإن كانت الخطة قد منعت الزحف، فإنها أوقفت فتنة بين أبناء البلد الواحد لأنه لو تسنى للزاحفين الوصول إلى

بلدة الخيام لوقعت معركة كانت تداعياتها شؤم ووبال على الجميع. أظهرت حادثة الخيام إجماعًا غير عادي وتكاتفًا قل نظيره، واسترجاع عز بعد ضعف ومن ثمرة ذلك تهيئة مناخ من التهدئة لعقد الصلح وإخراج المنطقة من أتون الصراع، هذا هو موقف زعماء آل عبدالله منذ اللحظة الأولى للخلاف، ولكن دون التنازل أو إظهار موقف ضعف.

اختراع يرعب المهاجمين ويقلق جيش العثمانيين :

يقاس عمر الشعوب بالعطاءات مهما كانت لأنها ترقى بالإنسان، وهي نتاج جهد فكري وعقلي وعلم له أصوله وقواعده، فإذا كان الضرب في الأرض يخرج ماءً عذباً فإن الأحداث التي تضرب البلاد وتعصف بقدسية الإنسان التي تمثل أرفع وأنبل شيء لديه: أسرته وأهله وناسه وبيئته التي يعيش فيها، فإنها تولد في النفوس الحماسة وتشحذ الهمم للدفاع عن النفس والعرض، وإذا كانت الحاجة أم الاختراع فقد كان لإرهاصات حادثة الخيام آنفة الذكر دويًّا هائلًا ووقعًا خطيرًا في النفوس، ولكل مضمار فوارسه ولكل غِيل ليوثه وللشَّرَى أسوده، صراع إذا نُكّست يومًا فيه الراية طحنت مجاميعه وفُرق شملها وزاد همها، فالصولات لها رجالها وشجعانها والجولات تنبي بأن "ألف قلبة ولا غلبة" سجى الليل إلا أن النفوس متلألئة تسن الرماح إلى يوم البطاح، فلا عزيمة اندثرت ولا تدثرت متوثبة تلهج النزال وتطرب إلى قعقعة السيوف، ورؤية الضيوف في غد سيق إليه الشأن المدخر. هذا وروي بأن أحد انجال الحاج حسن عبدالله نجله علي أو أحمد توصل إلى اختراع مدفع أشبه بالمنجنيق، ويقال بأنه لم يصنع في وقت الأزمة إلا أنه كان يحتفظ به منذ فترة وهو عبارة عن ذراع طويل متحرك في نهايته ما يشبه الجرن مثبت على عمودين يربط أعلى الذراع حبل لجهة القاذف وله محور في الوسط يشد الحبل من قبل ثلاثة رجال، فتنطلق من جرنه قذيفة حارقة كانت تصنع من رزمة من القصب، تغلق من الخلف بعد أن تعبأ بمواد حارقة ويوضع في أسها حجر مدبب يساعد على انطلاق القذيفة إلى مسافة بعيدة كان وزن القذيفة ٩ أرطال، وهو شبه بسلاح المدفعية الحديثة كان للقذيفة الأولى وقعٌ أثار الكثير من الخوف والهلع في صفوف محتشدين عندما كانت تسقط القذيفة تتدحرج ككتلة ملتهبة، أما القذيفة الثانية فقد تسببت حريق في أحد الكروم وكان كلما تنطلق قذيفة كانت تتعالى الصيحات بالفرح ونشوة النصر، فإذا حد الخيالة من بلدة كفركلا وآخرين من بلدة الطيبة يخبرون الجموع بأن هناك بضع خيالة من يش التركي يتهيّأون لاقتحام موقع المدفعية، فإذا هم على هذه الحالة يتدارسون ما المراد فعله قبل

وصول الخيالة، كانت المجموعة تستعد لرمي القذيفة فإذا بالحبل ينقطع من محور إرتكازه فتسقط القذيفة بالقرب منهم، تسبب لبعضهم حروق، يتركون المكان ويتوجهون إلى أقصى شمال البلدة ويرجح أن تكون ما يعرف حاليًّا منطقة الجلاحية لمعالجة جرحاهم، ويصل العسكر التركي ويحطم هيكل المدفع ويجعل مكانه أثرًا بعد عين وقَاعًا صَفْصَفًا ومن خشبه حطبًا لأثافيهم.

تعليق :

رغم أن الحديث آنف الذكر أشبه بالأحاديث المرسلة خلاف المتواتر، إلا أننا نستنتج بأن الناس كم كانت متعلقه بأرضها، وكم انها متحمسه للدفاع عنها، وكم هي مستعدة لبذل الغالي والنفيس من أجلها، وبالوقت نفسه كم لاقت تلك المواهب والإبداعات من العثرات، وكم زهقت أرواح بسبب عقولها النيرة وعطاءاتها الفكرية على يد العثمانيين من جزارهم إلى باشهم، فإذا كان الرئيس التركي الحالي أردوغان يدافع عن أجداده السفاحين ويبعد عنهم تهم إبادة الأرمن فهذا هو ديدنهم وأفعالهم، فإذا كان نجل الحاج حسن عبدالله بعمل كهذا أرعبهم وأخافهم نقول لو تسنى لهذه العقول أن تجد بيئة حاضنة لمواهبها وانتاجاتها الفكرية وصناعاتها البدائية التي مضى عليها أكثر من مئة وعشرين سنة لكان اليوم آل عبدالله تفوقوا بصناعاتهم الصاروخية على روسيا، ولتجاوزوا صناعاتها ووصلوا إلى امتلاك صاروخ أس أس ٦٠٠ بدل صاروخ أس أس ٣٠٠. رحم الله أجدادنا، مضوا ومضت معهم تلك الإبداعات.

أمراء وادي التيم يتوسطون عند آل عبدالله لحل الخلاف..

يقول آل صفا: أوفد الأمير سعيد الشهابي كبير أمراء الشهابيين في حاصبيا ووادي التيم أميرين من أبناء عمه، وهما الأمير علي والأمير مسعود، في رسالة لآل عبدالله يعرض توسطه لحسم الخلاف وعقد راية الصلح. وتوالت الرسائل والمخابرات بين آل عبدالله والشيخ حمد قيس شيخ طائفة الموحدين الدروز في حاصبيا وجوارها، وكانت رسائل الشيخ حمد قيس تنطوي على رغبة صادقة لإنهاء المشاكل وحقن الدماء، وتدل على حنكة وعقل راجح عرف بهما. كما وأن رسائل آل عبدالله تدل على مهارة وحذق يشوبها شيء من القوة.

مبعوث جلالة السلطان عبدالحميد في بيت الحاج ابراهيم العبدالله مستنجدًا..!!
مقدرة آل عبدالله على التعبئة العسكرية سببت رعبًا!

استطاع زعماء آل عبدالله أن يستعملوا نفوذهم وسلطانهم وعلاقاتهم القوية مع وجهاء وعلماء ومشايخ وزعماء جبل عامل، فكانت حادثة الخيام امتحانًا لمقدرتهم التي طالما تغنوا بها، فجاءت نتائجها مبهرة فاقت كل التوقعات، حيث تجاوز الحشد العسكري قرابة العشرين ألف مقاتل تم حشدهم خلال فترة وجيزة. يقول آل صفا في صفحة ٢٥٦: ضعفت صولة الطائفة في جبل عامل بعد أن خسروا استقلالهم الذاتي مع انفراط عقد الحكومة الوطنية، ورسخت قدم الدولة وسارت في سبيل الشدة والبطش وإضعاف الروح القومية.

جاءت حادثة الخيام وما تبعها من مواقف برهاناً ناصعاً على الحماس القومي والنجدة والبسالة التي لم تنطفىء جذوتها ولم تفقد روعتها من أبناء الطائفة.فكان هذا الموقف بمثابة الصدمة للحكومة العثمانية. فمن الموقف المتفرج لسلطاتها وسياستها القائمة على مبدأ فرق تسد وتأليب الطوائف بعضها ضد بعض وتفريق كلمتهم وإغراء إحداهما بالأخرى، فسارعت بإرسال أحد قادتها البينباشي مصطفى بك الكردي الدمشقي، وصل القائد في الليل وعقد مجلساً مؤلفاً من الزعماء والأعيان في منزل الحاج إبراهيم العبدالله مستنجدًا طالبًا العون والمساعدة، خطاب ينم عن ضعف قائلاً: أرجوكم باسم دولة والي بيروت فقد أمرني أن أبلغ سلامه لأعيان الطائفة ، وأن أرجوكم باسمه وأنا رجل منكم ولكم من أبناء عشائر الأكراد في صالحية الشام أن تساعدوني، وأنتم المعروفون بصدق التابعية للسلطنة العثمانية على حسم هذا الخلاف، وأن الدولة في موقف حرج وقد تألبت عليها الدول لعرقلة أعمالها بحجة حماية الأرمن فلا تزيدوا مشاكلها تعقيدًا.. فحثهم على المصالحة مع الجوار. فعلّق المفكر الشيخ علي الحر العاملي مجيبًا باسم الطائفة، مؤكدًا إخلاص الطائفة للعرش العثماني وحقن الدماء ووأد الفتنة...

الزعيم خليل بك الأسعد أنا جدًّا مسرور :

يقول آل صفا في صفحة ٢٦١: وضع زعيم البلاد الكبير خليل بك الأسعد في جو نتائج الاجتماعات التي دارت في بيت الحاج إبراهيم العبدالله، فقام من دار الطيبة ليلاً إلى سهل كفركلا الواقع بين الخيام والطيبة بصحبة أنجاله وبعض خواصه، وعقد الاجتماع في منتصف الليل تحت أشجار الزيتون، واطلع على جميع الرسائل والمخابرات بين الأمراء الشهابيين ومشايخ الموحدين

الدروز وآل عبدالله وملخص مطالب القائد مصطفى بك، قال الزعيم خليل بك: إنني جدًّا مسرور من هذه النهضة التي قامت بها الطائفة، فظهرت بمظهر التضامن والاتحاد فرفعت اسمها عاليًا وأروم اتخاذ الحكمة ومنع الاعتداء وقمع النزق والطيش، ولا بأس بالصلح الذي يحفظ كرامة الطائفة ويمنع إهراق الدماء قائلاً: وما عرض الصلح على قوم وأبوا إلا وخذلهم الله.. وانفض الاجتماع عند بزوغ الفجر وعاد البك إلى الطيبة مع حاشيته ورجع الزعماء إلى الخيام..

عقد راية الصلح قرب سوق الخان:

الحاج محمد أفندي عبدالله: لا تنسوا المسيحيين.. وإلا دحرجت الرؤوس...

حادثة الخيام بثت الرعب في قلوب العثمانيين، واستطاعت أن تغير استراتجيتهم العسكرية والسياسية ليس على مستوى المنطقة والمحيط بل على مستوى جغرافية تواجدهم. وقد وصلت أصداء الحادثة مسامع السلاطين في الباب العالي وهو مركز الحكام العثمانيين. وخشى العثمانيون أن يستغل الحشد الذي يربو على العشرين ألف مقاتل اجتمعوا في بلدة الخيام بوقت قياسي، أن يكون خطة مدبرة تحركها يد أجنبية تؤدي إلى ثورة عامة في سوريا بسبب ما كان من توتر وصدام بين العثمانيين والأرمن فاستعجل العثمانيون الحل بعد أن وقفوا في البداية موقف المتفرج والنافخ في كور الفتنة. نجح زعماء آل عبدالله بما يملكون من علاقات قوية ومميزة مع زعماء آل الأسعد في جبل عامل وزعماء الجولان من أمراء آل الفضل في الجولان، أن يحولوا حادثة الخيام إلى قضية مركزية تستنهض وتستنفر السلاطين والحكام، وتأتي بهم إلى ديارهم في بلدة الخيام. وفي صباح اليوم التالي الذي أعقب الاجتماع الليلي بالزعيم خليل بك الأسعد حضر القائد مصطفى بك ممثل الدولة العثمانية، فأبلغه الزعماء قرارهم بقبول عقد راية الصلح، وكان مكان الاجتماع رأس نبع الحاصباني قرب سوق الخان[١]. دُعِيَ أعيان الطوائف وزعماء المنطقة. خليل بك الأسعد مثله نعيم بك الفضل وكان على رأس طائفة المسلمين الشيعة الحاج محمد أفندي عبدالله، وعلى رأس طائفة الموحدين الدروز الشيخ حمد القيس ولما بُدِيء بكتابة وثيقة الصلح نهض الحاج محمد أفندي عبدالله، وطلب باسم الطائفة أمام عشرين ألف محتشد في سوق الخان أن يقرن اسم المسيحيين مع الطائفة الشيعية في

(١) سوق الخان: سهلٌ فسيحٌ وميدانٌ واسعٌ شمال شرقي الخيام، وهو من أهم الأسواق التجارية في المنطقة. تُعرض فيه جميع أنواع المواشي والدواب، والمحاصيل الزراعية بأنواعها، وهو في المنطقة التي تتقاطع فيها مناطق العرقوب وحاصبيا مع جبل عامل قربه نهر الحاصباني.

متن الوثيقة، فاعترض أحد مشايخ حاصبيا يدعى أبو مزيد مطالبًا بتحييد المسيحيين قائلًا: لا شأن
لنصارى معنا، فأجابه الحاج محمد: نحن والمسيحيون[1] حلف واحد وهم إخواننا في السراء
والضراء ولا يكون إلا ما ذكر فقال الشيخ: أبا مزيد: لا يهمنا الأمر ولو اتفقتم مع نصارى العالم..
احتدم الحاج محمد غيظاً واستل سيفه وهزه في وجه أبي مزيد، وقال: أقسم لولا حرمة المجلس
لبترت رأسك فألقيته في الجولان (كذا)، ولكن الشيخ حمد القيس أنقذ الموقف بحكمته ولام أبا
مزيد، وصرفه وكتبت وثيقة الصلح كما طلب الحاج محمد عبدالله ووقعها الفريقان وتصافحا
انتهت الحادثة بسلام. (آل صفا صفحة ٢٦٣)[2].

إن موقف الحاج محمد من المسيحيين هي التربية المحمدية الأصيلة المستقاة من التربية التي درج عليها، وهي
ة أهل البيت سلام الله عليهم.
ينظر المسلمون الشيعة إلى إخوانهم من النصارى طبقا لفكر أهل بيت النبي وما رووه من حديث بحقهم.
ن هذه الآراء صدرت عن الإمام علي عليه السلام عندما وجه مالك الأشتر إلى مصر فقال له: اعلم يا مالك أني
تك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، فأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم،
كونن عليهم ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين (أي مسلم)، أو نظير لك في الخلق (ويقصد
راني القبطي). الجوهر المجرد صفحة ٢٢٠ .

زعماء آل عبدالله كادوا أن يتسببوا بحرب عالمية من الخيام عام ١٨٩٤م :

كان أول من افتتح الصراع في مناطقنا أو في بلاد الشام هو قابيل عندما قتل أخاه هابيل، فحلت لعنة القتل وجلبت للمنطقة الشؤم ولحق بها النحس، ورأت الكثير من البخس فاستمرت في حالة من الصراع الدائم إلى يومنا هذا، فبقيت أطراف جغرافيتها تشكو من سخونة وحرارة النزاع المتواصل، وذلك لعوامل جيوسياسية إقليمية مرتبطة إلى حد كبير بعوامل الصراع الكوني الذي ظهرت إرهاصاته في منتصف القرن التاسع عشر، في مناطق متعددة من أوروبا. كانت الإمبراطورية العثمانية بعيدة في شأوها واسعة في مأواها، تنافس الكبار عندما كانت كبيرة وتلامس الأقمار والكواكب السيارة يوم وقع عليها عظمة الاختيار، هذا قبل أن تباع قطع غيار، عندما كان هلالها لا يغيب عن سماء المعمورة. وتحديها لأوروبا بقي ببقاء قوتها التي كان لها صولات في عقر دار أوروبا مُهددة متوعدة الجميع، قبل أن تفرمها وتقطعها أوروبا بسكاكينها وسكاكين حلفائها وأصدقائها ذبح حلال وزلال. فالجيش العثماني الجرار ممتد بامتداد الجغرافيا من مناطق أوروبا إلى مناطق شرق المتوسط ساحلًا وبرًا، فامتداده أشبه بفتيل مرتبط بصواعق قابلة للتفجير، وبما أن الخيام بلدة تقع في قلب هذه المناطق الساخنة فإنها تؤثر وتتأثر في حركة الصراع شئنا ذلك أم أبينا صغيرة كانت أم كبيرة صبية أم عجوز بعيدة أو قريبة، إن كانت من العجائب السبع أو أكلها السبع، لا يهم ذلك في مد الصراع وجزره لأنه متى توفرت الأجواء وتهيأت أضلع المثلث تحدث النار ويكون الانفجار الذي يتطلب شرارة، ومتى توفرت الشرارة التي يساوي حجمها مثقال ذرة إذا ما قورنت بضخامة الانفجار تقع الكارثة. وكلنا يعلم بأن الذي استعجل الحرب العالمية الأولى هو ما قام به الطالب الصربي الذي اغتال ولي عهد النمسا (فرانز فرديناند) مع زوجته في صيف عام ١٩١٤م. السؤال الذي يطرح نفسه:هل الاغتيال هو سبب نشوب حرب عالمية راح ضحيتها ملايين من البشر؟؟. بالتأكيد ليس هو السبب ولكن هي الشرارة التي ينتظرها صناع القرار ولسنا في صدد شرح السبب لكن الأمثلة على ذلك كثيرة . وكثير من المحللين السياسين جزموا بأن العدو الصهيوني عندما أراد اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م أوعز إلى جهاز الموساد بأن يغتال السفير الإسرائيلي في العاصمة البريطانية لندن، فكان الاجتياح البربري الذي ذهب ضحيته آلاف من اللبنانيين والفلسطنيين بين قتلى وجرحى، ولكن هيهات أن يعيدوا الكرة ثانية بوجود المقاومة التي كانت موضع فخر أحرار العالم حين لقنت هذا العدو درسًا من الصعب أن ينساه وتنساه أجياله.عام ٢٠٠٠م و٢٠٠٦م، ونسأل السؤال ثانية: هل كان سبب غزو لبنان هو اغتيال السفيرالصهيوني؟

غزو عاثت فيه أسراب الطائرات وطوابير الدبابات دمارًا وقتلاً.. بالتأكيد ليس الاغتيال هو السبب ولكن الشرارة المنتظرة. ونكرر كلامنا ثانية هيهات أن تعود هذه الدبابات التي كانت بنظر العدو الصهيوني فخر صناعاتها إلا أنها تحولت في حرب ٢٠٠٦م إلى مجرد لعب صغيرة دمرت وأحرقت وديست ببساطيل المقاومين الشرفاء. وبالعودة إلى موضوعنا كانت القوات العثمانية بممارساتها لكثير من السياسات التي كانت موضع انتقاد خصومها، والتي كانت تعود عليها بمزيد من التوتر من قبل المتحالفين ضدها خاصة تعاملها مع السكان الأرمن، حيث بدأت عمليات تصفيتهم بين سنتي ١٨٩٤-١٨٩٦م. وإذا ما نظرنا إلى هذا التاريخ نجده نفس التاريخ الذي بدأت فيه أحداث الخيام ... ازدادت النقمة على العثمانيين لسلوكهم العدائي ضد الأرمن وخافوا أن تكون الخيام هي الشرارة المنتظرة لاصطفاف التحالف الكوني ضدهم، لأن في بداية حادثة الخيام اتبعت الحكومة العثمانية الحياد على قاعدة «بطيخ يكسر بعضه» ولكن حجم الحشود في بلدة الخيام أخافها وسبب لها الهلع وجعلها تصاب بلوثة عقلية..ماذا يقول محمد جابر آل صفا عندما يصف حادثة الخيام عام ١٨٩٤م يقول في صفحة ٢٥٧ «لم يمضِ على تبلغ أمر حادثة الخيام أكثر من اثنتي عشرة ساعة حتى بلغ عدد المقاتلين خمسة عشر ألفًا إلى عشرين ألف».

تعليق :

بالتأكيد هذا الحشد الهائل يبعث على الخوف، مقاتلين أشاوس شرفاء، استطاعوا قلب الطاولة على رؤوس الولاة العثمانيين. ولو كانت دولة أي دولة تملك الكثير من الإمكانيات اللوجستية وعزمت على جمع هذا العدد من جنودها لجبهة من جبهاتها لعجزت، و لما تمكنت بهذه السرعة الفائقة والوقت القياسي . يدل ذلك على مستوى شبكة العلاقات بين آل عبدالله والجوار العاملي بكل زعاماته ووجهائه وعلمائه، عكسته هذه التلبية التي وصلت إلى أعلى درجات الإخلاص والصدق، في حين أجاد زعماء آل عبدالله بمهارة عالية ومسؤولية كبيرة إدارة هذه الورقة والتعامل معها والتي كانت أشبه بتفكيك وتعطيل قنبلة من العيار الثقيل، في كل الحقب التاريخية وما تلاها كان وما زال ينظر لآل عبدالله بأن حماية البوابة الشرقية لجبل عامل تقع عليهم، ولو قدر لهذا المدخل أن يستباح لتغيّر وجه جبل عامل بل وجه المنطقة، ولم يعد على صورته هذه وتركيبته المميزة.وقد أشار محمد جابر آل صفا إلى هذه الأهمية عندما قال في صفحة ٢٥٧ «لقد لعبت أسرة آل عبدالله دورًاهامًا في تاريخ جبل عامل في عهده الحديث». لم يقل لعبت دورًا بل أكد على أهمية هذا الدور وهو المؤرخ العارف والحاضر بقلمه في ساحات جبل عامل، وهو الشخصية التي كُـلفت بكتابة الرسائل. فإننا

إذا ما قسنا ما حدث على واقعنا الحالي لتبين لنا أن الدولة التي تملك علاقات واسعة باستطاعتها أن تميل الكثير من الدول إلى جانبها إذا ما تعرضت لتهديد إن كانت هذا الدولة قوية أم ضعيفة، ولكن كيف لو كانت قوية يتغيّر المشهد كليًا فقد برهن آل عبدالله على شجاعة مميزة فأحكموا مثلثهم وطبقوه على أرض الواقع فكان العامل السياسي والعامل العلاقاتي وعامل القوة جميعها حاضرة، يقول محمد جابر آل صفا: «آل عبدالله من تولى الرد على الرسائل والمخابرات وينتقل إلى صفحة ٢٥٨ ليقول بأن آل عبدالله أظهروا مهارة وحذقًا وقوة»، فجمع بين أضلع المثلث:

- العلاقات القوية والمتينة مع المحيط.
- المهارة السياسية المميزة.
- القوة العسكرية من الخيام ومناطق جبل عامل.

قد يتساوى الناس في العطاء وقد يتساوى الناس في التعبئة للقتال، وقد يتساوى الناس في الإيمان، ولكن يقول رسول الله ﷺ أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. ويقول نابليون: كنت أختار الأشاوس من الجنود ليكونوا طلائع جيشي، أنظر إلى هذه العبارة وما تحمله من دلالات، الكل جنود والكل مدربون والكل يحمل السلاح، ليس هناك من يقاتل ببارودة (أم حبة) أو (نقيفة) وغيره يقاتل بالبازوكة، الجميع يحمل نفس السلاح، ولكن من بين هؤلاء هناك أقوياء يعتمد عليهم في الشدائد، يعتمد عليهم في حفظ الوطن، يعتمد عليهم في حفظ الدين. يقول كونفشيوس: كنت أبكي عندما كنت أنظر إلى النِجباء مْن قومي لِما فيهم من فضل و نبل وإخلاص وكرم وتضحية ووفاء، فهم من صمد فِي نظره وقوله وفعله تأمل ماذا يقول زرادشت: تحت أقدام هؤلاء الأوفياء والنبلاء نحيا إلى الأبد.

طوبى إلى أجدادي الذين هم أجداد كل الشرفاء الشرفاء، الذين يكنون كل احترام إلى كل من يعمل ويصنع مجدًا هنا ومجدًا هناك.

ما الذي أخاف العثمانيين وجعلهم يبدلون في رأيهم؟ هو هذا الموقف البطولي من آل عبدالله وأهالي جبل عامل الشرفاء، الذين لا ينامون على ضيم حتى أنهم قاموا قومة رجل واحد: إنهم جماعة مترابطة من خيار المؤمنين، ما إن وصل خبر الحشود إلى الباب العالي حتى دب الذعر والخوف في قلوب القادة العثمانيين فهجروا مضاجعهم، وتركوا مصارعهم وأرخوا عمائمهم، وشدوا محازمهم مهرولين، فما كان منهم إلا أن التجأوا إلى بيوت زعماء آل عبدالله يطلبون النجدة منهم، فصح

عليهم المثل اللبناني: (يللي في مسلة تحت باطو بتنعرو) وبما أن مسلتهم تقطر من دماء الأبرياء كان عليهم أن يحتاطوا، هكذا استطاع زعماء آل عبدالله أن يحركوا فيضان التاريخ قبل ارتفاع موجات الأحداث العالمية العاتية.

يقول محمد جابر آل صفا: صفحة ٢٦٠ «تحركت فرق من القواعد العسكرية بأمر من القائد الأعظم جلالة السلطان وكان على رأس هذه الفرق البيناباشي مصطفى بك الكردي الدمشقي».

واردف آل صفا متابعًا حلقات الحادثة قائلًا: في الصفحة نفسها وصل القائد الدمشقي وعقد مجلسًا في الليل مؤلفًا من الزعماء والأعيان في منزل الحاج إبراهيم عبدالله.

تعليق :

ما الذي حدا بهذا السلطان أن يصحو فجأة ويأمر ولاته أن يتحركوا. هل كان يلهو مع حريم قصره أم كان يهز خصره أم معتقد لا ينال نائل من شأو عصره؟ أكيد هناك أمر ما حتى استدعى بأن يتحرك السلطان في الباب العالي ويصدر أمرًا إلى كل هذه الفرق، بالتأكيد همس بأذنه وزيره بأن المرحلة خطرة وتفاقم الأمور قد يؤدي إلى ثورات، والدول الأوروبية ترصد التحركات والعلاقة المتوترة مع الأرمن، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى نقمة الغرب علينا فيستعجلوا خنقنا وسمعت يا جلالة السلطان بأن قرية صغيرة بأقصى جنوب ولاية الشام اسمها الخيام، زعماؤها من آل عبدالله استطاعوا أن يحشدوا عشرين ألف من المقاتلين الأشداء لا ينامون على الضيم يتشوقون إلى الشهادة كما يتشوق الرضيع إلى ثدي أمه...مهلًا أيها الوزير أنا قادم...

يا أخي يقول:« المثل الصباح رباح » لِمَ هذا الاستعجال؟ باستعجالك أيها الكردي تصبح الأمور موضع شك من حولك، لِمَ هذا السعي الدؤوب وقبل بزوغ الفجر يريد العثمانيون أن ينهوا هذا الحشد مهما كلف الأمر؟. أتى مبعوث السلطان إلى بيت الحاج ابراهيم عبدالله صحيح أنت أيها القائد قوي وقوي جدًا لأن خلفك امبراطورية تملك ألوفًا مؤلّفة من الفرسان والقوات العسكرية والسياسية، لكن هذا الإنسان الذي أنت في داره المتواضعة في الخيام مقارنة بقصوركم في إستنبول قد أقلق سلطانك في الباب العالي وأقلق جيشكم بالشرق فجئتموه تحت جنح الظلام وأصبحتم تتقافزون كالغلمان بين يديه تطلبون منه المساعدة فقال القائد للحضور: أبلغ سلامي لأعيان الشيعة ووجهائها وإني أرجوكم باسم السلطان أن تساعدوني. لكن ما الذي حدث أيها الكردي؟ في بداية الأمر أرادها سلطانكم فتنة بين أبناء البلد الواحد ولعب على هذا الوتر والآن

غيرتم رأيكم بعد أن رأيتم الزحف البشري المنقطع النظير ...خلال مكوثكم لقرون في مناطقنا لم تورثوا علمًا ينتفع به بل حولتم النّاس إلى تنابل بعد أن أورثتوهم النرجيلة. ويتضح من ذلك بأنكم أنتم وراء هذا الحادث المفتعل أردتموها فتنة بين الطوائف.

يقول: آل صفا صفحة ٢٥٩: كانت المسألة الأرمنية قد تفاقمت مع الدولة العثمانية، ولما استفحل الخلاف في حادثة الخيام بين أهالي جبل عامل ووادي التيم، خافت الحكومة العثمانية أن تكون هذه الفتنة حلقة من سلسلة خطط مدبرة تحركها يد أجنبية تؤدي، إلى ثورة عامة في سوريا. ويضيف آل صفا صفحة ٢٦٤: «وخشيت الحكومة سوء العاقبة وعادت إلى وسواسها وظنت أن يداً أجنبية تحرك هذه الحوادث من وراء الستار. فأرسلت خمسة طوابير من العساكر».

تعليق:

إذن خاف العثمانيون من ثورة عامة تتعدى الحادثة التي كانت شرارتها من الخيام وتتعدى مناطق جبل عامل وتتعدى جغرافية لبنان وولايات السلطنة العثمانية، ويبدو بأن أفق المنطقة أوسع من أن يتحمل ثورات، لأن انتشار وحدات العسكر التركي كانت خارج حدود بلاد الشام وكأنهم يتحسسون تململ وانزعاج الناس من وجودهم.

وهكذا أيها السادة الكرام كانت قراءتنا في عمق الحدث وما حصل في سنة هذه الحادثة التي بدأت بعفوية قروية أو حادث عارض، ولكن وصل الأمر إلى ان يحشد السلطان طوابير من العساكر ليكشف بذلك عن مدى تأزم وضعهم، آنذاك وما وصلت إليه نفسيتهم وحالة الاحتقان التي يعيشونها، وإذا كان السلاطين العثمانيين لا يدرون فقد دروا حينها بأنهم مهما يبلغوا من سلطة وشأوٍ عظيمٍ فإنهم سوف يسقطون أمام أسرة مارست العمل السياسي لأكثر من أربعين قرنًا هذا ولم يمضِ وقت طويل حتى كان مطلع القرن العشرين بداية إرهاصات للثورات وحروب ضد الوجود العثماني، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، فاتبعتها الثورة العربية الكبرى في منتصف عام ١٩١٦م لتقتلعهم من كل الأراضي العربية، والذي كانوا يخشون منه من حادثة الخيام قد تحقق، استطاعوا أن يؤجلوا حدوث الحرب ولكن عجزوا عن إيقافها فكانت عليهم وبالًا وهزائم وتفككًا وذهبت بهم وبكل جاههم وسلطانهم، وبقيت الخيام منارة عالية حرة بزعاماتها ورجالاتها وأبنائها وحدودها وخيرة شبابها البواسل.

وصف بعض ما حصل في الحادثة شعرًا :

بالليل وصل الكردي … على ضو قنديلك
قال: يا أفندي داخيلك … وهذه الرقبة بلويلك
الشغلة ما بدا تأخير … وكل الأمر بإيدك
قبل ما يطلع الضو … والشمس بفيِّة قرميدك
نِحْنَ بيتك بو خليل … وأنا والله من دينك
العبدالله بيك ومعروف … ونحن سمعنا بصيتك
انت كبير بتبقى كبير … وهذا الجيل مش جيلك
من الوالي إلك سلام … وكل الشعب بيدعيلك
وإذا ما بكفي أنا … السلطان نفسو بيجيلك
وما بيمشي حال الخيام … إلا برضى تصريحك
ريّحني وهيدا المرسوم … بدو حبر توقيعك
أفندي وأمرك ع الراس … مثل ما بدك من طيعك

حادثة الخيام.. مواقف مشرفة :

- النهوض المشرف لأبناء جبل عامل برهان ناصع على أن الحماس القومي والنجدة والبسالة لم تنطفِ جذوتها ولم تفقد روعتها من أبناء جبل عامل.
- الموقف المميز من زعماء آل عبدالله بحكمتهم العالية وجنوحهم نحوالسلم ووأد نار الفتنة دون التنازل عن حفظ كرامة الخيام وأهلها، وعلى الموقف الحماسي الرائع الذي أبدوه خلال الحادثة الذي نال استحسان الجميع.
- موقف العلامة السيد حسن يوسف دل على الجرأة والغيرة الصادقة والوطنية، فعقد مجلسًا عند سماعه بخبر الحادثة ضم إليه القوم وأصحاب الرأي والتدبير، وأصدروا منشورًا عامًا للاجتماع في الخيام والدفاع عنها بقوة السلاح، فهب الناس إلى السلاح وساروا إلى الخيام زرافات زرافات.
- الموقف المميز والشجاع من زعماء آل الأسعد منهم المرحوم ناصيف باشا الأسعد النجل الثالث للمغفور له علي بك الأسعد، وشوهد وقد قدم النبطية في طريقه إلى الخيام على حصان أشهب في خيل كثيرة ورجال مسلحين.

- الزعيم الكبير كامل خليل الأسعد حشد ألف مقاتل من أمهر الرماحين على أهبة الاستعداد للتوجه إلى الخيام.

- الزعيم والمفكر المرحوم الحاج علي الزين خرج من شحور ساعة وصول الخبر في خمسين رجلًا وعندما وصل الخيام كان معه ألف رجل مسلح.

- أعرب الأمير محمد الفاعور أمير عرب الفضل في منطقة الجولان عن استعداده لمد يد العون وتزويد أهالي جبل عامل بالرجال والسلاح والخيل .

- رئيس وزعيم عشائر الجركس واضع كل إمكانياته في خدمة أهالي جبل عامل .

- أبناء منطقة بعلبك وعشائر الحمادية في الهرمل ونواحيها أعلنوا وقوفهم بجانب أهالي جبل عامل.

- الموقف المميزمن الطوائف المسيحية في مرجعيون ووادي التيم كان موقفًا مشرفًا في حادثة الخيام حيث انضم منهم شبان كثر إلى المحتشدين في بلدة الخيام.

- مواقف أمراء ومشايخ حاصبيا ووادي التيم ولا سيما الشيخ حمد قيس في رغبته الصادقة على حل المشكلة، والأمير سعيد الشهابي كبير الأمراء الشهابيين والأميرين علي ومسعود للتوسط لدى زعماء آل عبدالله لإنهاء النزاع.

توتر الأجواء في المنطقة بعد مقتل الشيخ علي الحجار تأثيره وتداعياته على حادثة الخيام :

بعد مقتل الشيخ علي الحجار[١] وانتقال القسم الأكبر من سكان المطلة إلى قرية الماري. توترت الأمور كثيرًا بين أهالي الخيام وأهالي الماري (سكان المطلة سابقًا) حيث أن مقتل الحجار كان في أرض الخيام عندها بدأت الأحداث تتفاقم مما أدى إلى توتر كاد أن يتحول إلى صدام بين أهالي الخيام ومنطقة وادي التيم حاصبيا[٢] وكان الصراع والتوتر ينتقل من مكان إلى آخر ينفخ في كور الفتنة يقول العلامة الفقيه في تاريخه: إن الأهواء السياسية طمست تقرير مقتل الشيخ علي الحجار زعيم المطلة وذهب دم الشيخ هدرًا فازداد أتباعه من الموحدين[٣] هيجانًا واغتيل رجل من الطائفة

(١) الشيخ علي الحجار، زعيم طائفة الموحدين الدروز في المطلة.
(٢) كتاب "تاريخ حاصبيا"، صفحة ١١٥، الأستاذ غالب سليقة.
(٣) مذهب التوحيد أو ما يُعرف (بالمذهب الدرزي)، نشأ في أحضان العقيدة الشيعية الإسماعلية الفاطمية، وأعلن في عهد الحاكم بأمر الله سادس الخلفاء الفاطميين، واقتصر اتباع مذهب الموحدين على بلاد الشام. وقد تميز الموحدون منذ بداية الدعوة عن سائر المسلمين بمفاهيم خاصة لبعض آيات القرآن الكريم، ولبثوا فرقة اسلامية زادت خصوصيتها وضوحًا وتكريسًا مع الزمن، فاعترفت الدولة العثمانية بهم طائفة إسلامية مستقلة

المسيحية، يدعى عساف الصغير ذبحًا على جسر الخردلة الواقع بين مدينة النبطية ومرجعيون يضيف العلامة الفقيه: إن من تبعات حادثة الخيام بأن زعماء جبل عامل قرروا بعد اجتماع سري تموين البلاد بالسلاح والذخائر والتمرين على الرماية والوقوف على أهبة الاستعداد وقد امتلأت الأسواق بالسلاح والمعدات الحربية وكانت تباع علنًا[١].

رجالات جبل عامل يروون بطولات الحاج محمد أفندي عبدالله :

رجالات جبل عامل يتحدثون عن بطولات الحاج محمد أفندي حين أبى أن يستسلم للتهديدات والابتزاز، كان لتداعي أي حادث أمني وصراع سياسي يخرج المصطادون في الماء العكر مكرًا وزيفًا متلبسين بلبوس الوطنية والغيرة العائلية والحمية الطائفية لمآرب في أنفسهم ورغبة بعمل يخمد جشعهم في تحدٍ واضح للكبار الكبار. الكبارِ المدركين والمستشعرين لخطر الفتنة المتنقلة من حي إلى حي ومن قرية إلى أخرى، وهم حذرون من قعقعة سيوفهم والنقر على دفوفهم لتأليب النفوس.

أخمدت نار الفتنة في حادثة الخيام على يد الزعماء والحكماء في ضبط من خرج من الدهماء في ساعة اشرأبت بها أعناق البلهاء لكسر إناء الصفاء ونشر البلاء، فقام من شمّر عن ساعديه ونفش حضنيه متحديًا متوعدًا فكان جزاؤه شر جزاء حتى رمى برأسه في العراء.

أبو قمرة يتحدى الحاج محمد أفندي عبدالله ويقطع أذن خيامي :

الأفندي يقبل التحدي ويعد العدة :

جاء في كتاب العلامة الفقيه "جبل عامل في التاريخ"، بما روي له يقول[٢]: كان شخص يدعى

بشؤونها المذهبية وأحوالها الشخصية (كسائر الطوائف في لبنان) فإنهم يؤمنون بعقائد الإسلام، ويباركون عقود الزواج بالآيات القرآنية، وترديدهم في صلاتهم على الميت ما تيسر منها خصوصًا سورة الفاتحة، وتلقينهم الميت العبارات التالية: إذا جاء منكر ونكير وسألاك ما دينك ؟ ومن نبيك وما كتابك ومن أخوانك وما قبلتك؟ فقل لهما : الاسلام ديني ، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيي، والقرآن كتابي والمسلمين والمسلمات إخوتي وأخواني والكعبة قبلتي والصلاة فريضتي...هذا ما جاء في كتاب "دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٣م"، المؤلف الدكتور حسن أمين البعيني، صفحة ٣١-٣٤، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الطبعة الأولى، آب (أغسطس) ١٩٩٣م.

(١) كتاب "جبل عامل في التاريخ"، صفحة ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) يقول العلامة الفقيه: حدثني في منزلنا ليلة الأحد ٢٩\٩\٨٥ الموافق ١٤ محرم ١٤٠٦هـ في حاريص الحاج إسماعيل شكرون، وهو رجل عاقل كامل، وكان قد حدثني بهذا الحديث من قبل، فاستعدته منه ودونته قال: كان الشيوخ المعمّرون في بلدة النبطية ومن حولها يحدثوننا بهذه القصة، ومنهم: السيد محمد أبو خدود ابن السيد حيدر أبو خدود من بلدة النبطية، وكان يحدث عن أبيه السيد حيدر الذي حضر هذا الحادث وكان من أبطاله.

أبو قمرة وكان يقطع الطريق بين بلاد جبل عامل ووادي التيم حاصبيا، وكان كلما التقى به جماعة من جبل عامل يستولي على ما كان معهم، واجتاز به مرة من المرات جماعة من الخيام معهم بغال محملة حنطة فسلبهم البغال وما عليها وقطع أذن أحدهم، وقال: إذهب إلى الأفندي ويعني الحاج محمد عبدالله أفندي وهو وجيه المسلمين الشيعة في تلك المنطقة وقل له ما أحل حزامي على كل واحد في جبل عامل أو ما اشد حزام فرسي على كل واحد في جبل عامل، ولما علم الحاج محمد أفندي بذلك حلف أن لا يشرب القهوة حتى يرى رأس أبو قمرة.

جمع الحاج محمد أفندي من حوله من الشباب وأعلمهم بذلك. فقالوا: ما معنا سلاح مثل سلاح أبو قمرة، فإن أبو قمرة معه باروده معدل ألمانية ونحن عندنا بندقية عثمانية (أم الأصبع) فإذا تقابلنا معه أفنانا ببندقيته قبل أن نصل إليه، وسمعنا أنه يوجد في النبطية بندقية مثل بندقيته عند الخراب وهو رجل من عائلة يقال لهم بيت طه، فاستدعاه الأفندي وأعلمه بالأمر وقال له : إختر أي عدد تريده من الشباب فأجابه وهو على ظهر فرسه أنا وحدي أكفيك ولكن أريد شخصًا واحدًا وأشار إلى رجل اسمه حسين زيبارة وهو رجل قصير وقال أريد هذا فصحبه معه وذهبا وقال للأفندي: غدا تشرب القهوة.

الأفندي يشرب القهوة بعد مقتل أبو قمرة.. فيزداد الخطر على الخيام:

ولما حاذى الخراب المكان الذي يقيم فيه أبو قمرة تنحنح فخرج إليه أبو قمرة فبادره قائلًا: جئت لأقتلك ولا أحب أن أكون قد أخذتك غدرًا، فتناول أبو قمرة بندقيته بيده اليمنى فبادره الخراب بطلقة أعطبت يده اليمنى، فتناولها بيده اليسرى فبادره الخراب بمثلها فالتفت إلى حسين زيبارة وقال: لقد كسرت لك أجنحته، إذهب إليه واحتز رأسه ففعل ووضع رأسه في مخلاة الفرس، وعادا، أما الخراب فقال لزيبارة: أنا ذاهب إلى النبطية، أما أنت فخذ الرأس وسلم على الأفندي وقل له يشرب القهوة. فورد زيبارة الخيام صباحًا وطرق الباب على الأفندي فلما رآه قال له: «قمح ولا زوان»، السؤال كناية عن نجاح العملية وعدمه فقال له قمح . ثم رمى الرأس من المخلاة، فأمر الأفندي بدق القهوة واستدعى الشباب. أما أبو قمرة فإن فرسه عادت إلى البلد بلا فارس فجاؤوا إلى مقره، فوجدوه مقطوع الرأس فشاع الخبر وقامت قيامة أهل وادي التيم وأشعلوا النيران على رؤوس التلال إعلانًا باستعدادهم للحرب وأخذوا يتجمعون.

الحاج محمد أفندي: يستنفر شباب جبل عامل للدفاع عن الخيام وخصومه تصاب بالهلع ..!!

أما الحاج محمد أفندي فإنه أركب شخصًا على فرس شقراء، وأمره بالذهاب إلى قرى الشيعة وأمره أن ينادي شباب غلمان لِي جي، ويعني يا شباب يا غلمان إليّ إليّ. احترقت الخيام فجعل الناس يتجمعون من جميع البلاد ثم إن الأفندي قال لفلان وهو رجل قصير بدين: إن أحد مشايخ وادي التيم من آل قيس أو غيره يحقد على أهل جبل عامل وينال منهم فهل تقدر على تدبيره؟ فقال: نعم قالوا فقصد بلدة ذلك الشيخ، وتسلق إلى منزله فوجده نائمًا فغرز خنجره في وسادته ووجد العِمَّة (العِمامَة) عند رأسه فأخذها ثم عاد من حيث أتى. فانتبه الشيخ صباحًا وأراد أن يتناول عِمته فلم يجدها ثم نظر إلى الخنجر وهو يترنح في وسادته إذا حركها، فعلم بأن الشيعة في جبل عامل قدرت عليه وعفت عنه فصحب بعض رجاله إلى عند خليل بك يشكره على العفو عنه وأظهر الطاعة. قالوا: وطلب أن يرى من قام بهذه المهمة فجاءه وهو يلبس العمة وفي ذلك من السخرية بالقيسي ما فيه .

تاريخ بطولات آل عبدالله تتحول إلى ملحمة شعرية

إن التاريخ العربي امتاز عن غيره من الأمم في آدابه وثقافته، فاستعمل النصوص الشعرية لإلقاء الضوء على حادثة تاريخية بغية تأريخها، ليشكل الشعر رافدًا مهمًا يصب في مصلحة الباحث في التاريخ.

قال : اهجموا على الخيام.

قالوا: لا تهجموا على الخيام فيها أبو علي محمد أفندي عبدالله.

قال : احرقوا الخيام.

قالوا: لا تحرقوا الخيام فيها آل عبدالله سباع.

قال: اهدموا الخيام .

قالوا: لا تهدموا الخيام فيها عشيرة آل عبدالله وأقاربهم.

قال: لا تبقوا على أحد منهم.

قالوا: لن يموت آل عبدالله حتى يقتلوا كل خصومهم.

قال: ما الحل؟.

قالوا: العلقة مع آل عبدالله سخنة .

قال: لماذا؟.

قالوا: إذا تناخوا قام الأب وخلفه عشرات الأولاد والأخوة وأولاد الأخوة والأحفاد[1].

تعليقا على هذه العبارة: (إذا تناخوا قام الأب وخلفه عشرات الأولاد) ولتوضيح ذلك أجرينا احصاءً تقريبيًا محدودًا جدًا مرتبطًا فقط بهذه الجزئية من الحادثة لعدد البالغين فقط من أفراد أسرة آل عبدالله في حياة الحاج حسن عبدالله وإخوته. على ما جاء في الحديث سابقًا أن أحدهم قد أسدى النصح للآخر بأخذ الحذر من التحرش واستفزاز أبناء البيت الواحد من آل عبدالله. لأنهم كانوا إذا ما تنحنح والدهم يقوم الجميع قومة رجل واحد......كانت العصبية الأسرية لذرية آل عبدالله المباركة تشد من وثاقهم لأن ما يميزهم هو أنهم يعودون بنسبهم إلى أب واحد يقول أحد المعمرين : كان على الداخلين إلى بلدة الخيام أن يحسبوا ألف حساب لأسرة آل عبدالله أفرادًا كانوا أو جماعة، فكان عليهم أن يظهروا حسن آدابهم ولياقة سلوكهم وأخلاقهم وإلا عُفِّرت أنوفهم بالتراب. وإذا ما أخذنا تاريخ حادثة الخيام عام ١٨٩٤م. وبحساب بسيط نجد القوة العددية لبيت عبدالله آنذاك على النحو التالي والتقريبي:

الحاج حسن عبدالله مع اولاده : خمسة عشرة فردا[2].

واذ اخترنا نصف أحفاد كل ولد من أولاد الحاج حسن عبدالله باعتبار الباقين دون سن الرشد يكونوا على النحو التالي:

ولده الحاج علي : اثنان.

ولده الحاج محمد أفندي: واحد.

ولده الحاج جواد: أربعة.

---

(١) صاحب كتاب "جبل عامل في التاريخ"، هوالحُجة الشيخ محمد تقي يوسف الفقيه، أحد مراجع المسلمين الشيعة، وُلد في بلدة حاريص من قرى قضاء بنت جبيل في جبل عامل، وذلك في العام ١٩١١ – ١٩٩٩م. دُفن في النجف الأشرف. تناول حادثة الخيام في كتابه من الصفحة ٣٤٧ إلى ٣٥٥، كما تناول قصة الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله من الصفحة٣٥٥ إلى صفحة٣٦١، من كتابه بطبعته الثانية في دار الأضواء. بيروت ـ لبنان عام ١٩٨٦م.

(٢) يقول أمير البيان العلامة شكيب أرسلان: ظهر من أسرة آل عبدالله وجيه من وجهاء الطائفة الشيعية في بلدة الخيام، رجل اسمه الحاج حسن عبدالله. عمره فوق المائة. ونسل ذرية عديدة قلما نسل مثلها أحد في بلادنا . قيل لي أنه بلغ عدد أحفاده وأولاده وأولاد أحفاده في عين حياته ١٢٠ نسمة.

ولده إسماعيل: خمسة أولاد.

ولده الحاج زين: اثنان.

ولده الحاج حسين : خمسة أولاد.

ولده الحاج مصطفى: اثنان.

ولده الحاج ابراهيم : اثنان.

ولده أمين أفندي: ثلاثة أولاد.

ولده الحاج سلمان: اثنان.

ولده الحاج أحمد : ثلاثة أولاد.

ولده خليل: ثلاثة أولاد.

ولده الحاج محسن: اثنان.

ولده عبدالحسين دون عقب.

يكون مجموع أحفاد الحاج حسن عبدالله الذين كانوا فوق سن الرشد تقريبا في سنة ١٨٩٤م. دون الآخرين من أحفاده يكون العدد خمس وثلاثون فردًا راشدين أشداء يستطيعون حمل السلاح وخوض غمار المعارك.

إخوة الحاج حسن عبدالله هم: موسى، والحاج حسين، الحاج عبدالله وحمود: يكون عددهم أربعة.

عدد أولاد أخوة الحاج حسن عبدالله: أحد عشر فردًا.

وإذا اخترنا نصف أحفاد كل ولد من أخوة الحاج حسن عبدالله باعتبار الباقين دون سن الرشد يكونوا على النحو التالي:

موسى أفندي عبدالله:

ولده ضاهر : اثنان.

الحاج حسين أفندي عبدالله:

ولده طالب: واحد.

ولده خليل : واحد.

ولده الحاج أسعد : واحد.

ولده محمد : واحد.

ولده محمود : اثنان.

الحاج عبدالله أفندي عبدالله:

ولده حسن : اثنان.

ولده الحاج محمد علي : واحد .

ولده الحاج سلمان : واحد.

حمود أفندي عبدالله :

ولده موسى: اثنان.

ولده يوسف: اثنان.

نخرج بالنتيجة التالية:

- الحاج حسن أفندي عبدالله وأولاده : خمسة عشر فردًا.
- أحفاد الحاج حسن عبد الله : خمسة وثلاثون فردًا .
- إخوة الحاج حسن عبدالله : أربعة أفراد.
- أولاد إخوة الحاج حسن عبدالله إثنا عشر فردًا.
- أحفاد إخوة الحاج حسن عبدالله إثنا عشر فردًا .

المجموع هو ثمانية وسبعون فردًا وهو عدد القوة الضاربة التي حذروا منها ومن مغبة الوقوع بين يديها، وكما قال أمير البيان شكيب أرسلان عن الحاج حسن: بلغ عدد أحفاده وأولاده وأولاد أحفاده في عين حياته ١٢٠ نسمة ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

وصدق الشاعر الذي قال:

يا نصر إنك لو أبصرت مشهدهم أيقنت أن إليهم ينتهي الكرم
يمشون إلى الموت مشيًا فيه هرولة لساحة الموت حتى ينجلي الظلم

يا ليتنا كنا معكم لأريناهم من عجيب الفعال في معارك الطعان ما تشيب منه الولدان.. ونكون بذلك قد أوضحنا فكرة لماذا كان الكثيرون يخشون تحديهم أو التطاول على الخيام وأهلها وإذا كان العدد قرابة الثمانين مقاتلًا يملكون عقيدة حسينية، وعقيدة أخرى لا تقل شأنًا وهي عقيدة صلة الرحم الواحد والدم الواحد وهي من أوثق عرى الروابط في المعارك بحيث يصعب على المرء

أن يغادر المعركة أو يفر منها تاركًا خلفه ولده أو والده أو عمه أو ابن عمه أو أخاه وابن أخيه لنقف متأملين ماذا قال موسى عليه السلام لربه ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢﴾ [طه]. موسى عليه السلام يعرف تمام المعرفة بأنه نبي مسدد من الله ممدود بالعون والقوة، لكن أراد الله أن يثبت هذه السنة ويظهرها لخلقه . وإليك مثال آخر كيف إذا رأى المرء قبيلته وأهله وأعمامه في أتون معركة كيف يبادر إلى مد العون حسب قدرته وامكانياته، هكذا فعل رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة، لم يترك أعمامه وحيدين بل قدم لهم العون وكان يناولهم النبال. في الحرب التي كانت بين قريش قبيلة الرسول ﷺ وهوازن وهذه الحرب كانت قبل مبعث الرسول ﷺ بست وعشرين سنة وقد شهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه، وقال النبي:كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعني أناولهم النبل[1] فعلم بأن ما من شيء أثمن وأغلى بعد الله من أن يكون الإنسان مدعومًا بعون إخوته وأهله إلى جانبه يسهرون على حماية بعضهم لبعض ويشدون أزر بعضهم البعض، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا ويكونوا في الأمر الواحد كالنفس الواحدة . في مثل هذه الحالة من الصعب أن تقاس قوتهم بعددهم بل تفوقها أضعافًا مضاعفة، ولو تسنى لهذا الحشد المبارك والتقى جيشًا جرارًا لرأيته فر مذعورًا من خشيتهم حتى يلوذ بالمغاور والكهوف كما تلوذ الأرانب بجحورها من الليوث. فإن جميعهم أصحاب نخوة ومقاديم ويملكون الشجاعة والقوة، فحسبك الحاج محمد أفندي فهو بطل من أبطال جبل عامل وفتى قومه وأسد مغوار يصارع الأهوال فهو بألف رجل فسيرته تتناقلها الأجيال . أما أخوه علي فهو مقدام قوي لا ينام على ضيم، جسور في ملاحقة الأعداء ما استل خنجرًا أو سيفًا إلا في سبيل حق فحسبك يوم معركة العمرا فأصلاهم لهيب الجمرة على حين غرة مرة تلو المرة، كيف فدى بنفسه واقتحم الملمات في سبيل الدفاع عن ابن أخيه الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم .وإذا ما قرأت بسير الأبطال الهازئ بالأهوال كاسر الأغلال في السماء كالهلال لوّاح الصقال الذي جاب الواد والجبال فاعلم بأنه اسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٥٥-١٩٢٣ صنديد من صناديد العرب ما ألفته المعارك إلا منتصرًا ولا روت عنه الألسن إلا ظافرًا فائزًا كرار الوغى والليل اذا دهى، لا عينه نامت عن الضيم ولا سهت، أشهر غزواته كانت غزوة الحولة وما أدراك ما الحولة اثبات الرجولة والفحولة عندما عفر أنوف مقاتليها بِوحولها دفاعا عن أخيه الحاج

(١) "تاريخ الإسلام"، الجزء الأول، صفحة ٥١، تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن، دار الجيل، بيروت ٢٠٠١م.

جواد عندما سرق عرب اللهيب من حظيرة بيته الدواب فأعادها ..هل انتبهت أخي القارئ لهذه الحادثة رجل واحد يغزو قرية من قرى الحولة وينتصر بمعركة استمرت ساعات، وأما أخوه الحاج زين لا يقل عنه قوة ولا بأسًا. فحسبك البطل أمين أفندي وابن أخيه الحاج خليل الذي كان يملك قوة خارقة استطاع أن يمحو المجيدة ، ويصارع كبير فتوة قرية الزبيد والحاج جواد عندما وقف بوجه الفرنسيين بعد أن حرقوا منزله انتقامًا من ولده المناضل شبيب رغم كبر سنه، فأوصى بأن يدفن في ساحته ليقول لحكومة الانتداب الفرنسية أنا الجواد بن الجواد والدي من خيرة العباد وأنا لكم بالمرصاد. والكثير الكثير من سيرهم المفعمة بالبطولات النادرة والحكايات الخالدة.

الشاعر محمود قاسم يروي التاريخ شعرًا.!!.

و لتكملة ما بدأناه من كتاب جبل عامل في التاريخ نتابع مع رواية الشاعر الزجلي المشهور في ذلك العصر محمود قاسم المعروف بمحمود حداثا في ملحمته الشعرية التي نظمها بمناسبة ذلك اليوم، عندما تجمع أهل وادي التيم عند زعيمهم الشيخ حمد حرضهم على القتال وقال إني أرى الموت أسهل من حياة الذل، اهجموا على الخيام واحرقوها واهدموا بيوتها ولا تبقوا على أحدٍ وغدًا، إذا جاءني البشير بالتنفيذ دفعت له بشارة عشر ليرات ذهبية فاعترضه ثلاثة أشخاص منهم وبالطبع إنهم من ذوي الرأي والنفوذ.

وقالوا: يا حمد الخيام محصنة وفيها أبو علي محمد أفندي العبدالله وله عشيرة وأقارب كلهم سباع، إذا تناخوا قام الأب والابن والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وهؤلاء لن يموتواحتى يقتلوا أكثر منهم، نعم شدوا العزايم على النصارى ولعلهم إنما قالوا ذلك لأنهم يرونه كاف في أخذ الثأر أو لأن بعض المكارين كان من بعض النصارى . ومن الصدفه أن أبو مطانس رجل مسيحي كان حاضرًا في هذا الاجتماع فلما سمع هذه المقالة قام من وقته وساعته وطفش (أي ذهب على غير هدى) إلى القليعة إلى عند الخوري بشارة وأخبره بالخبر، فأمر الخوري بالذهاب إلى الخيام وإعلام محمد أفندي فذهب إليه من وقته وساعته كل ذلك ليلًا وأعلمه بما كان.

أما محمد أفندي أرسل رسولا ورسالة إلى زعيم الشيعة في ذلك الوقت خليل بك الأسعد وأعلمه بالأمر، وفور وصول الخبر إلى خليل بك أمر فرسانه وأعوانه بالاستعداد للقتال والتهيؤ للنزال، ووجه ولده كامل بك الأسعد إلى العويذي بلد المطلة على كفركلا والخيام فعسكر فيها في ألف فارس رماح (كما يقول محمد جابر في روايته المتقدمة). ويظهر أن اهالي وادي التيم كانوا

عازمين على مباغتة الخيام، ولو تم لهم ذلك لأدى إلى دمار عظيم وفتنة عريضة تمتد أطرافها بينهم وبين جيرانهم، ولكن وجود أبو مطانس كان سببًا في التنبه والاستعداد للحرب وأخذ الاحتياطات اللازمة(١).

وإليك بقية ما يحفظه الناس إلى هذا الوقت من ملحمة محمود قاسم المعروف بمحمود حداثا التي نظمها بهذه المناسبة:

إبـدأ بالصـلاة عالمحمـد ... صـلاة دايمـة ليـلًا نهـارا
بقول قالـه محمـود قاسـم ... حـوادث عمـت الدنيـا أخبـارا
حكاهـا بالجـرى أول وتـالي ... وابـن الفـن يفهـم بالإشـارا
سببهـا كـان متـوالـي ودرزي ... وكـان الشـر أصلـو من شـرارا
عرفوا دروز راشيـا وحلـوى ... ويمطـى ومزرعـة ديـر العشـارا
وباقيـة القرايـا خبروهـا ... مثـل طـاس وربـوح النشـارا
رادوا يعملـوا فتنـة عظيمـي ... وفيهـا رايديـن الافتخـارا
وبعدمـا جمعـوا كـل المشايـخ ... وعملـوا محكمـة وديـان إدارا
قالـوا يـا حمـد نحـن ارجـالك ... وأنـت كبيرنـا والمستشـارا
كيـف الـرأي عنـدك يـا أبانـا ... دبرنـا برأيـك والبصـارا
قـال الرأي عنـدي يـا جماعـة ... أشـوف الموت أحـلى مـن العـذارا
هـدّوا عالخيـام واحرقوهـا ... ولا تخلـوش منهـا ولا سـرارا
قيمـوا النـار بالأربـع نواحـي ... وخلـوا ارمادهـا باجـو طـارا
ولا تبقـوا علـى مخلـوق دايـم ... وهـدوا بيوتهـم وامحـوا الآثـارا
وعنـد الصبـح لـو جانـي مبشّـر ... عشـر ليـرات لاعطيـه البشـارا
ردوا عليـه مـن قومـو ثلاثـة ... وقالـوا يـا حمـد رأيـك هـزارا
ما بتعرفـش إنـو السـورا مانـع ... وجـوا السـورا اسـلام ونصـارى
مـا بتعرفـش إنـو السبـع فيهـا ... محمـد بـو علـي نـور العمـارا

---

(١) صاحب كتاب "جبل عامل في التاريخ" هوالحُجة، الشيخ محمد تقي يوسف الفقيه، أحد مراجع المسلمين الشيعة، وُلد في بلدة حاريص من قرى قضاء بنت جبيل في جبل عامل وذلك في العام ١٩١١ - ١٩٩٩م. دُفن في النجف الأشرف تناول حادثة الخيام في كتابه من الصفحة ٣٤٧ إلى ٣٥٥. كما تناول قصة الحاج محمد أفندي بن الحاج حسن عبدالله من الصفحة ٣٥٥ إلى صفحة ٣٦١ من كتابه بطبعته الثانية في دار الأضواء بيروت - لبنان عام ١٩٨٦م.

حولو عيلتو خيك وبيك … وعمك وابن عمك فرد حارا
حين ما نبح كلب الجعاري … تشوف رجالهم مثل النمرا
بني متوال عادتهم قديمي … سباعا لو صلوا للحرب نارا
وهذا الرأي معنا ما يوافق … نعم شدوا العزايم عالنصارى
فهم مضمونها واحد مسيحي … ضرب كفو اليمين عاليسارا
وطفش بالليل عاخوري القليعا … وقلوا قوم يا بونا بشارا
قلوا ما الخبر يا بو مطانس … كفى الله شر مَنْ فينا استجارا
قلوا روح لمحمد أفندي … احكيلوا مثل ما توقع وصارا
طفش بالليل لمحمد وقلوا … كلام السر آخرتو جهارا
كتب بالحال والساعة كتابو … لأبو كامل وقدموا العبارا
فهم مضمونها البيك المعظم … ونادى عالخدم كونوا حذارا
درف خيال من عندو مخصص … وقلوا روح عاتل المنارا
نادى بصوت عالي وين راحوا … بني متوال يا أهل الجسارا
منهم مَنْ سمع صوت المنادي … عشر تلاف هالكانوا حضارا
ركب كامل ومسك السيف بيدو … وهزوا فأغتدي مثل السوارا
هزّ السيف بو زطام بيدو … وصار السيف بيدو كالسوارا
وقلوا إلك من زمن ناصيف نايم … خسر القبقلك أعظم خسارا
وقلوا قوم جايتك عزيمة … تريد المعركة والله الزيارا
وكان السيف شايف بيمنامو … بأنو قد حمي سوق التجارا
وشرب من عين ميتها لذيذي … ولون المي يعطي بالحمارا
ودعاب السما يصدق منامو … ويشبع دوم من دم الكفارا

إلى أن قال:

حسب لا وقعة صارت قديمي … وبات الليل مجهول الخسارا
وواتا والقلق من كل جانب … لذيذ النوم من عينيه طارا
مجدل شمس عز الكان فيها … تشوف رجالهم مثل الأمارا
والليل كان راكب عالكحيلا … صار اليوم راكب عاحمارا
واللي كان نايم عاتخت مصري … صار اليوم نايم عاستارا
شفت لفاتهم لبعيد بيضا … مثل البوم عاروس الحجارا

قصيدة رثاء في الحاج محمد أفندي عبدالله للشيخ علي زين[(١)] :

(١) الشيخ علي زين ١٨٧٥ ـ ١٩٦٤م، من بلدة قليا، وهو من العلماء الأجلاء في جبل عامل ومن أدبائها وشعرائها النوابغ. ما إن تقرأ شعره حتى يستنهض فيك عواطف النفس ولواعجها الجياشة، شعره خالٍ من التكلف والانفلات في سياقه وتدبره بل هو سهل، مرن مستحسن في عباراته ومعانيه تنساب إلى الذهن والقلب والروح كانسياب الماء إلى أحشاء النبات. جاءت قصائده متكاملة كاكتمال الجسد الصحيح، متناسقة كأزهار الربيع، متعاقبة كشروق الشمس ومغيبها. كان الشاعر الفذّ على علاقة مميزة ليست مميزة بل أخوية أو أكثر مع رجالات آل عبدالله وزعمائها، ابتداءًا من المرحوم الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله، وقد رثاه في إحدى قصائده، والمرحوم الزعيم علي أفندي ابن الحاج ابراهيم عبدالله، وقد أهداه من قصائده، والزعيم المرحوم خنجر أفندي ابن الحاج حسين عبدالله، وقد رثاه بأروع قصيدة. توطدت علاقته أكثر بالزعيم علي أفندي فكانت زياراته شبه دائمة إلى دارته في الخيام حتى أصبح صديق الأسرة والمحبب إلى قلوب الجميع. وعندما توجهنا بالسؤال إلى الأفاضل كريمات المرحوم علي أفندي عن الشيخ علي زين قائلين: "كان بالنسبة لنا فردًا من أسرتنا، كريم النفس، حلو الكلام، واذا حضر بمجلس ملأه شعرًا، وقولًا رائعًا. كلامه يُذهب الضجر ويُدخل السرور إلى القلب، رحم الله الشيخ علي زين صاحب الذكريات الطيبة.كبر في عيوننا وهو الكبير والشاعر الأمير كبر لما قرأناه من شعر يدل على الوفاء والمحبة لن صاحبهم وكان إلى جانبهم ومعهم دائمًا تستهوينا سير الرجال لأن في سيرتهم عبرة، وفي سيرتهم نهج ودرب، يسعى إليهما كل شريف ومحب يطلب العلا. وعندما تعرفنا إلى هذه الأسرة الكريمة كان لزامًا عليّ أن أبادل المعروف بالمعروف والمحبة بمثلها هذا من شيم العرب وأصالتهم وأن ألقى الضوء على هذا الرجل الفذ الوفي لخلانه كيف كانت البداية؟ اتصل قريب لي هو ابن عمي حسين علي محمد اسماعيل عبدالله كان مقيمًا في البرازيل يومها لغرض التجارة وقال لي بأنني تعرفت إلى شخص من بلدة قليا الجنوبية هو الأستاذ المحامي علي سالم ناصر شخص طيب ويتميز بأخلاق عالية وعندما علم بأنني من آل عبدالله من الخيام قال بأن لديه أشعارًا تعود للشيخ علي زين من قليا قصائد رثاء ووجدانيات قيلت بالحاج محمد أفندي عبدالله وخنجر أفندي وعلي أفندي، أرسل لنا الاشعار مشكورا على هذا المبادرة الرائعة. في نهاية نوفمبر / تشرين الثاني وخلال تواجدي في لبنان ذهبت إلى بلدة قليا بصحبة زوجتي وولدي حسن تعرفنا إلى اسرة الأستاذ علي سالم نصر وهي أسرة طيبة وأهل مروؤة وكرم يحبون الضيف فبيتهم كان ومازال ملتقى أهل القرية فصاحب البيت المرحوم سالم ناصر قضى حياته وهو مختار لأكثر من أربعين سنة ولا أبالغ

ألقيت هذه القصيدة في مطلع الثلاثينيات في حسينية بلدة الخيام في الذكرى الأسبوعية لوفاة المغفور له الحاج محمد أفندي عبدالله وكان جثمانه قد نقل إلى النجف الأشرف ودفن هناك تنفيذًا لوصيته:

أعلمـــت بالدمـــع الغزيـــر الجـــاري ... يـــا راحـــلًا لحمـــى عزيـــز الجـــار
ومجاورًا دار الإمـــام أبـــي الـهـــدى ... هـــل أنـــت بالمهج الحزينة داري
غـــادرت عامـــل يابـــن أكـرم عامـــل ... واعتضـــت عـــن دار بـأشـــرف دار
لا الـمـــرج بعـــدك مـــرج مرتبـــع ولا ... أثمـــار ذاك الربـــع بـــالأثمـــار
جـــفّ الـغديـــر وصوّحـــت جنباتـــه ... وحـــدى الذبـــول برونـــق الأزهـــار
أيـــن الخطيـــب اللوذعـــي وابـــن مـن ... أقلامـــه أمضـــى مـــن البتـــار
أيـــن الجســـور أبـــو المواقـــف من بـه ... كانـــت تـــذاد جلائـــل الأخطـــار
أيـــن الـــذي لا فـــرق بيـــن يـراعـــه ... وحسامـــه فـــي ساحـــة الـمضمـــار
أيـــن الـــذي مـــا لان جـانـــب مجـده ... إلا لأمـــر الـواحـــد القـهـــار
يـــا ظاعنًـــا نـحـــو الـغـري تـقـلـه ... ســـيارة بصحاصـــح وصحـــاري
أتـــرى درت أم الزفيـــر بمـــن ســـرت ... نحـــو الغـــري ومـــا مقـــام الســـاري
حـملـــت قـــلادة جيـدنا وعـمـيـدنا ... ومقيلنـــا مـــن وقـــع كـــل عثـــار

إذا قلت: من أول لحظة تعرفنا عليهم شعرنا بالراحة وكأننا في بيتنا. الحاجة زينة عبدالله السيد مواليد ١٩٢٥م.أرملة المختار أبو حكمت، ما زالت تتمتع بذاكرة قوية وتحفظ كثيرًا من الشعر وروت لنا كثيرًا من الأحداث وقد زارهم المرحوم علي أفندي عبدالله في منزلهم ببلدة قليا. تعيش حاليًا مع ابنتها الانسة سناء ناصر كان استقبالهم لنا مميزًا ولائقًا.فولدهم الأستاذ علي المقيم في البرازيل هو من فتح لنا الطريق بواسطة ابن عمي حسين علي محمد عبدالله وأهدانا من شعر المرحوم الشيخ علي زين، وخلال وجودنا في بلدة قليا بضيافة عائلة آل ناصر حصلنا على عنوان ابن الشيخ علي زين القاضي حسين علي زين والمقيم في منطقة الخندق الغميق في بيروت، أيام معدودة وكنا في ضيافته في بيروت أنا وولدي حسن فكان ولدي حسن نعم الصديق والرفيق خلال تجوالي. كانت شوارع بيروت وقتذاك تغتسل بأمطار كانون الاول، لكن عجزت بعضٌ من الأيام على وفاة زوجة القاضي حسين زين أن تغسل الحزن من قلبه، ولا حتى أخفت علامات التجهم رغم استقباله اللائق لنا فتح لنا ملفًا يحتفظ بأوراق من الشعر تعود لوالده المرحوم الشيخ علي زين أهدانا منها بعض أشعارٍ تهم بحثنا وتمت بصلة لموضوعنا. القاضي الأستاذ حسين يقضي وقت فراغه بالمطالعة والبحث والتأليف كانت زيارتنا له مفيدة وقيمة.. نسأل الله تعالى أن يمده بموفور الصحة والعافية ويصبره على فقد شريكة حياته، ونسأل الرحمة والمغفرة لوالده الشيخ علي زين الذي حفزنا شعره لأن نتواصل مع كل هذه العائلات الطيبة والكريمة.

حملت محمدًا وابن عبدالله من ... آساد يعرب لا أسود نزار

ذاك الذي رقمت مناقب فضله ... في جبهة الأيام والأعصار

ذاك الذي دلّت مواقفه على ... ما بين جنبيه من الأسرار

قد كان يدفعها هواه لتربة الكرار ... ما دفعت بعزم بخار

أبا القريض أيضيق وسع قريح ... عن أن أفيك الحق بالأشعار

كم نكبة حلت فأحكم وقعها ... من عامل الثكلاء بالأخيار

فتكت بمرجع عامل وعميدها ... والبائع الأرواح حين لزومها والشاري

رب الزعامة كامل الأوصاف ... والسيف الذي قدما براه الباري

وتنت بمحمود الفعال فقوضت ... بالفضل وابن الفضل والمغوار

وغت بني عبدالله فحطمت ... سمراء كل كريهة ومغار

فلأفرمن برأس سني أنملي ... ولأخدشن الوجه بالأظفار

ولأقسمن بكامل ومحمد ... وبفضل محمود وبالأبرار

لولا البقية من تنوخ ووائل ... والفضل ما أخذ المصب بثار

أمشيعين جنازة لمحمد ... هل عندكم خبر من الأخبار

وميمما ربع الوصي ومسرعًا ... للحد هل عود مع الزوّار

فارقت عاملا بعد أن طوقتها ... بعقود فضل لا عقود نُضار

وجعلت ما بين الهناء وبيننا ... سدّا من الأحزان والأكدار

أقسمت فيك وباليد البيضاء ... والقدر العظيم وذكرك المعطار

لولا الأجلاء الذين تركتهم ... من آل عبدالله كالأقمار

ما اخضلَ مربع عامل كلا ولا ... رنت سهام القوم بالأوتار

فأنعم وطب نفسًا ونم في تربة ... عطرية واهنأ بخير جوار

واعلم وايم الحق لولا أنها ... غالت علاك غوائل الأقدار

لرأيت حول حماك ألّف كتيبة ... يمشون تحت لوائك السيَّار

وشهدت من أسياف قومك بالحمى ... يجري دم الأعداء كالأنهار

لكنه أمر جرى من آمر ... يقضي على المأمور والأمار

فسقــــى ثــــرى رمـس حلـلـت ببطنـه كــــرم الإلـــــه بعــارض مـــــدرار
وليكتــــس ذاك الضريــــح وبقعــــةٌ فيهــــا نــزلـــت بأشــرف الأنــوار

قراءة ووصف ما جاء في شعر الشاعر على زين عن ذكرياته في الخيام عن آل عبدالله :

ان ما سوف نرويه ليس فيه من خيال الكاتب إلا ما يقتضيه الجمال الفني للحوادث، ولا فيه شيء من عنديات الكاتب إلا ما تستدعيه طبيعة العمل القصصي من إدخال بعض التعبير أو إخراج بعضها لتقريب المعنى دون الإخلال بالمضمون..

تناول في شعره علاقاته المميزة مع رجالات آل عبدالله في الخيام، مترحمًا على الماضي الذي لو استطاع لأعاده وعاشه مجددًا فكان من أكبر ما خسره هو تلك العلاقة التي كان الزمان كفيل بإنهائها حتى أثّر ذلك في قوّته وعضده يقول: أين أيام الخيام التي فيها مرابض الليوث من آل عبدالله حماة الديار صناديد الساحات أبطال الواحات أصحاب السواعد السمر حملة سيوف الحق ورماح الذود عن الخيام.

يقول الشاعر عن آل عبدالله: بأنهم صانعو الأمجاد وقد تمرسوا في صناعتها وصونها وحفظها وأنهم أناس موغلين بنجاحاتهم التاريخية في التعاطي مع الأمجاد حتى أجادوا وبرعوا فيها.. هم قمم الجبال العالية، وأن مجدهم كحبل ممدود من السماء إلى الأرض لا يشوب ذلك شائبة لا اعوجاجًا ولا نسولًا ولا وهن فيه.

الخيام خيام آل عبدالله لأنها بهم تكبر عندما يكبرّوْن ولأجلها بذلوا الغالي والنفيس حتى تبقى مكرّمة مُعززة، فتركوها هكذا وغادر الذي غادر منهم، ولم يبرحوا حتى بقت كرامتها من كرامتهم. كانوا ومازالوا يحمونها ويدافعون عنها وهذا ما يصّبرنا ويعزينا في خير خلف عن سلف ونسلهم باقٍ إلى قيام الساعة ماذا أنا صانع ؟ لا الحزن يفيد بعد رحيل المحبين رحيلهم أدمى قلبي وتركوا بعدهم آهات توجّعي و شكوى من ألمٍ البعد ملأت المكان لقد فارقني أبو المكارم علي أفندي عبدالله كان يملأ على الدنيا بعد أن كان سلوتي منها. ماذا أقول بالراحل أبي حسيب خنجر أفندي عبدالله؟ كان هنائي وصاحب الوفاء. كلها ذكريات فراق ألم وبعد وأي شقاء أنا فيه بعد هذا الرحيل الأكارم أبناء الأكارم، كأن الخيام التي جمعتنا قد ذهبت بذهابهم وآياتهم آيات الصفاء والوفاء والذكريات التي صنعتها الخيام رحلت مع الراحلين، لا مساء بقى ولا صبح يدوم الكل شاكٍ وباكٍ والكل يحصى الخسارة والخيام الخاسر الأكبر. أين تلك المجالس؟ أين تلك الحشود؟ أين تلك الجنود؟

كيف كان يجمعنا أريج العشية، أحاديث ليس لها نهاية فيها الود والمحبة واللقاء الدائم والسمر فيه يطيب الشعر. لكن كانت يد المنون أسرع من أن نتابع ونستمر في اللقاء فاختارت خيرة الرجال وراكب سفن الأهوال أبا سطام سيد الكرماء وباعث نهضة الخيام سياسيًّا واجتماعيًّا وحسبك ومثله ابن عمه وجيه من وجهاء جبل عامل وزعيم من زعمائها أبا حسيب خنجر أفندي الزعيم القدير والوجيه المخلص والوفي المحب.

يقول الشاعر: ألا ليتني كنت في ركاب المغادرين لا طيب لحياة بعدهم ولا هناء لعيش، لقد كشرت الدنيا عن أنيابها وكأنها خذلتني وأصبحت تائهًا أبحث عن أحبائي وصحبي، لا الوجوه وجوهه ولا المكان مكان، ما عدت أعرف غيرهم وسيرهم لقد سلبوا عقلي وعمر سنواتي كلها معهم حتى ضللت الطريق بعدهم لأنهم أخذوا كل شيء عندما رحلوا، أين أسياد الخيام أين آل عبدالله أين وجهاؤها الأبطال ؟

الخيام لم تعد هي الخيام ولا أطيق أن أنظر إليها وليس فيها من أحبهم قلبي وأخلص لهم، حتى أصبحت الخيام خاوية على عروشها..لا يلومني أحد عندما أسأل أبا سطام ابن عبدالله لماذا تركتني؟ لماذا رحلت قبلي؟ لماذا استعجلت عذابي وتركتني في لوعة؟ لقد أصابني البلاء بعد رحيلك يا صديقي إنني أعلم بأنك لن تعود ليس كما كنت أغادر دارك فألقاك ثانية وتتكرر اللقاءات، ولكن سوف ألحق بك ولو بعد حين لأن الصديق والمحب لصديقه والوفي له يتمنى أن يلتحق بركب المنون كي ينصف نفسه ويعزيها (رحم الله شاعرنا علي زين).

وهذا ما جاء في شعر المرحوم علي زين ذكريات في الخيام :

مـــن لـي وقـــد سلـب الزمـان صبائي ... منـــي وقـــوض راحـــلا بصفائـــي
أتذكـــر الماضـــي وأي مصيبـــة ... كالذكريـــات تفـــتُ فـــي أعضائـــي
أيـــام كنـــا والخيـــام كأنهـــا ... غيـــل تحامتـــه عيـــون الرائـــي
فيهـــا أســـود وغـــى ليـــوث عرينـه ... حنطـــت بسمـــر قنـــا وبيض ضياء
أمجـــاد عبـــدالله أهـــل حفيظـــة ... قدمـــاء وآلهفـــي عـــلى القدمـــاء
الظاعنيـــن بمجدهـــم وحفاظهـــم ... عـــن قمـــة العليـــاء للغـــبراء
ذهبـــوا كرامًـــا والخيـــام خيامهـــم ... وضَـــاءة بسجيـــة الكـــرمـــاء
ولكـــم حزنـــت لنأيهـــم وتصاعـــدت ... زفـــرات آهاتـــي مـــن الأحشـــاء

لــولا البقيــة منهــم مــا حولــت شعــلات نــار الوجــد للإطفــاء
كــان العلي أبــا المكــارم سلوتــي وأبــو الحسيــب أخ الوفــاء هنائــي
أخوان تجمعنــا الخيــام عـلى هنــا نمســي ونصبــح فــي حياض صفـاء
تأتــي العشيــة والحديــث حديثنــا ونحــاط بــالجلســاء والندمــاء
مــا حيلتــي مــن بعدي ما سلب الــردى أنســي وغيــب بالثــرى عشرائــي
أيطيــب عيشــي والذيــن صحبتهــم رحلــوا أمامــي والمنــون ورائــي
أصبحــت لا ميــت مــع الأمــوات في وطنــي ولا حــي مــن الأحيــاء
متلفــت حولــي أحــاول أن أرى مــن كنــت أرجوهــم فخاب رجائــي
أواه قــد ذهــب الذيــن كسنهــم سنــي وكــان هواؤهــم كهوائــي
وإذا التفــت إلــى الخيــام تقطّعــت أسفــا عــلى أسيادهــا أمعائــي
أعــلي عبــدالله أنــت سبقتنــي وتركتنــي فــي لوعتــي وبلائــي
لــم أدر بعــد نــواك لا عــودٌ متــى أنعــي وتــهــدر للمنــون دمائــي

قصيدة رثاء للشيخ عبدالحسين صادق، وهي من القصائد العصماء رثى بها حبيبه وخليله من الدنيا الحاج محمد أفندي عبدالله، يقول الشيخ حسن صادق ابن العلامة عبدالحسين صادق: دموع والدي الحرَّى على المرحوم خالنا الحاج محمد أفندي عبدالله :

أبــى البارق المستنّ مــن شــرق لبــنان ســوى ســوق أحشائي إلى غرب أجفاني(١)
تــألق عــرضًا فــي سويــداء مــهجتــي فشُــقت ولــكن عــن مــوارج نــيران(٢)
فــمــا رعــده إلا دويّ تــزفــري ولا غــيــمــه إلا مــلــبّــد أشــجــانــي(٣)
يسيــل فيرقــى سيلــه غــارب الربــى وما السائــل الراقي سوى العلق القــاني(٤)
بحيرتــه عينــي ومجــراه محجــري وخــدّاي منــه الــواديــان الــعقيقــان(٥)
جرى بعضــه فاستغــرق الجسم كلــه فقــاح الحشــى مني فمــضّ فأضنــاني

(١) المستن: الخفوق. غَرَبٌ: العين التي تَدْمَعُ ولا ينقطع دمعُها.
(٢) مارج: لسان النار.
(٣) أشجان: جمع شجن، وهو الحزن.
(٤) الغارب: أعلى كل شيء.
(٥) العَقِيقُ: هو الوادي الذي شَقَّه السَّيل.

وقفت على الربع الرقيم من البلى بأسطر أوعاس وأحرف كثبان[١]
أشكّله من ماء عيني بلؤلؤ وأنقطه من نار قلبي بمرجان
وألفت طرفي يمنةً بعد يسرةً فيختط من جزع المدامع عقدان
وينظّم أفلاذ الحشا خيط أوهتي فينثرها موقاي ياقوت عقيان[٢]
وتنسج للأطلال صنعاء مقلتي إزارين ورديين من صنعِ نعمان[٣]
وما بالمزين الدار حلي وحلّة وقد أخلقا ديباجتيها الجديدان
نظرت إليها فاستفزّ الأسى الحشا بصاليه واستعلى عليّ فأحناني
فما أنا إلا القوس والنبل أدمعي وما الهدف المرمى سوى الطلل الفاني
أظلّته من بكر الخطوب غمامة وعنه استقلت بالبنّية والباني
أصابته عين الحادثات فغادرت غناء قمارية مناحة غربان
عركت عيوني مذ فتحت جفونها فلم أرَ أوطاني كما هي أوطاني
فراجعت نفسي هل بطيفٍ من الكرى أرى ما أرى هل مسني طائف الجان
فأين الخيام البيض مضروبة على عمود علاً من دونه شأو كيوان[٤]
ضحى الأمس كانت ندوة أرحبية لمعنٍ ولقمانٍ وقسّ وسحبان[٥]
وغيل لمفتول الذراعين ضيغم يصول بنشابين بيض وخرصان[٦]
على منكبيه حاملٌ كل مخطرٍ وما منكباه غير رضوي وثهلان[٧]

---

(١) الوعس: الأثر.
(٢) الموق: مجرى الدمع من العين.
(٣) إزار: وهو ثوب، ويرمز إلى شقائق النعمان وهو بلون الدم.
(٤) ضَربَ الزَّمانُ: مضىَ: القرن الذي ضَرب مليء بكبار الحوادث. العَمُودُ: السَّيِّد الذي يُعتمد عليه في الأمور.
كيوان: اسم كوكب ومما يقال شعراً في ذلك:

أنت كالشمسِ في الضيّاءِ وإن جاوزتَ كيوانَ في عُلُوِّ المكانِ

وهنا يكون معنى كيوان: زحل.
(٥) معن بن زائدة وكان أجود العرب، لُقمان: (اسم) أحد حكماء العرب ومُعَمَّريهم، ضرُب به المثل في الحكمة. وقُسُّ بن ساعدة الإيادي، من حكماء العرب قبل الإسلام. أما سَحْبَانُ: رجل من وائلٍ مشهور بفصاحتِهِ وبلاغتِه.
(٦) الغِيلُ: موضعُ الأسد. والخُرْصُ: الدِّرْعُ، وجمعها خرصان.
(٧) ثهلان اسم جبل قال الفَرَزْدقُ:

فادْفَـعْ بكَفِّكَ إن أردتَ بِناءَنا ثَهْلانَ ذا الهَضَباتِ هَل يَتَحَلْحَلُ

يخوض عباب النائبات بعزمة ... مجفّفة في نارها كل طوفان
يمدّ لنصر الحق بيضاء راحة ... بها اجتمعت آيات موسى بن عمران
فكم فرّقت بحراً وكم لقفت عصاً ... وكم أبطلت سحر الظلم وعدوان
على نزعات الناس مؤمنة به ... جميعاً فما في الكون إلا ابن إيمان
تقدّس عهديه قديماً وحادثاً ... رجال الحجي من موسى ونصراني
وما فرق الإسلام وهي كثيرة ... بمختلف منها بعلياه فردان
يرى الله أنواع الكمال بأسرها ... وقال لها كوني محمداً الثاني
فكانته والإلهام والوحي رأيه ... ومنثوره والنظم آيات قرآن
تشظّى غلاف الدهر عنه جمانة ... تحلّت بها عليا تنوخ بن قحطان(٨)
قضى من سنّيه الغر تسعين حجة ... يلبّي بها الله صوت امرئ عاني(٩)
إذا ركبت يمناه متن يراعة ... وجالت وسبّاق الأنام بميدان
يجد كل أقلام الورى من ورائه ... فمن عاثر كابٍ ومن ظالع واني(١٠)
أجدل علمني لأيّة وجهة ... وقد غبت عن عينيّ مطمح سلواني
ثكلتك والصبر الجميل فعاذر ... إذا أدهشتني فيك روعة ثكلان
وساورني ثعبان حزن منضنضٍ ... تنشّب منه في الحشاشة نابان(١١)
عهدتك تأبى أن يغبّر مطرفي ... أذىً أو يمس الكرب أطراف أرداني(١٢)

---

(٨) وهنا يشير إلى أن الحاج محمد كان موضع فخر أجداده التنوخيين. وتنوخ بن قحطان هو جد التنوخيون ملوك العراق في محيط الفرات الأدنى، وكانت الحيرة عاصمة ملكهم كما هي عاصمة ملوك اللخميين والمناذرة، وإلى تنوخ هذا ينتهي نسب الفقيد (الحاج محمد أفندي عبدالله) والإثباتات عليه متوفرة منه ما وجد على بعض مخطوطات كتب المرحوم الشيخ نصرالله بن الشيخ إبراهيم يحيى ما نصه: لقد دخل هذا الكتاب في ملك موسى بن علم الدين التنوخي القاطن الخيام سنة ٧٥٠ هجرية. هذا الشرح كُتب على حاشية ديوان "سقط المتاع"، صفحة ٢١٢، على هامش بيت الشعر الواحد والثلاثين.

(٩) العَاني: الذليل، هو التذلل أمام الله. وكذلك هنا العاني أسير الإيمان.

(١٠) كابٍ: فاعل من كبا. ظالع: من ظلع البعير في مشيه إذا عرج فيه (س.ع).

(١١) ساوره: أي وثب عليه. والنَّضْنَاضُ من الحيَّات: الذي لا يثبُت في مكانه لِشِرَّته ونشاطه، أو الذي يُخرِجُ لسانه يُنضنِضُه.

(١٢) أردان: الثوب.

فما لي أراك اليوم أغضيت ناظراً ... فادح الخطب المبرّح أرداني[١]
وقلبت قلبي فوق صالية الجوى ... وما بين مشحوذ الغرارين القاني[٢]
عذرتك ما صدّتك الأمنية ... بها الأخوان التوأمان شتيتان
على العيش والدنيا العفا ما هما معاً ... بحلوين ما مرّ الزمان وأبقاني[٣]

وهذه أيضاً مناحته الثانية في الحاج محمد أفندي رحمه الله يظهر مقدار تأثره وحزنه عليه:

سِمة الغريق تشبّث بلصيقه ... فلذا تشبث ناظري في موقه[٤]
وارحمتاه لغارقين بزاخر ... للدمع لا يرثي لحال غريقه
سقطا معاً في صافق آذيه ... تتراقص العبرات في تصفيقه[٥]
دمع تكهرب منه بحرٌ أسودٌ ... بأشعة من جزعه وعقيقه[٦]
ما حال إنسانٍ تحوّل دمعه ... ناراً تسيل به جميع عروقه
فتزفرات الصدر صوت خريره ... وتموّجات القلب دفع دفوقه
وقذى العيون رغاؤه وشجى اللّهَا ... سَدُّ تحكمّ في مضيق طريقه[٧]
تتزاحم الأوهات حول عبوره ... فيقام سوق تلاكم في بمضيقه
وله تُساق بضائعاً فلَذ الحشا ... هوناً فاعظم في بضائع سوقه
تلك اليواقيت الثمينة باعها ... للعين مسجور الحشا بشهيقه[٨]
فتزرّر الخدان من مرجانها ... مذ شق جري الدمع ثوب شقيقه
وتفتقت أكمام جُنْبُذ ورده ... فزها وحسن الورد في تفتيقه[٩]

(١) أردى: أهلك، قتل، أسقط.
(٢) يُقال: شَحَذْتُ السِّكِّينَ: أي حَدَّدْتُهَا، سَنَنْتُهَا. الغِرَارُ: حَدُّ السيف ونحوه والغرارين مثنى.
(٣) ديوان "سقط المتاع"، للشيخ عبد الحسين صادق، صفحة ٢١٠،٢١١،٢١٢،٢١٣. الجزء الأول، نشره ولده المرحوم الشيخ حسن صادق، وحصلت على نسخته الأصلية في ربيع ٢٠١٢م من عمنا حفيد الحاج حسن عبدالله، السيد علي الحاج جواد عبدالله أبو حسين مواليد ١٩٢١، أطال الله في عمره.
(٤) الموق: هو طرف العين الذي يلي الأنف وهو مخرج (مجرى) الدمع.
(٥) صفقَ الشيءَ: ضربهُ ضرباً يسمع له صوتٌ، العبرات: الدموع.
(٦) عقيق: كل وادٍ شقّه السيل قديمًا فوسّعه.
(٧) اللَّهَاةُ من كلِّ ذي حَلْقٍ: اللَّحْمَةُ المشْرفةُ على الحلق.
(٨) سجَّر الإناءَ ونحوَه سَجَره: ملأه حتى فاض: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ): فاضت وارتفعت أمواجُها. سجَّرَ النَّارَ: أوقدها، أحماها.
(٩) جُنْبُذ: وَرْدُ شَجَرَةٍ قبل أن يَتفتَّح، وقد سُمِّيَ شَجَرُ الرُّمَّانِ.

ما ذاق عمر الليل مضمضة الكرى ... من عاقدٌ جفنيه في عيوقه[١]
فإذا تنفّس صبحه وقف الشجا ... عَرضاً فاشرقه بغصة ريقه
وتجرّع القعبين قعب صبوحه ... سُما ذعافيّا وقعب غبوقه[٢]
ما ابتل من رمق الحياة برشحة ... إلا وجففها لهيب حريقه
خف الرفيق فخفّ حلمي دهشة ... والمرء يدهشه فراق رفيقه
ما غادرت لنياط قلبي وصلة ... نغمات حادية وحنّة نوقه
طار الفؤاد فما مددت له يدا ... مَن يقبض البازيّ في تحليقه[٣]
لي وقفة والطرف في تصويبه ... يرمي مريشه وفي تفويقه[٤]
فأرى خلال الدمع ربعا صوّحت ... عرصاته من ريقه وأنيقه[٥]
فامده من ناظري بعارض ... للدمع رقراق السحاب غدوقه[٦]
فيزيده مدرار عيني حرقة ... بيّاسة لنديه ووريقه[٧]
إنّا وما هو غير يحموم الأسى ... تغلي مراجله برعد بروقه[٨]
يا ظاعنا برحاله ورحاله ... مهج الورى حُره ورقيقه
طلق العنان مهاجراً لإمامه ... بوركت من راخي العنان طليقه[٩]
كن طيّباً نفساً وفدت على حمىً ... تتنسم الأفلاك طيبَ خَلوقه[١٠]
فلقد دخلت البيت بيت أمانه ... وسواك ينظر من وراء شقوقه

(١) الكرى: النعاس. مَضْمَضَ النعاسُ في عينه: دبّ. والعَيُّوق: نجم أحمر مضيءٌ.
(٢) القَعْبُ: قَدَحٌ ضَخْمٌ غليظ. والغَبُوقُ: ما يُشْرَب في العَشِيِّ، خِلاف الصَّبُوح.
(٣) البازي: جنسٌ من الصُّقور الصَّغيرة.
(٤) رَيَّشَ السَّهْمَ: أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ. يرمي مريشه اى سهام نظرائه الحادة(س.ع).
(٥) صوّح النبات: يبس وتشقق. صوّحت الشمس أو الريح الشيء: جففته حتى تشقق. العَرْصَةُ: ساحَةُ الدَّار. والرِّيفُ: السَّعَةُ في المأكل والمشرب. والجمع: أرْيافٌ، ورُيُوف.
(٦) رَقْراق: الدَّمْعُ الَّذِي يَغْمُرُ العَيْنَ ولَا يَسيل. سَحابٌ رَقْراقٌ: ما ذَهَبَ مِنْهُ وَجاء.
(٧) الوريق: يُقال شجرة وارِقةٌ ووَرِيقة ووَرِقةٌ خضراء الوَرَق. كأن الشاعر يقول لهيب الحزن أتى على الأخضر واليابس.
(٨) اليحموم: الأسود من كل شيء ملتهب (س.ع).
(٩) مهاجراً إلى إمامه. نُقل جثمان الحاج محمد أفندي إلى العراق، ودُفن بجوار حامي الجار أمير المؤمنين علي عليه السلام سنة ١٩٢٩م.
(١٠) خلوق: نوع من الطيب، أعظم أجزاءه من الزعفران.

أنت الصريح ولا وغيرك ملصق ... شتّان بين صريحه ولصيقه
ما كنت منذ كنت إلا شيعة ... للصادقي موفيّا الحقوقه
أنت الصدوق بودّه وولائه ... وسواك أي وعلاك غير صدوقه
سمة الصميمي الوداد عداوة ... لعدّوه وصداقة لصديقه
كم مدّع موسى وليس بذي يد ... هي حجة كبرى على تصديقه
خذها إليك أبا علي نفثة ... من ثاكل دنف لفقد شقيقه[1]
ويطارح الورقاء فيك مناحة ... ومساجلا للغيث في تدفيقه
فلاءً بكينك دائماً حتى اللقا ... كبكاء يعقوب على صديقه

(١) نَفْثَةُ: ما يخفِّف به عن صدره ويُرَوِّح به عن نفسه.. دَنِفَ الْمَرِيضُ : اِشْتَدَّ مَرَضُهُ وَقَرُبَ أَجَلُهُ فهو دَنِفٌ والجمع : أَدناف. "سقط المتاع"، صفحة ٢١٣،٢١٤،٢١٥.

صاحب السيف والقلم
الحاج محمد أفندي عبدالله
على فرسه المطهم

هذا ما جاء في وصف فرسه[(١)]:

أذرع البيد في سنابك جدرا ... نيّة من بنات قُب المهار[(٢)]
عَبلة المتن والشِوى رحبة الأ ... كفال والصدر ضخمة الأزوار[(٣)]
قبّة الأيطلين ناهدةِ الرد ... فِين شمآء منكب وفِقار[(٤)]
وكأم الرئال زفًّا وعَدوا ... في رحيب الأنجاد والأغوار[(٥)]
وبإقبالهاَ كمشبِلة الوَعل ... وشبه السرحان في الأدبار[(٦)]
وإذا أعرضت فقصرٌ مشيّد ... ما له غير أربع من قرار
هي إن صعّدت فتحلق صقرٍ ... وإذا صوّبت فسيل قطار
ما تجارت والريح إلاّ وقالت ... للنعامى عداك شقّ غُباري
كُرةٌ أُدحيت من الجو للأرض ... فقلِ فلكة على دّوار
لجنوب وشمأل ولشرقٍ ... ولغرب جوّالة المضمار

(١) شعر الشيخ عبد الحسين صادق، من ديوان: "سقط المتاع"، صفحة ٢٠- ٢١.
(٢) جدرانية: نسبةً إلى جدران، وهو أصل عالي من أصول الخيل.
(٣) عبلة المتن: ضخمة الشوى، قوائم الفرس. الأزوار: أعلى وسط الصدر.
(٤) قب؛ أقب الضامر: البطن. الأيطل: الخاصرة. الناهد: المرتفع. الفقار: خرز الظهر.
(٥) الرئال: جمع رئل، ولد النعام.
(٦) الوعل: تيس الجبل السرحان، الذئب.

عاهدتنـــي علـــى السُـرى فوفـت لي   والوفـــا مـــن ســـجيّـــة الأحــــرار
لا أراهـــا ســـــوى عـــروسٍ مـــن   النجـــب العَذاري خلاّعـــة للعـــذار
ما ورتـــه قدحــــاً فشمـــع زفـــافٍ   أو رمتـــــه قذفـــاً فسقـــط نَثـــار
تشفـــع المطربيـــن صفقـــاً ورقصـــاً   بصهيـــــل كنغمـــة الأوتـــــار
ضربـــت كلَّـــة مـــن النقـــع ســـدّت   فُـــرجـــــة الخافقيـــن بالأستـــار
فالثـــرى أرضهـــا وهـــام الثريـــا   سقفهـــا والفضـــاء شِبـــه الجـــدار
لـــو درت مـــا طويتـــه فـــي محانـــي   أضلعـــي مـــا كتمـــت مـــن أســـرار
لـــم تلـــحُ بيـــن حاجبيهـــا سِمـــات   لســــــرور كـــلاّ ولا استبشــــار
مـــن سجايـــاي كتـــم لاعجة الوجد   وإن قطعـــت نيـــاط فقـــاري
فترانـــي افتـــر ثغـــرا وقلبـــي   عـــازبٌ عـــن تبسّـــم وافتـــرار
وغيـــوم الـهمـــوم منكفئـــات   لـــم تكـــن خُلّبـــا مـــن الأمطـــار(١)

---

(١) الخلّب: السحاب لا مطر فيه.

أفندي كبير وزعيم عظيم

الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله

١٨٤٢-١٩١٦م

هو الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن ابن الأمير محمد ابن الأمير عبدالله ابن الأمير موسى علم الدين عبدالله التنوخي. ولد في الخيام سنة١٨٤٢ والدته الحاجة خديجة ملحم شقير، تزوج الحاجة بيبة[١] ابنة الشيخ إبراهيم صادق أخت العلامة المرجع الديني الشيخ عبدالحسين إبراهيم صادق، أنجب من الحاجة بيبة ثلاثة أولاد: الحاج خليل أفندي، علي أفندي وعبداللطيف أفندي توفي الأخير صغيرًا دون عقب، ومن الإناث خمسة توفي في الخيام عام ١٩١٦م عن٧٤ عاما ودفن في مسجد الخيام[٢] الذي بناه والده الحاج حسن عبدالله، وكان قد أتم الحاج ابراهيم توسعته وبنى بعض الملحقات على أرضه التي ورثها عن والده.

شخصية الحاج إبراهيم العبدالله :

كان شهمًا همامًا أبيًا عالي الهمة سموحا له إقبال على الناس، من أكارم أعيان المنطقة جليل القدر سخيًا كريمًا جوادًا شجاعًا مقدامًا انسانًا غيورًا يمتاز بمكارم الأخلاق وجميل الصفات وصادق النيات، وهمة تطلب الغايات، فارس العاديات، تعددت عنه المرويات فأحبه الصغير قبل الكبير، لا يخاف في الله لومة لائم، كان عروبيًا لا يفوق إيمانه بالعروبة إلا ايمانه بالله، وهو تقي مؤمن ورع تواضع لله فزاده رفعة.كان يمثل مرجعية سياسية وركيزة من ركائز السلم الأهلي والاجتماعي في المحافظة على الوشائج والترابط المذهبي على اختلافه وتنوعه، ونشر المحبة والتسامح كي تستمر الحياة ويزداد التمسك بالأرض نحو بناء الأوطان.

تحتار من أين تبدأ وكيف تفتتح الحديث عن الحاج إبراهيم وهو رجل يساوي أمة، وأمة اجتمعت في رجل. ههنا في ظلاله نتفيأ ونسأل كيف نلملم قوانا الروحية والمادية أمام هذا العظمة

(١) وقد يُكتب اسم بيبة على هذا النحو: بـي بـي، وهو اسم أم الإمام زين العابدين (ع) اسمها (بـي بـي شهر بانو).

(٢) ذكر مسجد الخيام السيد محسن الأمين في خطط جبل عامل ص١٥٢. وقال بأنه مبنيّ بالقرميد.

الإنسانية؟ بل كيف نلج صروحه العالية وساحاته الواسعة ما وسعت الدنيا ساحات ألبسها ثوب العزة والكرامة؟ أم كيف نفترش ونتظلل بسماحة أخلاقه العالية ، أم بطباع مروءته ووقاره.فإذا تكلمنا عن السياسة فهو المعلم الأول والأخير وإن تكلمنا عن فلسفة الحياة لوجدناه فيلسوفًا عالمًا وإن تكلمنا عن الاقتصاد لرأيته اقتصاديًا ومفكرًا من الطراز الأول.

فكر ونهج الحاج إبراهيم :

أعطاه الله من صفات القيادة فكان قائدًا مميزًا ووهبه رحمة جعلها في قلبه، فكان يمثل الإنسان أولى اهتماماته فاعلًا للخير صادقًا مع الناس والمجتمع، عمد إلى توزيع الثروة بغض النظر إن كانت نقدًا أو عينًا أو صكوك معدنية أو ورقية القصد المنفعة أي منفعة الناس وعمل على توزيع الأراضي والبيوت، بدافع بناء مجتمع يقوم على العدالة الاجتماعية. دعونا لا ننظر إلى حجم عطاءاته وهي كثيرة جدًا بالتأكيد وذلك بتقييمنا إلى ذلك العصر الذي كان يتحكم به عوامل كثيرة من أهمها القوانين الجائرة للسلطة العثمانية.

علينا هنا أن ننظر إلى فكر الحاج إبراهيم هذا الفكر المتميز الذي قدم نماذج رائعة في الإنسانية والعدالة الإجتماعية، وهي غايته وماكان يصبو إليه ويخطط له مع الأخذ بعين الاعتبارما كان يوفره ذاك العصر من إمكانيات متاحة ،وظروف سياسية واقتصادية قائمة كانت بمجملها تتحكم بمفاصل وزوايا المجتمع، لقد قدم الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله أكثر من إمكانياته المادية والسياسية وهو لم يكن يملك آبار نفط ويصدر إنتاجها إلى أوروبا، ولا كان يملك بوارج عسكرية تجوب المحيطات ولو كان يملك ذلك لرأيت الراية العربية التي أتى بها إلى الخيام أخوه الحاج محمد أفندي دعمًا للملك فيصل والثورة العربية في سوريا ترفرف اليوم فوق أسطح نيويورك وباريس وموسكو، ولكان جهابذة الاشتركيين الذين ملؤوا مسامعنا أحلامًا وردية لا يُكنّون بالماركسية واللنينية البائدتين والليبرالية النهمة المتوحشة والعلمانية الزائفة، بل بالإبراهمية نسبة إلى هذا الرجل الفذ، الذي سبق الثورة البلشفية بسنوات وطبق الاشتراكية بمنظور إسلامي رائع، وبعد وفاته بسنة أطلت علينا الثورة البلشفية الستالينية١٩١٧م. لا نقول ذلك جزافًا ولاعلى سبيل المبالغة بل نستخلص النماذج الرائعة من خلال قراءتنا لسيرة هذا الرجل العظيم ومناقبه وتراثه المليء بالقصص المعبرة والمواقف المميزة التي تعجز الرجال أن تأتي بمثلها.

لم يكن الحاج إبراهيم يفلسف الأمور ويضيِّع الناس بين متاهات العقل البرجوازي والبروليتاري، وما كان يقص على مسامع القوم دروسًا عن الفكر الأرستقراطي ويبيّن لهم الفرق بين المادية

التاريخية والمادية الديالكتية، ويتحدث عن فائض في الثروة و تراكم في الثروة هنا وهناك ولا عن الصراع الطبقي والبرجوزية العالمية، كما وقع جيلنا والذين من قبلنا السابقون السابقون في بحر من الأحلام الوردية، وكنا نخاف أن يصيبنا الحسد لندرك فيما بعد بأننا نعيش أحلام اليقظة في بروج شاهقة، أين أُولئِكَ المفتون والمُنظِّرون وأين المجتمع الذي وعدوا به مريديهم وأنصارهم لنكتشف بأن كل ذلك ما هو إلا شعوذة سياسية وعناوين قصص مثيرة ولا تتعدى المراهقة السياسية.

المعذرة أخي القارىء لقد اطردنا واستطردنا في ذلك لنبين بأن الحاج إبراهيم أبداً لم يكن ليستغبي الناس ويستغل جهالة القوم ليلفق قصة هنا وحديثًا هناك والعياذ بالله بأن يقول كذبًا وينطق زورًا. بل عاملهم بطيبة الإنسان العاملي الصادق الأمين الغيور المحب ..... عندما سار بسيرة آبائه وأجداده.

الحالة الاجتماعية في عصره وصعوبة الوضع :

كان الحاج إبراهيم يجهد ويعمل على توفير شكل من أشكال المنظومة الإجتماعية، يتحقق من خلالها الحد الأدنى من الاستقلالية وبعض من القرار السياسي الحر، في ظل ظروف صعبة للغاية وشديدة جداً في الصعوبة، تصور أخي القارىء أنت تعيش على أرضك وفي وطنك وبلدك وبين أهلك، لكنك مسلوب الإرادة ومحروم من قوت عيالك ومحروم من العمل والزراعة والحراثة في أرضك من دون العودة إلى السلطة العثمانية الحاكمة، بأبي أنت وأمي يا إبراهيم هل لك إلى الخلاص سبيلٌ وإلى الأمان طريقٌ وإلى النجاة منفذٌ، في مجتمع يلهث ويجهد ويعتصر عرقه ويكفكف دمعه من أجل الحصول على لقمة عيشه وأمنه، ويحلم في ظلٍ وارفٍ تحت سقف من مكون سياسي بسيط لايتعدى حيز حصيرة القش التي يفترشها أرضًا، وعلى حجرٍ مدبب يسند رأسه ويلتحف دياجر الليالي، كي يقيه ذلك تبعات الجور العثماني وهول الحياة ومرارتها وشظف العيش،ونصال وسيوف وبارود وبنادق ومقاصل جمال باشا السفاح ومن قبله الولاة أمثال أحمد باشا الجزار وما ادراك ما هذا الغدار صاحب الحديد والنار، الذي أصاب الديار بالدمار. إليك بعض القليل القليل مما حصل في عهده. لقد جاء في كتاب مطالب جبل عامل: لقد مورس التعسف بكل أشكاله ضد أهالي جبل عامل وأن الولاة العثمانيين جردوا عليهم سيف الظلم، المئات منهم كانوا يموتون في الطريق إما دهسا وإما التعمد بأسقاطهم في البحر، وجرهم إلى السخرة ومات كثير منهم في ورش عكا. كانت ممارسة في قِمة السادية حتى لم يكن أحد يلتفت إليهم عندما كان يعلم بأنهم من جبل

عامل، ومما يذكر بأن مجموعة من أهالي جبل عامل ماتوا في أبشع صور الموت عندما انهار عليهم حائط كانوا يحفرون أساسه، مع مقدرة الحضور على مساعدتهم والخروج بهم أحياء إلا أن الجزار منع الناس من أن تساعدهم عندما علم بأنهم من جبل عامل حتى قال: دعوهم إذا كان الله قتلهم مالكم ومالهم(١).

هذا غَيْضٌ من فيض إن السعي والنجاة بالنفس والمحافظة عليها كان في بعض الأحيان يشكل أولى أولويات الناس أمام جحافل المستبدين الذين لا يرعون الواجبات الدينية والشرعية ولا الإنسانية. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم : ٣٥].

أخي القارىء إن كنت لا تعلم: هذه حقيقة الواقع إن ما تكابدته هذه الزعامات من أجل الناس يفوق معاناة أمة لكنها صمدت وأعطت كل ما تملك من أجل بناء مجتمعات يحيى بظلها الإنسان .

حكمة الحاج إبراهيم أدت إلى صمود الناس في الأرض :

سوف نتطرق إلى حدثين بارزين هامين شكلا حينها نقطة ارتكاز مهمة، أسست إلى مراحل مستقبلية تم البناء عليها، الحدث الأول كان في عاليه. أما الثاني في منطقة جبل عامل والحدثين كانا مع جمال باشا، هذا وسوف نتطرق إليهما بالتفصيل. لكن الذي نود قوله لم يكن الحاج ابراهيم وصوليًا أو أنانيًا وإلا لكان استغل هذين الحدثين اللذين لو تسنى وصولهما إلى غيره، لشكلا منعطفا أساسيًا وأحدث تغييرًا جذريًا كما كانت تفعل بعض الزعامات، كان بإمكانه امتلاك عشرات القرى لكن لم تكن ضمن إستراتجيته وسياسته كسائر بعض السياسيين كان يعطي ولا يأخذ. ومما لا شك فيه بأن المنطقة كانت تحت الحكم العثماني إلا أن السلطة الفعلية كانت بأيدي العائلات حين كان على رأس كل عشيرة أو أسرة رجل يتميز في أسرته، فتكون له سلطة إما بالثراء أو المهارة القتالية المميزة أو من أصول أرستقراطية ذو حاكمية أو ذو زعامة محلية له تأثير مباشر من خلال عصبية أسرية.

ومما يذكر بأن الحاج إبراهيم قام بحركة استباقية (قوطبة) عندما علم بأن الإدارة العثمانية سوف تلجأ إلى مصادرة الأرض التي لا تحرث ولا تزرع، وبالتالي كثير من الناس سوف يحرمون من رزقهم وأرضهم مما يؤدي إلى تشريد كثير من العائلات، ولتجنب ذلك وهو الذي إشتهر بذكائه

(١) كتاب "مطالب جبل عامل"، للدكتور علي عبد المنعم شعيب، صفحة ٤٦، المؤسسة الجامعية طبعة أولى ١٩٨٧م.

وبحكمته وحسن إدارته عمد إلى شراء وتوزيع الثيران على الفلاحين لتجنب مصادرة أرضهم حيث كان الصمود أنذاك يتطلب حرث الأرض ولو شكليًا وإلا تصادر، حيث يلجأ الفلاحون إلى قلب وجه الأرض والتظاهر بزراعتها حتى ينجوا من مصادرة أراضيهم، كانت الثيران تشكل المصدر الرئيسي ليس للصمود بل للإعتياش ودر الرزق لكثير من الأسر[١]. وكي يزداد العاملي تمسكا بأرضه وبيئة مجتمعه،كان المطلوب أن تُغرس القيم الروحية المحفزة على العمل والصمود وغرس ثقافة الوعي ليكون هناك ارتباط وثيق بين الإنسان الجنوبي وأرضه، خاصة في هكذا بيئة فيها للأجنبي المحتل اليد الطولى، وكان مطلوبًا توفير الحماية لهذه المنظومة الاجتماعية وتوفير الحصانة اللازمة من أن يساق ابن الجنوب إلى الجندية ويموت دفاعًا عن السلطان الفلاني على شواطىء الدردنيل، يقول المثل : زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون ونقول بدورنا : صمدوا فصمدنا ونصمد فيصمدون هذه هي الفكرة الرئيسة والموعظة والحكمة والوعـي الذي أسـس لها المرحوم بإذنه تعالى الحاج إبراهيم العبـــدالله.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [إبراهيم : ٣٥].

لقد استمعت إلى روايات كثيرة ومختلفة عن المرحوم الحاج إبراهيم حتى أن أحدهم قال بأن الحاج إبراهيم كان يوزع الثيران على الفلاحين، وبقيت مترددًا وكنت قد اجتنبت ذكر ذلك وأعرضت عنه لأننا بصدد ذكر الثّورات وليس الثيران.وكان الهم الرئيسي هو البحث والتحرى عن المواقف المتميزة.حتى جاء الخبر اليقين فيها بعد بأن توزيع الثيران[٢] ليس بالأمر السهل من حيث الكلفة العالية، ومن خلال البحث والمتابعة عن حياة العامليين وأحوالهم الزراعية والبلدات

(١) عصْر كان فيه الدواب كالبغال والثيران والخيول وغيرها هي الأكثر مقدرة وقوة على صعود الجبال وشق الأماكن الوعرة، وما زال الناس في بعض المناطق من لبنان، الجبلية والوعرة تستعين ببعض هذه الدواب على قضاء حاجتها.

(٢) جاء في "خطط جبل عامل"، للسيد الأمين في صفحة ١٠٠ ما قاله الشيخ علي مهدي شمس الدين، المتوفي سنة ١٣٧٣ هجري، عندما وعده أحد الوجهاء بإهدائه ثوراً ثمّ أخلف. يعكس ذلك مدى أهمية هذه الدابة وما تمثله في حياة القرويين من قيمة حقيقية استدعت من الشاعر كل هذه الحسرة والقهر ومرارة العيش، فيما قاله شعراً:

عمّرت بايكة ومعلـف ... وربطت طاروساً مكلّف
ثـمّ اكـتريت أجـيرة ... غراء كالغصن المهفـوف
يا ظـالمي كـلّـفـتنـي ... فوق العنا بأهمّ مصروف
ليت الزنـاق يـشـد في ... عنق الذي فيكـم تعرّف
لو كـنت قـبلاً لم تعـد ... ظنّـاً لكان الظنّ أشـرف
وأظـنّ أنّـك لا تـفـي ... حتّى يكون الثور خلّـف

المجاورة والمتداخلة بتاريخها مع أبناء جبل عامل كقرى الجليل الفلسطيني والجولان السوري. حيث كانت تحدد حصص الأرض بالاعتماد على عدد الثيران التي يملكها الفلاح وكمية الارض التي باستطاعته حرثها وبذرها، وإذا كان قد مُورسَ نوع من إفقار الفلاحين من قِبل بعض العائلات النافذة في المنطقة والجوار كان لوجهاء آل عبدالله رأي آخر حين نبذوا هكذا أعمال. ورغم كل ذلك قد وصفهم البعض بالاقطاعيين وكلنا فخر بهكذا إقطاعية همها الانسان والناس والمجتمع. يذم كثير من الناس نظام الحكم الاقطاعي، ويعددون مساوئه ويعتبرون أنه كان شر أنواع الحكم، أصاب في عهده كثير من الأذى والأضرار، وهذا الحكم الذي أصدره الناس على الحكام الاقطاعية فيه كثير من التجني والقساوة وقلة التدقيق والمتابعة، ومن تتبع الحوادث التي جرت في عهد لاقطاعات، ودَرَسَ أعمال الحكام وتعمق في البحث، يرى أن الأحوال كانت تختلف عن غيرها من البلدان كان العامليون يعيشون في عهد الاقطاعيين حتى في زمن الحروب في عز ومنعة، لا ضرائب ترهقهم ولا حكام تظلمهم وكان حكامهم بهم أرفق وعليهم أحن وأشفق، وكان المسلم الشيعي إذا سار إلى غير بلده يسير معتزًا يسير بنفسه وبطائفته وقوميته لا يجرؤ أحد على تحديه أو إذلاله واحتقاره(١)، ومما يذكر بأن الحاج إبراهيم العبدالله كان قد دخل عليه رجل من بلدة الخيام وهو يحمل إليه بعض من غلل الأرض الذي كان يعمل فيها وهي تعود ملكيتها للحاج إبراهيم وعندما رآه أشفق عليه فوهبه الأرض وقال: هذه الأرض ابتداء من هذه اللحظة أصبحت ملكًا لك ولعيالك. يقول الأستاذ كامل فاعور: إذا كانت الدولة قد أنصفت المزارع والفلاحين حين أصدرت قانون الملكية عام ١٨٥٨م. إلا أن بعض الفلاحين لم يقدموا على تسجيل الأرض بأسمائهم لاعتبارات كثيرة منها الخوف من احتمال ازدياد الضريبة عليهم والممارسات أو لأنهم كانوا يجهلون ما يدور حولهم. وأضاف قائلا بان الخيام لم تكن بمعزل عن هذه التطورات التي غيرت وجه المنطقة. بل أن بعض الأسر فيها، إسلامية ومسيحية كان لها نصيبها أيضًا وبالدرجة الأولى عائلة آل عبدالله التي بلغت ملكيتها في المرج وحده نحو ٧٠٪ من مساحته الكلية مع الإشارة إلى أن أكثر الفلاحين الذين كانوا يعملون في أملاكهم هم من أهل القليعة، وقد اشتهر المرج بأسماء أصحاب البساتين مثلاً بستان علي أفندي عبدالله بستان خنجر أفندي عبدالله وبستان توفيق عبدالله وبستان أحمد عبدالله وبستان نجيب عبدالله وغيره من البساتين التي تعود ملكيتها لآخرين غير آل عبدالله(٢).

(١) كتاب "جبل عامل"، صفحة ١٠٤، آل صفا.
(٢) كتاب "عروس المرج"، للأستاذ كامل فاعور، صفحة ١٣٨-١٣٩-١٤٠.

سقوط الأقنعة وانكشاف النوايا :

كان العثمانيون يتصرفون ويظهرون خلاف ما يبطنون ويسرون، دأب البعض منهم على اتخاذ منحى قِمةٌ في الخباثة والنذالة ونفث سموم الفتنة، فعلى سبيل المثال كان العثمانيون يدعون الناس للاجتماع بهم تحت عناوين براقة جذابة، كانت دعوتهم أشبه بكمائن وأشراك يهيئونها للإيقاع بالناس، كانت بوادر ظهور يعمل عليها العثمانيون ألا وهي تتريك العرب ومحاولة نقلهم من بلادهم إلى الأناضول ومبادلتهم بالأرمن(١)، لم يكن ليمر هذا الأمر بالسهل، رد أبناء جبل عامل عليه دون أدنى تردد أو خوف حينها تصدت ثلة مؤمنة وكوكبة من العلماء نذكر منهم العالم السيد محمد الأمين من شقراء، والذي حينها نُفي، وذلك لمواقفه العروبية على يد الوالي العثماني إلي طرابلس الشام. وكان محور لقاء العلماء في دمشق عام ١٨٧٧م. هو الانسلاخ عن العثمانيين وإنشاء إمارة عربية ردًا على تتريك العرب من قبل العثمانيين وذلك برئاسة عبد القادر الجزائري .تصاعدت حدة المناكفات السياسية بين الطرفين التيار التتريكي والعروبي، استطاعت السلطات العثمانية كشف ما يدور في الخفاء ونوايا العروبيين ففرقت جموعهم بين إقامة جبرية وبين نفي وسجن وهكذا دواليك. مرت الأيام بعضها وراء بعض بين مستقبل ومودع وسنة بعد أخرى، بين سلطان جائر وآخر عادل وبين متعصب ومنفتح وآخر متفهم، محب وكاره وحاقد ومتسامح وبعد التي واللتيا وفنون السياسة العثمانية الخبيثة، خرجت بلعبة جديدة عناوينها عبارات منمّقة مرقطة زاهية في ألوانها وإذا ما لمستها فإذا هي حية تسعى. ظهرت في تركيا جمعية الإتحاد والترقي وفي سنة ١٩٠٩م. وصلت طلائعها إلى الحكم في تركيا التي دعت إلى المساواة في القومية، فكان صداها واسعًا في مناطق جبل عامل فنالت الإعجاب والمبايعة والدعم والمساندة من العامليين، وكان للخيام مشاركة فعالة (راجع سيرة امين الحاج حسن عبدالله التنوخي) وفي ذروة هذا العمل والحراك السياسي الذي أطل بقرنه واصطفاف سياسي ترجم بإنشاء الجمعيات على امتداد جبل عامل، فإذا كان لكل فعل ردة فعل برز الرجل الثعلب بلباس الناسك المتعبد إلا أن بين جوانبه وتحت عباءته تتنافس شياطين الإنس والجان، هو جمال باشا حاكمًا على بلاد الشام عام ١٩١٥م. محاولًا استمالة العرب إليه للاستفادة منهم في الحروب القادمة وكأسلافه (ومن شابه أسلافه فما ظَلم)، وكان يضمر ما لا يعلن من عنصرية

---

(١) كتاب "جبل عامل في محيطه العربي ١٨٦٤-١٩٤٨"، تأليف الدكتور محمد بزي، مركز الدراسات والتوثيق ١٩٩٣م. بيروت لبنان.

وكراهية وكان يتقرب مُتزلفاً من الزعماء ونفسه تكيد كيدًا والتربص بهم سرًا لمعرفة واكتشاف نواياهم وتحركاتهم للانقضاض عليهم ساعة يشاء ويبنى على الشيء مقتضاه، ومع الأيام أثبتت جمعية الاتحاد والترقي بأنها جمعية أشد عنصرية من غيرها وكارهة للعرب ولكل ما يمت بالعروبة.

في اجتماع عاليه الحاج ابراهيم العبدالله يفوِّتُ الفرصة على جمال باشا :

كانت السلطة العثمانية تنتظر الفرصة السانحة لها لتنتفض على المطالبين بالإصلاح، فانبرى لهذا العمل الدنيء جمال باشا وفي هذا النطاق عقد في عاليه اجتماع بدعوة من جمال باشا حضره زعماء جبل عامل ومنهم بكوات الطيبة والنبطية وأفندية الخيام[١] وبنت جبيل وزعماء عديدون من المنطقة وعلى رأسهم كامل خليل الأسعد، وتكلم جمال باشا في الاجتماع وطالب الزعماء المجتمعين إعلان تأييدهم للسلطة العثمانية في الوقت الذي كانت قد برزت منه تحركات معينة ضد الأتراك، ولكن انبرى للرد عليه متكلمًا باسم المجتمعين الحاج إبراهيم العبدالله وقال: أتكلم باسم أخواني المجتمعين من زعماء الطائفة الشيعية، وأعلن أننا قد بايعنا الخليفة منذ فترة سابقة وليس الآن وأننا اليوم نؤكد لكم هذه المسألة مجددًا، وأعجب جمال باشا بهذا الكلام وأثنى على موقف زعماء جبل عامل الشيعة من السلطة العثمانية[٢]. وهكذا لم يوقع الحاج إبراهيم العبدالله بالوفد ما كان يكيد لهم السفاح وخرج سالما ومن معه ،كانت هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى دافعًا لجمال باشا لتبني سياسة انتقامية ضد كل ممثلي المعارضة العربية، نتيجة شعوره بالخيبة والذل وكان الترك قد ضبطوا في قنصليتي فرنسا ببيروت ودمشق في أواخر سنة ١٩١٤م. أوراقًا تدين عددًا كبيرًا من أبناء العائلات العربية المرموقة بالتعاون سرًا مع فرنسا وبريطانيا، وكان جمال باشا على أثر حصوله على هذه الأوراق قد سعى بشتى الأسباب والحيل لمعرفة تنظيمات العرب السرية، ومن جملة حيله ومكره تودده للبعض ممن آنس فيهم بقية من ثقة في تركيا وكان من هؤلاء عبدالكريم الخليل وبعض من صحبه، فأسرّ إليهم بأن الإتحاديين ينوون إنشاء دولة عربية مستقلة عن سوريا والعراق تكون مرتبطة رمزيا بالسلطان والخليفة في الآستانة، فصدَّق هؤلاء أقواله وأباحوا له عن عزم العرب على الثورة من أجل سلخ سوريا والعراق عن تركيا وإقامة الدولة العربية فيهما، كان من نتيجة كل ذلك انتقام جمال باشا من الذين كانوا يقودون التحركات، وفي مقدمتهم عبد الكريم الخليل ورفاقه[٣].

(١) كان يُرمز لآل عبدالله بأفندية الخيام.
(٢) ورد هذا الخبر في صفحة ٣٧ من كتاب "جبل عامل في محيطه العربي"، للدكتور مصطفى محمد بزي
(٣) نفس المصدر، للدكتور بزي، صفحة ٤٦.

الاجتماع بين الحاج إبراهيم العبدالله وجمال باشا :

عاليه لم تكن اللقاء الأخير بين العبدالله والباشا:

عُين أحمد جمال باشا (١٨٧٣ - ١٩٢٣)، الملقب بالسفاح حاكمًا عسكريًا خلفًا لخلوصي بك عام ١٩١٥م على منطقة بلاد الشام ومصر التي كانت قد خضعت للإنكليز، بأمر من الباب العالي لإصلاح ما يمكن اصلاحه على يد هذا الباشا، بعد تحسس الولاة العثمانيين قدوم الثورة العربية ضد دولتهم والتي أُعلِنت فيما بعد في منطقة الحجاز، إلا أنه قد أخفق في كثير من حملاته العسكرية وخاصة حملته على مصر لإحتلالها، إلا أنه مني بهزيمة كبيرة على يد الإنكليز فأصبح عصبي المزاج بشكل دائم، حاد الطباع، وصب جام غضبه على القيادات العربية العسكرية والمدنية التي حمّلها مسؤولية إخفاقه، ومن هنا بدأت حملة التطهير العرقي ضد العرب، والتي طالت فيما بعد رموز وطنية من سوريا ولبنان. وقد اشتهر السفاح بإعتماد سياسة الإختفاء خلف شخصيته وسرعة التلون بلون الزمان والمكان الذي هو فيه متربصاً متوثبا للإنقضاض على فريسته،كان يجمع الكثير من حوله وينقض عليهم دون رحمة وقد اتضح فيما بعد بأن اجتماع عاليه الذي لا نقدر إلا ان نضعه في سياق المؤامرة على المجتمعين من قبل السفاح قد أدرك الحاج ابراهيم العبدالله طيب الله ثراه وهو صاحب البصيرة والرؤية الثاقبة وصاحب حدس وبديهة، راجحة في تحليلاته والصائب الحكم في فراسته ةالرصين والعارف بما يدور في خلد غيره، فانبرى للتصدي لهذا الرجل الملقب بالسفاح صاحب أعتى عقل قائلاً له : أتكلم باسم إخواني المجتمعين من زعماء الطائفة الشيعية وأعلن أننا قد بايعنا الخليفة منذ فترة سابقة، وليس الآن وأننا اليوم نؤكد لكم هذه المسألة مجددًا وكان يقصد العبدالله خطبة جمال باشا الشهيرة عند قدومه لدمشق عام ١٩١٤م. وقد خطب بنفس العام خطبة يشحذ فيها عزائم العرب قائلاً: أحيوا أيها العرب في أنفسكم مكارم الأخلاق ... أحيوا شهامة العرب وآدابهم حتى التي وجدت قبل الإسلام،... واعملوا على ترقية العرب والعربية. كونوا رجالا كاملين...إلا أن السفاح لم يكن في الحقيقة أنذاك إلا رجلًا مبغضاً للعرب، كارهاً لهم، وكان يبيت في نفسه نية الانتقام منهم ومن حركاتهم السياسية على الأخص، حالما تسنح له الفرصة. أُعجب الباشا بما قاله العبدالله ونال العبدالله ما أراد تلك هي مشيئة الله ورعايته ولطفه. مع العلم بأن الوفد العاملي الحاضر في الاجتماع كان برئاسة كامل بك خليل الأسعد الذي كان من المفترض أن يتحدث باسم الوفد، لكن ذلك لا يمنع ان يتحدث الحاج إبراهيم العبدالله باسم الوفد

طالما أرشدته سرعة البديهة إلى التحدث والأخذ بنواصي الكلام، ومما لاشك فيه كان هذا احترامًا وتوقيرًا وتبجيلًا وإجلالًا كبيرًا ينم عن توقير كبير وترؤسه وتسيده لهذه الجلسة من قبل الأسعد الذي يبدو بأنه كان مصراً على أن يكون الحاج ابراهيم ضمن الوفد لكونه شيخًا قد بلغ من الكبر عتيا حيث ناهز عمره السبعين عاما وكانت وفاته بنفس العام ١٩١٦م. والأسعد هو صهر الحاج إبراهيم متزوجًا من أخته الحاجة مريم بنت الحاج حسن عبدالله.ويكون العبدالله بذلك قد كتب الله على يده النجاة للكثيرين ممن حضروا لأنهم في جلهم ينتمون إلى الحركات القومية العربية المناهضة للدولة العثمانية والذي بسبب هذا الموقف أعدم الكثيرين على يد السفاح.

اللقاء الثاني بين جمال باشا والحاج إبراهيم العبدالله في دار الطيبة

الحاج إبراهيم: لا للفتنة الشيعية ـ السنية

ومما يذكر كان لقاء آخر بين جمال باشا والحاج ابراهيم العبدالله في دار الطيبة عندما زار جمال باشا منطقة جبل عامل و اجتمع بزعمائها، للوقوف على ردات فعلهم بعد موجة الإعدامات التي طالت رموز وطنية أمثال عبد الكريم الخليل وغيره من الشهداء، وكانت زيارة الباشا في سياق عمل استفتائي عن مدى تقبل الناس لسياسته هذا في الشكل وفي المضمون تحضيرًا لعمل عدواني من جانبه يشن على أهالي جبل عامل وكأن هؤلاء المساكين كان ينقصهم أمثال هذا السفاح، ألم يكفهم الجزار وما فعل بالبشر والحجر والشجر والمَدَر و الوبَر آنذاك .كان يرافق جمال باشا في زيارته الفلسطيني أسعد الشقيري المستشار الديني، ومفتيًا للجيش الرابع التركي الذي غزا السفاح به مصر وانهزم شر هزيمة . وقد حل السفاح ضيفًا على كامل بك ابن خليل بك الأسعد في دارته في الطيبة، وأقيمت المهرجانات الشعبية المصطنعة لتغطية نقمة الناس على السفاح وسياسته المستبدة، كان قد دعي الحاج ابراهيم العبدالله إلى دار الطيبة حيث استقر المقام لجمال باشا وصحبه، فوقف الشقيري أمام الحضور لإحداث فتنة عندما قال اتيت إلى هنا لاتحدث باسم الطائفة السُّنية، تاركًا للشيعة أن يتكلموا باسم طائفتهم فما كان من الحاج إبراهيم العبدالله أحد زعماء المسلمين الشيعة أن تقدم أمام الحضور وصاح بأعلى صوته: نحن لا نقبل أبدًا بهذا التفريق بين المسلمين، فللسنة والشيعة إله واحد ورسول واحد ولا يدينون بالولاء إلا لسيد واحد هوسلطان بني عثمان فإذا أراد الشيخ الشقيري أن يتكلم فليتكلم باسم جميع المسلمين، وإلا فنحن عندنا من يقدر أن يتكلم باسم المسلمين السُّنة فأعجب جمال باشا ببداهة الحاج إبراهيم فطيّب خاطره ،ودعاه إلى الجلوس بجانبه

وأولاه كل اهتمام. ومن الطيبة انتقل موكب جمال باشا إلى قرية واسط في الجولان وهي مقر الأمير محمود الفاعور حيث استقبله الأمير مع عدد كبير من قبيلته المعروفة باسم عرب الفضل، رحب الأمير بالضيف ولكن فاته أن يعلن بالمناسبة ولاءه للباب العالي وتأييده لسياسة جمال باشا، حينها ظهر الإمتعاض على وجه جمال باشا وشعر الجميع بحراجة الموقف، فإذا بالشيخ الشقيري يقول.. لو لم يكن من عادات أمراء العرب أن يسبق كلامُهم قوتهم لما تأخر الأمير ليعلن ولائه، فتدارك الفاعور ووقف أمام جمال باشا وقال: أضع نفسي ورجالي تحت تصرفك فانفرجت أسارير الباشا وأعجبته بداهة الشقيري الذي تحلى بحكمة وأنقذ الموقف بفطنته.. فما كان من سليم فرنسيس الذي كان من أذكياء الرجال، حضرته البلاغة فقال: الشقيري سامحه الله، في الطيبة فتنة وهنا فطنة (ويقصد ما بدر منه في الطيبة حين تصدى له الحاج إبراهيم العبدالله) ويقال إنّ سليم فرنسيس تعرض للملاحقة والاضطهاد بسبب هذه العبارة[١].

لقد ذكر الدكتور شعيب في كتابه مطالب جبل عامل صفحة ٦٠: بأن جمال باشا كان يحمل في جيبه مشروعين خطيرين.

الأول: إلغاء سائر الامتيازات التي يتمتع بها سائر الجبل اللبناني منذ عام ١٨٦٠م.وإخضاعه مع سكانه للسيادة العثمانية.

الثاني: القضاء على الفكرة العربية التي اختمرت في نفوس العرب نحو الاستقلال. ولتمرير هذا المخطط عمل على ضرب العرب بالعرب وضرب المسلمين بالمسيحيين.

فكانت زيارته التي ذكرها سلام الراسي في كتابه تأتي ضمن هذا المخطط وهذه المرة إحداث فتنة بين السنة والشيعة، وتعليقا على هذا الحدث يتبين لنا مدى وعي الحاج إبراهيم العبدالله وإلمامه بالمخاطر التي كانت تواكب هذه الزيارة التي قام بها جمال باشا إلى منطقة جبل عامل والتحضير لإشعال نار الفتنة بين المسلمين على يد الشقيري، الذي أراد أن يتكلم باسم الطائفة السنية و رجالتها الحاضرون في مهرجان استقبال جمال باشا، فمنعه الحاج ابراهيم من الإسهاب والتمادي في حديثه، لأن النار ستحرق الجميع ووراء ذلك فتنة، وقال الحاج ابراهيم له: هناك من رجالات الطائفة السنية القادرون على التحدث باسم طائفتهم لوأرادوا ذلك، ولكن لاتفرقة فلكل أبناء هذا الجبل العاملي بجميع طوائفه،فكان كلام الحاج إبراهيم بردًا وسلامًا عليه وعلى الجميع عندما

(١) كتاب "لئلاَّ تضيع"، سلام الراسي، صفحة ٢٠٨و ٢٠٩.

تحدث باسم الطائفتين المسلمتين، ومما يذكر بأن الشقيري يحظى بمكانة عالية واحترام كبير لدى جمال باشا، بالإضافة إلى أنه كان مفتيًا عامًا للجيش الرابع، بالله عليكم كيف يصدق بأن الشقيري يتكلم من عندياته دون تحضير مسبق للفتنة وبدون اتفاق مسبق مع جمال باشا، إلا أنهما وقعا بين يدي رجل يملك من الحكمة والمعرفة والقراءةالجيدة للتاريخ ما خوله ذلك من أن يتجاوز هذين الرجلين بتلك الدرايه المعهودة مهما كان لهما من حظوة ومكانه، فاستطاع الحاج إبراهيم بحكمته المعهودة من أن يكون في مصاف وطليعة الحكماء البارزين والرجال المميزين في أدائهم كرجالات دولة.

ولا بد لنا أن نلقي نظرة ونُقلّب في صفحات التاريخ ليكون لنا وقفة مع قراءة تاريخية لعل وعسى أن يكون لنا فيها موعظة حسنة، لقد ذكر الدكتور ياسين سويد في كتابه عن أهم حدث تمثل أنذاك بالتحالف الذي تم بين زعماء جبل عامل بقيادة الشيخ ناصيف النصار من آل علي الصغير وهو زعيم عاملي كبير، وبين ضاهر العمر حاكم صفد وعكا عام ١٧٦٧م.حيث حلفا اليمين على السيف والمصحف أن يكونا وشعباهما متضامنين متصافيين ما دامت الأرض والسماء[1]. نقول في ذلك بأن هذا التحالف قد حصل في حياة الأمير محمد بن عبد الله (١٧٣٥-١٨١٠) جد الحاج إبراهيم العبدالله، وإذا ما وضعنا هذا التحالف في قالب جغرافي في أيامنا هذه لوجدناه تحالفًا بين اللبنانيين والفلسطنيين، وإذا ما وضعناه في قالب مذهبي لوجدناه تحالفا بين السنة والشيعة.إن ماتناقله الأبناء عن الآباء والأجداد نرى تلك الغرسة الطيبة قد أورقت من ظلالها الكثير الكثير مما يعول عليهم في اشتداد الأزمات كأمثال الحاج إبراهيم وغيره من رجالات جبل عامل المخلصين لأهلهم وأرضهم. إن تلك الاحداث تُقوي من أزره وتشد من عضده وبها يدفع الشر ويجلب النفع بقدر ما لها حركة التاريخ من أثر في نفسه وفي عقله، بل في وجدانه هو اللقاء بين الماضي والحاضر والتفاعل بين التجارب والدروس بين مدرستين وثقافتين لا يمكن أن تلتقيا، بين مدرسة أسست على الظلم والقهر والقتل وبين مدرسة أسست على العدل والحرية والبناء هي المدرسة التي تخرج منها الحاج إبراهيم العبدالله والأولى مدرسة السفاح اسم على مسمى.

---

(١) كتاب "الإمارة الشهابية"، للدكتور ياسين سويد، صفحة ٥١٤.

جمال باشا يصدر حكمه بالإعدام:

زعماء آل عبدالله يستعملون نفوذهم للعفو عن بزي وبمعيته الخليل

كان وما زال جبل عامل برجاله الشجعان يشكل ملحمة عبر التاريخ ملحمة مثالية من البطولات الخارقة في الدفاع عن الأرض والذود عن العرض فمهما كانت المعاناة وصعوبة الظروف المعيشية كل ذلك لا يضاهي التمسك بالمضي نحو ساحات الكرامة واعتلاء منابرها ونشدان الحرية والحياة الجميلة و الكريمة في الذب عن الأهل والأرض.

ومـــا نيل المطالب بالتمني و لكـــن تؤخذ الدنيا غلابـــا

قسوة ورعب وجبروت وأعمال انتقامية تمارس بالنار والحديد من قبل جمال باشا الذي حكم بالإعدام على عدد من الأشخاص، متهمًا إياهم بإنشاء جمعيات معادية تحرض على الإنقلاب، وكان من بين المتهمين الذين حكم عليهم بالإعدام، وهم كثر: محمد سعيد بزي من بنت جبيل والحاج اسماعيل الخليل من صور، مع العلم بأن بزي كان على علاقة طيبة مع العثمانيين الذين اكتشفوا بأنه على علاقة مع الفرنسيين. فألقي القبض عليهم وتم سوقهم إلى السجن.

(كانت هذه العلاقة من قبل رجال جبل عامل مع الفرنسيين لربما أتت في سياق العمل على إسقاط الحكم العثماني الجائر آنذاك).كان يربط آل عبدالله في الخيام علاقة مميزة وقوية مع رجالات آل الأسعد في الطيبة، ولقد تكوّنت هذه العلاقة منذ القِدْم وتعود إلى البدايات الأولى للقرن التاسع عشر عام ١٨٢٠م. بين الحاج حسن أفندي عبدالله وأحفاد آل علي الصغير حمد البك وعلي بك ومحمد بك الأسعد، وتعدت هذه العلاقة نطاق المصالح لتصبح علاقة مصاهرة وقرابة اذ عقد كامل بك ابن خليل بك الأسعد قرانه على كريمة الحاج حسن أفندي عبدالله، وهي الست الجليلة الحاجة مريم.لم يَتَوَانَ ولم يتلكأ ولم يأل جهدًا ولم يدخروسعًا آل عبدالله زعماء بلدة الخيام عندما علموا بأن محمد سعيد بزي بالسجن وصدر بحقه حكمٌ بالإعدام، وحدها العلاقة الأسرية بين آل عبدالله وآل الأسعد قادرة أن تحقق إفراجًا عن بزي من بين فكي السفاح باشا الذي أحرجه الحاج ابراهيم مرتين، فاستعملوا سُلتطهم ونفوذهم وعلاقتهم لدى كامل الأسعد للسعي لدى العثمانيين للإفراج عنه. وتم ذلك وخرج بمعيته الحاج اسماعيل الخليل رغم العداوة التي كانت بين آل الخليل وآل الأسعد..(لكن كرمال عين تكرم مرجعيون) وعلى أثر ذلك توثقت العلاقة بين آل عبدالله وآل بزي، أردف الدكتور بزي في كتابه بأن السفاح أظهر أن مراجعة كامل الأسعد له هي التي أدت

إلى الإفراج عن محمد سعيد بزي، كما أظهر كامل الأسعد أن مراجعة آل عبدالله له بشأن بزي هي التي جعلت الأمر ينفذ مما أدى إلى توثيق العلاقات بين آل عبدالله وآل بزي، ومن ثم المصاهرة بين العائلتين،وحفظ محمد سعيد بزي الجميل لآل العبدالله طيلة فترة حياته[١]. ونقول في ذلك المهم أنهم خرجوا من السجن ولم يطلهم ضيم بوجود آل عبدالله كنا وما زلنا على استعداد لمساعدة آل بزي وآل الخليل الكرام أينما كانوا.

قصيدة رثاء للعلامة عبد الحسين صادق يرثي فيها الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله.

انطوى علم الهدى[٢]

هل أنت بعد الظاعنين مقيم	أم هل لعينيك نظرة ونعيم[٣]
غادين ما لنياقهم تعريسة	أبدا ولا لجفونهم تهويم[٤]
أنا بعدهم عين تصوب ومهجة	علقا تذوب وشاخص مهدوم
لم أبق إلا صورة إن لم تكن	معدومة فقرارها معدوم
ما عذر من خفت رواحل خله	فانصاع رهن الدار ليس يريم[٥]
بي ما بها من لوعة وبكلنا	ريح الغرام تهب وهي عقيم
وأرى خلال الدمع منها دمنة	هي رمة بيد البلى ورميم[٦]
فكأنني والحزن أحنى قامتي	نؤي تعفّى حرفه المرقوم
لا الدار تلك بعد قطينها	كلا ولا تلك الرسوم رسوم
باتت تطارحني بها ورقاؤها	نغمًا يغص بشجوه الحلقوم
شتّان ساجعة على أفنانها	طربًا ومحزون الفؤاد كليم
هيهات لا تغري سرورًا بارق	كلاّ ولا ربع الحشا تنعيم

(١) راجع "كتاب جبل عامل في محيط العربي"، صفحة ٤٦،٤٧،٤٨، لمحمد مصطفى بزي، مركز الدراسات والتوثيق والنشر.
(٢) هذه القصيدة من ديوان سقط المتاع للعلامة صادق من صفحة ٢٣٣ إلى ٢٣٥ تحت عنوان مناحة على المرحوم خالنا أبي خليل. ووجدنا القصيدة مدونة بدون اسم فاخترنا لها اسم (انطوى علم الهدى) من وحي القصيدة.
(٣) ظَعَنَ ـ ارتحل الظاعنين: الراحلين.
(٤) تعريسة: راحة المسافر بعد طول سفر ـ تهويم: نعاس.
(٥) ليس يريم: أي لا يبارح.
(٦) دمنة: ما تبقّى من آثار الناس أو الديار.

يا ظاعنًا وجميل صبري خلفه … يكبو بأصفاد الأسى ويقوم
ما في الزمان وقد ذهبت بحسنه … الإكلوح الوجنتين ذميم (١)
فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا … لا يوم بعد أبي الخليل وسيم
من بعده من للكريهة دافع … قسرا وبالعبء الثقيل يقوم
من للأسنّة والظبا تنقض في … ليل من الهجاء وهي رجوم
من للمطهّمة الجياد ضوابحها … تعدوا ويوم العاديات بهيم
لم يبق ويوم نواه لجّة آمل … بعبابها أهل العفاة تعوم
أبني الرجا غضي شجا وتلمظي … باليأس وهو العلقم المسموم
غاض الحيا فترشفي وشل الثرى … واعري فضلك بعده محموم
ذي عامل يد عزها في فقده … شلّا ومارن فخرها مجذوم
أن تجري يوم الفخر في حلباتها … كان المجليّ لم يفتهِ زعيم
من فوقه علم الفضائل خافق … وعليه طائرة الثناء تحوم
أمقام إبراهيم أنت مثابة … للآملين به النوال مقيم
جاورت بيت اللّه فهو معظم … شرفا وأنت بمن حويت عظيم
فكلاهما حرم به تتزاحم المستر … فدين ويكثر التسليم
ما أنت إلا روضة خلدية … منها يضوع الشيح والقيصوم
بك يا ضريح ابي الخليل ذوى العلى … غضّا وغاض النائل المسجوم
وبك انطوى علم الهدى واندق من … خطيّها سامي الكعوب قويم
وبك التقى من فخر هضبة يعرب … طرفا علاها حادث وقديم
بك من عرانين الحميّة آل عبد … الله أدرج للآباء صميم
وثوى تنوخ فيك إرخ وانطوى … مصباحها الوضّاح إبراهيم

---

(١) كلوح: عابس.

أمين أفندي التنوخي ابن الحاج حسن آل عبدالله (١٨٦٥ - ١٩١٣ م) :

عميد عائلته ومن أصحاب الرأي الحر والجريء في بلدته وفي منطقته، ولقد لعب دورًا سياسيًا بارزًا في مرجعيون وجبل عامل ووادي التيم. كانت تربطه علاقات صداقة وأخوة بكبرى العائلات الزمنية والدينية ومن مختلف الطوائف. كذلك بكبار مسؤولي السلطة في سراي مرجعيون وعلى رأسهم القائمقام الأمير فؤاد شهاب. آمن بالعلم فأرسل عددًا من أبناء العائلة إلى المدرسة الرسمية في مرجعيون ليتعلموا فيها وعلى نفقته الخاصة . كذلك آمن بالصحافة فكفل لدى السلطة المعنية جريدة المرج، التي كان يصدرها في جديدة مرجعيون الدكتور أسعد رحال.

وفيه يقول الوجيه الشاعر ميخائيل عبدالله الراسي من بلدة إبل السقي في قصيدة عنوانها العقد الثمين في مدح الأمين يهنئه فيها بعيد الفطر، وذلك عند زيارته له في الخيام في ٧ شوال سنة ١٣٢٥ هـ الموافق ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٠٩ م نثبت منها الأبيات التالية:

لا تلمه بالحب دعه وشأنه ... شفه الوجد والتصبر خانه

فتنته من الجآذر خود ... ذاتُ قدّ كأنه غصن بانه

تقتص الأسد في الشرى حين ترنو ... بسهام من مقلة فتانه

ذات طرف بهي وثغر شنيب ... غادرت مهجتي به ولهانه

يا أمير الكلام لفظًا ومعنى ... وأمين السر العظيم صيانه

يا أمين الأسرار والصدر رحب ... أنت بدر الهدى وكنز الأمانه

دونك اليوم من عرائس شعري ... بكر نظم كفاءة فتانه

كل عيدٍ للفطر عاد عليكم ... بالهنا ما شدا بلبل في بانه

كان المرحوم أمين شاعرًا من شعراء العهد الثاني هكذا جاء في تاريخ جبل عامل ص ٢٩٠ لصاحبه محمد جابر آل صفا العاملي. من أولاده الحاج حكمت الذي بقي مختارًا البلدة الخيام طيلة فترة نصف قرن من الزمن لأنه موضع ثقة مواطنيه وتقديرهم. لم يهمل القدر هذا الزعيم الفذ فتوفي في الخمسين من عمره[1].

فلم يكن أمين أفندي رائدًا في العمل الأدبي والشعر فحسب، بل مناضلًا وسياسيًا ماهرًا

(١) نشرة الدردارة، نشرة داخلية تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي، الصفحة الأولى، العدد ٥ السنة الثانية، آذار ١٩٩٦م. تحت عنوان "من تاريخ آل عبدالله".

ولقد تميز بذكائه الشديد، وحسن التفكر وحسن التدبر وقد نال رعاية خاصة من والده الحاج حسن عبدالله حين ظهرت عليه علامات ومخايل النجابة والنبوغ والتفوق مبكرًا، إذ ظهرت لديه استعدادات للابتكار والإبداع والتوصل إلى حلول كان يعجز أقرانه ومن هم في سنه عن ذلك، وفي مقدمتهم السياسيون الكبار وحفظة التاريخ والمؤرخون فقد كان يجيب على ما يعجزون عنه وفي مسائل كثيرة ومتنوعة، وخاصة في علم الرياضيات فلذلك اختاره والده المرحوم الحاج حسن عبدالله ليمثله بكثير من الإجتماعات، ومما يذكر بأنه لبى دعوة من آل الخليل واجتمع بوجهائهم في سرايا آل الخليل في صور، كان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر ووقتها اختير من قبل الحضور ليكون ممثلًا ومبعوثًا في الاستانة في اسطنبول، إلا أنه رفض ذلك وفضل أن يكون صهره المرحوم كامل بك خليل الأسعد من يمثل الطائفة وقال أمين أفندي وقتها لصهري مكانة واحترام عندي فهو زوج أختي التي أحبها ولا أرضى أن تغضب يومًا فَغضبها غضبي. وقد ذكر شعيب في كتابه مطالب جبل عامل صفحة ٥٥ بأن أمين أفندي عبدالله كان من أوائل العروبيين في الخيام حين لبي النداء نداء الأمة سريعًا حين أسس جمعية الإصلاح الخيري سنة ١٩٠٨ م التي فاق عدد أعضائها المئتي عضو من مسلمين ومسيحيين. فلم ينأَ يوما عن أحداث المنطقة فتراه بجانب أهله وناسه وبيئته مناصرًا مدافعًا عن قضاياهم، يهيب بقومه إلى طلب الحرية والاستقلال، وينكر عليهم قبول سياسة المحتل والخضوع لحكم الأتراك واستبدادهم. لم يدخر وسعًا في توسيع دائرة علاقاته فربطته علاقة قوية مع المرحوم عبدالحميد بك الرافعي السياسي والشاعر والعالم، وهو من مواليد طرابلس (١٨٥١-١٩٣٢م) تبوء قائمقامية مرجعيون وقضاء الناصرة ، وقد شغل هذا المنصب في مدن مختلفة من الخلافة العثمانية كان عثماني الهوى إلا أنه انقلب على السياسة التركية عندما انقلب حزب الاتحاد والترقي التركي على مبادئه وقاد حركة تتريك واسعة خاصة في بلاد الشام، كان هدفه تذويب الحضارة العربية، عارض الرافعي هذا التحرك كما كثيرين من أبناء البلاد الشامية فالتقى أمين أفندي مع الرافعي بوحدة الهدف والمصير، إلا أن يد المنون عام ١٩١٣م. كانت أسرع من سياسة التتريك وأسرع من أن يرى المرحوم أمين أفندي عبدالله انتصار سياسة نهجه وطريقه وأفول عهد العثمانيين عام ١٩١٨م. كانت تربط الرافعي علاقة احترام وود مع المرحوم عبدالحسين صادق فعندما عاد من العراق عام ١٨٩٨م، زاره الرافعي فلم يجده في منزله فألفاه متغيبًا، ولما حضر وعلم بمجيئه كان آسفا جدًا وأرسل إليه أبياتًا من الشعر نقلها إليه المرحوم أمين أفندي[1] فعندما رد عليه

(١) من ديوان "سقط المتاع"، للشيخ عبد الحسين الصّادق، صفحة ١٦٨.

الرافعي أجابه صادق بالأبيات التالية:

لي أوحى الأمين فرقان نظم … أعجزت آي فضله الثقلين
جاءنا من لدن حميد مجيد … لم يشب ذكره الجميل بشين
هو من معدن القريض فريد … وسواه عندي حصى الحرتين(١)
صاغه من زكا لساناً وقلباً … وزكاة الإنسن بالأصغرين
مستطيل العلى قصير المواضي … موقد العزم مورق الراحتين
طائر النسر واقع عن معاليه … وكابٍ عن نيله لليدين
يا حميد الفعال عذرك أجلى … للحاظي من غرة النيرين(٢)
جيدة المشرئب بالصدق حالٍ … وهو خالٍ عن كل زبرج مين(٣)
إن أكن زرتكم وجارية الأقدار … حالت بين الوصال وبيني
فلقد أبت بالذمام وفياً … لم أكن راجعاً بخفي حنين
أنت أدنى من قاب قوسين للقلب … وإن كنت لم تشاهدك عيني
ولك الود خالصاً فهو أصفى … ومعاليك من مذاب اللجين

لم يكن بيت أمين أفندي التنوخي سوى أشبه بسرايا حكومية تأتيه الناس من كل فج عميق، واسعًا رحبًا برحابة أهله، صاحب شخصية ملهمة أدت دورًا رياديًا وزعامة كبيره كان كثير الإهتمام في شؤون الناس وتدوين ملاحظاتهم وحل مشاكلهم والوقوف على أخبارهم، تمليه عليه الروح الوطنية العروبية الأصيلة، ذات يوم دخل عليه فلاح كان ضمن الشاكين وهو من بلدة كفركلا مغرورقة عيناه بالدموع أجلسه إلى جانبه وطيب خاطره اشتكى إليه طالبًا المساعدة بعد أن تم حرق محصوله الزراعي، فلم يهدأ لأمين التنوخي بال حتى أنصفه وتم تعويضه عن خسارته بعد أن توصل إلى الفاعلين ونالوا ما نالوه من جزاء، هذا وقد أعفى التنوخي عن الكثير الكثير من الخدمة الإلزامية في الجيش العثماني إما بدفع البدل العسكري أو بالحصول على إعفاء من الوالي. وكان مبعث قوة للجميع عندما أنشأ جمعية وطنية مقاومة سنة ١٩٠٨م. تُعنى بشؤون الناس مسارها العيش المشترك، وكان أعضاؤها من المسلمين والمسيحيين رافضين لتغيير الهوية العربية، وكانت محط

(١) القَرِيضُ: الشِّعرُ. والحرتين هما اسما موضعين صحراويين في منطقة الحجاز.
(٢) النيرين: الشمس والقمر.
(٣) مين: عدم الصدق.

إعجاب الكثيرين وزاد عدد المنتسبين إليها وانتشرت أخبارها وعمت ثقافتها أنحاء المعمورة، وأسّست لمبدأ الرفض المُطلق في تغيير وجه المنطقة وقرّبت المسافات بين الطوائف، من مسلمين بكل مذاهبهم ومسيحيين بكل مذاهبهم، وحددت خطوطها العريضة لا لتغييب المسلمين ولا لتغييب المسيحيين عن أي قرار يتخذ يحدد مصير المنطقة، وفي سنة إنشاء هذه الجمعية أثير موضوع بالغ الخطورة في عهد الدولة العثمانية مفاده نقل المسلمين من لبنان وإنشاء وطن مسيحي(١) لا وجود فيه لمسلم، كان أوائل المتصدين لهذا المشروع هم المسيحيون أنفسهم، رافضين بقوة واعتبروا ذلك مجرد هراء لا قيمة له. هذا هو دور الجمعيات الوطنية عندما تتحول إلى لقاء وطني جامع ومشروع ثقافي يستفيد منه أبناء الوطن متحدين، ومتحدين كل المخاطر، رحم الله المناضل والمفكر الوطني الكبير أمين افندي التنوخي بجهوده وجهود المخلصين ننعم بجغرافيا فيها خليط من الأديان والمذاهب تعايشت على مدى عقود طويلة.

إسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله يرثي أخاه أمين أفندي التنوخي سنة ١٩١٣م :

طال الحزن

يغيّر صرف الدهر ما شاء … ويبقى أمين في قلبي ركين
صبرا أيها الهجر والقلى … فما لي على الضعف معين
أمين.. بموتك أقفر الدار … وهوت المنابر وتلك الدواوين
يجول جيادك وهو حزين حتـ … ـي بكث على فرسانها الميادين
يطغى لظى حزني … فمتى جِرَاحي تستكين
وددت أن أجاورك وأدا … لكن حرّم اللهُ ذاك والدين
وحنوت على أخي (زين) باكياً … هل اذا عدنا عاد معنا أمين
هَمَّ يزيل التراب عن اللحد … بكل ما جاوره مستعين
تتقرح للخطب الجلل جفوني … وأظلم أيامي المساءُ الحزين
فوا حسرتا على قلوب … هي من تحتاجُ تأبين
ويبكي أخوة مثلي كان لهـ … ـم معين فلا بعدك معين
ولو تتالت عليّ القرون … لطال الحزن والأنين
كل نفيس في الممات يهون … وفي العين أنت الثمين

---

(١) للإطلاع على هذا الموضوع بكل تفاصيله: مجلة "أفق"، تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، العدد الخامس والعشرون، صفحة ٤ اكتوبر ٢٠١٣.

الزعيم كامل بك الأسعد الكبير وقصة مصاهرته لآل عبدالله:

العلاقة التاريخية بين آل عبدالله وآل الأسعد

مدخل لإلقاء الضوء على العلاقة بين آل الأسعد وآل عبدالله، علاقة سجال تشبه تضاريس جبل عامل صعودًا وهبوطًا ثم سهل فسيح مخضوضر فمنعطف بين تلة ووادي، فصيف حار يلفح فيزيد السواعد اسمرارًا إلى يوم النزال.. ود ومحبة حقد وخصام هكذا هي السياسة لا ترحم. تقارب اليوم وغدًا فراق.. فراق كان موعده يوم انتخابي وزعامة جديدة تتهيأ للجلوس على كرسيها.

كامل الأسعد من عشيرةٍ جاءت إلى جبل عامل، يوم كان يسمى جبل عامل آنذاك بلاد بشارة، وكان قدوم هذه العشيرة من بادية نجد في زمن صلاح الدين الأيوبي، في أوائل القرن الثالث عشر. إن الجد الأكبر لهذه العشيرة هو محمد بن هزّاع الوائلي القحطاني، من رؤساء قبائل عنزة، هو أول من جاء إلى بلاد بشارة، كان الأمير عليها يومئذٍ بشارة بن مقبل القحطاني(١) . ساق محمد بن هزّاع حربا على الأمير بشارة وانتهت بفوز الهزّاع فاستولى على البلاد وحكمها وكان ثمرة هذه الحرب بأن تزوج محمد بن هزاع ابنة بشارة وبقي أميرًا على منطقة جبل عامل (ومما يرويه التاريخ بأن حكم آل الأسعد امتد من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي إلى التاسع عشر الميلادي).

طول مدة حياته. وبعد وفاته تلقّاها أبناؤه وأبناء أبنائه يقوم بها الولد بعد أبيه ومن ثم ابنه، وإذا تعذر ذلك فالإرث يعود إلى ذكرٍ من العائلة يكون أكثر أهلية ومواتاةً أو دهاءً للحكم. مرّت السنون وتوالت الزعامات ، وحفل تاريخ المنطقة بحروب وأحداث كثيرة وصراع على السلطة، رخاء وشحّ وحكم عادل وحكم ظالم، حتى جاء زمن كامل الأسعد الذي ورث الزعامة عن أبيه

(١) تعود نسبة بلاد بشارة إلى هذا الأمير بشارة بن مقبل القحطاني، على ما رُوي في كتب تاريخ "جبل عامل". وجاء في كتاب "تاريخ جبل عامل"، لآل صفا صفحة ٢٧، يقول: بأن تسمية جبل عامل ببلاد بشارة ومن هو بشارة. فالأقوال فيه متضاربة، فمنهم من قال: أنه الأمير بشارة بن معن. وآل معن، أسرة عربية وبطن من ربيعة حكمت لبنان من سنة ١٥١٦م إلى سنة ١٦٩٧م. وعدد حكامها تسعة وأشهرهم فخر الدين الثاني الذي دخلت جبل عاملة تحت حكمه بطريق الالتزام من الدولة التركية.

خليل الأسعد متصرف لواء البلقاء (نابلس)إبان الحكم العثماني (ولم يكن هو أكبر أبنائه) كان قدر كامل أن يولد في زمن التحولات الكبرى، أفكارًا وأحداثًا واختراعات .ولد الزعيم كامل الأسعد في بلدة الطيبة في جبل عامل عام ١٨٧٠م.عُيِّن مديرًا للنبطية عام ١٩٠٣م. ثم انتخب عضوًا في المجلس العمومي في بيروت ثم عضوًا في مجلس المبعوثان (مجلس الأمة العثماني).تزوج زيجته الأولى من السيدة مريم العبدالله[١]. وقد عانى الزعيم الأسعد أشد المعاناة خاصة اثناء حملة الكولونيل نيجر على منطقة جبل عامل التي أدت إلى تهجير الناس وحرق وتخريب منازلها، والذي لم يحرق أو يهدم كان يتعرض للسرقة والنهب والتخريب، وقد تعرضت دار كامل الأسعد للحرق والتخريب بعد أن حكم عليه بالإعدام من سلطة الإنتداب الفرنسي، فهاجر إلى فلسطين مع الكثير من أهالي جبل عامل.

قصة مصاهرته من آل عبدالله:

السيدة مريم ترفض الكشف عن وجهها

كان الزعيم الكبير كامل خليل بك الأسعد وهو صاحب المجد العظيم ورث الزعامة عن والده خليل بك الأسعد وهو رابع إخوته: عبداللطيف،ومحمود وعقيل،كان يدرك كل الإدراك ويعرف تمام المعرفة بأن توسعة جغرافيته السياسية وسلطان زعامته العاملية نحو القرى المرجعيونية الواقعة شمال شرق الطيبة، لا يمكن أن يتم بسهولة من دون أن يلجأ لآل عبدالله في الخيام كي يؤمِّن لنفسه تحركا آمنا يحمي به ظهره السياسي وهيبة زعامته، وهو سيد العارفين بأن مفتاح الطريق إلى القرى المرجعيونية بيدهم.وهم من تولى دون منافس زمام الزعامة في هذه المنطقة منذ منتصف القرن الثامن عشر في زمن المرحوم الأمير محمد أبا حسن ابن عبدالله ابن الأمير موسى آل عبدالله التنوخي.. يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: إن مصاهرة كامل بك الأول لآل عبدالله قوّت من زعامته، حيث كان لآل عبدالله في الخيام وهي من أكبر قرى المنطقة من أقوى وأهم العائلات فيها كانت عائلة وجيهة من طبقة الأفندية، وتضم بين أفرادها كبار القبضيات ،كامل بك الأول لم يغب عن باله أهمية بلدة الخيام في تكريس زعامته، لذلك تزوج من السيدة مريم العبدالله وصاهر آل عبدالله وتحديدًا عائلة السيدة مريم المؤلفة من اثني عشر شقيقًا[٢] كلهم من الوجهاء المحترمين النافذين

(١) هذه المقدمة مقتبسة من كتاب "الهجر"، للكاتبة نجاح طاهر، صفحة ١٠ـ ١١، دار الآداب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م. بيروت ـ لبنان.

(٢) نقلنا الخبر كما هو، ولكن الصحيح: بأن للسيدة مريم أربعة عشرة شقيقاً هم: ١-الحاج علي ،٢-الحاج

ولا سيما شقيقها محمد أفندي[١]. ومما يروى عندما عزم كامل بك الأسعد الكبير على الزواج من السيدة مريم بنت الحاج حسن عبدالله ١٨٨٩-١٩٦٦م.طلب في بداية الأمر بأن لا يعلم ذويها بالأمر قبل أن يسمع رأيها ويتلمّس قناعتها ومدى تقبلها لموضوع الزواج، فأوعز إلى بعض أقاربها بأن يلتقيها بحضورهم كي يطرح عليها الموضوع، وعندما دعيت إلى بيت أحد أقاربها ماهي إلا لحظات حتى فاجأ الزعيم كامل الأسعد بعض الحضور الذين لم يعلموا بالأمر فأخفت السيدة مريم وجهها وهمت بالرحيل، إلا أن إلحاح الحضور عليها ثناها عن المغادرة لتعاود الجلوس وهي في قمة الخجل وغاية الحياء، حيث لم تعتد النساء على الجلوس حيث يتواجد الرجال، فتلك هي العادات والتقاليد إلا أن اليوم الوضع مختلف، فقد شعرت السيدة مريم بأن هناك شيء غير طبيعي فهمست لها إحدى قريباتها بالأمر عندما أشار زوجها إليها، فيقال من ضمن ما طلبه الأسعد من أقربائها بأن يرى وجهها، فرفضت السيدة مريم العبدالله الأمر وأصرت على ذلك، وأمام إصرارها هذا وافق الأسعد على الزواج منها، وقال قولته انني: أرى جمال وجهها في جمال كلامها وعنفوان إصرارها، ويقال أنه لما خطب بك الطيبة مريم تحطمت قلوب كثيرات من سيدات جبل عامل كن يتمنين أن يكن مكانها.

ذكرت نجاح طاهر في كتابها الهجر: بأن كامل الأسعد تزوج زيجته الأولى من السيدة مريم العبدالله من الخيام وكانت عزوتها[٢] أربعة عشر أخاً من الذكور، ولكن السيدة مريم لم تنجب إلا بنتان هما فاطمة وخديجة .فاطمة تزوجت من أحمد بك الأسعد وأما خديجة تزوجت من الزعيم محمد بك ابن الزعيم محمود الأسعد. تزوج كامل الأسعد زيجته الثانية من فاطمة ابنة ناصيف باشا الأسعد وكان لقبها (بنت الباشا)والتي لم تنجب لا ذكوراً ولا إناثاً ورغم إصرار كامل الأسعد الكبير على الوريث الذكر. تزوج للمرة الثالثة من سكنة التامر فلم تدم الزيجة بينهما طويلا فطلّقها. تزوجت زوجته الثانية ابنة الباشا من أخيه عبداللطيف وأما الحاجة مريم فقد تزوجت من أخيه محمود الأسعد. وحتى طليقته سكنة التامر تزوّجها محمد ناصيف باشا الأسعد[٣].

وبعد وفاة كامل الأسعد سنة١٩٢٤م في الطيبة من قرى جبل عامل والتي دُفن فيها...فنعته

محمد،٣-الحاج ابراهيم ،٤-الحاج أحمد، ٥-اسماعيل، ٦-الحاج زين، ٧-الحاج حسين،٨-الحاج جواد ،٩-الحاج مصطفى ،١٠-الحاج محسن ،١١- أمين التنوخي،١٢-خليل،١٣- سلمان، ١٤-عبد الحسين.

(١) مجلة "الشراع" اللبنانية، الحلقة ٣٣ من سلسلة حلقات، نُشرت تباعاً تحت عنوان: "هكذا تكلم أحمد الأسعد". وقام بإعداد هذه الحلقات سلام الحاج.

(٢) معنى كلمة عِزْوَة: قومٌ ينتسب إليهم الرَّجُل ويشدّون من أزره.

(٣) نفس المصدر، من كتاب "الهجر"، للسيدة نجاح طاهر، سيرة الزعيم كامل الأسعد.

مجلة العرفان فمما جاء في النعي:

أعامل شقّ الجيب بعد ابن أسعدٍ فقد دفن المعروف والجود والفخرُ
فقدناه بدراً في سما المجد كاملًا وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

للزعيم كامل خليل الأسعد الأول ثلاثة أخوة هم محمود بك الأسعد وعبداللطيف بك الأسعد وعقيل بك الأسعد وتوفي عقيل وهو في ريعان الشباب.

أكملت العرفان خبر النعي على ما جاء في كتاب الجوهر المجرد :فجعت عامل بزعيمها العميد وابن بجدتها الصنديد وحامي حوزتها المغوار الشديد، سطا عليه الموت ولم يرهب بطلاً عنت له الأشاوس الصيد، ولم يرحم طلعة جميلة مهيبة كانت تطلع إليها الناس تطلعها لهلال العيد قضى الكامل وكل من عرفه ينشد قول حبيب[١]:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقال الشيخ عبد الحسين صادق يرثي عديله الأمير والزعيم كامل بك الأسعد الأول عنوان القصيدة نازلة[٢]:

نزلت فضاق ، بخطبها الدهر والأوسعان: البر والبحر
أدرت بمن علقت مخالبها وبمن تنشّب ذلك الظفر؟!
بالعرب، باديهم وحاضرهم لم يبق لا زيد ولا عمرو
لفّت بقبضتها ، المكارم فالأيـ ـام، من أكرومة صفر
لا قطر في قيدة الحياة، وعن وجه البسيطة، أقلع القطر
حف النديّ من الندى فذوت سرواته المخضلة النّضر
وتعرّت الدنيا، فلا حلل الجدوى تجرّ بها ولا الأزر

(١) مختارات من كتاب: "الجوهر المجرد في تاريخ"، الأمير ناصيف النصار والأمراء من آل الأسعد، للكاتب الدكتور حسن محمد صالح، دار المحجة البيضاء، سنة الطبع ٢٠١٤م. واخترنا منه سيرة الزعيم كامل بك الأسعد الأول من صفحة ٤٠٩.

(٢) العلاّمة الشيخ عبد الحسين صادق، عديل المرحوم الزعيم كامل بك الأسعد الأول. فالمرحوم صادق تزوج من الحاجة زينب بنت الحاج حسن عبدالله، والمرحوم الأسعد تزوج من أختها الحاجة مريم بنت الحاج حسن عبدالله. والقصيدة منقولة من ديوان "سقط المتاع"، للشيخ عبد الحسين صادق، إخترنا منها أول إثنا عشر بيتاً، فالقصيدة طويلة، مؤلفة من خمس وأربعين بيتاً عنوانها "نازلة"، نقلناها من كتاب "الجوهر المجرد"، مصدر سابق، صفحة ٤٢٥.

فرغت أكفّ الكـون مـن رجـل | هـو، للمعـالي، الشفـع والوتـر
مـا بين برديـه عـوالـمهـا | ولـديـه يزحـف جيشها المجر
يمنـاه، مـن فيض النـوال ومـن | مشـق الحسـام الـمـاء والجمـر
وبجانبيـه سجاحـة وإبـا | ضـدّان ذا سـهـل وذا وعـر
مـات الثؤور لـنا بكـل دم | لـولاه لـم يـدرك لـه وتـر(١)

الزعيم أحمد بك الأسعد

لم يعتد آل الأسعد الوائليين بكوات جبل عامل أن يكون لهم منافس أو مشاكس أو معاكس أو مخالف أو معاند، فكانوا يلجأون إلى شتى الوسائل لإرضاء خصمهم، فإما بإغداق المال عليه أو بدعوته إلى دار الطيبة ليفوز باستقبال مميز وجماهيرعارمة تهتف له، وإما بكمين يرعبه فيعلن التوبة والولاء إلى دار الطيبة، وإما بإغرائه بوضعه على ليسته انتخابية أو يقدمون له خدمة هنا وأخرى هناك والحق يقال، لكن وإن تعددت الإغراءات وحققت أهدافها فالهدف واحد. هو الطاعة وليس غير الطاعة لقرون طويلة دامت زعامة آل الأسعد وتعدد في الحكم أمراء كثر، حتى نالوا شهرة واسعة في الشرق والغرب وخاصة عند السلاطين العثمانيين. ومما يذكره المؤرخون بأن جد آل الأسعد وهو محمد بن هزاع الوائلي الذي قدم من بادية نجد في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، أي في القرن الثاني عشر الميلادي بقيت رياح عقدتهم تهب عليهم من الشرق الجغرافي لجبل عامل من بلدة الخيام، حيث أسُد الشرى من آل عبدالله كما وصفهم العلامة عبدالحسين صادق (قدس سره) وكما وصفهم الأمير شكيب أرسلان. وجهاء كبار، المرابطون المتوثبون لمنازلة خصمهم لا يخافون في الله لومة لائم، قد أسهب شيخ مشايخ وادي التيم محذرا من الاعتداء عليهم أو التوجه إلى الخيام للتحرش بهم، لأن العلقة معهم سخنة إذا تنحنح والدهم خرجوا زرافات خروج رجل واحد، وقد أمد الله بعمر والدهم ليكون وجيههم ووليهم المفدى وصاحب السيرة الطيبة والذكرى العطرة، سابق السابقين ومتقدم المتقدمين المرحوم بإذنه تعالى الحاج حسن بن محمد آل عبدالله رضي الله عنه، ويروى أنه

(١) قصيد للشيخ عبد الحسين صادق، يهنىء بها الزعيم الكبير المرحوم كامل خليل الأسعد، بمناسبة عودته من الاستجمام في أوروبا.

إذا ما سار برفقة ذريته المباركة تهتز الارض تحت أقدامهم. وتتلاشى صناديدها وجنها وإنسها هلعًا وخوفًا، وتلجأ كواسر البراري إلى مخابئها وتفرالطيور إلى وكُناتها.كانت مستلزمات الواقع وظروفه وتركيبته تفرض معادلات حيث كانت الأسرة الكبيرة تقيس سلطتها بعدد رجالاتها.كان كل من الأسرتين ينظر أمامه وإلى نفسه ومستقبله من منظور تاريخه وماضيه فتحك كلا الأسرتين المتصاهرتين رأسيهما تكبراً وعناداً وأنفة وعزة وحمية، فرغم حيز سلطة آل عبدالله المتواضع في دائرة مرجعيون مقارنة بوسع سيطرة الأسعدية فيها، ورغم قلة مالهم مقارنة بمال بكوات آل الأسعد، حيث لم يكن يوما الصراع بين آل الأسعد وآل عبدالله صراع على الملكية. لايشبه مثلًا الصراع الضاري الذي كان قائما بين آل الأسعد وآل الزين، فالأسرتان كانتا تتقاسمان رأس لائحة كبار المالكين[1]. إلا أن آل عبدالله بكثير من المحطات الانتخابية والسياسية تقدموا عليهم وأخّروهم، مباعدين بينهم وبين أهدافهم، وضايقوهم حتى اعتراهم السأم وأغلقوا الطرق أمامهم حتى ولوا الأدبار و اشتبكوا مع أزلامهم وقبضياتهم، فنالوا منهم في الخيام وغيرها كما حصل ببلدة شبعة في انتخابات ١٩٥١م حين لعلع الرصاص وهُلِعَ الأشخاص،يومئذ ليس لهم مناص، كانت الخصومة تطول أحيانا وأحيانا أخرى تقصر، فيلتقون ويتحالفون ويتحابون وبعدها يتخاصمون ويفترقون ثم يطلبون.العون والمساعدة من آل عبدالله كما فعل الزعيم كامل خليل الأسعد عندما طلب المساعدة والعون من الحاج محمد أفندي لاسترجاع حقه المسلوب على أيدي أهل الحولة، هكذا هي لعبة السياسة.إلا أن حجم المشكلة يتجلى بين آل الأسعد وآل عبدالله في أمر في غاية الأهمية ألا وهو الرفض القاطع من آل عبدالله أن تكون زعامتهم مِنَّة وإحسان من آل الأسعد أو أن يصار إلى استزلامهم وكان ذلك بالنسبة لهم من الخطوط الحمراء، حتى وإن خسروا الإنتخابات كما حصل في إنتخابات عام ١٩٦٤ حين شنت حرب شعواءضد الزعيم إ براهيم علي أفندي العبدالله من قبل الأسعدية بكل ما أوتيت من قوة ورباط الخيل، ولكن عند فرز النتائج أصيب الزعيم كامل بك بن أحمد الأسعد بالدهشة عندما فاز على النائب إبراهيم العبدالله بفارق ٩٠ صوتا فقط.هي حصيلة هذه الحرب

الزعيم عبد اللطيف بك الأسعد

(١) كتاب "حركة الإصلاح الشيعي"، صفحة ٥٥، للكاتبة صابرين ميرڤان، ترجمة هيثم الأمين، دار النهار.

السياسية الشعواء. وقتها تحالف النائب إبراهيم العبدالله مع النائب أسعد الأسعد، فرد عليه كامل الأسعد بأن تحالف مع ابن عم إبراهيم العبدالله النائب علي ممدوح خنجر العبدالله، وعندما فاز ممدوح العبدالله قال: أبو غالب (من العب للجيب) حيث كان آل عبدالله ينسقون فيما بينهم ليلا ويعرضون نهاراً. تقول صابرينا في كتابها صفحة ٥٤: كان آل الأسعد يتزوجون من نساء ينتمين إلى أسر أقل منهم مستوى بهدف إنجاب فرع فقير يمكن الاعتماد عليه بتزويدهم بالرجال والفرسان. ونقول في ذلك: إن مصاهرتهم لآل عبدالله تختلف كلياً، لم تكن المصاهرة بين آل عبدالله وآل الأسعد قد أغنت آل عبدالله فاطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف أو جذبوا ليدوروا في فلك آل الأسعد، بل على العكس أغنت آل الأسعد وحسّنت في النسل لديهم فالحاجة فاطمة الست أم كامل ابنة الزعيم الكبير كامل بك الأول وزوجة الزعيم أحمد الأسعد ووالدة الزعيم كامل بك الأسعد، وصلت لأن تكون مرجعية سياسية هامة جدا ليس على مستوى جبل عامل بل لبنان، لأن والدتها من آل عبدالله الحاجة مريم ابنة الحاج حسن عبدالله، هذه ليست نكتة فهذه البنات من تلك اللبؤات راجع قصة زواج كامل بك الأول من الحاجة مريم. يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: كان أبرز أولاد الحاج حسن الحاج محمد أفندي والحاج إبراهيم العبدالله الذي كان يملك أكثر من مزرعة في فلسطين، ونصف أراضي الحولة وكان ثرياً لدرجة لقب معها بـ (قيصر الشرق).كامل بك الأول كان يتكل عليه اتكالاً كبيرًا على مساندة ودعم كل من الحاج إبراهيم والحاج محمد الأفندي في كافة الأمور السياسية وحتى المالية منها، لدرجة أنه كلما تخاصم مع الحاج إبراهيم يرسل إليه برسالة يقول له فيها:نريد أن نذهب بمعيتك إلى بيروت، حضّر لنا الخرجية أي المصروف لكل الوفد المرافق[1].كان التنافس الشديد على السياسة هو ماكان يتحكم في العلاقات بينهما وليس شيئًا آخر.

الزعيم كامل أحمد الأسعد

ومما يروى بأن دار الطيبة شهدت حدثًا كان مهمًا ومميزًا للغاية، تمثل باستقبال يليق بالقادة والزعماء كان يومًا مشهودًا تناقل أخباره الكثيرون، ففي عام ١٨٩٢زار زعيم الخيام والجوار الوجيه ابن الوجيه الحاج محمد أفندي عبدالله قاصدًا الزعيم الكبير والأديب والشاعر شبيب باشا

(١) الحلقة ٣٨ من مجلة "الشراع"، هكذا تكلم أحمد الأسعد.

الأسعد ١٨٥٢-١٩٢٤ ميز هذا الاستقبال حدثًا تجلى بقدر كبير من الاحترام، وقد حرص الأسعد أن يكون حدثًا تاريخيًا، يومها رفض شبيب الأسعد بأن ينزل الحاج محمد عن فرسه رافضًا بأن يترجل وأصر بأن يصعد الدرج بفرسه إلى شرفة داره وقال شبيب ليس من مثلك يا حاج محمد ينزل عن صهوة جياده، وكانت تربطه علاقة ود واحترام عنوانها شغف الزعيمين بالشعر، وقد ذكر بأن كثيراً من القصائد ألقاها كل من الزعيمين بمناسبة هذه الزيارة التي استمرت لساعات دون أن نعرف شيئًا عن هذه القصائد.

في زمن الرعيل الأول أي زمان الآباء والأبناء أمثال حمد البك المحمود من آل علي الصغير الذي توفي سنة١٨٥٢، وخليل بك الأسعد (١٨٤٨-١٩٠٠) والحاج حسن عبدالله١٧٩٠ـ ١٩٠٤م. لم يشهد أن حصل خصام أو فرقة بينهما، وإن حصل في بعض المحطات والمنعطفات يبقى تحت السيطرة والإحتواء، ولم يكن يخلو من هذا التصادم أو إذا صح التعبير(الزكزكات) دون توسع في رقعة الخلاف واستمر ذلك إلى زمن أولادهما كامل بك الأسعد الكبير ١٨٦٩-١٩٢٤م. وأخوه عبداللطيف بك الأسعد (١٨٨٦-١٩٣٦). والحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٤٢-١٩١٦). وأخوه الحاج محمد أفندي (١٨٣٩-١٩٢٩)[(١)]. لكن في زمن الأحفاد تغير الوضع وقد برز هذا التنافس والخصومة السياسية بين الأسرتين في بدايات الثلاثينات من القرن الماضي في زمن المرحوم بإذنه تعالى الزعيم علي أفندي ابن الحاج إبراهيم العبدالله (١٨٨٢-١٩٥٧م). وأحمد بك الأسعد (١٩٠٢-١٩٦١) ليشهد مرحلة قوية من التنافس، ولينتقل بعدها إلى أحفاد الأحفاد فكان الخصام السياسي بين الزعيم إبراهيم علي أفندي العبدالله ١٩٢٠-٢٠٠٢م. ابن الزعيم علي أفندي عبدالله والزعيم كامل بك الاسعد (١٩٣٢-٢٠١٠) ابن الزعيم أحمد بك الأسعد.. ومن أقسى التصريحات الصحافية وأخطرها ضد آل الأسعد كانت من النائب ابو غالب إبراهيم العبدالله عندما قال: سأمحي أسطورة آل الأسعد من الجنوب. يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: من أسباب الخلاف بين زعيم بلدة الخيام النائب والوجيه المعروف علي أفندي العبدالله وأحمد الأسعد، استياء الزعيم علي أفندي من تدخل آل الأسعد في شؤون الخيام الداخلية على قاعدة فرق تسد، فكان أحمد بك الأسعد يحرض الأهالي في الخيام ضد آل عبدالله (الأفندية) أخوال زوجته الست أم كامل وذلك لإضعاف سلطة الزعيم علي أفندي العبدالله. ويتابع سلام الحاج فيما جاء في مذكراته فإذا

(١) وقد أشار إلى هذا الخلاف كلّ من: محمد جابر آل صفا في: "تاريخ جبل عامل"، صفحة ١٦٩، ورضا التامر في ذكرياته، صفحة ١٣٥.

كانت زعامة عادل عسيران مقبولة في الزهراني، وزعامة يوسف الزين مقبولة في كفر رمان وزعامة كاظم الخليل مقبولة في صور، فإن زعامة العبدالله في الخيام غير مقبولة ومنافسة لزعامة الأسعد، لأنها تقع جغرافيًا في منطقة سيطرته التي يريدها صافية الولاء له، أما السبب المباشر للخلاف فهو ترشيح أحمد الأسعد في العام ١٩٤٧م لمحمد علي الغطيمي بدل ترشيح علي أفندي صاحب الشعبية الواسعة في منطقته[١].كانت النشرات المحلية والمجلات آنذاك تنقل أخبار هذا الخصام أو التنافس، فما يلبث أن يتحول إلى حكايات تراثية وأمثال شعبية باعتبار ذلك من المخزون التراثي للأسر التي كانت صاحبة سلطة وزعامة وحكمت لفترات في حقب تاريخية حتى أثّرت في الذاكرة العاملية، فأصبح الناس يرغبون بسماعها والتعرف عليها. يَذْكُر المرحوم سلام الراسي أبوعلي عن خلاف ظهر بين المرحوم الحاج محمد أفندي وزعيم الطيبة المرحوم خليل بك الأسعد وإضعافًا لنفوذ آل الأسعد عمد الحاج محمد عبدالله إلى تحريض الوالي وتم نقل القائمقامية من كفركلا إلى جديدة مرجعيون وراجت في ذلك الزمان عبارة على لسان الحاج محمد وهي كل بيت في الجديدة سرايا والأرملة فيها حاتم طي[٢].

خليل بك الأسعد

ومما يروى بأن تصريح إبراهيم العبدالله: سأمحي أسطورة آل الاسعد في الجنوب كانت لها تداعياتها النفسية على الزعيم أحمد الأسعد وزادت من آلامه الجسدية عام ال٦٠ من القرن الماضي، كانت انعطافة أحمد الأسعد السياسية خطرة ضد زعامات آل عبدالله عندما قلَب لهم ظَهْر المِجَنّ واستعمل كل أوراقه وأخرج كل ما بجعبته وطفق يحرض عليهم متهما إياهم بأنهم هم من قووا شوكة المسيحيين في المنطقة لأن والدة الزعيم إبراهيم العبدالله من الطائفة المسيحية الكريمة، إلا أن نتائج إنتخابات عام ال٦٠ جاءت لصالح إبراهيم العبدالله بعد أن نال أغلب أصوات المسيحيين في الخيام ومرجعيون والدروز كعائلة شمس في حاصبيا إلى جانب أصوات طائفته المساندة له.ولكن لو نظرنا من النافذة العلوية إلى بهو أسرة آل الأسعد لترآى لنا الكثير من الخصومات والمناكفات السياسية داخل الأسرة الواحدة، يقول رضا التامر خلال زيارة قام بها إلى خاله محمود بك الأسعد في العشرينات

(١) في الحلقة ست وثلاثين من هكذا تكلم أحمد الأسعد، والتي نشرتها مجلة الشراع، اختار الأستاذ سلام الحاج الذي قام بإعداد هذه الحلقات عنوان: زعامة آل عبدالله في الخيام غير مقبولة.
(٢) كتاب "في الزوايا خبايا"، سلام الراسي، صفحة ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

يقول: زرت خالي وهو يومئذ على خلاف مع أخويه كامل بك وعبداللطيف بك الأسعد ومع والدي بسبب السياسة[(١)]، حيث كانت سياسة محمود الأسعد تميل إلى مهادنة الفرنسيين من أجل بقاء الناس في منازلها وأرضها خيرٌ من حرقها وتركها وهجرتها إلى دول الجوار. فقد قام خلاف في صلب آل الأسعد بين أولاد علي بك الأسعد إثر وفاته فكان أن فاز بخلافته في نهاية المطاف ابن العم خليل بك الأسعد على حساب شبيب باشا الأسعد أحد أبناء علي. ثم قام الصراع بين ابن خليل ألا وهو كامل بك الأسعد الأول وبين شبيب فكانت الغلبة لكامل من جديد. وتضيف صابرينا في كتابها بأن هناك أسر كانت تدور في فلك آل الأسعد مثل آل صعب وآل الفضل في النبطية وكذلك آل بزي حلفاء آل الأسعد، وبالمقابل قام الصراع بين آل الأسعد وأسر عاملية أخرى في طور الصعود كآل فرحات وآل عبدالله[(٢)]. وهنا نريد أن نوضح أمرًا بغاية الأهمية ألا وهو أن آل عبدالله ليسوا أعداء لآل الأسعد، بل تحالفهم معهم أكثر من خصامهم، ولكن كنا نريد من هذا السرد توضيح قاعدة هذه العلاقة وماهيتها وحيثياتها وتركيبتها وفي نفس المصدر نقرأ: وقد نُظِّمت الصفوف بعد عودة رضا الصلح (والد رياض الصلح أول رئيس وزراء للبنان بعد الاستقلال) إلى جبل عامل، وانقسمت الأسر ذات النفوذ، بقيام الانتداب على سوريا ولبنان إلى قسمين: قسم حالف رضا الصلح ومنهم آل عسيران والخليل وأبو خليل، وقسم اتبع كامل الأسعد ومنهم آل عبدالله والبزي والفضل (كتاب الإصلاح الشيعي صفحة ٥٧).

أظهر آل عبدالله حذاقة فائقة لم يضاهيهم بها الآخرون عندما كانوا السباقين في الإنخراط مبكرًا في الحركات السياسية والأحزاب اليسارية العقائدية ولاحقا الدينية، على ما نذكر بأن المرحوم المفكر كامل عبدالحسين العبدالله من أوائل المنتسبين إلى الحزب التقدمي الإشتراكي في الخيام والمحيط في الخمسينات من القرن المنصرم، وهو من عمل ومهد لزيارة الزعيم كمال جنبلاط إلى الخيام في الستينات ولقاء الزعيم المرحوم علي أفندي عبدالله كان شباب آل عبدالله في طليعة هذه الحركات إن كان على مستوى الكوادر أو المؤسسين لها أو من انصارها وداعميها، يذكر محمد حسن محمود عبدالله في رسالته ص٣٣: إن لعائلة الأسعد خصوصية في التأثير على الحركة السياسية في الخيام لأسباب عديدة: أهمها أن عائلة الأسعد قبل العشرينات كانت تساعد العائلات الخيامية في انتفاضاتهم ضد عائلة آل عبدالله بهدف جعل عائلة عبدالله ملحقة باستمرار لعائلة الأسعد.

(١) كتاب "ذكريات رضا التامر"، صفحة ٣٦.
(٢) صابرينا "حركة الإصلاح الشيعي" صفحة ٥٤و٥٥و٥٦ و٥٧.

سلسلة لبعض من زعماء أجداد آل الأسعد وآل عبدالله عاشوا في زمن واحد تقريبا.

١- الأمير محمد بن هزاع الوائلي.

يقول آل الأسعد أن جدهم الأول هو محمد بن هزاع الوائلي القحطاني من رؤساء قبائل عنزه، جاء أيام صلاح الدين الأيوبي إلى جبل عامل (أي الجنوب اللبناني) واستولى على الحكم فيه في القرن الثاني عشر، وإذا ما أخذنا الوجود الأيوبي على ما ذكر في منطقة جبل عامل تكون في سنة ١١٨٩م. أي في نهاية القرن الثاني عشر. ويكون أول تواجد لآل الأسعد في (لبنان).

١- الأمير عبدالله بن عبدالوهاب بن هرماس آل عبدالله التنوخي.

كان موطنه جبل لبنان وهو بالتأكيد ليس الجد الأول لآل عبدالله في لبنان، الجد الأول دخل لبنان عام ٨٢٠ م. ولكن أردنا أن نسير حسب التسلسل الزمني لأسرة آل الأسعد ليبقى وجه المقارنة متقاربًا لفهم واقع الزعامة بينهما، ومن المقارنة يتبين لنا بأن أجداد آل عبدالله سبقوا أجداد آل الأسعد إلى لبنان بحوالي ثلاثمائة وسبعون سنة.

٢- الشيخ حسين بن أحمد النصار.

هو والد الشيخ علي الصغير والشيخ حسين، قتل على يد آل شكر واستولوا على حكم جبل عامل، بالتأكيد قد سبقه كثير من أمراء آل الأسعد ولكن نتتبع أهم الأمراء التي حصلت في زمانهم أحداث مهمة غيرت واقع حالهم، فرت زوجة الشيخ حسين والتجأت إلى السوالمة إحدى فروع قبائل عنزة وولدت غلامًا أسمته عليًا الصغير تذكارًا لأخ له.

٢- الشيخ مظفر علم الدين آل عبدالله التنوخي.

كان على رأس الحزب اليمني الذي كان منافسًا لأمراء آل معن ولعب دورًا هامًا في تاريخ جبل لبنان، وكان أحد أمرائه وزعيمًا من زعمائه، بقي على ثباته يستجمع القوم من حوله لمحاربة منافسيه بالحزب القيسي. حيث عاش وتقارب في زمانه مع الشيخ حسين الصغير في بداية القرن السابع عشر.

٣- الأمير علي الصغير الوائلي.

استرد الحكم من السادة آل شكر بعد معركة في العام ١٦٤٩م. وهم مشغولون بأعراسهم آخذاً بالثأر منهم لمقتل أبيه وأبناء عشيرته، وقتل في هذه المعركة أحمد بن شكر زعيم آل شكر.

٤- الأمير مشرف البطل ابن علي الصغير.

صاحب المعارك المشهورة مع ولاة الترك، كان قد فتك برجالهم غير أن الحظ قد خانه في بعض المعارك، ففي سنة ١١٠٩هـ- ١٦٩٨م. كانت وقعة القاسمية فقبض عليه من قبل الشهابيين في مزرعته وتوفي في صيدا بعد ثلاثة سنوات من اعتقاله.

٥- الأمير ناصيف بن نصار الأحمد.

أشهر أمراء الشرق الأوسط وأعظم أمير عربي قام في القرن الثاني عشر للهجرة، اشتهر بالشجاعة والبطولة والوفاء والشهامة والمروءة وهو شيخ من مشايخ جبل عامل خاض حروبًا كثيرةً وكان النصر دائمًا حليفه ففي سنة ١٧٨٠ قتل برصاص الغدر على يد عساكر أحمد الجزار في أرض يارون.

٣- الأمير علي علم الدين آل عبدالله التنوخي.

ورث زعامة الحزب اليمني عن والده الشيخ مظفر لعب، دورًا هاما في تاريخ المنطقة، حالف آل علي الصغير زعماء جبل عامل، كان من أشد منافسي آل معن لجأ عام ١٦٣٨م. إلى جبل عامل في حربه مع ملحم الشهابي.

٤- الأمير موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي.

ورث الإمارة في جبل لبنان وكان يرأس الحزب اليمني وكان الخصم اللدود للأمير أحمد المعني، نازله في معارك كثيرة وهزمه، ولنتيجة أخذه للمبادرة ثانية بمساعدة الحاكم التركي أنذاك عزم الأمير موسى على الرحيل سنة ١٦٩٦م. إلى بلدة الخيام الجنوبية ويعتبر المؤسس الفعلي لأسرة آل عبدالله في الخيام.

٥- الأمير محمد بن عبدالله آل عبدالله التنوخي.

ولد في بلدة الخيام وكانت له علاقات مع أمراء الشهابيين في وادي التيم وأمراء الفضل من آل فاعور في الجولان حتى تزوج من إحدى بناتهم، وكان له علاقة ود كبيرة بينه وبين آل علي الصغير ودعم الكثير من الثورات العاملية كانت وفاته تقريبًا سنة ١٨١٠م. دفن في الخيام خلف جامع الخيام المركزي.

٦- فارس النصار بن ناصيف النصار.

بعد مقتل أبيه بمعركة يارون جمع فلول العشائر العاملية التي فرت من ظلم أحمد باشا الجزار واستعاد حكومة البلاد من الأتراك وأنجد والي عكاعبدالله باشا تقريبًا سنة ١٨٢٠م. الذي تسلم الحكم من سليمان باشا وكان النصر حليفه في كل المعارك.

٦- الحاج حسن بن محمد بن عبدالله التنوخي (١٧٩٠-١٩٠٤) م.

عاصر معظم الأمراء من آل علي الصغير وزعماء آل الأسعد .وكان عضو مجلس إدارة ولاية بيروت لعب دورًا سياسيًا هامًا ومحوريًا لقرابة قرن كامل حيث استطاع أن يستقطب أعدادًا كبيرةً للسكن والإقامة في الخيام. توفي قدس سره بعد أن عاصر ثلاثة قرون وهو صاحب نهضة دينية وعمرانية في الخيام والجوار.

٧- خليل بك الأسعد بن أسعد خليل ناصيف النصار.

أولاده: كامل بك الأسعد الأول، محمود بك الأسعد، عبداللطيف بك الأسعد وعقيل بك الأسعد، انتهت اليه رئاسة العشائر بعد وفاة علي بك ومحمد بك الأسعد، عين متصرفًا للواء البلقان (نابلس)، كان شديد الحرص على العناية بشؤون الطائفة وجمع كلمة العشائر وكان يحرص على إنشاء نهضة علمية في البلاد، لعب دورًا بارزًا بأحداث الخيام عام ١٨٩٤م. كانت وفاته سنة ١٩٠٠ م. وخلفه في زعامة جبل عامل نجله الأكبر كامل بك الأسعد.

٧- الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٤٢ - ١٩١٦) م.

كان من أهم المفكرين على المستوى الإجتماعي والسياسي وهو من الرواد والقادة السياسيين ليس في منطقة جبل عامل وحسب بل على مستوى الدولة العثمانية في بلاد الشام، نال احترام جميع القادة والزعماء وكان إلى جانب والده بجميع زيارته إلى أمراء آل علي الصغير وآل الأسعد وعندما نذكر آل علي الصغير وآل الأسعد في الحقيقة هما نسب واحد لكن في الدور الأول عرف بالوائليين والثاني بآل علي الصغير ولاحقًا بآل الأسعد في بداية القرن التاسع عشر على الأرجح.

٨- كامل بك خليل الأسعد (١٨٧٠-١٩٢٤) م.

والدته السيدة سعدى كريمة الحاج محمد الفارس من أسرة آل علي الصغير، أحرز من الرتب في عصر السلطان عبد الحميد الرتبة الأولى من الصنف الثاني التي تعادل أمير اللواء العسكرية، كان عضو مجلس ولاية بيروت في مجلس المبعوثان، صاهر آل عبدالله لتقوية عضده السياسي وكان من الزعماء الكبار في بلاد الشام توفي ودفن في الطيبة. وكان لقبه «ابو سطام» رغم أنه لم ينجب ذكورًا.

٨- الحاج محمد ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٣٩-١٩٢٩) م.

فارس من فرسان العرب وشاعر من شعرائها المميزين وقائد عسكري بامتياز، لعب دورًا هامًا في أحداث المنطقة وساند جل الثورات العاملية، كان لا يتوانى عن دعم آل الأسعد وخاصة كامل بك الأسعد زوج شقيقته الحاجة مريم، لعب الحاج محمد عبدالله دورًا فعالًا في أحداث الخيام والمنطقة.

٩- أحمد بك ابن عبداللطيف بك الأسعد (١٩٠٢-١٩٦١) م.

لم يكن سوى شخصية مميزة رائدة بالعمل السياسي والإجتماعي تمتع بذكاء حاد وبكاريزما خاصة، أبو العامليين والفقراء والمحرومين جميعًا، كسب ودهم واحترامهم ونال أرفع المراتب في قلوبهم وكان وريثًا لأسرة استطاع أن يكون خلاصة زعامتها التاريخية التي دامت لقرون طويلة، لعب دورًا هامًا في السياسة اللبنانية وكان على علاقات قوية ومتينة مع الملوك والأمراء العرب.

٩- علي أفندي ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٨٢-١٩٥٧) م.

هو بالحقيقة شيخ من مشايخ العرب وزعيم من زعماء هذه الأمة وضع حياته في خدمتها وخدمة وطنه، لم يتوقف عطاءه طالما كان قلبه الكبير ينبض، أحب بلده فأخلص له وأحبه الناس جميعًا حتى التفوا حوله وبايعوه وناصروه ووقفوا إلى جانبه في السراء والضراء، لم يخض غمار معركة إلا ورأيت الحشود من حوله تهتف بحياته وتتسابق لفدائه في ساحات الوغى. تميزت زعامته بكثير من العطاء والكرم اللامحدود.

١٠ - كامل بك ابن أحمد الأسعد (١٩٣٢-٢٠١٠) م.

ورث الأسعد الزعامة عن والده أحمد الأسعد وعاش فترة في ظل هذه الرعاية الأبوية السياسية التي أصرت على جعله سياسيا بامتياز، وتزويده بكثير من الخبرات والعلاقات والمناصرين والمؤيدين لنهج آل الأسعد وبقوا تحت ظل هذه المسيرة في المحافظة على إرث الزعامة الأسعدية إلا أن الظروف السياسية والتقلبات الإجتماعية والحروب الأهلية كانت كفيلة بتغيير المشهد السياسي.

١٠ - الزعيم خنجر ابن الحاج حسين آل عبدالله (١٨٨٦-١٩٥٣) م.

عميد آل عبدالله ووجيه منطقة مرجعيون وجبل عامل ومن رجالاته المخلصين. كان له دورٌ سياسيٌ مميزٌ، ودورٌ اجتماعيٌ راقٍ في المنطقة وعلى مستوى الوطن وكان موضع تقدير واحترام كبرى العائلات الجنوبية واللبنانية والدينية والزمنية .

وكانت له صداقات فاعلة وحميمة مع قادة البلاد.

١٠ - الزعيم إبراهيم علي أفندي العبدالله (١٩٢٠-٢٠٠٢) م.

سار على خطى أبائه وأجداده، رجل سياسي شديد الشكيمة صعب المراس لا يخاف في الله لومة لائم ينازل الأخصام برحابة صدر يحاور يناقش حتى الرمق الأخير، ضربته تساوي ألف ضربة فكانت ضربته في انتخابات العام ١٩٦٠ التي أبلى فيها بلاء حسنًا، في العام ١٩٦٤ أدهش منافسيه حين كانت خسارته بأصوات بسيطة أظهرت حجم مؤيديه ومناصريه ومقدرته على خوض غمار اللعبة السياسية بكل صوابية ونجاح، كانت الخسارة لا تعني له شيء طالما أبقى على إرادته الحرة.

الزعيم علي أفندي إبراهيم العبدالله

سيــدٌ لهيبته تنحني الجباه البواسق جهرا — ولا يقوى على كتم هيبته الدهر(١)

كان مشرقاً كالهلال بيننا — ينتظر طلعته البهية الفطر

أحاديث ترويها عنه الرواة — فمثله يهنىء من مآثره البشر

ابا سطام ما زلت مبعث الأمل — ففي الليلة الظلماء يفتقد البدر

شوقنا إليك لا يضاهيه شوق — أنت الزعيم أنت السيد الحر

عشت في زمان نتوق إلى ذاك الزمان — صرت بدار الخلد يحيا بك الذكر

رحلت وكل شيء بعدك عدم — ترى الوجوه شاحبة والقلب مقفر

---

(١) خاطرة للمؤلف.

(*) بالنسبة للأشعار التي نُسبت إلى الزعيم علي أفندي وصلتنا شفاهيا ولم نستطع العثور عليها مكتوبة أو مدونة وقد قيل الكثيرعنها ومن ضمن ما قيل بأنها سير من كلامه وأقواله أستهوت محبي أبا سطام فدونوها أو حفظوها أو رددوها من بعده هكذا هي الشعوب تحب القادة حتى العشق فتتغنى بكلامها إن كان نشيدا أوشعرا، قافية أو وزنا ،خاطرة أوحوربة. رحم الله ابا سطام ليس منا من لايحب ابا سطام هذا القائد والزعيم العظيم.

-أما بالنسبة للأشعار قد تكون بحاجة لمراجعة من أهل الخبرة.اما بالنسبة لي أحبها إن كانت مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة الله لا يكسر حدا.. وأحبها حرفا حرفا حتى ينقطع النفس. أولم يقلها ابو سطام كفى والف كفى. وأقول سلامي إلى الفرهيدي هذا كل ماطلع بإيدي.

الزعيم علي أفندي عبدالله ١٨٨٢-١٩٥٧م ابن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله:

وُلد في الخيام إبان فترة الحكم العثماني للمنطقة ولبلاد الشام، كانت أيام محفوفة بالمخاطر لا يبرع فيها إلا كل شاطر وكل ذي رجل مئزره بالمجد عاطر. نشأ في كنف والدين كريمين وفي عائلة محافظة متماسكة مفعمة بالإيمان الديني ومؤلفة من ثمانية أفراد ثلاثة أولاد وخمسة بنات، تلقى مبادئ القراءة والحساب والعلوم الدينية على أيدي مشايخ محليين في جبل عامل. فمنذ صغره كان متعلقًا بالعلوم، أتقن القراءة والكتابة وتعلم النحو والصرف حتى أنه تعلق بنظم الشعر، كان شعره خاليًا من العقادة والركاكة، وتميز بالذكاء حتى كانت الناس تستشيره في مشاكلها، وكان صائب الرأي خبيرًا متفكرًا في عواقب الأمور. تسلّم الزعامة مبكرًا وأثبت فيها مقدرةً عاليةً وأداءً مميزًا وقد لعب الزعيم علي أفندي دورًا هامًا حيث كان يشكل صمام الأمان لكثير من الأحداث الساخنة في المنطقة، ففي سنة ١٩١٨م. تقريبًا دخل عضوًا في حكومة محلية في مرجعيون مهمتها إدارة المنطقة وحمايتها من الفوضى. كان صاحب علاقات واسعة وقوية وقد شملت وجهاء وزعماء جبل عامل كآل الأسعد وعسيران وفرحات وبزي والخليل والزين، ووادي التيم كآل شهاب وقيس ومناطق الحولة منهم زعيم الحولة كامل الحسين من آل يوسف. انتُخب رئيسًا لبلدية الخيام عام ١٩٣٥م ودخل المعترك النيابي لدورتين برلمانيتين فعين نائبًا سنة ١٩٣٧م عن الجنوب وذلك في زمن الإنتداب الفرنسي، وفي زمن الإستقلال أعيد انتخابه عام ١٩٤٣م. استطاع أن يزيد أمجادًا فوق أمجاد أجداده العظماء حيث ينام أجداده وآباؤه في مراقدهم الطاهرة بكل جلال وأبهة...كان والده الحاج ابراهيم وجيهًا وسياسيًا مميزًا لعب دورًا هامًا في أحداث المنطقة، وكان له مواقف تفرّدت وتميزت في رجوليتها وهو من الشخصيات الفذة التي سطّرت فصولًا رائعةً في تاريخ جبل عامل وتكاد تكون مجهولةً إلا ما وقع بين أيدينا، فقد مثل الخيام في مجلس إدارة قائمقامية مرجعيون توفي والد الزعيم علي أفندي سنة ١٩١٦م.

علي أفندي الرجل :

نشأ علي أفندي في بيت سياسي عريق وبيت زعامة كبير ووجاهة لا يضاهيها وجاهة ومناقب فضلى قل نظيرها، ورث الشاب علي أفندي مزايا وخصال والده فكان من السياسيين اللبنانيين البارزين، وزعيمًا من زعماء جبل عامل (جنوب لبنان). علي أفندي لم يكن كبعض الزعماء والسياسين الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة، لقد دخل إلى عالم السياسة والزعامة و

الرئاسة وهو يملك المال الكثير والأرض، وخرج وهو لايملك إلا منزله الذي تفوح منه رائحة العزة والكرامة، فالناس إذا رأوا الزعيم على هذه الحال وقوله قول الحق والفضيلة وعلاماته علامات الشجاعة والجرأة التفوا حوله، وعقدوا له راية الرئاسة وألبسوه عباءة الزعامة فبايع المصدقون بصوابية خطه، أما المكابرون فلم يخفوا إعجابهم بشخصه، فجمع بين المحبة والثقة، رافق أحداثًا مهمة وصحب والده في أكثر جولاته، وكان إلى جانبه مما أكسبه شخصية مميزة فأكرمه الله من جليل المناقب وعظيم الرغائب، ولا مِرَاء في أنه جرى في مجال المجد أشواطاً بعيدة فكان عليَّ الهمة صادق النية مهاباً كريمًا وشجاعًا نبيلاً يجير الجار و يكرم الضيف، رفيع العماد وطيداً يملك من الصراحة والجرأة ما يملأ الخافقين، حباه الله بقوة الشخصية والإرادة وقوة النفس وعزّتها وعقلية متقدة الذكاء متحررة مستقلة، كان شديد العريكة أبيّ النفس أنوفاً عزيزًا لا يرضى بالذل، شخصية متجردة من كل مصلحة خاصة ومنفعة ذاتية، وكان جهده وتصويبه على أساس رفع مستوى بلدته ومنطقته وعائلته وطائفته في حماس منقطع النظير في سبيل مستقبل أكثر إشراقًا وتنويرًا للجميع خالٍ من الفُرقة والخصام، كان في زمن والده ولم يزل في زمانه هذا البيت محط رحال الوافدين من زعماء ورؤساء وأعيان وسياسيين، ومنتدى أهل العلم والأدب ومن السلف إلى الخلف بقيت راية الزعامة تنتقل من جيل إلى جيل فكان وارث زعامة هذا البيت العريق إبراهيم أفندي عبدالله ابن الزعيم علي أفندي عبدالله الذي انتخب عام ١٩٦٠م. بمعركة سياسية أتت أُكُلَهَا وكانت حامية الوطيس.

علي أفندي الشخصية :

كان علي أفندي صاحب اللياقات التقليدية في صدق سيرته وسداد وعيه، فقد ملك المعهود فيه من حسن الموروث من جده ووالده، وعادة ما كانت تأتي تعبيراته السياسية بمثابة رسائل لها الأثر البالغ في إقناع الآخرين، وكان يعرف الخصم مؤداها ومغزاها بصدق فراسته وتألق فهمه وكانت تعبيراته تأتي أحياناً على شكل دُعابة وظرافة في نفسه وهو ذو حكمة وبصيرة ومتقن للأمور، ولكن ظرفه هذا ما خرج قط من الدائرة التي ترسمها برتوكولات وعادات وتقاليد الزعامة، أي أنه ما كان يسمح لنفسه ولا للآخرين بأن يتخطى المزاح حدودًا معينة، وكانت دماثته موضع إعجاب الجميع وصاحب كاريزما، استطاع أن يستحوذ على حب الجماهير والناس التي كانت تهب لمبايعته عند أول فجر سياسي كان يبزغ ومعالم صور ترتسم للمنطقة جماهير تزحف وتهتف بحياة رجلٍ

ذر نفسه لإرضاء محبيه ومريديه، مات الزعيم يحيى الزعيم وكان موضع ثقة في سعيه لرفع الظلم وتحرير الإنسان، ونذكر هنا حين رفع الزعيم علي أفندي الصوت عاليًا ودق ناقوس الخطر على ما آل إليه الوضع العربي، واصفًا الحكام بمجموعة من العجزة أمام ما يحصل لفلسطين وأهلها وبجرأته المعهودة قال: إنكم عاجزون عن ربط حمار في المطلة.

علي أفندي الإنسان:

الإنسان يمثل قيمة حقيقية لمن يحمل عل عاتقه هموم المجتمع، وهموم ناسه الذين أحبوه وبايعوه ونصّبوه فكان لهم عونًا وسندًا ونموذجًا راقٍ في التضحية والوفاء، انتهج الزعيم علي أفندي نهجاً مستقيًا معتدلًا على قاعدة: "**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**"، حيث الجانب الشعوري لا يمكن وأده وإهماله لأنه يمثل قيمة ومرتبة عالية، خاصة عندما يكون نشأة وتربية وتقليدًا متوارثًا.

نشأ المرحوم علي أفندي في كنف بيت كان فيه والده يتميز بالشجاعة والكرم، يقال بأن أحد الفلاحين من الذين أكرمهم والد الزعيم علي أفندي الحاج إبراهيم أبو خليل حين أجاز له بأن يزرع في أرض تعود ملكيتها إليه أي للحاج إبراهيم، ليستفيد من خيراتها وثمارها وتعود على أسرته بالنفع والفائدة فما كان من هذا الفلاح إلا أن بادر في إحدى الأيام الممطره أن حمل بعض من المحصول الشتوي برفقة زوجته وطفليهما، وطرقا باب الحاج إبراهيم ليقدما له هذا المحصول وعندما رآهما في حالة تكسر الخاطر وتبعث على الشفقة، فما كان من ردة فعل الحاج إبراهيم الغير متوقعة لدى هذا الفلاح وزوجته حين أكرمهما وأحسن ضيافتهما، فعندما هما بالخروج من داره بادر بأن وهبهما الأرض التي يزرعها. هذا ما كان عليه الأجداد والآباء روح المحبة والتسامح والعطاء الجزيل دون مقابل، فمضى علي أفندي على طريق أجداده وآبائه ومما يذكر بأن كثير من الأسر التي كانت في الخيام فقد معيلها، كان يتكفل بها ويقدم لها العون والمساعدة إلى أن يشب أحدهم ويأخذ بزمام أمور أسرته. وحتى كثير من الناس وإلى يومنا هذا ما زالوا يزرعون أرض تعود ملكيتها للمرحوم علي أفندي، يستفيدون منها ويستغلونها، ومما نود الإشارة إليه ما ذكره الأستاذ كامل فاعور بأن المرحوم علي أفندي عبدالله خدمة وتشجيعًا للمزارعين قام بشق الأقنية لري الأراضي وبهمته تم إنشاء المدرسة الرسمية في ساحة البركة في بلدة الخيام[١].

(١) كتاب "عروس المرج"، للأستاذ كامل فاعور، صفحة ١٣٥ و صفحة ١٨٤.

.. لم يكن أحد بمقدوره أن ينافس المرحوم علي أفندي بكرمه وانسانيته، كرم ليس له حدود ويروى بأنه كان على استعداد لأن يرهن كل ما يملك من أرض، مقابل أن لايغلق داره بوجه الوفود والزائرين والضيوف وهم ما شاء الله كثر، فإن كان للحجيج موسم سنوي فحجيج دار أبي سطام على مدار السنة يأتون من كل فج عميق. حتى أنه في إحدى المرات رفض طلب الرئيس شمعون بأن لا يستقبل أحمد الأسعد في دارته في بلدة الخيام.....لو عاش حاتم الطائي في زمانك يا أبا سطام لغير اسمه من حاتم إلى علي ومن طائي إلى عبدالله ..

علي أفندي الشاعر والأديب :

سلطان من سلاطين العرب، من أرومة طيبة وقد جسّد في شخصه وسيرته وأعماله مناقب العرب التي اشتهروا بها وكانت لهم معينًا ودافعًا على نشر سلطانهم، ومن أهمها الوفاء والكرم والشجاعة والنجدة وإباء الضيم واستقلال الفكر وعلو الهمة والذكاء وصفاء الذهن. وكان أفندي زمانه سيفًا من سيوف العرب وهو الحسام الصقيل. كما قال أحد الشعراء:

بي أفـديك مـن حُسـام صقيـل سَـل فـي كفـه حُسامـاً صقيـلا
فأعَـاديـك فـي سُيوفـك قتلـى وبـك الخلُّ قـد تولـى قتيـلا

وقد اشتهر الأفندي بحكمته وحُسن سياسته ودماثته بين وجهاء المنطقة كنار على علم، يرد المعتدي والظالم ولا سيما أن الله قد منّ عليه من الحكمة السامية والأصالة في الرأي وسداد الفكر وتوقد الذهن وسمو المدارك والصفات النادرة، صاحب البيان ويعترف به كل لسان فاستواؤه على الزعامة كان خدمة للعامة وكان رحمه الله شاعرًا مجيدًا .يقول سلام الراسي كان شاعراً موهوباً ينظم الشعر على البديهة. وما وصلنا من شعره المأثور سوى القليل وإذا ما تأملته جذبتك تلك الفطرة والأبيات العذبة الجميلة الخالية من كل تكلف يرهق الذهن، أو تصنّع يضلل الأحاسيس ما هي إلا سليقة صافية نقية طاهرة تعكس طيبة راقية.

ومن شعره الوجداني:

طمـوح الفتـى فـي العُلـى أمل مـا كـل طامـح بين الناس يصـل
فـدُم للعـلى زينـاً وللدين عـدة قبل أن يضيع العمـر ويفنـى الأمـل
وإذ مـا اجتـهـد الـمَـرءُ يـومـاً كـان لـه الربـح و الجـلـل
فـما عبد عمـل فـي الدنيا صالحاً إلا وجنـى لـروضته أحسـن العمـل

ومن وجدانياته أيضاً: هذه الأبيات في ذكرى تأبين كامل الحسين أيار ١٩٤٩م[1]:

مضى خير صاحب وحبيب — طيّب الذكر ذخرا من الحسب
إنساب دمه المهراق غيلة — من طاغي وعات ومغتصب
رحل كاملٌ بيض الأيادي — كريم من خير نسب[2]
وروّع الوزر قلوب أحبابه — وعلا الحزن في حومة العرب
ونعته فلسطين وفرسانها — وكل محب له ومغترب
أحبّ الخيام أهلا وسهلا — وهوعن ثراها لم يغب

ومن شعره السياسي في انتخابات ١٩٥١:

لِمَ مزقتوا العهود — وأتيتم بالشهود
وشهد كل لدود — وحاقد وجحود
ونفوس قد أساءات — إلى أنساب الجدود
لم تراع عهودي — وأساءتوا بالردود
جاءتني الأقوام تترى — تتقي شر الحسود
والناس من حولكم — عينها على النقود

ومن شعره الغزلي :

جميلة الوجه حلوة سمراء — لكن ما عناء الشيخ بالحسناء
سوى نهب الفؤاد من النساء — وفيه تساوى المجانين بالعقلاء
إن رمت بسهم أصاب الفؤاد — ووشى بي شيبي إلى الحسناء
مهما سقى العشق من كأسه — لا يُشبع كأشعب سيد البخلاء

علي أفندي في وداع والده هذا الشبل من ذاك الأسد :

كان في العقد الثالث من عمره يوم وفاة والده الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله، ومما

(١) كامل الحسين زعيم الحولة، اغتيل على طريق حاصبيا ١٠ آيار ١٩٤٩م. ودُفن ببلدة الخيام برغبة من صديقه المرحوم علي أفندي عبدالله.
(٢) يعني صديقه كامل الحسين من فلسطين.

يُذكر بأن يوم وفاة والده نال علي أفندي إعجاب الحضور، حين تقاطرت الوفود وجاءوا زُرافات ووُحدانًا للمشاركة بتشييع الحاج إبراهيم عام ١٩١٦م. وكان من بين الحضور الزعيم محمد بك التامر وهو من الأصدقاء المقربين للحاج إبراهيم، وكذلك وفد من آل الأمين يرجح أن يكون الزعيم محمود بك الأمين الذي كانت تربطه علاقة قوية مع الحاج إبراهيم، ووفد يمثل الدولة التركية انطلق من صيدا، ووفد برئاسة الزعيم كامل خليل الأسعد يرافقه أخوه عبداللطيف بك الأسعد والد أحمد بك الأسعد، ووقف الزعيم علي أفندي وارتجل كلمة أثنى على والده ورثاه بأبيات من الشعر:

شجاعة

أجرى المدامع بالدماء رحيله ... له المجد شاخص في أعماله
شهم أخلص للبرية قصداً كا ... نت فعاله في سيفه ووقاره
تشهد وقعة الجرود له ... وتشهد الخلائق عن يمينه وشماله
بأنّ سماسرة الفتنة عصبة ... عجزوا عن إذلاله
إنبرى لهم والحشد من حوله ... يدافع عن قومه ودينه وإسلامه
استفاض قولاً ما بعده قول ... مبتغياً بذلك سيرة أسلافه
فجدد العهد بسنة أجداده ... وظلل الكل من وارف ظلاله
سلوا الطيبة في تموز وبني الأسعد ... حين قال الحق وجيش السفاح من حوله
يوم فيها وأد لظى الفتنة ... وصب البرد على نار أحقاده
قال والدي إبراهيم:للفتنة العمياء كو ... ني بردا وسلاما فكانت كم قال على أشياعه
له السفاح استقام وقوفا ... وردد على الأسماع من توباته

كما أثنى الزعيم علي أفندي على أجداده وعدد مناقبهم وفضائلهم ودورهم الريادي في جمع أبناء هذه المنطقة والدفاع عن عقيدتهم في وجه التحديات، وشدد على اتباع طريقهم والأخذ بأسلوبهم وسيرتهم وحذا حذوهم الذي فيه الفوز والغلبة.وكان هو الأسلوب الذي اتبعه أبو سطام وبسيفه دافع عن هذه القيم حين أبلى بلاء حسنا، وكانت سيرته غنية بالمناقب مضت بحمى القواضب وسالت لها الرواضب بين محب وغاضب وبين زينة وخواضب. وقد تناوب عددٌ من الحضور على تأبين أبي خليل الحاج إبراهيم رحمه الله .

البدايات السياسية للزعيم علي أفندي:

قبل نهاية العقد الثاني من القرن العشرين الماضي كان الزعيم علي أفندي قد ناهز السادسة والثلاثين من عمره، حيث كان لتداعيات أفول الحقبة العثمانية ما ألهب المنطقة من أحداث أمنية وتداعيات ألقت بثقلها على أبناء منطقة مرجعيون، مما استدعى اللجوء إلى وجهاء البلدات وأعيانها والإحتكام إلى زعاماتها، هو الأسلوب الأنجع والأوفر حظاً في حل المشاكل الأكثر تعقيداً والسعي نحو ضبط الأمور وتقليص حجم العنف وحصره والحد منه، الذي شارف في بعض جوانبه أن يودي بالزرع والضرع، لقد شارك الزعيم علي أفندي في أول حكومة محلية سنة ١٩١٨م تقريبا وكان عدد أفرادها اثنا عشر شخصاً، حيث كان عضوًا فيها إلى جانب وجهاء منطقة مرجعيون – شُكلت هذه الحكومة المحلية لتكون سداً منيعاً في وجه من أعدوا العدة وأرادوا اقتحام بيوت أهل جديدة مرجعيون، بعد أن هرب الأتراك منها تاركين خلفهم عنابر المؤن وقد تجمهر الناس في ساحة الجديدة من أهالي الخيام ودبين وبلاط والقليعة والخربة، والكل يتحفز للاقتحام ولم يمض وقت طويل على تشكيل هذه الحكومة حتى عمل عسكرها على فض المحتشدين وإعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي[1]. كان وما زال آل عبدالله إلى يومنا هذا يشكلون بيضة القبان وحجر سنمار لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة. ويحضرنا هنا ما ذكرناه آنفاً عن حادثة جمال باشا السفاح، وما كان يحضّره من فتنة بين المسلمين الشيعة والسنة في مناطق جبل عامل (جنوب لبنان) بالاتفاق مع أسعد الشقيري مفتي جيش السفاح وحدث ذلك في دار الطيبة سنة١٩١٦م. عندما وقف الحاج إبراهيم والد الزعيم علي افندي في وجه الشقيري وأسكته بوجود جمال باشا السفاح، حيث لم يكن أي شخص مهما كان يملك من الجرأة يستطيع أن يقف بحضرة السفاح ويتكلم ويتشاوس على مفتي جيشه الشيخ الشقيري ويسكته، مثلما فعل ابن الأشاوس الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله وكان أنذاك يزيد عمره الشريف عن ثمانين سنة، في ذاك اليوم الأغر المحجل ولدت المنطقة من جديد ورسمت معالمها وبقى ناسها فيها وبقيت أديرتها تقرع الاجراس لعيسى ابن مريم عليهما السلام وفي مساجدها بقي صوت الآذان مع كل فجر ومغيب يصدح بكلمات الله أكبر وأشهد ان محمدًا رسول الله نبي الرحمة للعالمين صلى الله عليه وآله وسلّم.

هكذا هم آل عبدالله لا يعرف سيرهم إلا من يقرأ التاريخ، ويجهلهم من كان همه أكل البطيخ

(١) راجع كتاب "صفحات من التاريخ جديدة مرجعيون"، تأليف هنري أبو عرّاج، إعداد عبلة أبو عرّاج، صفحة ٩٠ دار بلال.

ويعيش على ظهر المريخ ويحب من التاريخ اللاغية والصريخ. عُيِّن أبو سطام نائبًا لأول مرة عام ١٩٣٧م، دخل إلى الندوة البرلمانية في مجلس النواب الرابع والذي دامت ولايته من ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٧م. إلى ٢١ ايلول ١٩٣٩م. إذ في عام ١٩٣٩م. أعلنت الحرب العالمية الثانية وعلق المفوض السامي الدستور وعطل الحياة النيابية وبقيت هكذا حتى سنة ١٩٤٣م، حين جرت الانتخابات النيابية وبدأ عهد مجلس النواب الخامس الذي استمر من ٢١ايلول ١٩٤٣ إلى ٧ نيسان ١٩٤٤م.وكان عدد النواب في هذا المجلس ٥٥ نائباً، وحصة الجنوب منه عشرة نواب وهم: إلى جانب الزعيم علي أفندي، أحمد الأسعد، رشيد بيضون، كاظم الخليل، محمد الفضل، عادل عسيران، مارون كنعان، نسيب غبريل، يوسف سالم، رياض الصلح.

علي أفندي العبدالله يَنْعِى الحكام العجزة:

عاجزون عن ربط حمار في قرية المطلة

لم يكن لآل عبدالله ولا لرجالاتها وزعمائها بأن يطلبوا القتال وأن يشنوا الحروب على الغير، وكانت الكلمة أمضى من الرصاصة وكان من حسن تدبيرهم هو الأخذ بالمشورة، هكذا هي القيادة الحكيمة التي تستفيد من خبرة الآخرين ومن شجاعة الشجاع وآراء العقلاء وأقوياء القلوب والأجسام، إلا من ضامهم فكانوا يتقون بغاراتهم كيد خصومهم ومناوئيهم ومنافسيهم، فكانوا يعقدون الأحلاف السياسية، ويسخّرون علاقاتهم الواسعة من أجل خدمة الأهداف العامة والمصلحة العليا فلاينكثون عهدًا ولا وعدًا في نصرة الحق، فمن حالفهم أو حالفوه اليوم وناصبهم غداً العداء والبغضاء وأدار لهم ظهر المِجَنِّ كانوا له بالمِرصاد، يجاهرون بقول الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، ولكن يبقى للسياسة قواعدها وقوانينها وفلسفتها الخاصة، فمن ركب موجها وجد عوجها، كانت العلاقة بين آل عبدالله وآل الأسعد في جلها تأتي برودتها بدسائس المستعمرين وأغراض المستفيدين، هذه العلاقة كان يمخر تواصلها تحالفات يفرضها الواقع، ولا عجب إذا ما دخلت السياسة بيتًا أفسدت أهله وجعلتهم منقسمين على أنفسهم، فكيف إذاً تكون النتيجة إذا ما تنافس فريقان أو عائلتان. هكذا يروي رضا التامر في مذكراته وبحسرة ما آلت إليه العلاقة بين آل عبدالله وآل الأسعد يرويها وفي العين قذى، وفي الحلق شجى يقول: وتوسعت شقة المناوأة والعداوة لهذا البيت أي آل الأسعد حتى شملت بعض الأصدقاء، إذ إن أحد أفراد عائلة آل عبدالله الحاج محمد أفندي عبدالله رغم الروابط التقليدية التي تربط بين العائلتين ورغم روابط المصاهرة بينهما فقد حدا بأفراد عائلته إلى مخاصمة آل الأسعد ومناصبتهم العداء[(١)].

(١) "ذكريات رضا التامر"، صفحة ١٣٥، دار النهار للنشر، ط الثانية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٧م.

ففي عشرينات القرن الماضي درجت ردة زجلية شعبية مؤيدة للزعيم عبد اللطيف بك الأسعد
لد الزعيم أحمد الأسعد ضد المستشار الفرنسي المشهور باتشكوف وهي :

شكـــوف خبّـــر دولتـــك سلطانـــا عبـــد اللطيـــف
اريـــز مربـــط خيلنـــا ورصاصنـــا قلّـــط جنيـــف

وقد علق أبو سطام علي أفندي على قول باريس مربط خيلنا في وقت بدأت فيه إرهصات العمل
ى احتلال فلسطين وتشريد شعبها. فلم يرق له هذا القول وكأنه يقول لهم اجعلوا من خيلكم
لكم وبيدائكم ورصَاصِكم وقِصَاصَكم ضد من يعمل على تفتيت فلسطين وطرد شعبها.

وهنا لنا وقفة مع أبي علي سلام الراسي وما جاء في كتابه «لثلاَّ تضيع» يقول: المعروف أن آل
بدالله في بلدة الخيام ،كانوا ومازلوا يناوئون آل الأسعد، حيناً على زعامة المنطقة ويتعاونون معهم
غلب الأحيان. وآل الأسعد هم «بكوات» المنطقة أما آل العبدالله فقد احتفظوا بلقب (الأفندية)،
أنه كان من حقهم وبإمكانهم أن يحصلوا على لقب البكوية عندما ازدهرت هذه الألقاب في
خر عهد السلطنة العثمانية، ولا سيما أن آل العبدالله يمتون بنسبهم إلى الأمراء التنوخيين.

وكان أفندي زماننا المرحوم علي العبدالله الذي شغل كرسي النيابة أكثر من مرة بالتعاون مع
 زمانه من آل الأسعد، وكان ذكيًا وشجاعًا وظريفاً وهذه المزايا بالإضافة إلى موهبة نظم الشعر
البداهة هي من مميزات آل العبدالله. وفيما كان علي أفندي يتحدث يومًا في أحد مجالسه الخاصة
الطريقة التي تمت بواسطتها معالجة قضية فلسطين التي سببت ضياعها ،قال بظرفه المعهود:
ق حكّامنا أن بإمكانهم أن يجعلوا باريز مربط خيلهم،حتى صرنا الآن نعجز عن ربط حمار في
المطلة.

والمطلة هذه هي أقرب قرية فلسطنية إلى بلدة الخيام مقر آل العبدالله. وتقع على تلة تشرف على
ى الحولة إلى الجنوب وعلى مرج العيون إلى الشمال وقد قيل إنها مفتاح فلسطين الشمالي[1].

لي أفندي الداعم للقضية الفلسطنية:

يتنكر الزعيم العبدالله إلى رابط الصداقة الذي كان يجمعه بزعيم الحولة أو الزعيم الفلسطيني
ان يطلق عليه كامل الحسين، إن كان في حياة أو مماة لم يكن العاشر من أيار من عام ١٩٤٩م.
ر الأيام، اجتمعت الجموع في بستان الزعيم أبو سطام الذي لم تكن تغيب عنه اللقاءات

اب "لثلاّ تضيع"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٩٩، الطبعة السادسة، مكتبة نوفل سنة ٢٠٠٠م، بيروت-لبنان.

والزيارات والحلقات والمآدب العامرة التي تعكس أجواء حميمية تقرب القلوب بعضها إلى بعض ومبعث على التآخي والألفة. في ذلك اليوم تقول أمل اليوسف: حضَر لاجتماع (أي كامل الحسين) في بستان السيد علي العبدالله في بلدة الخيام بجنوب لبنان ، دعا إليه جميع زعماء عشائر منطقة الحولة،حيث أقام لهم مأدبة غداء عامرة.وبعد مغادرته الاجتماع إلى حاصبيا اغتيل عند جسرها. انتهى كلامها[١]. وهنا لا نريد سرد قصة الزعيم كامل الحسين حيث أُلِّف كتابٌ كاملٌ من مئتين وخمسين صفحة يتناول قصته. والذي نريده هو أن الزعيم علي العبدالله كان مخلصًا في علاقته مع كامل الحسين في حياته ومماته، حيث لم يكن باستطاعة عشيرة الغوارنة الذي كان الحسين زعيمًا لها بأن تدفنه في فلسطين لصعوبة الوضع وتأزمه حيث لم يمض على احتلال فلسطين سنة. فما كان من الزعيم علي أفندي أن أقنع ذويه بأن يدفن في الخيام، وكان له ذلك فدفن في الخيام. وبعد مرور أسبوع على وفاته كانت له ذكرى أبّن العبدالله هذا الزعيم الفلسطيني قائلا: بأنه من الرجال الذين أحسنوا إلى اللبنانيين وقد اتخذ لبنان موطنا له .. مطالبا العبدالله بـ "إنزال أشد العقوبات الصارمة بالجناة المجرمين، ثم نادى بشقيق كامل محمود الحسين زعيمًا جديدًا لعرب الغوارنة. هذا وعندما علم رئيس الحكومة أنذاك رياض الصلح باغتيال كامل الحسين قال: لحم كتافي من خير كامل الحسين..وأضاف الصلح نحن الذين خسرناه[٢].. لقد كانت المنطقة قبل الاحتلال متداخلة في جغرافيتها مما سهل إقامة علاقات بين أبناء المنطقة الواحدة بين فلسطين ولبنان على كل الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة وأن عائلة العبدالله كان لها أملاك في منطقة الحولة، كل ذلك أسس لثوابت قوية من العلاقات أفرزت حالة من استئناس الناس بعضها لبعض، لتصل إلى مرحلة الود المتبادل والصداقات الأسرية حتى أضحى الناس مجتمعاً واحداً لا تفرقه الجغرافيا بل تزيده لحمة والتصاقًا وتفاعلاً على جميع المستويات، ومما روي لنا: كان للزعيم علي أفندي مواقف إنسانية وأخوية عندما احتلت العصابات الصهيونية فلسطين وشردت شعبها العربي، حينها تفرَّقوا أيادي سَبَأ فلجأوا إلى دول الجوار كالأردن وسوريا ولبنان، وكان الشعب الفلسطيني الذي هُجر قسراً يلجأ إلى المناطق الشمالية القريبة من فلسطين، فكانت القرى اللبنانية الجنوبية تفتح ذراعيها لإخوانهم الفلسطينيين وكان الزعيم علي أفندي قد تبنى موضوع النازحين الفلسطينيين إلى

(١) كتاب "كامل الحسين زعيم الحولة"، للكاتبة آمال اليوسف، صفحة ٢١٢، دار الفارابي.
(٢) كتاب "كامل الحسين زعيم الحولة"، للكاتبة آمال اليوسف، صفحة ٢١٢، دار الفارابي.

الخيام وقدم مساعدة جليلة، وكان يوصي أهل بلده: من كان يملك منكم رغيفًا فليقسمه بين أسرته وأسر أخواننا النازحين، ومن كان يملك في بيته مقدار فراش فليمنحه إلى أخيه الفلسطيني...هكذا يؤكد الأفندي بأن الزعامة ليست منصب تشريفي بل تكليفي وواجب اتجاه المنكوبين والمظلومين، هو منصب ليس للاستغلال بل للعطاء والتضحية أمام الآخرين.وإن بعض الأسر التي بقيت في الخيام كانت وفية له. وقد جاء في مجلة الشراع اللبنانية على لسان سلام الحاج: يذكر أن منزل علي أفندي عبدالله قد احتضن الفلسطينيين الذين هجروا قسرا من بلادهم من قبل العدو الصهيوني عام ١٩٤٨م. فسكنوا في منزله مدة من الزمن قبل تأمين مساكن لهم[١].

الزعيم علي أفندي لحليم طربيه: دولة شياطين.. وشعب مُعَمَّى

أن تكون كريمًا فهذا في غاية النبل وعظمة الروح وعزة النفس، وأن تكون طيبًا فهذه فطرة أكرم الله بها الكثير من خلقه، ولكن كل ذلك لا يمنع من قول الحق، ولا يمنع أن يكون الانسان صادقًا وواضحًا في رؤيته، كان المرحوم علي أفندي يعبر عن مشاعره بخطاب شعبي وهو الخطاب المحبب إلى الكثيرين من الناس، لأنه يقترب من مداركهم وحس مشاعرهم، وهو حديث من القلب إلى القلب متناهٍ في عفويته، فكان دائمًا يستعين برؤيته وآفاقه الرحبة وشجاعته التي تميز بها وكان يمضي بقراره كما يراه وكما يحب ويرغب، من منطلق تجربة شخصية مفعمة بالنشاط والحيوية والتجارب الانسانية حتى صقلت في نفسه شتى العلوم السياسية والدبلوماسية واللياقات الاجتماعية والغيرة الوطنية.أجواء العشرينات من القرن العشرين[٢] كانت ملبَّدة بغيوم سوداء قاتمة اللون، قصف رعودها يصم الآذان ولمعان بروقها يخطف الأبصار ورياحها عاتية تنحب الأشجار، إلا أن أبا سطام بقي كالرمح صلبًا قويًا لا يثني عزيمته شيء، ومما يذكره سلام الراسي[٣] عن أبي سطام حين زاره برفقة قائمقام مرجعيون الشيخ حليم طربيه الذي كان معتمدًا من قبل الشيخ موريس الجميل يقول الراسي: وحدث يومًا أنني رافقت الشيخ حليمًا في زيارة نائب الجنوب

(١) مجلة الشراع اللبنانية، الحلقة ٣٨ من: "هكذا تكلم أحمد الأسعد" بقلم سلام الحاج.

(٢) في بداية شهر ٦ من عام ١٩١٦ أعلنت الثورة العربية الكبرى على الأتراك بقيادة الشريف حسين بن علي وأنجاله: الملك علي والملك فيصل والأمير عبدالله والأمير زيد. وفي عام ١٩١٧م كان الأكثر شؤما على العرب عامة وعلى الشعب الفلسطيني خاصة، وهو إقامة دولة قومية في فلسطين للشعب اليهودي، ما عُرف بوعد بلفور، إلى اتفاقية سايكس ـ بيكو التي ظهرت إلى العلن سنة ١٩٢٠م.وبموجب هذه الإتفاقية تم تقسيم المنطقة ما بين فرنسا وبريطانيا.

(٣) كتاب "جود من الموجود"، تأليف سلام الراسي، صفحة ٤٦، الطبعة الأولى ١٩٩١، نوفل.

الأسبق المرحوم علي العبدالله الذي كان زعيماً شعبياً قبل أن يصير نائباً، وبقي يتكلم من منطلقات شعبية في أحاديثه السياسية. وقبل أن يسهب الشيخ حليم في ذكر المشاريع الجاري درسها والمنوي تنفيذها، لإحياءالجنوب، عاجله، السيد العبدالله بقوله: (قصتنا نحن أبناء الجنوب مع الدولة مثل قصة العميان مع ابن الشيطان).

قلنا وكيف كان ذلك؟

قال أبي أبو سطام: يحكى أن الشيطان أراد أن يمتحن ذكاء ابنه في فنون الشر فقال له: هوذا جماعة من العميان الفقراء، في محلة كذا، يعيشون في سلام ووئام ويشكرون الله على كل حال رغم عماهم وفقرهم .. والمطلوب إيجاد فتنة في ما بينهم . وذهب ابن الشيطان ومعه كيس فيه ليرات ذهب وقال للعميان: خذوا هذه الليرات الذهب وتقاسموها في ما بينكم. وحرّك ابن الشيطان كيس الليرات لإسماع العميان صوت رنين الذهب دون أن يعطيهم شيئاً، ومضى في سبيله، فهبّ العميان يطالبون بعضهم بعضاً، ويقول كل واحد منهم لغيره أين حصتي أعطوني حقي! وما لبث العميان أن تشاجروا وتعاركوا وتشاتموا وتخابطوا خبط عشواء وكفروا بنعمة ربهم.. وما زالوا على هذه الحال إلى يومنا هذا...

وصلت رسالة أبو سطام والذي يستنتج منها:

إهمال الدولة لمناطق الجنوب وقرى جبل عامل بظل غياب لمشاريعها التنموية واهتماماتها بأبنائه التي جعلت بينهم وبين ذلك النمو برزخًا لا يلتقيان،،والتخاطب معهم من وراء حجاب حتى أغشى الظلام عيونهم عن حاجاتهم وأصبحوا بمنأى عن أدنى التفاته كريمة تصبرهم على ما هم عليه من حرمان، وأردف الأفندي يقول: بأن هذه اللّيرات قادرة على صنع الآهات وشق الوئام والضرب بعصا التفرقة والفتنة ووعود يراد بها مزيدًا من الإهمال، كفى بالله عليكم رغم الفقر والعوز والحاجة لم يكفر أبناء هذه الأرض بما أعطاهم الله من القليل القليل فهم ركّعٌ سجّدٌ لله حامدون ...رحم الله أفندينا أصاب حيث أخطأ الكثيرون......وأخطأ بنظر الخاطئين حين أصاب خطأهم..

وصدق الشاعر عبدالحسين صادق[1] الذي قال:

ذُب مهجــــة وأذل عقيــق دمـــوع مُتـوّجــــداً للعاملــي الشيعــــي
ضـاق الخنـــاق فلـــم يـدع لحياتـــه نفـس البعوضــة من مضيـق صـدوع
مشقـــت سمـــوم الظلـم هيكلـه فلـم تستبــق غــير كلاكـــلٍ وضلــــوع
مضغــت لهاة الجور يبــس عُراقـــه مضــغ الظليـم حصى الثرى من جـوع
وامتّصـــت الأطمـــاع بـلّـة ريقـــه مـــص الرضيــع شحيــح درّ ضـــروع

الزعيم علي أفندي للأمير مجيد أرسلان :

أنا أرفض طلب الرئيس شمعون. وهل يرضى شمعون أن تُغلق أبواب بكركي؟

الأمير مجيد أرسلان يتصل بالزعيم علي أفندي متمنيًا عليه الحضور وتلبية الدعوة إلى دارته في خلدة لأمر مهم جدًا معتذرًا عن عدم تمكنه من المجيء إلى الخيام والإجتماع به شخصيًا، فما كان من الأفندي إلا أن لبى الدعوة وغادر إلى خلدة مع بعض من أقاربه(*) فوجد الأمير مجيد ينتظره خارج الدار، فنظر إليه الأفندي وقال له: أقلقتني وها هي علامات القلق تبدو على محياك، طالبًا منه التحدث مبديًا له كل تعاون بما يستطيع فعله فهو على استعداد وفي الحال. دخلا الدار التي كانت مكتظة بالناس، وكان الحضور ملفتًا وكبيرًا، كان بين الحضور كثير من مخاتير قرى وبلدات العرقوب وكان حضوراً لافتًا من مخاتير شبعا وكفرشوبا والهبارية.الأمير مجيد أرسلان لعلي أفندي:إنني أحمل رسالة من الرئيس كميل شمعون إلى شخصكم الكريم يبلغك الرئيس التحية ويتمنى عليك عدم استقبال أحمد الأسعد في دارتك قبل أن ينطلق موكبه من بيروت، وقد أرسل لك هذه الهدية ويقول لك اطلب ما شئت من وظائف في الدولة لأنصارك ولعائلتك... لم يفكر الأفندي في الأمر بل على الفور قال للمير: لقد نجوت ياصاحبي، فقال أرسلان: من ماذا قال الأفندي لوكان ناقل هذه الرسالة غيرك لأسمعته ما يعجب خاطره، لكن أنت أخي وحبيبي متمنيًا عليك يا مير أن تبلغ تحياتي إلى الرئيس شمعون وقل له ..هل يرضى أن يُغلق صرح بكركي بوجه المسيحيين، لان أحمد الأسعد

(١) من ديوان "سقط المتاع" للشيخ عبدالحسين صادق، الجزء الأول، صفحة ١٤٦، الشيخ عبدالحسين صادق يُعبر عن هذا الحرمان بأبيات من الشعر، ويبدي فيه تحرّقه على منطقة جبل عامل المنسية من لبنان. تناسب هذا الاستياء الذي انتاب الزعيم علي أفندي.

(*) كان بصحبته الشاعر عبدالحسين عبدالله، وصهره علي محمد اسماعيل عبدالله أبو حسين.

وأسرته في وقتنا الحاضر دارتهم لطائفة المسلمين الشيعة مثل بكركي بالنسبة للمسيحيين، والزعيم أحمد الأسعد وما يمثله قادر أن يقدم لطائفته وناسه كل عون ومساعدة وحماية، وهل يريد الرئيس شمعون أن يسجل التاريخ بأنني وقفت بوجه طائفتي وأهلي وناسي ولم أستقبل ابن الأسعد في داري، وأنت تعلم علم اليقين لأنك فرد من أسرتنا يامير هل (علي) وأشار أبو سطام إلى نفسه من عادته أن يغلق داره بوجه أحد مهما كانت الظروف، أما بخصوص الهدية فالرسول ﷺ كان يقبل الهدية لكن بهذا الوقت نرفض استلام الهدايا وشكراً..وكان أحمد الأسعد على خلاف مع السلطة أيام الرئيس كميل شمعون ورموز وطنية أخرى، كان ذلك عام ١٩٥٧م.قبل اندلاع الحرب الأهلية والتي عرفت بثورة١٩٥٨م. وقد دعمت السلطة أنذاك في الإنتخابات النيابية رضا وحيد وأتت به إلى المجلس النيابي بعد سقوط أحمد الأسعد.. في مجلس نواب ال٦٦وقد جرت هذه الانتخابات في ٩و١٦و٢٣حزيران من سنة ١٩٥٧م.وفاز عن دائرة مرجعيون كامل الأسعد وعن دائرة بنت جبيل علي بزي وفاز رضا وحيد إلى جانب كاظم الخليل عن دائرة صور[١].. وقد أشار إلى هذا الخلاف واعترف أحمد الأسعد بأن كميل شمعون يعرقل خدمات أنصاره ومؤيديه ويحرمهم من الوظائف[٢].

وبالعودة إلى زيارة أحمد الأسعد إلى دارة المرحوم علي أفندي، فقد تمت الزيارة في الربع الأول من سنة ١٩٥٧م. واستُقْبِلَ استقبالاً مميزًا وسط حشدٍ هائلٍ وضخمٍ على طول الطريق المؤدي إلى دار الزعيم علي أفندي في بلدة الخيام .

علاقة الزعيم علي أفندي بالأمير مجيد أرسلان

ربطت الزعيم علي أفندي علاقة مميزة جدًا مع المير مجيد أرسلان (١٩٠٨-١٩٨٣) تعدت كل الحسابات الضيقة والألقاب والأوصاف والتصنيفات في الزعامة والسياسة والمصلحة، فقد بدا وكأنهما إخوة أشقاء أنجبهما أبٌ واحدٌ وتدرجا في بيت واحد وقد آخى بين نفسيهما الجوار والجيرة ووحدة الهدف في حماية المنطقة والعيش المشترك بين أبنائها وجمعتهما قبة البرلمان عامي ١٩٣٧في مجلس ال٦٣ وهو الرابع.وسنة١٩٤٣ في مجلس ال٥٥ وهو الخامس. فكانت العلاقة تتسع دائرتها في ظل احترام متبادل، حتى تعدت

(١) كتاب "الإنتخابات النيابية في تاريخ لبنان"، للحد خاطر، صفحة ١٨٧ .
(٢) سلام الحاج، "سيرة هكذا تكلم أحمد الأسعد"، الحلقة ٣٨، مجلة الشراع.

الزعيم أبا سطام وأضحت علاقة المير مع كل فرد في عائلة الزعيم ورجالات أسرته من آل عبدالله، وتحولت المجيدية إلى مكان لطيف وهادئ لقضاء أوقات ممتعة مع المير، صاحب الطباع الهادئة والشخصية التي تهوى المرح والنكتة دمث الخلق فأضحى وكأنه رجل من رجالات العائلة، فقد أذن للذين يرغبون في الزراعة في مزارع المجيدية والاستفادة من محصولها حتى أن بعضاً من أسرة آل عبدالله ومن الخيام من دأب على الزراعة في المجيدية والاستفادة من محصولها وبيع غلالها في أسواق الجولان[١] . كما كان المير يقضي الكثير من أوقاته في مجلس الزعيم علي أفندي وكأنه صاحب الدار يتحلق رجالات الخيام حوله، فكانت حكاياته ورواياته وقصصه تبهر الحاضرين وتنال إعجابهم فهو قمة في التواضع كريم النفس، رجل عطوف محسن شجاع محب للخير صريح لا يخاف في الله لومة لائم، متفهم للآخرين ولا يرضى أن يتعدى الآخرون في مزاحهم حدوداً رسمتها شخصيته الرزينة في تكاملها، كان مخلصاً لحد كبير في علاقاته. سياسيًا من الطراز الأول، ذو حنكة وهيبة ووقار. وإذا ما نظرت إلى وجهه فلن تغيب عنه ملامح الأمراء والسلاطين، فهو أرسلاني تنوخي عربي، يقول سلام الحاج: من أسباب العلاقة الوطيدة التي جمعت بين آل عبدالله والأمير مجيد أرسلان أصول آل عبدالله التنوخية فهم من التنوخيين الذين جاؤوا من الجزيرة العربية وسكنوا جبل لبنان إلى أن نزح الجد الأول إلى بلدة الخيام، فاشتراها كلها واستوطنها ونال لقب الأفندية فيها من السلطات التركية ولآل عبدالله علاقة جيدة مع دروز حاصبيا لدرجة أن المرشح إبراهيم العبدالله نال تأييد فرعي عائلة شمس الدرزية في حملته الانتخابية عام ١٩٦٠ ضد كامل بك، هذا على الرغم من الخصومة السياسية لقطبي العائلة وولاء بهجت شمس للأمير مجيد أرسلان وولاء ابن عمه نجيب شمس لكمال جنبلاط[٢]. كانت وفاة الأمير مجيد أرسلان في ١٨ ايلول من عام ١٩٨٣ وكانت وفاة الزعيم علي أفندي في ٢٤ ايلول ١٩٥٧ .

زيارة بك الشوف لأفندي الخيام زعّلت مير المجيدية:

كان المرحوم الزعيم علي أفندي إن صادق صدق وإن وعد وفى، حافظ للأمانة والعهود والمواثيق وكان في السياسة معلماً وبارعاً وعبقرياً إن فغر سدٌ أو اعوج ثلمٌ عالجه بحكمة الكبار وحنكة القادة الأشاوس، معادلته السياسية أشبه بالمعادلات الرياضية من أعلى هرم التعقيد الرقمي إلى قواعد التبسيط، فالتبسيط إلى أفضل الحلول كان يفك أصعب الخيوط تعقيدًا عندما يمسك

(١) الحاج حسن علي أسعد عبدالله، أبو كامل، كان ضمن الذين يزرعون أرض المجيدية.
(٢) سلام الحاج، مجلة الشراع، الحلقة ٣٨ من مسلسل حلقات: "هكذا تكلّم أحمد الأسعد".

بطرفها بسلاسة وفن قل نظيره، فكانت حلوله السياسية ذات نكهة ورائحة مميزتان تتجسد من خلالهما البسمة التي كان الزعيم أبو سطام يحرص كل الحرص على أن تكون فاتحة لقاءاته وعنوان استقباله لضيوفه ولو كان في أصعب الظروف، لأن الابتسامة كانت تعكس ما يفيض به قلبه من مرح وروح النكتة ومحبة الآخرين ومؤانستهم ومجالسة الكبير والصغير. قائدًا حكيمًا بين أهل زمانه وتبرز لنا قدرته النادرة بين الزعماء حيث لا يقل زعامة عن الآخرين، ولكن تواضعه الشديد كان محل فخر من قبل الجميع ينبغي أن ننظر إلى فكر القائد قبل أن ننظر إلى ظواهر الأمور وأشكالها، كان أبو سطام يملك أطيب صفات الصدق والحنان، وأكرم صفات الشجاعة والإقدام تراه في طليعة أنصاره حين يحتدم الجدال ويحين وقت النزال.

يقول سلام الحاج: كان علي أفندي العبدالله صاحب نكتة وحضور ذهن وكانّ لطيف المعشر دمث الأخلاق من الذين أحبوه الأمير مجيد أرسلان. مرة أقنع كامل عبد الحسين العبدالله ابن الشاعر العاملي عبدالحسين إسماعيل العبدالله العضو في الحزب التقدمي الاشتراكي والمقرب من كمال بك جنبلاط كونه سكرتيره ومحرر جريدته، الزعيم علي أفندي باستقبال كمال جنبلاط، فقد زار كمال جنبلاط النائب العبدالله وكان من تداعيات الزيارة أن غضب المير مجيد على علي أفندي وصار يتجنب زيارته رغم أن المير كان يمر بمحاذاة بستان علي أفندي وهو في طريقه إلى المجيدية كل أسبوع، استغرب علي أفندي مجافاة المير مجيد له وما كان من الزعيم علي أفندي أن جمع رجاله وأغلق الطريق ثم وضع في وسطها الكراسي وجلس مع رجاله منتظرًا عودة المير من قريته المجيدية، وصل المير وصرخ افتح الطريق شو هالبهدلة مين أعطاكم الإذن، وقف علي أفندي وقال له: يامير مجيد خذنا بحلمك بدك تعرف القصة بدنا نحكيلك إياها من أول وجديد، أنا يامير خدمتك خدمة كبيرة عندما استقبلت كمال جنبلاط في داري. استغرب المير وسأله كيف خدمتني يا أفندي قال: انت بيعرفوا جمالك وهيبتك وطولك وشواربك المعكوفة اللي بتسوي زلم. وعندما جاء كمال بك جنبلاط وشافوه وجد الناس وجهه شاحباً ضعيفاً كان البك مش عم ياكل، تأكد لهم أنك أنت الزعيم الوحيد المهاب وظلت محبتك عالقة في قلوب الخيامیين(١).

ونقول في ذلك بعد أن نستسمحكم عذرًا ...الله الله.. يا أبا سطام لله درك أيها الزعيم ذو العقل السليم، لو تسنى لقادة العالم أن يلتقوا فيك لما اندلعت الحرب العالمية الأولى ولا الثانية ولا سفكت الدماء بغلطة هنا وهناك ولا بنظرة ضيقة هنا وهناك، تكفي حكمتك وعظمة فكرك أن تجد الحلول

(١) سلام الحاج، الشراع، مصدر سابق، الحلقة ٣٣.

لا يراها من على عيونهم غشاوة بعد أن أعمتهم الرشاوى أو لأنها عميقة لا يقوى على سبرها استنباطها إلا الرجال المميزون، ولا يجيد تفسيرها إلا العلماء الماهرون. رحمك الله أيها الزعيم كم هذا العالم محتاج إلى أمثالك.

علي أفندي وكامل الحسين عام ١٩٣٦ في ضيافة المفوض السامي الفرنسي:

إن العلاقات بين الزعيم علي أفندي وزعيم الحولة كامل الحسين اليوسف لم تكن إلا تتويجًا علاقات قديمة بين هاتين الأسرتين، التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر، والتي بدأت على عهد المرحوم عميد أسرة آل عبدالله الحاج حسن بن محمد آل عبدالله جد الزعيم علي أفندي، ومما يرويه رجالات العائلة بأن بيت الزعيم علي أفندي في الخيام كان بمثابة البيت الثاني لزعيم الحولة المرحوم كامل الحسين، الذي كان في مجالسه الخاصة يفتخر بعلاقاته مع الأفندي حيث أنه سئل ذات يوم عن هذه العلاقة فقال: إن الزعيم علي أفندي عبدالله رجل استثنائي وكان علامة مميزة فارقة في مرحلة السياسة، يستحق أن يكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الشجاعة والكرم والنبل وكل إنسان حر عليه أن يتخذ هذا الرجل زعيماً لأنه من أماثِلِ القوم وخيارهم. في الربع الأول من عام ١٩٣٦م. حضر كامل الحسين اليوسف إلى دارة علي أفندي باكراً في صبيحة ذلك اليوم الممطر، متمنيًا منه أن يرتدي ملابسه على وجه السرعة لإصطحابه إلى بيروت لأمر سوف يناقشه معه أثناء سفرهما، فأطل الأفندي بأناقته المعهودة وتوجها معًا في سيارة كان يقودها اليوسف، ليخبره في الطريق بأن المفوض السامي قد أرسل برقية مستعجلة وهو يرغب في مقابلة أعيان المنطقة ووجهائها للإطلاع على أحوال مناطقهم والأخذ بآرائهم ووجهة نظرهم، والوقوف عند أهم التطوّرات قبل موعد الانتخابات القادمة، يقول مصطفى بزي: حيث كانت سياسة الفرنسيين مستمرة في التركيز على بعض الفعاليات والزعامات في المنطقة، حيث آزرتها وشدت من وثاق العلاقة معها وكان ذلك على حساب الفئات الشعبية[1]، وكان المكان الذي يقيم فيه المندوب السامي قد عَجَّت قَاعَته بِالزائرين، فما لبثا إلا قليلاً حتى حصل هذا اللقاء مع المفوض السامي بعد أن لقي الضيفان الكريمان كل حفاوة وتكريم، وقد أصغى المفوض السامي إلى مداخلة الزعيم علي أفندي الذي أعجب بشجاعته ومواقفه التي تنم عن حس وطني، وغيرة على إرساء الأمن والطمأنينة في مناطق الجنوب، وقد أسهب كامل الحسين وهو يلقي على مسامع القوم مواقف ومناقب الزعيم علي أفندي وانتهى اللقاء رحم الله الزعيمين اليوسف والعبدالله[2].

(١) "جبل عامل في محيطه العربي"، تاليف د.مصطفى محمد بزي، صفحة ٣٩٧.
(٢) خلال مراجعة أحداث ١٩٣٦م على الأرجح أن يكون المفوض السامي الفرنسي هو الكونت ده مارتل الذي

علي أفندي نائب في مجلس الـ٦٣ وهو الرابع عام ١٩٣٧م:

أحداث سبقت الانتخابات: حيث كان الصراع بين اتجاهين أو بين مشروعين: المشروع الأول وهو مشروع عزل لبنان وتحجيمه عن محيطة العربي وتقسيمه إلى أجزاء ثلاثة طرابلس في الشمال الجزء الأول، وبلدات جبل عامل في الجنوب الجزء الثاني، وما تبقى يكون في عهدة إميل إدة ومن يمثل، يعني تفصيل ثوب جغرافي يحقق طموح إميل إدة.الذي كان يرى في العرب والمسلمين الذين دعاهم للهجرة إلى مكة خطراً على مشروعه. راجع فواز طرابلسي صفحة ١٥٨.. حتى أن الشاعر موسى الزين شرارة في إحدى قصائده هجا إدة قائلاً:

أو مــا تـرى إدة نسـي إجرامـه مـا زال يـأمـل أن يكـون السيـدا

أما المشروع الآخر وهو مشروع بشارة خليل الخوري الذي كان يرى بلبنان هو الوطن النهائي لأبنائه، وهو ينشد العيش المشترك وكان يرى لا غنى عن المسلمين بكافة طوائفهم ومذاهبهم وفي عام ١٩٣٢م. عمل على إنشاء الكتلة الدستورية وطالب الإنتداب بتفعيل العمل بالدستور الذي عمد إلى تعليق العمل به. لم يكن الزعيم علي أفندي بعيداً عن كل هذه الصراعات التي شطرت الجمهورية وجعلتها أسيرة هذين التوجهين، إلا أن توجهات الزعيم علي أفندي والذي عبّر عنها بأكثر من مناسبة، حيث كان مؤمنًا أشد الإيمان بعروبة لبنان وانفتاحه على محيطه، وكان مؤمنًا إلى أقصى حد بوحدة التعايش الإسلامي المسيحي، وإيمانه هذا توّجه بأن تزوج من المرأة الجليلة الطاهرة المؤمنة أم ابراهيم من آل السبع وهي من الطائفة المسيحية. (في إحدى الحملات الإنتخابية عمد الزعيم أحمد الأسعد إلى إثارة عواطف المسلمين بأن إبراهيم العبدالله أبو غالب يحالف المسيحيين لأن والدته من طائفة المسيحيين) فكان المرحوم علي أفندي معجب بسياسة الشيخ بشارة الخوري رئيس الكتلة الدستورية، وقد عين الزعيم علي أفندي نائبًا عام ١٩٣٧م بمرسوم صادر بتاريخ ٢٩ تشرين الأول القاضي بتعيين ثلث النواب لمدة هذه الدورة الاشتراعية المجددة من ٢٦تشرين أول عام ١٩٣٧ حتى ٢٦تشرين الأول سنة١٩٤١، فبلغ عدد النواب ٤٢نائبًا منتخبًا و٢١ معينًا وكان إلى جانب النائب على أفندي المعينين بهيج الفضل، الأمير رشيد الحرفوش. وذكرت صحيفة النهار

أعاد الحياة الدستورية في ٢٤شباط من عام ١٩٣٦. وعقد معاهدة تعترف فيها بلاده باستقلال سوريا، وتدعم دخولها عصبة الأمم. ورد ذلك في كتاب "تاريخ لبنان الحديث"، لفواز طرابلسي، في الصفحة ١٦٥في طبعته المنقّحة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، دار رياض الريس، بيروت ـ لبنان.

مركز اقتراع الخيام كان في مبنى بلدية الخيام ويتبعه القرى التالية: كوكبا، بوعز، الخيام، إبل
ي، سردا، العمرا، راشيا، الخريبة، الماري، كفرشوبا، كفرحمام، الهبارية[١]. وذكر الطرابلسي في
تاريخ لبنان في الصفحة ١٧٢، وحسب تعبير بشارة الخوري جاءت الانتخابات النيابية عام
١٩ بعدد كبير من الدستوريين إلى البرلمان وتابع الطرابلسي قائلا: كان الخوري يتمتع بعلاقات
عة وعابرة للطوائف وكانت تضم الكتلة الدستورية إلى جانب الخوري بعض من الوجهاء مثل
ير مجيد أرسلان وصبري حمادة وعادل عسيران.

علي أفندي يَعتِب على أحمد الأسعد ويشكر كامل الحسين:

ندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، ما برحت حتى أطلت برأسها وسعيرنارها لتغطي
لق انتشار القوات الفرنسية، التي تحولت اكثر المناطق المنتشرة فيها إلى ساحات حرب بين
شيين والديغوليين[٢]، كان ذلك عام ١٩٤١م.فتأثرت أكثر مناطق مرجعيون بهذا الصراع ولم
الخيام من هذا الصدام فكانت العائلات الخيامية تبحث عن أماكن أكثر أمنا.كان المرحوم
أفندي عشمه كبيراً بآل الأسعد، من باب الحبّ وحُسْن الظَّنّ والعلاقات التاريخية التي
ع الأسرتين، كان أبو سطام ينتظر من الزعيم أحمد الأسعد بأن يعرض عليه خدماته في هذه
نة والشدة، حيث نيران الحرب تحيط بالخيام من كل جانب بسبب المعارك الطاحنة بين جيش
فاء وقوات فيشي . مِمَّا حدا بالأفندي أن عتب على الأسعد وبقيت العلاقة في حالة من الفتور
إنتخابات ١٩٤٣..هذاولم يدَّخر زعيم الحولة كامل الحسين اليوسف وُسْعًا حتى بادر وأرسل
رتين أقلت علي أفندي ومن معه إلى منطقة الحولة هربًا من الحرب، فمكث مدة إلى أن هدأت
رب فتوجه بالشكر الجزيل إلى اليوسف على هذه الوقفة الأخوية في هذه المحنة وتحقق الانتصار
سح لحركة أحرار فرنسا برئاسة الجنرال ديغول.كان البارومتر السياسي بين آل عبدالله وآل
سعد في منطقة جبل عامل يتحكم في حركته عامل النفوذ والمصالح والزعامة بين الطرفين، في

جريدة النهار، يوم الجمعة الواقع فيه ١٥ تشرين الأول سنة١٩٣٧م، العدد ١٢١٥، صفحة ٣.

أثناء الحرب العالمية الثانية تشكلت حكومتان: **الأولى، حكومة فيشي** حكومة فرنسية موالية لألمانيا النازية
ت برئاسة لافال في حزيران / يونيو ١٩٤٠، وفيشي منسوبة إلى اسم مدينة فرنسية وهو منتجع يقع في جنوبي
سا واستمرت هذه الحكومة إلى عام ١٩٤٤م. أما **الحكومة الثانية تشكلت في المنفى (بلندن)** وكانت برأسة
ال ديغول، **عُرفت بحكومة فرنسا الحرة** بمساعدة الحكومتين البريطانية والأمريكية.

منطقة لم تعرف عبر تاريخها سوى الحروب والنكبات والتي كان آخر فصولها احتلال فلسطين من قبل العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨م.

وقوف الزعيم علي أفندي إلى جانب آل الأسعد :

كان الزعيم علي أفندي في كثير من الأحيان يقابل السيئة بالحسنة، وليس في قاموسه مايشير إلى الباطل والحنث، صاحب مواقف رجولية مشهودٍ لها اتجاه آل الأسعد، حيث كان رجالات أسرة آل عبدالله ومناصري الزعيم علي أفندي وبكثير من الحملات الانتخابية وغير الانتخابية يعملون على تأمين التغطية السياسية والحماية الشخصية لآل الأسعد. يقول سلام الحاج في مذكراته: بأن المرحوم كامل خليل الأسعد لجأ إلى مصاهرة آل عبدالله في الخيام لتقوية زعامته[(١)]. وأيضاً يقول الحاج: بأن الشاب حسن علي فايز عبدالله وببراعته استطاع أن يخلص كامل الأسعد بأعجوبة من الموت عندما كان متوجها من صيدا إلى منطقة مرجعيون عام ١٩٥٨م، فكمن له عشرات الأشخاص عند مفرق (كفروة) في منطقة النبطية، فتجاوز حسن علي فايز عبدالله الكمين ونزل في الحقل ورمى بجسده على كامل بك وغطاه بعد ان كانت الرصاصات مصوبة بإحكام إلى رأسه[(٢)]. وعندما غادر أحمد الأسعد داره في الطيبة على أثر إشكال مسلح قتل على إثره ٣ أشخاص اتهم رجال الأسعد بقتلهم، أكره من قبل السلطات على المغادرة فعاد من بوابة آل عبدالله عندما تحمل الزعيم علي أفندي مسؤولية عودته عام ١٩٥٧م[(٣)]، حيث العلاقات بين الأسرتين علاقة قديمة تعود إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر، بين حكيم زمانه وحليم أيامه مَن دان القوم لسلطانه أبا علي الحاج حسن ابن محمد آل عبدالله توفي سنة ١٩٠٤م. وبين حمد البك من آل علي الصغير توفي ١٨٥٢م. وهو ابن الشيخ محمود النصار ابن الشيخ نصّار الأحمد من آل علي الصغير. هذا ولم تطرأ على هذه العلاقات أزمات حادَّة، تنتج حروباً دمويَّة أو ما يشبه القطيعة الطويلة،في انتخابات عام ١٩٦٠م، كان هناك تصريح من العيار الثقيل للنائب السابق المرحوم إبراهيم علي أفندي العبدالله حين صرّح لإحدى المجلات اللبنانية بأن أسطورة آل الأسعد إلى زوال، وعندما سئل فيما بعد عن تصريحه هذا

---

(١) مجلة الشراع اللبنانية الحلقة ٥، ٨،٢٤،٣٣، من سلسلة حلقات نشرت تباعا من تاريخ ١٧-١٠-١٩٩٤إلى تاريخ٧-٨-١٩٩٥م.تحت عنوان هكذا تكلم أحمد الأسعد وقد كان رقم أولى حلقاتها في العدد٦٥٠ لينتهي نشرها بالحلقة٤١ في العدد ٦٩١ وقام بإعداد هذه الحلقات سلام الحاج. وقد حصلنا عليها من أرشيف الأخ الكريم علي حسين مزرعاني النبطية – جنوب لبنان٢٠١٢م).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قال: بأن التصريحات الإعلامية كانت تمثل نصف المعركة الانتخابية.

علي أفندي يستقبل المفوض السامي كاترو ممثلاً للرئيس الفرنسي ديغول:

لم تكن دارة الزعيم علي أفندي في بلدة الخيام سوى محطة مهمة أبوابها مشّرعة لجميع الطبقات، حيث يدخلها الكبار الكبار، ممن قادوا وحققو النصر لبلدانهم ورفعوا اسم أوطانهم عاليا بكثير من التضحيات والبذل والعطاء يقصدون سيد القوم وزعيم أمة، أمة في رجل ناضل وبذل الكثير من أجل أن يبقى جبل عامل وأهله بمنأى عن المحن والتجاذبات الاقليمية والحروب الكونية، وترسيخ سياسة التعايش. كان السباق حيث لم يدخر وسعًا في أن يترجم أقواله إلى أفعال. كانت القادة ترجع إليه مهما ملكت من عظمة وكبرت مقامًا لتنهل من حكمته ورجاحة عقله وسعة فكره ووعيه. وقد أشارت نشرة الدردارة إلى هذه الزيارة قائلة: كان المرحوم علي أفندي (١٨٨٢-١٩٥٧م) موضع تقدير السلطة الفرنسية المناهضة للنازية والفاشستية، لذا زاره الجنرال كاترو، ممثل الجنرال ديغول في سوريا ولبنان[1] في داره في الخيام سنة ١٩٤٢م.حيث استقبل استقبالًا حاشداً. ومما ذكر عن هذه الزيارة بأنها كانت مميزه من حيث الحشد البشري المميز الذي أدهش الجنرال الزائر ومن معه من عسكر وضباط ومسؤولين ورهط من كبار القادة، ومن ضمن أهداف هذه الزيارة هو البدء في جس نبض النخبة المختارة من الأهالي للاتفاق على استقلال لبنان. وفي الصالون الغربي بيت الزعيم علي أفندي العبدالله المطل على سهل الخيام ذات السهل الفسيح وقرى مرجعيون وقلعة الشقيف، ابتسمت الطبيعة لهذا اللقاء وأنشدت الأرض لحن السلام حيث تتغنى الفوارات والينابيع والعيون وعلى إيقاع الهتافات التي لم تهدأ، وحناجر تبايع زعيمًا غنيًا في رجوليته ونبيلًا في هيئته وجميلًا في هندامه، مرتدياً بذلته السوداء وطربوشه الأحمر وأهل عشيرته يحيطونه كالليوث الكواسر، تقدم منه الجنرال كاترو ووضع على صدره وسامًا قائلًا تستحق أن تكون زعيمًا بامتياز. صفق الحضور للزعيم أبي سطام وكأن الشاعر العربي في حضرته يمدحه قائلاً:

مَنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ القُلُوبَ فإنّهُ ... مَلَكَ الزّمَانَ بأرْضِهِ وَسَمائِهِ

الشّمسُ مِنْ حُسّادِهِ وَالنّصْرُ مِنْ ... قُرَنَائِهِ وَالسّيفُ مِنْ أسمَائِهِ

(١) نشرة "الدردارة" في عددها السادس، للسنة الثانية من تموز عام ١٩٩٦م. كذلك أشار بزي إلى هذه الزيارة كاترو لمناطق جبل عامل في الثامن والعشرين من شهر تشرين الأول من عام ١٩٤١م، حيث استُقبِل بحفاوة بالغة شكّل زعماء المنطقة وفوداً لاستقباله. كتاب "جبل عامل في محيطه العربي"، صفحة ٣٨٧.

الفرنسي على لبنان[١]، كانت وما زالت تداعيات أحداث ١٩٤١م بين أحمد الأسعد والزعيم علي أفندي الذي نظر إلى موقف الأسعد على أنه سلبي بامتياز، حين تقاعس وتهاون عن تقديم دعوة إليه تقيه ومن معه خطر أحداث عام ١٩٤١م.بين قوات فيشي والقوات الديغولية فلم يجده إلى جانبه يشد به أزره، فرغم ذلك والنتيجة ما يمر به لبنان من مخاض عسير وصعب نحو نيل استقلاله فكانت انتخابات ائتلافية[٢] لا تآلفية برزت من خلالها بعض العصبيات الأسرية نحوفرض كل زعيم استقلاليته وزعامته وقوته الشعبية، فكانت الانتخابات مميزة وذلك بعدد الأصوات التي حصل عليها الزعيم علي أفندي والتي فاقت بعددها ما حصل عليه الآخرون، ليؤكد زعامته وشعبيته وقوة نفوذه واستقلاليته. وفي ٨ من نيسان من سنة ١٩٤٧م حل المجلس النيابي وعلى هذا النحو توارى عن مسرح السياسة اللبنانية مجلس ال٥٥ السادس الممكن عده بكثير من الصواب من مجالسنا النيابية في لبنان التي حفل تاريخها بالمفاخر والأمجاد والأحداث الجسام[٣].

علي أفندي يستقبل الرئيس الشيخ بشارة الخوري :

شهدت الخيام مناسبات عديدة وكان لآل عبدالله الدور الطليعي في ذلك، وقد ساهموا مساهمة فعالة في اضطلاع الخيام بدور سياسي محوري وبتسليط الضوء عليها، وذلك لكثرة ما أنجبته من شخصيات سياسية وفكرية أدت دوراً فاعلاً وكان لها إسهامات على امتداد مساحة لبنان وخارجه، اكتسب الزعيم علي أفندي أدوارًا مهمة لكونه جاء في فترة ملأى بالأحداث والتناقضات السياسية الكبرى، لطالما دافع عن تاريخ وجغرافيا منطقة جبل عامل التي كانت حدودها تشمل مدينة صفد في فلسطين المحتلة، كانت زيارة الرئيس بشارة الخوري إلى وجهاء وزعماء منطقة جبل عامل(جنوب لبنان) من منطلق الحرص على ترجمة وثيقة الاستقلال المبنية على وحدة العيش المشترك، لان معركة الاستقلال كانت معركة لبنان الموحد بكل طوائفه وفئاته لتؤكد مبدأ نبذ ورفض التجزئة، والتخلص من الانتداب وإزالة كل أشكال التعارض حول فهم كل فريق للاستقلال.يقول سلام الراسي: بلغ لبنان سنة ١٩٤٦م.قمّة الارتقاء في سلم الكرامة بعد استكمال شروط استقلاله وجلاء

---

(١) "تاريخ لبنان الحديث"، فواز طرابلسي، صفحة ١٧٩.

(٢) أشارت نشرة "الدردارة" في عددها السادس، للسنة الثانية من تموز عام ١٩٩٦م. إلى هذا الائتلاف: ففي سنة ١٩٤٣م انتخب الزعيم علي أفندي العبدالله نائباً عن الجنوب، في اللائحة الائتلافية الكبرى التي ضمت الزعماء: رياض بك الصلح ، أحمد بك الاسعد ، عادل بك عسيران.

(٣) لحد خاطر، صفحة ١٦٧، "الانتخابات اللبنانية".

ع الجيوش الأجنبية عن أرضه. حيث نال الشيخ بشارة الخوري مبايعة شعبية عندما هم القوم
ه وهم يحدون:

ـــارة جـــدّد عهـــــد بشيـــــر تهلـــــــل واستبشـــــــر يــا ميـــــر
شـــل مـــــا بعهــــــدك لبـــنان كـــان كبيـــــر.. بيبقـــى كبيــــــر

وأضاف سلام: وحدث أنه قام في ١٩٤٦م من فترة رئاسته بزيارة إلى لبنان الجنوبي تفقد فيها
ض المناطق الجنوبية، وبصحبته رجال الحاشية ونواب الجنوب[١].

وقد جاءت زيارة الرئيس بشارة الخوري عام ١٩٤٦م. لدارة الزعيم علي أفندي في الخيام،
ونه يمثل شريحة واسعة من المسلمين في البرلمان ساهمت بتأييد واسع لاستقلال لبنان ووحدة
اضيه ووحدة العيش المشترك، فكانت زيارة الرئيس مميزة حيث حل وبعض أركان حكومته
يوفًا أعزاء فقد روى لنا الذين شاركوا في حفل استقبال الرئيس الشيخ بشارة الخوري: بأن
فل الاستقبال أقيم في بستان الزعيم علي أفندي في سهل الخيام حيث دارته الثانية، كان حدثاً
تثنائياً ومميزاً من حيث الحشد والحضور، بستان أبي سطام يجتمع فيه الشجر المثمربكل أنواعه
عيون ماء لذة للشاربين، وخمائل (فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وبه تحيط الزهور وتزين
راف وتخالط بألوانها العِلّيق أو التوت البري الأسود وأشجار التين التي ينضح من أفواه ثمرها
سلاً، هذا ويتوسط البستان شجرة كينا مازالت شاهدة على حقب قد مضت، وهي من الأشجار
عمرة نسبيًا في بلدة الخيام ويعود تاريخها إلى بدايات منتصف القرن التاسع عشر، ويكون بذلك
تجاوز عمرها المائة والستون سنة، ومن المحتمل أن يكون الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله
غرسها. لقدكان حجم الحضور لافتاً حيث المئات من الناس شاركت بهذا الحفل وقد كانت
ئدة الغداء التي أعدت للضيف وحاشيته تجاوزت عشرات الأمتار بين أشجار الجوز و الرمان
رش السجاد الأحمر الذي فاجأ الزائر والضيوف والحضور على طول المأدبة التي أعدت للرئيس
ارة، حيث حلقات الدبكة والحداء لم يتوقف طيلة وجود الضيف ومما قيل زجلاً في هذه المناسبة:

خيـــام لـعالـــــم هـنـاهـــــا بـهيـــك قـــدوم وزيــــارة
عيمــــا علــــــي أفنـــــدي بِّيتـــو استقبـــل بشــــارة

ول السهل الشرقي للبستان الذي شهد استقبال الشيخ بشارة الخوري إلى مسرح لاستعراض رائع
مميز للخيول العربية وللفرسان الذين أبهروا الحضور، وهم يظهرون بعض الحركات والمهارات

---

(١) "القيل والقال"، صفحة ١٥١.

الذكية من خلال لوحات استعراضية التي لا تكاد تخلو من المغامرة والمخاطرة، كالوقوف على ظهر الخيل وهي تعدو والالتفاف حول بطن الخيل، حيث يُعتبر ذلك من الفنون التقليدية التي يمارسها الشبان عندما يستقبلون ضيفًا كبيرًا. كما شاهد أهل فرنسا مثل هذه الاستعراضات وحملوا إلى أوطانهم وعواصمهم الذكريات، سوف يبقى التاريخ يحدث الأجيال القادمة وينحني أمام عظمائها الذين ما برحت سيرتهم العطرة تفوح وتملأ المكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أجواء انتخابات ١٩٥١م :

الانتخابات عام ال٥١في مناطق الجنوب شهدت توترات عكست تغيراً في التحالفات على الأرض، وتبديل في خارطة العلاقات والتموضع ليس مستغربًا أومستهجناً فقد اعتاد اللبناني على هذه الأجواء الإنتخابية. وعادة في مواسم الانتخابات تحدث الهوة وتتقلب القلوب وتستعر النارحتى يقلبوا ظَهْر المِجَنّ، فيصبح صديق الأمس عدو اليوم. ذكرت صحيفة النهار الخبر التالي: في الجنوب تمت الانتخابات في بعض المناطق في جو من الإرهاب نشره أنصار السيد أحمد الأسعد، ويمكن القول أن الحكومة كانت غائبة من بعض المناطق، حيث منع الكثيرين من التقدم لصناديق الاقتراع خوفًا على أرواحهم بعد أن ظهر أزلام أحمد الأسعد بأسلحتهم الحربية على صناديق الاقتراع، وحضر أحمد الأسعد إلى ميس الجبل وخطب بالحضور قائلاً: كل من ينتخب قائمة عادل عسيران اقتلوه وانقلوه إلى الطيبة وذلك بوجود الدرك(١)، كانت منطقة العرقوب محط الجولات الإنتخابية وبالتحديد شبعا التي احتضنت مهرجاناً خطابياً ترأس هذه الحملة التي تكونت من أربعين سيارة من بلدة الخيام الزعيم علي أفندي، والمراد هو منازلة اللائحة الإنتخابية لأحمد الأسعد من منطقة العرقوب.

في انتخابات الـ ٥١ إطلاق رصاص في شبعا :

كان التنافس على أشده توجه الوفد الخيامي مباشرة إلى جامع شبعا حيث مناوئي لائحة الأسعد يعقدون مهرجاناً خطابياً، لم يكن للجامع طريق معبد أوقفت السيارات في الأعلى ونزلت الجموع المشاركة في الحملة الانتخابية مترجلة نحو الجامع الذي يقع أسفل الطريق في مكان مُنْخَفِض..كان من بين الحضور بعض المرشحين في اللائحة المنافسة للأسعد أمثال: علي أفندي، كاظم الخليل، نزيه البزري ، السيد صدر الدين. يوسف بك الزين، عادل عسيران، حيث جميع اللوائح الانتخابية

(١) صحيفة "النهار"، العدد ٤٧٦٩، يوم ١٧ نيسان عام ١٩٥١م.

كانت تتنافس تحت ظل قانون انتخابي جديد على أساس المحافظة كدائرة انتخابية واحدة، في جامع شبعا كان المرشحون يتناوبون على إلقاء الخطب ودب الحماس في مناصريهم. بعد أن فرغ كاظم الخليل من إلقاء كلمته اعتلى المنبر نزيه البزري وأثناء إلقائه لكلمته ساد الهرج والمرج في الباحة الخارجية للجامع، ليتضح بأن اثنين من بلدة الخيام[١] اشتبكا مع أفراد من أهالي شبعا كانت مؤيدة للأسعد بقصد تخريب المهرجان، واشتد العراك والتف الزند بالزند وازداد التدافع عندما بدأ البعض يتدخل وكان كل طرف يساند فريقه، ما برحت الجلبة تتصاعد حتى أسكتتها زخات الرصاص. من مسدس حربي[٢] أرعب إطلاق النار محازبي الأسعد وجعلهم يتفرقون ويلوذون بعضهم ببعض حتى لم يعد يظهر لهم أثر، فترك يوسف بك الزين الحضور مسرعًا ناحية إطلاق النار. فهمّ بإحتضان مطلق النارمترجيًا إياه أن يوفر هذه الهمة والنشاط إلى يوم الانتخابات. كان يوماً مشهودًا اختزل ساعاته استعراض للقوة أمام الخصوم السياسيين. علق الأسعد على هذا الموضوع قائلاً: سوف لن أغضب آل عبدالله إلى الأبد، تفرقت الجموع وهموا نحو سياراتهم، كان موكباً كبيراً مؤلفاً من أربعين سيارة تقل الجمهور المساند للنائب والزعيم علي أفندي والقادم من بلدة الخيام.

علي أفندي ليوسف بك الزين: لا تخجل نبي الله عيسى ركب على الحمار!!!

بعد أن انتهى البرنامج الإنتخابي والحفل الخطابي في جامع شبعا، كان الدخول للجامع ليس كالخروج منه، خاصة وأنه يقع في منحدر فلكثرة ما بذل من عرق وحماس أثناء الخطابات السياسية وأزيز الرصاص الذي دوّخ البعض والتعب الذي أعيا الكثيرين، وجد أن في تسلق الطريق أمرًا صعبًا فمنهم من تحامل على نفسه وصعد. وعندما همَّ يوسف بك الزين بالصعود توقف قليلًا ونظر إلى الأعلى فكانت وعورة الطريق ترسم على محياه التردد، فتأوهاته ملحوظة فسارع أحدهم وأحضر حماراً وساعده البعض على ركوبه وأمسك ولده عبداللطيف طرف الرسن، فلما رآه الزعيم علي أفندي قال: لا تخجل فإن الأنبياء ركبت الدواب والنبي عيسى ركب على الحمار[٣].

إن انتخابات عام ١٩٥١م كانت مليئة بالأحداث وحمى التحالفات السياسية وما انطوت عليه من تنافس عائلي يتمثل في استقطاب أبناء العائلة الواحدة والمؤيدين لهذا الزعيم أو ذاك، كانت عادة

---

(١) الرجلان من بلدة الخيام هما: السيد حسين سعيد فاعور (أبو رباح)، والسيد حسين إسماعيل الحاج حسن العبدالله.

(٢) مطلق النار هو المرحوم السيد علي محمد إسماعيل العبدالله (أبو حسين).

(٣) ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ صدق الله العظيم [النحل: ٨].

ما تنتهي الانتخابات ببعض إصابات أو ضحايا من هنا وهناك أو بأعراس النصر والفوز التي عادة ما تستمر إلى مطلع الفجر، في ١٧ نيسان من عام ١٩٥١م نشرت صحيفة النهار كثيرًا من أحداث متفرقة عن الانتخابات ووجدنا ليس من الضرورة أن نسرد تلك الأحداث، وكذلك نشرة اللوائح الانتخابية والأصوات التي نالها كل مرشح، فكان الفوز من نصيب لائحة أحمد بك الأسعد وعندما سئل الزعيم علي أفندي عن الانتخابات عبر عنها بهذا القول: النتيجة من العب للجيب وكان يقصد بأن ابن عمه النائب حسين خنجر أفندي عبدالله قد فاز بمقعد نيابي على لائحة الأسعد. وكان الحداء في انتخابات ال ٥١ حيث التنافس على أشده بين لائحة أحمد الأسعد واللائحة المنافسة لها وهو التحالف العائلي آل عسيران آل عبدالله آل الزين وآل الخليل، أسفرت الانتخابات عن فوز لائحة الأسعد يومها جاء في حوربة لائحة أنصار الأسعد:

والخيل خاضت بالدما

والفوز لابن الأسعد

والنصر من رب السما

مكتوب عا جبهة أحمدي

أما حوربة اللائحة المنافسة في الخيام كانت من نصيب الزعيم علي أفندي.

يا خيل صهلي وعْلِمي

غبارك بالسما عَليّ

وحيبقى فارسك علي

وأصوات تنده يا علي

علي أفندي ابن الحاج إبراهيم العبدالله في ذمة الله:

لا مفر من المنون ولا مناص فكل نفس ذائقة الموت، في الرابع والعشرين يوم الثلاثاء من شهر أيلول عام ١٩٥٧م.رحل الزعيم علي أفندي، رحل رافع لواء الإخلاص لأمته وعروبته وناسه الذين عقدوا له البيعة فبايعهم وحمل همهم ومعاناتهم، فأثقله ذاك الحمل لكن لم ينؤ الزعيم ولم يسقط بقي شامخًا متحديًا ريب المنون حتى جاء الأجل. كان يتقدم الناس إذا ساروا وغاروا حتى وصل إلى قمة المجد وسؤدده.. وَمَضتْ الروح إلى بارئها، هكذا إذا ما مضت الرجال تتغلب عاطفة الجماهير

ويبرز الإحساس باليتم المفجع، حين جرحت الدموع المحاجر وثارت ثورة الأشجان، رحلت أبا سطام وذكراك جميلة، كنت رمزًا وشعلة من حنان يستهوي الجميع دفئها، وسيفك اللامع يبعث على الطمأنينة في الخيام والجوار وكل مكان في جبل عامل، اشتاقت إليك مدنه وقراه وبيوته فقيرهم وغنيهم، اشتاقوا إلى الأخ والأب خمسة عقود، وأنت تتلو عليهم من كتابك حتى ملكت قلوبهم في ذكرى غياب القادة تثير الشجون أعماق النفس وتنكأ الجروح.. جروح لم تندمل، في صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر أيلول كان يومًا محزنًا امتلأت جوانب البلاد نواحاً، اليوم لم ترَ في أيكة أبي سطام إلا تجهمًا وتكدرًا بعد أن غاب ذاك الوجه الصافي وانطفأ نور حياة الزعيم، حتى الأشجار فيها منكسة والأغصان منتحبة لم تغرد كالعادة على أفنان ليمونها البلابل، ولم تتراقص في عرسها الصباحي عصافيرالدوري، ولم تهمس النسمات في أذن الفجر، لم نسمع اليوم مَن كانت أصواتهم الجهورية تعلووتملأ المكان، حتى لم نسمع من يرمي اليوم السلام، يوم أحزن الجميع فخلت المصطبة من زوارها والمقاعد من رجالها والزرابي من عميدها، لم تنعقد الحلقة الصباحية ولم تسمع تلك القهقهات ولا ذاك الصوت الجهوري الذي كان يدخل الطمأنينة في القلوب.سكنت حركة الجسد إلى الأبد وتوقف نبض القلب والتفت الجموع وفوق أكفّها فقيدها، لم تغب هالة الزعامة فأضحى نعشه كالطود مزينًا بحب الجماهير وهتافات الوفاء والمبايعة ترسلها الحناجر كما عرفهم أبو سطام دائما، هكذا شيعت الجماهير أبا سطام بموكب مهيب يليق بمقامه الرفيع وزعامته ومكانته يوما لم تشهد الخيام والجوار مثله .... وهذا ما جاء في جريدة النهار: **نعى آل العبدالله أمس زعيمهم وعميدهم المغفور له بإذن الله تعالى علي أفندي العبدالله النائب السابق الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح الثلاثاء (٢٤-٠٩-١٩٥٧م). وقد نقل جثمانه الطاهر من مستشفى أوتيل ديو في الساعة الثالثة من بعد ظهر أمس إلى الخيام حيث يصلى عليه ظهر اليوم الأربعاء. تتقدم جريدة النهار من عائلة الفقيد ومن آل العبدالله بأحر تعازيها سائلة للفقيد الكبير الراحة ولهم جميل الصبر**[(١)].

قصيدة للشاعر حسن محمود عبدالله (أبو فيصل) في رثاء المرحوم علي أفندي عبدالله:

هـل ينضـب الدمــع الغزيــر المطــر ... وبـمهجتـــي نـــار الأســى تـتسعـر

هـل يـحسن الـمرج الفسيح لنـاظــري ... ويــروق زهــو ربيعــه المخضوضـر

والـطير صـادحــة عـلـى جـنبـاتـه ... كـلٌّ ينــوح وفــي المصيبـة يشعـر

(١) جريدة النهار اللبنانية، صفحة ٨، السنة ٢٥، العدد ٦٦٨٧، تاريخ ٢٥ أيلول سنة ١٩٥٧م.

هل بعد فقـــدك أبـا سطام يضمنا حفـل ويـجمعنـــا الزمــــان الأغـبـر
هـل تـولد الأيـــام بعـــد سيـــدا بصفـــات فضلـــك فـي العشيرة يظهـر
هـيهات مـــا كـــل السيـوف قـواطـع كـــلا ولا كـــل الـمعـــادن جـوهـر
هيهــــات أرجـــو المستحيـل وإنمـــا طلـب المحـــال مــن المرجـــى أيسـر
تلـــك الصفـــات الغـــر غيّبها الثرى ومشـــى بأبـهـــة الـهـــزار القنبـر
وتعطــــل الـنـــادي وسمـــر بابـــه والوافـــدون علـــى نـــداك تأخـروا
وانفـــض مــن فلـك المكـــارم كوكـب كنـــا بشعلــــة نـــوره نستبصــر
وتحطمـــت آمالنـــا وســـط الأسى ومشى الغراب علـى الطلــول ينقـر
يـــا راحـــلا عنـــا وحقـــك كلمـــا مريــــت فــــي أفكارنـــا نتحسـر
فالعيـــش بعــــدك فـــي مــذاق علقــم والكــون فــــي عيـــن القريحـة يصغـر

الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم العبدالله

الحاج خليل العبدالله (١٨٦٥-١٩٤٤)، وُلد في بلدة الخيام وتوفي فيها أكبر أنجال الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن عبدالله شقيقه الزعيم علي أفندي عاش قرابة الثمانين عاما، أفندي وزعيم شهمٌ للعلى سما طبت حيًا وميتًا ما أروع أن يسعفني القلم كي أستخرج المكنون كما يستخرج اللؤلؤ من المَحَار حتى يترأى لنا تاريخ رجل من رجالات جبل عامل وسيد من ساداتها وقُطبٌ من أقطابها وبطل من أبطالها وفارس من فرسانها وشهمٌ من شِهامها وليث من ليوثها .كانت دارته عامرة غامرة فهي محط الزوّار والضيوف والأحرار، تهوج وتموج بالخيالة والفرسان والرجال القادمين والقاصدين من الحولة والقنيطرة والجولان لوجاهته يقصده الوجهاء والزعماءكانت تربطه علاقة بالزعيم كامل بك الأسعد الأول، وتوطدت هذه العلاقة كثيرًا عندما التقيا في فلسطين بعد أن حكمت عليهما دولة فرنسا بالنفي والإعدام . كان رحمه الله دمث الأخلاق عزيز النفس

سخي الطبع كريمًا في عطاءه، جميل المنظر بهي الطلعة مفعمًا بالغيرة والوفاء بالعهد والميثاق وحفظ الجار والذود عن المستضعفين، اشتهر بشجاعة نادرة وقوة قادرة كرار غير فرار، لا يهاب الجموع وإن لبسوا الدروع أو جاؤوا فرادى أو زرافى قادر على المنازلة كان رجل حكمة وسياسة لم يفارق والده الحاج ابراهيم ولا عمه الحاج محمد أفندي يوم حادثة الجرود أو حادثة الخيام عام ١٨٩٤م. فكان إلى جانبهما يلازمهما، يعمل على استقبال الضيوف ويرشد المقاتلين وقد شكل ما يشبه اليوم بغرفة عمليات لتلبية حاجات الحشد الكبير من أبناء جبل عامل الأشاوس.حين كان يطوف على المجموعات المتوزعة في أحياء الخيام وأزقتها ممتطياً جواداً أبلق ممتشقاً سيفه من غمده، يدب الحماس في النفوس حتى أن أحدهم قال: ما إن رأيت هذا الفارس الذي تبدو عليه علامات النَّجَابَة والمروءة حتى غلى الدم في عروقي وأحسست أني لو قابلت جيشاً لهزمته.وقد روي بأن في العشرينات من القرن الماضي كانت الاستعدادات على قدم وساق لعقد مؤتمر وادي الحجير، وهو من أهم المؤتمرات على مستوى منطقة جبل عامل (جنوب لبنان) انتدب الحاج خليل من قبل عمه المرحوم الحاج محمد أفندي لينسق مع وجهاء جبل عامل ويزور الوجهاء والزعماء ويناقش معهم ورقة العمل والبنود التي سوف تتمخض عن هذا الاجتماع، وقد دعي الحاج محمد أفندي لأن يبيت ليلته في دار الطيبة على أن ينطلق وفد كامل الأسعد منها إلا أن الحاج خليل استئذن عمه وأشار عليه بأن ينطلق وفد الخيام من بلدة الخيام برئاسة الحاج محمد أفندي عبدالله، ووصل وفد الخيام إلى مكان الاجتماع وبيرق الخيام يتقدم المسيرة بيرق الخيام الذي كان مكونا من القماش الأخضر العريض مكتوبا في منتصفه عبارة: (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) باللون الأحمر والفرسان تحيط بالوفد وكان على يمين الحاج محمد الحاج خليل وعلى يساره أحد أنجال الحاج حسن عبدالله، لم يتسن لنا معرفة اسمه ويقال بأنه من الفرسان المميزين، لفت الوفد أنظار الجميع رجل يقدم المسيرة وقد بلغ من الكبر عتياً عمره جاوز الثمانين ذو لحية بيضاء وهيبة عظيمة فوق صهوة جواده وسيفه لم يفارق وسطه، كان يومًا تاريخيًا من أيام جبل عامل وقد ذكره الشيخ أحمد رضا في مذكراته يقول: في ١٤ شباط عام ١٩٢٠م أخبرني الحاج خليل عبدالله ويعرف بخليل أفندي القادم من بيروت، أن العلامتين السيد جواد مرتضى من عيثا الجبل والشيخ يوسف الفقيه من بلدة حريص اجتمعا في بيروت مع الأمير فيصل. وعلما أنه آسف لما وقع من بعض علماء جبل عامل في تقلبهم لغير سبب كاف[١].

(١) كتاب "مذكرات للتاريخ حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا، صفحة ٨٢، دار النهار.

أهم ما روي عن الحاج خليل العبدالله:

- عميد آل عبدالله في الخيام ووجيه منطقة مرجعيون ومن رجالات جبل عامل المعدودين وصاحب البيت المفتوح لأهل الدنيا والدين، عمل الحاج خليل عبدالله رئيسا لبلدية الخيام كما عمل مستنطقًا في محكمة مرجعيون.

- انتخب ممثلًا لمنطقة مرجعيون في المؤتمر السوري الذي انعقد في دمشق سنة ١٩٢٠ لمبايعة الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكًا على سوريا.

- شارك في مؤتمر الحجير في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠ للتشاور في أمور جبل عامل إلى جانب عمه المرحوم الحاج محمد أفندي عبدالله[١] ومن أبرز الذين حضروا المؤتمر من العلماء ورجال الدين: العلامة عبد الحسين شرف الدين والسيد عبد الحسين نور الدين والسيد عبد الحسين محمود والشيخ موسى قبلان، ومن الزعماء السياسيين: كامل الأسعد الحاج محمد أفندي عبدالله والحاج خليل عبدالله ومحمود الفضل ومحمد التامر والحاج إسماعيل الخليل.

ومن المفكرين والمثقفين: الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا ومحمد علي الحوماني، ومن الثوار صادق حمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد.

أما مقررات المؤتمر فأهمها: المناداة بفيصل بن الحسين ملكًا على سوريا انضمام جبل عامل للوحده السورية والرفض المطلق للإنتداب الفرنسي.

حكم على الحاج خليل عبدالله وعلى عمه الحاج جواد عبدالله من قبل السلطات الفرنسيه بالنفي المؤبد وبمصادرة أملاكهما، مثلما حكم على الثائرين من آل عبدالله شبيب عبدالله ولطفي عبدالله بالإعدام. وبعد معركة ميسلون نزح الحاج خليل عبدالله إلى فلسطين حيث أقام في قرية الزبيد ولم يعد إلى الخيام إلا بعد صدور العفو عن جميع الزعماء المنفيين.

من أولاده: النائب السابق علي الحاج خليل عبدالله والمحامي إبراهيم الحاج خليل عبدالله رئيس جمعية حقوق الإنسان[٢].

الحاج خليل العبدالله في فلسطين بين سايكس وبيكو:

استعرت المواجهات بين ثوار جبل عامل والجنود الفرنسيين الذين أطبقوا على مناطق الجنوب اللبناني من اتجاهات عدة، قاصدين من وراء ذلك إرضاخ مناطق جبل عامل وإخضاعها للمعطيات

(١) كتاب "مطالب جبل عامل"، صفحة ٧٥.
(٢) راجع العدد السادس من نشرة الدردارة.

الجديدة، وذلك تنفيذًا لمخططات استعمارية على رأسها تقسيم المنطقة جغرافيًا على قياس معاهدة سايكس بيكو، بعد أن هُـزمت الدولة العثمانية على يد تحالف دولي كانت طليعته الجيوش العربية بقيادة الشريف حسين وأنجاله، لكن كل الوعود التي ملأت مسامع العرب بإنشاء دولة أو اتحاد دول عربية ذهب أدراج الرياح وابتلعته البطاح مما كثر عليه النواح والصياح، وكانت خدعة كبيرة من قبل الدول الاستعمارية التي ما زالت إلى يومنا هذا تتحكم بإراداة الكثير من الحكام العرب وتطوعهم من أجل مصالحها الاستعمارية، جاعلة منهم رأس حربة توجههم حيث تشاء. كانت وما زالت فلسطين التي وقعت أسيرة أخبث احتلال وأخبث أنواع البشر وقتلة أنبياء الله شذاذ الآفاق الصهاينة، تمثل على مدى سبعين عامًا المرآة النقية لإبراز الوجه الحقيقي للمحبين والغيورين على عروبتهم وإسلامهم، من الوجه المزيف والمتقاعس والمتباطئ عن السير في ركاب المناضلين المجاهدين على طريق تحريرها من يد العدو الصهيوني، وسوف تبقى فلسطين المعيار والمقياس والميزان لنوايا حكام أمتنا وشعوبها، فلسطين المسجد الأقصى فلسطين كنيسة القيامة فلسطين أولى القِبلتين فلسطين المسيحي والمسلم والعربي. كانت المقاومة الإسلامية في لبنان النموذج الرائع التي سطرت كثيراً من البطولات وملاحم من الإنتصارات المميزة على مدى ثلاثة عقود، وبدل أن ترى بعض الدول العربية هذا النموذج والمثال الرائع في المقاومة لتمد لها يد العون والمباركة، وترى فيها طريقًا معبدًا نحو تحرير فلسطين، تعاملت معها بالعكس تمامًا للأسف لأن مرآة فلسطين كذبتهم وأبرزت وجههم القبيح والمعادي لهذه الأمة التي يعمل بعض حكامها على تدميرها، وذلك في السير في مشاريع القوى الإستعمارية. التي تعمل على حفر قبورهم وعندما تحين الساعة تقذف بهم كما قذفت بالذين من قبلهم.يقول رضا التامر في ذكرياته لقد استطاع المناضل العاملي شبيب الحاج جواد عبدالله أن يقلق مضاجع الصهاينة اليهود في فلسطين بعد أن جعل من شعبهم العوبة يقول التامر: لقد أضحكتنا حادثة شبيب العبدالله، كيف أنه تغلب على أعداد كبيرة من اليهود في قرية الزبيد في فلسطين، إلا أن فرحتنا لم تدم بل أبكتنا، عندما رأينا سبع دول عربية تتراجع عن فلسطين وتلقي بها لقمة سهلة لهؤلاء اليهود الذي أفزعهم وأخافهم المناضل العاملي شبيب الحاج جواد العبدالله. يومها كان إلى جانبهم الحاج خليل العبدالله صاحب المروءة والمخلص إلى أهله وشعوب أمته حين وقف إلى جانب ابن عمه شبيب العبدالله مع رفاق مخلصين أمثال محمد بك التامر والزعيم كامل بك الأسعد الذين لجأوا جميعا إلى فلسطين بعد أن حكم عليهم المحتل الفرنسي

بالإعدام.وبعد هذه المقدمة التي فرضت نفسها على الحدث نعود ونروي رواية أخرى كان بطلها الحاج خليل العبدالله، رغم أنها في تفاصيلها مشتته بعض الشيئ لكن جوهرها بقي واضحًا ومما يروى: بعد أن وصل الحاج خليل العبدالله إلى فلسطين لم يكن منفردًا، كثيرون من أبناء جبل عامل رحلوا إلى فلسطين، كانت شمس ذاك اليوم مثقلة بالحكايات تستعجل المغيب والأفول متعبة خلف الأفق لتروي ما لديها من قصص، في ليل تداعبه النسمات الباردة فتطفئ قناديله المتدلية من أعالي السكون، ترجل خليل العبدالله وعبر النقطة الفاصلة بين سايكس وبيكو عند جسر بنات يعقوب، وأصبح الحاج خليل في حصة سايكس لأن فلسطين دخلت في حصة سايكس ضمن هذا التقسيم الإستعماري ومن خلفه بقوا بحصة بيكو أي في لبنان والفاصل الجغرافي بين سايكس وبيكو يكاد لا تتحدد مسافته لضيقه وقصره، إلا أن لعبة الأمم صوّرت لنا ما مسافته أكثر مما بين الأرض والسماء، وهكذا كان تقسيم المنطقة أشبه بقالب من الكاتو أكل المُسْتَعْمِرُونَ وتلحوسو (ياكلو سم الهاري إنشاء الله) كانت هذه الوسيلة الوحيدة كي يكتب للذين حُكِموا بالإعدام من الإنتداب الفرنسي النجاة، أي بالهجرة إلى فلسطين رغم معرفة الحاج خليل وغيره بالمنطقة وتضاريسها وأهلها لما كان يربطهم من علاقات مع كثير من وجهاء قرى فلسطين المحيطة والقريبة أو المتداخلة مع قرى جبل عامل، إلا أن وجه المنطقة ونتيجة الأحداث قد تغير، فالذين ناوؤا الإنجليز تراهم قد غادروا المنطقة وأصبحوا في ضيافة بيكو إن في لبنان أو سوريا. التقى الحاج خليل العبدالله بالزعيم كامل الأسعد في فلسطين والسبب بأن كليهما على لائحة النفي والإعدام يروى بأن من يشرفون على المنطقة التي نزل بها كامل الأسعد خليط من الإنجليز والمغاربة وبعض الأفارقة الذين يخدمون بالجيش الإنجليزي في يومٍ من أيام النزوح هذا ورحلة البعد عن الأهل والوطن، حيث طال الفراق فكان كل منهم يختلي إلى نفسه يراجع حساباته ويحاور ذاته التي ابتليت بصراع أورثهم الملل في هجرتهم، وحمّلهم كثيرًا من الشغف للقاء الأحبة كانوا يفضون إلى أنفسهم بخواطر أفكارهم وخلجات نفوسهم وأنين الأرواح الملتهبة شوقاً. سمع الحاج خليل جلبة قوية وصراخ مرتفع وكأن شيئًا حدث أسرع نحو المكان الذي يقيم فيه فإذا بفريقين متشابكين ومنهم من يتسلح بالعصي والقضبان الحديدية والحجارة، ليعلم الحاج خليل بأن هناك مجموعة مقيمة بقرية قريبة كانت تتجول وحاولت أن تعتدي على احدى النساء من بنت جبيل، اللواتي فررن مع أزواجهن إلى فلسطين من بطش المحتل وحملته القاسية المتوحشة على قرى جبل عامل، فلم ترتدع هذه الفئة

الباغية رغم وجود الزعيم كامل الأسعد الذي حاول إنهاء هذا النزاع والاقتصاص من المعتدين، وكان يترأسهم رجل يدعى هاني وهو شديد الاعجاب بنفسه طويل القامة ويقال بأن طوله كان أكثر من مترين ووزنه ثلاثة أرباع طوله، كان يربط زنده بحلقة من حديد فمن شكله وتصرفاته يبدو بأنه من كبار زعران المنطقة ولا أحد يقوى على ردعه أو يجرؤ أن يكلمه أو ينازله، ويقال بأنه وجه شتيمة إلى الزعيم كامل الأسعد الذي حاول أن يصلح الوضع وينهي هذه المشكلة، لا يستغرب أبدًا بأن هؤلاء الناس أمثال هذا الشاب المغرور لم تفتح الأرض قبرها وتخرجه وإنما منهم من يعمل لصالح فئة مخابراتية تخطط لعمل ما قد كانت تخطط لطرد المبعدين والمحكوم عليهم بالاعدام وتسليمهم للسلطة الفرنسية لتنال منهم، ولكن الله أسرع منهم وجعل من عباده الحكماء والأقوياء أهل الحل والعقد القادرين على إيجاد الحلول وحسب ما تقتضيه الحاجة، فما كانت إلا لحظات أسرع من البرق استطاع الحاج خليل عبدالله أن يمسكه بالحديدة التي يلف بها زنده ويحمله من وسطه فاصبح بين يديه كخيشة من تبن ويقذف به بعيدًا فسقط على الأرض كالثور المذبوح يصدر خوارًا، قابل ذلك دهشة من الحضور وتصفيق وهتافات إعجاب بما فعله الحاج خليل العبدالله يومٌ لن يُنسى من أيام الغربة الحزينة، ويذكر بأن الرجل الثور بعد أن حمله أصحابه وهم مذعورون كالأرانب يختبؤون ويلوذ بعضهم ببعض متأثرين لما حل ببطلهم المزيف الذي لم يعد يرى له وجهاً منذ ذلك الحادث، وبقيت هذه القصة معروفة لكثير من أهالي بنت جبيل (هذا ويكون الزعيم كامل الأسعد زوج عمة الحاج خليل عبدالله) ويومها قال الزعيم كامل الأسعد: للحاج خليل أنا عرفتِ من أي أسرة نقيت وخترت، وكان يقصد بذلك زواجه من الحاجة الجليلة مريم بنت الحاج حسن عبدالله. اللهم صلى على محمد وآل محمد. عليك سلام الله يا خليل الله يا مفخرة العجم والعرب ويا بطل من أبطالها وفارس من فرسانها يكفي أبناء أسرتك وأهل بلدك وطائفتك فخارًا واعتزازًا أن تذود عن أبناء جبل عامل المظلومين في غربتهم.

رواية أخرى:

ويروي المعمرون من أبناء أسرة آل عبدالله بأن الحاج خليل كان يتمتع بقوة جسدية كبيرة خارقة للعادة، مما أدى إلى اتساع وشيوع هذا الخبر بين الناس حتى تعدى إلى مناطق أخرى، وتهامس البعض بإبداء رغبة لامتحان هذه القوة التي يتمتع بها الحاج خليل حتى أن أحدهم تشجع وأعلم الحاج خليل برغبة البعض بامتحان قوته، فما كان من الحاج إلا أن طلب من الشخص الراغب

بامتحانه بأن يأتي غدًا وبصحبته عشرين شخصًا يختارهم، وترك الشخص المكان في حيرة شديدة وكان يحدث نفسه قائلاً: أي ورطة أدخلت نفسي فيها سائلًا من أين آتي بعشرين من الرجال وماذا سوف يصنع بهم الحاج خليل غدًا هل ينازل الجميع دفعة واحدة ويعودوا إلى منازلهم معصبي الرأس معلقي الأيدي في الرقاب، أم كل واحد منهم يسحب فخذه خلفه؟ ويضيف سائلًا وإن أتيت بأقاربي تكون الورطة أكبر وسوف لن أتخلص مدى العمر من ألسنتهم، أأعود إليه وأنطق أمامه بكل هذه الخواطر التي تجول في رأسي وأستريح قبل أن أصل إلى منزلي والمصيبة الكبرى كيف آوي إلى فراشي سوف يحرمني الوسواس الخناس ويحال بيني وبين مضجعي، حتى وإن غالبني الكرى وكل هذه الأفكار تضغط على نفسي التي تكاد أن تتفطر وتتلاشى من الشقاء في ظلمة هذه الليلة؟. ألا ليتني لم أقدم على هذا العمل، ولو أكلني ذئب لأهون عليّ من أن أعرض رجولتي وأنفش ريشي وأنفخ عرفي، حيث الكثيرين كانوا حذرين من أن يعلنوا ذلك..يا إلهي من يكتب في صحيفة أعمالي كلمة مواساة تهدئ من توتري هذا.. حسنا لقد لاحت في ذهني فكرة غداً أتمارض وأرتجف من شدة البرد وأتدثر وأتخثر[1] وأتخثر حتى يحسب البعض بأن المنية قد دنت مني وحضر الموت وهو يزفر، وها أنا أشْتَم رائحته ساعتئذ لا يتقدم المرء ولا يتأخر، وأوصي من حولي بأن أدار إلى جهة القِبلة لا.. لا.. لا.. أين الرجولة أين الشهامة سوف أفقد مصداقيتي أمام الوجيه ابن الوجيه، الكريم ابن الأكارم الحاج خليل.. في اليوم التالي أتى بعشرين من الرجال وسار نحو بيت الحاج خليل وأخذ يستعرض جمهورًا جاء بعفوية بعد أن تسرب الخبر إلى مسامع الناس. فكان الحاج خليل رحمه الله بالانتظار أطل من فوق شرفة تشرف على ساحة الدار، أطل من تخطى صيته البلدان وجاءت لرؤيته الرجال والغلمان والأحباب والخلان، رجل تتفتت بين يديه أحجار الصوان بشهامته وجميل حكمته، أطل من طوى الغبراء وعلا كالكواكب في السماء، أطل كالنسر يحلق بالأجواء رجل لا يأبه بالأنواء، طلب منهم أن يبقوا في الأسفل، وإذا به يرمي لهم حبلًا ويمسك طرف الحبل من الأعلى ويطلب منهم بأن يمسكوا طرف الحبل السفلي جميعًا العشرين، حينها خيمت حالة من السكون ترقبها العيون هل هو الذاهب أم هم الذاهبون، وكأن المبارزين أمام كأس المنون هكذا يظنون، هدأت في العقول زوبعة الجنون وأمسك العشرون واستندوا إلى بعضهم في طابور يتهامسون كطنين الدبور وتعالى الصراخ وازداد الضجيج والعجيج والفجيج وكأن المكان طواف حجيج، إلا أن محاولتهم الحثيثة لم تنجح واحمرت وجوههم وأكفهم دون جدوى، وبقي

(١) خَثِرَت العينُ: رَمِدَتْ فَغَلُظَت وتَوَلّدَ في أجفانِها حَبٌّ أحمر.

الحاج خليل على شرفته كالطود العظيم العصي على الرياح العاتية من الشرق والغرب آتية، ومما يذكر بأنه لم يتزحزح من مكانه قيد أنملة.رحم الله عمنا وحبيبنا الحاج خليل العبدالله. وقد روي الكثير عن بطولاته ومما يروى بأنه استطاع أن يمسح المجيدي(١) في تحد آخر وبين حضور كثر، أثبت مقدرته وقوته وحضوره الذي لم يكن يغيب عندما تحتسب الرجال الرجال.

سلام الراسي يروي عن وفاة الحاج خليل العبدالله(٢) :

يقول سلام الراسي في كتابه: "القيل والقال"، كان الحاج خليل العبدالله ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن عبدالله سيّداً من كبار القوم في بلدة الخيام في جنوب لبنان، اشتهر بشدة شكيمته بالإضافة إلى مكانة عائلته، ولذلك أُقيم له مأتم حافل توافدت بالندب إليه وفود القرى المجاورة ومنها وفد أهالي قرية إبل السقي الذين طلبوا من سلام الراسي بمصاحبتهم وتزويدهم بندبة تليق بالمقام وهكذا كان ودخلنا إلى الخيام ونحن نندب:

بعد كنا معاوزينك

للشدايد شايلينك

كنت مشكى الضيم فينا

سبع رابض في عرينك

حيف يا حامي حمانا

السيف يسقط من يمينك

ولعل ردتي تلك كانت أبلغ ردات الندب (والكلام للرّاسي) في ذلك المأتم الحاشد فتناقلتها ألسنة الحاضرين من جميع القرى وراحوا يرددونها بكثير من الإعجاب، وحدث بعد عدة سنوات أنني ذهبت إلى إحدى قرى منطقة جزين وإذا بأهالي القرية يشيعون أحد موتاهم وهم يندبون ولا من يخجلون:

---

(١) المجيدي: عبارة عن نقود عثمانية فضية، قيمة الواحد منها عشرون قرشاً صاغاً، منسوبة إلى السلطان عبد المجيد.

(٢) سلام الراسي، كتاب "القيل والقال"، سلسلة عشرة، صفحة ١٢٨-١٣٠ الطبعة الثانية ١٩٩٨م، نوفل، بيروت - لبنان.

أبوعلي سلام الراسي (١٩١١ - ٢٠٠٣) هو أديب لبناني، وُلد في قرية إبل السقي من قضاء مرجعيون في جنوب لبنان. وقد عُرِف سلام الرّاسي بلقب «شيخ الأدب الشّعبي».

بعد كنا معاوزينك للشدايد شايلينك ...ألخ.

وتابع سلام الراسي حكايته على صفحات كتابه قال: فقلت لنفسي لا بأس لعل الفقيد من عيار الحاج خليل العبدالله ووزنه، فتحلّ الاستعارة عن جدارة، وعندما استقر بي المقام بعدئذ في بيت مختار القرية سألت عن المرحوم فقيل لي أنه كان "مشحرجي" يقطع الحطب من الأحراج ويصنع منه فحماً فقلت: "قولوا إذن عليه":

متّ والبلطه بيمينك

عالعذاب الله يعينك

اعتدت عا نار المشاحر

في جهنم ناطرينك

هكذا عاشت ندبتي على الحاج خليل العبدالله في ذاكرة لبنان الشعبية،ولا سيما في بعض قرى جبل عامل حيث تتجدد المآتم في بعض الأحيان، ولا بد من ندبة جاهزة حسب مقتضى الحال، ولذلك استعار القوم ندبتي تلك وندبوها على كثيرين من الرجال، ندبة الحاج خليل وصلت إلى لندن.

وبعد تسع وأربعين سنة وأثناء مسرحية للفنانة نضال الأشقر في لندن تخلل مشهد من مشاهد التمثيلية مأتم شعبي فكانوا يندبون:

بعد كنا معاوزينك

للشدايد شايلينك

كنت مشكى الضيم فينا

سبع رابض في عرينك

حيف يا حامي حمانا

السيف يسقط من يمينك

كذلك رثاه الشاعر سليمان ذيب الجلبوط ببيتين من الشعر:

يـا حـاج فقـدك جـدد الأحـزان ... يـا ابن الأكـارم يـا رفيـع الشـانِ

حمص وحماه والشام سمعوا ... خبارك واليوم مالت أرزة لبنانِ

خنجر أفندي ابن الحاج حسين العبدالله

الزعيم خنجر ابن الحاج حسين آل عبدالله (١٨٨٦-١٩٥٣) من مواليد بلدة الخيام عميد آل عبدالله ووجيه منطقة مرجعيون ومن رجالات جبل عامل المعدودين، وكان له دوره السياسي والاجتماعي في المنطقة كما في الجنوب كذلك على صعيد الوطن، وكان موضع تقدير واحترام كبرى العائلات الجنوبية واللبنانية الدينية والزمنية. وكانت له صداقات فاعلة وحميمة مع قادة البلاد وزعمائها لاسيما منهم: الرؤساء رياض بك الصلح وسامي بك الصلح وعادل بك عسيران.

ولقد عرف بمواقفه الوطنيه واللبنانية والعربية كما تميز بشخصيته الفارعة وعاطفته الصادقة وقلبه الكبير ومحبته للعلم والمعرفة وتوقيره رجالاتهم.

أبناؤه: السفير السابق المرحوم محمد حسيب والنائب والوزير والسفير السابق المرحوم حسين والنائب السابق المرحوم علي ممدوح.

ولقد اخترنا هذه الرسالة التي بعث بها الرئيس عادل بك عسيران[١] يوم كان شابًا مناضلاً من أجل مجد العروبة وعزتها وتحرير لبنان واستقلاله إلى أخيه المرحوم خنجر عبدالله:

صيدا ٢٧ تموز١٩٣٥

حضرة الأخ الفاضل خنجر أفندي عبدالله المحترم

تشوقنا إليك أضحى عظيمًا وجفاؤك عني أصبح لا يوصف، فعلام هذه الحالات المتناقضة وقد تعارفت نفسان وأتلفت الأرواح، فهل لك أن تخف لصيداء حتى وصول كتابي إليك، لنتحدث

(١) عادل عسيران (١٩٠٥ - ١٩٩٨)، رئيس سابق للمجلس النيابي اللبناني حيث ترأس المجلس النيابي من ١٣ أغسطس/ آب ١٩٥٣ حتى ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٩. عين وزيراً لأكثر من مرة، كما كان عضواً في مجلس النواب لأكثر من مرة.عام ١٩٤٣اول انتخابات في عهد الاستقلال عام ١٩٤٧ وعام ١٩٥٣وعام ١٩٥٧وعام ١٩٦٠وعام ١٩٦٨وعام ١٩٧٢م.

في بعض الشؤون التي تهمني وتهمك في آن واحد، لأنني غير متمكن من التشرف إليكم الآن ولو كنت قادرًا وهذا واجب مقدس لما تقاعست لحظة عن تقديم الاحترام للأخ الكريم، دمت بالعز والسرور(١).

خنجر العبدالله صاحب البصيرة :

تميز الزعيم خنجر أفندي العبدالله بكريزما خاصة تعددت فيها صفات الشخصية المثالية، فكان يمثل زعامة ووجاهة قل مثيلها وكان وطنيًا لا يتوانى عن تقديم الدعم والمساعدة حتى ولو فاقت إمكانيته، كان مرجعية سياسية ودبلوماسية هادئة وشبكات علاقات مع الوجهاء والسياسيين والوطنيين، يلزمنا هنا أن نلتفت إلى ما يتمتع به العبدالله من بصيرة نافذة أدّاها بكل مسؤولية ونجاح فجاءت نصًا وعبارات مفعمة بكنوز من العلم والمعرفة، استطاع خنجر أفندي بمشروعه الراقي حيث لكل إنسان مشروعه في هذا الكون يعتمد فيه على أجندة ذاتية وطموحات فردية وأحلام وتطلعات. إن يقظة الوجدان لدى الأفندي كانت لحظاتها حاسمة وحقيقية فأخرجت جهابذة من المتعلمين ومنارات من المفكرين، الذين استطاعوا أن يخدموا البشرية فكانت موائمة استطاع من خلالها أن يتفوق على واقع فاقت متطلباته عناصر إمكانيته، فأضحت مهمة الأفندي معجزة في ذلك الوقت. في سياق ما نذكره عن الزعيم خنجر العبدالله أعجبتني حادثة أو موقف للأفندي له كثير من الدلالات على الصعيد الإنساني، وهو الإنسان المجبول بالعاطفة وطيب النوايا، فقد ذكر الأستاذ كامل فاعور في كتابه عروس المرج: في ٧ تشرين الأول من عام ١٩٢٢م في هذا اليوم أمطرت السماء بشدة وغرقت المدرسة وبهمّة خنجر أفندي العبدالله تخلص التلاميذ الصغار من الموت وخلّصنا المدرسة(٢). هذا هو خنجر عبدالله صاحب النفس المطبوعة رحمةً وحنانًا وسماحةً خلق وصداقة يُستأمَن لها في الشدائد.

فأفنديته وزعامته ووجاهته أرسى لها طريقًا لا تقل عما بدأه الزعيم، فقد أهدى أسرته فلذات أكباده فكانوا موضع فخر أسرتهم وبلدتهم ووطنهم العربي، فالثلاثة من أبنائه جابوا قارات العالم ومثلوا دبلوماسية مميزة فكانوا سفراء ونوابًا ووزراء ومهندسين. يقول الشاعر العاملي المرحوم موسى الزين شرارة في رثاء خنجر العبدالله:

(١) نشرة "الدردارة"، العدد السابع، السنة الثالثة ١٩٩٧م.
(٢) كتاب "عروس المرج"، للأستاذ كامل فاعور، صفحة ١٨٢ .

أيـــن الـذين بـهـم كانـت خيامهـــم بـغـــداد فـي عــزها والكـل هـــارون
أين النوادي بـأهـل الفضـل حافلــة أيـــن الــجهابذة الــعلـم الاســاطـين

إن ذلك يثير في الأعماق فرحة استطاع أبو حسيب أن يدخلها كل بيت ويضيء أملًا في نفوس أحفاده، فطفقوا يتبارون في ساحات العلم، فكان إرثًا محمودًا يحمل دلالات التفوق، ليكون أبو حسيب قد سبق الكثيرين بفكره إلى مضمار العلم، فكل مضمار يقاس بامكانيته وبيئته ولو نشأ (بيل غيتس) في الخيام فهل كان سيحرز هذا التفوق والنجاح الباهر الذي اكتسح من خلاله الكرة الأرضية؟؟ لكن السؤال هو: لو نشأ الزعيم خنجر العبدالله في بيئة (غيتس) فأية ثورة علمية كان سيجنيها لهذا العالم وللبشرية، ولكانت الأقمار الإصطناعية والمركبات الفضائية والمصانع الذرية اليوم مدموغة بعبارة (صناعة آل عبدالله) رحم الله أبا حسيب ورحم الله أبناءه .

خنجر العبدالله يستجيب لنداء رفع الضَّيْم عن جبل عامل :

لعلي لا أبالغ إذا قلت بأننا لا نزال نعيش حالة المؤامرة الكونية قبل أو منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م. أول مؤتمر صهيوني زاد وفاقم من حدة الصراعات الإقليمية فأضاف إلى المشهد مزيدًا من التعاسة، كانت قراراته تترجم عبر موجات استعمارية تحت مسميات كثيرة إن كانت فرنسية أو انكليزية، ولا نبرّئ سابقًا العثمانيين وقرونهم الخمسة من الهيمنة على مناطقنا التي عملت جميعها على تسليم فلسطين تحت قررات المؤتمر الصهيوني، نعيش المرارة التي عاشها آباؤنا وأجدادنا ولا تزال آثارها باقية فينا إلى اليوم ما بقي اغتصاب فلسطين. تداعيات ما برح الوطن لبنان أسيرها، تداعيات للأسف أخذت مكانها في النفوس والنصوص وبقي تاريخ متّصل مغموس في شرور المحتلين وموجات الاستعمار الخبيث وألاعيبه السيئة وممارساته اللاإنسانية، التي فجّرها غيظ وكره وعداء وقتل في وجه أبناء جبل عامل وتفنن سادي في القتل والوحشية ضدهم فبقي حبل همهم متواصلًا حتى حملة الجنرال الفرنسي نيجر ١٩٢٠م، ومما يروى والذي يندى له الجبين ويصيب القلب بمقتل لأن من هم إخوة في الدين والوطن تركوا أبناء الجنوب اللبناني يواجهون مصيرهم، وكأنه موقف ينم عن تشفٍّ وشماتةٍ، وراحت بعض الصحف تزيد الوضع تعقيدًا بتحريضها على أهل الجنوب، ولم يكتفوا بذلك بل أغلقوا الأبواب في وجوههم وكأنهم يقولون لهم احترقوا بنار ثورة أردتموها ضد المحتل الفرنسي.

مـــا رأيـــت مثـــل لـبـنـــان وطـنـاً يـعـمـل البعــض عـلــى فـقـء عـين هيبته
وإن أبـــت لـلـضـيـــم فـيـــه فـرقـــة لطـخـت أخـــرى بـالـذنـب ساحة حوزتـه

كـيـف نـسـالم أبـنـاء قـوم أشعلوا الفتنة في سماء جنته

وما راعوا عهدا في وطن فعملوا على غرق سفينته

فإذا الباطل قد زهق يجري الوئام في راحته

ويجتمع الكل حول راية مقاومته

يبقى الحكماء وحدهم القادرون على مواجهة مكر وخداع وزيف وتدليس إبليس المحتل، توجهات لا تنم إلا عن حرص القادة وإدراكهم لخطورة الوضع، والعمل على تفويت الفرصة على المستعمر بأقل الخسائر، ولإسكات آلة توحشه العسكرية حتى كاد أهل الجنوب أن يهلكوا تحت وطأتها التدميرية المرعبة، وأن يتحولوا بقضهم وقضيضهم إلى حالة من التشرد الدائم شاء المحتل أن يرسخها في النفوس، تأثر الزعيم خنجر العبدالله للأخبار الآتية إلى الخيام وما سوف يصل إليها من أعمال إرهابية على يد الحملة الفرنسية ضد ثوار جبل عامل، وتوسعت الحملة لتصيب كثيرًا من المدنيين وتطال أرزاقهم في محاولة من المحتل للضغط على المقاتلين، اندفع الزعيم العبدالله يبحث عن مخرج، فاستطاع أن يؤثر ويحرك وجهاء المنطقة والجوار على قاعدة درء الفتنة مقدم على جلب المنفعة، وذلك حفاظًا على أبناء الطائفة ووقف سفك الدماء على يد المحتل الغاصب، تحركت الجموع ولبت الدعوة للاجتماع لوضع حد لنزف الدم .يقول الدكتور علي شعيب: لم يرق للمحتل الفرنسي التوجه الوطني الذي أعقب مؤتمر وادي الحجير، والتي كانت أهم قراراته الحفاظ على التعايش بين المسلمين والمسيحيين (وقد تحدثنا عنه سابقًا) في ٢٤نيسان ١٩٢٠م.

كان لتداعيات حملة نيجر على القرى العاملية بآلاف الجنود والمدافع والدبابات أن اجتمع في صيدا أكثر من ٢٠٠ شخصية بدعوة من الكولونيل الفرنسي نيجر صاحب الحملة الشهيرة، ثم تلا أحكام الإعدام بحق كثيرين من أبناء طائفة المسلمين الشيعة أمثال: صادق الحمزة، أدهم خنجر، ومحمد التامر، وشبيب العبدالله(١)، وحكم بالنفي المؤبد على كامل بك الأسعد والسيد عبدالحسين شرف الدين والحاج محمد سعيد بزي وراشد عسيران والحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله وإخوته. وتوقفت همجية الحملة على أبناء جبل عامل بعد أن توصل الحشد العلمائي والوجهاء والأعيان إلى

(١) كان شبيب الحاج جواد العبدالله صديق أدهم خنجر والحمزة وكل الثائرين في جبل عامل، إلا أن شعيب في كتابه لم يأت على اسم شبيب ضمن المحكوم عليهم بالإعدام. وقد غادر شبيب العبدالله إلى فلسطين بعد الحكم عليه بالإعدام.

اقية، مثل الخيام في هذه الاتفاقية كل من العلامة عبدالحسين إبراهيم صادق و خنجر أفندي ابن
حاج حسين عبدالله وعلي أفندي ابن الحاج إبراهيم عبدالله[١].

لبنان الكبير لم يتسع لجبل عامل:

فلبى الأفنديان النداء

كان قد مضى قرابة الأربعة أشهرعلى الحملة الفرنسية بقيادة الكولونيل نيجر على جبل عامل، ذي لم يشهد مثلها في البلاد لفظاعتها وقساوتها عند إعلان دولة لبنان الكبير في ٣١ آب ١٩٢٠م. ن قبل الانتداب الفرنسي على لسان الجنرال غورو. لم يلق هذا القرار ترحيباً من أبناء جبل عامل ذين عرفت مناطقهم بعد هذا الإعلان بلبنان الجنوبي، لم يكن بمقدورهم الإنسجام مع هذا القرار لجحف بحقهم بعد أن كانوا قبل ذلك يتمتعون بظل حكوماتهم المحلية جاء في المطالب: اتسمت لعارضة العاملية للبنان الكبير بالنضال السياسي، في الواقع لم يكن الرفض العاملي لإفرازات هذا لإعلان من مؤسسات وغيرها من موقع طائفي بقدر ما هو فقدان المساواة في الوطن، وتغييب لهوية القومية فكانت العرائض تتصاعد والبرقيات لا تهدأ في الصحف المحلية والعالمية، تعبيرًا عن عدم رضاهم وأصبحنا في أمة تنغمس في حب الوظائف التي حرمنا منها، مما دعانا إلى نفث هذه لكلمة لأن ما شهدناه في هذه الآونة من حرمان لطائفة المسلمين الشيعة في لواء لبنان الجنوبي من بوء الوظائف حتى خلت الدوائر منهم. فنطقت رابطة حقوق الإنسان الفرنسية ورفعت الصوت معاناة الناس من إعلان دولة لبنان الكبير. ففي سنة١٩٢٦م رفع أهالي جبل عامل عريضة إلى سلطة الإنتداب كان مضمونها يختلف عن مثيلتها وأقرانها في لبنان، من عرائض رفعت تطالب بالوحدة مع سوريا فأغفلت العريضة هذا المطلب، هذا وسوف يكون لنا وقفة لشرح أسباب هذا الرفض.جاء في المطالب: نحن أهالي جبل عامل منذ ألحقنا بلبنان الصغير ما زلنا الغرم علينا والغنم له، ندفع الضرائب ولا ينفق علينا سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوماً معه، نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو دي جوفينيل تحقيق آمالنا الراسخة في نفوسنا، وهي فصلنا عن لبنان الكبير وإنشاء إدارة مستقلة تحت إشراف الدولة المنتدبة ومطلبنا هو مطلب حق وعدل.ولهذا تداعت الشخصيات الجنوبية زعماء الأسر النافذة لتلبي طموحات أهلها والوقوف إلى جانبها والأخذ بيدها والسير أمامها حتى الفناء، فلبى الزعيمان النائب علي أفندي عبدالله أبو سطام، والزعيم

(١) كتاب "مطالب جبل عامل"، للدكتور علي شعيب، صفحة ٨٢.

خنجر العبدالله أبو حسيب وإلى جانبهم كل من أحمد رضا، محمد التامر، راشد عسيران، حسين الدرويش، النائب نجيب عسيران، النائب السابق فضل الفضل، علي جابر، سليمان مروة، إسماعيل الخليل، محمد جابر، محمود الأمين، السيد علي بدر الدين، سعيد الصباح، أحمد الحاج، ويلي ذلك مئات التواقيع من سائر أنحاء جبل عامل (مطالب جبل عامل، شعيب صفحة ٩٢ إلى ٩٩).

ماذا قال سلام الراسي عن خنجر العبدالله:

"آل عبدالله كلما ارتفعوا .. تواضعوا"

امتاز آل عبدالله في الخيام بزعامة إقطاعية وشعبية في الوقت نفسه، ويُحكى أن أحد زعمائهم خنجر العبدالله قدم يومًا إلى بيروت، ليزور ابنه حسين الذي كان يومئذٍ وزيرًا للبريد والبرق والهاتف، فاستقبله في باب الوزارة رجل من أبناء الجنوب وقال له: كل خدمة تلزم يا خنجر أفندي، ابني حسن هنا وسيكون في خدمتك لتسهيل أُمورك في أي دائرة من دوائر الوزارة.

فسأله السيد العبدالله: وماذا يشتغل ابنك حسن هنا في الوزارة؟.

قال: ابني حسن، صار والحمدالله، حاجبًا عند مدير الهاتف.

قال السيد العبدالله: أرجو إذاً، أن يتوصى ابنك حسن بابني حسين.

قال الرجل: وماذا يشتغل المحروس حسين في هذه الأيام.

قال العبدالله: ابني حسين هو وزير البرق والبريد والهاتف... وهكذا عُرف عن آل عبدالله كلّما ارتفعوا تواضعوا، كما اشتهر من آل عبدالله عدة شعراء ابتداءً من عبد الحسين حتى عصام العبدالله والحبل على الجرار، كما اشتهرت الخيام بعلمائها أمثال الشيخين عبدالحسين وعبد الكريم صادق ويعتبر حبيب صادق[1] اليوم من أشهر رموز الثقافة في لبنان[2].

خنجر العبدالله أصيل ووفي لأصدقائه:

كانت تربط خنجر العبدالله علاقة حميمة مع الزعيم محمد بك التامر، فكلاهما كان يدرك مدى أهمية العلم وما يمثله بالنسبة لحياة الشعوب، شعوب منطقتنا وخاصة أبناء جبل عامل الذين انتزعت منهم هذه النعمة بالقوة إلا من رحم ربي منهم، فكان رضا بن محمد بك التامر الذي

(١) النائب السابق حبيب صادق، هو ابن العلامة الكبير الشيخ عبدالحسين صادق (قدس سره)، فكانت مناسبة لأن نشير إلى صلة القرابة التي تربط بين صادق والزعيم خنجر عبدالله حيث إن العبدالله متزوج من أخت النائب حبيب صادق الحاجة مواهب.

(٢) كتاب "يا جبل ما يهزك ريح"، لسلام الراسي، صفحة ٥٥و٥٦ تحت عنوان: "الخيام"، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠، نوفل. وفي كتاب "جود من الموجود" لنفس المؤلف، صفحة ١٣٥، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١، نوفل.

س في الغرب أهم مرجع قانوني في لبنان، وأولاد خنجر أفندي على درجة عالية من العلم وقد
ءوا أعلى المراكز في لبنان وخارجه، ليس هو القاسم المشترك الوحيد بينهما، فكلاهما زعيمان
جيهان ينتميان إلى أسر لها باع طويل في الزعامة السياسية، فإن آل التامر يعودون بنسبهم إلى آل
ي الصغير أجداد آل الأسعد، لم يكن يعلم خنجر العبدالله عندما زار ليبارك ويشارك محمد التامر
حته بمولوده رضا في البدايات الأولى للقرن الواحد والعشرين، بأنه سوف يزور الولد في أواخر
شرينات من القرن الماضي ويهديه فراشًا، لم تكن الأجواء الحميمية وعلاقات الصداقة بريئة
بعيدة عن الصلات الأسرية، فمحمد بك التامر متزوج من الحاجة خديجة بنت الزعيم خليل
الأسعد، وعمة الزعيم خنجر العبدالله الحاجة مريم متزوجة من الزعيم كامل بك الأسعد
خليل الأسعد أخو زوجة محمد التامر. لم يتوان خنجر العبدالله عن تقديم الدعم والمساعدة
د يد العون عندما حكم محمد التامر بالإعدام غيبيًا من السلطات العثمانية قبل الحرب العالمية
ولى ببضع سنين، كان محمد التامر يقدر هذا الموقف من جانب خنجر العبدالله، وقيل لو شاء
عيم العبدالله لملك الكثير من أراضي الجنوب هبة من التامر الذي كان يملك أراض واسعة تقدر
لاف من الدونمات، وذلك ليكافئه على مواقفه المشرفة، إلا أن نفسه تأبى عليه فمواقفه لا تباع
تشترى، فمضى على فلسفة آباءه وأجداده ليملأ ويضيف إلى تاريخهم مزيدًا من الضياء والبريق
ي كان موضع تقدير.

دارت الأيام وتقلبت السنين فاشتد الخصام بين يوسف بك الزين ورضا التامر، ولنتيجة
لاف ولوزن يوسف الزين الفاعل آنذاك، تم إيداع رضا بك ابن محمد التامر سجن مرجعيون،
كان من الزعيم خنجر العبدالله الذي زار والده مهنئًا به، اليوم يزوره خلف القضبان حاملًا إليه
اشًا يقول التامر في مذكراته صفحة ١٢٤: قضيت تلك الليلة جالسًا على فراش أتاني به خنجر
دي عبدالله، صديق والدي الحميم..

كان ذلك نتيجة لمؤامرة الحكومة الفرنسية، حدث هذا في نهاية العشرينات من القرن الماضي
كان خنجر العبدالله وفيًا للصداقة مع والده بقي وفيًا مع ولده.. رحم الله أبا حسيب، كم هم
للومون علماء الإجتماع الذين لم يطلعوا ويقرأوا هذه السير العطرة الزاخرة بكثير من الحقائق
لمعطيات، التي تؤدي بشكلها ومضمونها إلى تفشي المحبة والوفاء والإخلاص في المجتمعات،
كانت مقدمة ابن خلدون مخصصة للحديث عن رجالات آل عبدالله.

من متعب الأطرش إلى آل عبدالله الأجلاء :
وجودكم في الخيام منعنا من اقتحامها!!

جناب الأجلاء الأماجد الحاج محمد أفندي وعلي أفندي وخنجر أفندي العبدالله، وعموم آل عبدالله في قرية الخيام المحترمين...

بعد سؤال خاطركم نعرفكم أنه واصل إنذار لتحت يد الحاج عبدالله أبو سمره وأخيه يوسف بو سمرة من إبل السقي لأجل يبلغوه لمسيحيي حاصبيا ومرجعيون، فعند إطلاعكم عليه تفهمون مضمونه، والآن إن الخطة التي اتخذت قبلًا لم تكن مدربة لأننا غرب الديار وحصل من ورائها ما حصل .

وعليه أن قدر الله باشرنا بتدابير جديدة منظمة والتوفيق على الله، تأكدوا أيها الأفاضل أننا لا نقصد الإعتداء على أحد بل نحن مقاومون رجال فرنسا الذين يريدون استعمار بلادنا ونحن لسنا ضد رجالها الأحرار الذين يريدون لنا كل خير، أما من جهة المسيحيين الذين تسلموا أسلحة من الحكومة بقصد مقاومتنا سوف نريهم منا ما يستحقونه وخصوصًا أهالي راشيا الفخار الذين يضيقون على رجالنا العابري الطريق وقد قتلوا منهم حصانًا وجرحوا واحدًا من الذين يعتمد عليهم.

ثم بلغنا أن مسيحيي بلدتكم نهبوا حاصبيا ودخلوا مع الفرنسيين إليها فإذا استحسنتم إبلاغهم بإرجاع ما نهبوه حيث لا يمكننا التغاضي عنهم وترك حقنا عندهم، ولولا نظركم عليهم لكنا غير عاجزين عن تأديبهم فإذا لم يقبلوا نصيحتكم عرفونا. لقد صادرت رجالنا بعض المكارين الذين أتو من بلدكم إلى القنيطرة وصار تركهم إكراما فبلغوا المكارين أن لا يعودوا ثانياً إلى القنيطرة خوفًا من وقوع سوء التفاهم ودام بقاكم[١].

أخوكم متعب الأطرش

حررفي ٢٥ جمادي الثاني سنة ١٣٤٤ هجرية

---

(١) كتاب "الثورة العربية الكبرى"، تأليف أمين سعيد، المجلد الثالث، صفحة ٣٥٦، مكتبة مدبولي-القاهرة.

تعليق لا بد منه :

كثيرون الذين توقفوا عند أسوار الخيام ..

كثيرون الذين تحطمت إرادتهم عند أسوار الخيام ..

كثيرون وجدوا الأمان كثيرون وجدوا الحنان فالتجأوا إلى الخيام..

نعم تلك حدود الغير لا تقربوها، بالتأكيد لم يكن لدى أجدادنا سلاح نووي أعاق تقدم زحف الزاحفين وطلائع المتقدمين انقضاض المنقضين، الذي نعلمه والحمدالله بأن كان لديهم خصوبة عالية في الإنجاب وليس في تخصيب اليورانيوم. فأنجبوا أعاظم الرجال والشخصيات المرموقة، إلا إذا كان لديهم برنامج وأخفوه وسرقت بعد ذلك التكنولوجيا منهم أوسربت... إن واقع الأحداث وحقيقتها ومعطياتها مما لا لبس فيه، كان فيها من الدلالات والإستنتاجات الوافرة إلتي تقودنا إلى أن آل عبدالله وزعماءهم كان لهم شأن عظيم جدًا، ومثلوا مرجعية سياسية بلغت شأوًا بعيدًا ومهابة قل نظيرها في التاريخ فحافظوا على حدودهم وحكومتهم في الخيام، ما الذي كان يمنع دخول الخيام أو النيل منها ومن أبنائها، لقد نطق متعب الأطرش بما نطق به الكثيرون من قبله أمثال الأمير محمود الفاعور. إن زيد ومتعب الأطرش دخلوا أغلب المناطق المحيطة بالخيام لا داعي لذكرها، ولكن على سبيل المثال أغلب قرى العرقوب ووادي التيم، لكن عندما وصل الأمر إلى الخيام توقفوا عند حدودها وراسلوا آل عبدالله وتمنوا عليهم المساعدة، حصل هذا الشيء عام ١٩٢٦م. ليس لدينا المعرفة الكافية بتلك الأحداث وما حصل، ولكن هناك على ما يبدو قرار واضح لحل المشاكل بالحوار وعدم الاقتتال، لم يمض على الصراع الطائفي الذي صاحب إعلان دولة لبنان الكبير في مناطق الجنوب والذي ذهب ضحيته عشرات القتلى، وآلاف المشردين بعد حملة نيجر على قرى الجنوب اللبناني التي تحدثنا عنها مطولًا، فكاد أن يتكرر الصراع مرة أخرى وتكون الخيام مبعث شرارة الاقتتال، فكان نهج الحوار الذي شكل عنوانًا واضحًا لسياسة آل عبدالله حيث استطاعوا بحلمهم وصبرهم وعدلهم وجودهم وكرمهم وإيمانهم الراسخ بعقيدة وتراث أهل البيت، أن يحموا ليس الخيام بل الجنوب اللبناني من كل موجات التعصب مهما كانت الدوافع، لأننا محكومون بالعيش سويًا في وطن مهما علت فيه الأصوات ومهما كانت الدوافع. كانوا عندما يشعرون بوهج الحريق يقترب منهم يندفع الجميع نحو إيجاد المخرج المناسب، الذي يساعد على بقاء اللحمة بين أبناء الوطن الواحد. لقد رفع آل عبدالله الصوت مبكراً ففي ١٩١٥ عندما رفضوا الفتنة المذهبية بين

السنة والشيعة، ووقف الحاج إبراهيم العبدالله في وجه مفتي جيش جمال باشا أسعد الشقيري، ربما يجد القارئ أن الخبر الواحد تكرر عدة مرات وذلك لتشابه الأحداث التاريخية وتقارب العناوين حيث جل علماء أهل جبل عامل وزعمائه وأمرائه لم يكونوا في تاريخهم موضع تعدٍ على الغير، بل انتهجوا نهج التقارب والمحبة مع جميع الجوار والطوائف، وإنما كان الغير يفرض عليهم الحرب وأغلبها كانت دفاعًا عن النفس هذا ما رأيته وقرأته في جميع كتب التاريخ ولم يظلموا ولم يعتدوا (والله لا يحب الظالمين). كان إبراهيم باشا الذي غزا لبنان قادراً أن يهدم قرية الخيام عام ١٨٣٠ ببعض بيوتها الترابية بسنابك خيله عندما رفض الحاج حسن عبدالله مبايعته واستقباله، قد يسأل البعض وهل كان إبراهيم باشا بيعرف الحاج حسن حتى يتوقع استقباله (بيعرف والله ستين عُمرُ ما يعرف) ولكن نقول إنه كان رجلًا شجاعًا يحمل على كاهله تاريخاً عائليًا أثبتنا جذوره التي تمتد لأربعة آلاف سنة، وسليل بيت عريق أعطى إلى ناسه وبلده ما عجز الكثيرون عن إعطائه، كان وما زال هذا البيت له إسهاماته الضخمة في التاريخ اللبناني الحديث، إنها العائلة التي قدمت الزعماء والوجهاء والوزراء والسفراء والنواب والشهداء على مذبح الوطن، وخاضوا في مواقع بارزه العمل العام طوال قرون. عندما تتوفر الإرادة في شخص أو في قوم يهزؤون بالزعازع والصماصم، ويملأون كيانهم عظمةً ونصرًا.عندما كان كامل بك ابن خليل الأسعد يريد أن يتخذ قرارًا ما مهما كان، يطلب النصح والمشورة من الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن عبدالله.. لا يسعنا إلا أن ندعوا علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة الأسرية، وهذه العقلية الفذة الموجودة عند آل عبدالله لعل وعسى أن يخرجوا بنظرية تصحح كثيرًا من المفاهيم و المبادئ والنظريات الاجتماعية والفلسفية عند الفارابي وأفلاطون وإخوان الصفا وابن خلدون.

خنجر العبدالله يطرد الدرك الفرنسي من الخيام :

قرابة الربع قرن حكم الفرنسيون المناطق اللبنانية حكمًا مباشرًا، فما ادعاء حماية لبنان من قبل الفرنسيين سوى شعار لفرض الهيمنة وبسط سلطانها وتوسيع انتدابها، بفرض حكام على لبنان من لونها تستطيع من خلالهم تحريك المشهد السياسي لصالحها، وفرض قوانين كان من شأنها زيادة الفرقة بين أبناء الوطن، وتفريقهم شيعًا وفئات ومذاهب حتى يسهل النيل منهم والتحكم بمصائرهم، ووضع ألغام مستقبلية تعيق أي تطور نحو نيل الاستقلال الحقيقي، ولمنع تحرر البلد من القوانين الجائرة البالية، والتي لا تصلح لبناء وطن، جلها قوانين طائفية أشعلت من الحرائق ما

ى بالشؤم على البلاد والعباد (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، وقد جهدت هذه القوى لتثبيت قوانين
خلفة لمنع الفكاك من هيمنة المحتل، إن من أكبر الكبائر في وطن مثل لبنان يعجز فيه ابناؤه عن
اد صيغة وطنية تجمعهم، وقانون انتخابي عصري عادل يحفظ حقوق مواطنيه، هل من العدل
لإنصاف أن تعطل آلاف الأصوات الانتخابية فيه نتيجة عدم توفر قانون انتخابي عادل وفعال،
فل مشاركة كافة المواطنين بفعالية وليس مجرد رقم حسابي، أوليس هذا الإهمال طال الكثيرين
تى أضحى المواطن اللبناني غريبًا في وطنه ومحرومًا من أن يدلي بصوته الانتخابي، إن ذلك يفقده
أمل بوطنه، كما أن عدم توفر الأمن وتحصين الوطن وحماية الشعب من الغزاة والمحتلين كان يولد
ى الفئة المعتدى عليها حالة من التمرد الذاتي، ما تلبث أن تعمم وتتسع لتصبح ثورة في وجه
حتلين، كان لابد من هذه المقدمة لفهم واقع لا سقف ولا مظلة فيه لأبنائه، لقد درج المحتل على
ارسة غيه وظلمه في حرية كاملة معتمدًا على سياسة فرق تسد، كي يبقى الوطن عاجزًا وجسدًا
' حراك فيه سوى أنفاس تبقيه على قيد الحياة بعد أن غرست قوى شر المستعمرين في نفوس
ناس نظرة الشك والحذر التي تنظر بها كل طائفة إلى الطائفة الأخرى، وكل فئة متوجسة خيفةً
ن الأخرى، هذه أكبر هدية ورثناها وما زلنا نتقاتل كلبنانيين على هذه الورثة التي تشبه انتقال
عدوى أمراض السكر والقلب، فكان الناس الغيارى تنهض من تلقاء نفسها وبحمية فردية لتُخرج
غضبها وتعبر عنه بكافة الوسائل المتاحة، فما كان من غيارى أبناء الخيام إلا أن قام اثنان من أبنائها
لمخلصين في ثلاثينيات القرن الماضي بالاعتداء على العسكر الفرنسي المتواجد عند أطراف الخيام
ن جهته الشرقية، فجرحوا بعضاً من جنوده وفر المهاجمان إلى داخل الخيام فلحقت بهما الدورية
لفرنسية وبعض الدرك اللبناني للبحث عنهما والقبض عليهما، وما روي بأن المهاجمين لجآ إلى دارة
لزعيم خنجر العبدالله الذي بدوره تستر عليهما وأخفاهما، وعندما علم بوصول الدرك الفرنسي إلى
ساحة الخيام انطلق لملاقاتهم، فكان في طريقه يحرض كل من يلتقيه ويحث الناس على أفراد الدورية،
ما إن وصل إلى مكان تواجد الدورية حتى كان إلى جانبه عشرات الشبان والرجال من أبناء الخيام
يهتفون ضد المستعمرين، وحذر الزعيم أبو حسيب الدورية إذا لم تغادر في الحال سوف يتم اعتقالهم
فباءت كل محاولة الدرك بالفشل، ولم يستطيعوا النيل من أي فرد فولوا مدبرين يجرون خلفهم
الخزي والعار، فهمت الجماهير المحتشدة وحملت على الأكتاف الزعيم خنجر العبدالله وهي تهتف :

بيوتنـــــا كـــــل آمـــــان وخنجـــــر زعيـــــم الخيـــــام

ومن قول الشاعر حسن محمود عبدالله بخنجر أفندي :

قد كنت في قلب المخاصم خنجرًا — وحسام عزمك بالمعاند يُغمدُ

الشاعر العاملي الكبير موسى الزين شرارة في رثاء المرحوم خنجر الحاج حسين العبدالله :

الأوجه البيض والغُرُّ الميامينُ — والسادة الصيد والشم العرانينُ[1]
برغم أنف العلى والمكرُمات مضوا — وأقفرت بعدهم تلك الدواوينُ
ماذا تقول القوافي ويح صاحبها — لا المدح مدح ولا التأبين تأبينُ
هذا هو الروض قد شاهت مناظره — لا الورد ورد ولا النسرين نسرين
لا العشب زاهٍ ولا الأغصان مورقة — تشدوا عليها القماري والحساسينُ
والنهر جَفَّ فلا حَورٌ بضفته — يتيه زهواً ولا بانٌ وشربينُ
تعطّل الروض من شادٍ وشادية — فكل أطياره باكٍ ومحزونُ
يا مرج أين الأولى كانت لعزتهم — كأنها حشم تبدو السلاطينُ
أين الذين بهم كانت خيامهم — بغداد في عزها والكل هارونُ
أين النوادي بأهل الفضل حافلة — أين الجهابذة العلم الأساطينُ
أين البيوت التي كانت تلوذ بها — عظاتنا واليتامى والمساكينُ
أين الزعيم الذي للخير ما ملكت — يُمينه وله دنياه والدينُ
لم يبق إلاّ زعامات مزيفة — بها ابتلينا وأبيات دكاكينُ
جميع أمجادها الزلف لي كنا — وباسمها فقرنا والذل والهونُ
من لحمنا طبخها والراح من دمنا — والقصر من دمنا بالخير مشحونُ
وإن شكا مخلص حر وقال لنا — حَتّامَ تنهشنا هذي الصراحينُ
ثار الزعيم وثرنا في معيته — كأنها استنجدت فينا فلسطينُ
أبا حسيب إذا ما بت في عدن — وحولك الحور والولدان والعينُ
فلا تحدث بها الآباء عن وطن — اسماكه الشعب والحكام تنينُ
ولا تقل عهد هذا غير صاحبه — سيان في الجور أيلول وتشرينُ

---

(١) عرانين الناس وجوههم وسادتهم وأشرافهم .

الشاعر العاملي الكبير حسن محمود عبدالله في رثاء المرحوم خنجر عبدالله :

قد كان يسمو ما أقول وأنشدُ ... لو أن في كفي القضاء مقيدُ
كنت المصر على طلاق قصائدي ... إذ إن عصر الجاهلية يبعدُ
وبعصرنا هذا الربيع وعنتر ... وأبو العلاء ومن تكلم واحدُ
لكن تألق لاعج في خاطري ... عرضاً فأظهر ما به أترددُ
وغدوت أستلب القريض لبابه ... ومثير عاطفتي هنالك سيدُ
يا راحلاً عنا وحقك كلما ... مررت في أفكارنا نتنهدُ
قد كنت ما بين العشيرة سيدًا ... ومقدماً بل ضيغماً يستأسدُ
قد كنت في قلب المخاصم خنجرًا ... وحسام عزمك بالمعاند يغمدُ
لما رأيت بني الأنام تغيروا ... ومن المكارم والإباء تجردوا
وتأخر الشيخ الجليل لصدقه ... وتقدم الوغد اللئيم المفسدُ
غادرت دنيانا المريرة قاصدًا ... بيت الإله فطاب فيه المرقدُ
وتركت للمجد الرفيع ثلاثة ... بالعلم والأدب الرفيع تجندوا
فلنا الحسيب وصنوه فهماهما ... وعليهما أمل العشيرة يعقدُ
ولنا العلي ومَن ينادى كلما ... ضيم الفؤاد وفضله لا يجحدُ
فبهذه الأشبال نلقى سلوة ... ويصافح الطرف الرقاد فنرقدُ

قال الشاعر العاملي الكبير عبدالحسين اسماعيل عبدالله في رثاء المرحوم خنجر عبدالله في رثاء ابن عمه المرحوم خنجر أفندي عبدالله[1] :

فاتني الركب

أقفر الربع فالمعاني طلول ... وانطوى في الثرى الحسام الصقيلُ
وهوى الفارس المجلي عن السرج ... فريع الحمى وساد الذهولُ
تتهاوى المنى على جانبيه ... فصريعان مثخن وجديلُ
روع المرج فالعيون دموع ... والأماليد همد لا تميلُ
قد خلا نزله من النائل السمح ... فغاض الندى وجار النزيلُ
شرقت بالدموع عيناي لما ... طالعتني كثبانه والسهولُ
فكأن الهديل فيه نواح ... وخرير الأنهار فيها عويلُ
ملعب الصافنات خلو من الخيل ... فما رنَّ في سماعي صهيلُ
والنوادي معطَّلات خوال ... ما بها سائل ولا مسؤولُ
روعتني آثارها فترامى ... بين جنبيّ وإلـه متبولُ
كم لها في العلى أياد سماح ... كم عليها من غاره إكليلُ
من زحام الأسود فيها زئير ... ومن البيض في سماها صليلُ
الهدى والتقى على جانبيها ... لهما في فنائها ترتيلُ
يلتقي العزّ عندها والمعالي ... والندى الرحب والفناء الظليلُ
لم يعد في الحمى عزاء لقلبي ... فاتني الركب والحداء الجميلُ
والليالي تغيّرت فالنوادي ... همسات بها وقال وقيلُ
أنا في معشر أعيذك منهم ... حيروني بحالهم ما أقولُ
أعجزونا فكل صنو خصيم ... لأخيه وكل بيت قبيلُ
خففي يا حمائم الورق نوحاً ... واستقري فكل حال يزولُ
إن جفانا أبو حسيب وأغفى ... ذلك الطرف والفؤاد النبيلُ

---

(١) ديوان حصاد الأشواك صفحة: ١٨٤-١٨٧.

جمـــع الـمكرمـــــات فـي بردتيـــه | مثلمـــــا تجمـــــع الزهــور الحقـولُ
مـــا عـلى البـــدر والديــار شعـــاع | مـــن سنـــاه إذا طـــواه الأفـــولُ
مـــا عـلى الـــورد والروابـي أريـــج | مـــن شـــذاه إذا لـــواه الذبـــولُ
غايـــة الـمجـــد أن تطـل فـــروع | لـلأعالـــي إذا تـــوارت أصـــولُ

المرحوم الشيخ علي زين ابن بلدة قليا، يرثي صديقه الحميم خنجر أفندي عبدالله في ذكراه الأسبوعية في الخيام

قصيدة رائعة فيها كثير من الشجن على فراق صديقه، تغلب عليه الحزن لفقده فكان مشهد التأسي عاجزًا أمام هول الحدث، ولو علِم الشاعر بأن المنون اختار صديقه لم يتوان عن تقديم نفسه فداءً له. صنوان لم يباعد بينهما الفراق لأن الوفاء بعد الموت لا يعادله وفاء.

عشير الصّبا.. عميداً سيداً

نـــاعٍ عـلى غفلـــة للحي قد وردا | بشقّـــةٍ تحمـــلُ الأحـــزان والكَمَـــدا
فيا لـهـــا شقّـة شــــقّت بما حـملـت | مرائـــراً ولكـــم منّـــا فَـــرَتْ كبدا
تفجّـــر الـــدمـعُ لـمـا مُهجتي صُليت | بـلاهـــبٍ لـمجـــاري أدمعـــي صعـدا
لا الدّمـــع جفّفـه حــرّ السعيرِ ولا | زفيـرُه مـــن مجـــاري أدمعـــي بـــردا
ضـــدّان دمعـــي ونـــارٌ بالحشى اعتَلَجتْ | تحالفـــا وعـــلى إتلافـــي اتحـــدا
أبـــا الحسيب عـلى الماضين قـد عَتِقـــت | أحـزاننـــا وعليهـــم دمعنـــا جمـــدا
أمـــا عـليـك مـدى الأيـــام أدمُعنـــا | نسيلهـــا واغتـــدت أحزاننـــا جـــددا
مـا كل من مـات يولي مهجتـــي ضرماً | مـــا كـــل مـــن لُفَّ في طيّ الثـرى افتقدا
أمـــا فـقـدنـاك لـيـثـــاً مُشبلاً عـــلماً | سيفـــاً لسانـــاً سنانـــاً سيـــداً سنـــدا
أقـــام حزنُـــكَ قلبـــي عـــن مواضعـــه | وإن قعـــدتُ بـــأحزانـــي فمـا قعـــدا
إذا ذكرتُـــك جاشـــت فيه حَبـّـــتُه حتى | تـخـيّـلـتُـــهُ عـــن أضلُعـــي انفـــردا
فقـــدت قبلـــك أحبابـــاً بكيتُهـــم | لـمـــا بركبهـــمُ حادي المنـــون حـــدا
واليـــوم أبكيـــك ملتاعاً حليف جـوىً | بُكـــاء أم ثـكـــولٍ فارقـــت ولـــدا
فيا عشـــيرَ الصِّبـــا مـن بعدمـــا رَقَلتْ | بـــك المنـــون أرى أنّ الحيـــاة سـدى
لا العيش بعـــدك يحلـو لي ولا أَلِفـــتَ | عينـــي الكـــرى بعدمـــا إنسانُهـــا فُقدا

أمـــا وعهـــدٌ علـيّ ميثاقــه بقيـت قلوبنـــا وعلينـــا الله قـد شهـدا
لـــو تفتــدي بنفيـس أم بأنفسنــا جدنـــا إذا يقبـل الموت الظّلـوم فدى
أو عــزّ فديــك فــي قـومٍ وقد بخلوا لكنـــت أول فـادٍ للفــدى وفـدا
إن غبت في قامـة كانت يشــار لـهـا مـــا غاب ذكرٌ أَلِفنــاه بعيـد مـدى
تركـت لنا في سلـم العليـا لنا خلفـاً للفضـل والمجـد كلُّ منهـم صعـدا
صبراً فكـــم يـا بني عبـدالله بكـــم مـن سيدٍ لنـــداء يرتـجـــى وفـدا
لئن فقدتـــم عميـداً مـــن عديدكُـم فأنتمـــو عِـــدَّةٌ موفـورةٌ عـــددا

حسين أفندي ابن خنجر الحاج حسين عبدالله

مواليد: (١٩١٧م) في الخيام ـ مرجعيون.

تعليمه: بكالوريوس هندسة ري وتربة (فرنسا) (١٩٤٣م) (أول مهندس لبناني في ذلك الاختصاص) حيث كان أول مهندس من بلدة الخيام مسجلًا في نقابة المهندسين اللبنانية وقد عمل مهندسًا ومنفذًا لمشروع القاسمية ـ الليطاني (صور) (٤٢ – ١٩٤٦م) وعندما عرض عليه لم يتوان لأن يكون مستشارًا للشؤون الهندسية للإمام يحيى المتوكل، ملك اليمن (٤٦ – ١٩٤٧م) وبعدها عين مديرًا عامًا في وزارة الأشغال مكلفًا بمحافظة الجنوب (٤٧–١٩٥١م) وفي انتخابات عام ١٩٥١ عرض عليه أحمد الأسعد لأن يكون ضمن لائحته الإنتخابية وترشح وحاز على مقعدٍ نيابي عن محافظة الجنوب بالإضافة إلى ترؤسه لجنة الأشغال العامة (٥١ – ١٩٥٣م) وعين وزيرًا في حكومة سامي الصلح وحصل على حقيبتين وزاريتين هما وزارة الإعلام ووزارة البريد والهاتف من ٩ شباط إلى ٨ أيلول ١٩٥٢م. وحسين أفندي العبدالله هو أول وزير في قضاء مرجعيون من خارج

العائلة الأسعدية، وقد عيّن رئيس مجلس إدارة مصلحة مياه وكهرباء كسروان من ٥٣ إلى ١٩٥٨، وقد عمل عضوًا للمجلس الأعلى للجمارك اللبنانية من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤م.واستمر يتبوأ المراكز الحكومية وينتقل من مركز إلى آخر ومن نجاح إلى نجاح، فعين مديرًا عامًا لوزارة الزراعة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٦م.فلم يكن بمنأى عن الدبلوماسية، فالدبلوماسية عند آل عبدالله هي جزء مهم من شخصيتهم تولد معهم ويملكونها بالفطرة، فمن المراكز التكنوقراطية إلى الساحة الدولية الدبلوماسية فقد عين سفيرًا من خارج الملاك١٩٦٦ إلى ١٩٧٩م في كل من: تونس، إيران، نيجريا، ومصر، ومندوبًا للبنان في جامعة الدول العربية في كل من مصر وتونس من ١٩٧٩إلى ١٩٨٣م. وكان لحسين أفندي العديد من الدراسات المنشورة في مجال الري والاستفادة من نهرالليطاني.أما حياته فقد تزوج من السيدة زينات حسن قباني (بيروت) وأنجب منها المرحوم الدكتور خنجر، وابل (١٩٥٣-٢٠١٤م) وطلال ١٩٥٧م. توفي حسين أفندي ابن خنجر ابن الحاج حسين في نيس- فرنسا في٠٣/ ٠٣/ ٢٠٠٣م عن عمرناهز (٨٦) عامًا.

حسين أفندي العبدالله فكر وسيرة :

تميز الراحل حسين أفندي العبدالله بمرتبة اجتماعية عالية وثقافة مميزة صقلتها سني دراسته في فرنسا، فحاز على مقدار وافر من العلم فكان متفوقًا ناجحًا وتدرج حتى بلغ مناصبه العليا، فكان رجل التجرد والنزاهة والجرأة لبنانيًا وطنيًا بامتياز، كان دائمًا يقول: لا أود أن أرى لبنان وقد قسم ولا أرضى بأن أرى حيًا من أحيائه ينازع الآخر، اخترت أن أعود إلى وطني لأسهم في بنائه يدًا بيد وكتفاً بكتف، حتى أرى لبنان كما رأيت الدول التي زرتها وهو يرتقي إلى مصافها من تقدم وتطور وأهله ينعمون بالأمن والطمأنينة..لكن نقول: أيها الأفندي يامن مارست العمل السياسي والوظيفي لأكثر من أربعة عقود، إن التمنيات شيء وبلوغ الهدف وتحقيق الآمال شيء آخر، إن كلمات وتعبيرات حسين أفندي العبدالله مما لاشك تسهم في إحياء الأمل في النفوس وتعيد الثقة إلينا بأن هذا الوطن هو وطن الجميع، لكن كنا وما زلنا نؤمن بأن المشكلة الرئيسة في لبنان ليس بتعدد طوائفه ولا كثرة مذاهبه ولا أعراقه، ولكن الريبة والشك والخوف والحذر التي تنظر بها هذه الطوائف إلى بعضها، فكل طائفة تخاف على نفسها من الطائفة الأخرى مما لاشك فيه بأن هذه الحالة كرستها عوامل سياسات الغزاة لأغراض إضعاف الشعوب، كي تسهل السيطرة عليها وتفريقها شيعًا ليبقى الجميع ينشد الحماية ويتوسل الحاجة إلى المحتل، يعيش لبنان هذه الحالة المرضية منذ

قديم الزمان للأسف عمل البعض المستفيد على تكريسها في النصوص كي لا تنساها النفوس، فبقيت في بطاقة الهوية التي تلازمنا أينما ذهبنا وشرَّقنا وغرَّبنا لا تفارق دفءَ الجيوب، ففيها أيها البشر تكمن العيوب، ظل الحال على هذا المنوال لسنوات وسنوات رافضاً البعض التغيير والتبديل أقول بكل محبة: هذا لبنان لا يكتمل إلا بمسيحيه ولكن نريد صحوة مسيحية تتجاوز عقد الميثاق الوطني لأنه في مرحلة من المراحل كان من الضروريات لفتح أبواب الاستقلال للبنان، للخروج من التجاذبات ومعضلة الدجاجة والبيضة، صحوة تطالب بإلغاء الطائفية لأنه ما لم تلغ الطائفية في لبنان لن يكون هذا البلد بمأمن من الحروب حتى لمليون سنة قادمة، وسوف يبقى هذا اللبناني مهجراً مغتربًا يذوق أنواع العذابات والذل، ألم يحن الوقت بعد كي يستريح هذا اللبناني.فليعذرني القارئ الكريم على هذه المداخلة التي جذبنا إليها كلام المرحوم حسين أفندي..

حسين أفندي يلقى استقبالًا حافلًا عند المدخل الشمالي لبلدة الخيام:

تخرج حسين أفندي عبدالله في مجال الزراعة من فرنسا، وكان أول مهندس لبناني في ذلك الاختصاص، وأول مهندس من بلدة الخيام مسجلًا في نقابة المهندسين اللبنانية. حين عودته إلى بلدته الخيام عام ١٩٤٤م. لقي المهندس حسين عبدالله استقبالًا حافلًا. جماهير خيامية زحفت لاستقبال ابنها البار معتزين به أيما اعتزاز، وكان في طليعة المستقبلين أعيان البلدة ووجهاؤها وزعماؤها كل من علي أفندي عبدالله وخنجر أفندي عبدالله والوجيه الحاج أمين بشير فاعور عند المدخل الشمالي لبلدة الخيام وبالتحديد عند ملتقى مُنطقة الحمام. لم تغب الأهازيج الشعبية عن مشهد الاستقبال، وكذلك رقصة السيف والترس التي نالت إعجاب الحضور، إلى جانب الخيالة المهرة الذين طغى حضورهم على المشهد لكثرة ما أظهروه من مهارة في الفروسية، انطلق الموكب بعد أن صعد إلى جانبه الأفنديين والوجيه أمين فاعور وبقيت الخيالة تحيط بالسيارة تارة يتسابقون فيما بينهم وتارة يستعرضون مهاراتهم أمام المحتشدين، وأبرز الخيالة الذين واكبو المستقبلين كل من أمين أسعد عبدالله ونعيم أسعد عبدالله ومحمد صالح فاعور، إلى أن وصلوا جميعًا إلى دارة خنجر عبدالله لتنضم إليهم جموع غفيرة كانت في استقبالهم على طول الطريق المؤدي إلى الدار، هذا واستمر عرس الاستقبال حتى ساعات الفجر الأولى من ذلك اليوم الذي جميعنا نعتز به، لأن من يهاجر من وطنه من أجل أن ينال وفرة من العلم ويكتسب المعرفة ويعود إلى أهله ووطنه بالتأكيد جدير بالحفاوة والتكريم..

حسين أفندي العبدالله يسقط الحكومة وبشارة الخوري يستقيل :

الشيخ خليل بشارة الخوري (١٨٩٠-١٩٦٤) كان أول رئيس للبنان بعد الاستقلال (٢١ أيلول ١٩٤٣- ١٨أيلول١٩٥٢) لم يكن ختام سنته الأخيرة في الحكم مسك بل توترات واحتجاجات وإضرابات شلت البلاد، يقول نقولا ناصيف في كتابه: بدءًا من ١٣ كانون الثاني من عام ١٩٥٢ تصاعدت وتيرة الاحتجاج على عهد الشيخ بشارة، تحت وطأة هذه الاحتجاجات استقالت حكومة عبدالله اليافي في ٩ شباط، وفي الحادي عشر منه تشكلت حكومة برئاسة سامي الصلح ومن ضمن الوزراء كان حسين أفندي عبدالله وزيرًا لحقيبتين وزارة الإعلام ووزارة البريد والهاتف، لكن الاحتجاجات لم تهدأ ووصلت إلى ما يشبه العصيان المدني حتى انضمت وزارة الأفندي للبرق والبريد والهاتف إلى المعتصمين، كان الحشد يتهم بشارة الخوري بالإستحواذ على مقدرات الدولة، لم يصمد الصلح أمام هذه الاحتجاجات فكان يتعاون سرًا مع المعارضة عندما تفهم لمطاليبها فكانت المهرجانات الشعبية تهتف وتطالب باسقاط بشارة الخوري، وأشهرها مهرجان دير القمر في ١٧ آب فما كان من قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب إلا أن بادر ونقل المطالب الشعبية إلى الرئيس بشارة. في ١٩ آب أقرت حكومة الصلح برنامجًا إصلاحيًا رفضته المعارضة، توالت الفصول فوقعت الأزمة الدستورية، وفي الثامن من أيلول استقال الوزير حسين العبدالله ومعه الأمير مجيد أرسلان وأحمد الحسيني، سبب ذلك ارتياحًا عارمًا لدى المعارضة، التي صعدّت من مطاليبها إلا أن الرئيس بشارة رفض هذه الاستقالة وفي ٩ أيلول قدم سامي الصلح استقالة حكومته وفي ١٨ أيلول استقال الرئيس الشيخ بشارة الخوري[١].

نموذج وشخصية فريدة :

حسين أفندي العبدالله نموذج راقٍ من النماذج العصامية، استبسلوا وهم يجهدون ليملؤوا تاريخ وطنهم وأمتهم مزيدًا من النجاحات على كافة الصعد، فإذا كان الراحل حسين أفندي ينتمي إلى تاريخ ناصع من العلم والمعرفة والمسؤولية السياسية، فكذلك ينتمي إلى تاريخ عائلي طويل وحافل فوالده المرحوم خنجر الحاج حسين عبدالله، كان شريكًا فاعلًا بصياغة وصناعة قرار جبل عامل السياسي في السلم والحرب، وهذا ما ذكرناه سابقاً وجده الحاج حسين ابن الحاج حسن

(١) كتاب "جمهورية فؤاد شهاب"، تأليف نقولا ناصيف، ابتداء من صفحة ١١٥و١١٦، دار النهار، ط.أولى ٢٠٠٨.

عبدالله الذي انعكست ولادته[١] على مجمل شخصيته وحياته وسيرته، حيث شاء الله أن تكون ولادته أثناء رحلة حج مع والده الحاج حسن عبدالله قدس سره إلى الديار المقدسة والتي استمرت ثلاثة سنوات، فانبلج الحق من ثنايا نفسه وطاب أحسن مولد في رحلة مقدسة إلى رحاب الكعبة المشرفة ومراقد الأطهار من آل محمد، فعرف الحاج حسين بكثير من النبل والطهارة والسيرة الطيبة، شخصيات تكاملت تركيبته الروحية والنفسية والفكرية من هذه المحطات التاريخية والمناقب الإستثنائية الخالدة، فإذا كان أخو حسين أفندي حسيب العبدالله ضحية الإرهاب، فولده وابل ممثل صندوق النقد الدولي في أفغانستان، استشهد في كابول على يد التكفيريين أعداء الله ورسوله، وهو في مطعم لبناني تعود ملكيته إلى المغترب اللبناني كامل حمادة الذي قضى في التفجير نفسه إلى جانب تسعة عشر فردًا من جنسيات مختلفة.قوم ما برحوا يتقدمون الصفوف الأولى لا يثنيهم الآثمون عن مواصلة صولاتهم وجولاتهم حتى ولو كان الثمن غالٍ هنا، تبدو القيمة الحقيقية لمثل هؤلاء الرجال الذين صنعوا ويصنعون بمقدرتهم القوية المثالية مفاهيم وأطروحات تستند إلى العزم والمثابرة على النجاح،كما قال الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني ... وإنما تؤخذ الدنيا غلابا

الشهيد وابل بن حسين خنجر عبدالله في أسطر من مواليد (٢٥/ ١١/ ١٩٥٣م) في بيروت لبنان، وهو من رجالات لبنان المتعلمين حصل على شهادة البكالوريس في الاقتصاد من فرنسا، كما حصل على ماجستيراقتصاد كلية لندن (بريطانيا) وتابع تعليمه ليحصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة كولومبيا (نيويورك -أميركا) فكان من الدبلوماسيين المخضرمين وقد اختير ليكون مستشارا لدى البعثة الدائمة للبنان في الأمم المتحدة بنيويورك وفي الوقت نفسه كان مستشاراً للمصرف المركزي اللبناني (٩٢ - ١٩٩٣م) ولنجاحاته المميزة عمل مستشارًا في صندوق النقد الدولي- واشنطن/ أميركا (١٩٩٣-٢٠١٤م) وممثل صندوق النقد الدولي في النيجر (٢٠٠٦م) وتدرج الشهيد بمناصب عديدة في مجال العمل النقدي، وقد كان ممثلًا لصندوق النقد الدولي في السودان (٢٠٠٧م) كما كان كذلك ممثل صندوق النقد الدولي في أفغانستان (٢٠٠٨ - ٢٠١٤م).استشهد في الانفجارالغادرفي كابول/ أفغانستان (١٧/ ٠١/ ٢٠١٤م) ودُفن بجوار والده بمدينة نيس الفرنسية.

(١) ولد الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله سنة ١٨٦٣م. في مدينة النجف الأشرف أو مدينة كربلاء المقدسة من أرض العراق.

قصيدة رثاء في حسين أفندي للقاضي محمد علي صادق(١):

الخُلُق الكريم

قصدت عن الحمى الغالي الرحيلا ... ورمت بغربةٍ نأياً طويلا
فثار بنا غليل الشوق حزناً ... ولم نُبرد بعودتك الغليلا
ففيم الإغتراب وأنت فينا ... وُجُودٌ طالنا عرضاً وطولا
فكيف تصيبنا بجليل خطب ... وقد قلَّدتنا مجداً جليلا
لَئِن صُوِّحتَ في باريسَ روضاً ... فما كنا نظن به الذبولا
أَهَدَّك بالغياب حسيب قدرٍ ... فصرت بفقده نضواً كليلا
هي الأيام إن هطلت بطَلٍّ ... فقد زادت بها محنٌ هطولا
تشرَّفت السياسة فيك نهجاً ... يذلل في الحياة المستحيلا
فما كانت نيابتكم لشعبٍ ... سوى شرفٍ به نلت الجميلا
ولم تكن الوزارة غير عبءٍ ... جسيمٍ ما سعيت له وصولاً
تناهت للكفاءة في علاكم ... وقد جرَّت لأجلكم الذيولا
وأدركتِ السفارة فيك حلاً ... يوطد باسم لبنان الحلولا
فلم يجد الأنام لكم مثالاً ... ولم تجد الخيام لكم مثيلا
نهضت بجيلها في العلم قدماً ... ولم تنجح عن القدماء جيلا
فصنت مع العلى خلقاً كريماً ... وبت برفع شأنهما كفيلا
بعهد كان فيه الأرز رمزاً ... لإقدام وللعليا نزيلا
زماناً كان فيه العرب حكماً ... تسامى عزةً وسما قبيلا
فصار العرب من صِغَرٍ صغاراً ... وحكم العرب من ذلٍّ ذليلا
فذاك الإعتداء على عراقٍ ... يلاقي في فلسطين الشمولا
ولا يجدي التعلل في خلاصٍ ... إذا كان الإباء بنا عليلا
ولولا الله واللطف المرجَّى ... لما ترك العدو لنا سبيلا
فإن نلنا من الغازي وبالا ... فقد لاقى بنا الموت الوبيلا

---

(١) القاضي والشاعر محمد علي صادق ابن العلامة الشيخ عبد الحسين صادق، توفي في نيسان ٢٠١٦، دُفن في بلدته النبطية

سعيت مقاتلاً من أجل ماءٍ … جنوب دونه يغدو قتيلا
فرمت صيانَهُ في عمق نهر … ليروي بعد أفواهٍ سهولا
كأنك في الجنوب بعثت وحياً … كريما فيه ضارعت الرسولا
أمدك خنجر بجزيل علم … فقاد نبوغكم فيه الرعيلا
وأفلحت العطاء بحقل خير … يلقن من مكارمه الحقولا
فعدت لخنجر بوفاء شكر … يكافيء فضله السامي الجزيلا
وصرت كجوده في الناس جوداً … وصرت كحده صلبا صقيلا
وما خلَّفتَ في الدنيا عدواً … وكم أكرمت في الدنيا خليلا
وأمك في مواهبها أفاضت … عليك خلاقها الحر النبيلا
ووالدها أضاف إليك دفقاً … من الأدب الرفيع غزا العقولا
فلا عجب إذا طبتم فروعاً … وقد طبتم بمحتدكم أصولا
بأسرة عزةٍ يسمو علاها … وقد أنفت عن العز النزولا
وعن عبد الحسين سمت حفاظاً … وبات منالها فيه منيلا
فهذا شعره ما زال حياً … بهم يعتز في الدنيا دليلا
فقد عاشوا بدنياهم فحولا … وبعد الموت ما برحوا فحولا
سليل المجد حيَّتك المعالي … تزيد بفيضها المجد السليلا
فجدتم نحو لبنان كثيراً … فهل يوفي بقدركم القليلا
وهل ينسى الحسين بفضل برٍّ … وقد ملأت مزاياه الفصولا
سنذكر عهدكم في كل عهدٍ … ويبقى ذكركم ظلاً ظليلا
ويبقى نوركم فينا مضيئاً … وإن أزمعت عن غدنا الأفولا
سيكفينا الأخ الممدوح ذخراً … يفينا عن أخ نـاءٍ بديلا
ويكفي للعزاء بنات فضل … أرقن بساحة الدمع العويلا
ويغنينا خلودك عن فراقٍ … به لاقت مشاعرنا الذهولا
سيرويك النعيم بعذب ماءٍ … بكوثره تجاري سلسبيلا[1]

---

(١) من ديوان "دموع الوفاء" للقاضي محمد علي صادق، من صفحة ٩٤ إلى ٩٦، صادر عن دار الكتاب الحديث ٢٠٠٣ بالتعاون من المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

إبراهيم علي أفندي عبدالله

(١٩٢٠-٢٠٠٢ م)

ولد النائب إبراهيم العبدالله في ٢٠-٠٩- ١٩٢٠ في بلدة الخيام وتوفي بتاريخ ٢٨-١١ -٢٠٠٢ دفن في بلدته الخيام، نشأ النائب العبدالله سياسيًا بامتياز، تدرج في أعرق بيت سياسي من بيوت جبل عامل السياسية إذ كان بيتًا بمثابة جامعة قادرة على أن يكون خريجوها متميزين، لعب هذا البيت الذي يعد من أهم المراجع السياسية دورًا هامًا في أحداث كثيرة في البلدة والجوار... كانت ولادة النائب إبراهيم العبدالله أبو غالب بعد أربع سنوات على وفاة جده الذي تسمى باسمه صاحب الحظوة والمكانة الرفيعة الحاج إبراهيم، الشخصية الأكثر تميزًا وذات مقام رفيع يصعب على الآخرين بلوغه، لُقب جده بالخديوي لهيبته ومكانته. انتقلت السياسة من جيل إلى جيل فمن جده إلى والده الزعيم العاملي الخيامي الكبير أبو سطام، من هذا الإرث وهذه البيئة تكونت شخصية الزعيم إبراهيم العبدالله فحمل في جنباته أرفع القيم، وقد حرص والده على أن ينمي فيه روح وقوة الاستقلالية والإرادة وتحمل المسؤولية، فكان قويًا شجاعًا كريمًا عنيدًا في مواقفه المحقة كما كان يرغب والده مهما بلغت الصعاب فهو قادر على الإستعاب، لايخاف في الله لومة، لائم كان واسع الاطلاع والثقافة حتى أدرك نصيبًا من الشعر والأدب فإنتسابه إلى أرومة عربية أصيلة في المجد والإقدام، ومن ذوات الحسب والنسب كان لذلك أثرٌ طيب و دورٌ رائدٌ في تقريب الكيمياء بينه وبين مسؤولين كبار في الوطن العربي، وخاصة في المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا، وهكذا كانت العروبة بالنسبة له اعتزاز، مارس الحياة السياسية في حياة والده الزعيم علي أفندي فأثبت نجاحًا عكس من خلاله سياسة الأسلاف رحمهم الله. خاصة في انتخابات عام ١٩٦٠ وانتخابات ١٩٦٤، أجاد اللعبة السياسية وتفوق على أعرق السياسيين حين نافس بكوات الطيبة من آل الأسعد في وقت عجز الكثيرون عن التجرؤ على منافستهم، وكان تصريحه ضد آل الأسعد في انتخابات عام ١٩٦٠ قد بث الذعر في قلوب الأخصام،

فجرد الحسام واعتلت الرجال السنام إلى يوم الصدام يوم تقوم إليه الأنام وسوف يأتيك خبر الخيام...

جاء في النشرة الصادرة عن جمعية آل عبدالله بأن النائب إبراهيم العبدالله قد أنهى دراسته في ثانوية الحكمة في بيروت، عمل إداريًا في وزارة الداخلية، وشغل وظيفة مأمور نفوس في قضاء مرجعيون، كما عمل إداريًا في المجلس النيابي اللبناني. لم يشغله العمل السياسي عن المسؤولية السياسية التي تحملها بأمانة بعد وفاة المرحوم والده النائب على أفندي عبدالله، ترشح للانتخابات النيابية سنة ١٩٦٠ عن قضاء مرجعيون حاصبيا لائحة ضمته مع السادة علي بزي والأمير سهيل شهاب واسكندر غبريل، وفاز بالمقعد النيابي عن قضاء مرجعيون حاصبيا ضد منافسه كامل بك الأسعد. تميز النائب إبراهيم عبدالله بالجرأة والصدق والصراحة وكان شهابي النهج في سياسته الداخلية وعربيًا في سياسته الخارجية، وكانت تربطه صداقة متينة بكبارالمسؤولين في المملكة العربية السعودية وكذلك بالمسؤولين في جمهورية مصر العربية . تزوج في أوائل الأربعينات من ابنة عمه الست الجليلة حسيبة خنجر عبدالله وأنجبا أربعة أولاد هم: المحامي الدكتور غالب والآنسة هند والسيدتين سميرة زوجة المحامي الأستاذ غالب رمضان ونجوى زوجة المغترب السيد محمد سعيد الحاج مصطفى عبدالله.

النائب إبراهيم العبدالله من أدباء العائلة الذين إذا نظموا الشعر أبدعوا وإذا كتبوا النثر أجادوا[١].

لقد مر النائب إبراهيم العبدالله باختبارات كثيرة على صعيد المنطقة المؤهلة والقابلة للإنفجار في أي لحظة لتلبد أجوائها بالاحتقان المذهبي، إلا أنه كان في كل حدث وأزمة يخرج منتصرًا بمساندته في وضع الحلول لدفع المنطقة إلى بر الأمان، ففي عام ١٩٦٧ وبالتحديد في ٢١ آب كان لمقتل أحمد سطام عبدالله ابن أخ النائب إبراهيم العبدالله على يد دركي في مخفر الخيام، كاد هذا الحادث أن يسبب بصدام، حين لقى استنكارًا واسعًا وأخذ بعض الشباب المتحمس من آل عبدالله بإطلاق التهديدات ورفع بعض الشعارات والتهديد بالسلاح وتوجس القوى الأمنية من أن يتحول إلى صدام مذهبي، لأن الدركي الذي أطلق الرصاص ينتمي إلى الطائفة الدرزية، إلا أن النائب إبراهيم العبدالله لعب دورًا في منع تفاقم الوضع وعمل على وأد الفتنة، وبرز خلالها من أنه مرجعية سياسية ووطنية له الدور المحوري في قضايا الخيام والبلدات المجاورة، وضاقت دارته في الخيام بكبار الزوار والسياسيين وكان لافتًا الحضور الضخم من مشايخ الطائفة الدرزية الكريمة، وغاية الجميع واحدة ألا وهي وأد الفتنة.

---

(١) ذكر هذا الخبر في النشرة الداخلية الصادرة عن "جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي"، العدد ٣ ، السنة الثانية، أيلول ١٩٩٥م.

النائب إبراهيم العبدالله على خطى الآباء :

كان النائب إبراهيم العبدالله في سن السابعة عشر عندما عين والده نائبًا في البرلمان اللبناني عام ١٩٣٧، فنشأ متميزًا بين أقرانه حين ظهرت عليه علامات النجابة ورزانة العقل، وشغف المطالعة وتثقيف النفس كما أظهر ميلًا شديدًا نحو العمل السياسي، وأفصح عن وعي مبكر كان كفيلًا لأن يستحوذ على اهتمام ورعاية والده حيث كان يقربه في مجالسه الخاصة، فتناولته الألسن بالثناء والإعجاب بين الوجهاء والسياسيين وأعيان المنطقة والجوار، حتى قال فيه كامل الحسين: "هذا الشبل من ذاك الأسد" واصفاً إياه بالزعيم ، فمنذ ريعان شبابه يشارك الكبار أحاديثهم حيث كان يبدي رأيه في كثير من الأمور السياسية أمام زوار والده من السياسيين والوجهاء والأعيان، يروى بأن عمته الحاجة مريم زوجة الزعيم الكبير كامل الأسعد الأول كانت دائمًا توصي ابن أخيه الزعيم علي أفندي بولده إبراهيم التي كانت ترى فيه كثيرًا من المزايا الطيبة التي تؤهله لأن يكون زعيمًا لكن الذي غاب عنها كان أكثر مما أدركته بشخص الشاب إبراهيم حيث لم تتنبأ له بأن يكون خصمًا عنيدًا لابن بنتها كامل بك الأسعد، وكذلك روي بأن زعيم الحولة كامل الحسين ذات يوم كان يستشير أبا سطام علي أفندي بأمر ما، فقاطعهما إبراهيم العبدالله وأبدى رأيًا كان في غاية الأهمية فما كان من زعيم الحولة إلا أن بادر بالقول: تستأهل على ما قلته بأن أخلع عباءتي وألبسك إياها، وكان كلما التقاه يقول له: أهلا بالزعيم ابن الزعيم، من هذه البيئة ذات التاريخ الطويل المفعم بفنون السياسة ومعتركاتها وساحاتها وغناها في موادها القيمة صقلت شخصية إبراهيم أفندي الشاب وواكبت سنوات عمره، فنشأ وهو يحمل روح التحدي والإقدام دون تردد أو تراجع عن موقف رآه صائبًا أوحقًّا فيه إنصاف، ولكن لم تجر الأمور بسلاسة وسهولة ومرونة، بل شهدت كثيرًا من المحطات الصعبة على مستوى المنطقة، وكان لتداعيات الحرب الكونية الثانية نتائج مؤلمة جدًا كان لها انعكاس سلبي على المستوى الشخصي والنفسي وعلى العلاقات الثنائية في المنطقة والتي ذكرناها مفصَّلة في معرض حديثنا عن الزعيم علي أفندي... كان الامتحان الأول للزعيم أبو غالب عام ١٩٥٧ عندما أوكل إليه أهم مصالحة في تاريخ الخصومات بين الزعيم أحمد الأسعد ووالده الزعيم علي أفندي، كان الزعيم أحمد الأسعد قد مُنع من دخول الطيبة بسبب إشكال مع بعض خصومه في بنت جبيل كانت حصيلته مقتل وجرح عددٍ منهم. وقد استطاع إبراهيم العبدالله أن يقنع والده بعد أن بذل جهدًا جبارًا أدى في النهاية إلى المصالحة، ودخل أحمد الأسعد عبر بوابة آل عبدالله إلى الجنوب.

هنا أجاد النائب إبراهيم العبدالله بقراءته المتأنية قراءة فكرية متمعنة في الخريطة السياسية وقوى التأثير العائلي على صعيد المنطقة، لأن مضاعفات الإخلال بالتركيبة الأسرية قد يكون له عواقب وخيمة على مجمل المنظر الجنوبي العام...يقول سلام الحاج: حين ترشح كامل بك الأسعد عن المقعد النيابي في قضاء مرجعيون عام ١٩٥٧م. وكان الأفندي على خلاف مع آل الأسعد استدعى أحمد بك النائب إبراهيم العبدالله من السعودية بواسطة مدير عام وزارة الأنباء أسعد الأسعد، الذي طلب منه أن يعود إلى لبنان من أجل الإنتخابات، وبالفعل عاد إبراهيم العبدالله وكان أسعد الأسعد في استقباله في المطار، وقبل أن يتوجه إلى دارته في مرجعيون بدأ وساطة مع والده الزعيم علي أفندي لكي يدعم الأسعد في هذه الدورة، لكن الوالد رفض الحديث قائلًا: ما تجيب لي سيرة أحمد بك، وفي اليوم التالي حين عاود الحديث معه قال علي أفندي: حـــسنًا ادعمهم في الانتخابات ولكني لا أريد رؤيتهم. وآنذاك كان الرئيس شمعون قد طلب من النائب علي العبدالله كي يرشح نفسه ضد كامل الأسعد، لكنه رفض رغم الخلاف القائم بينهما. وكان لدعم علي أفندي تأثيره الكبير والحاسم على نتائج الانتخابات ونجاح كامل بك، سيما وأن الطيبة كانت تحت سيطرة رضا بك التامر وحسن الأسعد والقائم مقام علي عمار .لقد أديرت الانتخابات في مرجعيون من منزل الزعيم أبي سطام العبدالله بالذات، واستضاف الأسعد مدة شهر حتى تأمن فوز كامل بك الأسعد وخسر أحمد بك في مدينة صور[(١)].

وساطة الزعيم، أدخلت الزعيم بيت الزعيم :

عام ١٩٥٧ لم يكن كسائر الأعوام، عام بأي حال عدت.. كأنه اختصر رحلة الزمان بمرارتها وحلاوتها بفرحها وحزنها، يوم التقت الجموع في الربع الأول من العام المذكور تهللت الوجوه وأشرقت، حدثٌ ودَّ الحضور أن تتعطل سنن الكون ليطول ذلك اليوم، إنها مواكب الأمم والشعوب الزاحفة المحبة لزعمائها لم يُتعب حناجرها الهتافات والحوربات. أما الربع الأخير من العام فكان مليئًا بالأحزان عام الفراق ساعة سُجّي البدن الطاهر.

كانت زعامة أحمد الأسعد حبيسة ورطتين: الورطة الأولى تداعيات المذبحة التي حصلت في ساحة الطيبة، على أثر خلاف مسلح وقع بين رجال أحمد الأسعد ومجموعة من الأهالي في الطيبة قتل خلاله ثلاثة أشخاص وجرح أربعة، منع الأسعد من دخول الطيبة من شباط ١٩٥٣ حتى[(٢)] ١٩٥٨.

(١) الحلقة ست وثلاثين من "هكذا تكلم أحمد الاسعد"، مجلة الشراع، أعدّها الأستاذ سلام الحاج.
(٢) مجلة الشراع، الحلقة الرابعة والعشرون من: "هكذا تكلم أحمد الأسعد".

أما الورطة الثانية فكانت اقتراب موعد الإنتخابات والتي حددت في حزيران ١٩٥٧. ولا أرض تقله لخوض غمار المعركة ولا سماء في الجنوب تظله، ولا أحد يقدر على مساعدته في هذه المعمورة إلا أسرة واحدة أسرة آل عبدالله حتى حلف وارسو لا يستطيع إدخاله إلى الخيام والجنوب حتى لو تكلم مع الرئيس الأمريكي أنذاك أيزنهاور ما إلك في هذه اللحظات إلا أبا سطام...

إلى بلدته الطيبة لا يمكن للزعيم أحمد بك أن يدخلها فكل الأبواب موصدة، إن التدثر بثوب الصبر لا يسكن روعه ولا يهديه إلى صوعه ولا يطول باعه ولا ذراعه إنها سياسة النفي القسري، فالأرض تحت أقدامه أشبه بصفيح ساخن والصدر يغلي كالمرجل، يساوره حلم مزعج هل اقترب الفكاك والفراق مع الزعامة من يقطع سلاسل قيده ويطلق حركته، ارتفعت الجلبة وازداد الزئير وعلا الضجيج هل من منقذ ينقذنا؟ كانوا كلما تورطوا في الطيبة نادوا يا آل عبدالله. اليوم علم آل الأسعد لماذا الجد المرحوم كامل خليل الأسعد تزوج مريم من آل عبدالله (أم البنتين) وكأن لسان حالهم يقول:اشفعي لنا اليوم يا مريم عند أهل بيتك الستي مَن تنبأ بزعامة إبراهيم ..والنار يامريم من حولنا ، ادعي لنا.. يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم الستي أنت عمته ..كان الزعيم إبراهيم العبدالله في السعودية وحده قادر على إقناع والده كي يدخل الأسعد مدخلًا كريمًا وسليمًا، في السياسة الخصومة وسيلة وليست غاية فملحمة الانتخابات تقرع أجراسها،وفي الأسواق ينادي المنادي: اقتربت ساعة الحسم ...يا بلادي لكِ صوتي وصلاتي وحياتي. إن خلع ثوب الإعتكاف والترجل من الصومعة هوالحل، حبس الأنفاس أخذ مأخذه والعيون محلقة بإتجاه خروج البطل بإنتظار مَن يمسح الحزن عن الوجوه، مَن يزيل الخوف من الصدور مَن يضمد الجراح ويمنع إنهيار الهيكل، قرع باب دار أبي سطام وخلف الباب ألف حكاية وحكاية.. ينشدون حلًا، حُمرة الشمس تتسلل من الطاقة الغربية لمجلس أبي سطام وتدق خلفها أجراس المغيب وترسم فوق إحدى جدرانه الشاهدة على كل العصوروالفصول بارقة أمل .. وفسحة من التفاؤل رسمتا عنوانًا للمرحلة القادمة، هل تغلق فوهة البركان وسخام الدخان وتنتصب الأبدان ؟

فاتحه ولده إبراهيم بأمر الزعيم أحمد بك، طالبًا منه الإصغاء، لأن بك الطيبة اليوم بأمس الحاجة إلى أن نقف إلى جانبه ونكون معه ونشد أزره ونأخذ بيده، لقد ضمر غاربه وجف سانمه وتدلى عُرفه ماذا قلت يا أبتاه؟ رفض أبو سطام الوساطة ورفض أن تعود المياه إلى مجاريها قائلاً : من يغرس الشوك فعليه أن يلعقه بلسانه. استطاع ولده أن يرسل الدفء إلى قلبه كما أرسلت شمس نيسان بدفئها إلى الطبيعة، رق قلب أبي سطام للجهود الحثيثة التي بذلها ولده إبراهيم، ووافق على أن

يستقبل الزعيم أحمد الأسعد في دارته بالخيام. تعلم أبو سطام أشياء كثيرة من حياة آبائه وأجداده: فلسفة السياسة ومهارتها، كيف يؤثر بمقدرته الفذة على مجرى الأحداث، و لا لزوم لخصومة لا تجلب نفعًا أو تصنع نصرًا تتناقله الأجيال. أفرج الزعيم علي أفندي عن (البسورد- password) المخصص لفتح باب الدار وبدأت الإستعدادات لإستقبال الزعيم الأسعد، نشاط غير مسبوق كان أبوسطام على رأس مستقبلي الأسعد، وعلى مقربة من داره ما أن نزل الأسعد من سيارته حتى تعانقا عناقًا حارًا فحُمِلا على الأكتاف والهتافات من حولهما تملأ المكان، جماهير غفيرة بايعت الزعيمين التي ضاقت بهم ساحة الدار وبصعوبة وصلا إلى أمام الدار وقبل أن ينزلا عن أكتاف الجماهير وقف الشاعر الشعبي عباس حرقوص المعروف بالحاروفي أمام الحشد وأنشد قائلاً:

أبا سطام البس لها عباتك

وجميع الخلق تتفي بعباتك

والرجال الغانمة دخلت عبيتك

وحطت راسها تحت العتاب

نالت اعجاب الحضور حتى ازدادت في هتافاتها وحورباتها وراحت تردد خلف الشاعر الحاروفي ما قاله. زعل الزعيم أحمد الأسعد وأخذ على خاطره. مما قاله الحاروفي ووجه إليه كلاماً قاسياً واعتبر ذلك إهانة له فبادر أبو سطام قائلاً له: الدار دارك يا بك ونحن ضيوفك ولست أنت المقصود بما قاله الحاروفي. تحولت دار أبي سطام إلى ما يشبه (وكالة ناسا الفضائية) حين أديرت الإنتخابات منها وكان لهذه الدار أن أثرت بمجرى الأحداث وغيرت وجه المنطقة بإعادة الزعامة إلى دار الطيبة. وهكذا حل أحمد الأسعد ضيفًا على أبي سطام لأكثر من شهر مسخرًا له كل ما استطاع وأوتي من قوة ورباط خيل، حتى أتت الإنتخابات أكلها وفاز كامل الأسعد عن دائرة مرجعيون. حقًا إنها أيام عز سوف تبقى بذاكرة الأمة وذاكرة الجماهير المحبة لقادتها، وساطة الزعيم أبو غالب أدخلت الزعيم أحمد الأسعد بيت الزعيم أبي سطام ،حقا إن العين لتدمع ترحل الزعماء وتموت ولكن كلماتهم خالدة إلى قيام الساعة.

مات الزعيم يحيا الزعيم، أبو غالب زعيم بلادنا :

لا تحمل قبعة الزعامة رأسين إلا إذا تنازل أحد الرأسين للآخر، أو توافقا على تبادل القبعة ويبدو التنازل عن القبعة من المستحيلات. وهو ضرب من الخيال ولا حتى تبادلها كان يأتي بالسهل. إما أن أسير أنا الزعيم وانت خلفي زعيم ملحق بزعامتي أوأسير أنا الزعيم لوحدي.

أو أقف أنا الزعيم أتحدث مع الجماهير وأنت زعيم ملحق إلى جانبي توافقني الرأي ، مهما يكن بهزة رأس من الزعيم الملحق توحي بالقبول أو أقف لوحدي. هذه قواعد عقيمة بالنسبة لزعماء آل عبدالله ولا يمكن القبول بها أو التعاطي معها أو الإلتفات إليها، لأن الزعامة لديهم ليست صنيعة انتخابات ولا أن الانتخابات تصنع زعامة، حتى لو أدى ذلك إلى التنازل عن النيابة أو خوض غمارها منفردين مع تأكدهم من عدم الفوز كما حصل في انتخابات ١٩٦٤ ، كل هذ أفضل لديهم من أن تسير عائلة آل عبدالله خلف أي عائلة أخرى. إن دفء المواقد السياسية التي تجمع آل عبدالله وآل الأسعد، كانت جذوة خلاف التزعم تحت رمادها كفيلة بتفريقهم. عندما استقبل الزعيم أبو سطام أحمد الأسعد بعد منعه من دخول الطيبة واضعًا كل إمكانياته ومقدرة شباب أسرته ورجالاتها في مواجهة خصومه، في انتخابات الـ٥٧ حين أمّن الفوز لولده كامل بك لم يكن علي أفندي وقتها نائبًا لكن ألم يكن زعيمًا حينها ؟ ما تشير إليه بعض المحطات التاريخية أن كل البرلمانات في تاريخ العمل النيابي هي من كانت تغازل آل عبدالله وتتمناهم وتريدهم بعكس ما يتوهم البعض، ولكن الذي كان يدفع بزعاماتهم لأن تترشح هو تعدي آل الأسعد على مناطق نفوذهم[١]..فلذلك كان آل عبدالله يتبارون لمنازلتهم انتخابيًا ليس بدافع البحث عن كرسي في البرلمان، دخلوا البرلمان أم لم يدخلوه تبقى لهم الزعامة..وإلا لماذا عندما يختلف آل الأسعد مع الزعيم علي أفندي يلجأون لمرشح آخر من آل عبدالله ..أنا على قناعة بأن حسين أفندي عندما جاء نائبًا عام ١٩٥١م. لم يطلب الكرسي النيابي ليجعل منه زعيمًا فهو من بيت زعامة، والده هو المرحوم خنجر أفندي عبدالله ولكن آل الأسعد تمنوا عليه أن يكون على لائحتهم الإنتخابية. وكفى بعلم هذا الرجل الذي يملأ الخافقين والمشرقين والمغربين وبخططه العملية والعلمية التي نصّبته زعيم علم ومعرفة فلا يَسع علمه الكون فكيف تقيده جدران برلمان (راجع سيرته في هذا الكتاب) لا يأتي أحدٌ ويقول كانت التحالفات تأتي بآل عبدالله. أو الزعيم الفلاني دعمهم لا..لا..لا..هذا وهم واستغباء للعقول هؤلاء قوم تناسلوا الزعامة منذ فجر التاريخ وما الخيام سوى محطة من محطاتهم في الزعامة. عندما رفض علي أفندي طلب الرئيس شمعون بعدم استقبال أحمد الأسعد في دارته في الخيام أليس ذلك نابعٌ من قوة زعامته وشعبيته في المنطقة، لم يخف علي أفندي على كرسي بالٍ صنعه نجار بأن يُسحب من تحته لأن كل تاريخه زعامة وأمجاد زاخرة بالعطاء على مر السنين هؤلاء قوم يرفضون المنة من أحد.

(١) سلام الحاج، مجلة الشراع الحلقة ٣٨، من: "هكذا تكلم أحمد الأسعد".

كان الربع الأخير من عام ١٩٥٧ مليئًا بالأحزان، عام الفراق ساعة سُجّي البدن الطاهر لقد رحل الزعيم أبو سطام وعام الحزن والدموع رحل أبو الأيتام وراعيهم ومحسن الفقراء والمستضعفين ومعين المساكين تاركًا خلفه لمحبيه ولآله ولبلدته الحزن الطويل. يقول سلام الحاج: حين توفي الزعيم علي أفندي العبدالله سنة ١٩٥٧ بعد نجاح كامل بك في الانتخابات النيابية عن مقعد مرجعيون، وخلال مراسم الدفن التي شارك بها كبار السياسيين اللبنانيين من بينهم صائب سلام وممثل لرئيس الجمهورية، تحمس المشيعون وحملوا نجله إبراهيم العبدالله أبو غالب على الأكتاف وبشكل عفوي صاروا يهتفون مات الزعيم يحيا الزعيم.. أبو غالب زعيم بلادنا..حينها امتعضت السيدة أم كامل من هذا الموقف لأنه لا يجوز قول هذه العبارة سوى لزوجها أحمد الأسعد أو ولده كامل وهكذا بدأت بذور الخلاف بين العبدالله والأسعد... لدرجة أن أحمد بك تناسى الخدمات التي قدمها له أبو غالب في انتخابات ال٥٧ وخلال الثورة ورفض ترشيحه في دورة ١٩٦٠ رغم وعوده التي كان قطعها له[١].

يحيا الزعيم قيلت لأحمد الأسعد يقول الدكتور بزي : في آذار سنة ١٩٣٦ توفي الزعيم عبداللطيف الأسعد وشارك جبل عامل كله في تشييعه، حينها ألقى الأديب حسن شرارة خطاباً باسم (الوحدويون) أعلن فيه مبايعة جبل عامل لأحمد الأسعد زعيماً للبلاد ، وقال حرفياً: إننا نجدد العهد للزعيم أحمد بك الأسعد خليفة لوالده عبداللطيف بك الأسعد وقال علي هيدوس ردّته المشهورة:

مـــات الزعيـــم يحيـــا الزعيـــم أحمـــد زعيـــم بـــلادنـــا...[٢]
وكذلـــك: نعلـــن أوامـــر بالبـــلاد أبـــو كامـــل فـــك الحـــداد
هـــوّي الزعيـــم الـــوائـــلـــي إلـــلي عليـــه الاعتمـــاد
هـــوّي خليفـــة مـــن مضـــى مـــن نـهضتـــو انفـــك الحـــداد

تعليق لا بد منه :

مضـــى الأفنـــدي وغـــاب وإسمـــو فـــوق كـــل العتـــاب
لخلفتـــو ابراهيـــم مـــا مـــات وظـــل سيـــداع كـــل البـــلاد

السيدة أم كامل الحاجة فاطمة، لها الحق أن تزعل عندما يهتفون بحياة الزعماء في حضرتها

(١) الحلقة ٣٦ ، سلام الحاج، مجلة الشراع.
(٢) "جبل عامل في محيط العربي"، للدكتور مصطفى بزي، صفحة ٢٧٩.

وحضرة زوجها الزعيم أحمد بك الأسعد وبحضرة ولده الزعيم كامل بك الأسعد، ولأنها هي بنت الزعيم كامل بك ابن الزعيم خليل بك الأسعد امتعضت من الحوربة للزعيم إبراهيم العبدالله.

نقول من دون حماسٍ ونقول من دون تعصب ونقول من دون تحيز... الزعيم إبراهيم العبدالله من حق الجماهير المحتشدة أن تهتف له بالزعامة والمبايعة، في دار اختصر مئات السنين من ممارسة الزعامة والمرجعية السياسية، ولأن ابراهيم العبدالله هو ابن الزعيم علي أفندي وجده الزعيم الحاج إبراهيم ووالد جده الزعيم العظيم أبو علي الحاج حسن أفندي عبدالله وجد جده الأمير محمد بن عبدالله آل عبدالله التنوخي، ووالد جد جده الأمير عبدالله بن الأمير موسى آل عبدالله التنوخي، وعم إبراهيم العبدالله الزعيم الحاج محمد أفندي وعمه الزعيم الحاج خليل وابن عمه الزعيم خنجر عبدالله، وهنا فليعذرني القارئ ولا أبالغ اذا نقلت لكم ما أراه وما أحسه وأعيشه هو بأن كل فرد من بيت العبدالله يحمل شعور بأنه زعيم، فلذلك كان زعماء آل عبدالله في كثير من الأحيان يتوددون لأشخاص ليس من أسرتهم فيساعدونهم ويقفون إلى جانبهم ويدافعون عنهم ويقربونهم إليهم.

ورأيت من المناسب أن أروي هذه الحادثة في سياق ما نتكلم عنه، في الـ ٥٨ كان التنسيق جارٍ على إدخال كامل بك الأسعد إلى منطقة العرقوب لحضور مهرجان خطابي، كان هذا بعد انتخابات الـ ٥٧، وذهب إلى بيروت ليلاً للتنسيق بالأمر مع والد كامل بك الأسعد الزعيم أحمد بك ثلاثة أشخاص على رأسهم المرحوم الوجيه الكبير أبو علي حسن علي فايز عبدالله ومعه شخصان من آل عبدالله، وخلال جلوس الجميع إلى مأدبة أحمد بك الذي كان ينسق مع حسن علي فايز عبدالله كيفية الدخول إلى المنطقة كان أحد الجالسين إلى جانب أبو علي فايز من آل عبدالله قاطع أحمد بك ومصححًا له ما يقوله امتعض أحمد بك وغضب غضبًا شديدًا كيف يصحح له وبهذه الطريقة، رد الأسعد وبسرعة (انت كول ما حدا عم يحكي معك). فما كان من ابن العبدالله الضيف على مأدبة الأسعد أن ضرب الطاولة بيده قائلاً: أنا جيي لهون كرمال أبو علي فايز مش كرمالك ولا جاي أكول عندك نحن شبعانين ببيوتنا ومنوزّع أكل عالعالم يابك.. وإذا ما بتعتذر أنا ماشي من بيتك ولن أدخله ثانية[1]. ولكن تدارك البك بسياسته المعهودة حين التفت إلى ضيفه ضاحكًا كلكون زعمة يا بيت العبدالله، لا كبيركون ولا صغيركون بيتحاكى، ألو الضيف ابن العبدالله: « المشكلة يا بك ما فينا صغار، قال الأسعد: مبين والله يا عمي ». سلسلة الزعامة والوجاهة له أولها هنا وآخرها عند أبو البشر آدم عليه السلام. إن لقب الإمارة وصفة الأمير كانت سائدة في ذرية الأمير موسى آل عبدالله

(١) مَنْ كان بصحبة أبو علي فايز وتلاسن مع أحمد الأسعد، هو المرحوم الحاج حسن علي أسعد عبدالله.

التنوخي وانتقلت إلى ولده عبدالله ومنه إلى ولده محمد ومنه إلى ولده حسن، ولكن مع الزمن تلقبوا بالأفندية كما كان العثمانيون يلقبون أنفسهم، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب، ما كانت تملكه المرحومة الحاجة فاطمة من جرأة وشجاعة يعود إلى أن والدتها من بيت العبدالله هي المرحومة الحاجة مريم بنت الحاج حسن عبدالله، لأن جرأة الحاجة فاطمة تفوقت على عقيلات آل الأسعد جميعًا فكانت سياسية بامتياز تشارك زوجها وولده السياسة وفي بعض الأحيان تفرض من تراه مناسبًا للائحة انتخابية. ولا ننسى بأن آل عبدالله هم الذين نجوا ولده كامل بك رحمه الله من الموت المؤكد عندما ابعدوا الرصاصات عن رأسه عام ١٩٥٨ في كمين مسلح قرب النبطية، يومها أم كامل لعنت السياسه[1]، وكذلك والدها عندما طلب من الحاج محمد أفندي مساعدته في استرجاع ما فقده من تجارته عندما وقعت قافلته في كمين ناحية حوران. والكثير الكثير من الروايات التي تعبنا من ذكرها وشرحها وتكرارها في الكتاب ولن تنتهي، ونقول قولاً أخيراً رحمهم الله جميعاً مضوا وبقيت قصصهم وأعمالهم خالدة. إنّ ما جمعناه عن ألسنة الناس كتبناه عن حسن نية وما قلناه بنبرة حماسية كذلك عن حسن نية، مع مرور الوقت سوف تتحول قصصهم إلى رصيد ثقافي ومعرفي، نسأل الله تعالى أن ينفع به الأجيال القادمة في زمن غلُب عليه التعليب السياسي. ما أرقى أن نختلف ولكن دون أي ضغينة وكراهية.

إبراهيم علي افندي العبدالله رجل المهمات الصعبة :

منسق بين المقاومة وقاداتها.. ووساطة بين الأسعدين..

إن المصالحة التاريخية التي نجح بها النائب إبراهيم العبدالله بين والده علي أفندي العبدالله وأحمد بك الأسعد كانت منعطفًا تاريخيًا، أكدت على زخم وحضور الزعامة الحيوية لآل عبدالله التي استطاعت ان تؤكد القيمة الحقيقية لمعنى وجودها في الماضي والحاضر، التي يصعب تجاوزها أو اقصاء دورها من المعادلة الجنوبية مهما كانت الظروف، أسرة لعبت دورًا سياسيًا في منطقة جبل عامل لا يقل عن ثلاث مئة سنة إذا ما أخذنا تاريخ استقرارها في الخيام، حكمة إلهية شاءت لهذه المنطقة بكل ما تحمله من صراعات أن يهب الله لها قوة تضاف إلى قوتها قوة ومناعة وتحصين. يقول

(١) جاء في الحلقة الـ ٣٨ في مجلة الشراع اللبنانية، ضمن حلقات "هكذا تكلم أحمد الأسعد": حين تعرض كامل بك الأسعد لمحاولة اغتيال على طريق كفروة، خلال الدورة الإنتخابية التي سبقت ثورة الـ ١٩٥٨، اتُّهم بتدبيرها رضا التامر وحسن بك الأسعد. أعلنت السيدة أم كامل عن عزمها إعلان انسحاب نجلها كامل من الانتخابات قائلة لبعض المقربين إليها: "الله يلعن السياسية والنيابة اذا كان ثمنها حياة ابني".

سلام الحاج في الشراع: أن أهم العائلات في بلدة الخيام وأكثرها نفوذا ووجاهة هم آل عبدالله وأن عدد أصواتهم الانتخابية اليوم يزيد عن الثلاثة آلاف صوت.

في أيامنا هذه بالتأكيد ننظر بعين الرضا والمحبة إلى القوى الفاعلة على الأرض في الخيام والجوار، على دورها المساند لمؤسسات الدولة اللبنانية في ترسيخ الأمن والاستقرار وحماية السلم الأهلي في كل مناطق الجنوب، ودرء خطر الصهاينة وتحطيم تبجحهم وكبريائهم وصلفهم وعجرفتهم حتى أضحينا تحت مظلة معادلة منحت الجميع شعورًا بالكبرياء والنصر على يد المقاومين الشرفاء. عامًا بعد عام أدى تراكم الخيبات السياسية في لبنان إلى أن وصلت في عهد الرئيس شمعون والمعارضين له إلى مرحلة الصدام المسلح، فاتسعت لتتحول إلى ثورة في أكثر المناطق اللبنانية ضد حكم شمعون، في أيار من العام نفسه وقد لجأ بعض من قادة الثورة إلى سوريا التي وقعت مع مصر ميثاق الوحدة ضمن دولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة، التي كانت تدعم الثوار وسط هذا الوضع المتأزم وحدة الصراع الذي وصل إلى أعلى درجات التأزم كان للنائب إبراهيم العبدالله دورٌ بارزٌ ومحوريٌّ، وكان محاورًا من الطراز الأول، رجل يعتمد عليه وأثبت حضورًا كان مميزًا وناجحاً يتابع (سلام الحاج في الشراع): حين اندلعت ثورة ١٩٥٨ ضد الرئيس كميل شمعون توجه الرئيس أحمد الأسعد إلى الشام ومن هناك إلى بانياس، وشغل النائب إبراهيم العبدالله منصب الموفد الخاص بين المعارضة في لبنان وقادتها في الشام، وكان صلة الوصل بين المقاومة الشعبية في لبنان وأحمد بك، وهذه المهمة الخطيرة التي لعبها العبدالله قرّبته من أحمد بك وجعلته موضع ثقته بالنظر إلى خطورة مهمته والتفاصيل الدقيقة التي كان ينقلها إليه، واستطاع النائب إبراهيم العبدالله بما يملكه من خبرة سياسية وعلاقات أن يهيىء لحوار بين المختلفين وينجح في مهمة عجز الكثيرون عن القيام بها.

يقول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهنَّد

كانت تُفسَّر العلاقة بين النائب إبراهيم العبدالله وأسعد الأسعد على أنها موقف سياسي معاد لأحمد بك الأسعد وولده كامل، والسيدة أم كامل الحاجة فاطمة بنت كامل بك الأسعد الأول، المرأة العاملية القوية بشخصيتها، المميزة بمواقفها الشجاعة التي كان لها دورًا مؤثرًا على مجرى الأحداث السياسية ليس فقط في دوائر بكوات الطيبة بل في سياسة لبنان.

أراد إبراهيم العبدالله بعد المصالحة في الخيام أن يهيئ الأجواء الإنتخابية ويمهد لخوض

انتخابات الـ٦٠ بنفس مرتاح، دون خصومة وتحالفات تؤدي إلى انقسام سياسي، هذا الذي أراده النائب العبدالله من مهمته التي كانت مستحيلة لأن خصام الأهل وخصام القرابة من أشد أنواع الخصومات. ومن قول شاعر يكون الكلام كأنه جرى على لسان الوسيط الهام:

ألم يأتك والأنباء تترى — بما لاقت قرابة بني الأسعد
وصيتها على اللسان تنمي — تنكيس رايات حداد
وكانت إذا ابتليت الدار بخصام — دلفت له أحزان الفؤاد
فإن يك خصامكم أمسى — عداوة فإني لم أكن ممن جساها
ولكن مطلع شأم نارها — وحشو نارها لمن اصطلاها
فإني غير خاذلكم بمسعى — سأسعى حتى إذا بلغ الطريق مداها

حتى في ثورة الـ ٥٨كانت وساطة إبراهيم العبدالله ذات فعالية وأتت بنتائج قد أسهمت بحلحلة الوضع هنا، اختلف المشهد وبقي الخلاف، يروي لنا سلام الحاج في مذكراته يقول: حين وقع الخلاف بين السيدة أم كامل وكامل من جهة، وصهرهما أسعد الأسعد وكان مديرًا عامًا في وزارة الأنباء، وهذا المنصب يعد من أهم المراكز السياسية. توجه النائب إبراهيم العبدالله لزيارة صديقه كامل بك الذي بعد أن أجلسه إلى جانبه ورحّب به عاتبه ولامه على استمرار صلاته بأسعد الأسعد. عندها قال العبدالله: يابك عندما تتقاتل مع أسعد الأسعد قتالًا سياسيًا فأنا بالتأكيد سأكون إلى جانبك وفي صفك، أما إذا كان الخصام شخصيًا وعائليًا فما ذنبي. وآنذاك كان أسعد الأسعد قد طلب من صديقه إبراهيم العبدالله أن يتوسط لحل الخلاف العائلي وعودة الأمور إلى ما كانت عليه، ولكن كامل بك والسيدة أم كامل أبيا المصالحة.حين فشلت الوساطة التي قام بها النائب إبراهيم العبدالله لأجل مصالحة أسعد الأسعد وكامل بك الأسعد، توجه العبدالله لزيارة أحمد بك بغية إطلاعه على تفاصيل اللقاء بينه وبين ابنه كامل بك الأسعد، فما كان من أحمد بك إلا أن قال : شو إلو كامل عندي أكثر مما إلك أنت عندي ... بس أنا خايف عليك من أسعد الأسعد يدهيلك بعقلك مثل داهش ويؤثر عليك، استاء العبدالله من كلام البك وعلق قائلًا :أنا أعرف أن أسعد الأسعد من أشد المخلصين والوفيين لكم... ثم خرج من اللقاء دون أن يحرز أي تقدم في شأن الوساطة، بقيت علاقة إبراهيم العبدالله الطيبة والمميزة مع أسعد الأسعد هي الحجة التي اتخذها آل الأسعد في خلافهم السياسي معه[1].

(١) الحلقة ٣٦ من "هكذا تكلم أحمد الأسعد"، سلام الحاج، مجلة الشراع.

رغب بكوات الطيبة أن يميلوا إبراهيم العبدالله إلى جانبهم وصفهم، وذلك لقوة زعامته وشعبيته يلقنوا النائب أسعد الأسعد درسًا في سياسة العزل عندما رفضوا وساطة العبدالله في الصلح مع سعد الأسعد.. على ما يبدو أن غرض بكوات آل الأسعد أن يجعلوا من أسعد الأسعد عبرة لآخرين على الطريقة الأليزابيثية: (تقول الحكايات أن الملكة اليزابيث الأولى كانت تشنق أميرًا من ين لآخر ليتعظ الآخرون، فهل وقع الاختيار على أسعد الأسعد ليساق إلى المشنقة السياسية من جل ثني الآخرين وإسكاتهم وإسكات معارضتهم؟ كان العبدالله يرى رغبة صادقة لدى صديقه سعد الأسعد الذي لم يغل يدًا في الصلح، ولكن كما ذكرنا كانت علاقة إبراهيم العبدالله الطيبة المميزة مع أسعد الأسعد هي الحجة التي اتخذها آل الأسعد في خلافهم السياسي معه بعد تراكمات مواقف ساخنة أبداها، لقد أبدى إبراهيم العبدالله رغبة في رأب الصدع وتجاوب تجاوبًا منقطع ظير لحلحلة الخلافات، لكن تجري الريح بما لا تشتهي السفن، أثبت إبراهيم العبدالله بأنه سياسي ن الطراز الأول وذو باع طويل وبلغ الغاية ولم يدخر وسعًا في محاولاته الحثيثة، حتى نال فيضًا من سوات الثناء ما لم يَنَلْهُ آخر وملأ ما بين الحمراوين أي ما بين المشرق والمغرب.

لى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ولقد استنفذ كل ما يملك من وقت وطاقة وبقي على الأبواب مفتوحة ومشرّعة على الصلح قريب وجهات النظر، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن والباب الذي يأتي منه الريح إغلاقه سبح ضرورة حتمية، اقتربت انتخابات الـ٦٠ وذهبت الوعود والوفاق بين العبدالله والأسعد لم د ممكنًا التواصل إلى ما لانهاية، حتى بدا كأن رياح كوانين وغيومه تكدر صفاء سماء العلاقات هم غيوم سوداء فبرق ورعد وكان الطلاق هذه المرة طلاقًا بائنًا بينونة كبرى. رفض بكوات يبة ملاقات إبراهيم العبدالله في منتصف الطريق مع صديقه أسعد الأسعد حتى كان الفراق بير، فحنثوا بوعدهم وعهدهم لدرجة أن أحمد بك تناسى الخدمات التي قدمها له أبو غالب الد أبي غالب في انتخابات الـ ٥٧ وخلال الثورة في الـ ٥٨، ورفض الأسعد التعاون في ترشيح اهيم العبدالله في دورة ١٩٦٠ رغم وعوده التي كان قطعها له أن يسيرا في لائحة واحدة فكانت وط الأسعد غير مقبولة لدى العبدالله.

إبراهيم علي أفندي العبدالله: سأمحو أسطورة آل الأسعد في الجنوب:
كشف المؤامرة قبل الانتخابات .. العبدالله لبزي وشهاب: "لن تريا الفوز بدوني.."

شُحذت الصماصم واستنفرت كبرى العواصم وتقاسمت القواسم ولا ترى فيها عاصم ولا باسم. اشتدت الرياح وجهزت البطاح لساعة النطاح، ولاحت الرماح وهيىء السلاح وما أكثر الجراح والقوم ينادي حي على الفلاح مَن يرتدي اليوم الوشاح. كان نزالًا قويًا استنفرت الأسرتين كل إمكاناتها وكانت إنتخابات الـ٦٠ الأكثر حدة، وتحدي بين الأسرتين عبر كل تاريخها وكانت تعبئة الجماهير على الضفتين في مجلس الـ ٩٩ وهو العاشر، وحددت الانتخابات في مطلع الصيف من عام ١٩٦٠ قبل موعد الانتخابات بشهرين، كان للنائب إبراهيم العبدالله ومضات جريئة حين اشتدت حمى التصريحات، وتعالت الصيحات وكان أكثرها قسوة تصريح إبراهيم العبدالله أبو غالب :سأمحو أسطورة آل الأسعد في الجنوب[(١)]، وهو مؤمن من أن هذا التصريح سيجر عليه نقمة آل الأسعد، كان لهذا التصريح آثار نفسية وعكسية وما أكبرها من رَزيّة، وبالفعل أزعج هذا التصريح الزعيم أحمد الأسعد وولده كامل بك الأسعد، حيث لم يسبق وأن تجرأ أحدٌ وهدد بمحو تاريخهم في الجنوب، ويذكر بأن الزعيم أحمد الأسعد كان يحمل المجلة التي فيها تصريح الزعيم العبدالله ويردده على مسامع الناس، وبقيت مفاعيل المقالة المثيرة للجدل ليس في أوساط آل الأسعد بل في المحيط السياسي. كان نصرًا تاريخيًا بالنسبة لآل عبدالله في دائرة مرجعيون عندما خسر كامل بك الأسعد وفاز من لائحته أسعد بيوض وفاز إبراهيم العبدالله ومن لائحته علي بزي وخالد شهاب، وبقيت حلقات الدبكة والحداء والحوربة في دارة إبراهيم العبدالله حتى مطلع الفجر وليال عشر. يقول سلام الحاج في مجلة الشراع: إثر نشوب الخلاف السياسي بين الرئيس الأسعد والنائب إبراهيم العبدالله عام ١٩٦٠، وقيام هذا الأخير بإعلان ترشيحه في منطقة مرجعيون وتشكيل لائحة انتخابية منافسة للائحة كامل بك الأسعد، تضم كلًا من علي بزي وزير الداخلية الذي نقل ترشيحه من بنت جبيل إلى مرجعيون والأمير خالد شهاب.

اجتمع العبدالله بمخاتير ووجهاء القرى المؤيدة له فأبلغوه بأن تعليمات صارمة وجهت إليهم من المكتب الثاني وتحديدًا من أنطوان سعد لشطب اسم العبدالله من الليستة والإبقاء فقط على اسمي المرشحين المير خالد وعلي بزي يضاف إليهما اسم كامل الأسعد، غضب العبدالله من المؤامرة

---

(١) الحلقة ٣٦ من "هكذا تكلم أحمد الأسعد"، سلام الحاج، مجلة الشراع.

التي تحاك ضده وتوجه لفوره إلى بيروت، حيث عقد اجتماعًا سريعًا مع الميرخالد وعلي بزي. أبلغهما خلاله المعلومات التي جاءته من المخاتير. وحين نفى علي بزي صحة هذه الأخبار قال له العبدالله: يا أبو هاني من الذي ألف الليستة ويعمل جهده في تأمين فوزكما؟ لا أحد يعرفكما في المنطقة وبدوني لن تريا النجاح ولن تعرفا الفوز، أرجو إبلاغ ذلك للمكتب الثاني كي لا يتواطأ ضدي. قال له علي بزي: معاذ الله. أنت تتحدث عن مؤامرة لشطب اسمك إنها معلومات خاطئة حتما فكيف تصدقها أجابه العبدالله: اذًا سأنتظر حتى يوم غد سأرى وأراقب تحركات المكتب الثاني، وإذا تبين لي أنه يعمل ضدي سأنسحب من الليستة وأخوض معركتي منفردًا، وأعتقد بأنني لست بحاجة لمساعدة المكتب الثاني كي أؤمن فوزي أما أنتما فتدبرا أمركما. وهكذا انتهى الاجتماع بأن تعهد المرشحان بتدبير الأمر مع المكتب الثاني وبذلك تأمن فوز الليستة. أما عن قصة عدم ترشيح العبدالله في الانتخابات النيابية عام ١٩٦٠ إلى جانب آل الأسعد كانوا يرون في ذلك خطرًا على زعامة كامل بك. وعندما اتخذ إبراهيم العبدالله قراره بترشيح نفسه عن مرجعيون ضد كامل بك لم يكن قد اقترح مرشحًا آخر معه، لأن أحدًا لم يتجرأ على طرح اسمه ضد كامل بك الأسعد. وذلك قبل أن تكتمل ليستة العبدالله، وقد خرج إبراهيم العبدالله بطلًا منتصرًا لا أحد يضاهيه في نفوذه الشعبي بعد ثورة ١٩٥٨. حتى أن علي بزي وزير الداخلية خصم آل الأسعد التاريخي صار يضايق أنصار إبراهيم العبدالله لأنه نشر تصريحًا صحفيًا قال فيه: قبل المعركة الانتخابية بشهرين سأمحو أسطورة آل الأسعد في الجنوب. أما قصة علي بزي وترشحه على ليستة إبراهيم العبدالله ...يفاجأ أبو غالب ذات يوم بإتصال من علي بزي يطلب فيه لقائه على وجه السرعة في مقهى (دبيبو) الروشة. وحين تم اللقاء قال بزي: أنا وزير داخلية والتقارير عن سير معركتك الانتخابية في مرجعيون تردني بشكل يومي، ويبدو لي بأن الأمور سائرة على أفضل حال معك، قاطعه أبو غالب قائلًا: بفضلك يا معالي الوزير (وكان يغمز من قناة مضايقة علي بزي لرجاله في المعركة الانتخابية).

قال بزي: هل تأخذني معك؟

أجابه أبو غالب: يا أبو هاني ليس الوقت للمزح.

علي بزي: أنا بحكي جد.

أبو غالب: لماذا لا تترشح عن بنت جبيل؟

فقال بزي: يقاتلني الأسعد هناك .

وهكذا نقل بزي ترشيحه من بنت جبيل إلى مرجعيون، وكان مع العبدالله في اللائحة علي بزي واسكندر غبريل والمير خالد شهاب، هذا فيما في الليستة المعادية أي لائحة كامل بك ترشح معه أسعد بيوض. ويذكر ان فارق الأصوات بين كامل بك وإبراهيم العبدالله وصل إلى قرابة ١٧٠٠ صوت[١].

المرحوم النائب إبراهيم العبدالله يخطب خلال إحتفال إنتخابي عام ١٩٦٤ في كفركلا
ويظهر إلى جانبه حسن الأسعد

إنتخابات الـ ٦٤ و٦٨ خسارة تتحول إلى نصر :

لقد اعتقد الكثيرون بأن انتخابات ال٦٠ هي الأخيرة وسوف يعتزل إبراهيم العبدالله بعد الضربة الانتخابية القاضية و الموجعة لبك الطيبة كامل الأسعد، إلا أنه تابع بنفس النفس والزخم. هذا ونأى إبراهيم العبدالله عن أي تحالف يعيد علاقاته الانتخابية مع آل الأسعد وفضل أن يخوض المعارك الانتخابية عامي الـ ٦٤ الـ٦٨م. بتحالفات كانت أقرب إلى صديقه أسعد الأسعد، وكانت انتخابات الـ٦٤ لاتقل ضراوة عن سابقاتها، وإن أدت إلى خسارته للمقعد النيابي، لكن لم يخسر زعامة زمنية ومكانية وشعبية لا نظير لها. فإن مجموع الأصوات التي حصل عليها تعتبر نصرًا أدبيًا رغم التحديات العديدة المختلفة منها السياسية والاقتصادية.. جاء في مجلة الشراع: أنه في عام ١٩٦٤ ترشح إبراهيم العبدالله مع أسعد الأسعد ضد كامل الأسعد وفشل في الانتخابات النيابية

(١) الحلقة ٣٦ ـ ٣٧ من مذكرات سلام الحاج، مجلة الشراع .

بفارق تسعين صوتًا، بعده التقى العبدالله مدير الأمن العام توفيق الجلبوط وبعض جماعة المكتب الثاني من الذين عملوا جهدهم لدعم كامل الأسعد فقالوا له: كنا نظن بأن فارق الأصوات بينك وبين كامل الأسعد لن يقل عن الستة آلاف صوت، ولكن تبين أن قوتنا وقوة كامل بك جعلتنا نفوز عليك بـ٩٠صوتاً، لجأ آل الأسعد إلى دعم مرشح آخر من آل عبدالله بوجه إبراهيم أفندي عبدالله نذكر على سبيل المثال ممدوح العبدالله الذي رشحه كامل بك عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ ليقسّم وحدة العائلة ومن الجدير ذكره أن إبراهيم العبدالله اعتمد نهج آل الأسعد السياسي في المعارك الانتخابية إذ عمد إلى ترشيح أسعد الأسعد خصم كامل بك الأسعد معه في دورتي ١٩٦٤ـ١٩٦٨ النيابيتين ردًا على ترشيح كامل بك لممدوح العبدالله[١].

خاتمة القول:

أقول لقد بقيت أسرة آل عبدالله ممثلة في البرلمان في عامي ١٩٦٤ و١٩٦٨ بأفندي آخر وابن زعيم آخر هو النائب ممدوح العبدالله ابن الزعيم خنجر أفندي عبدالله. حتى وإن ترشح أكثر من واحد من أسرة آل عبدالله فالأسرة العظيمة يكثر فيها رجال عظماء وسادة وزعماء ووجهاء بارزون ونواب. والتنافس السياسي مطلوب وصحي وحضاري وكما يقال الاختلاف في الرأي ...لا يفسد للود قضية.

في عام ١٩٩٥ ذكرت مجلة الشراع بأن عدد أصوات آل عبدالله ثلاثة آلاف صوت انتخابي، هذه الثلاثة آلاف صوت مضروبة باثنين ونصف[٢] النتيجة هي ٧٥٠٠ فرد[٣] عدد أسرة آل عبدالله التي يجمعها جد واحد فقط لاغير. صلوا على محمد وآل محمد .. فهل يا ترى يوجد بين الأسر ما يجمع من صفات قرابة الرحم مثل مايجمع بين أبناء آل عبدالله؟ هل ياترى هناك أسر كل ما التقى أبناءها ينادون بعضهم بعضا (يا ابن العم) إلا يحق لهذه الأسرة (أم الأسر الخيامية) أن تفاخر سائر الأسر وفي كل تاريخها بين العرب والعجم هل كان هناك أعظم منها شأناً؟ يقول الشاعر:

رجـال لهـم بيـن الأسـود مهابـة ... تخافهـم خـوف الـورى أسد القفـر
أماجـد صيـد مـن كـرام الوجـود مـن ... عشائـر لبـنـان أُلـي النّهـي والأمر

(١) المصدر السابق.
(٢) معادلة يفترضها الديمغرافيون بأن عدد السكان هو حاصل ضرب ٢,٥ المنتخبين من إجمالي السكان، التي تختلف بين المناطق باختلاف معدلات الخصوبة = أقضية لبنان الخصائص السكانية ـ قضاء مرجعيون ـ إعداد مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية.
(٣) حسب المؤشرات بالنسبة لعدد الأصوات الانتخابية، تحتاج إلى تأكيد من مراجع مختصة.

قصيدة للشاعر محمد سعيد الحاج مصطفى العبدالله التنوخي
يرثي فيها عميد آل عبدالله الراحل النائب إبراهيم العبدالله

رثاء عميد آل عبدالله[(١)]

سئمت مـن الأحــزان والـصـبر دائـماً ... ومـن نكبات الـدّهـر في الـولـد والأهـل
فكم طعنـةٍ نجلاء في القلب عشتهـا ... ولا أحــد غيـــري تحمّلهـــا قبلـي
ولكـــن بهـــذا اليـــوم فيـــه تحطمـــت ... قلاعـــي ونـــار الحـــزن في مهجتـي تغلي
فما جـفّ دمـع الأمس حتـى تهافتـت ... علينـا المنايـا جمرهـا اليوم نصطلـي
أبـا غالـــب أسرعت في البعـــد تاركًـــا ... قلـــوب الـــورى صرعـى ممزقـــة الشمل
إلـى جنـة الرحمـن أسرعـت بالخطى ... لتحظـى بسكـان الجنـان من الأهـل
فقدنـــاك لكن لـــم تـــزل في قلوبنـــا ... مـــدى العمـــر عنوان الشهامـة والنبـل
فإن ننسى لـــن ننساك يـــوم كريهـــة ... تحقـق نصـــرًا مـن جنوبٍ وشمـــأل
تركـت لـــنـــا الابـــن الوحيـــد مناضـــلاً ... ليتخلـــف كـــل المجـــد عـــن جده علي
سأبكيـــك يابـــن العـــم حرقـــة والـــه ... علـى فقـده أهـــل السماحة والفضـــل
ســـلام علـــى الدنيـــا فلســـت سعيدها ... ولا أمـــل فيهـــا لمنتكـــب مثلـــي

---

(١) ديوان "آلام وخواطر"، للشاعر محمد سعيد العبدالله التنوخي، صفحة ٧٤. تحت عنوان: ابن العم النائب إبراهيم عبد الله.

الحاج علي ممدوح بن خنجر
الحاج حسين عبدالله
(١٩٣٢-٢٠٠٨ م)

من مواليد: عام ١٩٣٢م في الخيام - مرجعيون زعيمٌ من زعماء آل عبدالله وسياسيٌ صاحب الدبلوماسية الهادئة والشأن الرفيع وعلم وافر، مجاز بالعلوم السياسية من جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية مارس العمل السياسي فأثبت بأنه زعيم سياسي ووجيه من وجهاء جبل عامل في جنوب لبنان تألق في فترة الستينات والسبعينات، فتم تعيينه أمينًا لسر وزارة البريد والبرق والهاتف (١٩٥٧ - ١٩٦١م) فإلى جانب العمل السياسي حفزه نشاطه وما يملك من حيوية الشباب وروح المغامرة، سافر إلى ليبيريا-أفريقيا وعمل في التجارة (١٩٦١ - ١٩٦٤م) فكان من المغتربين اللبنانيين الناجحين في العمل التجاري، ويبقى العمل السياسي يسري كالدم في عروق الكثيرين من أبناء أسرة آل عبدالله، ففي مجلس الـ ٩٩ وهو الحادي عشر كان تعاون بين ممدوح العبدالله وكامل بك الأسعد في دورتين انتخابيتين فكان نائبًا عن منطقة مرجعيون بين عامي (٦٤-١٩٦٨م) و(٦٨-١٩٧٢م). وتوسع في علاقاته وكان مؤسس وأول رئيس للجنة الصداقة البرلمانية الكورية اللبنانية، ضمن الدبلماسية التي أظهر فيها نجاحًا فائقًا وهو مقرر لجنة الزراعة البرلمانية (٦٤ - ١٩٦٥م) ومن الزراعة إلى الإقتصاد فكان ضمن اللجنة الاقتصادية فكان عضوًا في لجنة الاقتصاد البرلمانية (٦٥ - ١٩٦٦م) وبقي مقرر لجنة الزراعة البرلمانية (٦٦ - ١٩٦٧م) حتى اختياره عضو لجنة في التصميم البرلمانية (٦٧ - ١٩٦٨م) والزراعية والأشغال حتى عام ١٩٧٢م. بعدها انتقل إلى العمل في مجال التجارة والأعمال بأبوظبي / الإمارات (٧٢- ١٩٧٥م) وفي باريس حتى عام ١٩٨٢م.وانتقل ليكون مستشارًا في مكتب جامعة الدول العربية بباريس / فرنسا (٨٢ - ١٩٨٦م)ومستشارسفارة الإمارات في باريس / فرنسا (٨٦ - ١٩٩٠م) حتى ترشح منفردًا متحديًا المحادل الانتخابية عام ١٩٩٢م) ولم يحالفه الحظ اعتزل العمل السياسي وعاد لبيئة الأعمال بين لبنان وفرنسا والإمارات.

حياته العائلية :

تزوج من الحاجة وجيهة بنت محمد الحاج ضاهرعجمي من بلدة أرنون.

أنجب منها ندى (١٩٥٩م) وخنجر (١٩٦١م) والدكتور كامل (١٩٦٤م) وبلال (١٩٦٩م

توفي بتاريخ (١٩/ ١٢/ ٢٠٠٨م) عن عمر (٧٦) عاما ودفن في بلدته الخيام..

ممدوح العبدالله سيرة العائد :

تستهويك شخصية ممدوح العبدالله لن تغيب بصماته القوية في السياسة وهو صاحب دورتين انتخابيتين دورة الـ٦٤ ودورة الـ٦٨، يطل اسمه ليجدد في النفس محبّة واحترامًا وشغفًا إلى شخصية تميّزت، بالتواضع هذه السمة الجميلة هي المحببة إلى القلوب إلى جانب مقامه الأخلاقي الشامخ والسيرة الطيبة ، أينما حل في بلاد الاغتراب كان على الدوام يسعى إلى زيارة النّاس والاطمئنان عليهم ومن لا يستطع زيارته كان يرغب أن يحادثه هاتفيًا. كان بذلك يزداد قربًا إلى الناس وإلى قلوب أهله وأبناء بلدته، تلك هي شخصية أبي خنجر الذي خرج من أعماق الجنوب اللبناني من بلدة الخيام الصامدة برجالاتها يحمل هذه القيم الإنسانية والخصال الأخلاقية، من تواضع وعلو في النفس ونبل وكرم، ليعلن للعالم كله وإلى كل من رآه في هذه الرحلة الاغترابية الطويلة عن مدى ما في بلدنا ووطننا وعائلتنا من رجال أفذاذ، اقتحموا أسوار هذه الحياة متسلحين بالعلم والمعرفة والقيم النبيلة محطمين عوائقها بهمة عالية وقامة مرفوعة تناطح البواسق وتضيء الغواسق، يخطون إبداعاتهم بفخر واعتزاز ويرسمون نجاحاتهم على وجوه الكواكب. كانت رحلته طويلة وطويلة بقدر نجاحاته الكثيرة الكثيرة، التي استمرت عطاءاتها لأكثر من أربعة عقود على كافة الأصعدة من العمل الأكاديمي إلى العمل السياسي إلى العمل التجاري، كلها كانت تجري بصدق وإخلاص وأمانة إلى أن اشتاقت الارض إلى ابي خنجر وحنت لرؤيته الأجفان التعبة، فعاد فوق الأكف جسدًا طاهرًا أما تلك الديار فقد حنت مقاعدها لجلساته وحكاياته، فعاد أبو خنجر فوق أكف المحبين ومواكب المخلصين وحشود المبايعين عاد كالطود العظيم العصي على الاستسلام، عاد كالفرقد الذي لا تحجبه السحب والشمس التي لا تغيب فعانق جسده الطاهر رحم الأرض أرض الأجداد والأحباب..رحم الله أبا خُنجر ممدوح العبدالله..

النائب علي الحاج خليل العبدالله
(١٩١٦-١٩٩٨ م)

النائب علي العبدالله (١٩١٦-١٩٩٨ م) أنهى دراسته المتوسطة في مدرسة مرجعيون العالية وتابع دراسته القانونية في مدرسة الأخوة الفرير في صيدا ثم في مدرسة الحكمة بيروت.

عمل كاتبًا في وزارة البرق والبريد ثم محاسبًا في المجلس النيابي اللبناني، حيث تخصص في المحاسبة والتجارة. ولقد رافق كرئيس لمصلحة المحاسبة في المجلس النيابي الرؤساء صبري حماده وأحمد الأسعد وعادل عسيران، فكان بدبلوماسيته الهادئه مقربًا منهم جميعًا على تباين سياستهم اللبنانية والإقليمية.

بعد وفاة والده المرحوم الحاج خليل عبدالله تولى مسؤولية البيت المفتوح في الخيام إضافة إلى بيته المفتوح في بيروت. صاحب مشروع تحويل مياه الوزاني الذي خطط له وأشرف على تنفيذه المهندس الوزير سليم لحود . كما زار هذا المشروع أكثر من مرة العميد ريمون إده كونه مشروعًا وطنيًا كبيرًا.

ترشح للمقعد النيابي عن منطقة مرجعيون حاصبيا سنة ١٩٧٢ على لائحة الرئيس كامل الأسعد وفاز به[١] . شغل رئاسة اللجنة الزراعية طيلة مدة نيابته حتى سنة ١٩٩٢ .

كان في سياسته اللبنانية والاقليمية من المؤمنين بلبنان الواحد كما كان من مؤيدي العلاقات المميزة مع الشقيقة سوريا.كان يؤمن بالحوار ويكره العنف ووسيلته المفضلة لكسب الصداقات والتخفيف من حدة العداوات الكلمة الحلوة والابتسامةالدائمة.لم يتوان عن تقديم كل دعم لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان ووضع البلد على طريق السلم وإعادة الإعمار، فكان ضمن البرلمانيين اللبنانيين الموقعين على اتفاق الطائف في ٢٢تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩م في المملكة العربية السعودية وذلك لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية.

وسنة ١٩٤١ صاهر آل درويش من العائلات الجنوبية العريقة، وكانت قرينته السيدة بسيمة

(١) دخل البرلمان النيابي في انتخابات ١٩٧٢، وبقي فيه إلى سنة ١٩٩٢م.

الدرويش خير عون له في تدعيم مركزه الاجتماعي والسياسي ولقد أنجبا أولاد هم:الإداري بسام ورجل الأعمال عصام والمهندس خليل والدكتور جهاد والسيدة الجامعيه حياة المتزوجة من ابن عمها رجل الأعمال المعروف الحاج محمد علي عبدالله(١).

النائب علي العبدالله : الأصالة والوفاء

كانت دارته في الخيام شاهدة على انتخابات عام ٧٢ حين فاز عن مقعد دائرة مرجعيون، إلى جانب كامل بك الأسعد ورائف سمارة ومنيف الخطيب. قرابة العشرين سنة كانت مدة نيابته من ٣ أيار ١٩٧٢ حتى أيار ١٩٩١ وقرابة الخمس سنوات فقط من عمر نيابته قضاها في الخيام قبل أن تهجر على يد المليشيات المدعومة من إسرائيل. كثر الذين شاركوا النائب العبدالله ابتهاجه وفرحته بالفوز، كان لصدى الأهازيج الشعبية وحلقات الدبكة أن تأتي بالناس من كل حدب وصوب للخيام والجوار، لم يكن النائب علي العبدالله سوى نموذج ومثل رائع في اللباقة واللياقة والأخلاق، كان ينحني ويهمس إلى كل من يقابله بالشكر والعرفان والتقدير على ما لقيه من محبة في قلوب الخياميين ترجم توافدًا إلى دارته، من طينة هذه الأرض الطيبة وأصالة معدنها وتاريخها ونضالاتها صيغت هذه الشخصيات، لا نفرق اليوم عن أمس فاليوم بعزه يوقظ الأمس ويمسح عن جبينه عطر الأمجاد، أمجاد تخطو من ثنايا هذه الدار وتقص علينا من حكايات الأجداد وبطولاتهم وصهوة جيادهم فوارس الليل والنهار، ومعارك الرجال وهذه الحومات وتلك ساحات الوغى تبعث الأمل في النفوس ونوافذه المشرعة على الماضي الجميل، دار لم يغب عنها عبق الماضي وصوره الجميلة وحكاياته، وسروج لم تخلوا من فرسانها ومقاعد شاخصة وكأن الآباء والأجداد ما برحوا بعظمتهم المكان . كان النائب العبدالله يخص الخيام بمحبة خاصة، لم يكن ليطول مكوثه بعيدًا عنها فزيارته متكررة لم يمض أسبوع حتى ترى الزائرين والوافدين إلى دارته تترى فيعلم القوم بان أبا بسام قد حضر بين أهله ومحبيه، ففي ذلك الحي الغربي من الخيام كانت النفوس ساهرة تترقب مجيئه كي لا تحرم من رؤية رجل أحبهم وأحبوه رحم الله النائب أبا بسام .

(١) نشرة "الدردارة"، العدد الخامس، تصدر عن جمعية آل عبدالله، السنة ١٩٩٦م.

النائب علي العبدالله خلال تواجده في المملكة العربية السعودية،
بمناسبة التوقيع على اتفاق الطائف عام ١٩٨٩

علي العبدالله: أمة في رجل

ابن الجنوب النائب علي العبدالله الذي يختصر الهموم اللبنانية كلها، وهو ممثل لمنطقة جنوبية حدودية، دفعت منذ بداية الإستقلال إلى الآن ضريبة الدم والإهمال والتخلف فضلًا عن الضريبة القاسية للإحتلال[١]، ولأنه يؤمن بالعمل والعطاء منذ تعاطى السياسة وتحمل المسؤولية العامة. فقد حول همومه الحدودية والجنوبية إلى ممارسة قبل أن يصل إلى الندوة النيابية وبعدها. فمنذ أوائل الستينات اعتبر النائب علي العبدالله أن تنمية الجنوب هي الجزء الأهم من صموده، وأن تحويل ثروته البشرية والعلمية والطبيعية إلى مصدر قوة اقتصادية وتنموية، هو التأسيس لقاعدة صلبة لتصديه لكافة الاستحقاقات الراهنة والقادمة، والتي عرّفها النائب علي العبدالله بحسه الوطني السليم قبل الحكومات والدول محليًا وعربيًا، فكانت الخطوة العملاقة التي تصدى لها بتحويل كمية من مياه نبع الوزاني (بموجب مرسوم جمهوري تحت رقم ٩٩٤٠ تاريخ ٢٦/ ٧-١٩٥٥ منحه إياه فخامة الرئيس الراحل كميل شمعون، إلى الأراضي الواسعة لعدد من بلدات وقرى المنطقة الحدودية - القطاع الشرقي لتحويلها إلى أرض عامرة بالخضرة والعطاء ومصادر القوة والعمل الخلاق.

(١) سقطت المنطقة تحت الإحتلال الصهيوني من ربيع ١٩٧٨ إلى سنة ٢٠٠٠م.

تعليق وشرح ما جاء بالفقرة الأولى :[١]

من غرس شجرة في أرض الجنوب فهو مقاوم، ومن بذر بذرة فهو مقاوم ومن بنى حجرًا فهو مقاوم، ومن أنجب طفلًا فهو مقاوم، ومن أقام عرسًا فهو مقاوم، ومن مات ودفن في أرضه فهو مقاوم، ومن أوقد قنديلًا في حالك ليلٍ فهو مقاوم. ومن وقف في وجه محتل فهو مقاوم ومن أطلق رصاصة في وجه محتل فهو مقاوم.

الخيام بلدة هُدِمت ثلاث مرات، وفي المرات الثلاثة أعيد بناؤها لتكون نموذجًا لوجه من أوجه المقاومة وفيها نماذج من الناس. وقف النائب علي العبدالله وقفة تاريخية وإنسانية كي يلفت أنظار العالم ويوقظ ما تبقى من ضمير إنساني لينبه إلى الخطر القادم في زمن التردي العربي. شاء العبدالله أن يغير وجه تاريخ المنطقة كي تشبه مناطق لبنان الأخرى التي تنعم بالرخاء والهدوء. اسمحوا لي أيها السادة ورجاء أن لا يفهمني أحد خطأ، أنا من هذا اللبنان أنا من كل منطقة من هذا اللبنان، كل منطقة جغرافية هي منطقة لي وأهلها بالتأكيد أهلي، لفت انتباهي عيد رأس السنة الماضي أي عام ٢٠١٥م. في منطقة زحلة فرأيت فيها من العجب العجاب لم أرَ مثله في البلاد من زينة وأضواء وكأنها معلقات بين السماء والأرض، وهذه الأضواء التي بعدد النجوم تحتاج إلى طاقة كهربائية عالية لتنيرها، فعلمت بأن بلدة زحلة مصنفة سياحيًا فحري بالدولة أن توفر لها ما استطاعت من طاقة لتبقي على عجلة السياحة سامحكم الله، فقلت في نفسي أيهما أعظم عند الله مناطق سياحية أم مناطق جهادية؟ ألا يحق لمناطق الجهاد والمقاومة أن يكون لأهلها الصامدون كهرباء متواصلة على مدار السنة أم أنكم أيها السادة استعجلتم عليهم ظلمة القبور حتى أصبح بصرهم كالحديد يرون في الليل أكثر من النهار..

شرع العبدالله بإقامة مشروع استثنائي كان موضع قلق لمشروع الدولة اليهودية التي لم يمض على احتلالها لفلسطين سوى قليل جدًا من السنوات .ومما لاشك فيه بأن الشركة اليهودية الاستعمارية قد حاولت أن تثني الزعيم العبدالله عن هذا العمل بإغرائه بالمال الكثير، كما فعلت في الماضي عندما عمدت إلى إغراء الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن العبدالله عن طريق أشخاص تلبسوا بلبوس الإنسانية وكانوا يأتون تحت عناوين كثيرة طالبين منه بأن يتنازل عن أرضه في قرية

(١) حصلت على هذه المقالة المطوّلة من أرشيف الكاتب علي مزرعاني – النبطية عام ٢٠١٢م، هذا وسوف أنقلها كما هي مع بعض الشروحات والتعليقات على الحاشية، مع إضافة بعض العناوين لها.. وبتقديري بعد أن قرأت هذه المقالة من المرجح أن يكون المربي الأستاذ علي حسين خليل عبدالله هو من كتب هذه المقالة حصلنا عليها غير معنونة.

ـخِصَاص قضاء صفد بفلسطين، المحتلة مقابل مبالغ ضخمة جدًا من المال فكان جواب الحاج
حمد أبو علي حتمًا الرفض، وعندما سئل في بدايات السبعينات عن رأيه بما قاله سابقا قال: (قد
لغت من الكبر عتيًا) وأنا على استعداد لأن أحارب الصهاينة بعصاتي هذه التي أتوكأ عليها.

فما كان من ورثة الحاج خليل العبدالله أن رفعوا دعوة بوجه الشركة اليهودية وعملوا على إستئناف
الحكم لدى محكمة استئناف لبنان الجنوبي المقيد لدى قلم هذه المحكمة بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٦٧م.
ن ما بدأه أبو بسام من وضع اللبنة الأولى كان عملًا جبارًا وكبيرًا وهو موضع فخر وتباه.فطب
وحًا هي بين يدي بارئها لأن عملك الوطني الكبير محفور على صخر الوزاني والميسات والعمرة،
في قلوب المحبين تردده غدران مياه الوزاني، وحفيف أشجاره تعزفه لحنًا.

وعندما توفرت الإرادة الوطنية أنتجت مقاومة حررت الأرض ونفذ المشروع... هذه نماذج
ية ارادت لنا أن لا نغادر ساحات التاريخ ونتدلى بأجسادنا متعلقين بحافات المنحدرات، متوسلين
ستغيثين مَن ينقذنا ليستعبدنا ومَن يخلصنا لنكون طوع أمره أو يمد لنا يدًا وبالأخرى سوطًا، إن
موذج علي الحاج خليل عبدالله ونموذج الحاج محمد عبدالله ونموذج المقاومة يبقونا أحرارًا في
طننا.

تحذيرات النائب علي الحاج خليل العبدالله من الخطر الصهيوني..
وصلت إلى مسامع العالم:
فحرّكت اسرائيل طائراتها .. وقصفت مشروعه

مدّ النائب علي العبدالله لتحقيق طموحه الوطني يده للمهندس المشهور حينذاك الوزير سليم
ود، الذي أشرف مباشرة على المشروع واعتبره مشروع دولة، يتحمل مواطن جنوبي خيامي
باءه وصعوبته، وعمل ستة أشهر على الإعداد لخرائطه ومخططاته حتى نفذ المرحلة الأولى منه،
لتي تؤهله لري أكثر من ٨٠٠ دونم من الأراضي البور العطشى بجواره على تماس مباشر مع
دود فلسطين المحتلة، وتزويد البلدات والقرى بالمياه والكهرباء وكل ما يلزم للاعمار والبناء.
ن أول من التقط أهمية الخطوة التي أقدم عليها النائب علي العبدالله صديقه النائب ريمون إده
عالم بخفايا الأطماع الإسرائيلية بمياه الجنوب وبمياه نبع الوزاني على وجه التحديد، الذي يعتبر
حد أهم روافد نهر الأردن لأن الحصباني يجف في فترة الصيف، فزار العميد منطقة المشروع عدة
ات مؤيداً ومشجعاً ومشيداً بالمبادرة الفردية التي تجاوزت مبادرة الدولة والجامعة العربية.

وتولى العميد من موقعه واهتماماته الوطنية،فتح ملف روافد نهر الأردن منذ ذلك الوقت بالتوافق مع بدء البحث بالموضوع ذاته على صعيد الجامعة العربية، فعقدت قمة الأسكندرية عام ١٩٦٤م[١].وفي مقدمه جدول أعمالها موضوع تحويل روافد نهر الأردن، إحدى أهم وثائقه برقية تفصيلية من النائب علي العبدالله يعلم القمة والجامعة بمشروعها المنفذ لتحويل نبع الوزاني. وكان تنفيذه تعطل بعد غارة إسرائيلية على ورشة العمل فيه، فيما تحولت منطقة مشروع الوزاني إلى منطقة عسكرية، وبدأ حفر المواقع والمراكز فيها وذهبت جهود النائب علي العبدالله هباء وتحولت الأحلام إلى خسائر فادحة، دون أن يفقد الأمل بتجديد طموحه ولا المطالبة اليومية بتعاون عربي مع لبنان لإنقاذ الثروة المائية اللبنانية من الضياع. ومما يأتي لاحقًا نرى بأن البيان الختامي للقادة المجتمعين قد أشار بفقرته الثالثة إلى مشكلة المياه.

تعليق وشرح على الفقرة الثانية:

دائما يقال تعلم من فلان واتخذ من فلان قدوة ومثالًا لكَ وسر بسيرة علان،ما رأيكم لو تمعنا سويًا بهذه الأسطر التي بين يدينا وقرأنا كلماتها ودققنا بعباراتها وحكاياتها ماذا نستنتج ؟ نستنتج بأن هناك حالة فريدة وهي مسؤولية رجل اتجاه أمته حمل هذه الأمانة وراح ينشر من خلالها الوعي بين جماهير الأمة حتى وصلت إلى مسامع قادتها وشعوبها،حقا بأن هذا الفكر البناء يجب أن يصل إلى كل فرد في هذه الأمة، لكن كيف يصل لتحقيق ذلك؟لا بد من إنسان إستثنائي يتبنى هذه الثقافة ويعمل على ترسيخها في أذهان الأجيال القادمة لتبقى نبراسًا للوعي المثالي ورافدًا مهماً تنهل منه الشعوب،

(١) ضمن البيان الختامي للقمة على مجموعة من القرارات أهمها:
- قيام إسرائيل خطر أساسي يجب دفعه سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميا.
- إنشاء قيادة عربية موحدة لجيوش الدول العربية، يبدأ تشكيلها في كنف الجامعة العربية بالقاهرة.
- رداً على ما قامت به إسرائيل من تحويل خطير لمجرى نهر الأردن. تقرر إنشاء "هيئة استغلال مياه نهر الأردن" لها شخصية اعتبارية في إطار جامعة الدول العربية. مهمتها تخطيط وتنسيق وملاحظة المشاريع الخاصة باستغلال مياه نهر الأردن.
- إقامة قواعد سليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني لتمكينة من تحرير وطنه وتقرير مصيره. وتوكيل أحمد الشقيري أمر تنظيم الشعب الفلسطيني.
- يجتمع الملوك والرؤساء العرب مرة في السنة على الأقل، على أن يكون الاجتماع المقبل في الإسكندرية في أغسطس/ آب ١٩٦٤
- وقد تبرعت ليبيا في المؤتمر بمبلغ ٥٥ مليون دولار لصالح المجهود الحربي العربي، بينما تبرعت السعودية بمبلغ ٤٠ مليون والكويت بمبلغ ١٥ مليون.

فإن استثمار الفكر النير يأتي بربح وفوز مقابل الخسارة والضياع والتشتت. قال الحاج حسن عبدالله ﷺ ناصحاً أبناءه: "لا تظهروا ضعفاً إن أصابكم، ولا إملاقاً إن خسرتم حتى لايشمت بكم عدو وينال منكم ذو خسة، جاهروا بالحق واتبعوه حتى يعود الأَصَمُّ عن فعلته، فقال ولده محسن: يا أبتاه كيف يعود عن فعلته وهو أصم؟ فقال: الأصم هو المكابر عن سماع الحق وسكوتكم عن قول الحق علامة من علامات الرضى بالباطل، لا تسكتوا لاتسكتوا رددها عدة مرات. رحم الله جدنا وحبيبنا ومولانا ومفرّج همنا وغمنا لقد صدقت أيها العالم الجليل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] إن جرأة وتفكير النائب علي الحاج خليل عبدالله وبسالته وإرادته الفولاذية أوصلت أفكاره إلى كل العالم وأصبحت تتناقلها أحاديث الزعماء والقادة، هكذا طلب النضال والجهاد ولم يقعد عنه فجاهر به بكل ما يمتلك من قوة حتى يُسْمع صوت الحق من كان به صمم. فهو يستحق أن يكون قدوة ومثالاً عن جدارة. فصوتك يا أبا بسام أرعبهم وأقلق مضاجعهم واستنفر دولة احتلالهم لفلسطين وحرّك طائراتهم... أي جنوبيٍ أنت رحمك الله..

من أجل الوطن كل شي يهون :

ما يميز السيرة السياسية للنائب علي العبدالله الإنجازات العامة على مختلف الأصعدة والخسائر الشخصية في آن، وهو عندما يذكره أصدقاؤه وأقرباؤه بهذه المقاربة، يمتلىء فخرًا بالإنجازات ولا يبدو آسفا على الخسائر، فهو عندما يتذكر مشروعه في الوزاني يشعر بالرضى لراحة ضميره الوطني القومي، ولا يأبه للخسائر التي تكبدها فيه والأتعاب التي أنهكته من خلال هذا المشروع الوطني تماماً مثلما يتذكر كيف دفع ثمن مواقفه الوطنية الوفاقية اللبنانية ودعواته للسلام والمحبة، حرائقاً في منزله في الخيام كما في بيروت مرددًا أنه سيبقى وفياً لنشأته المجبولة عزًا وكرامَة وسيرته الطيبة وطموحاته، فهو تهجر مع أهله ومواطنيه عندما عصفت بهم الحرب، الفتنة أصابته كما أصابتهم ولم يستقر في بيته في بيروت إلا عندما سكتت المدافع وشقّ السلام طريقه، الذي تمناه هو سلاماً للشريط الحدودي وأهله ليعود معهم إلى بلدته ليستأنف مسيرته الوطنية والإجتماعية التي لم تنضب بعد، وليعيد الراية إلى نقطة البداية ويسلمها إلى من يبدأ عنه من جديد.

تعليق وشرح على الفقرة الثالثة:

نقول في ذلك أن العبدالله قد ملأ نفوسنا عزةً ومنحنا فخرًا وأهدانا مجداًوأملاً وأضاء لنا طريقًا وأقشع غمامة وألهمنا من بشائر الحرية والعنفوان وليس في سجل فخر يعلو عليه فخر بما فعله، لقد هان عليه ماله وجهده وعرقه وسهره ورزقه، من أجل وطنه ومن أجل ناسه، قِمة في العطاء دون حساب. مؤمنًا بقضيته ومخلصًا لأرضه ولعروبته فكان لبنانيًا جنوبيًا خياميًا عبداللاوي عربيًا إسلاميًا. وكانت رسالته رسالة متعالية مجدًا وأنفة، تستحق أن تكون عنوانًا وقدوةً لمسيرة أي مواطن يختار أن يفدي وطنه بأعز ما يملك دون ان يقع في حسابات التجار (والربح والخسارة) لأن من يعطي وطنه فهو يعطي أهله ومن يعطى أهله وناسه فقد فاز فوزًا كبيرًا. اللهم اجعلنا من الفائزين. أما ما قرأناه من اعتداء آثم على بيت الزعيم أبي بسام[١]، لا نضع هذا العمل تحت أيّ تهمة سوى أن هؤلاء القلة القليلة جدًا قد نخرعقولهم الحسد وأدمى قلوبهم الحقد واستهوى أنفسهم التطاول، خفافيش الليل وثعالبه شذاذ الآفاق ورؤوس النفاق وهم أشبه بخضراء الدمن.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة و يروغ منك كما يروغ الثعلب

اعتقد هؤلاء بأن في ساعة ثمالة قادرون على أن ينالوا من هذا الرمز، الذي دمرت مشروعه الطائرات الإسرائيلية وأرسلت من يحرق بيته ويروعه أو ينال منه ومن أسرته، أسرة عمرها أربعة آلاف سنة، تلك أضغاث أحلام لعصابة غلمان داعشيو المنبت فروا من التاريخ منهزمين كما تفر العبيد أمام أسيادها وقطعان الذئاب والنواهش أمام ليث هزبر، فليس لأبي بسام أعداء بل هؤلاء أعداء أنفسهم فاضت قلوبهم حسدا ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

نُفذ المشروع بجهود المخلصين

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] مرة أخرى يرتفع اسم الخيام تلك البلدة الصامدة مع التحدي والصمود مع استرداد الحق والحرية، ويعود ويطل علينا مرة ثانية عيد التحرير مع نبع الوزاني الذي تدفقّ هذه المرة نحو أهله وأصحابه نحو الأراضي العطشى، أرض عامل المباركة، فكان الانتصار الذي وحد لبنان واللبنانيين وأعاد الحق إلى أهله بقوة الإرادة والتصميم،

(١) حدث هذا الاعتداء في سبعينيات القرن الماضي، لكن من هم ومن الفاعل لا نعلم.. العلم عند الله وجاء الوصف على خساسة الفعل.

حدة الكلمة فلن يموت حق وراءه مطالب .

في هذا الانتصار العظيم لا بد من تحية تقدير وإجلال إلى كل من ساهم في صنعه: الدولة مجلس الجنوب مشكورًا، وبتوجيه صائب من دولة الرئيس نبيه بري ومباركة فخامة الرئيس اوم) إميل لحود ودعم الجيش الوطني الباسل والمواطنين وجهود المقاومة برعاية السيد حسن رالله الذين حموا هذا الانتصار بدمائهم وسواعدهم فاستردوا الأرض وثرواتها.

الشكر كل الشكر والرحمة كل الرحمة للنائب الحاج علي ابن الحاج خليل العبدالله :

يا حبذا لو اكتمل المهرجان الذي أقيم في المناسبة بكلمة شكر لابن الجنوب ابن الخيام البار حوم النائب علي العبدالله منشىء مشروع الوزاني، الذي تنبه منذ تسلمه مسؤوليته أن تنمية نوب هي الجزء الأهم من صموده، فكانت خطوته العملاقة التي تصدى بها لكل أنواع ضغوطات والتهويلات بتحويل كمية من نبع الوزاني إلى الأراضي والقرى الحدودية، حيث حصر ع وأقام المنشآت وشق الطريق إليه ومد الأنابيب ورفع المياه، وبذلك جعل من عملية الري قة عززت حق لبنان بمياهه. وكان قول ريمون إده الشهير في مجلس النواب وخارجه: اتركوا ا اللبناني يضخ مياه الوزاني حتى يثبت ملكية لبنانية لهذه المياه.

وكما ذكر في بعض عناوين الصحف يوم التدشين "معجزة لبناني في مشروع مياه الوزاني" وكان روع الذي بدأه العبدالله قد تعطل بعد غارة اسرائيلية على ورشة العمل. دون أن يفقد الأمل جديد طموحه ولا المطالبة اليومية بتعاون عربي مع لبنان لإنقاذ الثروة المائية اللبنانية من الضياع.

وكان هذا الأمر ليكون مكتملاً فيما لو تم ذكر مؤسس المشروع ،ومن بذل الجهد والمال لتحقيقه و المرحوم النائب علي الحاج خليل ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن بن محمد العبدالله وإننا جو ونأمل أن يعمل الجميع على بلورة هذا التقدير وإعلانه التزاماً منا ووفاء لمن قدموا الغالي نفيس من أجل لبنان وخاصة المنطقة الحدودية..

الحاج علي ابن الحاج حسن خليل عبدالله

من مواليد الخيام عام ١٩٦٤ انتسب إلى حركة أمل منذ نشأته، فنبتت في عقله وروحه مبادىء الإمام موسى الصدر وناضل في سبيل تحقيقها ولا يزال. تدرج في عدة مسؤولياتٍ حركية وآخرها مسؤولية إقليم بيروت وعضوية المكتب السياسي في الحركة .

بعد انتهاء علومه الثانوية انتسب إلى كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية، عين عضوًا في مجلس إدارة مؤسسة (أليسار) ثم استقال منها ليترشح عن المقعد الشيعي في دائرة مرجعيون ـ حاصبيا محافظة الجنوب ويفوز بالمقعد النيابي لدورة عام ١٩٩٦، يعتبر أن مشاركته في المجلس النيابي تشكل جزءًا من البرنامج السياسي العام لحركة أمل، باعتباره عضوًا في كتلة التحرير والتنمية فهو يمارس دوره من خلال المبادىء العامة التي حددتها لسياستها، وهو دور لا ينفصل عن الثوابت الأساسية التي يؤمن بها وأولها بناء دولة المؤسسات واستكمال عملية التحرير والتنمية. كما يعتبر أن دوره كنائب هو تفعيل لدوره السابق في الحقل العام من جهة وإضافة نوعية لتجربته السياسية، واستكمالٌ للدور الذي لعبه زملاؤه السابقون في هذا المجال من جهة ثانية، وفي أولوياته الإهتمام بالشريط الحدودي المحتل خصوصًا منطقة مرجعيون ـ حاصبيا[١] .

الوزير علي حسن خليل مجاز في الحقوق وعضو قيادي بارز في حركة أمل انتسب إليها مبكرًا، كما إنه عضو في المكتب السياسي فيها وتولى أيضًا عدة مسؤوليات، انتخب نائبًا في المجلس النيابي الثاني بعد مؤتمر الطائف ووثيقته سنة ١٩٩٦ مجلسٌ مؤلفٌ من مئة وعشرين نائبًا عن دائرة مرجعيون- حاصبيا ثم انتخب نائبًا في المجلس النيابي الثالث سنة ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ و٢٠٠٩، شارك في مجلس

(١) نشرة "الدردارة"، نشرة داخلية تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الإجتماعي العدد ٧ السنة الثالثة نيسان ١٩٩٧م. استعضنا بصورة حديثة للوزير علي حسن خليل عن صورة قديمة منشورة بنفس العدد المذكور حيث الصورة الحديثة يظهر فيها أكثر نضارة وأناقة وهذا هو المطلوب.

الوزراء كوزير من ١٧ أبريل ٢٠٠٣ حتى ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٤ وزيرًا للزراعة وذلك في حكومة الرئيس رفيق الحريري أما في عهد الرئيس إميل لحود. وفي ١٣ يونيو ٢٠١١ عين وزيرًا للصحة العامة وذلك في حكومة الرئيس نجيب ميقاتي، وفي عهد الرئيس ميشال سليمان. وفي ١٥ من شهر شباط –فبراير ٢٠١٤م. عين وزيرًا للشؤون المالية وذلك في حكومة الرئيس تمام سلام بعد مضي ثلاثمائة يوم على تسميته رئيسًا للوزراء وشكلت هذه الوزارة من ٢٤ وزيرًا في عهد الرئيس ميشال سليمان(١). وفي عهده وتكريمًا لإنجازاته ونجاحاته وأدائه المميز في وزارة المالية، أصدرت الوزارة طابعاً مالياً بقيمة ١٠٠٠ ليرة لبنانية، يحمل صورة جميلة لبلدته الخيام وفي خلفيتها يظهر جبل الشيخ مكللاً بالثلوج.

قالوا فيه: لا شك أن وجود الصديق الحاج علي حسن خليل على رأس وزارة المالية، قد ساهم إيجابًا في رفع اسم بلدتنا "الخيام" وفي الإضاءة على الصورة الجميلة لقضائي مرجعيون - حاصبيا. صدور هذا الطابع المالي سيترك صدى لدى أبناء المنطقة عموماً والخياميين خصوصاً، والجميع يطمح للمزيد من الإنجازات التي ترضي طموحات أبناء المنطقة التي عانت من الحرمان والإعتداءات على مدى سنين طويلة(٢). يقول زهران عن الحاج علي خليل بأنه يشكل قيمة إضافية للبنان وخاصة وأنه على رأس وزارة المالية، وهو يقوم بإصلاحات كثيرة ويعمل جاهدًا على إصلاح الأعطاب والتعديات التي طالت الوزارة خلال إحدى عشرة سنة، نحيي الوزير الخليل على ما يقوم به من أجل لبنان واللبنانيين ونحن بحاجة لأمثال الوزير(٣).

يتمتع الوزير الخليل بشخصية قوية وكريزما مميزة، وهو خطيب مفوه ذو حنكة سياسية وثقافة واسعة صقلته التجارب لقرابة عقود أربعة. فأدرك مبكرًا أن نهج الإمام السيد موسى الصدر هو نهج الأحرار والمقاومين الأشاوس والرجال المخلصين لقضيتهم، والأوفياء لوطنهم وأهلهم وناسهم ومريديهم ومحبيهم لتنتقل هذه الأمانة بكل ثقلها وحجمها إلى رجل بحجم الوطن، رجل المهمات الصعبة والمستحيلة الأستاذ نبيه بري، فتابع مسيرة الإمام الصدر المستقاة من واقعنا والمجبولة بعرق المستضعفين بشقيها المقاوم و السياسي، حاملًا لواءهما فأثبت الرئيس بري تفوقًا منقطع النظير في حمل هذه الأمانة وفي إدارة الأزمات الآخذة بالاشتداد من حين إلى آخر آخذًا على عاتقه الخروج من المحن والشدائد واستعادة التوازن المتأرجح والمفقود في الواقع اللبناني، الذي تشابكت فيه

(١) من أرشيف "شخصيات جبل عامل".
(٢) من أرشيف "موقع الخيام الألكتروني"، الخيام دوت كوم.
(٣) سالم زهران، مدير مركز الإرتكاز الإعلامي، ٢١-٠٤-٢٠١٥ تلفزيون المنار.

إشكاليات سياسية فأصبحت ظاهرة متكررة متأزمة متوترة متوخى حلحلتها بتوفر فضاء معياري موحد ومتجانس –الفضاء الوطني– وآلياته المجردة من الإرتباطات الفئوية كونها لا تصلح لبناء وطن في ظل جدلية متأرجحة ومتآكلة بين الانقسام والتوحد –الفراق واللقاء– أضحت بحاجة إلى مقاربات ومعالجات مستفيضة، وإلى صيغة جديدة تصهر بحمى حماسها الوطني الانقسام في بوتقة الوحدة، فانبرت شخصية الأستاذ بري التي امتازت بالإخلاص والمقدرة والنزاهة في جميع الميادين، ليشهد له القاصي والداني بنجاحاته المميزة على جميع الأصعدة ليثبت دائمًا بأنه حقًا صمام الأمان للوطن والمواطن، عندما أتاح للجميع الحوار بالكلمة الهادئة بدلاً من اللكمة القوية. عندما نرصد هذا النموذج نجد بأن أولى أولوياته بأنه يستهدف في أساسه منح الفرد اللبناني كامل المواطنة وتمتع بجميع حقوقه السياسية والإجتماعية، وهذه قيمة تفوق كل قيمة وما دعوة الرئيس بري لإلغاء الطائفية السياسية بمناسبات كثيرة سوى دعوة اللبنانيين للعودة إلى جنة آدم التي أخرجهم منها القانون الطائفي أو الطائفية السياسية، وقد شابهت دعوته كثيرًا في جوانبها دعوة(ميجي تينو) رائد النهضة اليابانية.

الحاج علي حسن خليل من هذه البيئة الوطنية اللبنانية وهذا الخط السليم الذي حفّز في اعماقه هذا التفاني، واستنهض في نفسه شغفًا كبيرًا وولاءاً حتى الفناء، ولاء لقادة رعاة مسيرة أرسى بناءها ولبناتها ومداميكها الأولى الإمام المغيب السيد موسى الصدر، القائد والعالم والمعلم الذي استمد سماته الأخلاقية من الرسالة المحمدية الأصيلة،انتهل الخليل من هذا النبع الصافي حتى تجلى ذلك بوضوح من خلال احترامه وثباته لهذا الخط فانعكس إيجابًا فكان حبًا وولاءًا له، ترجمته سلوكياته الراقية وتعامله الأخلاقي المميز، فحمل بين جانبيه هذا الشعور الذي منحه الإحساس بوزن هذا التكريم في تقديره لهذا الخط ولنفسه وللآخرين.

تقع دارة الحاج علي حسن خليل عند نقطة التقاء، كإلتقاء الأطراف مع الجسد مدخلين المدخل الغربي للقادم من بلدة القليعة (تربات البيض سابقاً) والمدخل الجنوبي للقادم إلى بلدة الخيام من ناحية نقطة الجمارك اللبنانية المعروف (بباب الثنية)[١] قديماً أو للقادم من جنوب غرب قرى

---

(١) باب الثنية: وردت تسمية الثنية عند الخطيب العمري، حيث جاء في كتابه: (الروضة الفيحاء في تواريخ النساء) أن أيوب عليه السلام، بعثه الله رسولًا لما بلغ من العمر أربعين سنة إلى أهل الثنية من الجولان من بلاد دمشق والجابية... فيكون باب الثنية تحديد المفصل المتفرع إلى الشرق من مركز الجمارك السابق باتجاه العباسية السورية نحو هضبة الجولان. نقلاً عن نشرة "الدردارة"، العدد الرابع، سنة ١٩٩٥م. تحت عنوان: "نافذة على تاريخ الخيام"، بقلم المرحوم الدكتور هاني عبدالحسين إسماعيل العبدالله.

قضاء مرجعيون. أما للقادم من المدخل الشمالي للبلدة (الجلاحية)[1] فعليه أن يخترق بلدة الخيام كما ينساب المركب في عذوبة ماء نهر بارد من نهار شمس آب، يمر بين بيوتها الجميلة المكسوة عزًا ومجدًا ورائحة نصرٍ تموزي تفوح من نوافذها. بيوت عتيقة بعتق تاريخ تينها وزيتونها يستأنس الزائر برؤية أهلها الطيبين، تستقبله ضحكة طفل بيده بندقية خشب يلوح بها مرحِّباً بالضيف العابر أياً كان، وذاك الجالس على كرسي وقد فك أزرار قميصه بعد أن زاد في حرارة جسمه كوبٌ من الشاي الأحمر وآخر ممددًا على حصيرة يسند رأسه بكوعه وصديقًا آخر مقرفص بدا في حالة من العجلة يقرقر بنرجيلة نافثًا حوله غمامة من دخان كأنها تصاعدت من عادم سيارة من خمسينيات القرن الماضي. أما ساحتها العامة كخلية نحل لا تهدأ بزحمتها وأبواق سيارتها وناسها، ساحة تفرح بفرح أبنائها تحب الزائرين. ملحمة أحمد غريب لا تخلو من ذبيحة معلقة أمام ملحمته يزينها بضمة من بقدونس دست بغير مكانها. ولا ينسى الزائر أن يمر بالساحة التحتا ليلقي التحية على شبابها وشيابها الواقفين والمقرفصين أمام دكانة أبي علي حسين عبدالله، ثم يهبط الزائرمن ارتفاع كارتفاع أشجارها الوارفة متخذًا من بعض طرائقها الضيقة والمتعرجة حتى الوصول. يرى الزائر الأشجار الباسقة والمتسلقة بأزهارها الجميلة تزين دارة الحاج علي خليل التي تتربع فوق جزيرة مخضوضرة يروق منظرها الشعراء والأدباء منها يستلهمون زاد أبيات أشعارهم وألحانهم من حفيف أشجارها التي لو سمعه (بيتهوفن) لجاء عدواً، نغماتها اشبه بنغمات المنجيرة المثقلة بعذوبة الميجانا والدبكة الخيامية، يختزل شكلها خليط من الماضي والحاضر يعكس إيماناً عميقاً بالتمسك بهذه الأرض، يستقبلك عطر فواح من شجرة الغاردينيا التي دكت دكاً بالزهور وزقزقة عصافير الدوري في المساء تملأ المكان، يتخللها تغريدة من بلبل الحواكير ابْيَضّ ريش عنقه وثخنت حاجبيه كأنه ناظر مدرسة يشحذ منقاره فوق أعوادٍ يابسة مثلما يشحذ القصاب سكينه. يحسب القاصي بأن عرسًا مسائيًا فاتته الدعوة إليه أو سقطت سهوًا كسقوط أوراق أشجار الجوز والجرانك، وحيث أشجار اللوز التي تنضح صمغاً تَـلوّنَ مساءً بحمرة الشفق كخاتم من عقيق .

لم تمر مناسبة سياسية هامة في المنطقة إلا وكانت دارته موضع اللقاءات والزيارات والاجتماعات.

واذا كان منزل الحاج علي خليل نقطة التقاء جغرافي لبلدات وقرى جبل عامـــل ووادي التيم، فهـو

(١) الجلاحية: من الجلح. كان يُقال رجل أجلح وهو من تساقط شعر جبهته ومقدمة شعر رأسه، وسميت الجلاحية لافتقارها إلى الغرس لبعدها عن أماكن السكن، وهي اليوم موطن الحداثة المعمارية في الخيام الجديدة (المصدر السابق).

نقطة التقاء ومظلة لأبنائها بكافة أطيافهم المذهبية والطائفية وجامعًا لوحدة كلمتهم ومقربًا لوجهة نظرهم . كانت زيارة الرئيس أمين الجميل في الشهر الأخير من سنة ٢٠١٤م. من الزيارات المهمة لبلدة الخيام حيث حظي باستقبال مميز من وجهاء المنطقة وعلمائها وسياسييها حيث كلمة العلامة مفتي مرجعيون الشيخ عبدالحسين العبدالله لاقت استحسانًا وقبولًا من الجميع، وحظيت باعجاب الضيف الزائر، شدد خلال كلمته على رص الصفوف وسند الكتف بالكتف، كي لا ينفذ المتربصون أعداء الوطن بإشعال نارِ الحقد والبغضاء، ومن أهم عناوينها التعايش واللقاء والمحبة بين الطوائف اللبنانية نهج خطَّ معالمه ورسم طريقه الإمام المغيب السيد موسى الصدر وكفل استمراريته حتى النصر الأستاذ نبيه بري.

أشاد للمعالي صرحا وأشار بعصاه موسى
له شُق البحر والبر وخاض بعده بري
له الأمانة عقدت وسار بالركب علي
وقال موسى:اصعدوا السفينة هذا من خير عملي
وهب الكل إلى أمل وقال موسى: بكم أحقق أملي

محمد حسيب بن خنجر الحاج حسين عبدالله

(١٩١٥ـ١٩٧٨م)

الشهيد محمد حسيب العبدالله (١٩١٥ـ٢٨ نيسان ١٩٧٨م) مواليد بلدة الخيام - مرجعيون عراقة في النسب وشخصية مميزة وفذة كان نموذجًا من العطاء والبراعة في ميادين كثيرة، فرصيده السياسي كبير جدًا ومكانته العلمية عالية وشبكة علاقاته واسعة بوسع قلبه وثبات عزمه.

جبل هوى(١)

يا عابقاً بالكون طهر أيات خفقتْ لك في سنا العلم أعلام
أنت الحسيب من طهر نسب ليس مثلك يظلم ويشام
أنت فخر قوم أولي النهى عليك وعلى أجدادك السلام
قوم لهم شرف الريادة وفي ساح الوغى القوادم
خيام عبدالله مذ أشرقت تترى لها الأنام وتترجل الأقدام
فإن لآل عبدالله شمس غابت فلِشموسهم بالسما ازدحام
هم من آل تنوخ العلى وقفت عند قصدها الأقدام
أُسد الشرى من آل عبدالله لهم في أنوف المغرورين خطام
ألا يا أيها المضرجُ كيف أنت ترحل ويخلد الأقزام
أبا سعد ضُرجت كلبنان بالدم فطال النزف سنوات وأعوام
قست صروف الدهر بحكمها أم هو الدهر هكذا والأنام

---

(١) خاطرة شعر للمؤلف.

قتلوك جورا وقالوا:هذا حلال ليس في عرف العبد الذليل حرام
مضى العبد إلى سيده غيلة فكيف الوضيع بالسيد يشام
طغى العبد وشقى،فكيف من كانت نفسه في الحضيض تقام
لا تحسبن قروح الحزن قد زالت ليس لها من قاموسنا انصرام
يا ضلوعاً ملؤها حر الجوى وليالٍ ذو حزن وظلام
على مَن كان للعلم سيداً وبميدان السياسة له مقام
وبساح الدبلوماسية نسر حائم وبساح الأمم له اعلام
وبساح الوغى له صمصام وفي كل مكان له علو و مقام
كيف لا تجزع عليك النفس ويتهامى من المقل السجام
أبا سعد أبكيت كل عزيز و حر حتى عَمَّ في الكون الظلام

حياته العلمية والعائلية :

تعليمه: بكالوريوس علوم ومجاز بالقانون من الجامعة اليسوعية (لبنان) فشق طريقه بعزم قوي، وكانت انطلاقته الأولى في سلك التعليم، فعمل في مطلع شبابه أستاذًا في معهد المعلمين بالبحرين (١٩٣٩م)، وكان يتنقل بين الأقطار العربية فمن البحرين انتقل إلى العراق وعمل في نفس المجال (كلية المعلمين في بغداد) طيلة النصف الأول من الأربعينات من القرن العشرين. فدراسته للمحاماة فتحت له أبوابًا كثيرةً فكان محاميًا بالاستئناف في بيروت في النصف الثاني من الأربعينات (أول محامٍ من بلدة الخيام مسجلٌ في نقابة المحامين اللبنانية) فالدبلوماسية الراقية جزء من شخصيته ففي عام (١٩٥١م) التحق بالسلك الدبلوماسي اللبناني فتم تعيينه: قنصلًا في مونروفيا / ليبيريا ودكار / ساحل العاج (١٩٥١-١٩٥٧م) فمن القارة الأفريقية كان عبوره المحيط نحو الولايات المتحدة الأمريكية فعين قنصلاً عامًا في سفارة لبنان بواشنطن / الولايات المتحدة (١٩٥٧-١٩٦٠م) فبعد سنواته الثلاثة عاد إلى وطنه العربي، فافتتح البوابة الدبلوماسية الأولى للبنان فعين أول سفيرٍ للجمهورية اللبنانية لدى دولة الكويت (١٩٦١ - ١٩٦٥م) (أول سفيرمن قضاء مرجعيون بالسلك الدبلوماسي اللبناني) كما عمل رئيسًا لبعثة لبنان لدى المنظمات الدولية بجنيف - سويسرا (١٩٦٥-١٩٦٨م) واختير لأن يكون سفيرًا للبنان لدى جمهورية باكستان الاسلامية (١٩٦٨ - ١٩٧١م) وحسيب العبدالله الذي افتتح الدبلوماسية اللبنانية في

دولة الكويت، كذلك اختير لأن يكون أول سفيرٍ للجمهورية اللبنانية في دولة الإمارات العربية المتحدة (١٩٧٢- ١٩٧٥م) فحمل خبرةً كبيرةً وواسعة مفعمة بثقافة عالية وأسلوب رائد في التعامل والكياسة، عاد إلى وطنه ولربما رغبة منه في أن يلعب دورًا أساسيًا ومحوريًا في الحراك السياسي في لبنان، وعند عودته عين مديرًا للدائرة الاقتصادية بوزارة الخارجية اللبنانية (١٩٧٥- ١٩٧٨م). تزوج أولاً من المرحومة الشاعرة/ سكنة الحاج مصطفى عبدالله، لم ينجب منها، حيث لم يعمر زواجهما طويلاً، تزوج ثانية من السيدة/ يسرى محمد علي بيهم (بيروت) وأنجب منها سعد (١٩٦٣م) وعامر (١٩٦٤م). اغتالته الأيدي الآثمة المأجورة غيلة وغدرًا في بيروت أمام منزله عن عمر ناهز (٦٣) عاما بتاريخ (٢٨/ ٤/ ١٩٧٨م) صلى عليه الإمام موسى الصدر بمسجد الكلية العاملية (١/ ٥/ ١٩٧٨م) ودفن في جوار الحضرة الزينبية الشريفة في دمشق / سوريا.

المرحوم حسيب العبدالله يجلس إلى جانب المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ١٩١٨ - ٢٠٠٤
أول رئيس لدولة الامارات ١٩٦٦- ٢٠٠٤
خلال احتفالات العيد الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة في سبعينيات القرن الماضي

حسيب العبدالله شخصية عالمية :

أربعة عقود من الزمن قرّبت حسيب العبدالله من قارات العالم كافة، وهو يجول بين أرجائها يتنقل من محطة إلى أخرى بما يحمله من المعرفة والعلم والدبلوماسية والتفوق، كان صاحب شخصية فذة أثبتت جدارة عالية فخرجت من إطارها المحلي إلى الساحة الدولية والعالمية تخطو في إطار رؤية بعيدة، تكتنز صوابية عالية، وأداءً رفيعًا قل نظيره، إن ما أثبته العبدالله من نجاحات وتفوّق كان

بمثابة نقاط تحول في عمله؛ أدى به إلى تسلم ناصية العمل الدبلوماسي اللبناني في الخارج في بداية الخمسينات، من القرن الماضي. لا نقول إلا أن شيخ الدبلوماسية وشهيدها قد أعطى بلاده روحًا جديدة، تُسكّن آلام مخاضها وأنين أوجاعها السياسية والاجتماعية وتأوهاتها على مذبح التجاذبات والمصالح الدولية. جمهورية عاجزة عن المواجهة، إلا بطاقات أبنائها، فهم الأكسجين النقي الذي يزود رئتيها اللتين أنهكهما تدرن الحروب الطائفية. جمهورية شرّعت نوافذ جراحها على المجهول فباتت مستقراً للجراثيم والأمراض المعدية.

ما فتيء الفارس يجول ويجول في هذا الكون متسلحاً بعلمه، وهو المخلص لوطنه وإن صغر هذا الوطن بجغرافيته فإنه كبيرٌ بأبنائه، وحضارته العريقة، وثقافاته المتعددة، وبنسيجه الإجتماعي؛ حقاً وطن أعطى مثالاً رائعاً إذا ما قورن في وقتنا الحالي بما تشهده المنطقة من صراعات عرقية وطائفية؛في التعايش يستحق التقدير. كانت شخصية حسيب العبدالله سبّاقة في ترسيخ هذه العقيدة الوطنية، حين قدّم وطنه للعالم بأنه وطن المحبة والتسامح، فجسد أبلغ الصور، وأروع الأمثلة، في كل مرحلة من مراحل حياته الدبلوماسية، التي أثبتت نجاحًا، لا نظير له وتفوقاً ما زالت تذكره الأجيال. وأنا أكتب عن هذا الأستاذ الدبلوماسي الكبير الناجح. تعلن المحطات التلفزيونية عن نجاح الدبلوماسية الإيرانية في هذه اللحظات بإبرام اتفاق نووي مع أمريكا والدول الأوروبية في الساعة الثامنة مساء بتاريخ ٢-٤-٢٠١٥م. يوم الخميس.،وها أنا أشاهد الرئيس الأمريكي أوباما وهو مسرور، بهذه الإتفاقية ويقول: بأننا توصلنا إلى اتفاق تاريخي مع إيران. إلا أن إسرائيل التي اعتادت على البطش والقتل والاغتيالات والتي لم ولن تؤمن يوماً بأي اتفاقيات سوى الاحتلال بالقوة لم يعجبها الاتفاق ولكن أقول بأنها خداعة ومنافقة. هذه هي الدبلوماسية الحرة، والكريمة التي سار عليها الشهيد محمد حسيب العبدالله، وكأنه هو مَن يفاوض اليوم؛ وهو الجدير والقادر لأن هذا هو مبدأه؛ في الوصول إلى أفضل النتائج التي تسر وتهم الشعوب وتبعد عنها الخطر والحروب والدمار، لأننا عبر التاريخ لم نكن دعاة حروب ولا من يقرع طبولها ، ولكن كنا ضحايا هذه الحروب العبثية كما كان المرحوم الشهيد حسيب العبدالله كذلك أول ضحاياها.

الراحل حسيب العبدالله سيرة وسلوك

ما أجمل الحياة وما ألذ طعم السعادة في كنف الأحرار وما أبهاها وأرقاها حتى بلغنا مقاعدها وتسلقنا مناراتها ورؤوس قممها إلى جانب الكرام، فكدنا نلامس وجه القمر وعين الشمس

وفرقد السماء، إلى هؤلاء الناس وكل المحبين أتذكرون هذا البيت وعراقته وساحته المملوءة سحرًا وتلألؤاً وهيبة، انظروا إلى جدرانه المكسوة بالمجد والكبرياء والسؤدد، تنسموا عطرها وشذاها تلمسوها فهي كأضرحة القديسين والأولياء، هلموا لننال بركة عابريها وساكنيها الأوائل، أما تلك الزوايا المرصعة بأحجار القرميد، فمازالت شامخة كمئذنة عصية على الرياح تتلو علينا أعظم السير والحكايات الجميلة التي حببتنا وقربتنا من أديم الأرض، فأحببنا رائحتها ولونها وماءها العذب الذي يسري في عروقنا هيهات أن نبرح المكان وفيه مقام الأوفياء الأجلاء، هنا مهد أجدادي منذ مئات السنين وقبلها من الآلاف من لحودهم ينبعث وميض حسامهم، رجال تحت التراب أحياء إلى يوم يبعثون، جنود ينهضون مع من أحبوا في ركاب من آمنوا وصدقوا خلف المهدي القرشي الهاشمي كانت وصية شيخ مشايخ الدبلوماسية وعميدها وشهيدها أن يدفن إلى جوار الأطهار.

حسيب العبدالله أحب الخيام حتى العظم وأحب أحياءها وأزقتها ماءها وسماءها وناسها وإنسانها وروابيها ومروجها ولياليها ومواقدها، لم يلهه عنها كل هذا الكون وصخبه وصناعاته وتمدنه وأسفاره وترحاله، بقي العبدالله خياميًا بامتياز في حديثه في لهجته المميزة وصوته الجهوري الذي كان يملأ المكان ويطمئن القلوب التي أحبته، وكانت إلى جانبه في أوائل العقد االسابع من القرن الماضي كانت الخيام محطته وبيته محط الكثيرين من الوجهاء الزائرين والمحبين، لم نعرفه إلا شهماً جليل القدر سخياً كريماً مقداماً وفرة في العلم، حاز على الكثير من مكارم الأخلاق فاضلاً ذكياً متسامحاً جميل الصفات متأنق العِبارات حلو الكلام، كانت الناس تتحين وصوله إلى منزله فلديهم رغبة عالية في زيارته والسلام عليه فهو كثير الاعتناء بزواره ولطيف المجالسة،يأنس المتحدث إليه لا تراه إلاباسمًا، وفي أحاديثه كثير من العذوبة وهو حافظ لكثير من المواقف والمناقب التاريخية من سير أجداده وآبائه، يلاطف الصغير ويحترم الكبير لأنه كبير وكبير في فكره وعقله ورؤيته،في كثير من المرات اعتاد أن يمارس هواية الصيد، فكان باكرًا ينهض كأسدٍ من عرينه وينادي إلى فلان وفلان ...ادعو لي الشاب الفلاني ...كان يرغب بمصاحبة البعض ممن يهوون الصيد والبارعين فيه.. فكان شغوفاً بهذه الهواية محبًا لها وكان دائما يقول: أحب هذه الهواية لأنها تحفزني على السير والمشي لمسافات طويلة، فكانت هذه الرياضة متعته وهو يطوي مساحات الأرض الخضراء تحت قدميه الثابتتين في هذه الأرض الطيبة المعطاءة، ويجول بين البساتين التي تفوح منها رائحة زهر الليمون «بو صفير» وحقول القمح في موسم طائر (الفري)، يروى في أحد المرات بأنه دخل حقلًا

مزروعًا بالقمح وهو في رحلة صيد في مرج الخيام، كان يومًا من أيام نيسان الجميل كانت الشمس في أول بزوغها تصعد سلم السماء وتمد أكفها الذهبية فوق قطرات الندى الذابلة فوق أجفان زهرة السكوكع، وسنابل القمح تتمايل على إيقاع زقزقة السنونو الهابطة من العلياء تحوم جذلة تداعب تلك النسمات، أنفاسها رائحة النرجس ولون مناقيرها بلون زهرة (المسوبعة) تسترق خلسة رشفة الماء من جداول الينابيع، كانت طلقات الخرطوش من جفت العبدالله شبه متتالية تنبئ بصيد وفير ومهارة عالية بالصيد كمهارة دبلوماسيته، لكن من يزرع الأرض وينتظر الحصاد لم يعجب الفلاح عبور الصيادين في حقله فكان يجري باتجاه حسيب العبدالله طالبًا منه الخروج من الحقل لم يكن من العبدالله سوى أن استجاب وطلب من الذين معه أن يلتزموا أوامر الفلاح وغادروا الحقل، وعندما اقترب الفلاح منه بادره العبدالله بالاعتذار مبديًا أي مساعدة أو تعويض إن لحق بزرعه أي أذى، وعندما علم الفلاح بأن الصياد هو حسيب العبدالله أبدى كثيرًا من الاعتذار والأسف وكثير من الخجل وأقسم الفلاح طالبًا منه متابعة رحلة صيده بين زرعه، لأن الأرض التي يزرعها الفلاح دون مقابل تعود ملكيتها إلى والد حسيب العبدالله المرحوم خنجر الحاج حسين عبدالله. هكذا في قصص الأحرار الكرام عِبر وسير وحكايات من الأخلاق والنبل والفضيلة والكرم والشهامة الإنسانية وصفاء السريرة. أي أخلاق أنت أيها الحسيب أي رجل أنت ألم يروا وجهك القتلة ألم يخجلوا من ابتساماتك وهامتك وطلتك والتفاتتك ...حقًا بأنهم من نطفة سِفاح، لم يتكونوا ولم يتدرجوا في إطار إنساني طبيعي هذه طباع المجرمين.

الرصاصات الأخيرة الشهيد حسيب العبدالله

شهيد الوطن

شهيد لبنان

شهيد العروبة

شهيد الإنسانية

شهيد الدبلوماسية

رصاصات من يد سوداء وبصيرة عمياء وعقول طخياء، رصاصات الغدر والإثم والعدوان وجهت إلى صدر الوطن لبنان، فأوجعته بفقد رجل من رجالاته حمل هموم الوطن على عاتقيه وطفق يجول بين المشرق والمغرب بخطوات ثابته بحكمة وإباء، يرسي بهمة عالية سياسات الاعتدال

وعلاقات قائمة على التآخي أتت بكثير من النفع على لبنان وضمدت كثيرًا من جراحاته.يوم كان الوطن يئنُ تحت براثن الحراب وكؤوس المنون، يوم أغلقت عنه العيون فيه كانت تموت البنون في معارك الجنون والمجون،وطن كان يتلظى بنار الحروب و حسيب العبدالله لا تعرف المضاجع له جنبًا متوثبًا يلم شمل اللبنانيين ويمد لهم يد العون والمساعدة، كانت محطته الأخيرة أبوظبي فكان أول سفير لبناني في دولة الإمارات كان راعيًا وأبًا حنونًا للجالية اللبنانية في بداية محنتهم وهجرتهم خلال سنوات الحرب الأهلية حين طل قرن شيطانها عام ١٩٧٥م، كان إلى جانبهم يساعدهم ويهون عليهم غربة الوطن ولوعة الهجرة .ربطته علاقات ود ومحبة مع قادة الإمارات وعلى رأسها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات.كان اللبناني لا يحتاج إلى تأشيرة دخول عاد حسيب العبدالله إلى وطنه كي يسهم بما يملك من خِبرة ورصيد كبير من العلاقات وعلم ينتفع به، وكم كان الوطن بحاجة إلى أمثال حسيب العبدالله، إلا أن دواعش العصر ونواهش البشر وفواحش الإنسانية وشذاذ الآفاق وخفافيش الظلام وهادمو الأوطان وبراثين الشيطان ومناقير الغربان وألسنة السحالي وأنياب الأفاعي المدلسين، خرجوا من حظائر النتانة والفسق والفساد أعداء الله والرسول وأهل بيته، والذين ساروا بسيرة يزيد ليطلقوا رصاصات الغدر ويصوّبوا جهالة عقولهم وتخلفهم إلى شخصية محورية تملك ثراء الرؤية وعمق النظر ودقة الملاحظة والآمال البعيدة فكانت أبرز سماته وأرقى خصائصه. فكانت نهاية هذه الشخصية بضع رصاصات أجيرة وسامًا أخيرًا على صدرٍ كان بوسع الوطن، وما جاءت إلا تأكيدًا لعظمة هذا الإنسان ورفعته التي تخطت حدود الوطن لتوجه هذه الرصاصات المشهد كله إلى قتلة الحرية والوطنية والكرامة الإنسانية رحم الله أبا سعد الدبلوماسي اللبناني العربي.

أطلقوا عليه الرصاص   فكانوا إخوة الشياطين
أضلوا ضلالاً مبيناً   حدّث عن المذنبين
أمسى الحسيب شهيداً   بين أعداء الدين
فُجعَ الأحرار بقتله   والقَتَلى غير نادمين

رثاء بابن العم حسيب العبدالله(١)

قد راعنا الخطب فارتاعت له الأمم ... لمّا انطوى من سما لبنانا علم
هزّ البلاد دويّ الخطب فارتاعت ... شمّ الجبال ومادت فوقها القمم
ما كنت أرثيك يابن العمّ بل عصفت ... في القلب نار وفي الأحشاء يغلي دم
شلّت يد الغدر أن تطلق رصاصتها ... على كريم له الأقطار تحتكم
كم سيد قد طواه الغدر في بلد ... أشرار لبني الأوطان قد حكموا
لا الغدر يثني لنا عزمًا ولو فنيت ... منّا النفوس لنا الأخلاق والشيم
مثّلت لبنان أدوارًا فكنت له ... خير الممثّل ما زلّت بك القدم
أقمت للمثل العليا ركائزها ... تبني لقوم من الأمجاد ما هدموا
كنت الملاذ لهم في كلّ معضلة ... تحمي الضعيف وللمظلوم تنتقم
تركت لبناننا المجروح في خطر ... ما آن يوم لهذا الجرح يلتئم
تتابعه من جميع الكون عاصفة ... هبّت عليه وبالأنواء يصطدم
تسابق الغرب والأقطار قاطبة ... كل له في سما لبناننا علم
قد قسّموه كانتونًا وأجهزة ... للفتك فينا إذا أبناؤنا انقسموا
قد غاب وجهك لكن في مآثركم ... لنا العزاء وللأحداث نبتسم
جرّعتنا الكأس فلنصبر على مضض ... صبر الكرام إلى أن تنجلي الظُلَمُ

الحاج حسن علي أفندي عبدالله (١٩٢٢-٢٠٠١)

هو المرحوم الحاج حسن بن علي أفندي ابن الحاج إبراهيم عبدالله، ولد في بلدة الخيام وتلقى علومه الابتدائية في مرجعيون، وتدرج في مهام كثيرة ولنزاهته وأمانته ودماثة أخلاقه عين موظفًا في المالية وأمين صندوق مال في مرجعيون وقد حاز على ثقة وتقدير واحترام الجميع. وقد اشتهر الحاج حسن عبدالله بحسن أخلاقه وسمو المنزلة ورفعة الشأن وهي من الصفات التي أرست مناخًا واسعًا من العلاقات والمحبة المتبادلة بينه وبين الناس، فكان عالي الهمة مقدامًا من سماته صنع الخير وتقديم العون، كان يدرك حتمًا بأن الوقوف إلى جانب الناس ومساعدتهم يمثل أولوية في حياته نابعًا

(١) قصيدة من ديوان "آلام وخواطر" للشاعر محمد سعيد الحاج مصطفى العبدالله التنوخي، يرثي فيها الراحل محمد حسيب العبدالله، صفحة ٢٧.

من مكارم أصله ونشأته وتربيته وإكمالًا لدينه وإيمانه، فوالده المرحوم علي أفندي عبدالله صاحب المناقب والمزايا والمفاخر والفضائل، فبهذه الروح وهذه الصفات الجميلة شكلت كلها عناوين لمسيرته الخيّرة وربطته بعلاقات تعدت محيطه وبيئته أثمرت عن علاقات مع شخصيات بارزة في كل من مصر والسعودية، فقد حظيت شخصيته بكثير من الإعجاب والإحترام بأوساط رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية، حتى أصبح من رجالاتها الناجحين وكان له فيها نشاطات اقتصادية ناجحة ومميزة، حتى أضحت مؤسساته التجارية مقصد الكثيرين من العائلات اللبنانية وغيرها، الذين تربطهم به صلة قرابة أم لم تربطهم، ولم يدخر وسعًا في مدّ يد العون والمساعدة لكل محتاج فكان له في المضمار الاجتماعي أيادٍ بيضاء دليل على مشاعره الكريمة والرحيمة والمُحِبة للآخرين.وقبل أن يشق بعصاه طريق الإغتراب كان متحمّسا لكثير من المشاريع في بلدة الخيام وخاصة في مجال الزراعة، التي من شأن جهوده وأعماله وأفكاره هذه أن تحفز المواطن الخيامي والجنوبي على الصمود والاستقرار في أرضه، وتوطيد هذه العلاقة المهمة بين الأرض والإنسان. جاء في كتاب عروس المرج: أما الصفحة الأخيرة من كتاب التطورات فهي التي كتبها الحاج حسن علي أفندي العبدالله، الذي أقدم على زرع الفستق ثم القطن في المرج. واستثمر لهذه الغاية مساحات واسعة منه اشتغل فيها عدد كبير من الفلاحين والأجراء، وفي الحالتين كانت المحاصيل ممتازة، ومع ذلك فقد اخفقت التجربة لا لشيء سوى أن التصريف كان صعباً ومكلفاً جداً بسبب المزاحمة الأجنبية وعدم وجود سياسة حكومية لحماية الزراعة المحلية(١).

ومما يذكر بأن الحاج حسن لعب دورًا أساسيًا في أحداث متفرقة، وكان فيها الراعي الأساسي في تقريب وجهات النظر في منطقة كثر فيها الصدام، ومضى في سياسته هذه وسجل كثيرًا من النجاحات ومما يذكر بأن عام ١٩٤١م. أثناء ما شهدته المنطقة حين تحولت الخيام ومناطق الجوار إلى ساحات للحروب، عندما هاجم الجيش الإنكليزي الجيش الفرنسي في الخيام والمحيط فقد عمل المرحوم الحاج حسن على تأمين حاجيات الناس وتوفير ما أمكن توفيره في ظل أوضاع بائسة عندما حرمت أُسَرٌ حتى من مفرش حصيرة على ما روي بأنهم تهجروا من فلسطين، فتأصلت هذه الشهامة و الصفات النبيلة والأخلاق العالية. لم تكن يومًا دارة المرحوم والده أبو سطام إلا منبتًا للرجال والكرم. وقد عمل الحاج حسن في التجارة عندما كانت المنتجات الزراعية تشكل العمود الفقري للاقتصاد بين لبنان وسوريا وفلسطين. فهذه السيرة النبيلة من كرم الأصول والنشأة؛ أكسبته الكثير

(١) كتاب "عروس المرج"، للأستاذ كامل فاعور، صفحة ٢٠٤.

وصقلت شخصيته الإجتماعية والسياسية، فخولته لأن يخوض غمار تجارب عديدة وهو متسلحٌ بأخلاق كريمة. حيث الأخلاق الفاضلة ترفع من شأن صاحبها، وتكسبه هيبة، ومكانة ومنزلة، فالأشخاص والأمم عادة تنهض بأخلاقها، وروحها وطموحها، وتحقق أسمى الغايات النبيلة.

ففي عام ١٩٩٢م. خرج الحاج حسن عبدالله وكله عزم وإرادة، ليعلن ترشيحه للإنتخابات النيابية، لم يكن ترشحه مبادرة شخصية منه أو استطلاع رأي؛ بل هو جزء من محبة الناس له، فقد استطاع أن يكسب الكثير من مسيرة بيته السياسي، والتي عمرها عشرات السنين، وكانت بدايتها الأولى على يد جده المرحوم الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله. الذي قال فيه الشيخ عبد الحسين صادق:

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا ... لا يوم بعد أبي خليل وسيمُ[١]

واستمرت الزعامة بهذا البيت العريق على يد أنجال الحاج إبراهيم وأحفاده.

إلا أن الحظ عام ١٩٩٢م. لم يحالف الحاج حسن عبدالله لأن كثيرًا من التقلبات السياسية والتحالفات الحزبية غيرت خريطة الواقع الانتخابي، فخرج وهو فائزٌ بمحبة الناس ورضاهم عن أدائه. رحم الله الحاج حسن عبدالله الذي ما زالت داره في الخيام عامرةً ومرجعًا للكثير من المحطات السياسية، وذلك بفضل ذريته الصالحة ولا سيما ولده) أبو سعد (الحاج حسين ابن الحاج حسن بن علي أفندي عبدالله) الذي كسب الكثير من خصال آبائه وأجداده.

لهف الناس لو كان ينفع ... لأحييتك العَبَرات وهي تتدفقُ
قد شيَّعوك والملأ من حولك ... والقلْب كالجمر تحت الرماد يتحرّقُ
ثمانون من العمر وَفيّتَها ... ويدك بيضاءٌ وبابك لم يغلقِ
أما البيوت فالمواقف أمُها ... تُعطى على قدرِ العطاء وترزقُ
فتاج كرمك اليوم ليس مغبراً ... أودعته ولدك (حسين) وهو الأليقُ

(١) أبو خليل هو الحاج إبراهيم بن الحاج حسن عبدالله. أنجب ثلاثة أولاد: الحاج خليل وأخيه علي أفندي عبدالله، وكان قد توفي له ولد اسمه عبد اللطيف.

الشيخ عبدالحسين إبراهيم صادق
(١٨٦٢-١٩٤٨)

ادِئَ ذِي بَدْءٍ إن جلت باحثًا أو دارسًا أو زائرًا أو سائحًا في جبل عامل تستوقفك شخصية العلامة
الحسين صادق، وإن قرأت تاريخ الجبل واطلعت على أحداثه من زاويته السياسية رأيته سياسيًا
ا، وإن اطلعت على تراثه الفكري ومخزونه الأدبي لوجدته قد حاز على الكثير من مفاتيح خزائنه،
الفقه والعلم هو المجتهد الأكبر حتى جمع بين الرياستين الدينية والدنيوية، فكان عالمًا فاضلًا فقيهًا
ا من أهل العلم، فاق أقرانه شعرًا وأدبًا عرف بالتواضع والشهامة فهو أبي وحسن الأخلاق يدل
عمله على كرم أصله مجاهدٌ من مجاهدي جبل عامل، هذا الجبل الذي كُتبَ تاريخُه ليس فقط
هد والبذل والعطاء والعرق والعزم والثبات، بل بالدماء الزكية الطاهرة وخُطَّت تاريخ أحرفه من
راع رجاله نورًا، فكان شعلة متقدة أنارت الطريق وهدت إلى سواء السبيل.
ولة وليدة وأمة مشيدة وكيان شريد يتطلعون إلى شخصية بحجم هذه الجغرافيا العتيدة وإلى
صية مجيدة. أرادوها مميزة في رجولتها وأرادوه رجلًا قلما يشاركه أحد في صفاته وقلما يدانيه
في مناقبه، من عبق النجف الأبي طهرعمامته وبياضها يحاكي بياض حرمون عزًا، كما الرؤوس
خة فوق هاماتها مرجعًا من مراجع الرجال الرجال، والإنسان والبيان والفصاحة والأدب
عر فقيه من فقهاء هذه الأمة، مرجع من مراجع علماء جبل عامل هو المرحوم المرجع الكبير
خ عبدالحسين صادق قدس الله سره.
شأ يتيم الأم والأب، توفيت والدته وهو في أشهره الأولى وتوفي والده وهو ابن خمس سنوات،
بين رحماء قوم لا يعرفون البغضاء، فنال من المحبة والعطف ما فقده من حنان الأم ورعاية
، فكان في رعاية شقيقته الحاجة خاشية وزوجها الحاج محمد أفندي عبدالله. فقامت رابطة

متينة بين الأخت الحنون والزوج الرّؤوف من جهة والطفل اليتيم، مما يروى كان الحاج محمد أفندي عبدالله زعيم الخيام وصاحب حكومتها، كان حلمه أن يرى الشيخ عبدالحسين صادق وقد تعمم، حيث لم يألُ الأفندي جهدًا في رعايته ولم يدخر وسعًا في مساعدته، مسديًا إليه النصح والمشورة وكان يقول له: أحب أن أراك مثل والدك رجل دين وعالمًا كبيرًا نفتخر بك كما كان والدك موضع فخرٍ لنا وللطائفة، هذا ولم ينضب حنان نبعه ونهر عطفه فطفق الحاج محمد عبدالله يغمره فيهما فآزره و قواه وأعانه وشده حتى استوى على سوقه.

بروض حسن الخصال والمكرومات ... شب.. رعاه محمد ابا علي
جاد عليه من حشاشة الكبدي ... فأضحى بحبه مغتني
عَبَدَ اللهَ بحب نبيه وآل بيته ... وأحب محمد وقال: أنا به مقتدي

فليس هو بالمدلل الذي يقتل التدليل قوة الجد والرجولة والإرادة، فكان قويًا وجريئًا مستقلًا في قراره لعب دوراً مميزاً في واقع كان يحتاج إلى أمثاله، كان واقعًا متداعيًا شارفت فيه حقبة من أطول الحقب الاستعمارية على المنطقة العربية ولبنان على الأفول هي الحقبة العثمانية (١٥١٧-١٩١٨م.)واقعًا فقد أسباب الطمأنينة النفسية والروحية وبات الفرد فيه عاجزاً، فطفق يبحث عمّن يعيد إليه هذه الطمأنينة ويبسط في نفسه العدل ويحمي ضعفه ويقف في وجه المستبد الظالم، حقبة بين أفول النظام العثماني الذي قابله تأهب لقوى استعمارية جديدة قديمة تتسابق في نعي من يثقله الموت السريري قبل الوفاة مستعجلة، وراثته وراثة أنانية بعيدة عن (ما للذكر مثل حظ الأنثيين) بل استعمار يعد العدة ليملك الأرض ومن عليها، زمن تكالبت فيه قوى الشر على وطن مزقته وأضعفته الطائفية التي أصرّ المستعمر أن تلازم اللبنانيين بكافة فئاتهم قولاً وعملاً وشكلاً، حتى أصبح الكثيرون في لبنان مَن تأصلت وتجذّرت بأنفسهم الهالكة والمهترئة الطائفية سيئة الذكر، وأصبحت جزءًا لا يتجزء من هويتهم، فباتوا لا يملكون الخيرة من أمرهم إلا بما يأمر به أسياد الانتداب وأربابه، ومَن يعصيهم فهم الأقدر على جره إلى الحروب الطائفية بحروب هنا وأخرى هناك.رجال عاهدوا الله وكانوا بالمرصاد تصدوا ما استطاعوا وغيّروا بيدهم ، ولسانهم ، وقلبهم ، وذلك أضعف الإيمان.

أضحى العلّامة صادق عالمًا جليلًا معبرًا بصدق عن استقامة نفسه، وإسلامه المحمدي الأصيل وطائفته وإنسانه ووطنه وجبله وأهله، ملتزم بما يمليه عليه دينه والروح الإسلامية العبقة بسيرة آل بيت محمد وفكرهم النير، تشربت روحه من هذه المدرسة العظيمة مدرسة أهل البيت عليهم

السلام حبًا ورحمة وصدقًا وأحكامًا وفقهًا واجتهادًا وتحليلًا واستنباطًا، وإننا هنا لسنا إلا لإظهار هذه السيرة الطيبة بما استطعنا جمعه وتحصيله، حول شخصية العلامة عبدالحسين صادق من منظور موضوعي للغاية، هكذا نراه مناضلًا مكافحًا بطلًا فارسًا مقدامًا لا يخاف في الله لومة لائم، وذلك من أجل استقرار وطنه وبلده يجول ويصول هدفه أن ينعم أهل جبل عامل بشيء من الاستقرار والطمأنينة مع الصفوة من علماء جبل عامل الأكابر أمثال عبد الحسين شرف الدين والسيدمحسن الأمين والشيخ حسن يوسف مكي والشيخ حسين مغنية، الذين كان لهم بصمات وإسهامات جليلة في الدفاع عن الوطن وخاصة جبل عامل أثناء الفتن بين أبنائه.

يقول العلامة صادق بآل عبدالله:

أخاف من جور الزمان وعصمتي ... أسُد الشرى من آل عبدالله

وفي قول آخر:

وأصاب في سهم الزمان وجنتي ... أسدُ العرينة آل عبدالله

قِمة الإخلاص كان العلامة الجليل صادق متصالحًا مع نفسه إلى أبعد الحدود، نقي القلب صافي السريرة ظاهره منسجمٌ مع سجيته، لم تغلب الحياة من ثبات طبعه واستقرار نفسه ولم تضعضع أركان بنائه وعلو هامته، فجاءت كلماته معبرة عن حبه لمن كانوا إلى جانبه إلى مَن رعوا مسيرته مسيرة الإنسان والعالم.

ولعلنا نقتصر على أبيات من قصائده الرائعة يصف فيها شوقه إلى جبل عامل وطنه وأهله يقول:

حكم القضاء بأن يفارق ناظري ... وقّاد كوكبك المنير الزاهي
ويسوقني القدر المتاح مُقوضًا ... رحلي لعاملة على استكراه
فلقد خُفضت بعاملٍ قدرًا وإن ... ساوى بها الشُمّ الشوامخ جاهي
ما افتر ثغر الدهر عن مثلي بها ... يوماً ولا عمّن حجاي يُضاهي

صورتان أرسلهما الشاعر، دعونا هنا نقول: الشاعر ودعونا ننعم بظلال شعره وبلاغة قوله وجميل بيانه:

الصورة الأولى: يبرز بإنسانيته الراقية وبوجدانياته المرهفة تعبير عن الذات ليس في محل ضعف وخوف بل قوة النفس وعنفوانها، هنا كيميائية الشاعر تحركت واستجابت لمادة الغربة كالطاقة التي تؤثر في خصائص المادة، وما تشكله من تغيير فجاء هنا ألماً ومكابدة في النفس، فأشعلت الذاكرة والخيال عنده.

ويتابع الشاعر لاحقاً قائلاً في آل عبدالله في قصيدة من أهم قصائده دلالة وحدثًا ومعنًى

ومناسبةً، كانت كأنها الفرصة المتاحة ليعلن ما تهتف به سريرته (قدس الله سره) وما يحدث به قلبه جاءت بعَفْو خاطر وخلجات الوجدان وتدفق العاطفة، لم يكن تباهيه صدفة حين خاطب بإحدى قصائده علامة عصره الإمام السيد حسين القزويني النجفي ليقول له: بأنني مولع بجغرافيا جبل عامل الجبل الأشم، وأنني حبيس اثنتين: حب لهذا الجبل وإعجابي بأحبائي آل عبدالله فكان في قصيدته حسن الختام وأروع الكلام[١].

يقول:

ما افتر ثغر الدهر عن مثلي بها ... يوماً ولا عمّن حجاي يُضاهي
إني وسعت جبالها وهضابها ... في سهل خلق ليس بالمتناهي
لا تحذرنّ على سورة حُسّد ... أيراع ليثٌ من قطيع شياه ؟
وأصاب في سهم الزمان وجنتي ... أسدُ العرينة آل عبدالله
هُم نور باصرة العُلى وهمُ الألى ... في أعين الحسّاد شوك عِضاه
ما فيهمُ يوم القراع سوى امرىء ... مُرّ الحفيظة ذائدٍ جَبّاه
تعنو له أُسدُ الشرى وتخرّ من ... سطواته لمعاطسٍ وجبّاه
هم طوع أمري والورى طوع لهم ... إن فاه منهم آمرٌ أو ناهي
إيمانهم للراغبين سحائبٌ ... وعلى رؤوسِ الناكبين دواهي
لهم القواضب والسحائب والندى ... ضربٌ من الأضراب والأشباه(*)
معنيّة الإيمان لقمانيّة ... البُرهان سحبانيّة الأفواه(**)

في الصورة الأولى كان الوطن. واصفًا شوقه إلى مكانه وأرضه وبيئته حتى وإن كانت إقامته قدرًا ضئيلًا فلن يضاهي هذا القدر شيء.. هنا أود أن أعتذر لأنني سوف أقحم نفسي وأرمي بفكرتي، فكرة استطرادية لعلها قاسية كقساوة المواطن على وطنه، برأيي بأن الشعب الفلسطيني ما زال يملك وطنه حتى وإن هجّر وطرد، لأنه يحمل قضية وطنه بين جنباته ويتسمى باسم وطنه ويكافح من أجل وطنه، أما اللبناني فإن تسمى بلبنانيته ورغم أنه يقيم على أرضه ويملكها ولكن يعيش

(١) من ديوان "سقط المتاع"، صفحة ١٥٩-١٦٠، الجزء الأول.
(*) قَوَاضِبُ: جمع قاضِب السيف القاطع. السحائب: جمع سحب. النَّدَى: الجُود والسخاءُ والخير.
(**) لقمانية: يقصد بها الحكمة. سحبانية ويقصد بها البلاغة والبيان.

خارج إطار الوطن يعيش في طائفته و طائفته لا تعيش في وطن، لأن اللبناني طائفي بامتياز وإنما الوطن يعيش في طائفته، فإذا ذهبت الطائفة أخذت معها الوطن، هكذا يحدثنا التاريخ الذي تشير وقائعه وأحداثه. ففي يومنا هذا وساعتنا هذه الوطن معطل لا رئيس منذ أكثر من سنة، نحن الآن في أيار ٢٠١٥ عندما أصاب النظام الطائفي عطب ما، تعطل الوطن .. رجاءً اقرأ معي، يقول لحد خاطر في كتابه المميز والرائع ما يلي: في العهد الفينيقي عرف اللبنانيون الانتخابات بالاقتراع الشعبي من أقدم العصور، حتى لقد تيسر لنا القول أنهم كانوا أول شعب في هذه الأقطار الشرقية زاولوا هذه الطريقة في تنصيب حكامهم وأعضاء مجالسهم .. انتهى كلام خاطر.. نترك هذا القول برسم اللبنانيين ولكن ما نقوله: ومن الثابت بأن البشر الذين يقيمون على أرض لبنان حاليًا ليسوا من اللبنانيين لربما الأوائل انتقلوا بسفنهم إلى أوروبا وأمريكا ليؤسسوا أعرق الديمقراطيات، ديمقراطيات تحترم شعوبها وتقدر إنسانها لا ليس كشعوبنا التي تموت على أبواب المستشفيات، رحم الله بني فينيق أمواتهم وأحياءهم لقد كانوا لبنانيين عندما كانوا غير طائفيين ولا يعرفون الطائفية .

دعونا ننتقل إلى الصورة الأخرى التي رسمها الشاعر العلامة صادق، تحدث عن الوطن ومن الطبيعي أن ينتقل إلى من يمثل أولوية لا تقل في شأنها عن الأولى هم الأهل، إلى من يؤلمه فراقهم نراه يقسو على نفسه فيصيبها بوجع، وكأنه يقول: أصاب الفراق مني مقتلًا .. وإذا تأملنا نرى شعره يصاغ بأسلوب فلسفي راقٍ يترجم لنا نبض الشعر وروحه وحركته اللاجامدة، وتعكس جمال كلماته مرآة السبك فيه ..رغم كل الشجا والقذى اللذين أرادهما له زمنٌ فيه يفارق مَن أحب.. يرسم شقاء ومعاناة وتأوه.. وإذا اقتربت منه فهو السعادة المطلقة، تقرأ في كلماته إحساسًا بالضعف وإذا دنوت منه وجدت فيه كل القوة والبأس الشديد. يتصور للقارئ، اذا ما عاش البناء الشكلي للشعر بأن هناك ضفتين متقابلتين بينهما فاصل، لكن ما إن يعبر من الأولى مع ثقل الشعور بالمرارة والكآبة فإذا به قد وجد مزجًا بعناية فائقة ومهارة في الصقل وإبداع تجاوز حدود الإدراك إلى الإلتباس ...فلا تجد لحيرتنا جلاء إلا سيرة من قصة بلقيس والنبي سليمان، عندما دخلت الملكة بلقيس على النبي سليمان وقامت بجمع ثيابها حتى ظهرت ساقها، لظنها أن بلاط سليمان أو الصرح كان ماء، فأخبرها سليمان أنه صرح من زجاج يجري من تحته الماء فاندهشت بلقيس من الملك سليمان وحكمته. هنا نعيش أبعاد هذه الدهشة ونحن نعبر بين الضفتين. بأبي وأمي يا مولانا ويا سيدنا أي معادلة وتوازن

هذا وأي آمال أوجدتها من العدم وأي متعة أوجدتها من بعد نفور؟ وإذا فجأة ينتقل بأسلوب شيق يترك المتابع في حيرة يمزج هنا البلاغة بقواعد فقهية ليستنبط رؤية تجسد المشهد الأخير... وهو أسد العرينة حيث القوة والذود والحماية في حضرة مَن أحبهم أسد الشرى آل عبدالله.

أما ختام أبياته فكانت حكمًا عادلاً وتاريخياً فيه حكم أخلاقي وهو صاحب الأخلاق إنه لعلى خلق عظيم، هذا ما وجدناه في سيرة العلامة صادق، نطق بآيات بينات هذه هي دعوته وقناعته مذ حمل قرطاسه ويراعه تجد الكثير من قصائده الرائعة والمعبرة، كاللؤلؤ المكنون في بياض تامور مصون لا يشوبه شائبة في حب آل عبدالله الذين أحبوه، وكان بالنسبه لهم موضع تقدير واحترام كبيرين من الجميع. وجاد من عظيم شعره خاصة بأنجال الحاج حسن عبدالله عمه والد زوجته، منهم الحاج إبراهيم والحاج محمد أفندي عبدالله الذي خصه بقصيدة عند عودته من الحج من أهم القصائد وأطولها بعدد أبياتها. وفي تعليقه على حاشية القصيدة صفحة ١٢ في ديوان سقط المتاع يقول الشيخ المرحوم حسن صادق ابن العلامة عبدالحسين صادق: في هذه القصيدة العصماء يهنئ بعض أنسبائه الأعاظم بقدومه من الحج الشريف يتابع الشيخ حسن صادق رحمه الله ويقول هو حبيبه (أي حبيب والده) من دنيا العالم صفيه إلاوفى وساعده، الذي لا يلوي لخليله المواسي صاحب السيف والقلم الحامية، المرابط المهيب المرحوم خالنا الحاج محمد أفندي عبدالله.. انتهى كلام الشيخ حسن صادق.

صدقوني كنت أمحو ما أكتبه من تعليق على شعر العلّامة صادق، نعم كنت خائفًا ومترددًا !!.. لماذا؟ لأنني بكل بساطة لست شاعرًا ولا أديبًا ولا ناقدًا ولا مؤرخًا، بل مفرخًا لأفكار أشبه بعمل البستاني في أيكته ينقل شتله بعناية فائقة حتى تنمو ويشتد سوقها وهكذا، فكيف لمن لا يملك هذه الأدوات أن يتجرأ ويدخل هذا الصرح العظيم وخاصة في حضرة العلامة عبدالحسين صادق، عشت هذا الصراع بكل أبعاده ولكن لم يقدر اليأس أن يسقيني من كؤوسه الآسنة، صراع تضارب الرغبات دون الرجوع عن الثبات بين جمحٍ وكبحٍ، أراد الله لي الربح إلى أن وصلت إلى حل وسط بين نفس تهوى المطالعة إلى حد السقوط بين براثن الكرى والليل وما جرى، والكتابة على أسمال القراطيس مشدودة في سريدة نخيل والبحث في دوامس القواميس، ونهر العيس في يوم عاصف في أرض بلقيس، وتصوّرت نفسي في مرآة الصبا بأنني على مقعد الدراسة وحصاد الشوك تلميذ أو طالب بين طلاب كثر أوكلت إليّ أن أقرأ أبيات الشعر وأعلق عليها .. والله ولي التوفيق.

وهذا ما قاله بالحاج محمد أفندي، نقتصر على بعض أبيات:

رابط الجأش والمرابط في الثغر ... الذي يرهب الهزبر الضاري[(١)]

والشجا في لهاة كل مناوٍ ... وبتامور الزناد الواري

ذو اللسان الماضي الشبا لا فليل ... الحد يومًا ولا كليل الغرارِ

ونبيّ الكلام أوتي آيَ ... السحر نثرًا وحِكمة الأشعارِ

جاء فيه محمدٌ وابن عبدالله ... لكن من يعرب لا نزارِ

أيارى شأوًا وفي مئزريه ... من تنوخ العليا صميم نجارِ[(٢)]

---

(١) لم يدخر المرحوم الحاج محمد أفندي عبدالله جهدًا ولا قوة إلا وبذلها بقلب قوي وشجاعة مطلقة لا يخاف في الله لومة لائم في الدفاع عن جبل عامل وحدوده وهو المرابط على ثغوره يصد طلائع المعتدين الذين إذا ما علم بوجوده خافوا وارتعدوا من سيفه الذي لم ينكسر ولم ينهزم ولم يضعف، وبقى حد بريقه يضيء سماء جبل عامل بالطمأنينة والارتياح والأمان، ولم يوضع في غمده طالما هناك تهديد ووعيد، وكان قلم الحاج محمد كسيفه وسهام قوسه ففي شعره تحدٍ وفي كلماته قوة ترهب العدو كحد سيفه، وتطمئن الصديق وتلهب به مشاعر الولاء إلى أرضه وناسه وأهله. فلذلك حاز على أوصاف جميلة وصفه بها العلامة صادق أوصاف تليق به ويعجز غيره عن حملها. في صفحة ٢٤ من ديوان سقط المتاع، يعدد العلامة صادق بأبيات من الشعر ثغور جبل عامل الذي رابط عليها وأقام فيها الحاج محمد أفندي وحماه ودافع عنها ويذكر منها: هونين، عيناثا، عين إبلِ، حداثا، مشغراء،الخان، واسط، حاصبيا، هذه قرى وأماكن تقع جميعها في جبل عامل (جنوب لبنان) في شرقه وغربه وشماله وجنوبه، لقد أحاط الحاج محمد عبدالله بقوته وسلطانه وحكومته كل هذه الجغرافيا الواسعة وكل هذه الأماكن، واستطاع أن يمدها بكل أسباب القوة حتى كان لها النصر والظفر المبين والغلبة والإنتصار النهائي، وها نحن اليوم نعيش على أرض الجنوب بفضل ما غرس هؤلاء الأبطال أمثال الحاج محمد عبدالله، وما أكثر الرجال في جبل عامل الذين بفضلهم وهمتهم وصبرهم وتضحياتهم لم نغادر أرضنا ولم نترك أهلنا فكانت الراية راية العز تنتقل من جيل إلى جيل إلى أن حملتها المقاومة الإسلامية فكانت نعم الحامل والمحمول.

أما معاني بعض المفردات: الهِزَبْرُ: الأَسدُ الكاسِرُ ـ الضاري المفترس الذي يفتك بخصمه ـ صاحب الزناد الواري أي الرجل المفلح المنتصر ـ وصاحب الزناد الكابي أي الرجل الخاسر المنهزم.

(٢) دعونا هنا نوضح الصورة أو إذا استطعنا أن نرسمها يكون أفضل وذلك لسبر غور مزيدٍ من التفاصيل، كيف..؟ اذا جُسّد الشعر وهو المغزى الخفي فيه يمكن التمكن ساعتئذ من وصفه بصورة أوسع وأشمل، ان ماء الرسم كفيل بتعويم ما خفي وخفيا. فمن بيت الشعر الأول إلى البيت السادس كان أمامنا بمثابة شجرة بل شجرة طيبة وأصلها ثابت، وصف العلامة طيب ثمار هذه الشجرة وورافتها وصلابة جذورها وقوة أغصانها وشموخها وعظمتها وحدة شوكها في عيون الطامعين الجشعين، حتى إذا انتقل إلى المشهد الآخر منها، المشهد الغير مرئي ألا وهو أصل هذه الشجرة ليقول لنا: بأن نسب الحاج محمد وعمره من عمر تاريخ الإنسان العربي يقول العلامة بحدة وبفخر: انظروا إلى هذا الرجل الذي أصفه لكم، لا أصفه لأنه تربطنا فيه مودة كبيرة وعلاقة نسب، بل لأنه يبلغ من التاريخ مبلغًا وأجداده أشاوس العرب وصناديد ساحات الوغى وقبضات الصماصم القاطعة، وأرضهم لم تكن تغيب عنها الشمس ضرب من الخيال أن يدرك هذا الرجل، تبًا لمن يجرؤ فلم تلده أمه ...هنا عندما جسدنا فكرة

إلى أن يقول:

حملت من محمدٍ طُود حِلمٍ ... شامخ الذروتين ثَبت القرارِ[1]
أيها القافل المعيد فؤادي ... لمحاني الضلوع بعد النفارِ
بك أهل من قدمٍ بالشذّين ... خُزامي مَسَرّة وعَرارِ
ومُوافٍ بالأعذبين نسيم ... الأنس ماء الهناء سارٍ وجاري
ومُفيء أظل رامض قلبي ... بالواريفين غر بان وغارِ
أنت يا مُثلج الحُشاشة بالقرب ... ويا مُحمدًا وطيس أواري
لو تنورتني على البعد يوماً ... آنستني عيناك جَذوة نارِ

الشعر أخرجنا الكثير مما خفي على القارئ العزيز، ويقول العلامة: هو من يعرب لا نزار لماذا لأن منظومة الحسب والنسب عند العرب أولاً من طبقات ثلاثة لا رابع لها والعرب فقط من أصلين لا ثالث لهما فالذي ليس من الطبقات الثلاثة ومن ذوي الأصلين فهو ليس عربيًا بالتأكيد.وقد شرحنا باسهاب عن هذا الموضوع في المقدمات الأولى للكتاب.

(١) لم أجد أكثر لياقةً ولا أفضل ولا أنزه ولا أكرم ولا أعظم من أن أبدأ بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٢] لماذا لأن الحدث هنا يتطلب إضاءة وبريقًا قويًا انظر إلى عظمة هذه الآية هنا محمد أي الحاج محمد عبدالله يمثل قاعدة أو مدرسة أو بيئة أو دعنا نقول: بانه يعكس حاضرًا مركبًا من مجموعة صور تشابكت في مفهوم واحد أو مجموعة روافد التقت لتشكل رافدًا قويًا عذبًا سلسبيلًا مستساغًا لذة للشاربين، كانت طلائعه الأولى وبواكيره عام ١٢٨٠ للهجرة عودة الحاج حسن عبدالله من رحلة الحاج وإلى جانبه العلامة الكبير الشيخ المرحوم إبراهيم بن صادق والد العلامة عبد الحسين صادق، لتبدأ علاقة بين الأسرتين علاقة قوية يصعب فكاكها، وتعدت لتكون علاقة رحمية وروحية زاخرة بكل المعاني الإيمانية وغنية بمودة عميقه يستحيل سبر غورها بسويعات أو بأيام وأشهر وسنين، حتى أنتجت هذه المنظومة الإنسانية والإيمانية هذه الثنائية الكريمة من أفاضل العباد كالعلامة عبد الحسين صادق يقول ولده المرحوم الشيخ حسن صادق واصفا إياه في ديوان سقط المتاع صفحة ٢٥٨ يقول:كان في سماحة خلقه ورحابة صدره وتحمله للمكاره على مثال خلق الأنبياء والأولياء في صبرهم وتحملهم، قد جاء مطبوعًا على غرارهم ناسجًا على منوالهم يشهد بهذا معي العدو والصديق والبعيد والقريب .. انتهى كلامه .لنعد إلى ما قاله العلامة عبد الحسين صادق في أبياته الشعرية وما الذي انبثق عن هذه الثنائية يقول: حملت من محمدٍ طُود حِلمٍ شامخ الذروتين ثَبت القرار.. هذا الإشراف والرعاية والتربية من الحاج محمد عبدالله الذي ينتمي في تاريخ سيرتهِ العطرة إلى المنظومة الأولى التي أرسى دعائمها الحاج حسن عبدالله مع الشيخ إبراهيم صادق استأنسها الشيخ عبدالحسين بل تشربها وكانت بالنسبة له حلم يسعى إلى تحقيقه وكان فيه النجاح والفلاح، وكان عبدًا من عباد الله الذين يمشون على الأرض هونًا... كما وصفه ولده: كان في سماحة خلقه ورحابة صدره وتحمله للمكاره على مثال خلق الأنبياء والأولياء في صبرهم. اللهم صلي على محمد وآل محمد. بعض معاني المفردات، الأُوار: حَرُّ الشمس والنار ، الخزامي والعرار نوعان من أنواع النبات ذو الرائحة الطيبة. حَمِيَ الوَطِيسُ : أيِ اشْتَدَّتِ الحَرْبُ أو المَعْرَكَةُ ،حامي الوطيس : عنيف، صاخب.

نسب العلامة صادق ومولده ونشأته :

هو ابن المرحوم إبراهيم بن صادق بن يحيى بن محمد بن نجم المخزومي. وُلد في النجف الأشرف في أواخر صفر من سنة ١٢٧٩ للهجرة يقول ولده المرحوم الشيخ حسن: وفي تلك السنة رجع المرحوم ووالده إلى وطنه جبل عامل أي والد العلامة عبدالحسين صادق، يرافقه المرحوم جدي الحاج حسن عبدالله[(١)] وكان إذ ذاك متشرفاً بزيارة العتبات المقدسة في العراق، يقول في مجموعته الشعرية: وبدخولنا إلى الشام دخلت سنة الثمانين فجاء إلى الخيام وقد شيِّدت له فيها دار فخمة[(٢)]، وعلى الأثر رغب إليه المرحومان علي بك ومحمد بك الأسعد أن يكون مقره في الطيبة أو في الخيام فاجأبهما إلى طلبهما، وأوفد معتمدهما المرحوم الحاج موسى شرف الدين إلى العراق لإحضار عائلته، فكان في طريقهم إلى الفوعة من أعمال حلب أن صادفوا الوباء فيها فمات جل العائلة ودفنوا هناك ولم ينج منهم سوى الوالد، وكان رضيعًا وشقائقه الثلاث وخالته زوجة أبيه التي درت عليه بعد وفاة والدته بالغم من أنها ثاكلة بشباب لها أيضا وبعيدة العهد عن الرضاعة وتلك عناية من الله تعالى فيه إذ بقي الوحيد لأبيه[(٣)].

خمس من السنين عاشها العلامة إبراهيم صادق والد الشيخ عبد الحسين صادق في ربوع جبل عامل حتى اصطفاه الله تعالى، وكان من أشهر شعراء القرن التاسع عشر وقد أشار آل صفا بتاريخه

(١) الراوي فضيلة الشيخ حسن صادق ابن العلامة عبدالحسين صادق فالحاج حسن عبدالله جده لوالدته الحاجة زينب اقترنت بالعلامة عبدالحسين صادق. وأنجبت منه الشيخ محمد تقي والشيخ إبراهيم والشيخ حسن الذي تزوج من الحاجة ضيا بنت أمين أفندي التنوخي عبدالله.

(٢) يشير الشيخ حسن بن عبدالحسين صادق بأن جده لأبيه الشيخ إبراهيم بن صادق بن إبراهيم يحيى المخزومي العاملي قد دخل الشام سنة ١٢٨٠ للهجرة، وبعدها تابع سيره إلى الخيام برفقة الحاج حسن عبدالله. ومما يُروى بأن الحاج حسن عبدالله كان قد أعدّ له داراً في الخيام. وبعدها آثر أن يقيم في الطيبة لدعوة تلقاها من الزعيمين الوائليين علي بك ومحمد بك الأسعد.

من هو الأمير محمد بك الأسعد: هو محمد بن أسعد بن خليل بن ناصيف النصار ولمحمد بك الأسعد أخ هو خليل بك الأسعد وأخت هي فاطمة الأسعد هذا ما ذكره الدكتور حسن صالح في كتابه الجوهر المجرد صفحة ٣٦٩ ... وقد أشار محمد جابر آل صفا إلى وفاة محمد بك الأسعد سنة ١٨٦٥م بمرض أصابه في دمشق. أما علي بك الأسعد الذي تزوج من ابنة عمه فاطمة بنت أسعد بن خليل فهو علي بن أسعد بن محمد بن محمود النصار من آل علي الصغير. (الجوهر المجرد صفحة ٣٦٨).

(٣) من ديوان "سقط المتاع"، الجزء الأول، صفحة ٢٥٥، للشيخ عبد الحسين صادق. قدّم له ولده المرحوم الشيخ حسن صادق.. هذا وقد حصلت على النسخة الأصلية من حفيد الحاج حسن عبدالله علي الحاج جواد عبدالله أبو حسين أطال الله بعمره في ربيع سنة ٢٠١٣م.

إليه صفحة ٢٨٨، وذكر بأن الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي الطيبي كان شاعر جبل عامل في عصره توفي سنة ١٢٨٤ للهجرة (١٨٦٧ ميلادي). وقد أشرنا آنفا إلى الدعوة التي تلقاها من الزعيمين الوائليين من آل الأسعد للإقامة في الطيبة، فقد توفي بعدهما بسنتين حيث بقيت أسرة العلامة عبدالحسين صادق ذات التاريخ الطويل في العلوم الدينية تمثل دورًا هامًا في المنظومة الدينية لجبل عامل، حيث لم تقف عطاءات هذه الأسرة المجاهدة عن تزويد طائفة المسلمين الشيعة برجال الدين وكذلك برجال الفكر كالأستاذ حبيب صادق. ونود أن نشير بأن العلامة عبدالحسين صادق كان قد ترك الخيام عام ١٩٠٦م إلا أنه كان كثير التردد على بلدته واستقر في مدينة النبطية، ومما جاء في التاريخ: بأن العلامة عبد الحسين صادق كان من أكبر وأشهر علماء جبل عامل وقد فاقت شهرته شعرًا أكثر مما هي في الفقه[١]. وفي عام ١٨٨٠ التحق العلامة صادق بمدرسة الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل إلى جانب عدد كبير ممن أصبحوا من العلماء البارزين في جبل عامل، أمثال السيد محسن الأمين والشيخ حسين مغنية[٢]. وقد أدرك العلامة صادق مبكرًا أهمية العلم وما يمثله في حياة الشعوب، فلهذا كان من أشد المتحمسين لإنشاء المدارس وذلك لمحاربة الأمية المتفشية في المجتمع العاملي الذي حرم من هذه النعمة. وكان له الدور الكبير على الشعائر الحسينية في مدينة النبطية فأشرف على تنظيم المواكب، وقد قام بتعريب الشعارات وما كان يدور من كلام بين المتقاتلين في تمثيلية مصرع الإمام الحسين بعد أن كانت نصوصها باللغة الفارسية[٣]. وبنى حسينية النبطية ١٩٢٥م. حيث كانت الأولى في جبل عامل. فلظرافته وحسن أخلاقه وصدقه كان يرد على منتقديه من بلاغة شعره وقلائد نثره يقول في إحدى قصائده:

تــــرى إقامــــــة العــــــزاء بدعـــــةً ... جديــــــدة يأبــــى الهـــــدى تجديدهـــــا
أمــــــا درت أن النبــــــي سنَّهـــــا ... لعـــمِّـــــــه مستحسنـــــا مـزيـدهـــــا
ألا تُـــــرى بــــــه صحــــاح جمَّــــةٌ ... لا يجهـــلُ ابـــن سُنَّـــة ورودهـــــا[٤]

فلم تغب عن باله آلاعيب المستعمر ودسائسه وطعناته وحزه للجسد اللبناني بسكين الفتنة، فلهذا كان العلامة صادق مؤمنًا أشد الإيمان بالوحدة الإسلامية، فلم يكن يدخر وسعًا ولم يأل جهدًا ولم يتردد في العمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية. وقد جاء في كتاب حركة الإصلاح الشيعي:

(١) كتاب "حركة الإصلاح الشيعي"، لصبرينا ميرڤان، ترجمة هاني الأمين، دار النهار، صفحة ١٢٦.
(٢) المصدر السابق صفحة ١٧٥.
(٣) المصدر السابق صفحة ٢٩٧.
(٤) المصدر السابق صفحة ٣١٧.

ففي عام ١٩٢٢م. ألقى العلامة مجموعة من المواعظ في المسجد الكبير في صيدا حيث أقام حوارًا مع الجمهور على شكل سؤال وجواب حول الإسلام والمسلمين والفروق بين المسلمين الشيعة والسنة من ناحية الأصول والفروع. وفي ذلك له قصيدة موجّهة إلى صديق له من الطائفة السنية الكريمة يقول:

متى يرى ناظري السنيّ معتنق الشيعيّ قدّاً فقدّاً في المؤاخاة
فيمَ اختلافكمُ والدّين وحّدكم أسوَّغَ الدّينُ تلك الاختلافات[1]

لقد منحت الحكومة العربية في سوريا دعمًا معنويًا لا أكثر حين نُصِّب فيصل بن الحسين ملكًا على سوريا، فكانت الثورات في جبل عامل على قدم وساق وقد حققت كثيراً من الانتصارات وأوجعت بعملياتها الفدائية قوات الإنتداب الفرنسي في الجنوب اللبناني، إلا أن عدم توفر الدعم من جهة وسقوط الحكومة العربية في سوريا بعد أن هزمها الجيش الفرنسي في ميسلون في ٢٤تموز سنة ١٩٢٠م.توقفت العمليات وأخمدت الثورات وانتقلت قياداتها إما إلى فلسطين أو إلى سوريا والأردن فانتقل المناضل العاملي شبيب الحاج جواد عبدالله إلى فلسطين، ومما جاء في كتاب الإصلاح: وقد ضم جبل عامل بقيام لبنان الكبير في الأول من أيلول عام ١٩٢٠م إلى جبل لبنان فأصبح جنوبه وفقد بذلك اسمه كما يقول العلامة عبدالحسين صادق في هذه الأبيات الشهيرة:

فلم تُبقِ منه مسمّى يُرى ولا اسماً يُحلى به المسمعُ
بلعتهما غير مستأثم ولا منكِر ما له تصنعُ
أتيت بها أي أعجوبة بها جبلٌ جبلاً يبلع[2]

كان رأي العلامة صادق واضحًا وجليًا في دعم الملك فيصل وحكومته في سوريا، والحقيقة أن طائفة المسلمين الشيعة في جبل عامل بايعت الملك فيصل ابن الشريف الحسين، فلذلك لم تكن الحكومة المحتلة الفرنسية تنظر بعين الرضا إلى العلامة صادق، وكان رحمه الله ذو الرأي الحكيم والعاقل وذو بصيرة، إليه ترجع الأنام وأهل الحل والعقد ورجال السياسة والدين للاستنارة منه والأخذ برأيه بكثير من الأمور السياسية والإجتماعية، وقد ذكر الشيخ أحمد رضا في مذكراته: إن الرسالة التي تسلمها العلامة عبد الحسين صادق في ك٢ / ١٩٢٠ من السيد والمرجع الكبير عبدالحسين شرف الدين (١٨٧٥-١٩٥٧) كانت للتشاور في أمور البلاد كانت عقيدته الإسلامية ومدرسة أهل البيت وانتمائه العروبي وتطلعاته القومية جعلت

(١) كتاب "حركة الإصلاح الشيعي"، لصبرينا ميرفان، ترجمة هاني الأمين، دار النهار ، صفحة٣٤٢.
(٢) المصدر السابق صفحة ٤٣٨.

منه قُطب قومه. وللوقوف على مزيد من التفاصيل عن حياة العلامة عبدالحسين صادق قدس سره السياسية والإجتماعية والدينية يمكن مراجعة ديوانه "سقط المتاع"، وكتاب "حركة الإصلاح الشيعي"، وكتاب "حوادث جبل عامل" للشيخ أحمد رضا. وكتاب "شعراء راحلون من جنوب لبنان"، إشراف وتقديم الأستاذ حبيب صادق ـ المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

أمراء ... ولكن..!!

هناك مُسلّمة مفادها بأنه كلما ارتفع جسمٌ ما وبلغ عنان السماء تتلقفه الجاذبية وتجرده من قواه أو تسحره بنعومتها، ويصبح التعامل معه ليس عن طريق الشدة والغلظة بمعنى استعمال وسائل قمعية وعضلات جسدية، هناك ما يمارس أشبه بسحر وإلهام كمن يقول سحرني كلامه أو حديثه، قوة خفية يطمئن لها الجسم فتراه يسبح بحرية، إن كان عاقلًا أو غير عاقل إن كانَ ماديًا أو روحيًا، حركة تخضع لقواعد جديدة وأنظمة خاصة تنبثق عن الجاذبية تصنع ما تصنعه وتُحدث ما تحدثه، ولكل شيء فضاء يعني مساحة ومدى ومحيط منه مدرك ومنه غير مُدرك منه محسوس، ومنه غير محسوس لو قلنا لشخص ما: صِفْ لنا جسدك يقول: الرأس وفيه العينين والأذنين والأنف ووو.. ولو قلنا له: صِفْ لنا العاطفة تراه سكت مليًا، لأن العاطفة ليست شيئًا محسوس نلمسه ونحدد شكلها ولكن هل هناك غير هذا الوصف للعاطفة؟ على سبيل المثال الشفقة والميل والحنو والرقة ووو..بعد كل هذه المقدمة نطرح السؤال التالي هل للشعز فضاء؟ أكيد نعم، ولكن ما فضاؤه مادي أو روحي؟ يعني ندركه ونتعرف عليه من خلال لمسه؟ أكيد لا. ندركه بماذا بإحساسنا وتكون أدوات فضائه الحس والخيال والجمال والإبداع والبديهة ووو..إذن أوجد الشعر لنفسه جاذبية. نعم كنت أهرب من قراءة شعر الشيخ عبدالحسين صادق لأنه كان يُحَمِّلني مسؤولية جسيمة لا أقوى على حملها وليس لي المقدرة على ذلك، لماذا أعود وأكرر: أنا لست ناقدًا ولا شاعرًا ولا أديبًا لكن في الحقيقة كنت أتسلق سور شعره العظيم وكلي خوف وتردد حتى يَحْمِلُني خيالي، فلا أنظر خلفي لأرى المدى الذي بلغته في الإرتفاع فتتلقفني جاذبيته وأعيش سحر الكلام وبلاغته وعذوبته وسبكه وجماله وحنانه وأوجاعه وفرحه وسروره ومتانتة وجزالته، وهنا ما ميز شعر العلامة صادق هي الجزالة في العطاء، لديه مقدرة عظيمة يستطيع من خلالها أن ينافس بها شعراء التاريخ هنا أسجل مظلومية الشاعر عندما لا ينال نصيبه من التقدير على مستوى الأمة، وإنني على يقين بأن العلامة آخر همه أن ينال هذا التقدير البشري طالما إن شاء الله قد نال رضى الله وهو هدفه ومسعاه،

وأذكر هنا على سبيل الطرفة: عندما تُـوّج أحمد شوقي أميرًا للشعراء دُعيَ وفدٌ من جبل عامل، إن شاء الله إذا لم تخُنِّي ذاكرتي كان ضمن الوفد الشيخ علي شمس الدين، وهو شاعر من أبرز شعراء جبل عامل في عصره، فلما وصل إلى مكان تتويج شوقي انبهر واندهش عندما رأى ما رآه من ترف وأبهة جنات وحدائق غلبا، وأنه رجلٌ متنعمٌ مترعمٌ ويسبح في النعيم ويطوف ما يطوف حوله من الولدان فقال قولته التي أصبحت كالمثل:

لو كنت مكان شوقي لفَاضَ الشعر من تحتي وفوقي..

بمعنى أنه يسجل مظلوميته بحق الشعر العاملي وشعرائه بلد العلماء والشعراء والأدباء، إذا أردت أن تكون شاعرًا تبايعك الأمة يجب عليك أن تكون مقتدرًا وصاحب ثروة لا تأكلها الفئران ولا النيران ويحسدها الجيران، للأسف كنت كلما أسأل عن كتاب قديم هنا أوهناك حتى قيل لي مرة هناك كتاب في البلد الفلاني ذهبت وسألت، لكن الجواب واحد لا ثالث لهما كنت أسمعه دائمًا: تراث أصلته النيران وابتلعته الفئران. نعم إنه الظلم بعينه أن لا يكون شعراؤنا وأدباؤنا هم المكرّمون وهم الأمراء على عرش الشعر والأدب.

ونقرأ ذلك بشعر عمنا عبدالحسين العبدالله:

ما جئتكم لأحيي الجاه والزعما	بل جئتكم لأحيي العلم والعلما
الشعر لم يغره بيت ولا نسب	ولا أجاد على أوتاره النغما

ثم يقول:

كوخ يشع جبين العبقري به	أسمى وأكرم من قصر حوى صنما
كم أطلع الكوخ في آفاقه قمراً	أضاء في الكون حتى بدّد الظلما

مما لا شك فيه بأن الشاعر يأتي شعره معبرًا عن حدث وذكرى وواقع وبيئة، يسكب أحاسيسه شعرًا أو يتناول عهدًا وحقبة مر فيهما. غالبًا الذي نحسه بالشعر العاملي هو عدم الاستقرار النفسي والنفور أو التمرد، فكان يترجم كل ذلك إلى استكانة عاطفية وحنو متواصل يُلْزِم بذلك واقع حال الشاعر العاملي الذي فاق بمعاناته كإنسان أكثر من غيره، بسبب واقعه السياسي فتراه يلجأ إلى أن يعيش عاطفة الشعر لا شعر العاطفة، يرسم بسمة وحبورًا ليعيش مستأنسًا بوهج طيبها فتنشرح الأنفس.

وقد رثى المرحوم الشيخ حسن صادق والده العلامة عبدالحسين صادق في مرثية أسماها "رسول السلام" نختار بعضًا من أبياتها.

يقول فيها:

فُجِعَ المسلمونَ والإسلامُ ... بكَ والدّينُ قد عراهُ انفصامُ
آيةُ الله أنتَ في محكمِ الذكرِ ... وأحكامِ شرعِهِ علامُ
مثقلٌ بعبئِها هكذا كانَ ... نبيُّ الهدى وكانَ الإمامُ
نسخةٌ منهما طُبِعَتْ وقد قمْـ ... ـتَ بأمرِ الإلهِ مِن حيث قاموا
الثمانونَ أحصيتَ لكَ، فالأ ... يامُ منها يتيمةٌ لا تسامُ
جَمَعَتها الأقدارُ بعدَ شتاتٍ ... ما لجمعٍ في الكائناتِ دوامُ
أجفلت والزمانُ منها حَوالٌ ... وتقضّت كأنّها أحلامُ
صفحةٌ في الحياةِ يُكبرها التار ... يخُ يمشي في ظلها الأعلامُ
صقلتها يدُ المشيئةِ مرآةً ... تجلت فيها النفوسُ الكرامُ

إلى أن يقول:

يا ضريحًا يُطوى به علمُ ... الإسلامِ فيه كم انطوت أعلامُ
فثراكَ القدسيُّ للملأ الأعلى ... مطافٌ من حولِهِ واستلامُ
لقد أظلتهُ من سما اللطفِ ... والرضوانِ سُحْبٌ مِدرارهنّ رُكامُ[1]

(١) ديوان "سفينة الحق"، للعلامة الشيخ حسن صادق، دار الفارابي، صفحة ١٨٠، ١٧٦، ١٧٥ .

الحاج محمد ابن الحاج حسين عبدالله
(١٨٩٢-١٩٧١م)

هو الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله ولد في بلدة الخيام تلقى علومه الأولية في مرجعيون، وعين موظفًا في قائمقامية مرجعيون، كان ذلك في العهد التركي، أثبت جدارة مميزة ليعين بعدها موظفًا في وزارة المعارف اللبنانية ولوجاهته الاجتماعية وحنكته وتبصره في الأمور السياسية ترأس بلدية الخيام من سنة ١٩٢٨ حتى حلّ المجلس عام ١٩٣١م[١]. فأدخل بعض الإصلاحات المهمة على بلدته، وهو من وجهاء المنطقة المرجعيونية المرموقين، كان رحمه الله ورعًا شديد التقوى كثير العبادة فاضلًا صالحًا كاملًا كريم السجايا عرف بمكارم الأخلاق سمح النفس شديد الشكيمة، صارم في مواقفه حازم في أحكامه لا يخاف في الله لومة لائم إذا حكم عدل. تقع دارته وسط بلدة الخيام إليها تتقاطر الجموع حتى تغص بهم المجالس. دارٌ تتوجها قباب القرميد ذات اللون الأحمر وكأنها تيجان مرصعة بالاستبرق، ومناورها الجميلة الملونة اتخذها عصفور الدوري له وُكُـنات، ونوافذها الخشبية الضخمة أصبحت متكأً لأشجار الخوخ والأكيدنيا، ومداخلها العملاقة توحي بأنك أمام قصر من قصور النعمان بن المنذر تطيبه رائحة الزيزفون وزهرة أبو صفير، كانت تأتي الناس لزيارته من كل حدب وصوب ومن كل فج عميق، دارٌ لم تستطيع الحروب أن تنال منها وتئدها وتسكت عبق تاريخها الفواح أو تعري أشجارها وترمي بها حطبًا أو تمحو من فوق حجارتها الصلبة، تواريخ صنعتها الآباء والأجداد ولا أن تحني قناطرها الشامخة، بهمة ابنه الحاج رضا عبدالله وأولاده الذين هم أحفاد الحاج محمد ما أشبه الولد بوالده وما أشبه الحفيد بجده، الذين أعادوا لهذه الدار الحيوية والنشاط مما جعل الجميع يتباهى بهذا العمل

(١) "قضاء مرجعيون بلدات وبلديات"، رونيت ضاهر وروجية نهرا.

والانجاز الرائع، أجيال تشربت من عظمة الآباء والأجداد ليثبتوا بأن أصالة التاريخ ملكٌ وإرثُ لا يستحقه إلا الأحرار[١].

ومما يروى بأن الحاج محمد كان أديبًا وشاعرًا وكان يتردد إلى دارته كثير من الأدباء والشعراء وشعره ميال إلى الحكمة وهذا ما وصلنا من شعره:

طيب مكارم الأخلاق زينة ... لا يغني عن خضابها خضاب
إن شئت بها علوا فتواضع ... فقد امطرت من أخلاقك السحاب
لا يزيد التملق من طيب الخزام ... ولا يؤذي الصقورمدح القمارِي
فإذا أحببت من القوم شخصا ... فأرشده إلى ترك المعاصي
أعلم بأن طهرالنفس غذاء ... لا يغني عن غذاءه غذاء
ولسان الأنسان له بلاء ... إذ لم يتسام به ارتقاء

بلدية الخيام في عهد الحاج محمد عبدالله

في عام ١٩٢٨م ترأس الحاج محمد عبدالله أول مجلس بلدي منتخب في بلدة الخيام، وهو في نضارة الشباب وكمال الفتوة، ومما يروى بأن الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٤٢-١٩١٦) وخلال زيارة جمال باشا إلى دار الطيبة عام ١٩١٥م رغب أن يكون لبلدة الخيام مجلس مؤلف من أبنائها يدير شؤون البلدة ويرعى أحوالها، ومن أجل إضفاء الطابع الرسمي على هذا

(١) أحفاد الحاج محمد ابن الحاج حسين عبدالله من ولده الحاج رضا هم: الحاج علي والحاج أحمد والحاج حسين التقيت بالحاج علي عبدالله أبو رضا في دولة قطر حيث لم ألتقيه منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وهو شبيه خلقًا وأخلاقًا بجده الحاج محمد، كان يملك شركة في قطاع البناء فهو من رجال الأعمال الناجحين والماهرين، فهو كريم النفس والأخلاق ومن السباقين لفعل الخير وإرضاء الناس وفيه من السلوك والقيم بحيث لا ينتظر أحد لأن يزوره عندما يكون عائدًا من سفر بل يبادر ويتصل ويطمئن على أصحابه وأقربائه ويقوم بزيارة الجميع، وهذه صفة أحسده عليها من باب المحبة، كان منزله في وسط مدينة الدوحة ملتقى الزملاء والأصدقاء والأقرباء، كثير من العائلات اللبنانية تعرفت على بعضها بفضل هذا المنزل وأهل المنزل وخاصة حرمه الحاجة أم رضا، صاحبة واجب وكريمة النفس وبنت أصل. في إحدى المرات من شهر رمضان المبارك من سنة ٢٠١٢م. كنت ضمن المدعوين إلى مائدة الإفطار لم أتفاجأ بكثرة المدعوين ولكن عندما لم أجد موقف لسيارتي رحت أحصي عدد السيارات المتواجدة أمام منزله في الدوحة والتي فاق عددها ال٢٥ سيارة أدام الله الكرم وأهل الكرم وحفظ الله الجميع. كان الحاج علي كلما رأى أحداً من أسرته بادر وناداه يا ابن عمي حتى الذين لا تربطهم قرابة بآل عبدالله أصبحوا يقولون يا ابن عمي هكذا هو الحاج علي جعل من الجميع أسرة واحدة.

جمع كان يتطلب ذلك عملًا دؤوبًا وتنسيقًا مع الوالي العثماني، لأن أي تجمع له مدلول وطني سياسي أو ديني كان يحتاج موافقة على مستوى عالٍ من السلطة العثمانية الحاكمة آنذاك، وقد ح الحاج إبراهيم جمال باشا بهذا الموضوع أثناء زيارته لجبل عامل طالبًا منه تسهيل الأمر، إلا أن هاصات الحرب الأولى أبقت الأمور معلّقة. ومما جاء في كتاب بلدات وبلديات: إن أوّل محاولة شاء المجلس البلدي في الخيام كانت خلال الحكم العثماني عام ١٩١٦م. برئاسة الحاج خليل ن الحاج إبراهيم عبدالله (١٨٦٥-١٩٤٤) ولكن بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى وإعلان ال الطوارئ والأحكام العرفية التي أطلقها جمال باشا السفّاح تقرّر حلّ المجلس البلدي في العام سه، ولكن عام ١٩٢٨م خلال الانتداب الفرنسي، أُعيد تشكيل المجلس البلدي واستمر هذا جلس إلى أن تم حله في عام ١٩٣١م[1].

لقد لعب الحاج محمد عبدالله دورًا هامًا وبارزًا خلال ترؤسه المجلس البلدي، حيث كانت ا زالت تداعيات المشهد السياسي تُلقي بظلالها على واقع جغرافية المنطقة، التي دخلت بفراغ ي وسياسي بقيا لفترة طويلة أوجدهما رحيل العثمانيين بعد الحرب العالمية الأولى إثر تفكك راطوريتهم التي استمرت من سنة ١٥١٥-١٩١٨م، ودخول المنطقة مرحلة انتداب جديد سياسة جديدة لا تقل في جبروتها عن الأولى، مرحلة كانت بحاجة لاختيار رجلٍ ذو شخصية ية وصارمة، يستطيع أن يوازي بين كفتيّ الأمن والعمل ويتحمل تبعات ما يؤخذ من قرارات عمل على تنفيذها مهما كلف الأمر.

خلال السنوات الثلاثة التي قضاها كانت البلدة في عهدته أراد أن تكون سنوات ترؤسه مميزة، د عمل جَاهدًا لأن يكون المجتمع الخيامي محصنًا محميًا مصونًا يوم كانت الخيام لا تتعدى الثلاثة ف نسمة كان المجتمع الخيامي أشبه بأسرة صغيرة إذا ما قورن بأيامنا هذه.

إصلاحات تنسجم مع شخصية الحاج محمد عبدالله:

نشأ الحاج محمد في بيت تقوى وورع فعاش في كنف والده المرحوم الحاج حسين ابن الحاج سن عبدالله، الذي عرف بورعه وكان على جانب عظيم من التقوى والفضل وجامعًا لصنوف كمالات مما أسهم في بناء شخصيته الدينية المتكاملة، شخصية قوية صلبة لا تزعزعها الخطوب، د عمد الحاج محمد عبدالله رحمه الله إلى إدخال بعض الإصلاحات على المستوى الاجتماعي،

(1) "قضاء مرجعيون بلدات وبلديات"، مصدر سابق.

فكان ذلك محل تعجب لما فيها من الجرأة والتحدي وما تستبطنه من العبر والمواعظ التي تحفز الناس وتحث النفوس على فعل الخير واجتناب المعاصي، التي تؤدي إلى تحصين المجتمع وتوجيهه نحو بر السعادة والأمان. وأضف إلى ذلك حيث ان كثرة أسفاره وترحاله أكسبته وأغنت نفسه بثقافة وبلاغة، كان كثير التردد على العتبات المقدسة في العراق واشتهر ذكره وعلا صيته بين العلماء في النجف وكربلاء والبصرة، وكان له ديوانه الخاص الذي يتردد إليه الكثيرون من طلاب العلم والزوار ووجهاء البلاد.

من التنظير إلى التطبيق فإقامة الحدود :

سمع الحاج محمد بأن إحدى النساء في بلدة الخيام قد ارتكبت موبقة من الموبقات فأزعجه هذا العمل المشين، وقرر أن يعاقبها ويقيم عليها الحد درءاً للفساد والفجور، مما أزعج ذلك البعض فحاولوا ثنيه طالبين منه العفو عنها إلا أن الحاج محمد أقسم أن يقيم هذا العقاب حتى تكون عِبرة للآخرين وقال يومها:

حُكم الله عدلٌ تلته آيا ... ته جهراً في محكم كتابه
فيه أُكرم المُرْء أكراما ... ما لم يكن في حسابه

استمرت المحاولات لثني الحاج محمد بأن يصفح عنها وعدم الاقتصاص منها فكان يرى البعض بأنها سابقة لا يجوز بهذه الحالة إلا التستر، إلا أن الحاج محمد كان رأيه بأن التستر وعدم الاقتصاص، سوف يشجع الآخرين على هكذا أعمال وسوف تسود الفوضى وتستعر نيران الضلال. وأنشد قائلاً:

لا يُصغى لقول سكيروعربيد ... وإلا صب الله من سوط عذابه
وعدنا القهقري إلى قرن ... الجاهلية بكل سماته

فكما كان معارضون لحكمه كان هناك مؤيدون، فكان للحاج محمد ما شاء وأقام القصاص الذي وعد به.

أعمل بما يرضي الله فـ ... إن الأنفس تحيا في مرضاته
لا يهم قول جاهل وحاسد ... للشيطان طواغيت من عتاته

كان إصرار الحاج محمد رحمه الله على إقامة الحد لعدة اعتبارات، منها أنه يريد من خلال ذلك أن يردع مَن تسوِّل له نفسه بأن يأتي بفاحشة، لأن من شأن ذلك تفشي الفساد الذي فيه هلاك المجتمع.

كان ينظر في شوؤن الرعية بمثل عين العقاب، كما كان يبطش بالفاسدين بمثل كف الأسد مما دخل الإطمئنان إلى قلوب الناس وطمأنتهم على مصلحتهم، رافضًا لأي مسوغات لخدش حياء الناس، وقد كان حكماً خيرًا عليهم، فعكس صورة جميلة من صور تحصين المجتمع ولاقى مستحسنًا، لأن من استقامة هذا السلوك إصلاح النفس وإرساء روح العدالة والمساواة ونصرة الحق والوقوف إلى جانب المظلوم (وعدل ساعة أفضل من عبادة أربعين سنة) لم يقتصر حرصه على تحصين المجتمع الخيامي وحمايته من الآفات الإجتماعية التي تؤثر على ترابطه ووحدة عائلاته وأسره، فقد أدخل كثيرًا من الإصلاحات على مستوى البنية التحتية، فقد أصلح الطرق القديمة وشق طرقًا جديدةً وجملها بتعليق فوانيس الإنارة، وخصص لها فريق عمل يقوم على تشغيلها وصيانتها كي تبقى شوارع الخيام وأزقتها مضيئة، وكان يغدق على تحسين الخيام من ماله الخاص... بخلاف ما نشهده من البلديات الحالية التي أرهقت كاهل المواطن بالضرائب والجبايات والتعامل الاستنسابي مع المواطنين. ونقول لا يصعب على الذي أدخل النور إلى قلوب الناس من أن ينير بيوتها وشوارعها... رحم الله أبا علي الحاج محمد عبدالله.

علاقاته مع زعماء المنطقة :

كان للحاج محمد علاقات مع كثير من وجهاء المنطقة وزعمائها، حيث كان يحظى لديهم بكثير من الاحترام وخاصة آل عسيران، وكان صاحب حضور مميز جداً و محاوراً من الطراز الرفيع سياسيًا بارعًا قوي المنطق والحجة، ويتمتع بكريزما أهلته لأن يكون خطيبًا مفوهًا ونال كثيرًا من الألقاب التي توحي بشجاعته السياسية. ذكر سلام الراسي: بأن الزعيم عادل عسيران دعى لأن يكون الحاج محمد عبدالله إلى جانبه في إحدى زياراته الانتخابية لمنطقة العرقوب (تقريبا سنة ١٩٣٧) وعندما وصل موكب عادل بك عسيران إلى قرية الفرديس، حظي الوفد باستقبال جماهيري كان بانتظاره الذي ضم إلى جانب عسيران والحاج محمد عبدالله، كل من يوسف بك رزق الله وراشد بك عسيران والشيخ سعيد صباح وسلام الراسي، حيث طلب من الحاج محمد عبدالله أن يلقي كلمة بالحشد كان لها وقع وأثر في قلوب المحتشدين، ما إن انتهى من كلمته حتى تفاعل الحضور وتعالت الهتافات وكذلك كان الأمر في الهبارية إحدى قرى العرقوب، وكانت جولة انتخابية فيها كثير من الحكايات والذكريات والمواقف التي تعكس روح المغامرة والثبات والقوة[(١)].

(١) كتاب "من كل وادي عصا"، لسلام الراسي، صفحة ١٣١، ١٣٠، ١٢٩. الطبعة الثانية١٩٩٩.

أراضي الحاج محمد عبدالله تحت الاحتلال الإسرائيلي:

لم يكن مشروع سايكس – بيكو عام ١٩١٦م إلا مقدمة لتجزئة المنطقة وإقامة الحدود وعزل المجتمعات وزرع الفتن وتقسيم الأسر فيما بينها. كانت مناطق جبل عامل أو بلاد بشارة[١] ولاحقًا جنوب لبنان بعد إنشاء لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ تمتد جنوبًا لتتداخل في عمقها مع أراضي فلسطين وتذوب الجغرافيا قبل أن يجعل المستعمر بينهما برزخًا لا يلتقيان، فهيأ لذلك جيشاً من سماسرة وعملاء أجانب وبعض العرب[٢] من أصحاب النفوس الضعيفة، كان شغلهم الشاغل هو مساومة الناس على بيع أراضيها، تمهيدًا لإنشاء دولة إسرائيل وطرد أهلها، إن التداخل الجغرافي بين لبنان وفلسطين وحركة التجارة النشطة بينهما قد أوجدت مناخًا وديًا وحالة من الإستقرار النفسي تبعه استقرار اجتماعي ترجم بتملك أراضٍ بين السكان، حتى أن المالك من كلا الطرفين لا يشعر بأنه غريب في الأرض التي يقيم عليها أو يعمل فيها بل أراضٍ متصلة، فالذي كان يقيم في الحولة أو الجولان أو الجاعونة أو الخصاص، كانت القرى اللبنانية في مرمى نظره، كمن يقف الآن في الخيام وينظر إلى قرى مرجعيون فكان أقصى بعد لا يزيد بين القرى اللبنانية والفلسطينية سوى قليل من الكيلو مترات، أما هناك فيوجد كثير من القرى اللبنانية المتداخلة التي لحقها فيما بعد التقسيم وأصبحت داخل فلسطين المحتلة كالقرى السبع. ومما يذكر بأن الحاج محمد عبدالله كان قد التقى بإحدى المناسبات مع أحد أمراء بلدة الخصاص من آل فاعور، ومن المرجح بأن الحاج محمد كان قد دخل واسطة بين أمراء الفاعور وأهالي الجديدة بعد حادثة حرق بيوت في جديدة مرجعيون من قبل رجال الفاعور، وقد ذكر حادثة الحرق والتعدي كثير من الرواة وبعض المراجع التاريخية. كان الحاج محمد يملك أراضٍ في قرية الخصاص[٣] الفلسطينية، فأصبحت هذه الأراضي محتلة بعد إعلان دولة اسرائيل ١٩٤٨م.

---

(١) يقول محمد جابر آل صفا صاحب كتاب تاريخ جبل عامل ص ٣٧: ومما يلفت النظر أن اسم جبل عامل لم يكن معروفاً في دوائر الدولة ومراسيم الحكومة منذ عصر الأمير بشارة بعد أن أصبحت من إقطاعاته ويضيف بأن هذا الاسم (بلاد بشارة) معروف في دوائر الدولة الرسمية التي تعاقبت عليها حتى عصر حمد البك المحمود الذي توفي عام١٨٥٢م.

(٢) راجع كتاب "مطالب جبل عامل" ... وراجع كتاب الأمير شكيب أرسلان "ولاء حتى الفناء"، صفحة ١٨١، الدار التقدمية سنة٢٠١١م.

(٣) قرية الخصاص قرية فلسطينية في قضاء صفد وهي قرية من قرى الجليل الأعلى تقع في أقصى الشمال الفلسطيني على حدود لبنان وتبعد عن لبنان ٣ كلم هجر أهالي القرية منها في سنة ١٩٤٧ م على يد عصابات الاحتلال الإسرائيلي، وغير اسم القرية من الخصاص إلى "هاجوشريم" وأصبحت منتجعًا سياحيًا يقصده الجميع من كل دول العالم. تبلغ مساحة القرية ٤٧٩٥ دنماً تقع على الحصباني بالقرب من مفرق الحدود السورية اللبنانية – الفلسطينية،

المندوب البريطاني يأمر بمصادرة أرض الحاج محمد عبدالله، والحاج محمد عبدالله يرفض كل الإغراءات المالية :

رُوي بأن الحاج محمد عبدالله كان قريبًا من منظمة الكف الأسود الفلسطينية المنبثقة عن كتائب عز الدين القسام[١]، كان ذلك في بداية الثلاثينات من القرن الماضي وعمل في صفوفها ومن أبرز قادة هذه المنظمة المجاهد عز الدين القسام، لعبت المنظمة دورًا عسكريًا كبيرًا ضد المنظمات الصهيونية والجيش الانكليزي، ومن مهامها استطلاع واغتيال رجال العصابات الصهيونية وسماسرة الأرض الذين نشطوا بشراء الأراضي الفلسطينية بهدف تهجير السكان منها والاستيلاء عليها، عن طريق الإغراء إلى جانب إرهابهم وتخويفهم، ومثلت منظمة الكف الأسود خطرًا وجوديًا على الطرفين الصهيوانكليزي. وقد دفعت القوات الانكليزية الداعمة للحركات الصهيونية ثمنًا كبيرًا من قادتها وجنودها وقد نفذت المنظمة عشرات العمليات الناجحة خاصة في مناطق حيفا وغيرها من الأراضي الفلسطينية، وكان للحاج محمد دورٌ مهمٌ في دعم المنظمة ماليًا ومجاهدًا في صفوفها، وازدادت صلته بقيادييها عندما وسعت من عملياتها لتشمل قرى شمال فلسطين، وورد اسم الحاج محمد في لائحة ضمن أسماء المجاهدين التي قدمت إلى المندوب البريطاني، فأصدر المندوب الإنجليزي أمرًا بمصادرة كل أملاك الحاج محمد عبدالله في فلسطين ومنعه من دخولها وملاحقته.

ومما ذكر آنفًا يتبين بأن قرية الخصاص هي قرية فلسطينية وكان الحاج محمد عبدالله يملك أرضًا شاسعة قرابة الألف دونم وهي مسجلة باسمه، ويؤكد الطابو في الدوائر العقارية الأردنية صحة هذا التملك، فالكثيرون من عائلة آل عبدالله ممن كانوا يملكون أراض في فلسطين وكذلك من أبناء المنطقة، واستطرادًا فقد ذكر سلام الراسي: بأن قضية أملاك المرجعيونيين، في فلسطين إحدى المشاكل المعقدة لأن أكثر مناطق أراضي الحولة المقتطعة من قائمقامية مرجعيون والمضمومة إلى فلسطين سنة ١٩٢٤م. تخص بعض المرجعيونيين الذين كانوا معرضين لأنواع شتّى من الضغوط

أقرب قرية لها قرية السنبرية وتقع في شمالها أما عدد سكانها عام ١٩٣١م. يبلغ ٣٨٦ نسمة وفي عام ١٩١٩م. أقدم الفرنسيون على حرق دار الأمير فاعور، من كتاب "بلادنا فلسطين" للكاتب مصطفى مراد الدباغ، صفحة ١٤٦-١٤٧ دار الـهُدى- كفرقرع.

(١) عز الدين القسّام ١٨٨٣-١٩٣٥م، وُلد بمدينة جبلة السورية وبعد احتلال سوريا من قبل الفرنسيين هاجر القسام إلى فلسطين وأقام في مدينة حيفا وشكل فيها خلايا مسلحة، فعمدت القوات البريطانية إلى ملاحقته بعد سلسلة عمليات ناجحة ضدها فكانت المعركة في قرية الشيخ زيد من قرى جنين بعد أن طوقته القوات العسكرية البريطانية فرفض الاستسلام فاشتبك معها بمعركة غير متكافئة فاستشهد مع بعض أتباعه عام ١٩٣٥م. وتابع بعده الشيخ فرحان السعدي.

والمضايقات، لكي يبيعوا أملاكهم بأرخص الأثمان وكانت هذه الحقوق تتهاوى بين المتسلط الفرنسي في مرجعيون والمتسلط الإنكليزي في صفد[١].

وكثيرون ممن كانوا يملكون أراضي في فلسطين لجأوا للتخلص منها في أجواء مفعمة بإرهاصات الاحتلال لفلسطين من قبل الصهاينة. وإذا ما توقفنا هنيهة متأملين مصغين إلى عقولنا لوجدنا بأن فلسطين ابتلعت تحت نظر العثمانيين لماذا ؟لأن المنطقة كانت تحت وصايتهم وحكمهم ونفوذهم وعسكرهم وجيشهم، وما من زاوية من زوايا فلسطين وما من أرض من أراضيها وما من طير طار ودابة دبت إلا وهي في سجلاتهم محفوظة.

كان الحاج محمد عبدالله رحمه الله يملك ثمانمئة دونم مزروعة من الأشجار المثمرة بشتى أنواع الفواكه، حيث كان إنتاجها يباع في المناطق المجاورة وكان يملك كذلك مئة وخمسون دونم سليخ وقد أصبحت محتلة باحتلال فلسطين . نشطت الحركة الصهيونية وجنّدت جيشًا جرارًا من العملاء في محاولة لشراء كل ما تستطيع من أراضي فلسطين، إن كان من فلسطنيين أم من غيرهم، وبعد تقصي وطول بحث ومتابعة جندت الحركة الكثير وتواسطت ووسطت الكثيرين من أجل أن يبيع الحاج محمد أملاكه في فلسطين، فكان يجابه الجميع برفض جازم وحازم، إن الإغراءات والسخاء المالي الذي كان يعرض على الحاج محمد كان خياليًا بحيث تمنى الكثيرون أن يكون لهم متر واحد لاستغنوا، فقد تعب الصهاينة ولم يتعب الحاج محمد ولا استطاعوا أن يثنوه عن صلابة موقفه وصموده، وعندما وهن جسده وأدخل إلى المستشفى اعتقد المحتل بأن قد حان وقت القطاف، ليجدوا بأن صلابته ورفضه وعنفوانه لا تقل عن ما كانت عليه وقال قولته: بأنني سوف أبقى أقاومهم بعصاي هذه التي أتوكأ عليها ولن أتنازل ولن أبيع، فعندما تعود فلسطين تعود إليّ أرضي وإلا يسواها ما يسوا فلسطين ... رحم الله الحاج محمد ابن الحاج حسين عبدالله.. وإني على يقين بأن محمد جواد ظريف[٢] تعلم منه كيف يفاوض وينتصر في ملف إيران النووي. رحم الله عمنا الحاج محمد أبو علي.

---

(١) كتاب "من كل وادي عصا"، لسلام الراسي، صفحة ١٥٣.

(٢) محمد جواد ظريف وزير خارجية ايران ورئيس الوفد الأيراني المفاوض على الحقوق النووية لجمهورية إيران الإسلامية وقد نجحت إيران في مفاوضاتها مع أمريكا والدول الأروبية في انتزاع اعترافهم بحقوقها بأن تكون دولة نووية وكانت المفاوضات شاقة جدًا إلا أنها تكللت بالنجاح.

(*) بالنسبة للأشعار التي قالها الحاج محمد بن الحاج حسين عبدالله هي ليست من الخيال بل عرف عنه رحم الله بانه كان في مجالسه يتصدر الحضور ويجيد قول الحكم والشعر فكان لكلامه الطيب والجميل والمنمق وقع في القلوب تعشقه النفوس وترنو اليه الأفئدة هذا ما وصلنا من سيرته المباركة.السؤال هل هناك شخص من آل عبدالله لا يجيد قول الشعر ؟ بمجرد أن يتكلم فكلامه شعر.

سيرة ذاتية

إبراهيم الحاج خليل عبدالله

الأستاذ المرحوم إبراهيم عبدالله من مواليد الخيام سنة ١٩٣٢ توفاه الله بتاريخ ٣ ت٢ سنة ٢٠١م.

أنهى دراسته الثانوية في كلية المقاصد - بيروت، وكان رئيس جمعية الطلبة ومندوب المقاصد اتحاد الطلبة الثانويين في لبنان، وهومجاز في الحقوق من جامعة القاهرة وخلال دراسته فيها كان ضوًا نشطًا في الحركة الطلابية في مصر، فبنى علاقات واسعة مع المحيط العربي وخاصة بين خصيات النافذة في كل من اليمن والكويت. أثبت العبدالله جدارة وكفاءة عاليتين وتميز بحقل حاماة حيث مارس مهنة المحاماة منذ عام ١٩٦٣م. وقد ترأس المناصب التالية:

- كان رئيسًا سابقًا لمجلس التأديب في نقابة المحامين في بيروت وهو عضو في مجلس تأديبها.
- شغل منصب نائب رئيس مجلس رعاية المسن وعضو المؤسسة.
- كان عضوًا لمجلس أمناء برنامج شباب لبنان الواحد.
- كما عمل عضوًا لمجلس أمناء المركز الثقافي الإسلامي.
- كان عضوًا فعالًا لمجلس أمناء المنتدى القومي العربي وعضو اللقاء الوحدوي اللبناني.
- حضر وشارك في العديد من المؤتمرات والاجتماعات والحلقات الدراسية التي تعنى قوق الإنسان في لبنان والخارج .
- شغل العديد من المناصب في الجمعية اللبنانية لحقوق الانسان، وكان نائب الرئيس فيها ى انتخابه رئيسًا ليحل محل رفيق نضاله المغفور له المحامي جوزيف مغيزل.
- ناهض الحرب الأهلية ووقف ضد الممارسات وأعمال العنف التي سادتها، وساهم في كل اقع التي يشغلها في تعميم وترسيخ السلم الأهلي ونشر الديمقراطية والمساواة وتثبيت سيادة نون.

- أعيد انتخابه رئيسًا للجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤م.
- ألقى ونشر العديد من الدراسات والمحاضرات والمداخلات المتعلقة بالديمقراطية وحقوق الانسان والدفاع عن دولة القانون.
- انتخب عضوًا في مجلس أمناء المنظمة العربية لحقوق الانسان في الاجتماع الذي عقدته المنظمة في مدينة الرباط - المغرب بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٩٧م. وأعيد انتخابه بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٠م. في اجتماع المنظمة في القاهرة.
- اعتمده المعهد العربي لحقوق الإنسان في تونس ممثلًا له لدى الحكومة اللبنانية عند افتتاحه فرعًا له في بيروت .
- عضو اللجنة المصغرة من الخبراء القانونيين التي تقوم بتجميع ودراسة الإتفاقيات البينية ذات الصلة بحقوق الإنسان المنبثقة عن اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان في جامعة الدول العربية.

لبنان والعالم العربي يكرمان الأستاذ إبراهيم الحاج خليل العبدالله.

التأمت الهيئة العامة للجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان وأصدرت عدة قرارات، وكان من بينها قرار الجمعية إقامة حفل تكريم للأستاذ إبراهيم العبدالله وذلك تقديرًا لجهوده وعطاءاته، ومنحه درع الجمعية، وكان ذلك بتاريخ ١٠-٠٦-٢٠٠٤م في نقابة الصحافة وشكل الحضور المفاجأة الكبرى حيث ضاقت القاعة بهم، فبقي عدد من الشخصيات واقفًا ومن بينهم وزراء ونواب وسفراء. إضافة إلى ذلك كانت مفاجأة من العيار الثقيل كانت بإصرار رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان الأستاذ جاسم القطامي على الحضور وهو محمولًا على كرسي نقالٍ ومعه درعٌ هامٌ باسم المنظمة وهدية قيمة. كان تكريمًا مميزًا لم يكرم مثله من قبل. فممثل رئيس الجمهورية إميل لحود المدير العام لوزارة الثقافة الدكتور عمر حلبلب الذي علّق على صدر المحتفى به وسام الاستحقاق اللبناني، حينها ضجت القاعة بالتصفيق لهذه البادرة القيمة التي أقدم عليها فخامته خاصة وأن التكريم يتناول شخصًا لا يزال على قيد الحياة الأمر الذي لقي استحساناً من الجميع. تعدى عدد المتحدثين بتكريم الأستاذ إبراهيم العبدالله العشرات من الشخصيات من لبنان ومن أكثر الدول العربية الذين أصروا على الحضور رغم ارتباطاتهم أو الوضع الصحي لبعضهم.

إضاءات وكلمات تعبر عن إعجابهم بالفارس المُكرَّم

كلمة فخامة الرئيس إميل لحود،
ممثلًا بالأستاذ عمر حلبلب مدير عام وزارة الثقافة:

إبراهيم الحاج خليل العبدالله هذا المناضل ارتبط اسمه بمناهضة الحرب الأهلية وأعمال العنف وترسيخ ثقافة السلم الأهلي، والدعوة إلى نشر الديمقراطية والمساواة، وهو صاحب الباع الطويل في مجال حقوق الإنسان وعودنا الأستاذ العبدالله أن يقرن المناسبات بالمبادرات.

كلمة نقيب الصحافة الأستاذ محمد البعلبكي

من نكرم اليوم غني عن التعريف. فهو سليل عائلة كريمة متجذرة في لبنان، أعطت وما زالت تعطي كوكبة من العلماء والمفكرين والأدباء والمحامين والسياسيين، خدموا هذا الوطن الأشم باندفاع وتضحية، ورفعوا رايته خفاقة في بلاد الانتشار. نكرم اليوم محامٍ بليغ الحجة أخذ بيد كل صاحب حق مظلوم، فدَوَّى صوته في أرجاء قصور العدل مدافعاً عن حقوق الإنسان المعذب الذي صرف عمره الوردي مدافعًا عنه، العبدالله لم يغلق بابًا أمام من جاؤوه يشتكون أمرهم وهو عرين الجمعية. يطلبون حلًا لمشاكلهم ومساعدة ومشورة لظلمهم واضطهادهم، كل هؤلاء كانوا يستظلون بعباءته التي كانت تتسع للجميع(١).

كلمة الأستاذ محمد فائق،
أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان:

إنها لحظة وفاء لفارس وفيٍ قاد مسيرة هذه الجمعية لأكثر من عقد من الزمن، هو الفارس إبراهيم العبدالله الأب الروحي لأسرة الجمعية اللبنانية بسماحته الواعية ووفائه القوي في الدفاع عن حقوق الإنسان، فأوفت له الدولة بشخص رئيسها إميل لحود وهو تكريمٌ لكل انسان لأننا نكرم مواطنًا

---

(١) نقول في ذلك بأن المرحوم إبراهيم الحاج خليل العبدالله، قد شابه أجداده وآباءه فعندما توفي والده سنة ١٩٤٤م. رثاه سلام الراسي على رأس وفد من إبل السقي بالأبيات التالية:

بعد كنا معاوزينك... للشدايد شايلينك
كنت مشكى الضيم فينا ... سبع رابض في عرينك
حيف يا حامي حمانا ...السيف يسقط من يمينك

لكل الأمة العربية لأنه يمثل بلد المقاومة، مقاومة ليست من أجل لبنان بل من أجل الأمة العربية.

كلمة الدكتور أمين مكي مدني،
المثل الإقليمي للمفوض السامي لحقوق الإنسان:

لقد عرفت الدكتور الأستاذ إبراهيم العبدالله قبل ثمانية سنوات، عرفت فيه الأصالة ودماثة الخلق وحسن المعشر والعلم الغزير والتواضع الجم، ومناضلًا صامدًا من أجل حقوق الانسان العربي، فضلًا عن ذلك تجمعني مع العبدالله الجهود الحثيثة لمساندة نضال الشعب الفلسطيني بشتى الوسائل، وذلك من خلال إنشاء صندوق العون الفلسطيني لمساعدة الأسرى ولأسرهم وعلى رأس الذين بذلوا الجهد الرئيس سليم الحص، إن سجل الأستاذ العبدالله في المحافل القانونية ومجال حقوق الإنسان يشهد به الجميع وهو خير أهل للتكريم والاحتفال.

شهادات تقدير ووفاء بالعبدالله بحجم أصحابها وحجم المحتفى به

من الرئيس سليم الحص إلى إبراهيم العبدالله:

إذا كان تاريخ الأمم يقاس بالإنجازات الحضارية والإنسانية التي تحققها فإن هذا التاريخ لا يصنعه إلا رجال آمنوا بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية ورعاية حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

لقد أدرك الأخ الأستاذ إبراهيم العبدالله أهمية هذه القيم الإنسانية، فرفع لواء الدفاع عن حقوق الإنسان، هذا الإنسان اللبناني والعربي الذي افتقد الديمقراطية فأدى ذلك إلى ضعفه وإلى إفراز أوضاع متردية مازال يعاني منها خاصة في فلسطين والعراق.

لقد شاهد الصديق إبراهيم العبدالله ابن الخيام تلك البلدة الجنوبية الوادعة على حدود فلسطين المحتلة، بأم عينه الانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان العربي، وكان شاهدًا حيًا على حركة نزوح مأساوية نتيجة العدوان الاسرائيلي على لبنان، إلى أن منَّ الله عليه بنعمة التحرير بفضل المقاومة الوطنية الباسلة والتفاف فئات الشعب اللبناني كافة حولها ودعم الأشقاء العرب لها.

إن إبراهيم العبدالله هو رفيق نضال من أجل فلسطين في صندوق العون القانوني للفلسطنيين فلا أقول إلا بارك الله فيك يا أخ إبراهيم العبدالله.

قالوا فيه:

منح الصلح: العاطي بلا حساب في كل ظرف وكل آن صاحب الأخلاق العالية.

جورج حبش: إلى الأخ المناضل إبراهيم العبدالله تحية العروبة وتحية فلسطين فتكريمه هو تكريم كل فرسان هذه الأمة النبلاء.

بشارة مرهج: كما دعم الإنسان فقد حارب الطائفية وإنه إنسان حر دافع عن الحرية. ابن الخيام التي تعودت أن تكون معقلًا للنضال الوطني والقومي وليس معتقلًا للأحرار على يد العدو الصهيوني وعملائه، أراد أبناء الجنوب ومن بينهم إبراهيم العبدالله الذي رافق المقاومة الشاملة بسلاح الموقف والكلمة حتى اندحر الصهيوني وعملاؤه.

معن بشور ماذا قال في إبراهيم العبدالله: ابن الخيام المنصبة بين لبنان وفلسطين من أوائل الذين استجابوا لدعوة التأسيس في حركة القوميين العرب في أوائل الخمسينات. فإن دور إبراهيم العبدالله في الحركة اللبنانية والعربية لحقوق الإنسان مثل الوجه الحقيقي للخيام وجه الحرية والمقاومة.

وقد ألقى الأستاذ إبراهيم العبدالله كلمة نلخص أهم ما جاء فيها. لقد لاقت كلمته استحسانًا من الجميع، كلمة امتزجت بكثير من العاطفة والرقة والأحاسيس النبيلة والإنسانية، وكانت أشبه برسالة وداعية دون أن ينكفئ عن ساحات الدفاع عن حقوق الإنسان، كما شكر فخامة الرئيس إميل لحود على ما غمره به من محبة وتكريم. وخص الكثيرين بالذكر ومنهم معالي الأستاذ علي البغلي وزير النفط السابق في الكويت وعضو الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان وحرمه.

كلمة المربي علي حسين خليل وشاهد من أهله،

مؤلف تاريخ آل عبدالله في الخيام في القرنين التاسع عشر والعشرين:

إن تكريم الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان لرئيسها السابق المحامي إبراهيم الحاج خليل عبدالله، هو تكريم للقيم العليا والمبادىء السامية والأخلاق النبيلة التي يمثلها المُكرّم انسانيًا وعربيًا ولبنانيًا.

فهو العامل جاهداً، منذ شبابه وفي حدود طاقته من أجل حرية الإنسان وكرامته من كل لون وجنس ودين.

والناشط بأمانه من أجل مجد العروبة وعزتها، فكان فارسًا من فرسانها الميامين الذين يعيشون حلمها الجميل في التحرر والتوحيد والديمقراطية.

والمناضل بقوله وعمله من أجل تفعيل الصيغة اللبنانية المثلى - الصيغة الرسالة - لبنانيًا وعربيًا ودوليًا.

إن المحامي إبراهيم العبدالله يؤدي رسالته في أبعادها: اللبنانية والعربية والإنسانية في ضوء تراث عائلي مشهود. فهو رائد من رواد عائلة آل عبدالله في الخيام العريقة بعروبتها الغنية بلبنانيتها، من خلال ممثليها النواب والوزراء والسفراء في السلطات التشريعية والتنفذية والإدارية، كما من خلال أدبائها وشعرائها وأطبائها ومهندسيها ومحاميها، كذلك من خلال تجارها وصناعييها مقيميها ومغتربيها.

إن المحامي إبراهيم العبدالله حامل هذا التاريخ العائلي الحافل بالمكرمات حقوقي عريق، به وبأمثاله من الحقوقين قضاة ومحامين تستعيد مدينتنا الحبيبة بيروت عاصمة وطننا الغالي لبنان مركزها الأثير بين العواصم العربية والدولية مدينة الحق وأم الشرائع[(١)].

ما بين الوالد والولد الحاج خليل وولده ابراهيم :

من كان له إرثٌ في تاريخ الإنسانية يصعب على الباحث أو المنقب عن جذور التاريخ أن يهمل السابق عن اللاحق، مستحيل أن لا ينظر إلى تلك المسافة الزمنية بين حقبتين أو بين شخصين، مستحيل أن ننظر إلى تلك الشجرة التي أثمرت من أطيب الثمار لونًا وطعمًا وشكلًا، دون أن نعرف ونتعرف على تلك اليد التي غرست ورعت وشذّبت واعتنت، ولا بد لنا أن نشير لظاهرة الإبداع المقترنة بالتأثيرات البيئية للشخص، وعلى رأس ذلك التأثيرات العائلية وما تحمله هذه التأثيرات من ثقافة أسهمت بالدفع لعمل المفكر إلى مستوى الإبداع. فمن قرأ سيرة الراحل إبراهيم الحاج خليل عبدالله ورأى حجم التكريم الذي حظي به والمنزلة الرفيعة التي وضع فيها، من المشاركين اللبنانيين والعرب الذين عبروا بإعجاب وأفصحوا عن مكنون قلوبهم وما تحمله من صدق.

باعد بحدوده لبنان وما خصته به من أمانة قل نظيرها وماغمرته به من محبة كبيرة وما اولته به من احترام مشهود كان رائعاً. ولا يبقى لنا إلا أن نقول: مَن قال بأن التاريخ قد مات فاعلم أنه هو الميت، ومن قال التاريخ من الماضي فاعلم بأن لا شأن له بالتاريخ، ومن قال بان التاريخ هو الحاضر فاعلم لا تاريخ لحاضر دون الماضي، لأن الماضي هو أساس الحاضر ومداميكه وأرضيته الصلبة

(١) إن ما جاء من سيرة وكلمات بحق المرحوم المحامي إبراهيم الحاج خليل العبدالله هو من كتاب صادر عن الجمعية اللبنانية لحقوق الانسان - بيروت ٨ شباط ٢٠٠٥ مؤلف من ٨٠ صفحة أُعد خصيصا للإحتفال التكريمي للأستاذ المحامي إبراهيم العبدالله عميد حقوق الإنسان في لبنان ورئيس الجمعية سابقًا.

وأحد مداميك هذا التاريخ العظيم هو الحاج خليل عبدالله والد المحامي إبراهيم العبدالله، الفارس العربي من فرسان جبل عامل وبطل من أبطال هذه الأمة، ونحن نكتب هذه السطور إذا بالمقاومة في لبنان تحتفل وتحيي الذكرى التاسعة لانتصارها على الصهاينة بحرب ٢٠٠٦م، والذي أقيم في منطقة وادي الحجير، كانت العناوين الرئيسية لهذا الاحتفال هو تكريم رجالات جبل عامل الذين شاركوا في اجتماع وادي الحجير عام ١٩٢٠م، باعتبار المكان رمزًا لبدء الشرارة الأولى للمقاومة ضد المستعمرين والغزاة، فالحاج خليل العبدالله شارك في اجتماع وادي الحجير وكان وجهًا بارزًا بين تلك الوجوه الطاهرة، فأثناء تكريم إبراهيم العبدالله قالوا له أنت المقاوم من بلدة المقاومين هذه السمة سمة أبائه وأجداده إلى يومنا هذا، فوالده المقاوم الأول الذي حكم المحتل الفرنسي عليه بالإعدام لمواقفه الوطنية والعروبية والإسلامية، فمن قرأ سيرة والده وتعرف إليها سيجدها ملحمة وطنية عربية من البطولات على جميع الأصعدة، نعم ليس غريبًا أيها السادة الموقرون أن يكون إبراهيم العبدالله رحمه الله الحقوقي الأول بامتياز، والمدافع عن حقوق الناس كما قيل فيه، لأن والده أول من سن الرماح وحمل السيف للدفاع عن حقوق المغبونين في الخيام وفي كل أرض من جبل عامل (الجنوب اللبناني)، بل والده من كان حاضرًا في المؤتمر السوري عام ١٩١٩م. وكان عضوًا بارزًا فيه وفارسًا مدافعًا عن قضايا هذه الأمة[١]، فإذا كان مكتب المرحوم إبراهيم العبدالله ملجأ المظلومين ومتنفسهم، هكذا كانت دارة والده في الخيام ملجأ ومأوى المظلومين والمكروبين والمحتاجين والضعفاء، فكانت حقوق هؤلاء تعود إليهم رغم أنف الطغاة في زمن قل فيه الرجال، كان المرحوم الحاج خليل إبراهيم العبدالله يأتي بالحق على أسنة الرماح. لنؤكد مرة أخرى بأن التاريخ حلقات متصلة بعضها ببعض، ونؤكد على وجود رابط بين العوامل الوراثية والميول السياسية لدى الأشخاص[٢].

---

(١) وهذا ما جاء في مقدمة إعلان الوثيقة وثيقة الاستقلال المتمخضة عن المؤتمر إن الأمة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتُها وأحزابُها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي، ولم تُرِقْ دمَ شهدائها الأحرار وتَثُرْ على حكومة الأتراك، إلا طلبًا للاستقلال التام والحياة الحرة، بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة، لها الحق في أن تحكم نفسها بنفسها أسوةً بالشعوب الأخرى التي لا تزيد عنها مدنيةً ورقيًّا.

(٢) خلصت دراسة علمية حديثة نشرت نتائجها مجلة «رويال سوسايتي» البريطانية إلى وجود رابط بين العوامل الوراثية والميول السياسية لدى الأشخاص، فمنذ سنوات عدة، تنتشر فكرة عن إمكان تأثير عوامل بيولوجية مثل الوراثة على الاتجاهات السياسية لدى الأشخاص ما يثير فضولاً وحماسة كبيرين لدى علماء السياسة والنفس وفي أوساط العموم رغم الانقسامات في الآراء في هذا المجال.

الحاج علي إسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله
(١٨٨٠-١٩٥٤م)

هو علي بن اسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله، وُلد في بلدة الخيام وهو كبير إخوته الثمانية[١]، وقد هاجر إلى الأرجنتين وعاد منها وترأس بلدية الخيام وأدخل كثيرًا من الإصلاح في البلدة، وهو وجيه من وجهاء العائلة. وقد شارك بكثير من الحملات الانتخابية والمناسبات الاجتماعية والثقافية، وإن قال أدبًا فهو الأديب وإن نطق شعرًا فهو الشاعر، وكان معروفاً بالصبر ورحابة الصدر عالي الذكاء وذو ثقافة عالية وهيبة ووقار واشتهر بأخلاقه الحسنة، وقد أثنى عليه الكثير من الناس ممن التقيناهم وله منهم ذكر حسن وسيرة طيبة، كان محدثاً بارعاً يجيد الشعر كان صاحب قيم نبيلة فبسيرته الطيبة استطاع أن يحي في النفوس الإيثار وإنكار الذات وأن يفشي الإحترام بين الناس، وهو عطوف عليهم ومشارك لهم بمشاعرهم. وقد منح لقب الأفندي والبيك إلا أنه كان يرفض ولا يرغب بأن ينادى بالألقاب، وكان يقول: بأن آدم خلق من حفنة من تراب. قِمّة في التواضع، كان رجلاً جميل الوجه حسن الهيبة عريض المَنكبين طويل القامة كان رحمه الله ذا غيرة على دينه ووطنه لا تأخذه في الحق لومة لائم. ومما يروى بأن الحاج علي اسماعيل العبدالله بدأ منذ مطلع شبابه مؤمناً بالفكرة العربية معاد للوجود الأجنبي ومناهضًا لحركة التتريك التي انتشرت داخل الامبراطورية العثمانية، وكان ممن يذكر إلى جنب عمه أمين أفندي عبدالله الذي أنشأ جمعية وطنية عام ١٩٠٨م، بعد عودته من المهجر استطاع الوجيه علي اسماعيل عبدالله أن يجمع ثروة من المال من

---

(١) كان لوالده اسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله زوجتان الأولى الحاجة جليلة حجازي من بلدة رب الثلاثين وقد أنجب منها كل من: علي، أسعد، عبدالله، عبداللطيف، وحسين ومن البنات: فاطمة، دمشقة، خديجة ونايفة.
وزوجته الثانية الحاجة ملكة بنت الحاج أسعد ابن الحاج حسين بن محمد بن عبدالله التنوخي وقد أنجب من الحاجة ملكة كل من: عبدالحسين الشاعر الكبير له ديوان شعر(حصاد الأشواك من اروع دواوين الشعر) محمد، إبراهيم، وخليل، ومن البنات: زينب والأميرة. وقد أنجب الوجيه علي إسماعيل عبدالله ابنتان الحاجة فاطمة والحاجة بلقيس.

خلال عمله في التجارة، فنجاح شخصيته وحضوره المميز أسس لنجاحه كرجل أعمال، اسم لمع كالشهب في بلدته والجوار، قدّم لبلدته الكثير من الإنجازات التي تجسّد ما يحمل من تراث أجداده من قيم ومبادئ ثابتة لا تبور ولا تزول مهما اشتدت المصائب وتوالت النوائب وقست الحياة، لا نقدم سيرته الذاتية، بل نقف وقفة مع الضمير لتقدير رجل من أسرة معطاءة، قدّمت لبلدتها ووطنها المواقف والإنجازات التي يسري أثرها في قلوب الكثيرين حتى الآن.

في عام ١٩٣١م تم انتخاب مجلس بلدية جديد برئاسة المرحوم الحاج علي إسماعيل عبدالله الذي استمر بدوره إلى عام ١٩٣٥م. لقد تسلم من ابن عمه الحاج محمد ابن الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله رئاسة بلدية الخيام، وكان ترؤسه للبلدية أشبه بمبايعة شعبية تقاطرت الوفود الخيامية إلى بيته للمبايعة والمباركة، فكانت فترة رئاسته حافلة بالانجازات فنفذ كثيرًا من المشاريع من شق للطرقات وبناء الأرصفة وتوزيع بعض الهبات على المحتاجين من البلدة وغيرهم، وبعض مما كان يملكه من أراض وقد قام بترميم بعض عيون الماء كعين أبو منصور التي تقع غربي بلدة الخيام، وكان من أكثر الوفود التي نالت إعجاب الزائرين كان وفد رب الثلاثين ومن معهم من الجوار حضروا على ظهور خيولهم إلى ساحة بيته وهم ينشدون الأهازيج ويلوحون بالسيوف ومما وصلنا ماكانوا يهزجوا به:

رجـال الـمُحبِّـي الـيوم تهتف لعلي
زعيم كبير من نـسل عـبدالله الأبـي
الرِيـاسـة كـلـهـا مـا لـنا عنها غني
والـمراد الـتـحـدي اليوم آخرتو فني

المشاركة بانتخابات ١٩٥١م :

يوم الجمعة الثالث عشر من نيسان عام ١٩٥١م كان يومًا مميزًا فيه شمس نيسان ألقت بحرارتها الغير معتادة في مثل هذه الأيام وبددت برماح أشعتها تلك الغيوم التي خالط بياضها سوادٌ كرأس عجوز شمطاء، وتحت هذه القباب الملونة بألوان الطيف يرسم المرج لوحة جميلة وترى ضيوفه يسرحون ويمرحون في ربوعه المخضوضرة، حيث طنين النحل يوقظ الأزهار الذابلة ليرتشف من رحيقها وتلون أجسادها وأهدابها بلون أصفر يناسب لونها الجميل، هكذا من وقف على شرفة أبي سطام يرى هذه اللوحة الجميلة، ومن وقف متكئًا على نوافذ دارته، ونظر نظرة خاطفة من وراء

قضبانه الحديدية يرى بين الجموع شخصًا حديثه مفعمٌ بالمتعة واللباقة والكياسة، كأنك تقرأ قصيدة بغاية الإتقان، فسأل أحدهم من هو ذاك المتكلم فرد الآخر هذا ابن إسماعيل اسمه علي.

في الثالث عشر والرابع عشر من نيسان كانت الاستعدادات على قدم وساق ليوم الانتخابات حيث حددت الوزارات المعنية بأن الخامس عشر منه هو يوم الفصل. كان الوجيه علي إسماعيل على علاقة قوية بالمرحوم علي أفندي عبدالله، وتحولت صالونات دارة أبي سطام إلى ما يشبه خلايا النحل، رجال لم تعرف النوم ولا تهدأ، ومما يذكر بأن المرحوم علي إسماعيل لعب دورًا كبيرًا بتلك الانتخابات متكلمًا متحدثًا متنقلًا متجولًا، وكان بمثابة الدينامو الرئيسي والمحرك الفاعل ولم يغب يومًا عن كل المهرجانات، وكان قد رافق الزعيم علي أفندي في جولته الانتخابية في منطقة العرقوب ولا سيما محطة شبعا الرئيسة، وأثناء ما حصل من أحداث وإطلاق نار وعراك بين اللّوائح المتنافسة كان علي إسماعيل كالليث يفر أمامه الخصوم كما تفر الغيلان مضطربة لائذة في جحورها وأوكارها. كيف لا وقد كان فتى صغيرًا عندما استهواه الخروج مع والده في موقعة (المخالط) ورغم صغر سنه كان في الصفوف الأمامية وكان يتوسط خصره خنجر ويلوح بيده متحديًا خصمه. هذا وخصصنا فصلًا للكلام عن انتخابات ١٩٥١ وموقعة المخالط. رحم الله عمنا وحبيبنا الحاج علي اسماعيل عبدالله.

ومما وصلنا من شعره بعض هذه الأبيات التي جهدنا في ترتيبها.

أنس النوى طيفكم ... حين كان يزور
يحدث عاطفتي وينكء جرح ... النفس والدمع يثور
ألا ليتني ما تركت الأحباب ... ففي أيامهم سرور وحبور
ولا ركبت الصعاب يوما ... ولا استغرَّ بي الغرور
تمر الأيام وبابي مغلق ... وتقاس عمر الثواني شهور
وحجرتي يخفيها الظلام ... كما تحتجب عن الرؤية البدور
بين أهلي تراني طروبا ويتوارى ... الحزن ويحل مكانه السرور

حسن علي فايز ابن الحاج مصطفى عبدالله
(١٩٠٥ـ١٩٨٥م)

هو حسن بن علي فايز ابن الحاج مصطفى ابن الحاج حسن عبدالله، ولد في بلدة الخيام وهو
ي وجهاء العائلة وكبير من كبارها وسيد من ساداتها وعزيز من أعزائها وكريم من كرمائها ومن
حالتها البارزين .له رأيه المحترم والسديد في سياسة العائلة تقلب في عدة وظائف حكومية وغير
كومية، ومنها رئاسة البلدية في الخيام. وهنا لابد من الإشارة إلى الخلفيات التاريخية والإجتماعية
ي رسمت ملامحه وكوّنت شخصيته، فجَده سيد من سادات آل عبدالله هو الحاج مصطفى بن
اج حسن عبدالله، كان جليل القدر رفيع المنزلة معظماً عند الأكابر ومرجعاً كبيراً يستنار برأيه
ؤخذ بقوله ويحترم لأخلاقه الكريمة في التعامل مع الآخرين فقد كان يحترم الصغير قبل الكبير،
روى أنه إذا سار في شوارع القرية يتحلق الناس من حوله وتسير الفتية خلفه، وذلك لكرمه
لامحدود وعطاءاته السخية، زعيم ووجيه بكل ما للكلمة من معنى.فوالد حسن عبدالله هو علي
ز الذي اكتسب الكثير من هذه الصفات الجميلة فكان يتوارثها الولد عن الأب والأب عن الجد
ا قليل من كثير.

ومما يروى بعد وفاة أمين أفندي التنوخي: رغب الحاج مصطفى ابن الحاج حسن عبدالله بأن
ن ولده علي فايز عميدًا لأسرة آل عبدالله، فلقي كل الدعم والتشجيع من والده الحاج مصطفى
اء أن يكون ولده متسلمًا لوجاهة أسرته وبلدته، فَـقْبِلَ بعد أن لقي دعمًا غير محدود من والده،
هب علي فايز إلى فلسطين ليصفي أملاك والده فقد ذكر بأنه كان يملك سبعة قرى في فلسطين
ثير من الأراضي، وكان بحوزته المال الكثير وبدأ المرحوم علي فايز سياسته بأن يجمع الكثير من
ل ليعود بها إلى الخيام كي ينشئ زعامة تاريخية في منطقة جبل عامل ونواحي سوريا وفلسطين،
ن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فقد صادفه مرض الملاريا وتوفاه الله دون أن يحقق آماله فقد
ن والده عليه حزنًا شديدًا وكان ذلك تقريبا سنة ١٩١٧م. هكذا تسير الأمور قدر الله وما شاء

فعل إن الأخلاق والشجاعة كانتا الموروث الحقيقي لأن يرسما معالم صورة الوجيه أبو علي فايز. فمن الشخصية الإجتماعية التي لعبت دورا اجتماعيًا مميزًا وبارزًا إلى شخصيته السياسية التي واكبت الكثير من الأحداث التي شهدها لبنان.

لقدشهد لبنان منذ مطلع العشرين أهم ثلاثة حقب كان لها الأثر الكبير في تكوين الشخصية السياسية للوجيه أبي علي حسن علي فايز عبدالله حقب تتالت على المشهد اللبناني:

كانت نهاية حقبة الإمبراطورية العثمانية بهزيمتها عام ١٩١٨م.

ونهاية الانتداب الفرنسي على لبنان عام ١٩٤٣م.

عهد الاستقلال والتحديات السياسية التي عصفت بهذا البلد.

وآخر مشاركاته السياسية كانت في انتخابات عام١٩٧٢ الذي شكل فيها رحى قومه ومحط اهتمامهم برجاحة عقله وسداد رأيه، ويومها وقف وناصرالمرشح علي الحاج خليل عبدالله داعمًا إياه حتى حالفه الفوز. هذا ولم تخلُ ساحة من ساحات العمل السياسي والانتخابي قبل الاستقلال وبعده في الخيام ومنطقة الجنوب اللبناني إلا وكان فيها رأس حربة وشخصية قوية لا يستهان بها، أكثر الذين ناصرهم وأيدهم كان الفوز من نصيبهم وكان يجترح المعجزات للكثير الكثير من عويص السياسة وما قاد سفينة سياسية أو انتخابية إلا وأرساها على بر الأمان والفوز والنجاح والظفر.

أبوعلي فايز الإنسان والقائد :

من الأهمية بمكان القول والإقرار، بأن أبا علي فايز" صحيح ليس من حملة الليسانس ولا من حملة الدكتوراه، ولم يكن مهندساً أو طبيباً، غير أنه صاحب فلسفة في الحياة، وبسبب ذكائه وخبرته، أبدع في السياسة، إن اكتساب المعرفة لديه خولته لأن يكون قائداً مميزًا وزعيمًا لا يشق له غبار في ساحات الوغى إذا كانت السياسة وراثة في هذه الأسرة، فقد تحولت إلى صناعة متقدمة، استطاع من خلالها أن يكون مهندسًا لدبلوماسية راقية، أنتجت كثيرًا من العلاقات ليس على مستوى لبنان بل تعدت حدود الوطن بدرجة ممتاز، أماعلى الصعيد الإنساني والاجتماعي فإن بهو مجلسه ومصطبة دارته فَلِجمال ما فيها وما يسكنها ولروعة مفارشها العربية وجلساتها المميزة بكراسيها وزرابيها وزوارها وشيخها العربي الأصيل أبو علي فايز تصلح لأن تكون ملحمة شعرية أو لوحة زيتية من التاريخ العتيق الذي تدرج فيه الطائيون، فنافسهم وسبقهم وتجاوزهم وانتصر عليهم أبو علي كرم بكل ما لا يخطر على قلب بشر، فقد تحول إلى تاريخ تعتز به ليس أسرته ولا بلدته ولا جنوبه بل لبنانه

كله، تاريخ مليء بالحكايات والقصص التي ليس لها نهاية لا يحتاج لأن تزيح عنها الغبار لتتصفحها وتقرأها أو لتعيشها، فقد عاشها الكثيرون وإن كنا لم ندرك جلها إلا أنها ما زالت حكايات وقصص ألف ليلة وليلة، ستظل بريق الماضي والحاضر والمستقبل، تاريخ يسكن زوايا الخيام وحواريها وأرصفتها وساحاتها ودكاكينها، الخيام حضارة برجالاتها وأهلها، الخيام حضارة بهذه الثقافة التي حوت إرثًا عريقًا بعراقة التاريخ، فهي علامة فارقة في التاريخ هذا هو أبو علي لا يضاهيه آخر في الكرم، وكم يحلو الكلام ونحن نسرد حكايات البطل الشجاع الكريم المهيب الذي لم يكن يحسب لماله حسابًا يعطي ، يضيف بكرم لا نظير له يشهدون له"دلة الهيل" وأباريق القهوة والموائد العامرة لضيوفه وضيوف ضيوفه، هكذا كانت حياة أبي علي فايز الشهيرة بشتى أنواع الكرم العريق منذ القدم. والشجاعة المطلقة، الشجاعة عند أبي علي فايز ليس لها حدود وخطوط هو من يحدد وهو من يرسم، له الميادين والساحات لا وزير ولا مدير ولا أمير ولا رئيس يستطيع أن يوصد بابه في وجهه، لأن كل من يعلم بان أبا علي قادم يشرع أبواب مكتبه ومؤسسته، وكل السرايات تستعد لاستقبال الضيف القادم لأن الصدق مبدؤه والنبل والكرم وحماية الناس والذود عنهم حتى وإن دفع حياته ثمنًا لمبدئه، وهو عَـلَمٌ من أعلام عشيرته وبلدته البارزين سوف يبقى رمزًا للشجاعه والكرم والشهامة العربية الأصيلة وشيخًا من شيوخها الأبطال.

ففي عام ١٩٥٧م تم تعيين المرحوم حسن علي فايز عبدالله رئيسًا للبلدية، خلفاً للحاج خليل حيدر الذي استمر في منصبه إلى عام ١٩٦٣م، كانت من المراحل المتميزة في العمل البلدي في الخيام لم يكن ينتظر منصبًا كي يبرز أو يتعرف اليه الناس، بل هو من أعطى قيمة لهذا المنصب ليست الرئاسة من أعطته المال بل هو من دفع من جيبه وماله لينفذ مشاريع على مستوى الخيام، وفي مناسبات كثيرة كان يوزع الإعانات والمساعدات، ما طرق بابه أحد إلا ونال طلبه وعاد من دارة أبي علي فايز منفرج الأسارير والكرب. مبدع الحلول لأشد الأزمات الاجتماعية والسياسية، حتى إن مفرزة الحماية في بلدة الخيام وغيرها كانت تستعين به على حل كثير من المشاكل.

نماذج من كرم أبي علي فايز :

أمام دارته في ساحة الخيام التحتا أو ساحة بيت عبدالله كما يحلوا للبعض أن يسميها، لأن جل بيوتها التي تحيط بالساحة تعود ملكيتها لآل عبدالله وتشرف نوافذ بيوتهم على الساحة، أو لكثرة رجالات آل عبدالله الذين يترددون إليها ولا يخلى الأمر من أن ينال العابر للساحة تعليقًا يعتمد

ثقل التعليق على المتواجدين في الساحة لحظة العبور، يعني كسائر ساحات القرى اللبنانية حتى أن البعض كان يغيِّر خط سيره عندما يعلم بأن فلانًا وفلانًا متواجدون في الساحة، فأسلم له أن يغير خط سيره وإن طال عليه الطريق تفاديًا لتعليقٍ قد لا يتحمل ثقله أو قهقهات تجعل المار يبلع ريقه ندمًا لمروره، ولسقوطه في حبال كلامهم ينفخ تحسرًا ويسترد أنفاسه متمتمًا: يا فتّاح يا عليم حتى يتوارى عنهم. يبقى الحديث مبتوراً ووسط الصورة ناقصًا وغائبًا في معالمه متلاش في مضمونه إذا لم يتصدره المرحوم أبو رائف خليل محمد علي خليل عبدالله (١٩٢١-١٩٩٠) يبقى التراث الخيامي غير مكتمل، هذا الإنسان الطيب والعبقري والفذ والعفوي فهو من أساسيات موروثنا القصصي في حكاياته الشعبية وطرائفه المحكية التي غيبته سنوات من الإهمال والضياع، وها هي الموروثات بكل ما تحمله على وشك أن تغادر ذاكرتنا إلى الابد.

نعم هي صورة من الماضي لم تعد الأمور على ماهي عليه في وقتنا الحاضر، وذلك لتغيير الأحوال ولغياب الكثير من الشخصيات المميزة في عالم الظرافه والفكاهة والنكتة. فدارة أبي علي مسيّجة ببعض الأشجار ومحاطة بسورٍ. يتربّع القرميد الأحمر فوق دارته ليضفي لمسة من الجمال كأنه تاج فوق رأس ملكٍ من ملوك المناذرة أجداد أبي علي فايز وأجداد أسرته. بينما القوم مجتمعون في باحة دار أبي علي، وإذ برهط من عرب الوزاني يسمع صوت قدومهم من ناحية الساحة الفوقا، وهم يهدرون بصوت عال مزهوون يكيلون المدح والإطراء والشكر لأبي علي قبل أن تظهر وجوههم على الحضور، دخلوا داره وكأنهم بأيام عيد لبسوا مايدخروه ليوم جميلٍ كهذا اليوم، جاؤوا لكن ليس لجولة انتخابية بل ليشكروا أبا علي فايز الذي اعتاد على هكذا وفود بعد أن أسدى لهم خدمة كبيرة، وذلك بتعيين أحد أبناءهم بوظيفة حكومية وكانوا يصطحبون معهم شاتين (رأسي غنم) هكذا يردون الجميل فقال لهم أبو علي: أبقوهما خارج المنزل وقيدوا وثاقهما في عمود الإنارة ولم يمض إلا قليل من الوقت، حتى جاء ضيف عزيز على قلب أبي علي ..وكأن أبا علي يدعو في سره: اللهم ابعث من يستاهل هاتين الشاتين، وإذا بأحد بكوات آل الأسعد علي بك الأسعد أو حسن بك الأسعد جاء ليحتسي القهوة مع أبي علي وضيوفه، فقال له أبوعلي:جيت بوقتك، قال الضيف: خير يا أبو علي قال: شايلك هالغنمتين وهكلين الهم بأن تبقيا مربوطتين طوال الليل خارج المنزل، وأنت بتعرف ما في أمان يا بيك وأوعز أبو علي لعرب الوزاني بوضع الشاتين داخل سيارة علي بيك وهي من نوع (بويك) فتعجب أهل الوزاني من هذا الكرم، مع العلم بأن أبا علي كان في اليوم التالي

لديه مدعوين على الغداء، وقال أحدهم غدًا عندك مأدبة وتحتاج لهاتين الشاتين فرد أبو علي: الله يرزق فتمنع الأسعد عن قبول الهدية وهو يعلم بأن لدى أبي علي فايز عزومة، فقبل الهدية عندما أقسم أبو علي بأن لا تبيتا في بيته.

أبو علي فايز في ضيافة الرئيس سليمان فرنجية:

ولد قائدًا، أو ولد أبو علي حسن علي فايز ليكون قائدًا فمارس صنوف القيادة حتى أضحى رجل المهمات الصعبة، فبذكائه ودبلوماسيته المعهودة قادر على تذليل كل العقبات والصعاب بقامة عالية. كان أبو علي على علاقة وطيدة مع كثير من الزعماء، وذات مرة ولأمرٍ ما زار أبو علي فايز الرئيس فرنجية في قصره وفي طريقه عرّج أبو علي على منزل كليم ذيب، فلم يجده في منزله في البترون وذلك للسلام عليه خاصة وإن أحداً من آل ذيب على علاقة قوية مع الرئيس فرنجية، كان أبو علي يرغب بأن يصطحبه إلى دارة الرئيس إلا أنه لم يجده فتابع سيره، لكن الذي حصل أن هذا الرجل من آل ذيب عَلِمَ بأن أبا علي في الطريق إلى دارة فرنجية بُـلِّـغَ بواسطة أحد من أهل بيته، فكان لحظتها متواجدًا عند الرئيس فرنجية ليخبر الرئيس بأن الوجيه حسن علي فايز عبدالله في الطريق إلى إهدن. كان إيقاع المفاجأة صاخبًا على الزائر، عندما وصل وجد الرئيس سليمان فرنجية في استقباله مع عدد من رجالاته المخلصين عند بوابة القصر، حيث تبعد البوابة عن مكان القصر مسافة لا تقل عن مئتي متر فقال أبو علي: لو عارف ما جيت ولا عذبتك معي يا فخامة الرئيس. فقال فرنجية بكل تواضع: كنت أنا جبتك. وتابع الرئيس قائلاً: أعرف يا حسن من تحمل كل هذه المشقة والمخاطر ويزورني في مثل هذه الأوضاع الأمنية يستحق منا أن يُستقبل عند مدخل القصر ولزامًا علينا ان نكرِّمَه، لأنه لا يزورنا في مثل هذه الأوضاع إلا من أحبنا وكنا موضع أمله وثقته واحترامه. كانت تقارب الساعة قد تعدت الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم. كانت ساعات مميزه قضاها أبو علي فايز في ضيافة الرئيس الذي أولم على شرفه وتبادلا أطراف الحديث، حينها روى له الرئيس فرنجية عن معرفته بكل من الزعيم علي أفندي عبدالله والزعيم خنجر أفندي عبدالله. كان يومًا رائعًا في ضيافة فرنجية الذي عرض على زائريه أن يبقوا في ضيافته إلى غدٍ وذلك لخطورة الوضع الأمني، وقد قال لهم: للأسف وصلتني أخبار عن مقتل ثمانية أشخاص على طريق طرابلس، وأفضل أن تبقوا... كانت الساعة قد قاربت العاشرة والنصف ليلاً، أصر أبو علي ومن معه أن يغادروا إلى بيروت ...وما، ولحرص الرئيس على سلامتهم أرسل بصحبتهم سيارتين عسكريتين لحراستهم حتى

بلوغهم مكانًا آمنًا، وأثناء وداع الرئيس قال له أبو علي: نرغب برؤيتك في الخيام يا فخامة الرئيس، فقال الرئيس: بلّغ سلامي إلى الخيام وأهلها وربّت على كتف أبو علي فايز. هكذا انتهت الزيارة ونال ما كان لأجله قد زار الرئيس. وفاجأ أبو علي ابن عمه الذي كان في صحبته حين طلب منه أن يتناول طعام العشاء فقال له أولم تتعشَ عند الرئيس؟ التفت أبو علي إليه بكل جسمه وقال: بدك يقولوا بأن بيت عبدالله جايين ياكلوا عنا. رحم الله أبا علي فايز هذه الشخصية الفذة والمميزة. وقد ربطت أبو علي فايز علاقة قوية ومتينة بكل من الرئيس فرنجية والرئيس شمعون والرئيس بشير جميل والرئيس تقي الدين الصلح والرئيس سامي الصلح، والكثير الكثير من الزعماء والرؤساء والوزراء والوجهاء. وكثير من أمراء الخليج ورجال الأعمال المغتربين وكان كافيًا أن يتصل أبوعلي فايز بإحدى السفارات الخليجية أو بأصدقائه شيوخ وأمراء الخليج لتنال وظيفة على السريع، وما زال إلى يومنا هذا كثر من بلدة الخيام لم ينسوا هذا الجميل.

هذا الشبل من ذاك الأسد: نجا بك الطيبة على يد أبي حسين

أحداث مضى عليها أكثر من نصف قرن تعكس حضورًا دائمًا ورعاية عنوانها الفداء والتضحية، إذا شاءها آل عبدالله كانت بردًا وسلامًا وإذا لم يشاؤوها كانت وبالًا ونارًا دائمًا، هي تداعيات الانتخابات والسباق نحو الزعامة، وإذا للزعامة رجال تطمح إليها فطموحها ليس كافيًا، وإنما تعززها عوامل أخرى لا تقل شأنا عن جموحها، تحتاج إلى رجال تمتحن وقت الشدائد والنزال، كرارة وليس بفرارة تصارع الأهوال وتقتحم الملمات غير آبهة، معدنه أصيل فإذا ما حان وقت النزال رأيت الرجال ثابتة مخلصة لمبادئها وايمانها بما تراه مناسبا وبما تراه صوابًا، فلكل إنسانٍ يوما إذا شأنٌ وصحيفة أعمال. في الحلقة الثامنة من هكذا تكلم أحمد الأسعد يقول سلام الحاج: فيما كان كامل بك الأسعد ابن أحمد بك الأسعد متوجهًا من صيدا إلى منطقة مرجعيون عام ١٩٥٨م خلال إحدى الدورات الانتخابية بموكب من المحازبين، كمن له عشرات الأشخاص عند مفرق (كفروة) في منطقة النبطية وما إن وصل الموكب إلى محاذاتهم حتى أطلقوا النار على سيارة الأسعد وكانت في المقدمة. وكان المسلحون قد وضعوا حاجزًا على الطريق لمنع المرور ولكن السائق علي فايزالعبدالله[1] وجــه السيارة نحــو الحقل منحرفًا عن الطريق، ثم تمكن بأعجوبة من تسلق

(١) ما جاء على صفحات الشراع وما رواه سلام الحاج بأن السائق حسن علي فايز عبدالله أبو علي ولكن بعد البحث والسؤال تبين لنا بأن الذي كان يقود السيارة هو ابن أبو علي فايز علي فايز عبدالله، وقد رواه لنا الكثيرون ممن كانوا في الجولة الا نتخابية أمثال أبو حسين علي محمد اسماعيل عبدالله وأبو كامل حسن علي أسعد عبدالله وكان=

لطريق ثانية بعد أن تجاوز الكمين وبنتيجة الكمين تحطم زجاج السيارة ونجا الأسعد بأعجوبة رغم
ن الرصاصات كانت مصوبة إلى رأسه، ولكن العبدالله الجالس بقربه رمى بجسده عليه وغطاه،
ومها وصل خبر الاغتيال للرئيس أحمد الأسعد فاتصل لفوره برئيس الجمهورية كميل شمعون
قال له: ولو يا فخامة الرئيس أنت لديك (دوريّان) داني ودوري اذا راح داني بيبقالك دوري فأما
نا فلدي دوري واحد (يقصد ابنه كامل)لذلك دعه وشأنه، خلافك معي أنا، ولا دخل لإبني به
كتفي بهذا القدر من القصة.

إبراهيم ابن الحاج محمد عبدالله شهيد معركة المالكية ومتطوعون بقيادة عباس الحاج خليل عبدالله

معركة المالكية[1] التي جرت بين العصابات الصهيونية والجيش السوري واللبناني في أوائل
حزيران من عام ١٩٤٨م. فقد نادى المجاهد العربي الكبير فوزي القاوقجي للدفاع عن فلسطين،
ي ذروة التعبئة العامة لبى الشباب الخيامي هذا النداء الصادق حيث لم تبخل بلدة الخيام عن تلبية
ي نداء للدفاع والذود عن الأمتين العربية والإسلامية منذ فجرها الأول، بل هذا ديدن ابنائها
لأشاوس، فألهب هذا النداء مشاعر وحماس الشباب الخيامي وكان وقعه وتأثيره كبيران على
لشباب، وازدياد روح التضحية بالنفس كان منقطع النظير عندما مرّ المجاهد فوزي القاوقجي
ي بلدة الخيام أثناء حثه على الجهاد. فلعب الشاب العروبي عباس الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم
بدالله دورًا هامًا ومحوريًا بين أبناء بلدته الخيام، عندما أخذ يدب الحماس تلبية لنداء القاوقجي
استطاع بأسلوب حماسي مميز أن يجمع مئة من المتطوعين، ويحصل على سلاح وقد قاد هذة الثلة
لؤمنة بعروبتها استطاعت الوصول والمشاركة في معركة المالكية لمدة ثلاثة أيام متتالية، فكان منهم
لجرحى وقد استشهد أحد المتطوعين على أرض فلسطين من آل عبدالله هو إبراهيم ابن الحاج

صحبة الآخر أبو أمين عبدالله أمين أسعد عبدالله وكان يقود بهما نايف عبد النبي سويد .. ورُوي كذلك بأن كامل
أسعد قال: يومها لن أقوم بجولتي الانتخابية إلا عندما يحضر أبو حسين أي علي فايز عبدالله وذلك لجرأته وقوة
به وهو صاحب المواقف التي تتطلب رجالاً ثابتين ومخلصين أعاد الله لنا أبو حسين من غربته.

[1] المالكية: في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحدود اللبنانية الفلسطينية. وهي واحدة من القرى السبع.
تفع ٧٠٠متر عن سطح البحر. وتسمى مالكية الجبل، تمييزًا لها عن مالكية الساحل الواقعة جنوبي صور. كانت
لكية موقعًا لمواجهة طويلة بين الجيش اللبناني والقوات الصهيونية من كانون الأول ١٩٤٧ حتى الأسبوع الأول
ن حزيران١٩٤٨ .هدمت وأقيمت مكانها مستعمرة ملكياه. نقلا عن مذكرات للتاريخ حوادث جبل عامل صفحة
١٧للشيخ أحمد رضا تقديم منذر محمود جابر دار النهار.

محمد ابن الحاج علي ابن الحاج حسن عبدالله، وكانت هذه الشهادة محل فخر واعتزاز بين أبناء المنطقة جميعاً، وقد لقي المتطوعون الخياميون العائدون من معركة المالكية، التي خاضوها إلى جانب الجيش اللبناني والسوري باستقبال كبير وحضور مميز ولافت من قبل الأهالي جميعاً، فكان المشهد مؤثرًا كما يرويه الذين عايشوا تلك الفترة.. لكن اليوم ماذا نقول وفي العين قذى وفي الحلق شجى وفي الصدر حشرجة، على ما نراه من بعض الفلسطينيين المتصهينين، لاحظ يا أخي القارئ شاب من بلدة الخيام الحدودية المطلة على قرى فلسطين المحتلة يعمل على حشد الناس من أهل بلده والجوار، لمحاربة الصهاينة في فلسطين، يدفع من قوت عياله وأهله وأصحابه من أجل الجهاد في فلسطين، ومما قرأته أو سمعته: بأن أهل جنوب لبنان الذين ينتمون إلى مدرسة أهل البيت وإلى أئمة أهل البيت، قدموا ما لا يقل عن أربعين ألف شهيد على طريق فلسطين منذ نكبة فلسطين وقبلها، هنا لا نمن على أحد لكن نريد أن نُفهم الآخر: كيف تجرؤ أيها البعض من فلسطينيي الـ ٤٨ أن تأتوا إلى سوريا وأنتم في قلب الحدث تحت أخبث احتلال عرفه التاريخ ألا وهو الاحتلال الصهيوني، تركتم هذا المحتل يعيث فسادًا بأهلكم وإخوتكم وأطفالكم وأتيتم لمحاربة الجيش السوري والحشد الشعبي وأهل المقاومة في حرب شنت على سوريا بحجج واهية لا قيمة لها منذ آذار من عام ٢٠١١م. أليس هذا الدم اللبناني الجنوبي العروبي المسلم ولا نريد أن نتكلم طائفيًا كان كافيًا لأن يوقظ ضميركم ويخجلكم ويكفكم عن ارتكاب هذا العمل الشنيع، لقد جئتم إلى سوريا لمحاربة أبناء هؤلاء الشهداء أهل الجنوب الذين لم يبخلوا على فلسطين وعلى أبناء فلسطين حتى هذه اللحظة من مد يد العون والمساعدة في كل الساحات، حيث قبض في مصر على أحد اللبنانيين المقاومين وهو يهرب الأكل والسلاح إلى الفلسطينيين المحاصرين في غزة داخل احدى الأنفاق في باطن الأرض. وغيره وغيره حتى ينقطع النفس، توبوا إلى ربكم أيها الفلسطينيون المتصهينون وقد ذكر بأن أكثر من أربعين فلسطينيًا خرجوا من أراضي الـ ٤٨ للقتال في سوريا ضد الدولة السورية وهل هذا العمل يعيد فلسطين إلى أهلها.

المقاوم العروبي العاملي ابن الجنوب اللبناني الثائر الخيامي المناضل
شبيب الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله

شبيب[1]

ـبيب بوركت من أسد ... يشهد لك أرنون والنهر
ـك صولة على الخردلي جاو ... رك رفيق الدرب خنجر[2]
ـوم أذللت رقاب المحتل ... ولاذ يستغيث وهو مذعور
ـخاب وهو جزوع ... وهلع وهو يمور

(١) خاطرة شعر للمؤلف.
(٢) المقصود المناضل أدهم خنجر رفيق درب شبيب العبدالله.
بالنسبة لصورة شبيب العبدالله خلفها حكاية ورواية من ضمن صور كثيرة أقلبها عند أخي الأستاذ علي مزرعاني
ـ النبطية سنة ٢٠١٢ فجأة قال لي علي: لدي صورة لشخص اسمه شبيب مكتوب على خلف الصورة العبارة
ـتالية: شبيب الخيام ١٩٩٢ فقط اي العام الذي حصل فيه على الصورة فسألته عن مصدرها قال كانت ضمن
ـصور ونشرات حصلت عليها من شخص من آل مرتضى فقلت لنتصل بفلان فقال أعطاك عمره فأخذت صورة
ـن الصورة مشكورا على مساعدتي وجهدت في أخراجها بعد طول بال وعناء وكثير من الوقت والجهد المحاولات
ـالمقاربات والتشخيص والتمحيص وإذا سئلت عنها وعلى مسؤوليتي أقول نعم هذه صورة شبيب والذين مثل
ـبيب صورهم في قلوبنا وبين ضلوعنا فهم قادة ... فلا تسألوا كثيرا بل قولوا وزيدوا كلنا شبيب
ـعبدالله هذا الأسد الذي أرعب ما بين المشرقين والمغربين.

حملتَ بين الضلوع الوطن وبيدك جلبت له النصر
ثرتَ وثار بمعيتك الجبل وهلل السهل واحتفى الصخر
وابتسم الفجر وعانق الآكام وتلألأ النجم فاستجاب له القمر
أكرمت الأهل والوطنَ، ودمك مهر. لا يغلو لهم المهر
من لبنان إلى سوريا حتى فلسطين رصاصك يزمهر
صداه يُسْمَع في الشام والعراق وما نامت طرباً لأزيزه مصر
أمسى المحتل وضيعاً وأنت في الفضا النسر
بالأمس كان يزأر و اليوم يموء عليه الهر
فأنت البطل به الضّراغام تستنجد و خلفه الجبال تتستر
فحذر عدوك اللّص فعدوك ديدنه الغدر
تمضي القوافل في عزم وترفرف مزهوة، راياتُ النصر

شبيب

يا أمير العابرين والصادقين... وياضمير المعذبين
أيها المناضل...
ابسط كفيك واخلع نعليك وأقم صلاة المتهجدين

شبيب

يا ضوء الفجر المبتسم... على كتف حرمون وحصن أرنون
وقلاع تبنين...أضناك حب الوطن
فرسمته فوق راحتيك... وتنهدته أنفاساً وأجراساً
واختمرت عناقيده إحساسًا...وحصدت سنابله أغمارًا
صيرتها أشواكاً في وجه المحتلِ وأسيافًا

شبيب

أتتك الجموع... فامسح
بكفيك قهر الدموع.. وأوقد لها الشموع
وسر أمامها..واعزف من لحن رصاصك

وأقم حد قصاصك..

فاليوم خلاصها وأعراسها

شبيب

منبرك الصخور...ومقعدك الثغور

ومرقدك الكهوف... وأقواس السيوف

ونافذتك وجه القمر ..

وعلى التلال ألف حكاية وحكاية..

فيها وصاياك العشر ولهم يوم الحشر

لك المكان وأزهار نيسان

واحمرار شقائق النعمان

شبيب

يا ابن الكرام ..وسهل الخيام

و أسد النزال... و رمز الثوار

يا شعلة لن ينطفئ نورها

وحمؤها وجذوها وحرها ووهجها

ولم يحطم سورها...ولم يثن غرورها

وقَبَضات سيوفها

شبيب

سيرة الأبطال...والمطر الهطال

والسيل الهادر ...والمارد المغوار

يا شريك الثوار ..وأخو الأحرار

يا رفيق أدهم والحمزة

وكل الثائرين...والسائرين

والعابرين ....على الصراط المستقيم

حي على خير العمل...

شبيب

يا مريب الأعداء... وربيب السعداء

وآية الوفاء ....وآية الفجر

ياباذل الدماء....وصوت الحداء

وملهم الشعراء...وبريق الرعد

ونداء الوعد والسعد.

شبيب

ياحامل اللواء وقاهر الأعداء

عكا.. تناديك ..وحيفا.. نور عينيها تهديك

ويافا ..تسأل عنك..أطلت المغيب

فلسطين تهديك تينها وزيتونها وغلاها

الأسير يناديك والثكلى وأم الشهيد

شبيب...شبيب..شبيب

– لقد رغبت في إعادة كتابة سيرة المناضل شبيب العبدالله، مع تعليق على نحو تُجسِّد صورًا واقعية تكون أكثر ملائمة، بعيدًا عن السرد القصصي الجامد. حتى لا يكون الخبر مجرد وثيقة منقولة أو نسخة طبق الأصل من مصدرها دون أن نعالجها ونحللها و نخرجها من جمودها، مع الحرص على المحافظة على صحة المتن وأصل الموضوع.

نكرر ما يقوله الكثيرون ربما تكون الشكوى أحيانا تنفيس عن النفس، وشكونا هنا من قلة المصادر وشح المعلومات، نقول كذلك وربما ما نقوله هو الصواب: بأن الحظ قد أسعفنا بالحصول على القليل القليل الذي يكتنز الكثير عن الثائر شبيب العبدالله، بعض أحداث قضى الله بها وجعلها في بطون الكتب تروي قصصًا عن ثائرنا، يكمن في بعض جوانبها فيضٌ من المعلومات تتطلب منا مهارة لا ندعيها، في استحلابها واستدرارها لنخرج ما في بطونها ما هو شفاء للروح المتعطشة للإرتواء من سير هؤلاء الأبطال.

هل الحديث عن الثائر شبيب عبدالله هو بحث عن لغز نريد حله؟ على الرغم من مشقة البحث ومواجهة المصاعب، كان ثمة إلحاح غريب بالاستمرار حتى النهاية، حسب القاعدة الفقهية من اجتهد وأخطأ فله أجر، ومن اجتهد وأصاب فله أجران وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

كانت سيرة شبيب إلى جانب عمله المقاوم تعكس سموًا في التفكير والنضوج في الرأي عندما سلك طريقًا وعرًا، فيه كثير من التشرد وقسوة المنفى والمخاطر والبعد عن الأهل والأسرة، عندما إختار أن يكون ضمن قوافل الأحرار ملبيًا نداء أمته العربية، بعد أن تقاعس الكثيرون عن القيام بواجبهم الجهادي. وتبقى نماذج الثائرين رائعة ومميزة وخالدة في ضمير الأحرار من أمتهم وشعوبهم المؤمنة، والتواقة إلى تسنُّم ذروةِ معالي الحرية وأدراج المجد، عندما وهب الثائرون حياتهم وقدموا أنفسهم طلباً للموت والشهادة لتبقى العزة لأمتهم ووطنهم وأهلهم.

وُلد شبيب العبدالله في بلدة الخيام تقريبًا سنة ١٨٨٦م. بقي مصيره مجهولًا عندما اختار المنفى بعد أن حُكمَ عليه بالإعدام من قبل الانتداب الفرنسي، رافضًا العودة رغم العفو الذي اصدره المحتل. عندما شعر بان هذا المحتل قد انتقم منه ومن كل أحرار جبل عامل وثواره، بإقدامه على إعدام صديقه وأخيه ورفيق دربه المناضل أدهم خنجر بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٩٢٣م.

بلدة الخيام تُعاقب على يد العسكر الفرنسي

هل المقصود شبيب العبدالله من هذه الحملة؟

العلامة صادق مستاءٌ واللقب المناسب للرئيس الفرنسي هو أبو شعير.

لم تهدأ الحملة الفرنسية الخبيثة التي طالت بلهيبها كل قرى جبل عامل، وما كانت هذه الحملات المتعاقبة والمتتالية إلا مقدمة للاجتياح الواسع الذي ذكرناه آنفا، كان من لم يستسلم لإرادة المحتل عليه أن يتحمل المسؤولية.كان يوم الجمعة بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩٢٠ وما تلاه يومًا صعبًا على أهالي الخيام، عندما دخلها العسكر الفرنسي فارضًا مزيدًا من الغرامات الباهظة، فأخذوا من قرية الخيام خمسمائة ليرة ذهبًا، عشرين رأسًا من البقر وكمية كبيرة من الشـعـير، وما كان يحصل عليه العسكر من القرى يشكل ثروة ضخمة آنذاك بالنسبة للأهالي. هل نضع ذلك التحرك المشين والظالم في خانة الضغط والعقاب اللذين يمارسان على بلدة الخيام، بسبب تبني الثائر شبيب عبدالله لخط المقاومة ضد الفرنسيين خاصة وأن العلامة الشيخ عبد الحسين صادق، اشتكى إلى زائره الشيخ أحمد رضا، قائلا: بأن العسكر المرابط في الخيام، يرهق المسلمين وخاصة من أهل الخيام بفرض ما لا يستطيعون حمله ودفعه من الغنم والبقر لإطعام العسكر، ومن التبن والشعير لعلف خيولهم. لماذا إذن خصَّ المحتل مزيدًا من العقاب على أهالي الخيام دون غيرهم من القرى وترويعهم بهذه الحملات. تَبَّتْ أيدي هؤلاء المحتلين عسكر (بوانكاريه)، الرئيس الفرنسي أنذاك صاحب موعظة في دنيا الحقوق،

كان يعد ماهرًا حيث يجيد فن الأخلاق والسياسة، وعقد الشعب الفرنسي آمالاً كبيرة عليه في استرداد مقاطعتي الألزاس واللورين من ألمانية حتى لُقِّب باللوريني. ورأى الشعب الفرنسي سِمة العظمة على جبين هذا الرئيس وهو حق لهم ومن حق الآخرين أن يلقبوه بما يروه مناسبًا. الشعب الفرنسي لقبه (باللوريني) عندما اعتبرالفرنسيون بأن هذه قضية وطنية بامتياز، وبينما كان الرئيس الفرنسي (ريمون بوانكاريه) عام ١٩٢٠م يحكم فرنسا ويسعى لتحقيق آمال شعبه، كان عسكره في جبل عامل وتحديدًا في الخيام يسرق الأبقار والغنم، ويستولى على الشعيرعلفًا للدواب فاللقب الذي يليق بأن يطلق على هذا الرئيس هو (أبو شعير)، فإن أولئك الذين يقيدون ويقننون الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان جاعلين من هذه القيم سلعة يتحكم بها عامل الربح والخسارة، ومطية لبلوغ مآربهم شعارهم البغي والعدوان ومزيد من الظلم والجور. والطمع السياسي وأن يستعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. أن يكون الفرنسي وغير الفرنسي حرًا في وطنه شيء يخصه، ولكن أن يكون حرًا خارج وطنه ويسرق ويقتل لعن الله أمة لديها السرقة والقتل ممارسة حرية.

الشيخ عبدالحسين صادق: فشلوا في اغتيال شبيب عبدالله :

ساحة الأحداث لم تستكن والقمع الفرنسي لم يهدأ مصحوبًا بمتابعة، وملاحقة الثوار، مصرًا على النيل من حياتهم ، لعل وعسى، أن يخمد نار الثورة ألتي تلاحق جنوده ليل نهار، بينما الثوار ثابتون في خطاهم كثبوت الرواسي رجال لا تأخذهمْ في الله لومة لائم. وعلى عاتقهم أخذوا مسؤولية التحدي والنضال، والمقاومة سمة اتسم بها أبناء جبل عامل دائمًا كان يمثل اندفاعهم واجبًا وطنيًا تجاوبًا مع إيمانهم العميق بالحرية. إن الالتزام بقضايا الأمة والتفاعل مع شجونها كان دائما يحفزالفرد في جبل عامل فتغلب أحاسيسه وعواطفه العقل في كثير من القضايا، لأن العاطفة أعلى مراتب التضحية والعطاء دون حساب عند الانسان: (واخفض لهم جناح الذل من الرحمة) لكن المحتل يعمل بعقل شاذ وقلب قاس ملؤه الكره والبغض.أما في أدبيات الكثيرين من شعوبنا فالحميمية جزء من التكوين العقلي والنفسي خصهم الله بها، وهذا ما عليه الثائر شبيب عبدالله مشحونًا بهذه الصفات الطيبة عندما ترجمها بزيارة لأهله وأسرته في بلدة الخيام.عَسْعَسَ الليلُ وأقبل بظلامه فأوت فلول المحتلين تخفي أجسادها بين فوهات الصخور، تلوذ خوفًا وترسل سهام نظرات عيونها في كل اتجاه متربصة، إذا خرج أحدهم كان يخرج خائفاً يترقب وصول المناضل

شبيب العبدالله وهو يسعى من أقاصي البلاد لرؤية أهله. المحتل متربص ليقتله وكأن لسان حال شبيب يردد: ربي نجني من القوم الظالمين، بينما كبير المحتلين وقائد المنطقة في الخيام والجوار يحمل بندقية مثقلة بالرصاص محشوة حتى فوهتها متوعدًا، يرصد الطير في وكنه وكأنه قد أخبر بأمر شبيب عبدالله بأنه قادم إلى الخيام، فكان هو بمقدمة عسكره يريد أن يحوز على قصب السبق ويفوز بقتل الثائر شبيب عبدالله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ما إن تنفس الصبح وبسطت الشمس أشعتها تنبئ بقدوم الربيع وقدوم الثائرين من ساحات الشرف والإباء مثقلين بالشوق والحنين، عاد الحبيب إلى قريته التي أحبها وأحب أهلها ونازل المحتل من أجلها في كل حدب وصوب، فيبتسم ابتسامة جميلة ما إن رأى أسطح منازلها التي تراءت له من خلف أشجار الزيزفون والتين والزيتون، لكن ذاك الذي ينتظر ويتربص خلف جذوعها كأنما تتملكه أحاسيس الذي يقف على شاطئ الريفيرا في فرنسا مكمنًا للحلفاء يريد أن يحقق النصر النهائي ويهديه إلى الشعب الفرنسي. أين هؤلاء المرتزقة من قيم الثورة الفرنسية التي قاتلت الغزاة. ثلة من الشعراء الفرنسيين كتبت حتى جف يراع مدادها عن مجد المقاومة والمقاومين ملؤوا قراطيس الدنيا وألبسوا بياضها حلة زرقاء. بلون رواياتهم ومقالاتهم ومسرحياتهم، هذا عبث وتنكر للإنسانية وحق الشعوب في مقاومة المحتل.الشجاعة في أن يتحدى الثائر شبيب عبدالله وأمثاله طوق عسكر المحتلين وزنار نارهم ويدخل الخيام سالمًا كما كان يدخلها كل مرة.(انظر إلى الشاعر الفرنسي وهو ينعي أحد رجال المقاومة الفرنسية الذي أعدم لمواقفه الوطنية وكان اسمه نويل) يقول الشاعر :

نويل..نويل هذا الشروق الخابي
أعاد إليكم أيها الرجال ذوو الإيمان العفيف
الحب الذي يموت المرء في سبيله بصدر رحب
والمستقبل الذي يعيد الحياة إلى موته

بحث روائي:

يتحدث الشاعر الفرنسي بلهجة تصوفية بحتة، البعث بعد الموت، وهب الروح إلى الآخرين، يخاطب تلك الثنائية لذة الحياة مع الحرية يجمع بين الخلق وعشق الوطن، ليس من باب التجربة وتقديم المشورة ولا هي مقدمات بل نتيجة متكاملة لمشروع عمل إنساني غايته كمال الانسان، ولكن عندما يترجم هذا النص الشعري إلى عمل سياسي فرنسي، يسقط المشروع الإنساني والمآثر

ولايحتمل ثنائيات بل يتعداه إلى تعدد الأمزجة واختلاف الرأي بعيدًا عن الاستقرار، يسقط أمام المصالح الاستنسابية الضيقة والدخيلة قمة في التعارض المنطقي. وغياب النموذج عن ساحة الأحداث وإطلاق العنان لقوى الشر التي تختزن كرهًا وعداءًا وتعصبًا عنصريًا ودينيًا وأيديولوجيًا مقيتًا، تسقط الذات أمام الموضوع بإعتباره نصًا إنسانيًا تحركه وتملي عليه عوامل شخصية، لا يعيش حالة صراع واستقطاب وتفاعل بل تتملكه قوى الشر المستبطنة في أعماق النفس الآمّرة بالسوء حين يفلت من عقال الفكر لتتحكم به قوة التجاذب، واتساق القمر وحركة الكواكب والأرض حول الشمس.

يحاربون وهم مدججون بالسلاح، يحاربون من وراء جدر، ما إن وقعت عينا الكولونيل الفرنسي على شبيب العبدالله حتى أطلق العنان لرشاشه الحربي وأفرغ ما فيه من ذخيره بإتجاهه، يعكس ذلك وحشيةً وفزعًا وخوفًا يتملك هؤلاء المحتلين. كان المقاتل الفرنسي عندما يفلت من قبضة الخصوم الألمان يمنح وساما على شجاعته، وأي وسام يستحق الثائرشبيب إذا ما أفلت من قبضة الفرنسيين.

أراد هذا المسؤول العسكري أن يثبت لقيادته حرصه ويقظته في ملاحقة الثائرين والنيل منهم، مراهنًا على جشعه وطمعه للفوز برضى الكبار ويظهر كبطل قومي ليس ضد الألمان وعسكر هتلر، ولكن أين؟ شرقي الخيام بلدة من قرى جبل عامل. بعد أن أطلق عياراته النارية بإتجاه شبيب عبدالله غمرته فرحة عارمة، لقد رأى الفرس بدون فارسه ولو طاوعه لسانه لهلل وكبر، لكن أخذته العزة والحماس فلوّح بشارة النصر. ما إن وصل الفرس إلى دار أهل شبيب حتى اضطربوا خائفين على حياة ابنهم فانتشر الخبر في بلدة الخيام تتداوله الألسن وتتسائل عن مصير الثائر هل وقع في الأسر، أم تمكن منه العسكر الفرنسي أم كتب له النجاة؟ والشيخ عبد الحسين صادق يروي الواقعة للشيخ أحمد رضا ويقول: بأنها حدثت بتاريخ الرابع والعشرين من آذار/ مارس عام١٩٢٠م. بعد أن أطلق النار على شبيب انطلق الفرس إلى دار أهله خالي السرج ولكن هذا الفارس استتر وراء صخرة ثم خرج بعد انقطاع الطلقات النارية عليه وعاد إلى بيته ينفض أثوابه سليمًا معافى[(١)].

نقول في ذلك: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩] هذا ما جاء في كتاب "حوادث جبل عامل".

---

(١) قصة في شبيب كتاب "حوادث جبل عامل"، للشيخ أحمد رضا، ص ٩٩ دار النهار.

أيها الثائر شبيب..لك كلَّ التحايا

...بلادي منبت الثوار....

شبيب..أيُّهَا...الثائر

القادم من قِمم السحاب

من رحم الأولين الأطهار

وبيدك سيف جدك البتار

ومعك ..علي... وذو الفقار

يا مَن.... آثرت الكهوف والوديان

فيك عزم الرجال وصلابة الصوان

فوق جبينك آيات فخر وألف قُبلة

وفوق جبين عدوك ذل وعار ومسمار

لم يحن موسم الحصاد

براحتيك الضوء وفي عينيك بريق

صبرًا .. صبرًا. .

انتظروا ... الساعة آتية لاريب فيها

بريق عينيك أسرع من رصاصات بنادقهم

وصهيل جوادك يمضي في فضاء الكون

يا قادمًا مع خيوط الشمس أنت الضوء

انحنت لمواكب الثائرين الصخور

وتطيبوا برائحة الغار والبخور

تحت قدميك رائحة السكوكع تفور

انقشع الضباب...لامست قدميك الماء

وتوضأت أغصان الدفلة والرياحين

والنهر ينساب... فاعبر على أكتاف المحتلين

فوق أسطح المنازل وخلف النوافذ حنين

وعيون تسكنها لهفة المحبين

شيخ (عجوز) يسرج القنديل ويقرأ

في كتاب مالك يوم الدين...

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين: ١، ٢، ٣]

الخيام ..الخيام تناديك وتنثر زهر البيلسان

فوق رؤوس القادمين... ووشاح من حنان

واليأس يصرخ في أعماق المحتلين

ها قد دنت ساعة الرحيل.

فأصغ إلى نداء المؤذن ورفع الأكف عالية

واحْزُز بسكينك حبل مقاصلهم

وذري في أفق الفضاء رمادها

ثغور ..وأسوار ...صامدة

دروب ..وأحجار.. حاقدة

وأسْمِع مَن أصابهم الصمم

واهتف بلادي منبت الثوار.

المقاومون بقيادة الثائرين شبيب العبدالله وأدهم خنجر يحتلون قلعة الشقيف فيرد المحتل بإحراق منزل والد شبيب العبدالله في الخيام

كان قد مضى على الحملة الفرنسية على مناطق وقرى جبل عامل قرابةالشهر، بدأت بتاريخ ٢١من أيار/ مايو١٩٢٠م. وجاء احتلال قلعة الشقيف من قبل الثائرين بتاريخ ١٤من حزيران/ يونيو١٩٢٠م. ولا نقدر إلا أن نضع هذا الرد الواسع من قبل المقاومين على نقاط مهمة ومفاصل هامة، استطاعوا ان ينتزعوها من يد المحتل للضغط عليه وإرباكه والرد على هجومه الوحشي الذي تعرضت له قرى ومناطق بلاد بشارة، بعد أن فشلت جميع الجهود من قبل كل الأطراف،

كانت شروط الانتداب الفرنسي قطع كل علاقة مع الثورة العربية الفيصلية ووقف التعاون التام مع رجال المقاومة، وحث الوجهاءوالعلماء في المنطقة على التبرؤ منهم والعمل على محاربتهم والوشاية بهم. لم يتوان المحتل عن زرع المندسين وتشجيعهم على النهب والتخريب والقتل باسم الثائرين، لخلق جو عدائي من قبل الأهالي ضد الثوار، هذاوكان كامل بك الأسعد يتولى عملية المفاوضات مع المحتل لتجنيب المنطقة الحديد والنار، وعندما شعرت قوى الانتداب بعدم الجدوى في إبقاء الأسعد على رأس المفاوضين حين رفض ومن معه التنازل عن الثوابت اتجاه الثورة العربية في سوريا، فخططت لاعتقاله، فما كان منه إلا أن غادر مع أسرته إلى فلسطين في الأول من حزيران/ يونيو من عام ١٩٢٠م[١]، فقامت بإحراق منزله في الطيبة وقصف منزل محمد التامر وإحراق منزل الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله والد الثائر شبيب عبدالله في بلدة الخيام انتقامًا منه[٢] وسط هذه الأجواء كان لمناطق جبل عامل موعدٌ ليس مع هذا التاريخ وحسب، بل مع كثير من الحقب السوداء المضرجة بلون الدم إلا أن الانتصار النهائي والحسم لم يكتب لأي من الغزاة إلى يومنا هذا، كانت جموع العامليين تتفرق وتتلاشى وكان في بذور تفرقها يكمن اللقاء وإعادة رص وبناء الصفوف، وتوالد الثورات وتتابعها سر من اسرار هذه الارض. كان الهجوم من قبل الثائرين على عدة محاور كما جاء في كتاب "حوادث جبل عامل". على النحو التالي: احتل الثائرون جسر الخردلة. رجال صادق الحمزة مرابطة في علمان على جسر القاقعية، وعدتها نحو ثلاثمائة. ومجموعة أدهم خنجر وشبيب العبدالله احتلت قلعة الشقيف، وعددها نحو مائتين وخمسين وأن محمد بك التامر، ومعه أربعمائة محارب في قرية عديسة، ودام القتال بين الثوار المدافعين عن القلعة والمهاجمين من فرقة الدرك التابعة للإنتداب ثلاث ساعات، ورغم وصول تعزيزات من العسكر الفرنسي ومدافع ثقيلة وجهت نيرانها نحو القلعة لطرد رجال شبيب العبدالله وأدهم خنجر، إلا أنهم أظهروا مقاومة صلبة وبقوا محتفظين بمراكزهم مدافعين عن اسوار القلعة ولكن بعد أن أفرغ العسكر جامّ غضبه من قذائف ورصاص وذخيرة على الثوار والقلعة رجع إلى النبطية، يجر خلفه أذيال الهزيمة. هذا وقد تولت المفاوضات مع الثائرين قوى محلية ووفد من العلماء ووجهاء المنطقة، للتفاهم على مخرج

(١) لقد ذكر رضا التامر في ذكرياته رواية الخروج من جبل عامل وقال: بأن وجهتهم كانت المنصورة من قرى حولان).

(٢) نشرة داخلية بإسم "الدردارة"، كانت تصدر عن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الإجتماعي، وقد رُوي هذا الحدث في الصفحة السابعة، العدد الثاني، السنة الثانية، من شهر حزيران / يونيو من سنة ١٩٩٥م.

يبعد شبح الاقتتال عن القرى، والانتقام والانتقام المضاد الذي أسس له المحتل بشحن الأنفس بالضغينة والكره ورعاه، وعندما حان وقت قطافه استثمره حق استثمار، فكانت له أدوات مهمة ساعدته على إستشراء العداء حتى أصبح أمرهم فوضى وعمت البلبلة والاختلال في كل مكان من قرى جبل عامل، عندما عمد المحتل خلال حملته على القرى التي مارس فيها القتل والنهب والحرق أن يكون ضمن صفوفه شباب من الطائفة المسيحية لإثارة وتأليب الشباب المسلم للإنتقام لأهلهم وذويهم، ففي اليوم التالي لمعركة الشقيف هاجم الثوار قرية ديرمياس، وقتلوا منها رجالًا وحرقوا بعض البيوت وأحراقوا بيوتًا في الخربة وجديدة مرجعيون التي شهدت معركة شديدة. وقد اتفق وفد تجمع الوجهاء والعلماء بأن يكتب إلى محمد بك التامر كتابًا، وإلى صادق الحمزة وإلى أدهم وشبيب العبدالله، بوقف القتال بعد أن طغى المحتل وبالغ في الانتقام من القرويين[١].

وجاء الجواب الشافي من صادق الحمزه إلى العلماء وكان نموذجًا حيًا يعبر عن مدى إدراك ووعي الثائرين.

(نطرح المواضيع ونبرز أهم أحداثه ولا ندخر جهدًا أو وسعًا في الإطالة إلا إذا كانت ذات فائدة)

جاء فيه:

إننا كنا سابقًا مقيدين بأوامركم، وإنكم طالما أخذتم إصلاح أمر هذه الحكومة على عاتقكم. ولما لم يتم ذلك لكم، خرجنا عن طاعتكم، لأننا رأينا الحكومة مطيعة لأهل الأهواء الذين يريدون ويعملون على إثارة الثائرة في جبل عامل. حتى أهرقت الدماء وهدمت الجوامع والكنائس والمساكن، ورأينا الحكومة التركية كانت تفضل المسيحيين علينا في المعاملة وهي دولة مسلمة مثلنا، فكنا نطيعها بذلك حرصًا لعملها على المصلحة ولكن الدولة الفرنسية، وهي مسيحية، كان عليها أن تعمل بالعكس، أي تفضلنا بالمعاملة لأننا الأكثرية، ولأننا من غير دينها، فعليها أن تستجلبنا بالحسنى. ولكن الفرنسيين وأتباعهم من أبناء وطننا، يريدون إتلاف هذه الطائفة من جبل عامل. إن أوامركم يا سادتنا قد تأخرت عن وقتها، لأن الحماس والثورة قد عمت أقطار البلاد. وليس بمقدورنا نحن وحدنا الوقوف في وجهها. وهي مختلطة من كافة المسلمين الشيعة والسنة، وكلهم يتلهفون على ضياع بلادهم وهدم بيوتهم وهتك أعراضهم ونهب أموالهم وديارهم. فالآن إطاعة لله ولأوامركم واستجلابًا لرضا الحكومة، نقف نحن خاصة، ولا نتمكن من إيقاف غيرنا، لأن الغيرة الإسلاميه عمت أركان البلاد[٢].

(١) قراءة في كتاب "حوادث جبل عامل" من صفحة ١٤٠ إلى ١٤٥.

(٢) مصدر سابق، الشيخ أحمد رضا، صفحة ١٤١.

تعليق على رواية من داخل القلعة تدحض اتهامات المستعمر وتزيل الشبهة عن الثائرين..

شبيب العبدالله: أبعدوا بنادقكم عن صدره

أدهم خنجر: نحن نثور للشرف فقط

لا يختلف الأمس عن اليوم، على نحو ما هو معروف الآن من إلصاق تهمة الإرهاب بالحركات المقاومة والثائرة. الساعية لتحرير الأرض والإنسان. إن ما هو إرهاب فهو موضع إدانة من الجميع، إذا سأل سائل كيف لهذه القوات التي تقطع آلاف الكيلومترات وتحتل بلدًا بالقوة وتقدم على قتل لأبرياء وتدمير الممتلكات وهدم المنازل وترويع الناس بوحشية، ويأتي البعض ويدين من يدافع من نفسه وعرضه وماله ورشقه بزخات من التهم والافتراءات للنيل من قدسية عمله وإظهاره صورة القاتل والمجرم والمعتدي ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قبل تشريع القوانين إعطاء الحق في الدفاع والمقاومة. كان من عدل الله ورحمته أن افطر سائر خلقه بفطرة ربانية ألا هي الدفاع عن النفس. وإن لكم في ذلك لعبرة انظر كيف تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، وفرة لها الأمن والأمان. وإذا ما شعرت بخطر يقترب منها لرأيت هذا المخلوق الضعيف في لحظة ا يتحول إلى مخلوق شرس يرعب من يعتدي عليه، حتى وإن كان الخصم يفوقه بأضعاف من قوة. كان وما زال الإعلام له تأثير فاعل في حركة الشعوب، لقد دأبت الحركة الاستعمارية إبان جودها في منطقة جبل عامل على ملاحقة الثائرين تحت مسمى العصابات بتفسيرها السيء أي مارسة للجريمة والسلب والنهب والتعدي على كرامات الناس والعبث بممتلكاتهم، حقا إنها رسة سافرة لتشويه ممنهج ضد الثائرين من أبناء جبل عامل بقصد فض الناس من حولهم وتأليب رأي العام ضدهم. لم يتوقف الأمر على احتلال قلعة الشقيف من قبل الثائرين شبيب العبدالله دهم خنجر، بل دخلا بلدة أرنون، كان هذا الدخول أشبه بعمل أمني باعتبار أن أي حركة اومة تحتاج إلى حماية أمنية مشروطة بتحرك سري للحفاظ على ديمومة العمل النضالي، وما لبثا دخلا مع مائتين وخمسين من المقاتلين إلى البلدة ثم استاقوا الرعاة مع مواشيهم إلى القلعة فيقول ي الحديث: فتلقانا أربعة من ثوار شبعا مصوبين بنادقهم إلى صدري فابتدرهم شبيب العبدالله فهم عني، وأمر أربعة غيرهم من ثوار الخيام بحراستي إلى أن أصل إلى الطيبة، وتم ذلك بعد تماع بين شبيب العبدالله وأدهم خنجر استمر لمدة ساعة، فطيبا خاطري معتذرين بأن ما بلغهما ي هو غير صحيح، وأطلقا جميع الموقوفين وما يملكون من مواشٍ لتعود إلى أصحابها. وحصل

حادث آخر حيث تم أسر رجلين وامرأة من دير ميماس ينتمون إلى الطائفة المسيحية على الطريق، وحاول بعض الذين أسروهم التعدي على المرأة، لكن أدهم خنجر رفض هذا العمل الفردي وقال: أحذركم جميعًا من مس الأعراض فإنما نحن نثور للشرف فلا نفعل ما ينافيه(١).

تعليق لا بد منه:

خاتمة العمل النضالي ضد الفرنسيين ـ وداعا أيها المخلصون.

هل دنا موعد الأفول وحان وقت الرحيل ؟

إن أمثال شبيب عبدالله وأدهم خنجر وكثير من الأسماء التي لمعت وبرزت في ساحة العمل النضالي والجهادي في جبل عامل، مثلت نموذجًا للإنسان الثائر أينما وجد على امتداد سطح كوكب الأرض. أليس الثوار الأمريكيون حملوا السلاح وثاروا على القوات الفرنسية في بداية القرن الثامن عشر؟ وكذلك ضد القوات الانجليزية بقيادة جورج واشنطن أول رئيس لأمريكا حتى أصبح القائد والسيد العظيم في عيون الشعب الأمريكي والنموذج للإنسان الوطني الأمريكي بامتياز، أليس الشعب الفرنسي من ثار على واقعه وجلاوزة عصره وظالميه فكانت ثورة عارمة امتدت لتشمل فرنسا بأكملها ويتحرر الإنسان الفرنسي من شفرة ومُدْيَات الظالمين ومقصلة الجور القاتلة؟.لكن عندما يتعلق الأمر بأوطاننا وساحاتنا على امتداد مساحة الوطن العربي يأتي من حرر وطنه وشعبه من الطغاة ويريد أن يضعنا في أقفاص مغلقة، إذًا هذه عقلية الثأر والكيد والكره للغير ثم يعدنا بالمن والسلوى. سياسة تسمين البطون وتنحيل العقول في دورة غريزية بعيدة عن المنطق وطبائع البشر. مهما بلغت التضحيات وبذل من أثمان لا يستطيع المرء أن يغلق فكره ويعطل أحاسيسه، ويصبح ديكورًا مميًا في الشكل يخرج من ثوب إنسانيته وفضاء مكانه وزمانه، وما يمثله الزمان من حركة نشطة وتفاعل بين ما يقدمه الإنسان من عمل يضاف إلى سابقه من أعمال في شتى المواضيع والحقول، ليكون المكان المترجم الحقيقي لخلاصة هذا التفاعل.مما لاشك فيه بأن الثورة الفيصلية التي بدأت في الأول من حزيران / يونيو١٩١٦م. ضد العثمانيين وانتهت برحيل الملك فيصل في الثامن والعشرين من تموز/ يوليو١٩٢٠م.ثم تحولت ضد الفرنسيين بعد أن تلقت الثورة ضربة وطعنة موجعة من الإنجليز والفرنسيين على حد سواء. كثير من العقلاء كانوا ينبهون

(١) مصدر سابق، الشيخ أحمد رضا، صفحة ١٤٤.

الشريف حسين وأولاده من دهاء الانجليز وتلاعبهم في العهود والمواثيق، وتفسيرهم لها بما يطابق مصلحتهم وأغراضهم فعدم الوفاء بالوعود والمواثيق من شيم السياسة البريطانية، والتلاعب بالألفاظ والجمل والصيغ هو من طبيعة السياسة نفسها. فلم يعبأ الشريف بهذه التحذيرات بل وثق بالقوم معتقدًا فيهم الإخلاص والوفاء، عندما وقف الشيخ عبد الحسين صادق أمام الملك فيصل قائلا له باسم أهالي جبل عامل: نبايعك على الموت[١] كان العلامة صادق صادقا فيما يقوله دون مواربة، فهؤلاء أهل صدق ذهبوا إلى الشام ليقولوا ما يريدون، قوله نعم صادقٌ إلى أبعد الحدود ويعبر عن نبض شعور أهل جبل عامل تجاه القضايا العربية والاسلامية التي دفعوا من أجلها أثمانًا غالية، منذ أن رفع الأذان بمكة وهم يبايعون دينهم الاسلامي الحق رغم جور الصديق ونقمة الأخ إلى يومنا هذا. لم تطل هذه المبايعة من قبل العامليين على لسان العلامة صادق لأكثر من ثلاثة أشهر كان المستعمر الفرنسي خلالها يشد الخناق على الملك فيصل، متعرضًا له بكل أنواع المضايقات كان يدفعه للرحيل وتم ذلك ورحل من أوقظ الثورات، ثورات لم يعلم بنوايا أصحابها إلا الله فوافق على الرحيل إلى العراق وكان ذلك بتاريخ الثامن والعشرين من يوليو عام ١٩٢٠م. كان يومًا صعبًا في تاريخ أمتنا التي بايعت وقاتلت من أجل أن تحصل على حريتها وتحجز لها مكانًا بين الأمم، فكان يومًا مشوبًا بالحزن والدموع في وداع الملك الذي عقدت الآمال عليه فكان أمر الله مفعولًا.

المحتل الفرنسي يحكم على رجالات آل عبدالله بالنفي لمواقفهم المعادية له.

كان أواخرشهر يونيو / حزيران وبداية شهر يوليو/ تموز من عام ١٩٢٠م. الموعد مع الخروج من منطقة جبل عامل إلى فلسطين هكذا انتقل الثوار. خرج شبيب العبدالله وكانت له الهجرة الأولى إلى حيث لا يعلم أين نهاية المستقر، فمستقره أن يتابع نضاله ونهايته أن يفنى من أجل ما آمن به، خرج من الأرض التي أحبها وأحب أهلها وأعطاها الكثير من ريعان شبابه غير آسف عما فقده من سني عمره ولاهومتحسرٌ ولا نادمٌ بعد أن لبى مع الكثيرين من الشرفاء نداء الأمة وصرخة مستغيثيها. إنها ليست نهاية خاسرة ولا نهاية الزمن بل كانت دفعة للزمن بأن لا يتوقف بعد أن أضاءت سيرتهم للأجيال السبيل ليستريحوا تحت شجرة وارفة، ثمارها تضحيات هؤلاء الأشاوس الذين لم يحاربوا بحثًا عن منصب أو زعامة بل توارثوا النضال جيلًا عن جيل. الثائر شبيب لا يعد الساعات للقاء الأحبة بل وقف فوق تلة مودعًا أرض عامل وأرض الخيام هكذا خرج إلى

(١) المجلد الأول، الثورة العربية الكبرى، ص ٢٧٥.

الجاعونة[١] في فلسطين، وكذلك رفيق دربه وصديق عمره أدهم خنجر. وقد ذكر الدكتور شعيب في كتابه[٢] حُكم بالنفي المؤبد على محمدالحاج حسن عبدالله وإخوته، ونقلنا الاسم كما جاء في سياق الحديث والمقصود هو الحاج محمد أفندي وكان يبلغ من العمر آنذاك واحداً وثمانين سنة وقد توفي سنة ١٩٢٩م. ولم يذكر أي شيء عن أسماء إخوته، وفي حياة الحاج محمد أفندي كان من إخوته على قيد الحياة سنة الحكم عليه ستة إخوة وهم: اسماعيل ، والحاج زين، أحمد، الحاج مصطفى، الحاج جواد، وعبدالحسين وجميعهم أولاد الحاج حسن عبدالله. من أصل ثلاثة عشرة أخاً من الذين حكم عليهم المحتل الفرنسي كذلك بالخروج من الخيام من آل عبدالله، كما ذكر رضا التامر[٣] في ذكرياته الحاج خليل عبدالله ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج حسن عبدالله وأفراد من عائلته، كما أورد شعيب أسماء بعض الذين نفوا: ككامل بك الأسعد، عبدالحسين شرف الدين، الحاج محمد سعيد بزي وراشد عسيران. وقد جاء في كتاب نصري الصايغ: فبعد خروج الملك فيصل النهائي من دمشق مهزومًا، لم يفلح من بقي يعول على ثورة هنا وثورة هناك ومظاهرات متتالية إلى أن أصيبت الحركة الوحدوية السياسية في دمشق بعدد كبير من النكسات ،أضعفتها وألزمتها بالتعاطي مع فرنسا على قاعدة خذ وطالب فلم تعط، إلا ما سمحت به فرنسا.

شبيب العبدالله في فلسطين:

في ١٦أيار ١٩١٦م. اجتمع ممثلان عن فرنسا وبريطانيا هما جورج بيكو ١٨٧٠-١٩٥١م. الذي كان قنصل فرنسة في بيروت ثم مندوبًا ساميًا لها ومارك سايكس ١٨٧٩-١٩١٩م. المندوب البريطاني في القاهرة وأجريا بينهما مفاوضات لاقتسام سورية الطبيعية (الهلال الخصيب) قسمين القسم الشمالي لفرنسا ويقع فيه لبنان وسوريا والقسم الجنوبي للهلال ويقع فيه كل من فلسطين والاردن والعراق. وفي ٢٥نيسان/ مايو١٩٢٠م. ما لَبِثَ أن أقر المجلس الأعلى للحلفاء هذا التقسيم في مؤتمر سان ريمو في إيطاليا. وقد كان لهذا التقسيم ميزة اللجوء الآمن إلى فلسطين فدخلها شبيب العبدالله، وبعض الثائرين وغيرهم من المعارضين للإنتداب الفرنسي إلى فلسطين، كي يكونوا بعيدين عن أعين العسكر الفرنسي، لأن التقسيم المشار إليه لا يخول العسكر الفرنسي بملاحقة أي فرد خارج عمل نطاق انتدابهم. وكذلك بالنسبة للبريطانيين. يقول رضا التامر في

(١) الجاعونة: قرية عربية في منطقة صفد، دُمرت عام ١٩٤٨. أقيم مكانها مستوطنة (روش بناه).
(٢) مصدر سابق
(٣) مصدر سابق

ذكرياته: الذي أقام معنا في قرية الجاعونة بعض المشردين من بنت جبيل وبعض قرى جبل عامل كالحاج خليل عبدالله وبعض شباب أسرته، ورئيسا ثائري المقاومة شبيب العبدالله وأدهم خنجر.

لكم الله يا آل عبدالله، لله دركم أيها الأشاوس كم تحملتم من القتل والتهجير والعمل المقاوم والنفي والإعتقال ومن الجهد والمال والبلاء والجوع والعطش من أجل هذه الأمة، من أجل هذه الشعوب من أجل الوطن يكفيكم فخرًا بما قدمتموه ليبقى صوت الأذان من المآذن يصدح ولتبقى أجراس الكنائس تزغرد، ويبقى المواطن في أرضه حرًا أبيًا وتبقى الأرض عربية إسلامية مسيحية.

شبيب العبدالله يكمن لقافلة يهودية عند المطلة:

من القهر العثماني الذي عاشته الأمة العربية وخاصة أهالي جبل عامل، إلى مرحلة الانتداب الفرنسي الذي كان كسابقه، حيث لم يتوان عن ممارسة الظلم والجور، أحداث مليئة بالحرمان والمعاناة لعبت دورًا مهمًا في صقل شخصية شبيب العبدالله الذي تربى في ساحات النضال والعمل المقاوم، لم يكن خروجه من جبل عامل مشروطًا بإلقاء السلاح والتخلي عن مناصرة الأمة. لم يكن العبدالله يرى إلا وطناً عربيًا واحدًا حاضنا لشعبه من المحيط إلى الخليج. لقد كان هؤلاء المناضلون عروبيون يقرعون أبواب الحق، حتى استلهمت الأجيال منهم فكانوا نواة حركات التحرر العربي التي جاءت بعدهم، إن حجم التحديات لمشاريع الاستعمار التي سخرت لها حكوماتها ملايين من أوراق النقد والأجهزة الإعلامية وآلات الحرب المدمرة في خدمة إنجاحها وذلك للهيمنة على الأمة العربية، وإسكات حتى من يكاغي والمطالب بالحرية والتحرر.

وصدق الشاعر الشابي حين قال:

وللأوطان في دم كل حر ... يدٌ سلفَتْ ودَينٌ مُستحَقُّ
ففي القتل لأجيالٍ حياةٌ ... وفي الأسر فدىً لهمو وعتقُّ
وللحُريِّةِ الحمراءِ بابٌ ... بكل يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

كان يواجه الثائرين والمقاومين تحديًا كبيرًا، قوة عملاقة تفوق أضعاف أضعاف ما يملكون من قدرات على صدها ومنازلتها وتحقيق النصر النهائي. إلا أنهم صمدوا وجابهوا وقاوموا ولم يهادنوا، بقي شبيب العبدالله على رأس مجموعته التي تضم شرفاء المناضلين من الخيام والعرقوب من أبناء شبعا، يتنقلون من مكان إلى آخر حيث لا حدود ولا أسلاك شائكة. وأصبحت الحركة الصهيونية تنشط وتعمل على زرع المستوطنين على أرض فلسطين، وبدأ المشروع يؤتي أكله وفي حركة ذهاب

وإياب للمستوطنين في قرية المطلة على الحدود اللبنانية كمن شبيب العبدالله لقافلة يهودية ذاهبة إلى المطلة واستولى على ما تملك من دواب وهي وسائل نقل بدائية تستعمل لنقل البضائع عليها، فوقعت جميعها في عهدة شبيب واخفاها عن عيون اليهود بعد أن أبعدها عن منطقة المطلة ولم يتعرفوا عليها ولا على مكان تواجدها فعزموا على الانتقام.

اليهود ينتقمون لقافلتهم بأسر شبيب العبدالله:

لقد دأب اليهود ومن ضمن ما دأبوا عليه هي سياسة المكر والدهاء التي تميزوا بها، ولقد ملأت قصص خبثهم الخافقين فكانت مناطقنا عرضة لهذه البضاعة المستوردة من أندية العالم المتمرس بالشعوذة السياسية والكذب والخداع والتدليس على يد إبليس، فهم من قال لموسى(ع) ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤]. وقال سياسيوهم قد لاتكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني، ولكنها حق لنا على أساس روحاني فهي الأرض التي وعدنا بها وأعطانا إياها الله.لقد تسللت هذه الأفكار واحتلت حيزًا مهما في ثنايا مراجعهم من كتب وغيرها.وكثيرًا ما تعرض أبناء المنطقة إلى كمائن كانت تحت عناوين مختلفة، حتى أن بعضها كان يتحول إلى معركة وفي إحدى المعارك قتل من عرب الجوار من الحولة وغيرها عشرون شخصًا ومن المستعمرين اليهود ستة قتلى، وكان ذلك بعضًا من جملة كمائنهم على قاعدة (يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب).فيومها أسرع العسكر الفرنسي المرابط في مرجعيون لنصرة المستعمرين من اليهود كان ذلك بتاريخ ٤ آذار/ مارس سنة ١٩٢٠م. لكن في الضفة الأخرى يرضى القتيل ولا يرضى القاتل، لقد قبل العرب في فلسطين النازحين اليهود متعاطفين معهم بما أصابهم في روسيا عام ١٨٧٦م. واستقبلوهم كلاجئين مضطهدين. فماذا حل بفلسطين وأهل فلسطين من هؤلاء القوم؟

مثل هذه الكمائن من الخداع والتضليل حصلت لشبيب العبدالله حين وقع في كمين محكم، عشرون مسلحًا من اليهود أوقعوه في الأسر، ومن خشيتهم منه شدوا وثاقه إلى جذع شجرة كينا حتى كاد لايرى من شدة ما أوثقوه به من حبال من أخمص قدميه حتى عنقه، إن عددهم وسلاحهم الذي بين أيديهم لم يدخل الاطمئنان إلى قلوبهم بل يعكس مدى هلعهم، ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ [الحشر: ١٤]، علم الحاج خليل ابن الحاج إبراهيم العبدالله المتواجد بالقرب من قرية الجاعونة في فلسطين، الذي خرج من الخيام بعد أن حكم عليه المحتل الفرنسي بالإبعاد، علم

بهذه الواقعة وما حل بشبيب العبدالله ابن عمه فخرج مسرعًا. يقول رضا التامر في ذكرياته: أننا سمعنا ظهر يوم (لم يحدد رضا التامر اليوم والأرجح أن يكون قد حدث ذلك في بداية الشهور الأولى من سنة ١٩٢١م.) ضوضاء ولم نلبث قليلًا في حيرة من أمر هذه الضوضاء حتى دخل الحاج خليل العبدالله على والدي (ووالده هومحمد التامر) وأنبأه أن شبيب عبدالله مقبوض عليه، فخرجنا جميعًا نستطلع الخبر، فإذا بشبيب قد ربط إلى شجرة كينا من أخمص قدميه حتى عنقه، وحوله نحو عشرين يهوديًا مسلحين وبينهم مختار القرية الخواجا ألطي الذي نعرفه ويتكلم العربية. فتقدم إليه والدي سائلًا عما فعلوه بشبيب فأجاب: إن شبيبًا حين كان رئيس عصابة التقى قافلة يهودية ذاهبة إلى المطلة فاعتدى عليها واستولى على كل ما فيها من دواب، فإما أن يدفع الآن ثمنها وإما أن نسلمه للفرنسيين. انتهى كلام التامر..ليس عجبًا بأن لا يهددوا بتسليم شبيب إلى القوات الانجليزية المتواجدة على أرض فلسطين لحماية مشروعهم وتنفيذًا لوعد بلفور٢/ ١١/ ١٩١٧ بل هددوا بتسليمه إلى الفرنسيين. لأن هؤلاء المسلحين اليهود وإن كانوا خائفين لكن توعدهم بتسليم شبيب إلى الانتداب الفرنسي لا ينم عن غباء بل عن دهاء، لأنهم يعلمون بأن شبيب العبدالله محكومٌ عليه بالإعدام من قبل الانتداب الفرنسي.

إطلاق سراح شبيب من الأسر بعد التعهد بدفع تعويض.. ولكن!!!

محمد التامر ومن معه كانوا قد تركوا أرض جبل عامل ولجؤوا إلى فلسطين، وقد كان محمد التامر على رأس مجموعة من المقاومين ضد الانتداب الفرنسي بعد أن تخلى عن وظيفته، وكان قائمقام مرجعيون وقد قاد العمل المقاوم لمدة تزيد عن ثمانية أشهر فكان نصيب محمد التامر أن حكموا عليه بالإعدام و قصف بيته في قرية تولين[1] على يد عسكر الانتداب الفرنسي. وكان تواجد محمد التامر وعائلته في البداية في الجولان إلى أن سقطت دمشق وكان ذلك في أواخر شهر يوليو عام١٩٢٠م. بيد الفرنسيين فنزحوا إلى فلسطين، وقد استمر البعد عن الوطن قرابة العام، خلال هذه الفترة استطاع محمد التامر أن يبني علاقة ويتعرف على وجهاء المنطقة والمحيط، يتابع رضا التامر في مذكراته يقول: فأخذا والدي يسترضي القوم ويناشدهم أن يطلقوا سراح شبيب وكان المختار يترجم بيننا وبينهم ولا نعلم كيف ينقل إليهم كلامنا، حتى انتهى الأمر إلى أن يوقع والدي

(١) تولين تقع على تلة تشرف على وادي الحجير، قضاء مرجعيون. من كتاب "حوادث جبل عامل" للشيخ أحمد رضا.

سندًا على نفسه بمائة وثمانين ليرة ذهبية ثمنًا لحمولة الدواب تدفع بعد شهر لقاء أن يفك شبيب من الأسر، ووقع الحاج خليل عبدالله السند مع والدي وأطلق شبيب، ولكن كيف نستطيع الوفاء بهذا السند بعد شهر ونحن لا نملك شيئًا من المال؟ لقد حار والدي بالأمر ثم توجه إلى شبيب يقول له كيف نسمح لك فعلتك يا شبيب؟ أنت الآن بين أمرين: فإما أن تخوننا ونحن أهلك وعشيرتك، وإما أن تسعى بتهيئة الضريبة لندفعها في الأجل المضروب فلم يجب شبيب بكلمة ولكنه سرعان ما ذهب ونحن لا نعلم إلى أين ذهب وغاب.

كم نحن مسرورون وتعلو أفواهنا ابتسامة عريضة وتستحوذ على مشاعرنا غبطة، نريدها أن لا تفارقنا ونحن نقرأ ونسمع عن سير أمثال شبيب العبدالله، فكم من روايات وأحداث فيها كثير من الحكم والشجاعة والنبل والإقدام والتضحية يتحسس العقل ضروب سيرها متلمسا عتمة أقبيتها، ليراها في فضاء فسيح وقد ازدحمت بالأحداث المتلاحقة، تجربة يستنبطها العقل تحلق في مدار اهتمام الشعور لدى المتشوق لاشباع النفس من جميل صفحاتهم، وما هذه الصفحات إلا تسجيل لنبضات القلب المحترق شوقًا، وهمساته الدافئة تداعب المخيلة وغليان الدم في عروق الجسد يهدر كالشلال، فيوقظ صورًا ويرسم أخرى ،كالتي غابت نكهة رواياتها عن كتب التاريخ ولم تستطع الأقلام المتكسرة العائمة في مدادها من الوصول إليها. إن سرد هذه الرواية التي تصدَّر فصولها الثائر العاملي شبيب الحاج جواد عبدالله وتبعاتها مع المستعمرين اليهودما هي إلا حلقة من حلقات المسلسل اليومي للمستعمرين، الذي ينموويزداد ويتسع آنذاك مكانًا وزمانًا، وتدور رحى المؤامرة الاستعمارية الرهيبة التي شرعت في تغيير وجه المنطقة، لتضع الأمة العربية أمام تحدٍ وأمام أكبر امتحان تاريخي.

تعليق روائي:

إن ترك الوطن والأهل لم يكن مطلبًا ولا رغبةً، بل نجاة بالنفس وحفظًا للروح، عندما يصبح البقاء في أرض عامل مجازفة وإنتحارًا ويتحول الوجود إلى تهلكة، أمام عساكر تتعطش سيوفها وحرابها إلى لعق الدماء، التي لاتفرق بين طفل وشيخ،ومن حراب المحتل الفرنسي إلى آفاق غربة مسدودة ومحيطها المضطرب، هاهنا تتكالب الأمم على أرض فلسطين كما تتكالب الأكلة على قصعتها. تتحول الحياة في لحظة إلى كابوس، حين يقع محمد التامر والحاج خليل عبدالله ومن معهم تحت رحمة من لايرحم: إما سداد ما عليهم من مال وإتقاء شر القوم وإما ترك المنطقة والرحيل. لكن

إلى أين المفر؟ أو تسليم شبيب إلى هؤلاء القوم قوم (شايلوك اليهودي) المرابي الجشع في مسرحية تاجر البندقية لشكسبير وأسلافه الذين استرخصوا قتل الأنبياء، وتصلفوا بالتعدي حتى تجاوزت كل الحدود. يقول رضا التامر في ذكرياته: (ولكن كيف نستطيع الوفاء بهذا السند بعد شهر ونحن لا نملك شيئا من المال؟) حوار يصارح به النفس ويفصح عما يحس به من قلق، ويستشعر بنهاية حزينة تزيد من مرارة العيش، متكدر متحسر متأسف، يحاسب النفس قبل دنو الحساب ويصنع لها من جسده سجنًا أشبه بعصفور مضطرب في قفصه لم يعتد إلا الفضاء مسرحًا لحريته، رثاء النفس لنفس لا تقوى الكلمات بأن تُسمِعَ نبراتها فهي بين حشرجة الصدر ولسانٍ جف ماؤه فذاب في حد السكوت. يتابع رضا التامر ويقول: (لقد حار والدي بالأمر). هنا ينتقل كشاعر يسرد القول متحكمًا في ملكة الفكر يطوّعها ليكمل البيت الثاني قولًا ومعنًى، ويحمل في تقلّبه عبء السجال حازمًا نفسه بمعاناة العتاب مستوعبًا تداعياته يكفكف عبرات الحروف، كاظمًا لغيظ مشوب بالحذر شح صفحاته ندمًا، أو طل سكبته أجفانٌ غادرها الكرى يتحامل على نفسه أمام ضعف رصيد صبره، بانتظار المخلّص القادم على صهوة جواده يطوي الأرض والقفار تحت حوافر خيله سائلًا ومستلهما من قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣﴾ [العاديات: ١،٢،٣]. يقول رضا التامر: (بأن والده توجه إلى شبيب يقول له: كيف نمسح لك دمعتك يا شبيب؟ أنت الآن بين أمرين، فإما أن تخوننا ونحن أهلك وعشيرتك، وإما أن تسعى لتهيئة الضريبة لندفعها في الأجل المضروب فلم يجب شبيب بكلمة، ولكنه سرعان ما ذهب، ونحن لا نعلم إلى أين ذهب وغاب).

حديث فيه مناجاة، مشوب بالخوف والاضطراب يبوح بما أملاه عليه اللاوعي(يبث حديثاً من قبلُ مُكتّمًا في حركة خروج الذات من عقالها كاشفةعن أسرارها في لحظة تحرر من الأنا، حيث ترسبات التيه التي أنتجها قسر وإكراه الغربة، تحررت في لحظة فقدان التحكم بمجريات جدلية أو ضغط أمام قوة تفاعل الأحداث، كبت النفس لم يعد يجدي حتى أخرجت أثقالها. المنطقة أشبه بمرجل،هديره يصم الأذان وقوة لهبه تلظي الأجساد، ولا أحد يقوى على الخروج، إلا مَن رحم ربي. أشبه بيوم الحشر، وكأن عزرائيل(ع) يتلو الأسماء بإذن ربه، ومَن سَمِع تِلاوة اسمه فليجهز صحيفة أعماله ويسلم أمره. يكشف حديث محمد التامر عن انفعلات شعورية وتأزم الوضع النفسي والقلق الذي يحاور شبيب من خلال ملاحظتنا نسجل وجود كلمات كالخيانة، الأهل، العشيرة،

الصدق في الموعد. يدل ذلك على تصعيد نبرة الموروث الثقافي والاجتماعي التاريخي، على مكتسبات الفكر وأدلجته. عملية استجرار العطف، في أبسط صوره متخليًا عن النص، وفي لحظة الحوار يفتح نافذة واسعة يلملم الأحداث جاعلًا من مادته مسرحًا متحررًا من الإنشاء الكلامي، إلى الكلام الوصفي، يختزل الأحداث كي يصنع نهاية إلى ما آلت إليه تبعات ما حصل بين شبيب العبدالله وقوم المستعمرين اليهود. (رضا التامر الذي دوَّن هذه الأحداث في كتابه يقول: فلم يجب شبيب بكلمة بكل ما توجه به محمد التامر اليه). مشهد التأثر واضح وإحدى أهم علاماته هو السكوت، تأثر مشبع باستعراض وميضي للأحداث في ذاكرة الثائر شبيب العبدالله، يحفر بزوايا الزمن ويقلّب صفحاته، يزداد قوة مستمدة من يوميات المقاومة في جبل عامل، حين كان يحمل أعداءه على الفرار، يكره الأتراك ويلعن ساعة الفرنسيين. رحل الأتراك فكان الوريث الغير شرعي الولد الفرنسي. اتفاقية سايكس بيكو/ وعد بلفور/ حكومة فيصل في دمشق/ أحداث لها من الذكريات ما يبعث في النفس خليطًا من المترادفات والأضداد فيها من الفرح، الحزن، التفاؤل، التشاؤم، اليأس، الامل،الانفعال، الهدوء.وفيها من المسكنة، العسر، البؤس، الخصاصة،الفَقر،الفاقة، المخمصة. وهناك الخيانة والوطنية.صمت جعله يتكئ إلى جذع شجرة الماضي وينظر إلى نهر الحياة وما يحمله من ذكريات.هنا يتجلى وعي الصمت متمردا على الواقع بسكوته متحديا ما يدور حوله سمع ،أصغى، أنصت، لا غافلا ولا ساهيا يعد العدة ويوظف الاحداث التاريخية لإستنهاض همم النفس، في حوار مونولوجي مطول، والقوم من حوله يتجرعون من كأس صمته حتى بلغت الثمالة أشُدّها، فتراهم مذهولين وما هم بمذهولين ولكن هي الحيرة التي ألبستهم ثوب الهجرة والخروج بين صمت الوداع ومناجاة اللقاء.مهلا أيها القوم هذا شبيب سوف لن يحرجكم ولن يخونكم ولن يتركم فريسة للصهاينة.

مختار الجاعونة (اليهودي) يفاجىء التامر!!متوسلا.. متنازلا عن السند!!!

ما كان يخيف التامر والحاج خليل العبدالله، ومن معهم لم يحصل،.ما كان ينتابهم من شعوربالقلق من عدم الوفاء من جانب شبيب العبدالله لم يحصل. ليكتشفوا بأنها جولة من أضغاث أحلام، ووسوسة الشيطان. لأن البيئة التي نشأ فيها المقاوم شبيب العبدالله؛ كانت مشبعة بمكارم الأخلاق وقيم الشجاعة والمروءة فشب متكامل الشخصية التي تحصنها خصائص غاية في الكمال الأخلاقي،والديني،والعقائدي والتربوي، وتراث قيّم في عطاءاته، زائداً على ذلك معاصرة شبيب

لآبائه وأجداده الذين بلغوا مراتب المجد والمعالي فجده لوالده من أكابر القوم وأعظمهم هو الحاج حسن عبدالله وجده لوالدته هو من أكابر القوم، نسبًا وإيمانًا؛ فهو العلامة الكبير الشيخ إبراهيم صادق والد المرجع الشيخ عبدالحسين صادق. مستخلصًا من سيرتهم وحياتهم الدروس والعبر. إن ما أنتجته حلقة التفاوض مع شبيب تتجلى صورتها ببعدين: بُعد القداسة الذي كان يدور في خلد التامر ومن معه بكل ما يحمله الواقع من موروث ثقافي وأدبي وأخلاقي في مواجهة الدناسة في مخيلة المستعمرين اليهود. وهذان البعدان مرتبطان بحدثين: الأول واقعي والثاني أسطوري. يقول رضا التامر: بعد ثلاثة أسابيع وإذا بالخواجا ألطي يدخل على والدي ويقول له بلغة عربية ولهجة يهودية: يا محمد بك الكمبيالة.. الكمبيالة.. فقال والدي لقد ذهب الرجل لتهيئة المبلغ وسيعود قريبا كن مطمئنًا، وكان والدي يظن أن الخواجا جاء مطالبًا بالوفاء بالسند وإذا هو يبادر فيقول لا.. لا.. ما بدنا لا مال ولا شي هذا شبيب قد كمن لجماعتنا في الطريق بين المطلة والزبيد. نقول ليس هناك فرق بين رجالكم اللذين وقعوا بالأسر وبين بغالكم فأنتم البغال والبغال أنتم.

الثائر شبيب العبدالله يأسر قافلة يهودية ويهدد بقطع رؤوس مَن فيها.

لم يكن الصمت من جانب شبيب العبدالله إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة، وتأهباً لرد الاعتبار وإرضاء بني جلدته وأهله الذين لم يتخلوا عنه حين مدوا له يد المبايعة والدعم، هو ذلك الحُب الذي وجده في قلوب قومه. لم يكن يتخيل التامر ما يمكن ان يفعله شبيب، ولم يكن يعلم بأنه بين يدي رجل يصغي لصمته الرجال، فإن صمت فكلامه سيد الموقف وإن نطق فالصمت في حضرته واجب هذا هو شبيب العبدالله.

وواقع الحال يهتف و ينادي بهذه الأبيات:

سيفُــك يعلــو الحقُّ والحقُ أغلبُ ... ويُنـصـرُ ديــنُ الـلـهِ أيــان تَـضـربُ
وما السيف إلا آيةُ المُلْــكِ في الــورى ... ولا الأمــرُ إلا لــلـذي يتغلّبُ
فأدِّبْ بـهِ القــومَ الطغــاةَ فإنــه ... لَنِعمَ الـمـربّـي للطغاةِ الـمـؤدِّبُ
وداوِ بـــهِ الـــدُّولاتِ مـن كــلّ دائهــا ... فنعمَ الحسامُ الطبُّ والمُتَطَبِّبُ[1]

وكان التامر يستحث النهاية ويتعجل قدوم شبيب لعل وعسى يحمل أنباءً تُخرج الجميع من هذه المحنة،وكان التامر حبيس لوعة وخوف وحزن من أن يأتي وقت ينفض يده من قضية شبيب،

(1) من وحي المناسبة قصيدة للشاعر أحمد شوقي.

كيف هذا وهو الرجل العاملي الذي قدم أسمى صنوف التضحيات تلو التضحيات من أجل بلده وقومه وأهله. فهيهات تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وإذا ما أردنا أن نلقي الضوء على حركة التاريخ العاملي بين النصر والهزيمة نلحظ شيئًا في غاية الأهمية: بأن النصر وإن خفت شعلته فتبقى جذوته تختزن لهيب الثورات. وإن كانت ثورة موقوتة بعوامل لكنها حركة شاملة من حيث المكان والزمان.

ومما نقوله في ذلك:

طيور الفجر على أفنانها تهللُ أبابيل البومِ في وُكُناتِها تتململُ
قلوب العدا يملؤها السقمُ والعللُ وفي قلوب قوم ينبت الرجاءُ والأملُ

يقول رضا التامر الذي أتحفنا بهذه القصة: بأن المختار اليهودي (ألطي) جاء محمد التامر ويروي له ما فعله شبيب يقول ألطي: كان مع شبيب العبدالله خمسون خيالا، ونحو مئة رجل من المشاة، واعترض قافلة يهودية فردها على أعقابها، قائلًا: لن تستطيعوا الإفلات منا إلا بعد أن تأتوني بورقة من محمد بك، يشير فيها إلى أن الكمبيالة قد أتلفت وأن جميع اليهود في الزبيد وضواحيها في خدمته، وإلا فإني أقطع رؤوس مئة وثمانين يهوديًا أي رأس كل يهودي مقابل ليرة ذهبية واحدة والكلام لمختار الجاعونة.

محمد التامر يمزق الكمبيالة بعد أن تنازل اليهود عن مطلبهم خوفًا من شبيب.

ها قد عاد ألطي أيها التامر (ممثل المستعمرين اليهود) طائعًا خائفًا مضطربًا متوسلًا متسولًا مذلولًا، يسوقه إليك زئير الليث العاملي الثائر المجاهد شبيب الحاج جواد عبدالله، حين وضع في عنقه حبلًا، من مسد وأثار في جمعهم نقعًا ورد لهم الصاع صاعين، مما أثار في نفس التامر نصرًا وزهوًا، ولا يضيع عند الكرام أجر بل يُحدث في نفوس اللئام خزيًا، ألم ترَ إلى الذين أوتوا الصدق وجاهروا به مضحين في سبيل ذلك، فآثروا ود الآخرين وراعوا حقهم وحفظوا عليهم غيبتهم، أولئك ان شاء الله هم المنتصرون. لم يفكر شبيب في نفسه، ولم يحفل بما سيقول الناس عنه وفيه، وإنما كان يفكر ما يصنع لغيره من جميل أحس دَيْنه يطوق عنقه ويثقل كاهله، وأن تحصيله دونه الموت. إنما نحن أمام مشاهد ومشاعر تتحرك في إطار متناسق بين ظاهره وباطنه حول محور، رأسه التقاليد الانسانية العريقة التي يفوح منها عطر آثار الأجداد وموروثهم الأدبي والفكري من ارض عامل من لبنان. يستطرد رضا التامر ويكشف لنا المزيد من هذه القصة يقول: ثم دفع الخواجا ألطي

السند إلى والدي راجيًا إياه أن يمزقه، وأن يزوده بكتاب يمليه هو على والدي بحروفه لإنقاذ قافلة اليهودية من قبضة شبيب، فما كان من والدي إلا أن تناول السند ومزقه وأخذ ورقة بيضاء وقال للخواجا ألطي: تفضل أملي علي ما تشاء وما ترغب وما تحب، واذهب بها إلى شبيب كي يفك أسر اليهود.. فقال اكتب أن أهل الزبيد بأمري وخصوصًا الخواجا ألطي والكمبيالة تمزقت، وأطلب منك أن لا تتعرض لأحد من اليهود وأن نعتبر أن الخواجا ألطي يحبنا كثيرًا وهو بأمرنا، وكل يوم في الصباح يحضر إلينا ويسأل عنا وعنك، وأن الكمبيالة نظمت بمؤامرة من الخواجة ألطي لتمكن من تخليصك من أيدي الذين أسروك، فاجعل الطريق حرة ولا تعتد على أحد من اليهود، وقد دوَّن والدي هذه الكلمات حرفيًا ثم أخذها الخواجا ألطي فرحًا بها وخرج.

شبيب يوقع الجميع في حيرة

عجيب أمر هذا الثائر كيف الخروج من هذا اللغز؟

كأن لا نهاية لهذه الواقعة تتهافت الظنون، وتحدق العيون للنجاة من وسوسة المنون. أبهذه المكاييل والمعايير تؤمنون، أم أصبحنا كسلعة؟ أبِنَا...يتاجرون؟،أنحن... سكارى؟ وما نحن بسكارى أم القوم حولنا يسكرون؟ ما هذا القول أقول عاقل؟ أم قول مجنون؟ أأمثالنا بهذا القول يرزقون؟ لم نكن يومًا مرائين، ولا من صفوف الذين يمنعون الماعون. حذاري أيها القوم، شبه إليكم لم نَكُ يوماً ظالمين. من هنا هتف الحواريون، وأسْروا المحمدون.

نعود إلى ما أورده رضا التامر في ذكرياته يقول: فاستدعى والدي الحاج خليل عبدالله وسأله من أين أتى شبيب بالخمسين خيالًا والمئة من المشاة المسلحين، وليس في جبل عامل من يستطيع إنجاده بعد النكبة التي حلت به وشردت كثيرًا من أهله وقتلت كثيرين وأفقرت كثيرين، فاستغرب الحاج خليل الأمر أيضًا. نقول سامحونا إن كنت قد أطلت بالشرح والتعليق، إذا كان فرد من الجنوب اللبناني ومن الخيام ومن آل عبدالله دوخ مستعمرة بأكملها عجبي كيف إذن سقطت فلسطين وضاعت من يد أهلها وعربانها.

لقاء الأحبة.. شبيب يروي والقوم من حوله يستمعون بشغف!!

يقول رضا التامر:ومضت ثلاثة أيام على الحادث، وبينما نحن مجتمعون في مساء اليوم الثالث إذا شبيب يدخل علينا فجأة، وكنا في شوق أن نعرف تفاصيل القصة ولكنه كان هو أشد منا تشوقًا إلى أن يرويها لنا قبل أن نسأله، ثم يشرع يروي القصة قال: غادرتكم وكلمات أبورضا يعني والدي

تدوي في رأسي كالصاعقة، ورحت أطلب المال من فلان وفلان وفلان وذكر لنا أسماءهم جميعًا واستنهض حميتهم ولكنهم رفضوا طلبي.

تحليل الرواية

من خلال بعض المقاربات في تاريخ وقوع الأحداث في تلك الفترة يتضح لنا بأن أحداث قصة شبيب قد وقعت تقريبًا في بداية الشهور الأولى من سنة ١٩٢١م. وقد أعرض رضا التامر عن ذكر التاريخ.

إذا ما اقتفينا أثر القوم وسمت بنا رغبة في إطلالة على أحوالهم،تفتيشًا وتنقيبًا لا نجد في ذلك فرصة سانحة للانكباب مطولًا لأن استقامة نسق أعمالهم قد امتدت إليها يد الفوضى، فشتت وبعثرت قلائدها وأفضت بمكنونها وأخرجت مضمونها وأصبحت شواهد معلومة واختصرت ما كان مسهبًا ومطنبًا، واختلط الخطأ بالصواب. حالة أصابت القوم هو الشغف بعينه الذي تحول إلى فرض عين لا فرض كفاية، والشوق إلى العناق ومعرفة الحقائق ثلاثة أيام بعد الحادثة وثلاثة أسابيع على بداية كل الحادثة، معولين على اللقاء لإسكات جحافل الفضول التي تغزوا عقولهم وتدور في خلدهم فتدفع بهم مجددًا إلى الدخول في نفق التيه واليأس. يقول رضا التامر: (إذا شبيب يدخل علينا فجأة وكنا في شوق أن نعرف تفاصيل القصة) تأخر ثلاثة أيام لأنه العالم والعارف بقوم المستعمرين، لم يمنعه الشوق من أن يكون حريصا في تعامله وبعد أن تأكد بأن المستعمرين، التزموا بما أمرهم به، خرج إلى قومه خروج المنتصر الحافظ لمواثيقه وعهوده. كم كان ثمينًا هذا اللقاء الذي تأخر كثيرًا كثيرًا وطال غيابه.

يقول شبيب: عندما غادرتكم كانت كلمات أبورضا (يعني محمد التامر)تدوي في رأسي كالصاعقة...كيف لا وهو المجاهد والثائر الذي حمل هموم قومه وآمالهم، حارب وقاتل وقارع الخطوب ولاقى الأهوال بعزيمة كعزيمة أبطال الوغى وصناديدها.صاح بحماسة عاشت بلادي... وكأن لسان حاله يقول:

بـــلاد الـــعُـــرب أوطـــانـــي	وجـــد قـــومـــي قـحــطـانـي
الـــتــاريخ عـــنـــه أنـــبـانـــي	مـــن الـيـمـــن لـلـبـنــان
يــدافـــع عـــن الإنـــســـان	ويــذود عـــن الأوطـــان
بـــايـــعـــه الـــقـــاصـي والـــداني	فـــي كـــل عـــصـــر وزمـانِ

سيد العشيرة هو حسن بن عبدالله

يتابع شبيب سردقصته أمام قومه فيقول: (ورحت أَطلب المال من فلان وفلان وفلان وعقّب رضا التامر على كلامه وقال: ذكر لنا أسماءهم جميعًا واستنهض حميتهم ولكنهم رفضوا طلبه). نقول في ذلك:لقد ألزم شبيب العبدالله نفسه بفلسفة خاصة قل نظيرها ما برح من خلالها يعكس صورة مترادفة في تركيبتها، رافضًا التسليم بإفرازات الواقع وكأنه لاتعنيه المتغيرات في تمرد واضح تسجله الذات في قناعتها اللامتناهية ضد موضوعيتها، مستعملة أدوات المنهج التجريبي الذاتي في ميدان متغير من حيث الواقع والبيئة والعناصر، حيث كانت تجربة رائدة ومتميزة من جانب شبيب ونقلة نوعية أثرى عقل المتتبع والشغوف لمعرفة الدر المكنون في محارة الحياة، حين أراد ان يزاوج بين حركتين مختلفتين في موضوعيتهما وواقعيتهما، في تقييم واضح وعفوي لسماته ومقدرته الذاتية على فعل ذلك في أصعب اختبار يمر فيه المرء لإعادة اللحمة إلى سياق ومسار الرسالة التي يؤمن بها ولو بالحد الأدنى. عندما عزم شبيب على حل مشكلته كانت تتحكم في حركة وعيه المؤثرات البيئية والموروث التراثي والمأثور الشعبي التاريخي، من جمال وكمال أخلاقي وإنساني ولا نقدر إلا أن نقر بهذه الروح الإنسانية العالية، عندما نسّقت جهودها ولملمت شتاتها في ميدان الغربة رغم الألم النفسي والوجع الوجداني وكأنه يعيد خلق البيئة التي يرغبها ويريدها في إطار موضوعي لتتناغم مع معطيات ومبادئ الذات عند شبيب.طوبى لك أيها القائد والمناضل رحم الله رضا التامر لو لم يدون ماتيسر له عن شبيب فسوف نفقد الكثير مِن سيرة هذا البطل.

رواية شبيب عن كيفية أسره للمستعمرين اليهود
مجموعة تأسر مناضلًا..
ومناضل يأسر مجموعة!!!

لقد سجل شبيب كما الكثيرين من أبناء جبل عامل وأبناء الأمة العربية مواقف غاية في التضحية، ومميزة ببطولاتها في تاريخ الصراع مع المحتل والغازي وهو صراع بين الخير والشر. في سياق جهادي مشبع بالعنفوان الوطني. الخير الذي يحتضن السمات الوطنية بكل ما تحمله الكلمة من معنى كالفضيلة والإيمان والعدل والتضحية والغيرة والمحبة والكفاح والنضال والجهاد والشجاعة والفداء. يقابله الشر المتمثل بالمستعمر الغازي من سماته الأنانية والمكر والدهاء والمصلحة والظلم والتعدي والافتراء والعسف والطغيان والاحتلال. وعلى أرض فلسطين فرض شبيب العبدالله

هذه المعادلة عندما اعتمد نظرية احتجاز رهائن وأسرهم، للفكاك مما ألزم به وتحرير نفسه ومن حوله من قيد المستعمرين، كانت عملية نوعية وغاية في الأهمية تنم عن جدارة وأداء عاليين في العمل العسكري الفدائي المقاوم، ومن غير المستبعد أن هذه المجموعة التي وقعت في قبضة شبيب واستسلمت لفوهة بندقيته هي نفسها التي بمجاميعها وخداعها أوقعت شبيب في الأسر، مناضل يستطيع أن يأسر مجموعة من المستعمرين ويجردهم من سلاحهم دون أن ينالوا منه. عقدين ونصف من الزمن بعد هذه الحادثة وقعت كل فلسطين في الأسر هل ذهبت هذه التضحيات هباءً منبثًا؟ أم أن الأجيال تتوراث العمل المقاوم؟ يتابع شبيب في سرد ما حصل معه قائلًا: (ففرغت يدي من هذه الطريقة وأنا وحدي وليس معي غير بندقيتي فوقفت على جانب الطريق العام قرب جاحولا بين المطلة والزبيد، متواريًا خلف صخرة كبيرة هناك وإذا بقافلة يهودية من اثني عشر رجلًا مسلحًا تمر على مقربة مني، فوقفت بوجه القوم فجأة وصحت بهم: ارموا سلاحكم ارفعوا أيديكم للفضاء واقتربوا مني، وسرعان ما فعلوا كما أردت فقلت لهم حينئذ: أن محمد بك التامر كتب كمبيالة على نفسه بمائة وثمانين ليرة ذهبية، وعليكم إتلاف هذه الكمبيالة، وأن يأتي كتاب من محمد بك أنكم جميعًا بأمره، وإلا فسأقتل يهوديًا مقابل كل ليرة واحدة).نقول في ذلك: مهما كان السبب كمبيالة أو ناقلة جند ملالة مهما كان السبب، ماذا نستشف من هذا الحادث: اثنا عشر مسلحاً أرعبهم بصوته حتى ألقوا سلاحهم واستسلموا، نستشف بأن لم يكن هناك قرار بطرد المستوطنين من فلسطين، وإنما مساعدتهم على الهجرة إليها ومساعدتهم على احتلالها، أتى هؤلاء إلى فلسطين لأن هناك قرار باحتلالها وليس لأن المستوطنين مسلحون حصل الاحتلال .

هل أيد الله شبيب بملائكة لم يروها أم ماذا؟؟

تخيل نفسك وأنت في غربة عن وطنك وأهلك، وهي غربة قسرية قهرية، كم يكون حجم المعاناة التي تطاردك؟ وكم هي تزداد وتتسع في بيئة وضعها الأمني والسياسي في مهب التيارات والقرارات الدولية بل الكونيةوالعالمية، وعلى موائد الكونيين المتوحشين الجاهزين لإبتلاع الجبال ما حملت من بشر وحجر، واضعين كل امكانياتهم مسخرين كل طاقاتهم في أوج من العظمة، باسطين ومسخرين كل ما استطاعوا من قوّتهم ونفوذهم وجبروتهم في خدمة هؤلاء المستعمرين، لصنع دولة لهم وإقامة مشروع في الشرق متقدم يستفيدون منه، كقاعدة متقدمة نحو أطماعهم الموغلة في التاريخ.

والواضح أن إنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين في الظاهر والعلن دعم وحماس دولي

ذه الفكرة، ولكن في الباطن خلاف ذلك كما اعترف ثيودر هرتزل في كتابه الدولة اليهودية، يقول:
قوة تسبق الحق، وإن التعصبات القديمة ضد اليهود تكمن في سويداء القلوب، فحيثما يعيش
يهود تجد أنهم مضطهدون يتعرضون للضرب والإهانات، ومحرومون من شغل الوظائف ذات
أهمية في كثير من دول الغرب مثل روسيا وفرنسا والمجر وغيرها، ما يقوله هرتزل يعكس كره
غرب لهؤلاء القوم، ووجودهم أصبح لا يطاق، وما حماس الغرب إلا للتخلص منهم وطردهم.
ل ذلك خوفًا منهم أو بما يؤمنون به من شرائع ما أنزل الله بها من سلطان تحثهم على فعل الشر؟
ول جارودي في كتابه محاكمة الصهيونية ص٥: عن شرائعهم يأمرهم الرب بما يلي: حين تتقدمون
حاربة مدينة فادعوها للصلح أولًا، فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم فكل الشعب
ساكن فيها يصبح عبيدًا لكم، وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم
أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف، انتهى.

هذه هي الصورة إذا ما نظرنا إليها من مسافة بعيدة تتضح الحقيقة وتظهر النوايا، لقد عاش شبيب
بدالله وسط هذه البيئة وتلمس حقيقتها، كان ندي العود مذ أن انخرط في صفوف المناضلين في
ل عامل حيث الإرهاصات الأولى لهذا المشروع. ورغم الإمكانيات والتسليح المادي والمعنوي
لعقائدي لهؤلاء المستعمرين كان الخوف يطاردهم ويقض مضاجعهم، ليس كما قال هرتزل
قوة تسبق الحق) الخوف لأنهم ليسوا على حق، فقد توهموا ما توهموه وهم ينازلون شبيب في بلدة
طلة من أرض فلسطين المحاذية للحدود اللبنانية. وتابع شبيب يقص روايته قائلًا: وعاد القوم
راجهم ولا أعلم كيف توهموا أن معي خمسين خيالًا ومائة من المشاة مع أنني كنت وحيدًا، فهل
همهم الفزع والذعر. انتهى كلام شبيب عند هذا الحد تابع التامر قائلاً: لقد أضحكتنا هذه الحادثة
رًا ولكنها أبكتنا فيما بعد عندما رأينا سبع دول عربية تتراجع عن فلسطين، وتلقي بها لقمة سهلة
لاء اليهود أهل الذعر والفزع، وغاب شبيب مؤثرًا أن يكون بعيدًا عنا حتى لا يكون وجوده
نا سببًا للمشاكل وأصبح لا يزورنا إلا متنكرًا.

الخـــاتمة

هل اغتيل شبيب العبدالله

شبيب العبدالله رفيق الثائرين والمناضلين الذين اشتروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، فأبوا الظلم فجاهدوا ضده، ورفضوا الهوان فقاوموا العبودية، ماذايريد هؤلاء الثائرون؟ كانوا بعيدين عن المصلحة الفردية والاغراءات الشخصية. طبعاً لم يكن همهم بناء دويلة وبطانة وحاشية وأتباع وأزلام. الذي يريدونه هو إرساء ثقافة المقاومة ضد المحتل الغاصب، وإبقاء نوافذ هذه الثقافة مشرعة على المستقبل كمشكاة وقبس نور ينيرالطريق ويوضح معالمه، لتكون الرؤية سليمة في تحديد مسار العمل النضالي. في عصر يسوده القلق والصراع. لقد عاشت هذه المنطقة أحداثًا عظيمة في كل العصور لم تهدأ رمالها المتحركة، فالسّالك لهذا الطريق المبارك وهذاالعمل المقاوم حتما يفوز بمرضاة الله، الذين هم خيرة أبناء هذه المنطقة محاربين أشداء متمرسين، كانت شجاعتهم كافية لأن تدخل الرعب في قلوب أعدائهم حتى أضحت تقوم مقام الكثير مما افتقدوه من كمال العدة والعدد. لم يكن شبيب إلا ثائرًا ورفيق الثائرين.

أمثال أدهم خنجر[١]، صادق الحمزة[٢]، محمود أحمد بزي[٣]، محمد بك التامر[٤] وابنه رضا بيك التامر[٥]، الحاج خليل العبدالله[٦]، كامل خليل الأسعد[٧]، عبداللطيف خليل الأسعد[٨]، وكثير

---

(١) ولجأ أدهم خنجر وهو خنجر بن شبيب بن علي الفارس الصعبي. مؤاليد المروانية ١٨٩٤م. إلى سلطان باشا الأطرش، بعد محاولة اغتيال غورو الذي كان في رحلة صيد. لكنّ الفرنسيين اعتقلو أدهم خنجر في بيت الأطرش بتاريخ ٧ تموز ١٩٢٢ في غياب سلطان باشا، مما أغضب سلطان باشا الأطرش عندما علم بأمر ضيفه، فكان اعتقال خنجر دافعًا جديدًا فجر غضب رجال الثورة السورية الكبرى والثوار الدروز في جبل العرب ضد الاستعمار الفرنسي. أعدم الفرنسيون الثائر البطل في منطقة بئر حسن في ٣٠/ ٥/ ١٩٢٣م. دفن في الباشورة.

(٢) التجأ إلى منطقة الانتداب البريطاني في الحولة ومنها إلى شرق الاردن، حيث دخل في حاشية الأمير عبدالله بقي مصيره مجهولا.

(٣) غادر بعد العام ١٩٢٠م. إلى الولايات المتحدة الامريكية ومنها إلى سراليون توفي في العام ١٩٤٥م . نقلا عن حوادث جبل عامل

(٤) محمد بك التامر مواليد قرية الخرطوم القريبة من صيدا سنة١٨٧١ أقام في بلدة تولين له ملكيات واسعة توفي في صيدا عام ١٩٣١م.

(٥) ولد رضا بك التامر سنة ١٩٠٦في قرية (كفردجال) بجوار النبطية. انتقل مع أهله وهو طفل، إلى قرية تولين بقضاء مرجعيون توفي عام ١٩٧٥ .

(٦) راجع سيرة الحاج خليل صفحة ٣٩٨.

(٧) راجع سيرة كامل الأسعد صفحة ٣٥٣.

(٨) راجع سيرة عبداللطيف الأسعد صفحة ٣٥٨.

كثير من الشرفاء من أبناء جبل عامل الذين رشفوا كأس الإبعاد والشتات، ومنهم من رشف
س المنون بعد أن أبعدهم المحتل عن ديارهم، وحكم على بعضهم بالإعدام فمنهم من عاد بعد
فو إلى وطنه، ومنهم من استشهد ومنهم من بقي مصيره مجهولًا. كمصير الثائر شبيب العبدالله[1].
سأل هل غادر مع صديقه ورفيق دربه أدهم خنجر أم اختار كل منهما طريقًا حيث كان الفراق
ى أرض فلسطين بينهما. هل عمدت قوة حماية المستوطنين أم جهاز مخابرات صهيوني على اغتيال
يب عبدالله خوفا على مصير المستوطنيين؟

هل اشترط المستوطنون على مسؤوليهم بأن يغتالوا شبيب وإلا فإنهم عازمون على المغادرة؟
هل رأت الحركة الصهيونية خطرًا على وجودها؟.. كل هذه الأسئلة تبقى حرة طليقة ﴿لِيَقْضِيَ
ـهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

لقد غادر أدهم خنجر قرية الجاعونة من أعمال قضاء صفد فلسطين في الأسبوع الأول من شهر
يران/ يونيو عام ١٩٢١م. وكان اللقاء بين أحمد مريود *وأدهم خنجر في القنيطرة* فاختليا
لا، وقررا أن يقوما بعمل عسكري ضد الجنرال غورو. كمن أحمد مريود على جانب الطريق
من أدهم على الجانب الآخر من الطريق، ما إن وصلت سيارة غورو حتى أمطراها بوابل من
صاص، رغم هذه الخطة المحكمة إلا أن غورو أفلت من الكمين فكانت يقظة غورو أقوى من
الإصابة (والذي له عمر لا تقتله الشدة ولا المؤامرة) وظلت السيارة متابعة سيرها إلى القنيطرة
د يكون هذا التاريخ هو الأقرب إلى مغادرة شبيب العبدالله للمكان نفسه حيث لم نعثر على تاريخ
د عن مصيره يرشدنا إلى معرفة مكانه أو وجهته، وما بحوزة الكثيرين من أخبار تبقى بحاجة
دليل لإثبات صحتها، وكل ما وجدناه مكتوبًا هو موضع فخر لأمتنا العربية ولكل المناضلين
قاومين الشرفاء، سيرة بطل سوف يبقى رمزًا لأباة الضيم ونبراسًا وشعلة من الأمل ما بقي قلب
ي ينبض، قد تناولت النشرة الصادرة عن جمعية آل عبدالله، العدد الثاني السنة الثانية صفحة
زيران سنة ١٩٩٥م. في تعليق على ما أورده رضا التامر في كتابه عن شبيب العبدالله توضح
رة بأنه غادر إلى أمريكا واستقر في كوبا.

شبيب الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله مواليد الخيام ١٨٨٤م. تقريبا غادر إلى فلسطين بعد حملة نيجر
الجنوب اللبناني، فمكث في فلسطين قرابة السنة وبعدها فجأة غاب عن المسرح السياسي والنضالي من دون أن
ف وجهة سيره، إلا أن من المحتمل بأن تكون المخابرات الصهيونية عمدت إلى تصفيته بعد أن شعرت بخطر
على مستوطنيها في شمال فلسطين المحتلة وذلك عام ١٩٢٢م بعد أن أسر شبيب العبدالله أكثر من ١٢ مستوطنًا.

الحركة الأدبية عند آل عبدالله

كما كان للسياسة رجال وورثة...

وكما كان للسيف رجال وورثة....

كان للحركة الأدبية عند آل عبدالله رجال وورثة.

كانت وما زالت الحركة الأدبية عند آل عبدالله تتعاقب جيلاً بعد جيل كتعاقب الليل والنهار، وقد برز منهم شعراء في العهد الثاني جاء في كتاب جبل عامل صفحة ٢٨٤: بأن بداية العهد الثاني كانت سنة ١٨٠٤م. أما في العهد الأول فكم من قلائد الشعر وزخرفه لم تجد طريقًا إلى التدوين وإلى بطون كتب الأدب إما أنها بعثرت أو تلاشت في أزمانٍ بقرت البطون وتحولت أحشاءها إلى وقود للتدفئة او لإعداد رغيف خبز مستقره بطون لا أشبعها الله فوقها عقول خاوية نخرها السوس أمثال أحمد باشا الجزار وفعلته الشنيعة بمكتبات جبل عامل وكتبها، عندما أحرقها في أفران عكا سنة ١٧٨٠م. كما أننا نحن بشوق إلى المرويات، أي ما قاله السلف للخلف تلك المأثورات التي تفتح لنا بابًا، كما أن شوقنا يتبدد وتصيبنا سهام الإحراج ومتاهات الأفلاج ولا ندري كيف الخلاص والعلاج، يحصل ذلك عندما نسمع من المرويات على أصوات الأصناج بأن هناك بيتًا من الشعر يحفظه البعض عن ظهر قلب ألا وهو:

أنا ابن مَن دانت له البطحاء ... ودانت له يوم النزال العلياء

يقال بأن هذا الشعر قاله جد الحاج حسن عبدالله وجده هو الأمير عبدالله، وإن مولده على التخمين ١٦٩٣م. هل يعقل إن صح هذا القول بأن الأمير عبدالله التنوخي قدس سره جدنا في الخيام لم يقل إلا هذا البيت من الشعر، أم أن هذا البيت من ألوف الأبيات من الشعر ومئات القصائد فلا عجب من انتقاء هذا البيت الذي حملته الأفواه من جيل إلى جيل، إلا لأنه زاخر بمعانيه التي تدل على التفاخر والعزة والمجد الذي كان عليه السلف من المكانة العالية، ونكرر مرة أخرى اذا صح وبالتأكيد صحيح بأن هذا الشعر يعود إلى الأمير عبدالله الذي حملت ذريته في الخيام اسمه يكون دون أدنى شك فيه بأن أجداد آل عبدالله لم يغيبوا بشعرهم عن العهد الأول من عهود جبل عامل. فالشعر عندهم كان ينقل من جيل إلى جيل وكان زاخرًا في العطاء، وله هباته وجولاته وصولاته، فكان رجال الشعر ورجال السياسة صنوان في العطاء. فأينما تنهل فالنبع واحد. كانت مزاوجة فريدة فالذي يعمل في السياسة هو الشاعر والشاعر هو السياسي، ومنهم من كان شعره نتاج الفطرة

تي أودعها الله في قلوب وعقول البعض، وحسبنا هنا أن نذكر صاحب القلم والسيف فهو الرجل
سياسي والفارس المغوار والقائد العسكري، متوقد الذهن الشاعر الحر الكريم المرحوم الحاج
مد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله. المتوفي سنة ١٩٢٩م. فهو من شعراء العهد الثاني على ما ذكره
مد جابر آل صفا صفحة ٢٩٠ ، وإلى جانبه أخوه الشاعر العبقري الفذ الذي سبق زمانه وأقرانه
كره النهضوي الأفندي أمين التنوخي، كان للشعر عند آل عبدالله شخصية متفردة متميزة تحمل
أطوائها شيئًا من التحدي والقوة والعنفوان، شخصية شعرية تستلهم الهمم و المجد من سلف
أجداد وقصصهم وحكاياتهم المميزة والمُشرِّفة.

يقول الزيات في كتابه: إن تقدير الشاعر واحترامه من الخصال والتقاليد العربية الأصيلة. كان
شعراء على مر العصور هم أصحاب الرأي والتعبير، إن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر، أتت
قبائل الأخرى فهنأتها وصنعت الأطعمة والناس جميعًا في فرح وسمر كما يصنعون في الأفراح، لأن
شاعر كان لسان القبيلة ويمثل الحماية لأعراض الناس والمدافع عن أحسابهم وأنسابهم والمفاخرة
آثرهم والممجد لذكراهم[1]. يقول إحسان شرارة في كتابه: بأن الإنسان وفقا لعلم الوراثة يأخذ
ن أبويه الكثير من الصفات الخُلقية والخَلقية التي تكوّن شخصيته وتظهرُ ميزاته، وملكة الشعر
قل بالأسرة من جيل إلى جيل، هذه الملكات المتوارثة عبر الأجيال قد يتوفر بعضها بشكل ملفت
غير عادي، ويتابع شرارة أنا لا أزعم أن الوراثة وحدها قاعدة حياة، وإنما أريد أن أقول إن قدرات
ينة وصفات خاصة تنتقل عبر الوراثة من جيل إلى جيل تسهم في تركيب شخصية الانسان[2].
حسبنا أن نحيل هذا المعتقد إلى أروقة العلم إلى العالم فرانسيس غالتن١٨٢٢-١٩١١م. وكتابه
عبقرية الوراثية Hereditary Genius » لقد أوغـل العالم البريطاني في هذه الدراسة شارحًا
سهاب انتقال الصفات الوراثية عند الأشخاص، فلقد أراد أن يفهم كيفية انتقال الصفات الوراثية
الأجيال المتعاقبة. وإذا كنا قريبين من حس الشعراء المعاصرين، ترانا مجبرين للعودة موقظين
صور السابقة التي فيها من الشغف ما يشجع الإقبال عليها، حيث لآل عبدالله خير نسب اذا ما
رنا عند جذور شجرتهم الطيبة وتعمقنا في ثرى وأحشاء التاريخ، يتبين لنا بأن لهم صلة قرابة
رىء القيس اللخمي المتوفي سنة ٣٢٨م. هذا ما ذكرته الدكتورة عابد في كتابها، كان ذلك بداية
ركة الأدبية عند أجداد آل عبدالله التنوخيين[3].

كتاب تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات صفحة ٤٥ دار نهضة مصر للطباعة.
كتاب إحسان شرارة صفحة ٢٧ من سيرة وحياة الشاعر موسى الزين شرارة (دكروب للطباعة).
كتاب التنوخيون في لبنان للدكتورة مفيدة عابد صفحة ٢٩٥.

مرورًا بأبي العلاء المعري التنوخي. وحركة الأدب التي واكبت كل تاريخهم. تتسلسل وتنتقل من جيل إلى جيل على مدى تعاقب هذه الأجيال. فمنهم من عانى السجن لمواقفه الوطنية الداعمة لحركة الاستقلال أيام الانتداب الفرنسي، كالشاعر عبد الحسين إسماعيل العبدالله الذي اعتقل في قلعة راشيا عام ١٩٤٣م، والنفي لمواقف وطنية أخرى اتخذها الحاج محمد أفندي عبدالله، وقد عبر من خلالها عن تمسكه بالعيش المشترك مع الطائفة المسيحية فأغضبت الأتراك حينها. ونذكر هنا بيتي شعرمن أبيات قصيدة طويلة للعلامة صادق قالها في الحاج محمد أفندي عبدالله ابن الحاج حسن عبدالله[١]:

سل ضواحي (هونين) مَن ذا حماها ... وهي بين الأنياب والأظفار
وثنى البؤس عن ثنيّة (عيناثا) ... وكانت مناخ ركب الدمار

وقد ترعرعت أسرة آل عبدالله في الخيام على تماس مع نهاية القرن السابع عشر والبدايات الأولى للقرن الثامن عشر. آتية من رحم التكوين الأول لتاريخ الإنسان العربي اليمني، فجدهم يعرب من تسمت اللغة العربية باسمه، مرورًا بحقب وأدوار وطبقات كثيرة أتينا على ذكرها إلى أن استقرت حيث شاء الله لها أن تستقر. لتكون مبعث خير وأمان ووئام للخيام والجوار ولتضفي نكهة خاصة عليها من أدبها وشعرها، فكان أبناؤها مدرسة في الأدب ومدرسة في الشعر والعلم، وفي بداية القرن التاسع عشر أشار الأستاذ كامل فاعور إلى أن أكثر التلاميذ في مدرسة الخيام كانوا بأكثريتهم من عائلة آل عبدالله. إن إنسان الخيام نشأ في ظل الحكم العثماني وتجاذباته بين كر وفر، وقد ورث العثمانيون خصال الحكم المملوكي بعد معركة مرج دابق ١٥١٧م. حتى انفراط عقد امبراطوريتهم وانتهاء حكمهم على يد الحرب العظمى سنة ١٩١٤-١٩١٨م. لتدخل البلاد تحت منظومة الحكم الفرنسي والحلفاء حتى أيام الاستقلال. ولنذكّر هنا بأن الشاعر هو ابن بيئته يستمد من مكونات تاريخها القوة والحماسة والجرأة تساعده على حمل لوائها مستميتًا مدافعًا عنها ، مطالبًا بحقوقها. إن تجلي شخصية الشاعر ونجاحها تكمن في مواءمة بل اندماج بين الذات والموضوع. أي بين خصائص ومكونات الشخصية لدى الشاعر التي هي نتاج التأثيرات الاجتماعية والعادات، وبين مجتمعه ومحيطه ووسطه إن نجاح إرثه وتراثه يكوّن كبرياء الشاعر ويصوغ شخصيته المفعمة بالشجاعة، وتبعث على صفاء ذهني، تعيشها ملكة الشعر بكبرياء في داخله، وتبعث في نفسه عظمة

---

(١) كتاب سقط المتاع: ديوان شعر للمرحوم الشيخ عبد الحسين صادق (طاب ثراه) الجزء الاول صفحة ٢٤ المطبعة العصرية صيدا.

الكائن الذي خُلقت الطبيعة من أجله. ليصنع من أجزائها مركب نجاة يبحر به إلى شاطئ الأمان.

يقول الأستاذ إحسان شرارة في كتابه وهو يتحدث عن بلدة الخيام: بأن عائلة آل عبدالله من أكبر عائلات البلدة الذين لعبوا دورًا سياسيًا تعدى بلدتهم إلى الجوار، وهم من أهل الشهامة والوجاهة والذكاء وفيهم الشعراء والادباء(١).

وقد ذكر محمد جابر آل صفا في كتابه متناولًا الحياة الأدبية في جبل عامل، ذاكراً الشعراء والأدباء في العهد الثاني، ومنهم الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن آل عبدالله الخيامي والشاعر أمين أفندي بن الحاج حسن آل عبدالله الخيامي(٢).

وفي معرض تناوله لعصر الشعراء والأدباء المعاصرين جاء آل صفا على ذكر كل من الشاعر الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله الخيامي والشاعر عبد الحسين بن اسماعيل بن الحاج حسن آل عبدالله الخيامي(٣).

ولا يفوتنا أن نذكر هنا الشاعر حسن محمود عبدالله (أبو فيصل) حفيد الأفندي سالف الذكر الحاج محمد أفندي عبدالله. وكلنا فخر واعتزاز أن نذكر الشاعرة سكنة الحاج مصطفى عبدالله من مواليد ١٩١٨م. التي تكلم الكثيرون عنها مشيدين بتميّز شعرها وقد قدم سعيد عقل لأحد دواوينها الشعرية. وسوف يكون لنا وقفة مع كثير من الشعراء والأدباء.

وقد رأينا أنه من المناسب، ونحن نستحضر بعضًا من شعراء آل عبدالله، وسير موجزة من يخهم المشرف أن يكون لنا وقفة مع هذه الابيات وكأن الشعر يجري على لسان حالهم:

المَـلْـكُ سـام الـنـاس خسفًا	أبينا أن نـقـر الخسف فـيـنـا
لـنا الـدنـيـا ومَـن أمسـى عليها	ونَبْطِـشُ حـين نبطـش قادريـنـا
ملأنـا الـبر حـتـى ضـاق عنا	ومـاء الـبـحـر نملأه سـفـيـنـا
إذا بـلـغ الـفـطـام لـنـا صبي	تـخـر لـه الجبابـرة ساجـديـنـا

وهذه بعض أبيات لشاعر جبل عامل المرحوم الاستاذ موسى الزين شرارة، ألقاها في ذكرى وفاة حفيد الحاج حسن عبدالله المرحوم خنجر أفندي عبدالله سنة ١٩٥٣م. نختصر من خلالها ما

(١) كتاب إحسان شرارة صفحة ٧٠ من سيرة وحياة الشاعر موسى الزين شرارة (دكروب للطباعة).
(٢) كتاب تاريخ جبل عامل محمد جابر آل صفا صفحة ٢٩٠ دار النهار للنشر.
(٣) المصدر السابق لآل صفا صفحة ٢٩١.

تمثله أسرة آل عبدالله من حضور تاريخي ومكانة عالية في وجدان أبناء المنطقة[1].

الأوجـه البيض والغرّ الميامين والسادة الصيد والشم العرانين
برغم انف العلى والمكرُمات مضوا وأقفرت بعدهم تلك الدواوين

وقد ذكر السيد محسن الأمين في كتابه(٢)[2]. عن آل عبدالله بأنهم من أهل الشهامة والوجاهة والذكاء، وفيهم الشعراء والأدباء،وقال: وفيهم المرحوم العلامة عبد الحسين صادق:

أأخاف من جور الزمن وعصمتي أسُد الشرى من آل عبدالله
هم طوع أمري والورى طوع لهم إن فاه منهم آمرٌ أو ناهي

وهذا ما قاله الشيخ المرحوم علي زين في آل عبدالله:

أيام كنا والخيام كأنها غيل تحامته عيون الرائي
فيها أسود وغى ليوث عرينه حنطت بسمر قنا وبيض ضياءِ
أمجاد عبدالله أهل حفيظة قدماء وا لهفي على القدماءِ
الظاعنين بمجدهم وحفاظهم عن قمة العلياء للغبراءِ
ذهبوا كرامًا والخيام خيامهم وضَاءة بسجية الكرماءِ
وَلَكم حزنتُ لنأيهم وتصاعدت زفرات آهاتي من الأحشاءِ

(١) الدردارة ص٢ نشرة داخلية كانت تصدر عن جمعية آل عبدالله العدد -٢-السنة الثانية حزيران ١٩٩٥م.
(٢) كتاب خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين صفحة٢٧٩ الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٣م

شاعر جبل عامل المرحوم عبد الحسين إسماعيل العبدالله

١٨٩٦-١٩٩٠م

سُئلَ الشاعر عبد الحسين العبدالله لماذا كلما هوجم الأجنبي في لبنان ارتفعت الشكوى من بعض للبنانيين فقال:

جانبُ يحكمون بلا اعتبار	بأذنابٍ لهم، مِنا قصار(١)
إنْ ضُرب الحمار على قفاهُ	تململ واشتكى ذنب الحمار

وعندما كان يرى بحبوحة العيش على مدراء الحكومة قال:

ا مدير الاقتصاد الوطني	قل لنا من أين أُصبحت(غني)
م تُهاجر لم تُتاجر لم ترث	عن أبيك الفذ غير الرسن(٢)

سُئل الشاعر عبدالحسين العبدالله عن شعراء الجنوب فقال:

ا رأيتم رجلا	تُحبُّهُ كلُّ القلوبْ
ـمتلئاً كرامةً	لكنَّه فاضي الجيوبْ
ـإنَّه واحر قلبي	شاعرٌ من الجنوبْ(٣)

(١) كتاب ثمانون العُمر الدّائب سلام الراسي صفحة ٩٠
(٢) كتاب إحسان شرارة .موسى الزين شرارة الشاعر الثائر صفحة ٢٤٦
(٣) كتاب القيل والقال سلام الراسي صفحة ١٩١

الشاعر الثائر، كما وصفه ابنه المرحوم كامل العبدالله، نفتتح الحديث كما افتتح الشاعر أبو كامل ديوانه حصاد الأشواك قائلاً في مقدمة ديوانه:

لقد ملأ الفلاحُ بالزرع أرضهُ ... أرضيَ قرطاسي غرستُ بها شِعرا
أرى زرعهُ يفنى وزرعي على المدى ... ندي المجاني لا يباع ولا يشرى
إذا كان قد أثرى من الزّرع واحدٌ ... فإني في زرعي أذوب ولا أثرى
حملتُ على ظهرِ القوافي مصائباً ... على الدهر لو حَمَّلتها تُبهظُ الدهرا
إذا جِعتُ غذّتني القَوافي بروحها ... وألبسها ثوبًا جميلاً متى أعرى

من هذه الأبيات القليلة، نستنتج الكثير، منها نشم رائحة التعب و الألم والمعاناة تكلم عن الفلاح أي حب الأرض الصبر المثابرة العطاء السخاء الوجود الفناء الفقر الغنى. أما في البيت الرابع من شعره تكلم عن المصيبة وقوّتها ماذا هي فاعلة في تأثيرها على عاتق الإنسان، على كاهله إذا ما حلت المصيبة، هنا أصاب وعكس الشاعر ما يملكه من حس تميز بالنبوءة الخالصة. بدأ هذا الثقل المصائبي في بداية ديوانه وختم ديوان حياته وديوان أشعاره بثقل أكبر، كانت مصيبته أعظم من كل مصاب، خَطْبٌ جَلَلٌ ومصابٌ عظيمٌ فقد فجع الشاعر بموت ابنه كامل العبدالله عام ١٩٧٠م. حين خطفته يد المنون.

رثاه قائلاً:

تجهم العيشُ لا صُبحٌ ولا أملُ ... ليلٌ من الهم والآلام منسدلُ
تغفو عيون على البلوى فيوقظها ... خَطْبٌ تضيقُ به الآفاقُ والسبلُ
حملته على ضَعفي أنوء به ... فليس يحمله سهل ولا جبلُ

وإذا ما تأملنا البيت الخامس نرى بأن الشاعر جعل منه متكأً لتأوهاته متخذاً منه استراحة أشبه باستراحة المحارب، ولكن في العمق الفلسفي نراه مستلهمًا مستوحيًا مستعرضًا القدرة على فك رموز وطلاسم أسرار الروح، وتطويعها كيفما شاء متحديًا مختالًا يجيد صناعة الشعر من غير تكلف بل هي عادة من طبيعته تسري في النفس، دون تردد وتصنع، في حركة دوران غاية في الانضباط هو دوران العقل حول الروح على إيقاع جاذبية النفس، تصوير فني في غاية الروعة.

أما في شعره الرثائي الذي اخترنا منه ثلاثة أبيات مطلع قصيدته الطويلة. نستنتج: الكثير الكثير، هنا يعلو صوت ضجيج النواح، وكأننا أمام كائنين، الشاعر والأب لكن الذي يحرك المشهد العام هو إيقاع المونولوجيا الشعرية، خالعًا عليه لباس القوافي ذات الالوان الربيعية الزاهية الجذابة مرتديًا

من ظلام الليل عباءة، وكأنه تعرّض لخيانة الاحساسات الذاتية، لم يكن يتوقعها لكن تفاعلات عناصر رياح المصيبة العاتية في وعاء الجسد أفقدت الشاعر القدرة على المواءمة والتوفيق والتكيف. وحين هبت ريح الأسى خرجت أبياته الشعرية مثقلة بالمعاناة،ومثخنة بالجراح، فتجرع مرارة العناء على الخلان الذين رحلوا دونما استئذان. ناء أبو كامل بالحمل لكن لم يسقط، بقي ممتشقًا يراعه يغمسه في جوف محِبْرَته، وسيد الكلام وبطل الأنام كالفارس الذي لم تطح به طعنات الأعداء ولم تسقطه عن صهوة جواد الشعر.

هذا الرابط الزمني الذي يتعدى الخمسة عقود بين البداية والنهاية، للخطوة الأولى لحركة شعره التي حملت بين طياتها هموم الآخرين المحرومين في بيئته، ليتساوى في آخر حياته معهم ويحرم بخسارة كانت ثقيلة على الشاعر خسارة ولده كامل. هكذا احتضن النبته منذ أن غرسها حتى الحصاد (حصاد الأشواك)

نبذة عن الشاعر العبدالله

-ولد الشاعر عبد الحسين عبدالله في بلدته الخيام عام ١٨٩٦م.

-توفاه الله في ١٩ أيلول عام ١٩٩٠م.

-تلقى علومه الدينية في كتاب البلدة، ثم التحق في المدرسة الرشيدية في جديدة مرجعيون.

-كان قارئاَ للتراث العربي بكل مكنوناته.

-باشر عمله كمساعد قضائي في محكمة بنت جبيل، وفيها بنى علاقات واسعة وحميمة مع عائلات جبل عامل، وخاصة مع الأدباء والشعراء من أقرانه، ونخص بالذكر العلاقات النضالية التي جمعته بالشاعر موسى الزين شرارة، والأديب والوزير والسفير علي بزي، وبالرئيس عادل عسيران.

-دفع ثمن مواقفه الوطنية، تنقلاً دائمًا في جميع المناطق اللبنانية، من الشمال إلى البقاع فالجبل والجنوب.

-اعتقل في قلعة راشيا عام ١٩٤٣م.وفيها تعرف على زعماء الثورة السورية.

-أصدر ديوانه (حصاد الاشواك) عام ١٩٥٢م.[١].

نشأ الشاعر عبد الحسين إسماعيل العبدالله في كنف والديه، وله من الأخوة ثمانية ومن الأخوات ستة، توفي والده المرحوم إسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله سنة ١٩٢٣م. كان والده كريمًا، فارسًا،

(١) هذه النبذة ذكرت في نشرة الدردارة مصدر سابق صفحة ٥.

قويًا، شجاعًا، شاعرًا يخشى الجميع من مواجهته، لأنه ما صارع أحداً إلا وصرعه، صاحب صولات وجولات وغزوات ومن إحدى غزواته غزوة الحولة في فلسطين، عندما غزا عرب (الهيب) المعروفين آنذاك باحترافهم للصوصية. وذلك انتقامًا لأخيه الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله. عندما تعرضت داره للسلب.

تشرب الشاعر كل هذه الصفات، فكانت قوافيه شامخة قوية كقوة آبائه وأجداده. بنى الشاعر عبد الحسين العبدالله مداميك قوافي شعره من منطلق تحرير العقول من التعصب الديني، وضيق الأفق العقلي، حين جاهد وثابر من خلال أعماله الشعرية على رفعها إلى مستوى الفهم والاستيعاب وتوسيع المدارك ومعرفة المسالك، فجاء شعره بعيدًا عن المواربة والتلميح والإبهام وكذلك بعيدًا عن التدليس والمكر، فكان غرض توظيفه في غاية الإتقان والعناية، إن استعمال (الشّدة والغلظة) في هجاء الخصوم تجدها مكررة كثيرًا في شعره. أمثال هذه الأبيات:

يـــا مــــــديـــر الاقـــتــــصــــاد الــوطـــنــي ... قــل لــنــا مــن أيــن أصــبــحــت غني
لم تُهاجـــــر لـــم تُتـــــاجر لـم تـــرث ... عـــن أبـيـك الـفـذ إلا الـرســــنِ[1]

وهذا نموذج آخر وهي عديدة[2]:

لــبــنـــان أرض عــجــائــب ومــهــازل ... يـــودي الـقـتـيـل ويحـتـفـى بـالـقـاتـلِ
وأمـــــام دار الحـــاكــمــين حـفــاوة ... بــالمـجـرم الجـــاني لـنـصر الـبـاطـلِ

مثل هذه الأشعاركانت تأتي غالبًا كردات فعل على الخصم على قاعدة (لكل فعل رد فعل) كان الشاعر يرى في الخصم دائبًا على نشر سياسة تجهيل العقل وإفقاره وتفريغه إلى مستوى متدني، وتعميم ثقافةضحلة،لا تليق ولا تساعد في تحقيق تقدم.ومما يتضح هنا جليا بأن الشاعر كان يستلهم حركة قلمه من واقع الحياة في جبل عامل أنذاك.

إن الداخل إلى مدينة شعر عبد الحسين العبدالله، لا يستطيع أن يتخطى بابها، دون أن تستوقفه تلك المقدمة الرائعة، من ولده كامل العبدالله.

يقول: ... هذا القلم هو ابن الشاعر الذي عنه أكتب ....

..هو باعثه ..وموحيه ..وموجهه.. ومنطق الحرف من على شفاره....

..وهذه القصائد أبناؤه...

(١) رَسَن = حبل تربط به الدابة (هذه الابيات اوردها إحسان شرارة صفحة ٢٤٦ مصدر سابق).
(٢) ديوان حصاد الأشواك للشاعر عبد الحسين العبدالله صفحة ٢٩ المكتبة العصرية صيدا بيروت.

هو خالقها ومُحمّل الكلمة، فيها اختلاجات الأعماق والنفحة الملهمة.(١)

هذه كلمات كامل العبدالله التي ألبس حروفها تاجا ذهبياً اقتبس ضياؤه من خيوط شمس شعر الده الساطع.

ونورها من وجه القمر فوق غدران المرج وعيونه الصافية.

لقد جعل لمقدمة الحصاد غلالًا وفيرة جناها من تلك الشجرة الباسقة وقدمها قربانًا، معتبرًا روف كلماته باكورة (القطفة الأولى) فرماها تحت أقدام جذعها الصلب إيمانًا منه بنفخ الروح يها، وذلك الجذع المتفسخ من كثرة العطاء أشبه بيد فلاحي جبل عامل التي تغرس بيسارها وتجني مينها. وبالنظر إلى تلك الشجرة نرى أفنانها المتشابكة المتراصّة المتدلية تلامس وجه الأرض، طعمُها من ثمارها و تُزقّم حباتها حبة... حبة. كلمات أشبه بعمل مسرحي وحوار رحب ممتع، ستلهما ذلك من مكنون موزاييك الذاكرة الخصب. يتقمص العمل دورالفلاح اللبناني العاملي لخيامي مما أعطى المشهد دورًا مميزًا ونكهة خاصة. عادة الفلاح بأن يرمي بكلتا يديه التي تفوح منها ئحة الزعتر البري أولى ثمار الشجرة كحبات الزيتونِ وديفورات التين وخصل العنب الأصفر د جذعها في أحضان (البوج)(٢)، مكرمةٌ للأرض الجزلة في العطاء وهكذا قدم كامل لأبيه الشاعر ل ما يملكه من معرفة، إيمانًا منه بأن أول باكورة عمله يعود بالفضل إلى تلك الشجرة الباسقة وارفة بعطائها وثمارها.

يتابع الأديب الراحل كامل العبدالله مقدمته قائلاً:

ومعاً نمونا أمام وجه الحرمان . . .
ومن بعضنا كان لنا الغذاء . . .
جاعت القوافي يوم شبعنا . . .
وشبعت يوم جعنا . . .
وابناء تواجههم المأساة ،تعصف بهم. . .
ويوم شبعنا وشبعت. . .
ويوم اكتسينا واكتست . . .
كان الشاعر يجوع ويعرى.(٣)

(١) مقدمة ديوان حصاد الأشواك صفحة ٤
(٢) -حاجز من التراب حول الشجرة، يعمل على عدم تسرب الماء عند سقايتها وهي كلمة عامية.
(٣) حصاد الاشواك مقدمة صفحة٥

في لحظة تملك أو سيطرة ملكة الذهن على الحواس يفتح الابن من سحر كلماته كوةمنها نتأمل ..المناجاة... الهمس ...الترتيل. . . والتلاوة.

وكأنك أمام مشهد من مشاهد مصرع كليوباترا...

الشاعر أحمد شوقي يقول:

أبي قد أتيت سلام عليك شُعاعَ المدائن نور القرى
أبي قد تلاقى هنا العشقان وكأن بتدبيري الملتقى

تغادر كلمات الابن المكان وتبقى رهينة الزمن،ا لزمن المفعم بالحكايات، وعلى جوانب التاريخ قصص، عناوينها الملاحم والبطولات وكأنك قرأتها في الصحف الأولى في العصور الغابرة على ضوء مشكاة ونور الفرقد، لون الصفحات بلون الأرجوان الفنيقي العتيق، أو بلونِ الدم المسفوك على صخور جبل حرمون وبين اروقة كهوفه وعلى صخره، حيث دماء هابيل المظلومية الأولى التي أنبتت دماؤه الطهر والقُدسية على هذا الجبل الشيخ، أو نظرة خاطفة إلى أعمال هوميروس[١].

حين سقط الوشاح الأخضر عن ملحمتيه الإلياذة والأوديسة، هو ذلك التشابه في صوره الفنية، وحيويته المستمرة، والطاقة المتجددة،فوق اجنحة طائر الفنيق.

علاقة الابن بالأب لم تهدأ. تُحرك ساعات السكون، تبعد الكدر، تستنهض المخيلة إلى الصفاء الخالص، إلى الانسجام، حيث تهوى الروح، ويتعلق الفؤاد، تستبيح الحروف الكلمات في تحدٍ علني لا يرعبها المكان. لكن هي مداعبة مُمَازَحَة بين الشبل وصاحبِ العرين، شيخ الشعراء ابو كامل عبدالحسين العبدالله كما وصف في صدى حرمون، التي توّجته شيخًا، وأردفت قائلة: هو الآن على عتبة المائة من العمر، رابض في فراشه كأسد غلبه الزمن فتقاعد عن الحكم غير أن هذا الأسد ما نسي يومًا أنه كان ملكًا. وسيبقى شعر العبدالله للأجيال شاهدًا بأن الشعر العربي في القرن العشرين ظل على صلة حية بالفطرة السليمة وبالشعب الثائر[٢].

لايخفي شرارة في كتابه إعجابًا بما جاء بمقدمة ابن الشاعر كامل العبدالله في حضرة الوالد، يقتبس شراره بعض فقراتها ويرويها قائلاً: ما ثار ليثور ولا نقم لينقم تحديًا وتعديًا، إنما في معركة الحياة وَجَدَ في الصميم من الأتون الملتهبُ ...قلبًا حيًا وحساسية مرهفة، فصوّر ونقل عاكسًا تأثرات الأعماق واختلاجات الخاطرة فجاء شعره صورة الحياة ذاتها كل الحياة. في ثورتها وهدوئها. وفي صخبها

(١) هوميروس هو الشاعر اليوناني عاش بين القرن التاسع والقرن السابع قبل الميلاد وتنسب إليه الملحمتان.
(٢) جريدة صدى حرمون العدد ٥ صفحة ١٤ تشرين أول ١٩٨٩م تحت عنوان خياميات لرضا القاعوري.

صحوها وجاء صورة للعواطف الانسانية في حبها وبغضها وعذوبتها وقسوتها وإيمانها[١].

جاء شعر عبد الحسين العبدالله مصوغًا بعناية لاتخلو من انفعالية سياسية ممزوجة بأيديولوجية رنة. وقد أسس لعلاقات واسعة مع أقرانه من الشعراء، فعلى المستوى العربي كانت تربطه علاقة يبية مع الشاعر العراقي أحمد الرصافي.

وفي لبنان كثر ونذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الشاعر موسى الزين شرارة. كان ساره السياسي يتبلور و يزداد قوة وصلابة ويستلهم قناعاته على إيقاع أحداث جسام. حلت في ناطق جبل عامل. فكان تحركه وعلاقاته مصحوبان بهامة ومعنوية عالية تستعصيان على القياس، ستمدهما من انتمائه إلى عائلته التي لها باع طويل في العمل السياسي والعلاقات الاجتماعية.

منتهى الروعة وجمال الأخلاق وعلوه أن يعرف الإنسان مقام نفسه فيقدرها حق تقدير، إنه عور الفرد بكونه جزءًا من مجموعة، يحمله على الإحساس بالإطمئنان والفخر وهذه حاجات سانية حيث لعبت الأسرة والقبيلة دورًا هامًا ومحوريًا في كل العصور والمراحل وما زالت إلى يومنا ذا تطل برأسها بين الفينة والأخرى.

لا نقدر أن نفصل الشعر عن السياسة وما تمثله على أرض الواقع من أحداث وتطورات، لأن سياسة لدى الشاعر الجنوبي تشكل غالبًا مادة شعرية تطلق العنان لخياله وتحفزه لخوض غمار عارك السياسية بلغة الشعر، فكان غالبًا ما يجد نفسه في أحضان السلطة ومعتقلاتها، فقد تكونت لكة الشعر وثقافة الأدب عند عبد الحسين العبدالله في وقت مبكر. باعتباره فقيه هذه العناصر خطى لمزدحم الحياة، لتداهمه بعض أحداثها ليشاهد جسامتها، كثورة الملك فيصل ضد الأتراك نة ١٩١٦م. وحملة نيجر المرعبة على قرى جبل عامل سنة ١٩٢٠م. مرورًا بأحداث كثيرة حتى خوم حرب الاستقلال عام ١٩٤٣م. واقعٌ يتشظَّى والقوم منقسمون على أنفُسِهم بين زعامات سكة بزمام الأمور. فكان رفيق دربه ونضاله الشاعر موسى الزين شرارة، سلاحهما القوافي كلامهما أشبه (بقذائف المورتر) في روحهما جبهة واحدة، وفي شعرهما تعددت الجبهات القتالية جمال قصائدهما القريبة من المزاج الشعبي العام كانت الناس تحفظها عن ظهر قلب.

وهذا مثل ظرافة شعرهما وتشابهه بالسهولة والبساطة والوضوح.

يقول الشاعر عبد الحسين العبدالله:[٢]

(١) كتاب إحسان شرارة صفحة ٢٤٥ مصدر سابق

(٢) نظمت هذه الابيات عندما أهدى له الزعماء ربطات عنق وطلب إليه ان لا يهجو أحد القضاة. جاء ذلك في

قـال الزعيـم خـذ الكرافة رشـوةً ... منـي ولا تـحفـل بشيـخ الـزورِ
فأخـذتـهـا منـه وصـرت مـحـيَّراً ... وغـدًا يقاضيني الحساب ضميري
فـاذا رضيـت بهـا وعـدت عـن الهجـا ... أصبحـت مرتشيـا كـقـاضي صـورِ

ويقول موسى الزين شرارة:[1]

لقـد وصلت صحيفتُكم فشكـرًا ... إذ هـي كالهديـة بالبلاشي
بُليـتُ بظـالم يـدعـى ضميـرًا ... يـراقبنـي ويرعـاني كـواشي
ويـجـن بـرغـم افلاسـي إذا مـا ... رأى وجـه النقـود بكـف راش

يستهوى القارئ شعرهما ويتنابه شغف في متابعته، حتى النهاية دون أدنى ملل صور فنية رائعة حية سلسة، تنساب في العروق كانسياب الدم وتشق قنوات الذهن، فتقنع العقل وتشرح الصدر، تعبر عن وجع الناس وتمسح بحنية فوق جرح وتشفي غليل قلب لطلما انتظرها طويلًا.

يتابع إحسان شرارة ناقلًا عن نقيب الصحافة الأستاذ زهير عسيران قوله عن الشاعرين العبدالله وشرارة: أنهما يعملان على استنهاض الهمم ضد الانتداب الفرنسي وتوعية الجماهير وتنويرها في مواجهة التخلف السائد ووجوهه ورموزه فكانت تلك المواجهة الشرسة[2].

مع أي حدث ومع مطلع كل تحرك شعبي على أرض عامل أرض الجنوب اللبناني الذي أتعب جيوش الكون ولم يهدأ بركانه الثائر شعرًا. مع صراخ الفلاح والعامل ومع كل شرارة انتفاضة وخروج حمم الثورة ، كان الشاعر عبدالحسين العبدالله يرسم شعره صوراً قادرة على تحريك الجماهير وتنطق الثورة بكلماته حين ينفخ في جنباتها جرعة كبيرة من الحماس، من روعة الكلام والمعاني كانت تخرج الثورة ومن فصاحة شعره تتلون الطبيعة وتزداد جمالًا ،ويكسوها من حلل شعره فتزداد نضارةً وبهاءً فإذا هي نَّضْحَةٌ كماء المزن الطاهر في العلياء، تروي أكوام العشب العطشى فوق أسطح البيوت العتيقة وعلى جوانبها تعشعش حكايات الزمن. يصنع الشاعر من كلمات قصائده مداميك صلبة تمنع تهاوي تلك الصروح الشاهقة والأمجاد العالية، يزقمها من مآقي العيون دمعًا تنزلق حباته من فوق تجاعيد الوجه المشرق بالعنفوان. يشبه صولات الأبطال وحكايات انتصاراتهم.

يقول في إحدى قصائده:[3]

ديوان حصاد الأشواك ص٤٣ مصدر سابق.

(١) كتاب إحسان شرارة صفحة ١٩٢ مصدر سابق.

(٢) كتاب إحسان شرارة صفحة ٢٠٥ مصدر سابق.

(٣) حصاد الأشواك ص٤٢ مصدر سابق.

وطنٌ دعائمهُ الجماجم والدمُ   تتهدّم الدنيا ولا يتهدّمُ
في كل ناحيةٍ شهيدٌ رابضٌ   وبكل صرحٍ شاعرٌ يترنمُ
تلفّتُ الأبطال وهي مروعةٌ   والخيل تسرج للكفاح وتلجمُ
ـاكي السلاح على البسيط وأعزل   يتصارعان وحاسرٌ وملثمُ
امَن رأى تلك الحراب تحطمت   والحقُّ لا يُلوى ولا يتحطمُ

في معركة الحياة وجد في الصميم من الأتون الملتهب قلبًا حيًا وحساسية مرهفة، فصّور ونقل عاكسًا تأثرات الأعماق واختلاجات الخاطر، فجاء شعره صورة الحياة ذاتها كل حياة في ثورتها وهدوئها، وفي صخبها وصحوها، وجاء صورة للعواطف الإنسانية في حبها وبغضها وعذوبتها وقسوتها وإيمانها وكفرها.[1]

لم يكن الشعر عند الشاعر عبد الحسين العبدالله مجردقرطاس وقلم، وإنما كان شعرًا يفيض شعورًا، ويكتنز روحًا عذبة ووجدانًا حيًا مغمورًا بالوفاء وإحساسًا صادقًا كمرآة صافية مشرقة، تبدد بنورها وحشة الظلام، وتمتد الكلمات كأنها حبال النجاة ألقيت في بحر لجي يغشاه الموج، كلمات توقظ في النفوس الهمم، وتوقد في القلوب مشاعل الأمل وتبتلع همساتها، وتصرخ في فيافي السكون والآذان الموصدة بجلمود صخر، أرخت بثقله أياد خبيثة.

عاش الشاعر نكبة فلسطين بكل أبعادها فمن ارهاصات انزلاقها إلى سقوطها بأحضان الصهيونية تعلق الشاعر بهموم أمته، التي لاتفارق نبرات شعره فقال هذه الأبيات:[2]

قوس كسر في الحي أم قوس نصر   نصبوه إلى الزعيم الأغرِ
إن يكن ما نراه قوس انكسار   فلماذا قد جللوه بزهرِ
ذاك نعش من فوقه العزّ ميت   والمروءات من معد وفهرِ
و بقايا جريمة ستّروها   بالأضاليل من خداع ومكرِ
صبغوا القوس من الدماء الضحايا   واجمعوا اللاجئين حول الممرِ

فحرفه لا يحمل شتيمة ولا أحقادًا ..يحمل سجلًا لواقع، وفضحًا لعقوق، وإبرازًا لمأساة وجاء عطاؤه، مادة ومبنى، من البديهة والفطرة، من اللمحة المحملة بالضوء والألق الحي المعاش فما فتّش

١) من مقدمة ديوان الحصاد صفحة ٥
٢) قيلت هذه الابيات يوم عاد الوفد المفاوض عام ١٩٤٨ من باريس واستقبل في بيروت بحفاوة وكانت قد وقعت نكبة فلسطين.(حصاد الأشواك) صفحة ٣٠ .

عن ألفاظ، ولا تأنق متلهياً، بالمظهر عن الجوهر، كانت أحاسيسه هي ذاتها في الورق أمامه، قطعة من كبده وفلذة من ذاته.(١)

طفقت آلة حصاد الشاعر العبدالله تجني وتجني، ما فترت همته ولا ضعفت، لاوانيًا عزمًا في اقتناء أجمل الكلام، بل في اقتران الروح إلى الروح، في بوتقة العمل النضالي مع أقرانه الشعراء الذين كان لوقع حروفهم صدى القلب إلى القلب وقوة وعزمًا لا يلينان، في ركوب العباب وتذليل الصعاب، فكان رفيق دربه الشاعر العاملي الأستاذ موسى الزين شرارة، معا تقاسما القلم، وواجها الصفحة الواحدة، فغدت ملامح شعرهما واحدة، لم يتنافسا في ساحات الشعر، ففي عيون الناس هما واحد، وفلسفة البوح لديهما سر من أسرار الديمومة والاستمرار سويًا، يقبضان على المنجل فيزداد حصادهما وتتنوع في سللهما الغلال الوفيرة، حتى كانا في البعد واحدًا ضد التسلط ضد القهر، تصديا سويا لحركة الانتداب، فلم تكن قضبان سجنهما عائقًا أمام العطاء فازداد العطاء وانبعث الشعرُ من نوافذ الزنازين، ينثر عطر كلماتها فوق روابي وسهول جبل عامل.

حــرر معصمــــك مــن قيــدهم واغـــرس يراعـك في صدورهـم
فـلا تخيفـــك نــــــار دموعهـم وأطفيء إلى الأبد ضوء شـموعهم

كان الشوق إلى مضمار الذكريات يعجل بنا لِيُتحفنا بما لديه من مكنون القول والمعرفة يقول الأستاذ إحسان شرارة: موسى الزين شرارة وعبد الحسين عبدالله شاعران وحّدت بينهما كثير من الصفات وشدتهما إلى بعضهما أفكار وتطلعات فجاء شعرهما عفو الخاطر سلساً مشرق الصورة زاخر المعنى تميزه دعابة أو نكتة تؤدي الغاية وتوصل الرسالة.(٢)

وأردف إحسان شرارة يقول: كان المؤرخون يوردون أبياتاً ينسبونها لموسى الزين شرارة رغم أنها معروفة لعبد الحسين عبدالله ومن هذه القصائد.

ياقـائـد الـعـشـريـن ألـف مـجاهـد نسـفـوا مـقـرك ياجـناب الـقـائـدِ
مـا لـلأشـاوس عـنـدمـا ناديـتهـم لـلـذود عـنهـا مـا ظـفـرت بواحـدِ
ليسـت رجـالـك للـحـروب والـوغـى فـهـم رجـال ولائـم ومـوائـدِ
قـد فـرّ جـنـدك والـيهـود وراءهــم «حوطـت» جنـدك من عيون الـحاسـدِ(٣)

---

(١) من مقدمة ديوانه بقلم كامل العبدالله مصدر سابق صفحة ٦ .
(٢) احسان شرارة مصدر سابق صفحة ٢٤٤.
(٣) احسان شرارة مصدر سابق صفحة ٢٤٦ وقد وردت هذه الأبيات صفحة ٥٩ في حصاد الاشواك.

وهذه الأبيات لموسى الزين شرارة تشابه في أسلوب الكتابة وفي النهج معاً.

…ـسفوهـــا نسفوهـــا نســــفوا ــــ طـــيروا الــــدار وطــــار المنـــسـفُ
…ـأل الحـاخـــامُ لَمَا نُســــفت ــــ وعَـلَـــت في الجـــو تـلـك الأرغُـــفُ
…رأى الطبـــخَ يُغـــطي أرضهـــا ــــ هـــي دارٌ يـــا تـــرى أم معـلـفُ

…تعدد النماذج في شعرهما لكن لايكاد المرء أن يميز وإن تجرَّع من ماء كلا الكأسين ففي العذوبة …لصفاء يتساويان. وهذه الأبيات للشاعر موسى الزين شرارة يقول:

…طـم حســامَكَ فالـيراع تـجـردا ــــ أو دعه طيَّ الغمد يأكلُهُ الصدا
…ـا ريــعَ يومـــاً في أنامــل شـاعرٍ ــــ أو كـاتبٍ قـلمٌ وخاف مـهنّدا
…صـاحبَ السيـفِ المُدلّ بِبَأسِـهِ ــــ لم كان في تـشرين سيفُك مغمدا
…ـيـفُ شعبًا باسـلاً بعصابـةٍ ــــ ضـمّت طريدًا مجـرماً متشرّدا(١)

…تقابلها قصيدة للشاعر عبد الحسين عبدالله تقاربها في المزاج والذوق والتصويب نحو هدف …ترك وإن تفاوتت في المكان والزمان، وهي بعض أبيات مختارة من قصيدة طويلة بعنوان خراج.(٢)

…ن الخـــراف تسـوقـهـا الحـــراس ــــ ولمــن تُـعـبّـأ هــذه الأكـيـاسُ
…الهـتـــاف وهـــذه الـرايــات ــــ لا أمـل يـرف بهـا ولا إحساسُ
…جـبـاً نسير إلى الــــوراء جميعنا ــــ وإلى الأمـــام غـدت تسير النـاسُ
…ـماؤنـا شـوك الطـعـام حرابهم ــــ والطـاولات الحصن والمـتراسُ
…ـظـل مكـتـوف اليـديـن مكبلا ــــ وبـمال أهـلك تُشترى الأمـراسُ

…ماذا قالوا في الشاعر عبد الحسين العبدالله؟

…قلم رئيف خوري:

…حسبكم قد سئمتم قراءة الشعر الذي بات لا يطلع علينا إلا مباهيًا مدعيًا، يتكلف المعاني تكلّفًا …ـنع المباني تصنعًا، ليس لقائله همٌّ إلا أن يقول ما لم يقله الناس بالعبارة التي لا تخطر ببال …. فإن كنتم حقاً واجدين مثل هذا السأم الذي اجد ،فتعالوا أدلكم على شعر هو وحي الفطرة …اء السليقة، هو شعر عبدالحسين العبدالله شعر لا يتحذلق في معانيه ولا يرتدي في مبانيه حلة …موكنغ).

…حسان شرارة مصدر سابق صفحة ١٧٨.
…يوان حصاد الاشواك صفحة ١٧٣ مصدر سابق.

إن شعر عبد الحسين العبدالله سيبقى للأجيال شاهدًا بأن الشعر العربي في القرن العشرين ظل على صلة حيّة بالفطرة السليمة وبالشعب الثائر على الإقطاعية والزعامات الفارغة، الجاهد في سبيل الحرية والسيادة والعدالة.(١)

ولقد اخترنا هذه الأبيات التي تناسب وصف ما جاء بمقدمة حصاد الأشواك للأستاذ رئيف خوري والقصيدة قصيرة بعنوان:

الموظف

إذا مــا أطــل الــشـهـرُ أبـغـي زوالــهُ لـكـي أتقـاضى راتـبي آخـر الشهـرِ
كـــأني أبــيــعُ الـــعــمــر فيـها أنـالـهُ فيا بـؤسَ عيشٍ بعت من أجلهِ عمري

وقصيدة أخرى بعنوان:

شـــعري

بنيتُ بأحلامي من الشـعر هيكلـــاً ورسـمـت روحــي ومـا جــالَ في حسي
أجــــددُ فِيهِ كـل يــوم بنـايـــةً ويهــدم يـومـي مـــا يُـشـيِّـدُهُ أمسي
إذا شئت أن تــدري حـيـاتي فراجعي أواخــر بيتٍ قُلتهُ واقــرأي نفسي(٢)

توالت الأقلام، واحتكمنا إلى صريرها، وطفقت تبحث في ميادين الكلامي، فتشتبك الفكرة في علياء التيه من القول، وتمضي ومضاتها في تحدٍ صعب، تتحرى مكامن قابليتها فتستدرجها إلى الميدان، حيث المنازلة وفن المغازلة حتى إعلان انتهاء المبارزة لاغالب ولا مغلوب، فتتعانق وتتشابك وتتفاعل فتذوب في سحر اللغة لتشكل أجمل الكلام مع فن آخر و قلم آخر.

بقلم: صدر الدين شرف الدين

عبد الحسين العبدالله يعرفه العامليون من سكان الجنوب اللبناني الحبيب، ويعرفون أنه مرآة صادقة الانعكاس للمجتمع العاملي، فهو فيها حي الحركة، واضح الملامح، مشخص الخصائص.

بهذا رسخ الشاعر العبدالله في حاضر جبل عامل وثبت في تاريخه الأدبي والاجتماعي، رسوخ جبال عاملة في أرضه الخالدة ، وسيأتي يوم يجد الناس فيه عبد الحسين العبدالله: هذا المكدود الجائع الماجن الساخر سيداً يحدق بهٍ أتباع من هؤلاء الذين يصر معاصرونا أن يروهم أسياداً لهم تابعين. فسيموت كل هؤلاء ويظل عبد الحسين العبدالله حياً إلى زمن طويل، ولن يحيى أحدهم إلا إذا وهبه

(١) من مقدمة حصاد الاشواك
(٢) حصاد الاشواك صفحة ١٠، ١١ مصدر سابق.

د الحسين بعض الحياة من حبه وكرهه على السواء، ومن نقده ومدحه جميعًا، فالأدب آلة الخلود، ك طبيعته: حياة مستمدة من الوجود لتعود إلى الوجود باستقلال، أما الدائرون في فلكها فعيال يها في مستقبل الدهر[١].

وهذه قصيدة عنوانها (عناء) من حصاد الأشواك صفحة ٣٥ توافق ما قاله الأستاذ شرف الدين:

يقول الشاعر العبدالله:

ادى الطغـــاة الحاكمين بظلمهـــم ... ومـنـذ تمهـل الأوغـــاد تمعـن في الـشرِّ
أصبر حتى ينقضي عهد حكمهــم ... وينجاب هذا الليل عن طلعـة الفجرِ
فر أصحابي فلا أقتدي بهم ... فـللقوم أعــذار ومـا لي من عـذرِ
ثبت في الميدان وحدي مرابطاً ... فـــما عــودت قـومـي تـنـوخ عـلى الـفرِّ
ن مت لا أخشى بموتي هزيمـــة ... سأترك في الميدان جيشـــاً من الشـعـرِ

نال الشعراء كثيرًا من التسميات التي تخلد ذكراهم، ممن ارتبطت أسماؤهم بمعلم حضاري اريخي وبيئي، فكانوا صنوًا له، وعبد الحسين العبدالله إن كان عاملي المزاج والنشأة والسلوك يبقى وى يأخذه إلى ذاك المرج الفسيح مرج الخيام، حتى امتزجت الذكريات في بَوْتَقَة أبجدية الروح لمعاني، تتبادلان الهمسات الرقيقة ،تتقنان فن البوح وإخراج الأسرار على مائدة الاعتراف بعيدًا ن التنافر والتباين والتغاير، وإن ضاعت الكلمات والمفردات بين ثنايا العاطفة المشحونة بالدفء لد الاقتدار والنهوض فوق السهول الخصبة، حيث تتلألأ ليلاً باللون الفضي وتسهر على أنغام وء القمر، حتى يأذن الفجر وتخرج الشمس من قمقمها، ممسكة بريشتها فيعم اللون الذهبي نهارًا ق الروابي والهضاب، لقد تغنى الشاعر عبد الحسين العبدالله بالمرج وعيون الماء المتدفقة منه وعلى دى خريرها ووشوشتها كتب أجمل قصائده.

المـــرج[٢]

ا مـــرجُ هـــذي الـعـين والأنهـــرُ ... والـــزهـــرُ والأفـــيـــاءُ والـعـــنـبرُ
ــوضـــعُ الخـيـمـــة كـــنـــا لهـا ... نـــأوي وفي مِـــســطــاحِـهـــا نـسـمـرُ
ــن الأمـــاسي عـــابـقـــاتُ الـشـذى ... والحـــســـنُ في حـــافـــاتـهـــا يخـطـرُ
ــبـلـبـلُ الــشـــادي عـــلى غـصـنـه ... لا بـــلـــبـــلٌ ظـــــلَ ولا مِـنـــبرُ
ــن المـــهـــارى الـــدهـــم مـرخـى لهـا ... عـــنـــانهـــا والـــفـــارسُ الأســـمـــرُ
ــا لـــوعـــة الأحـــشـــاء ممـــا أرى ... ويـــا هـــنـــاء الـــنـــفـــس ممـــا أذكـــرُ

(١) اخترنا بعض من مقدمة الأستاذ شرف الدين قدمها لديوان حصاد الاشواك.
(٢) حصاد الأشواك صفحة ١٩ مصدر سابق.

وقد أشارت صدى حرمون بإسهاب إلى ما جاء في شعر عبد الحسين العبدالله عن مرج الخيام تحت عنوان (المرج) قائلة: الحنين إلى المرج ـ مرج الخيام ـ لا يفارق أفئدة شعراء الخيام إن هم ابتعدوا عنه لفترة محدودة، كيف إذا كان الابتعاد لفترات طويلة؟ ذلك أن المرج مرتع الصبا وملعب الطفولة للكثير منهم ومصدر من مصادر الرزق، فهو حديقة زهور متنوعة ولرائحة ترابه نكهة خاصة، ولأفنان أشجاره الباسقة الوارفة حكاية: حيث تتراقص أوراقها المخضوضرة على أنشودة العصافير وهي تغني هذا الجمال الخلاق وتُسبّح بآيات الرحمن العجيبة. ذكريات قديمة قدم جبل حرمون حيث كانت تنتشر الخيمات في مساحات واسعة من المرج كأنها معابد حب لا يفنى. عبد الحسين العبدالله واحد من هؤلاء الذين تنشقوا رائحة الحب ممتزجة برائحة أزهار المرج وسمع صوت هزار المرج وكأنه يغني للحبيبة.

حنين

أنادي هزار المرج لو كان يسمع ... وأنشد عهد الأنس لو كان يرجعُ
وأرسل نحو المرج نظرة والهٍ ... فيسبقها مني فؤاد ومدمعُ
على النهر بين التين ينساب ضاحكًا ... ويكسو حوافيه من الزهر برقعُ
تدلت من الصفصاف فيه ذوائب ... فغنى سرورًا والطيور ترجعُ
كأن الغصون الهيف ظمأى لمائه ... تهم فيثنيها النسيم فترجعُ
فليس بمسليني بتبنين بلبل ... وكان يسليني على المرج ضفدعُ(١)

لم تبق قصائد الإعجاب والمديح والغزل في مرج الخيام وقفاً على الشعراء بل شاركهم علماء الدين فقد ذكر الأمين صاحب كتاب السيف والقلم: بأن الشيخ طالب البلاغي وهو من علماء جبل عامل هاجرأول عمره إلى العراق و توفي فيه. ولم يذكر الأمين ما صلة البلاغي بالخيام وما المناسبة التي قيلت فيها هذه الأبيات سوى قول الأميني: حن إلى جبل عامل وبلدة الخيام بخاصة:

يا حبذا بلد الخيام ومرجها الزا ... هي وعهد الأنس والإطرابِ
بل حبذا عصر بعامل قد مضى ... ما بين قوم سادة أنجابِ
لو قيل طالب ما يزيد من المنى ... لا جبت ذكر العاملي طلابي

ـ نقول في ذلك وتعليقًا على ما أورده الأمين، نستهل هذه المقاربة بإثارة ملاحظة بسيطة

(١) صدى حرمون ـ العدد٥ ـ تشرين أول ١٩٨٩م. صفحة ١٤ تحت عنوان خياميات (وحنين عنوان قصيدة للشاعر العبدالله) بقلم الاستاذ رضا القاعوري.

الما يحرضنا الفضول على معرفة الحقيقة إذا ما وفِّقنا في ذلك حيث أن الشيخ البلاغي، الذي
ثار إليه السيد الأمين، قد تعود نشأة هذه الصلة بينه وبين الخيام التي أعجب بها وبمرجها
أهلها وساداتها، إلى كثرة تردده على الشيخ إبراهيم بن صادق، خلال فترة مكوث هذا
عالم في الخيام والشيخ إبراهيم صادق هو والد العلامة المرحوم عبد الحسين صادق، جاء
ى الخيام بعد أن صحبه معه الحاج حسن عبدالله وجيه أسرة آل عبدالله في الخيام خلال
يارته للنجف الأشرف بعد أن أدى مناسك الحج والعمرة في مكة المكرمة. وقد توفي الشيخ
راهيم صادق سنة ١٢٨٤هجري ـ١٨٦٧ميلادي[(١)] وقد عاش البلاغي في عصره وكان
يًا سنة ١٢٧٤هجري[(٢)] ويرجح ولادة البلاغي في البدايات الأولى لمنتصف القرن التاسع
شر، ومن المستبعد جدًا بأنه تردد على العلامة عبد الحسين صادق الذي ولد سنة ١٨٦٢م
وفي سنة١٩٤٨م.[(٣)] حيث إن البلاغي على ما لدينا من معطيات يكبر عبد الحسين صادق
باً بقرابة العقدين.انتهى والله أعلم.

مختارات من ديوان حصاد الأشواك للشاعر عبد الحسين العبدالله:

قصيدة العهد[(٤)]

ع اللصوص لي الـــدُروب وقبلهم … قـطـعـت حــكـومـتـهـم عــلىّ دروبي
صمي الحكومة واللصوص كلاهما … شـاكــي الــســلاح لحـــرب كــل أديــب
تـــا إلـــيّ من اللصوص ماثمُ … صـعــب المـــــراس يـكــر غــير هـيـوب
ى يفـتشني وأسخَرُ ضاحِكًـا … فـسـوى الـقـصـائـد لم يـكـن بجيوبي
يه مـــاضي الحـــد يستبقُ الفضا … مــا زال يـقـطـر بــالــدم المـسـكـوب
طـــال يبحث في الجـيـوب فلم يجد … فـلـسـاً فـودعـنـي بـطـرفِ غـضـوب
ـجلت منه حـــين قـــال لـصحبه … مـــا اشـبـه الـــسّـلاب بالمسلوب

---

(١) ذكر تاريخ وفاته محمد جابر آل صفا بكتابه تاريخ جبل عامل صفحة ٢٨٨ الطبعة الثانية دار النهار ١٩٨١.
(٢) لقد ذُكرت أبيات الشعر ونبذة مقتضبة عن الشيخ البلاغي في كتاب السَّيف والقلم للسيد حسن الأمين في
فحة٦٦٨و٦٦٩ الطبعة الاولى ٢٠٠٣م. دار الأمير.
(٣) ذكر هذا التاريخ في كتاب حوادث جبل عامل للشيخ أحمد رضا في الصفحة ٣٨.دار النهار تحقيق منذر محمود
الطبعة الاولى ٢٠٠٩م.
(٤) حصاد الأشواك صفحة ٧٠

ومن الغزل: مِرآة

بخديك هذا الورد ما زال يطفحُ ... يرف حواليه خيالي المجنحُ
وبين الشفاه اللَّعَسُ[١] وهج من السنا ... على ضوئه يمسي فؤادي ويصبحُ[٢]
إذا خط بي شيب وفي بردك الصبا ... أظل ببرد من شبابي أمرحُ
وتبعث رؤياكِ بقلبي فتوة ... كأنك مرآتي بها النفس ألمحُ

صفد[٣]

فيك من الغانيات العرب يا صفد ... سر الجمال الذي لم تحويه بلدُ
من كل ساحرة العينين فاتنة ... في خدها لهب في ثغرها بردُ
ورُبَّ واقفة في الباب ضاحكة ... كأنها وجدت مثل الذي أجدُ
تضم في حضنها لاتستحي ولدًا ... وددت لو أني في حضنها ولدُ
يا ليلة الأحد المحبوب في صفد ... ياليت أيام عمري كلها أحدُ

التوبة[٤]

أتوب إلى الرحمن مما جنيته ... وربي خبير بالعباد بصيرُ
لقد عبّد الصلاح بالخير دربهم ... ودربي أشواك بها وصخورُ
تبعت أناساً ضللوني فها أنا ... وحيد وما لي مسعفٌ ونصيرُ
همُ عللوني بالسياسة برهة ... وكل أحاديث السياسة زورُ
هم غرروني لا سقى الله عهدهم ... فصّرت على هذا وذاك أثورُ
وعانيت ما عانيت بؤساً وفاقة ... عليّ الليالي القاسيات تدورُ
ومثلي أبيُّ الضيم لا يشتكي الضنا ... ولو أثخنته بالجراح شرورُ
أتيتك ياربي عن الأمس تائباً ... فأنت ملاذ التائبين غفورُ
أمامي من أمسي قَتام مخيم ... سيجلوه عن عيني بعطفك نورُ
تركت الأُلى لم يحفظوا العهد مرة ... وقد صرعَتهم نشوة وغرورُ
حملت لكَ الأشعار والحب كله ... فكل عظيم ما عداك حقيرُ

---

(١) اللَّعَسُ: سواد مستحسَن في باطن الشفة.
(٢) حصاد الأشواك صفحة٦٩.
(٣) حصاد الأشواك صفحة ٦٥.
(٤) حصاد الأشواك صفحة٥٦.

نظر أبو كامل إلى رسمه وقال:[1]

ـــوّروني قبل المـمات لأبـقى ... بـعـد مـوتي أمـام عـين حبيبي
ركـوا الـرسـم ربـما شـوَّه الرسام ... مـا في مـلامحي مـن شحوبِ
ـاض الـجـمال فـوق جبين ... جَـعَّـدتـه قـوارعٌ مـن خـطوبِ
ك شـعـري أوفى وأصـدق رسـماً ... مـن خـيال مـزور مكـذوبِ

نظمت هذه القصيدة عندما تعين في القضاء الشرعي أحد الأشخاص الغير صالحين[2].

بين عهدين

ـرودٌ على كـرسي الشريعة ... تجلس وأقزام أقوام علينا ترأسُ
كومة هذا اليوم كالأمس لم يزل ... يقرب فيها الخائن المتجسسُ
ـهد رياض مظلم مثل غيره ... وأشقى من العهد القديم وأنحسُ
وكنت أدري أن هذا مصيرنا ... لما كان قلبي واحد يتفرسُ
ـا كنت لا قيت الذي قد لقيته ... فأُبعد عن أهلي وأنفى وأحبسُ

إلى جانب ذكائه ومقدرته الشعرية وحضوره المميز، أمير من أمراء الشعر والمنبر، نجد في أشعاره ـراً من التشائم ويغلب على نفسه الكريمة عنفوان لايلين. ثائر متمرد على الحياة يهادن ولكن يخضع يختار المعركة لقصيدته ويخرج متألقاً، وخصمه متخبطٌ في شرك شعره، وبسبب مواقفه ـطنية وقساوة شعره ضد الانتداب الفرنسي، نظم هذه القصيدة خلال فترة اعتقاله في قلعة راشيا م ١٩٤٣م.

إلى راشيا[3]

ـت من المرج أنهارٌ وغدران ... فخف للماء في جنبي ظمآنُ
ـرابع كنت أحيا في خمائلها ... كما تعيش بظل الدير رهبانُ
ـدل العيش واسودت نضارته ... لما طغى حولنا ظلم وعدوانُ
ـلوا الحليفة قد جاءت تمدنكم ... أين التمدن لا كانت ولا كانوا
كابد الهم يا قلبي أخفتَ نوى ... أم روعتك بوادي التيم أشجانُ

(1) حصاد الأشواك صفحة ٧٨.
(2) حصاد الأشواك صفحة ٥٠.
(3) حصاد الأشواك صفحة:١٥٠ـ١٥٤.

أم هل ذكرت سعادًا عندما وقفت ... واغرورقت بدموع الطهر أجفانُ
قالت أبي كيف تبقينا بلا سند ... وحولنا من بني الانسان ذئبانُ
جاءت تودعني لكن زبانية ... قلوبهم من لهيب الحقد بركانُ
تعرضوا دون ما أبغي فلا بقيت ... تلك الوجوه بها للشر عنوانُ
يا حافظ الأمن لا تمش بنا عجلًا ... فلي على الربع أحبابٌ وخلانُ
فشد لم يرعو نفسًا ولا خلقًا ... كأنني ملك وليه شيطانُ
يا للثلاث ليال ما طعمت بها ... قوتًا ولا نعمت بالنوم أجفانُ
في غرفة كظلام القبر موحشة ... كأن حيطانها البيضاء أكفانُ
جن الدجى فسميري في جوانبها ... بق مريع وفيران وديدانُ
وأقبل الصبح لم أشعر بطلعته ... فالليل والصبح أشباه وأقرانُ
وقادني حيث لا أدري أخو صلف ... في برده من شديد العجب (ويغانُ)
يعطي الأوامر للربان في كبر ... ومر كالسهم في بيروت ربانُ
ثم انثنى للأعالي الشم مركبه ... حتى غدا تحتنا كالبحر لبنانُ
ترنح المركب الجبار منحدرًا ... كما تحط من الأجواء عقبانُ
ويمم التيم يجتاز البقاع وقد ... لاحت من التيم أعلام وكثبانُ
واضيعة العرب لا واديهم نضر ... ولا البقاع ندي النبت ريانُ
زرق الشياطين عاثوا في مرابعه ... فانحل مجتمع وانفض ندمانُ
يا رب معتقل من طيب ساكنه ... كأنه روضة غناء وبستانُ
شم العرانين في حافاته جلسوا ... فكلهم خلق سام وإيمانُ
رب العمامة هل نبئت ما فعلوا ... وأخبرتك بما قد صار أعوانُ
لك الهنا أنني في التيم معتقل ... تحيط بي من شباب العرب فتيانُ
حدثتهم عنك فاهتزت جوارحهم ... مما فعلت كما تهتز أغصانُ
تركت سربًا من الأفراخ في قلق ... لهم على البعد إعوال وإرنانُ

وقصيدة أخرى نظمت أبياتها في المعتقل أثناء الحرب عندما سمع أن بنات لبنان يجمعن ألبسة لمحاربي ستالينغراد(١)

كوكتيل

بنات لبنان هزتهنَّ عاطفة ... وخفن من برد كانون على الروسِ
فرحن يجمعن أصوافًا وأقمشة ... ينسجن للروس منها خير ملبوسِ

(١) معركة ستالينغراد هي معركة حدثت بين ألمانيا النازية وحلفائها، والاتحاد السوفييتي حدثت في مدينة ستالينغراد التي وقعت بين ٢١ أغسطس ١٩٤٢ و٢ فبراير ١٩٤٣.

يا بنت لبنان لا خابت ولا بليت … تلك الأنامل تشفي الجرح أو توسي
هلا التفت لراشيا مرفهة … في برد كانون عن إخوانك الشوسِ
ناموا جياعًا عراة يحسدون على … هناءة العيش جندًا في المتاريسِ
ظنه لو أراك اليوم منصفة … أولى بعطف وتكريم وتقديسِ

يفتخر بأنه من قوم تنوخ لقب حمله أجداده في بداية القرن الأول للميلاد.

عناء(١)

ادى الطغاة الحاكمون بظلمهم … ومذ تمهل الأوغاد تمعن في الشرِّ
أصبر حتى ينقضي عهد حكمهم … وينجاب هذا الليل عن طلعة الفجرِ
ا فر أصحابي فلا أقتدي بهم … فللقوم أعذار وما لي من عذرِ
أثبت في الميدان وحدي مرابطاً … فما عودت قومي تنوخ على الفرِّ
إن مت لا أخشى بموتي هزيمة … سأترك في الميدان جيشًا من الشعرِ

قرابة في التنوخية بين أبي كامل عبدالحسين العبدالله وأبي العلاء المعري، يقول المعري واصفًا
ثلج:(٢)

انا في الولادة وهو شيخٌ … فأزرى بالشباب وبالشيوخ
قال أريدُ عندكم تنوخاً … فقلت أصبتَ إني من تنوخ

قصيدة رثاء من أجمل قصائده كتبها الشاعر العبدالله في ذكرى أسبوع ولده كامل العبدالله سنة
١٩٧ م. وهذه القصيدة غير موجودة في ديوانه حصاد الأشواك(٣).

(١) حصاد الاشواك مصدر سابق صفحة ٣٥
(٢) صفحة ١٢٤ من كتاب الأراء الفلسفية عند ابي العلاء المعري وعمر الخيام تاليف الدكتورة تغريد زعيميان دار
افة للنشر ٢٠٠٣
(٣) يحفظها عن ظهر قلب المرحوم الشيخ حسين عبدالله أمين أسعد عبدالله.

سَواكِبُ الدّمعِ

تجهم العيشُ لا صبحٌ ولا أملُ ... ليلٌ من الهم والآلام منسدلُ

تغفوا عيوني على البلوى فيوقظها ... خطبٌ تضيقُ به الآفاق والسبلُ

حَمَلتهُ على ضعفي أنوء بهِ ... فليس يحملُهُ سهلٌ ولا جبلُ

مررتُ بالدار أبكيها وأسألُها ... عن الأحبة قالت إنهم رحلوا

ما زال في الدار من أطيابهم أثرٌ ... يهزُ قلبي إلى الذكرى فيشتعلُ

وفي المقاعد من أطيافهم صورٌ ... تظلُ تنكئ جرحاً ليس يندملُ

أبكي وتبكي صغيرات مُروّعةٌ ... مثلي فأحمل عنهن الذي حملوا

يدرن حولي وفي العينين حائرةٌ ... تساؤلٌ ليس لي في رده قِبَلُ

لجأت للصبر لكن ما ظفرت به ... فالصبر في الكون قولٌ ما له عملُ

يا ويح قلبي أقلبي صخرةٌ فأنا ... معذبٌ، حبذا لو سارع الأجلُ

تُغالب الدمع أجفاني فَتَغلِبُها ... سواكبٌ من جراح القلب تنهملُ

غيري شكى الليل من طولٍ بهِ وأنا ... وددتُ أن الدُجى بالعمر متصلُ

أشتاقُ ذاك الحديث العذب أسمعه ... وذلك الثغر كم لي عنده قُبَلُ

هم ملء قلبي وملء العين ما برحت ... كالأمس ما بيننا الأخبار والرسلُ

يا ساكناً في رحاب الله طِبتَ ثرىً ... وطاب مقدمُك الميمون والنزُلُ

روعتني في خريف العمر تركتني ... حمّلتني بالنوى ما ليس يُحتَملُ

المرحوم الحاج
مصطفى ابن الحاج حسن عبدالله

صيدة رثاء ألقاها الشاعر عبد الحسين عبدالله في أسبوع عمه الحاج مصطفى ابن الحاج حسن عبدالله عام ١٩٣٢م.

الدمعة الباقية[1]

صائب من زمانك أذكر ... يا مرج حياك السحاب الممطرُ
إلى الماضي فتكبر قيمة ... عندي وأنظرك الغداة فتصغرُ
الأُلى كانوا بربعك معقلا ... فيه يلوذ الخائف المستنصرُ
رج الآساد ما لي لا أرى ... شبلًا يصول ولا ليوثًا تزأرُ
ربع المرج أسأل عنهم ... وبوجنتي من المدامع أسطرُ
في نفسي هنا مرت بهم ... جرد الصوافي والوغى تتسعرُ
مشى بين الصفوف محمدٌ ... وله أكاليل الزعامة تُضفرُ
لإبراهيم شيدت كعبة ... بفنائها المجد المؤثل يزهرُ
بلابل في رياضك أسكتت ... ومشى الغراب على ربابك ينقرُ
ر الوادي فلا جنانه ... دار النعيم ولا خيامك عبقرُ
يا مهد الكماة منا الذي ... أدمى الحشا إلا حماك المقفرُ

اد الأشواك صفحة١٨٧

لـف الـردى بـيض الوجوه سماحة   الله مـا يـطـوي الـزمـان ويـنـشرُ
وتـطاولـت كـف العـدا وعـهدتها   عـن نـيـل ذروتـك المـنيـعـة تـقـصرُ
تـخبـو النجـوم وغيرها يـبـدو ولا   ألـقـى نـجـومًـا في سمائـك تـظـهـرُ
عقمت بطـون الأريحيـة والعلى   فـمشى بـساحـتك الـزمـان الأغـبرُ
غـير الزمان ولا يـهـو لـك فتكها   عـن عـرشـه فـيها تـرجـل قـيصرُ
يـكفيـك ابنـاك السـوابق للعلا   فـلكـم تـطلـع مـن حـماك غضنفرُ
ودع بـقيتهـم فـهـا هـو راحـل   يـقـفـوه مجـدك والـنـهـى والمـفـخـرُ
قـطعـت بـه رحـب الـفـلا سيارة   صـفـط مـن الـعـليـاء فـيـه جـوهـرُ
خـفاقـة الأحشـاء مثـلي عندما   وافى بـداهـيـة المـصـائـب مخبرُ
أسـرعـت لكـن ما ظفـرت بنظـرة   مـا كـان أسـعـدني لـو أني أظـفـرُ
فوقفت فوق لظى الهموم ومقلتي   عـبراتـهـا مـن حـسـرة تـتـحدرُ
متلفتاً بين الديار كظامئ   يـرد السراب ودون جـدوى يصدرُ
أمشـي ويقعدني المصاب فمن رأى   بـالـدوح طـيرًا جـانـحـاه تـكسرُ
أبقيـة الأعـمـام أشبال العـلا   عـذرًا فـمثلي في مـصابك يـعـذرُ
هـذي بقية أدمـع محمومة   كانت لـيومك في عيوني تذخرُ
سر بالأمان فما عليك غضاضة   قلبي وراك ومن أمامك حيدرُ
قلب كما فارقته لك جامح   لم يثنه صلف ولا متكبرُ
صور البيان الغر من أحلامه   وصـيـان مجد أبيك مما يضمرُ
وأنزل هناك على رحاب محمد   عطف حنان مثلما تتذكرُ
قلب يفيض حمية وحشاشة   كانت لبعدك نارها تتسعرُ
لا تذكرن له الخيام وما جرى   فإذا أبيح الغاب ريع القسورُ
دار جنان الخلد من أطلالها   والند من نسماتها والعنبرُ
ودّت ملائكة السماء لو أنها   في ذلك الربع المقدس تحشرُ
ما رحت أستقي الغمام لروضة   من قدس تربتها يسيل الكوثرُ

أبيات من الشعر كتبها على قبر أخيه المرحوم:

عبداللطيف بن اسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله عام ١٩٥٧[1].

حيِّ قبراً يضمُّ بدر سماءٍ ... غالهُ الخسفُ قبل وقت الخسوفِ
وطواه الردى حُساماً صقيلاً ... ذا فرندٍ صافٍ وحدٍّ رهيف
ومضى عاطر المآزر حُرّاً ... لسوى الفخر لم يكن بحليف
ذاك عبد اللطيف من طاب ذكراً ... هو كالمسك عابقاً في الأنوفِ
أرخ بغيث اللطيف يُسْقَى لحده ... أيّ لُطفٍ حوى ضريح اللطيفِ

العبقرية الخالدة[2]

ـا جئتكم لأحيِّ الجاه والزعما ... بل جئتكم لأحيِّ العلم والعلما
لشعر لم يغره بيت ولا نسب ... ولا أجاد على أوتاره النغما
قدس الكوخ بالفلاح متضعاً ... ويزدري القصر بالنوّاب مزدحما
ـا للقوافي وأشباح على سرر ... تطاولت كبرا واستعرضت شمما
عيذها من تماثيل مزخرفة ... صارت عمالقة واستوزرت قزما
ـر بالحي لا تلوي على أحد ... وبات ناخبها يسترض الحلما
ـوخ يشع جبين العبقري به ... أسمى وأكرم من قصر حوى صنما
ـم أطلع الكوخ في آفاقه قمرًا ... أضاء في الكون حتى بدد الظلما
سير في موكب الأجيال موكبه ... تهدم الهرم العالي وما انهدما
تلو على مسمع الدنيا روائعه ... بباقة أملا جياشة حكما
ـمى المعرة يبقى ذكره أبدًا ... ويطمس الدهر هارونًا ومعتصما
ـروس عامل هل في الأفق بارقة ... من عبقر بعد صباح تبل ظمى

---

[1] عبداللطيف جد المؤلف لوالده وقد سمي باسمه، ولعبد اللطيف ثلاثة أولاد حسن ، حسين ، محمد، وبنت فاطمة.

[2] حصاد الأشواك صفحة: ١٢٤ - ١٢٨ هذه القصيدة الرائعة ألقيت في ذكرى النابغة حسن كامل الصباح (١٨٩–١٩٣٥) النابغة الصباح من بلدة النبطية جنوب لبنان انتقل عام ١٩٢٧م إلى الولايات المتحدة الأمريكية سؤول عن عشرات الاختراعات في شتى المجالات العلمية وتوفي بحادث سير في ظروف غامضة.

تراقب العرب مغناك وترمقه ... لعله يستعيد اليوم ما نظما
غمرت أرجاء دنيا العرب عاطفة ... عليا وحلقت في أجوائها كرما
فكنت أسخى يدًا من كل ذي كرم ... هذا هو الجود لا ما قدم الزعما
أطل من أفقك الصباح نور هدى ... ولاح في ربوات الغرب بدر سما
شاحت إلينا عيون الغرب شاخصة ... وأقبلت تتلقى الحاذق الفهما
فراح يستلهم الإعجاز مخترعًا ... وهب يمشي إلى عليائه قدما
حتى إذا أنهض الدنيا وأقعدها ... وكاد يقلب في تفكيره النظما
حنت إلى الشرق نفس في جوانحه ... فياضة بالوفا مشبوبة ضرما
للكرم نفوس لا يغيرها ... عن الوفا إن جل أو عظما
فكلما ارتفعت شأنًا سمت خلقًا ... فقدست وطنًا أو واصلت رحما
فيم الوطن الغالي لينفحه ... فكرًا من العلم بالإبداع محتدما
لو أطلق القدر العاتي أعنته ... أفاض في كل أرض سيله العرما
ما كل يوم ترى الأيام نابغة ... يسخى به الدهر مهما بالغ الكرما
ما مر ذكرك وضاء بخاطرنا ... إلا تفطر قلب العرب وانحطما
ما لي أرى زعماء القوم ما هرعت ... إلى ضريحك تستسقي له الديما
اما مررت لهم يومًا بذاكرة ... صماء لا تعرف الاخلاص والذمما
ما قلدوك وسامًا من مراتبهم ... لو كنت قلدته لم ترتفع عظما
سيذهبون ويبلى ذكرهم معهم ... وأنت تبقى على الأجيال محترما
عذرًا إليك إذا للحق ما صمتوا ... ففي المسامع وقر والقلوب عمى
حسبي من الشعر أبيات أرددها ... بيوم ذكرك درا يشبه الكلما
تنهل في مسمع الأحرار قطر ندى ... والخائن النذل يصلى نارها حمما
روائع لا ينال الدهر عزتها ... لو تصدم الجحفل الجرار لانهزما

قصيدة أخرى للشاعر عبد الحسين العبدالله

الحلف(١)

ـن الخليل وآل أسعد أخلدوا   للسلم واطرحوا الخصومة جانبا
ـوفق أجمل بينهم فعقولهم   خلقت على بعد الجدود أقاربا
شعب أجفل في الجنوب وقد رأى   حلفاً يضم أفاعياً وعقاربا
ـشد من الذئبان حد نيوبه   نهما وقد شهد القطيع السائبا
ـن كل ناحية به قد أحدقوا   سدوا عليه مسالكا ومساربا
ـحومة الميدان حرب عقائد   تطغى فتبعد أصهراً وصواحبا
ـعونك يا جنوب فكلما   ودعت نائبة لقيت نوائبا
ـذي مؤامرة عليك تحوكها   أيد تشد لناظريك عصائبا
ـربات فنّان وحذق مُعلم   قد فرقتك عناصرًا ومذاهبا
ـا إن أزحت الأجنبي ونيره   حتى رأيت سواه فوقك راكبا
ـجنبي أعف منهم ذمة   والأجنبي أرقى منهم جانبا
ـتات من دمك المراق عصابةٌ   سمنت ونمت على المذلة ساغبا
ـلابسون لكل عهد ثوبه   يتلونون أعاجمًا وأعاربا
ـكلون من الفقير رغيفه   والمتخمون مغانمًا ومكاسبا
ـد كنت تأنف أن تنام على الأذى   وتظل في وجه الطغاة مشاغبا
ـيوم مثل الأمس حكم جائر   فلما رأتك صامتًا لا صاخبا
ـدجل ركب الضلال وما ارعوى   ينساب شيطاناً ويخطب راهبا
ـذي النعاج الهائمات على الطوى   في البيد تضرب لا تلاقي صاحبا
ـص من دمها الذئاب وتنثني   عجفاء تمسح للذئاب مخالبا
ـبوا على التاريخ كم قد سطروا   صوراً مزيفة ومجداً كاذبا
ـلا بصرح البرلمان ضجيجهم   فسألت ماذا ؟ قيل زادوا الراتبا

(١) من ديوانه حصاد الأشواك صفحة:١١٧ - ١١٩ نظمت هذه القصيدة عندما تصالح كاظم الخليل وأحمد ـعد سنة ١٩٤٩م.

كفـــارة

علامة العصر من أنباك قد كذبا ... أني أصلي فعقلي بعد ما ذهبا
ولحيتي لم تطل يومًا كلحيتكم ... ولا عقفت كابن الأسعد الشنبا
ولا حملت كذيل الهر مسبحة ... ولا تركت الهوى والشعر والأدبا
نكبت بالشعر تكفيني نوائبه ... دعني ومن بالصلا والصوم قد نكبا
عفت الصلاة لشيخ راح يمنعني ... شرب المدام ودوما يأكل العنبا
يعذب الله مَن خان البلاد ومَن ... باع الضمير ومَن مارى ومَن سلبا
أما أنا كي أزيد النار فوقكم ... قدمت جسمي إلى وقادها حطبا

الشاعر حسن محمود عبداللّه ١٩١١-١٩٩٠

شاعر عاملي من الشعراء والأدباء المعاصرين ابن بيئة الجنوب اللبناني ابن بلدة الخيام ومن نسل الكرام شعره يشبه لمع الحسام وبوّحٌ كهديل الحمام وسلام لمن ألقى السلام وليث على اللئام، وفي شعره عشق وهيام فشعره أنيق كأناقته، وهندامه جميل كجمال الطبيعة الخلابة ابن الأرض المعطاءة أنفاس أشعاره غلال، دارة أبو فيصل كما نرغب أن نناديه فهو فيصلٌ وشعره فيصل وولده فيصل، ليست ككلّ دار دارٌ شادت فيها الحياة صرحًا من الشعر ومملكة من الأدب تُقتبس كلماتها وحروفها من عطر أشجارها الباسقة ورائحة الشاي الأخضر والتين والزيتون والرمان وأسراب الحساسين التي لا تفارق ثمارها، تغتسل من قطرات الندى المتساقطه من أشجار البيلسان وشمس نيسان، خجولة تطل خلسة من بين مُزْنِ السماء كعروسٍ تنظر إلى عريسها بخجل ،وترميه بابتسامة من صفاء الثغر النقي من بين شفتين بلون شعاع الشمس ،حكايات الزمن رسمتها التجاعيد على سيقان أشجار الزيتون والتين واشجار الصباركخارطة العالم عالم الحب والجمال والكلمة الصادقة.

انظر إلى قول الشاعر:

ونعود نقطف من ثمار بيوتنا ... ويشكنا في شوكه الصبر

وهذا عصفورٌ دوري شقي احدودب منقاره لكن لم يهزمه الكبر، يختال بمشيته على حافة الجابية

وكأنه من حراس الصرح ينفخ عنقه الأسود فيبدو كبيرًا أمام زائريه، لم يخف منه أبو الحناء يريد أن يرتشف بمنقاره الصغير من تلك الجابية قبل أن يتابع سيره، يجول على حواكير الضيعة قبل أن يأوي إلى وكُنه.من يعرف دارة ابي فيصل لا يمكن أن يتخطى مفردات الطبيعة بكل ما تحمله من جماليات فجاءت المقدمة مستلهمة من تلك الطبيعة الخلابة.

وما سوف نقوم به من تعليق على شعر أبي فيصل ليس تفسير مصطلحات أو معاني كلمات، فشعره راق وسلس وسهل على الذهن، ولكن أن نضع شعره في سياق فلسفي تعكس فلسفة الشاعر في مرآته التي اختارها لنفسه كشاعر، فليس هناك شئ في هذا الكون لا يملك فلسفة لأن قيمة كل شيء في فلسفته، هو ليس تفسير كما ذكرنا وإنما وضعه في قالب فلسفي لإخراج عمقه وتوضيح مسلكه وغاياته، واخراج جماله ورونقه وحسه وأدبياته وتأثره ورسم هيبته وعنفوانه ومجده من هنا انطلقنا نحو شعر أبي فيصل رحمه الله.

الشاعر حسن بن محمود ابن الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله

ولد في الخيام سنة ١٩١١م. توفاه الله سنة١٩٩٩م. بدأ حياته العملية متطوعًا في قوى الأمن الداخلي (الجندرمة) نظم الشعر بالفطرة منذ الصغر ولا عجب ولا غرابة ولا طرافة في ذلك، أن يكون شاعرًا مميزًا فجده الحاج محمد الأفندي كان من كبار شعراء جبل عامل في العهد الثاني كما جاء في تاريخ جبل عامل صفحة ٢٩٠فأجاد الشعر وبرع فيه بل وزاحم الشعراء.

يقول الشاعر أبو فيصل في مطلع إحدى قصائده:

شـعـري بـمـقـبـرة الـنـظـام وحـيـد ولـه مـن الأدب الـرفـيـع جـنـود

جاءت قصائده صادقة صافية سلسة حلوة المذاق في رقي أدبي مميز

يقول:

خـذهـا مـن الـعـاشـق الـمفـتـون بـالأدب عـذراء تـرفـل في أثـوابهـا القشب

تعبير عن أحاسيس صادقة صافية نقية شفافة ونفس شغوفة حريتها أن تبقى حبيسة أنفاس الشعر والأدب، هناؤها وحبورها أبيات القصائد المتدلية كثريات مرصعة بالماس، فكانت قصائده بحق من عيون الشعر العربي.

يقول:

أغفو وفي الماضي الجميل أفكر ولكل فصل من حياتي أنظر

استطاع الشاعر بمقدرته الفنية وحسه الأدبي وبسحر بلاغته وأسلوبه الراقي على سبك الكلام دون تصنع ومواربة، فجاءت قصائده متنوعة: نظم في الغزل ، والسياسة، والوجدانيات، والرثاء، والمدح.. شعر أشبه بفصول السنة لايموت الشعر عند أبي فيصل سينبت مرة أخرى وبثوب قشيب وحلة جديدة، وعطر أكثر فواح يستخرج أبيات شعره من مكنون الماضي وينفخ في كلماتها فإذا هي قصائد وارفة وباسقة إلى العلا.

جاء في إحدى قصائده الغزلية

ماء الشبيبة

ماء الشبيبة في الخدود يسيل والثغر كالورد الجميل جميلُ
والخصر كالغصن الرطيب وإنما بالغنج لا بالعاصفات يميلُ
والردف ترعشه هنالك صبوة فيخونه التنظيم والتعديلُ
وأنا أدغدغ بالتأمل خاطري فتثور عاطفة الهوى فأقولُ
قد كنت والغيد الأوانس جثم حولي، وعندي للغرام فصولُ
واليوم تنظرني الغواني نظرة مزورة حتى كأني الغولُ
مرج الخيام ذكرت فيك مواقفًا وأنا على التل الشهير أجولُ
فرأيت دمعي تناسى كبره ينساب فوق الخد وهو ذليلُ

من نظر إلى هذه الأبيات الغزلية و ما جاء فيها يجد بان الطبيعة بكل ما تحمله من جماليات تقتحم واقع الشاعر، إن استعمالنا لكلمة "تقتحم" آثرنا زجها ونزلنا تحت حكم مرادفاتها لأن في تجاوزها يكون العمل مبتورًا وهلاميًا وضبابيًا، لا بد من أدوات تزيل هذا الإبهام ليس في الشعر وانما في المظهر الخارجي لنطاق الشعر وفضائه الرحب، بالعكس الشعر حفزنا وشدنا مكرهين للبحث في عناصر تكويناته لماذا؟ لأن الشاعر كان ينأى بعفوية بأن يبقى في سياق التجرد والبعد. فكانت كلمات كالورد..الغصن ..الفصول ...المرج ..التل ..وغيرها بما لها من تأثير وحضور قوي في مخيلة الشاعر يصعب الفكاك منها وإهمالها أو حتى الخروج من هذه البيئة، لأن البيئة هي الشاعر

والشاعر هنا هو البيئة، كلمات تمثل حركة الطبيعة في نفسيته هو التجسيد والأرضية الصلبة التي بنى عليها ملكته الشعرية، وملكة الشعر لا بد أن تترعرع في صرح فباتساع هذا الصرح ورحابته وتعدد شرفاته المطلة شرقًا وغربًا، وبقدر اتساع الأفق والترابط بين الماضي والحاضر، تكون العناوين كبيرة ومهمة للغاية. فاستطاع بمهارة عالية أن يثري أبيات شعره بهذا التزاوج بين الجمال الإنساني في مفرداته والطبيعة الخلابة، ليبرز رقي المقدرة في التعامل ومقدرة الرقي في هذا الإنسجام الثنائي.

قصيدة أخرى في الغزل

الحب داء

لحـــب داء والـــوصــــال دواءُ ... والــهــجــر ســقــم، والــلــقــاء شــفــاءُ
والعطف كل العطف، ما جادت بــه ... عــن رغـبـة فـي نـفـسـهـا الـحـسـنـاءُ
ولـكـم مشـيـت مع الـزمان مسالمًا ... حـتـى عـيـيـت ومـلـنـي الإعـيـاءُ
ورأيـت أن الـنـفس تـطـلـب غـادة ... وبـكـل نـفـس عـــزة وإبـــاءُ
ـرأيت من حكم الزمان تصفحي ... كـتـب الـغـرام، ولـلـهـوى أهــواءُ
مشيت مـقـدامًـا بمعركـة الهـوى ... فـتـعـرضـت لـتـقـدمـي هـيـفـاءُ
ـرنـو بـمـقـلـة جؤذر ويشـع من ... ذاك الـجـمـال الـمـسـتـنـيـر ضـيـاءُ
ـختـال تيها كلما عبث الهوا ... فـي عـطـفـهـا ويـسـرهـا الإطـــراءُ
طبيـعـة الـفـتيات تأنس عـنـدما ... يـجـتـازهـن عـلـى الـجـمـال ثـنـاءُ
صاحبي إن الـفـتـاة يـزيـنـهـا ... شـيـئـان: إنـسـانـيـة وإبـــاءُ
ـتى رأيـت من الفتـاة خفـة ... يـأتـي بـهـا كـأسـيـر إيـمـاءُ
ـحِّ فـؤادك عن هواها والتمس ... من زان مبسمها الجميل حياءُ

من تمسك بكلتا يديك دفتيّ هذا الكتاب وتقرأ البيت الأول من القصيدة الغزلية الثانية

ـــب داء والـــوصــــال دواء ... والهـجـر سـقـم، واللقـاء شـفـاء

لوجدت بأن هذا البيت هو القصيدة يختزل كل أبياتها تقرأ لترى تلك البراعة المتناهية والفن ي قل نظيره، وسبكٌ رائع يعبر عن شيء واحد هو السهولة في التعبير ووضوح راقٍ جدًا في نى، وإذا ما تلمّست كلماتها في أسلوب الدندنة الموسقية لكان فنًا طربيًا راقيًا يقابله في الضفة

الأخرى ما صوّره قول كعب بن زهير:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلبي اليَومَ متبُول مُتَيَّمٌ إثرَها لَمْ يُفدَ مَكبول

وإن اختلفت القافية واختلفت البيئة والزمان والمكان، إلا أن ثمة نسائم تتحكم بالعمل الشعري والأدبي تضفي عليه نوعًا من التناغم والإنسجام على كلا البيتين والشاعرين، هو الحس الموسيقي ونسيم النغمات وندى صوتها ودندنتها .

بالعادة تأتي كلمات القصيدة لتوضح صورة العمل الفني وتبرز النفسية الجمالية لدى الشاعر، إن كان بالغزل أو بالرثاء، لأن رقي الجمال النفسي هو تقمص الخصائص المناخية والبيئية لمادة العمل فكان الجمال النفسي طاغيًا وأثبت حضورًا متناهيًا في الجدية.

وبعض أبيات من شعره الوجداني:

الإنسان والحقد

قلوب بني الإنسان يملأها الحقد وكل فؤاد منهم حجر صلدُ

كلامهم يأبى الحليم استماعه كبيرهم ثور صغيرهم قردُ

وأعجب للأيام كيف تغيرت وكيف اعتلى من فوق سيده العبدُ

ونعلم أن الملك لا بد زائل وكل طويل في الزمان له حدُ

تأمل بدر الأفق في حال تمه يتعود كما أبدى إذا اكتمل العدُ

عرفت الليالي واختبرت صروفها فليس لخلق من مدارتها بدُ

ومن عرف الدنيا كمعرفتي بها ينام قرير العين يحرسه الحمدُ

جرأة الموقف في الكلام تعكس الشجاعة الشخصية لدى الشاعر، يظهر الصورة كاملة هنا دون أدنى مواربة يسجل نقاطًا عدة لا بد من التوقف عندها، يظهر الشاعربكبرياء المتحسرعلى واقع اعتلته جهلة وألبسته لبوس الطيبة، بينما يرشح الخبث من معاطفهم مهما حاولوا إخفاءها. وأظهر اعتزازًا بالنفس وخطى لمزدحم الحياة وعبثها يسجل نقاط اعتراضه، يصف الدواء لداء يتحسسه الشاعر. وأظهر شجاعة لأن الشاعر إن لم يكن يملك الشجاعة يصبح شعره متواريًا خلف المعاني، كمن يطلق الرصاص في الفضاء لإرهاب عدوه في حمى المعركة. وأظهرجرأة غير مقيدة لا بالزمان ولا بالمكان وإن جاء السبك هنا في سياق انفعالي عفوي عادة الشعراء هكذا هم، إن لم ينفعل الشاعر ويتفاعل مع الحدث تظهر الركاكة في عمله الشعري وإن حاول إخفاءها.

وهذه قصيدة وجدانية أخرى من قصائد الشاعر أبي فيصل.

ذهب الشباب

ب الشباب وقدر الهجر وتغير الإخوان والدهرُ
بعد قد حطت ركائبه وبجنبه يتضاءل العمرُ
قرب أمسى عندنا حلما من منزل في ناظري بدرُ
ل ذلك المرج الفسيح كما هو مازال يأرج في جنباته الزهرُ
هدي بغادات الحمى يقصدنه والوعد فيما بيننا العصرُ
ضمنا اللذات في أحضانها وحديثهن بخاطري سكرُ
هر إن أعطى لنفس متعة ونظمت شعرًا صفق النهرُ
ليت شعري هل نعود إلى الحمى ويطل من أبوابنا الفجرُ
عود نقطف من ثمار بيوتنا ويشكنا في شوكه الصبرُ
هات ما أرجو حلمًا إنما أملي بمن في كفه الأمرُ
ب الزمان فأصبحت أيامه من كل مكرمة له تعروُ
كان شمرًا في حوادث كربلا واليوم كل مسلح شمرُ
كنما إن شئت دفع بلية سلاحك يا هذا فؤادك والصبرُ

نستطيع أن نقول وجدانيات وغزل وتألم... سكب من الأحاسيس المرهفة تمايزت بشفافية ة، وأبرزت تنافسًا لم يعد خفيًا أبداه الشاعر بين الشعور واللاشعور، لو نظرنا إلى الثلاثة ت الأولى كيف نقرأها:نقرأ في شعور الشاعر معطيات كاللَّوْمَ .. العِتَابَ..التكدر... الإحباط اؤم... والألم. لكن تمهل إن نفسية الشاعر عزيزة بل وكريمة في العطاء لأن اللاشعور عند ر ليس ذو تكوين عفوي، أولوازم تورية..وبالتأكيد ليست إرهاصات لماذا؟؟؟ لأن بُعد ات الأساسية في تكوين العقل الباطن زاخرة جدًا بل وهطالة في التفاؤل وسخية في العطاء، أبيات الشعر التي تلت الثلاثة أبيات الأولى، أعادت روح التفاؤل وأضفت بنكهته الرائعة، إن الصعود والهبوط هو راحة ورياضة للنفس، انظر كيف اختلفت المعطيات المرج الفسيح... ...الزهر...أحضان... سكر ..النهر ... العصر.. هو الخروج من الضيق والحنق إلى فضاء

فسيح ورحب. مقدرة قل نظيرها. وإذا نظرنا إلى صورة الشعر بشكل شامل وكامل، لرأينا أن أبعادها تتلون كقوس قزح وتتموج، لا تترك لصفاء الذهن أن يستكين أو يستريح تسارع الصور المختلفة خلق تحديًا بل صراعًا أيقظ ذهنية القارئ، مثله كمثل شاعر يصادق الطبيعة ويرسم جمال ألوانها من حروف كلماته، وفي يوم من أيام الربيع زاره الضباب زائرًا ثقيلًا وحال بينه وبين ما يأنسه في الطبيعة من جماليات لم يعد يرى من هذه الجماليات إلا بياضاً، فجأة تعطلت أدوات الرسم يلجأ الشاعر إلى الذاكرة وصورها فإذا هو على هذا الحال ينقشع الضباب، ماذا يحصل بالتأكيد صراع بين الواقع وصور الذاكرة يظهر على شكل تشويش للحظة. هنا الشاعر أراد لنا هذا المسار وحرّكنا بإتجاه ما يرغب، تلك هي مقدرة الشاعر على سحر القارئ رحم الله شاعرنا أبا فيصل.

ضيف استثنائي لم يستطع إخفاء إعجابه بشعر أبي فيصل ضيف لديه فصل الكلام وطهر اللسان، آثر أن يدلي بدلوه فكان نعم المُدْلي استذوق شعر أبي فيصل وهو صاحب الذوق الرفيع والهامة العالية رغب بزيارة صرح الشاعر ومَن منا لا يرغب بأن يكون المُضِيفَ لهذا الزائر الأديب والشاعر والعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق (قدس الله سره).

يقول في أبياته الشعرية لأبي فيصل انت الأديب المثقف:

أبا فيصل أنت الأديب المثقف ... ومن هو من بحر الفصاحة يغرفُ
فيأتي بأبيات حِسَانٍ كأنها ... لآلئ بها الغيد الحسان تشنفُ
إذا شئت سميها وقول فكأنها ... ثمار من الجنات تجنى وتقطفُ
بها كل يوم إذ يجيء يزورنا ... يمتعنا بالدر منها ويتحفُ
يخفف عنا الداء لذة سمعها ... ويذهب عنا بالأوجاع ويصرفُ

يرد الشاعر أبو فيصل بهذه الأبيات الجميلة :

لقد قلت لي :أنت الأديب المثقف ... وقولك يحلو في فؤادي ويلطفُ
ولو أن إنسانًا سواك يقول لي ... وإن كان من بحر الفصاحة يغرفُ
لما لذ لي ما قيل إذ أنني أرى ... مقالك كل القول منه يشرفُ
وأما زيارتي لشخصك لم تكن ... زيارة من في وجهه يتزيفُ
ولكنني شاهدت نورك نور أحرف ... عليه فؤادي لا يزال يرفرفُ
من الصعب إنسان سواي يحلها ... بوجهك والإنسان بالوجه يعرفُ
وإن قلت أبياتًا حسانًا فإنني ... بكل بديع من معانيك أعزفُ

أبو فيصل وشعره في السياسة:

في منتصف السبعينات وبناء على طلب إذاعة الجنوب أرسل إليها ما يلي:

أبعث اليكم بما يجول في خاطري، وأنا أتألم لما يجري في هذا العالم، أتألم لرؤيتي الإنسان لا يرحم
[...]اه الإنسان، وخصوصًا في وطني لبنان.

وطن يباع

[...]ـن يـبـاع بـدرهـم نامـوسـه — فـبـدا يـقـدم لـلـنـضـال تـيـوسـةُ
[...]كـامـه، نـوابـه، وزراؤه — كـل مـهـمـتـه، يـبـحـبـح كـيـسـةُ
[...]كـيـك يـا وطـنـي بـدمـعـة آسـف — ومـن الـتـأسـف بـاكـيًـا محـسـوسـةُ
[...]ـلـوك أجـنـاس، ولـكـنـي أرى — جـنـسًـا سراحـين الـذئـاب تـسـوسـةُ

[...] الشعر السياسي لدى شاعرنا أبو فيصل له نكهة خاصة، لا يأبه بمن يمارس السياسة ينعته بما
[...]به من نعوت تليق بسلوكه السياسي،ويأبى الانصياع بل يغمض عينيه ويصغي إلى صرخة
[...]س فيأتي شعره صدى لمجتمعه مثقلًا بآلامهم ومتاعبهم، سياسيون يتقاسمون قوت مواطنيهم،
[...]رد الشاعر على هذا الواقع المزري ويثور شعراً وكلماته تأتي كصفعة على وجوههم.

[...]مناسبة إحدى الإنتخابات النيابية في الخيام

[...]ـغـيـد تـطـربـنـي ولا الآرامُ — حـتـى ولا في لحـنـهـا الأنـغـامُ
[...] مـطـربي صـوت الـرصـاص ببلدة — خـضـعـت لـبـأس شـبـابهـا الأيـامُ
[...]وى الخـطـوب كَـلَـثـمِ أحسـن غـادة — والأسـد بـالـغـاب المـنـيـع نـيـامُ
[...]ـؤاده الـتـاريـخ سـطـر عـنـدما — داسـت عـلى هـام الـلـئـام كـرامُ
[...]ـبـال عـبـدالله آسـاد الـشرى — فـصـبـيـهـا يـوم الـوغـى مـقـدامُ
[...]ـما تـعـاظـمـت الأمـور فـإنهـم — كـالـسـيـف لا يـثـنـي شـبـاه الهـامُ
[...]ـد أقـول وفي فـؤادي لاعـج — والـقـلـب مـنـي كـلـه آلامُ
[...]ـعـلـب الـوادي وآفـة عـامـل — يـا مجـرم سـيـزورك الإجـرامُ
[...]ت مـن صـنـف الـكـلاب عصابة — ومـشـت عـلى آرائـك الأوهـامُ

وجهلت أن الكلاب يعوي خيفة إن زجره في نظرة ضرغامُ
خالفت سير السالفين ولم تكن إذ ذاك يا أشقى الأنام قطامُ
وسعيت في تمزيق مجد طالما خفقت له فوق السها أعلامُ
فأرى صعودك للسما بسلم أدنى بأن تعزى إليك خيامُ
هي غابة محمية بضياغم فرداءُ طبعهم ندى وحسامُ
أيقاوم الأسد الهصور أرينب أيطارد الباز المرين حمامُ
اخضع لأمر طالما خضعت له آباؤك الماضون يا حجامُ

يفتتح الشاعر قصيدته كعادته بسلاسة فائقة، ويبرز من خلال البيت الأول قوي الحس مرهف الشعور، ما يدور في حناياه يرسله بتمازج رائع، فوصف الحسناوات والبيداء وعرّج بشعره غزلاً ثم انتهى إلى قومه وفخر بهم وبمآثرهم وكأن أبيات القصيدة مرآة مرددة هذا البيت من الشعر:

بيضٌ صَنائعنا سودٌ وقائعنا خضرٌ مرابعنا حمرٌ مَواضينا

يصرف الشاعر الكلمات كما شاء يطوعها، لا يجد ما يعيق تحرّكه وإن تخالطت الكلمات وأبرزت وجوهًا مختلفة، إلا أن الهدف والغرض ظهر في صورة القصيدة ثم يندفع نحو إظهار ما يستطيع من إعجاب وفخر بقومه وهذا هو الغرض.

من قصائد المدح كان قد أهدى الشاعر حسن محمود عبدالله هذه القصيدة للملك حسين بن عبدالله ملك الأردن:

خذها من العاشق المفتون بالأدبِ عذراء ترفل في أثوابها القشبِ
في كل ما يحتويه الكون قيمتها وربما لم تزن مثقالًا من ذهبِ
يا واحدًا لا يبارى في فصاحته ومعتل فوق كل الناس بالنسبِ
يا ماجداً يرتجى في كل مرحلة وصارمًا ماضيًا في جبهة النوبِ
غادرت لبنان في سيارة دفعت بشعلة من فؤاد زائد اللهبِ
تهذب السير في رقص وفي طرب كأنها علمت في سيرها إربي
وتنحر البيد في تنفيذ غايتها ولا تمل ولا تشكو من التعبِ
وتملأ البر من نقع ومن رهج وكلما زجها سواقها تثبِ

ى استقـــرت على أعتـــاب من شهدت   فيه ومـن فضله الأحـرار مـن عـربِ
قـد نظمـت وأفـكـاري تحدثـني   أني رميت بنظمي خيرة العربِ
يـت بالـنظم عـبـدالله فارتفعت   تلك القوافي على سيارة الشهبِ
قسمًا لـو تـراه لا تـرى رجـلاً   بل ضيغمًا رابضا ألله إن يثبِ
ير الملوك ومن طارت مكارمه   حتى تعالت على سيارة الشهبِ
ن نبعة في العلى طابت مغارسها   ولا يسابق بالمعروف والنسبِ
و الأمير الذي دومًا مكارمه   تأتي بطالبها للمنهل العذبِ
و الحسين وعبدالله والده   وجده خير خلق الله خير نبي

لقد أرسى شاعرنا المرحوم أبو فيصل نهجًا أدبيًا خاصًا به، ميز فيه كلمات قصائده الشعرية في غرامي ينساب بإنفعال جمالي مرن، يتحرك داخل النص من دون أن يخرج عن إطاره في الشكل ضوعية، بدأ القصيدة بغزليات ثم انتقل إلى أبيات المدح التي أنشئت من أجلها القصيدة، وهذا راه في كثير من قصائد الشاعر إن أقبلت على شعره السياسي أو الرثائي أو في المدح، لا يخلو كهة واحدة وهذه النكهة هوية الشاعر، عندما تسمع قصيدة رأسًا تقول هذه لعنترة أو امرئ س أو المتنبي، مقدرة الشاعر على تحديد هوية له تميزه عن غيره كما حدد أبو فيصل هوية لنفسه.

ن قصائده الوجدانية

فؤادي موجع

صبوحـة في روضة الأرز أرتـع   وطرفي بأحضان الطبيعة يهجعُ
شيء إلا مستقيم لناظري   وبالرغم عن هذا فؤادي موجعُ
ر بطرفي يمنة ثم يسرة   أرى الماء من قلب الطبيعة ينبعُ
م أن ألهو بكل غزالة   وبكل ظبي بالجمال مقنعُ
كان يلهيني بإهدن بلبل   ويطربني من جانب المرج ضفدعُ
ن حولي الآرام ترمي بنظرة   من السيف أمضى أو من السهم أسرعُ
ة الحمى هل تحسبين فتى الحمى   يصاد بأشراك الغرام ويصرعُ
لا أبيع العهد والود والوفاء   وهل شاعر مثلي يقول ويرجعُ

مقبرة النظام

شعري بمقبرة النظام وحيد ... وله من الأدب الرفيع جنودُ
ما قلته في غادة ريانة ... يحكي لطيف قوامها الاملودُ
إلا وصفقت الليالي واغتدت ... تختال من طربٍ كذلك الغيدُ
خصمي بمضمار الحياة ثلاثة ... متكبر ومغفل وحسودُ
ومعي على مر الليالي واحد ... فرد كبير عادل معبودُ
ما غاب عني لحظة وهو الذي ... رفع السماء وما هناك عمودُ
يعطي لمخلوقاته رزقاً ولا ... يُستثنى منه كافر وجحودُ
أنا شاعرٌ لكنني في بلدة ... عيسى أنا فيها وغيري يهودُ

أما قصائد الرِثاء في مَلَكَة الشعر لدى الشاعر فهي غنية ودفّاقة وسيل من العاطفة في الصبر على المصاب، فيها كثير من المواساة تحمل على الجلد والصبر والسلوان على الأحزان. حتى أنها تؤنس المحزون والمكلوم بكلماتها الصافية الرقيقة في الإحساس والألفة الروحية الخالصة، التي تؤدي إلى إحياء الطهارة في النفس وتسكن ألم الروح فهي في أعلى مراتب العزاء.

الشاعر حسن محمود عبدالله أبو فيصل في قصيدة رثائية قالها عند وفاة أخيه أبي عزت خليل محمود عبدالله.

إنها صورة الشاعر المكلوم الحزين على فقد أخيه، تستسلم الكلمات للقدر وتنوء بحسرتها على فقد الأحبة، فراق يستنهض الذكريات في محاولة لمواساة النفس، مشهد سريالي يصوره الشاعر وتبوح به كلمات القصيدة:

مدامعي

رحيلك عنا كم يزيد تألمي ... وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
يا راحلاً عني لو أنك تفتدى ... فديتك في روحي ولم أتندمِ
لكنها روحي وروحك لم تكن ... ملكًا لنا بل ملك ربك فاعلمِ
فالذكريات المجريات مدامعي ... والتاركات عواطفي بتضرمِ
والآخذات قصائدي تلهو بها ... والمانعات مدى الحياة تبسمي

ي التي تبقى رفيقة خاطري ... وهي التي ترمي الفؤاد بأسهمِ
ل امرىء إن شئت تعلم وزنه ... زيادته أو نقصه في التكلمِ
ا تراكمت الخطوب فخاطري ... لا ينثني هربًا ولا يستسلمِ
ا راميًا نفسي بجمرة حبه ... يا باترًا قلبي بشفرة مخذمِ
ا نزورك كي نصادف راحة ... هربًا إليك من الزمان المظلمِ
حس في أمن برؤية ضيغم ... عبل المرافق يا له من ضيغمِ
فاه للعافين عشر سحائب ... يعطي ويحمد والعطاء على الفمِ
دعوناه لكشف بلية ... عمر البلية أن نقول لها اقدمِ
د بهمته ولكنا نرى ... قمرًا يحاط بهالة من أنجمِ

وللشاعر قصيدتين رثائيتين قالهما في مناسبتين: الأولى بمناسبة وفاة المرحوم خنجر أفندي ابن ج حسين ابن الحاج حسن عبدالله والثانية بمناسبة وفاة المرحوم علي أفندي ابن الحاج إبراهيم الحاج حسن عبدالله سوف نذكرهما في سياق الحديث عن الفقيدين.

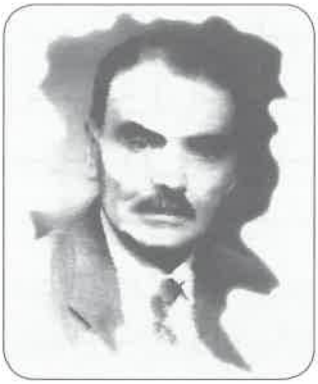

المربي علي حسين خليل عبدالله

ولد في الخيام سنة ١٩١٩. تخرج من دار المعلمين سنة١٩٣٩ عمل مديرًا لمدرسة الخيام الرسمية ثلاثين سنة، ومديرًا لمدرسة الغبيري أربع سنوات، وإداريًا في مديرية التعليم خمس سنوات وإداريًا في معهد العلوم التطبيقية في الجامعة اللبنانية خمس سنوات.عمل مدربًا تربويًا في أربع دورات تدريبية لمديري ومعلمي مدارس الجنوب في صيف ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ - ١٩٦٤، ألف واشترك في تأليف عشرات الكتب التربوية والمدرسية كما اشترك في تفسير ربع يس من القرآن الكريم في سبعة أجزاء تفسيرًا مدرسيًا حديثًا. تقاعد سنة ١٩٨٣ ليتفرغ كليًا للتأليف التربوي والمدرسي، إيمانًا منه بأن العمل التربوي تأليفًا يكمل العمل التربوي تدريسًا، وكلاهما يشكلان رسالة تؤدى ودعوة تلبى. وهو يولي كتابة تاريخ العائلة كل اهتمامه لأنه يرى فيه تاريخ الخيام، وتاريخ العائلات الخيامية الكريمة التي تربطها بعائلة آل عبدالله رابطة المودة والقربى والعمل المشترك من أجل نهضة الخيام وتقدمها وعمرانها، جال في أوروبا ومتاحف بلجيكا لتطوير مدرسة الخيام.(١)

هكذا نعرف المربي علي حسين عبدالله

تعددت المواهب الفذة وعبقرية الأداء في شخصية المربي الأستاذ علي عبدالله، فأسهم في إثراء الحركة الفكرية في خمسينيات القرن الماضي .متحلياً بأخلاقه العالية، متسلحا بحس كريزمي ساحر. كان العبدالله بلا شك يتمتع بشخصية مستقلة. فكان عظيم المهابة، حاد الذكاء، ذو عزيمة قوية وهمة عالية وشجاعة مطلقة، وقد استطاع خلال رحلته الطويلة في مجال العمل التربوي أن يخرّج أجيالاً وأجيال من صنوف الرجال الرجال، ولم يذكر في تاريخ العمل التدريسي والتربوي بأن هناك

(١) نشرة الدردارة العدد السادس السنة الثانية تموز ١٩٩٦م.

ترك بصمات واضحة ولافتة في بلدة الخيام والجوار مثل الأستاذ علي حسين عبدالله. ما أكثر
ين رددوا هذه العبارة!وقد قيل الكثيرعن مراحل حياته، وخاصة ممن كان من تلامذته أو من
رسين الذين عملوا في سلك التعليم تحت إدارته أو الذين عرفوه من الأصدقاء والزملاء، لقد
ك الأستاذ علي عبدالله بأن العمل في قطاع التدريس ليس عبارة عن صبورة وطبشورة وطابور
احي ونشيد وطني، بل هو مضمار يحدد مقدرة المعلم وسبر غور كفاءته في تحمل مسؤولياته
خلاقية وأمانته الإنسانية.لقد استطاع المربي الأستاذ علي عبدالله أن ينشيء جيلاً متكاملاً في
خصيته يتعدى الجانب الأكاديمي الصرف الذي هو أسير الروتين اليومي. ليبلغ جوانب متعددة
ها الشخصية المستقلة لدى التلميذ من حيث تحسين تفكيره ومهارته الاجتماعية، وإكسابه القيم
خلاقية. فكان جيلاً يُعوّل عليه، في تحمل هموم الحياة، وتحدي ظروفها الصعبة، هذا ماكان المربي
عبدالله يشدد عليه وهذه هي السياسة التي أرسى قواعدها وبنى مداميكها. حتى أنه كان يحث
من يلتقيه على تحصيل العلم والمعرفة.مطبقًا قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (اطلبوا
م من المهد إلى اللحد) وإذا أراد أن ينجز عملاً أتقنه..وإن وقفت في سبيله عقبة ذللها أو هوة
ها، فأقام جسورالتعاون والمحبة وهي سياسة عظيمة تقتضي حظاً كبيراً من الشجاعة والإقدام
ضحية، وكذلك تتطلب الاستخفاف بالمخاطر والمهالك وذلك في سبيل تحقيق أفضل النتائج،
دل هذا العمل فإنما يدل على ولائه لبيئته وناسه وبلدته ووطنه بلا منازع، هذه هي الصفات
امتازت بها شخصية الأستاذ علي حسين خليل عبدالله، يقول الأستاذ كامل فاعور في كتابه
س المرج: إن المدرسة شكلًا ومضمونًا بشرًا أو حجرًا كانت تتعلق إلى حد كبير برجل واحد هو
تاذ علي العبدالله مديرًا ممسكًا بناصيتها وخيوطها ، الذي كان في الآن نفسه مديراً ومربياً ومعلماً
من طراز يندر أن تجد مثله، وكان رجل حزم وعزم بالمعنى الصحيح للكلمة . وكان إدارياً
اً جمع في شخصه شروط المهنة واستوعب مفاهيمها وأساليبها وكان هو نفسه أديباً ومثقفاً
راً وعلى صلة عضوية بشؤون البلدة وشجونها ولكن دون تزمت أو تعصب[1] كم نحن اليوم
يوم بحاجة إلى أمثاله فقد قدم نموذجًا راقيًا وحضاريًا وإنسانيًا، ومما يروى عنه: كان يفهم
محدثه وكأنه يسكن داخله ويحيط بالأمور كافة ويدرك الأشياء مبكرًا قبل حصولها، وذلك
إيبة قراءته المتأنية للواقع، و بسرعة خاطر تشبه البرق. كان قوي الذاكرة والحس، حتى أنه كان

كتاب عروس المرج للأستاذ كامل فاعور صفحة ١٨٦ .

يُدهش محدثيه بقدرته على استيعاب التفاصيل ودقائق الأمور، كبيرها وصغيرها، حتى وإن كان قد مضى وقت طويلٌ على وقوعها، كان الراغب في مقابلته يحسب له ألف حساب لتبصره واستدلاله وفراسته ومهارته، ولو تسنى لهذا الرجل الفذ أن يكون قيّماً على التعليم في وطنه وأمته لكان لهذه الأمة شأنٌ عظيمٌ ولطلب الجميع العلم من لبنان حتى يقال (اطلبوا العلم من لبنان).

المربي الأستاذ علي حسين خليل عبدالله صاحب ثورة علمية

ثائر من الخيام.

يا خير مُربي بايعتك الأنام | أميراً على العلم وأنت الإمام
كم قد سعيت من إجلنا | ومضيت برادع الحزم صارم
فكانت ثورة أذكيت في هشيم الجـ | ـهل نارها فقالوا: ما اروعك يا نار
وقلم شبابه نصل الحسام | فالصدى ضرباته تداعت الأصنام
أنت المعلم والشاعر | عليك وعلى أجدادك السلام

من اطّلع على سيرة المربي الأستاذ علي عبدالله أطال الله في عمره منذ أربعينيات القرن الماضي وتتبع مسيرته التعليمية الطويلة. و أداءه العملي، وطريقة تفكيره، وأقواله وتصريحاته ونتاجه الفكري، وسلوكه في بيئته ومجتمعه وما طرحه من رؤى،وما تبناه من أفكار ترجمت إلى سلوك وأداء وممارسة وتطبيق على أرض الواقع، تطبيقًا منهجيًا ضمن استراتجية متكاملة الأبعاد غنية في موادها زاخرة في قيمتها تكتنز طائفة من الوعي والتبصر والدراية والتنشئة، إلى جانب الاستقلال الكامل بالقرار. يَستخلص من ذلك كله بأن المربي علي عبدالله قد قاد نهضة شاملة بل وثورة علمية، وجدت الكثير من النجاحات. وإن كان لم يكتب لها أن تستمرإلى النهاية. فكانت إنتكاسة كبيرة، عندما أُغْتيلَتْ هذه التجربة ببداية السبعينات من القرن الماضي كما اغتيل الوطن. فحاصرتها الحرب الأهلية اللبنانية، وشتت الكثير من معالمها، فلم تمكنها من السير وبلوغ أهدافها، لأن ظروف الحرب كانت أقوى من أن يستمر أيّ شيء. لكن بقي الأستاذ علي العبدالله يقاوم شراسة الأوضاع القاسية التي ألقت بظلالها ليس على الخيام مدينته التي أحبها وأعطاها الكثير ودافع عن مستقبل أبنائها، كان يعلن احتجاجه ويقول اعتراضه كي لا يتفلت الوضع التعليمي لأنه يدرك ويعلم بأن المسار التعليمي الذي شقه من أجل تلك الأجيال يجب أن يستمر، لأن مشروعه انطلق ليبقى وينتصر.

تجري الأحداث بما لا ترغب النفسُ

فنفس المؤمن حرة لا يمنعها حبسُ

ناصعة، لباسها الطهر، وضوؤها الشمسُ

لا يمنعها تعب ولا يأسرها نعسُ

انطلق الأستاذ علي عبدالله من بلدته الخيام كسائر المصلحين والمرشدين والثائرين عادة ما قون من بيئتهم، فكان ثائرًا إصلاحيًا، يحمل نهجاً تعليميًا واجتماعيًا يتطلع من خلاله إلى نهضة ية جامعة. تمرد على واقع تعددت فيه أشكال الحرمان وأوجه الإهمال، حتى أصبحت كلمة ان مصاحبة لابن الجنوب اللبناني، كل ذلك أوجد صرخة في ضمير وفكر المربي علي عبدالله. يقول ويردد دائمًا: أنا لست مديرًا أمارس الوجاهة والزعامة، بل أنا طالب أطلب العلم صلاح، أريد أن أنهض بالحركة التعليمية وإني أرى بأن هناك خطرًا كبيرًا يتربص بنا و يشكل لنا ذا ألا وهو الجهل.. من تأمل كلمات الأستاذ علي عبدالله ..يستخلص الكثير من العبر والمبادئ، ل رجل ورجل في أمة نهجه الصدق والإخلاص والتواضع لأن التواضع من سمة القادة، إن لوفاء الكبيرلهذه المسيرة التعليمية، هو ما كان يحفز الأجيال على مواصلة تعليمها، وكأنك أمام ف وهو كذلك، يستنبط الأحكام من مكامن الحقيقة كما يستخرج اللؤلؤ المكنون من محارته. يجول ويبحث عن أفضل الطرق والوسائل الحديثة لتحسين الواقع التعليمي. كان له مشاركة في بعثة تربوية إلى بلجيكا بدعوة من وزارة الخارجية البلجيكية، كان همه أن يستمر ويواصل لتبقى أمته في مصاف الدول المتقدمة والحديثة أطال الله بعمر المربي الأستاذ علي عبدالله.

ربي علي حسين عبدالله الأديب

ي حسن على العلم والأدب أيادٍ بيضاء، وحدائق غناء، وسيوف بيداء، وصفحات فيها لكل ء، يغرس الوعي وينميه، ويسقيه بعرق الجبين. فمن الحقبة العثمانية المتخلفة الرجعية المقيته حقب الانتداب وما لقيه المجتمع في جنوب لبنان،، من معاملة استنسابية وطائفية ومذهبية وإثنية ومناطقية زادته تخلفًا وانطواءً. كانت التغيرات تحتاج إلى جهد استثنائي وعزم قوي لا حية وكل التحايا إلى كل من روى هذا الفكر بنقطة من مداد قلمه، حيث لم يبخل الأستاذ الله بما لديه من طاقه فكرية وعلمية ومواهب أدبية فعلى الصعيد الأدبي كانت له مؤلفات

قيمة أغنت المكتبة اللبنانية والعربية، لقد ألف الكثير واشترك في تأليف:

- تفسير ربع يَس من القرآن الكريم في سبعة أجزاء.
- كيف تُعَـلِّم في ستة أجزاء.
- دليل المعلّم شرح وتطبيق النظام الداخلي للمدارس الرسمية.
- التربية أصولها، طرائقها، أساليبها.
- عدة سلاسل كتب مدرسية في الأخلاق والتربية المدنية والقراءة والقواعد والعلوم والتاريخ والحساب.
- تسلم كتاب تقدير من هيئة التفتيش المركزي.
- تسلم درع الوفاء من دار الندوة.
- تسلم درع حرمون الثقافي من منتدى حرمون الثقافي.
- تسلم وسام المعلم من الجمهورية اللبنانية.
- شارك في كثير من الندوات الفكرية والأدبية على الأراضي اللبنانية.
- شارك في بعثة تربوية إلى بلجيكا بدعوة من وزارة الخارجية البلجيكية.

كل هذه الأعمال الخيّرة والمكارم الرائعة، والأفعال الحميدة آثر صاحبها أن يشمل نفعها الجميع، كل هذه مآثرعادت على البلاد والمجتمع بالخير العميم، ولا شك أن بصماته في هذا الحقل المهم ألا وهو الحقل التعليمي الذي مثّل ويمثل معيارًا لتقدم الأمم وتخلفها، ولا نقدر إلا أن نقول بأنه يصب في خانة وطنية مهمة ألا وهي الدفاع عن استقلال البلاد من مناهج العبث وتسميم الأفكار، فهذه الصفحة الناصعة في بياضها والنقية التي أشرف عليها المربي علي حسين خليل ابن الحاج حسن عبدالله جديرة بأن تسجل بأحرف من ذهب ليس على مستوى الوطن العربي فقط بل على مستوى العالم أيضًا.

المربي علي حسين عبدالله المؤرخ

كان المربي علي عبدالله ينظر إلى التاريخ بمنظار الإنسان المنفتح والمتفهم، من منطلق أدبياته الراقية وحسن أخلاقه العالية، إن العمل في التاريخ يحتاج إلى أخلاق، لأن الأخلاق أهم عنوان من عناوين الرقي الإنساني. وهذا ما لمسناه يطل بوضوح في كتابات العبدالله وهو ما لا تجده في الكثير من مُجايليه. إذاً التاريخ يتطلب الصدق والأمانة، وهما غاية الأخلاق يقول رسول الأمة محمد ابن عبدالله صلى

ه عليه وعلى آله الطاهرين وسلم: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق." السؤال الذي يطرح نفسه ذا نريد من التاريخ؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال نقول: بأن التاريخ حي، وحركته مستمرة ور حيث يدور الإنسان.يسجل وقائعه وحوادثه ونتاجه الفكري والعملي هذا هو التاريخ.مهما نت عمق مياهه فإن صفاءها ونقاوتها لا تحجب عن مَن صفى نيته وعمل بنقاوة قلبه من أن يرى حقيقة المطلقة. يقول الأمير محمد بن عبدالله المتوفي تقريباً سنة ١٨١٠ ميلادي. وهو والد الحاج سن عبدالله (قدس الله سرهما)يقول: كنت كلما اطلعت على تاريخ أجدادي أتصبب عرقًا من ة الحماسة. وصدق الشاعر الذي قال:

المـنـيـة لــو لاقـتـهـم وقـفـت   خـرقــاء تـتـهـم الإقــــدام والهـربـا

أذًا الذي نريده من التاريخ هذه الحقيقة، لأننا سوف نبقى آثمين ومدانين من الأجيال القادمة، لم نبحث في مكنونه ، ونستخرج منه ما ينفع الأجيال، وإلا أصابنا الكثير من سهام نقدهم. ن للأستاذ علي عبدالله مساهمة قيمة حين طلب منه المؤرخ حنا حردان صاحب كتاب العيال جعيونية بأن يزوده بشيء عن تاريخ آل عبدالله. فقام مشكورًا بتزويده بسير الكثير من رجالات عبدالله كان ذلك في بدايات الخمسينات من القرن الماضي.وللأستاذ علي كثير من الإسهامات ريخية فيما يخص أسرته وسائر الأسر الخيامية ، لجأ ليؤرخ ويكتب تاريخ أسرته بغية جمع الشمل ن فقط شمل أسرته، لكن ليجمع شمل العائلات الخيامية الكريمة، والعائلات الجنوبية. كان يقول وما أجمله من قول: أن عائلة آل عبدالله هي العائلة الأم لعائلات الخيام. لما تربطها بهم روابط المودة والقربى والعمل المشترك من أجل نهضة الخيام وتقدمها. هنا يتحدث عن علاقة بنائها وأخواتها، إذًا أي علاقة قوية هذه التي روابطها العاطفة، وما هو محكوم بلحمة العاطفة ب فكاكه إلى أبد الآبدين. كان الأستاذ علي عبدالله الأب الروحي لجمعية آل عبدالله التي ا وأشرف على تأسيسها وأسدى إليها الكثير من النصائح، وزودها بالكثير من التوجيهات داها مما يحفظه من التاريخ ومما أرخه عن أسرته، أكثره نشر بالأعداد السبعة التي صدرت عن ة آل عبدالله ابتداء من آذار ١٩٩٤ إلى نيسان ١٩٩٧ م. أرّخ لحقب تاريخية وكتب سير أشخاص في إخفاء سيرهم جنحةً وأمرًا مكروهًا فلم يستكن قلمه فمبراته من احجار الصوان وطاحونة ة ومداده بنقاوة نبع ماء الدردارة، ويراعه من أشجار الكينا والسنديان والسرو وروائحته من الأجداد الشرفاء أباة الضيم المحبين لبلدتهم الخيام وأهلها الطيبين فدافعوا عنها بالغالي

والنفيس وصدوا عنها وعن أهلها طعنات الطاعنين وسهام الحاقدين، فكانوا يعاسيب قومهم إن الأستاذ علي عبدالله لم يدخر وسعًا ولم يتأخر كما ذكرنا سابقًا، فأهدى سير أجداده للمؤرخ الكبير حنا حردان مؤلف كتاب الأخبار الشهيّة عن العيال المرجعيونيّة والتيميّة، فاستقرت سيرتهم بين دفتي الكتاب فأضاء من شموسهم الساطعة الجرأة والشجاعة لم يعرف التاريخ مثلها، فتحولت في زماننا إلى دروس وعبر، وآيات فخر، تستأهل أن نغترف من معينها إلى يومنا وغدنا وحاضرنا ومستقبلنا. كانت فاتحة كتاب الأستاذ علي عبدالله (مختارات شاعر) عندما أصر على تأكيد المؤكد فأشار إلى علاقة النسب التاريخي الذي يربط آل عبدالله التنوخيين بآل ناصر الدين التنوخيين، إذ إنّ هاتين العائلتين بنسبهما تتحدران من أسرة عريقة تفرّع منها الكثير من الأسر، ألا وهي القبيلة الأم بنو عبدالله التي دخلت لبنان سنة ٨٢٠م. وقد أفضنا بالحديث عنها في صفحات متنوعة من هذا الكتاب.

يا شاعرًا بين المرج والتلِّ ... اليوم الكل بأشعارك يحتفي
فاطرب وزد علينا من الطربِ ... فليس منا من بحسنه يكتفي
أفضْ علينا من أوزان شعرك ... فخصمك بأوزان شعرك يختفي
وَردد على الأسماع من قوافيها ... فكل قول قبلك وبعدك ينتفي

المربي علي حسين عبدالله الشاعر

هكذا افتتح الشاعر العبدالله مقدمة كتابه قائلاً:

مع كلّ محبّتي لعميد آل ناصر الدين التنوخي الأكارم

المفكر العربي الكبير المير نديم آل ناصر الدين التنوخي، أعزه الله ومنحه العافية والعمر الطويل.

فأجابه الأمير نديم آل ناصر الدين التنوخي قائلاً:

حضرة الشاعر المجيد الأستاذ علي حسين عبدالله التنوخي المحترم أعزه الله.

حيا الله الشاعر البليغ وآتاه من فضله ما تنضر به رياض الأدب وتحمى حوزة اللغة وجعل هلاله بدراً في فلك البيان وبعد:

وصلني كتابك منطوياً على نثر الورود ونظم العقد، فأعجبت به أيما إعجاب وشكرت لك

ن الظن وحمدت الله تعالى حق حمده على أن جمعتنا المناسب بعد أن فرقتنا النوائب.

تني حسانُ شعـرِكَ لـمّـا برزتْ ... كـالحسانِ في يـومِ عـيدِ
سات مـن البيـان مـلاءً ... حاليـات بمثـلِ درّ الـعـقود
سلت في الكؤوسِ خمـرَ معـانٍ ... أكسبتهـا الألفـاظُ عـرف ورودِ[1]
عـراً كشعـرك الجـزلِ قـد ... عـزَّ علـى غـيرِ ذي بيانٍ مجيدِ
ق وأبلـغْ فـي الشِعـر والأدب ... الـغـضّ مـدى كـلّ طـارفٍ وتـليـد[2]
لَّ الحيـاة وارفـةَ الـظـلّ ... ومِـسْ من نعيمهـا في بُـرودِ

وأرجـو إبـلاغ احترامـي إلى صاحـب الفضيلـة الأستاذ الشـاعر الحـاج علي ابن الحـاج محمد
ي عبـدالله وتحياتي الطيبات إلى سائر أبناء العم الأكارم والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كفر متى ٢٧ نيسان ١٩٤٢ م.

ن ناصر الدين التنوخي

عر كالمطر فالمطر يتساقط من مآقي السحب البيضاء فيجد في الأرض مُستقراً، فيستقي زرعها
ها فللجداول نصيب منه وللأنهار نصيب ذلك هو عدل السماء. الرحمة والمحبة والحياة والطاعة
كل منهما إلى مستقره، وإذا ماعلت ابتسامة الشمس بين أذرع السماء بقهقهاتها الحارة حتى
لنداء الأخير يلبى الماء النداء، ويمتطي سفن الرياح صعودًا بين مشهدين ترجيدي وكوميدي
بين الحياة والموت، جدلية تستفيض بالعطاء ومناهل لن تنضب ولن تجف، كالدموع المتساقطة
فحات بيضاء من جوف يراع يرسم الحرية والجمال وهو حبيس ومطوق عنقه بأنامل شاعرٍ
كون في جوفه، فيخرج بدل الدموع قصائد عشق ومحبة وأناشيد وطنية تثير الحماس وتلهب
س وتنادي كلنا للوطن. فهنيئًا لقلم لامس أكف شاعرنا وقرأ من صفحات أكفه البيضاء
دل ويزقزق ويروي من حفيف الاوراق المتساقطة شعرًا وأدبًا، فوق غدران الدردارة الرقيقة
والمسيل وسهل الحمام والوزاني وتربات البيض. حقًا عودي يا أيتها الأيام الجميلة عودي
ضجيجك وأنينك وسهامك وكل عذاباتك فلن تساوي من عذاباتنا اليوم شيئًا، فعذاباتك
ة ورائحة زيت قنديلك أطيب من رائحة عطر في قارورة ملأها أناس همهم التجارة.

: الريح اللَّيِّنَةُ الهُبُوب
ف والتَّليد: المحدث والقديم.

مع الشاعر الكبير والمربي الأستاذ علي حسين عبدالله.

يقول الأستاذ علي عبدالله في مقدمة ديوانه مختارات شاعر:

هذه القصائد المختارة كتبتها في فترات زمنية متباعدة إنها: بنات انفعالات عاطفية وأحداث اجتماعية وسياسية تتالت: منذ الأربعينيات يوم كنت شابًا يرجو ويؤمل، وحتى الثمانينيات حيث صرت شيخًا يفكر ويتأمل .

تتالت في بلدتي الخيام التي أحبها حبي لنفسي، وأحب أهلها كل أهلها حبي لأولادي، بلدتي الخيام التي دار عليها الزمن في عقد واحد دورتين :

في الدورة الأولى :هجر أهلها كل أهلها على يد عدو غادر غاصب لئيم .

وفي الدورة الثانية: عاد إليها بعض أهلها مغلوبين على أمرهم متعبين مرهقين.

مثلما تتالت : في وطني لبنان الذي أقدسه تقديسي للديمقراطية والحرية، والذي تخلى عنه الشقيق والصديق طيلة عقدين من الزمن، فأمعنت فيه يد الدخيل والعميل تخريبًا وتقسيمًا وتدميرًا وفي شعبه تقتيلًا وتشريدًا وتهجيرًا . ولولا صبح مقاومة شجاعة رائدة تنفس في جنوبنا الصامد الصابر.... ولولا رجالات دنيا ودين صدقوا في ما عاهدوا الله والوطن عليه، فتصدوا للفتنة وانتصروا على المحنة لتحكم اليأس وساد وضاع الأمل وباد.

في رحاب شعر الاستاذ علي عبدالله.

إذا ما نظر القارئ إلى كلمات الأستاذ علي عبدالله فإذا بها تتنفس شعرًا وأدبًا. في أزهى ألوانها، وأبهى حللها، فوق صفاء وجه الماء ترتسم الحروف دوحًا وأشجاراً باسقة. كأنك أمام لوحة زيتية، جمعت صنوف الإبداع الفني، وقالبٌ كأنه الضلوع ، ونبضات كأنها الأوتار، تناجي نسمات المساء وتدمل جراح الليل، وصوت ساقية يلهث وراء الربيع. وفدائي، ومناضل،وشهيد، ووطن وثرى يفنى بحبه الجميع. ونرى كلماته وعباراته وأوزانه حكمة خالدة. ونراه أكثر تواضعاً، كلما طرقنا باب صرحه. ومهما اغترفنا من ينابيع شعره فلن ينضب ففيه القدر والوفير.

وهذا نموذج من شعره بعنوان: فداك يا مقاوم

أرواحـــــــــنــــــــا الـــغـــوالي وجـــــــــــــــردنـــــــا الـــعـــتـــاق

فداك يا مقاوم

ـرماحنا العوالي وبيضنا الرقاق

فداك يا مقاوم

ـا رائد الثوار يا هازم الطغاة
ـا منقذ الديار من دنس الغزاة
ـا أمل الأحرار يا صانع الحياة

فداك يا مقاوم

ـقتحم الأهوالا بقلبك الحديد
ـزلزل الجبالا ببأسك الشديد
ـتقهر المحالا بعزمك الأكيد

فداك يا مقاوم

ـا حافظ القرآن يا حارس الإنجيل
ـا لهب الإيمان يدمر الدخيل
ـا غضب الأوطان يطارد العميل

فداك يا مقاوم

ـا حلم الآباء يا نخوة الأبناء
ـنت بالوفاء والبذل والعطاء
ـتبت بالدماء حكاية الفداء

فداك يا مقاوم

ـا عزة اللواء يا شرف السلاح
ـا قمة السخاء في حلبة الكفاح
ـا واحة الرجاء يا طلة الصباح

فداك يا مقاوم

ميدانك الجنوب يا ملتقى الآمال
وأهلك الجنوب يا خيرة الأبطال
وحبك الجنوب يا زينة الرجال

فداك يا مقاوم

مثلما تتالت : في دنيا العروبة والإسلام مشرقًا ومغربًا التي أمجدها تمجيدي لإنسانية الإنسان ولحرية هذا الإنسان فيها، ولحقه في العيش الكريم فيها من كل جنس ولون ودين، والتي تفرقت شعوبها أيدي سبا فظُلمت وضيمت، ولولا بعض قيادات شجاعة حكيمة آمنت بالحق والعدل وثارت على الظلم والضيم وسعت جاهدة : لرأب الصدع وتوحيد الصف وجمع الشمل لألفت تلك الشعوب الظلم ونامت على الضيم ثم فنيت واضمحلت:

ولا ينامُ على ضيم أَلَّم به إلا الأذلاّنِ: عيرُ الحيّ والوتدُ

قصيدة للشاعر العبدالله في ذكرى الاستقلال الأولى للبنان عام ١٩٤٤م.

لبنان يا بلدي الحبيب

قل لي بربك يا عزيز الشانِ ماذا جرى في أقدس الأوطانِ
واشرح فقد غص الفؤاد بأنسه وأبِنْ فقد عقد السرور لساني
أتحطمت تلك القيود وأشرقت شمس التحرر في سما لبنانِ
واندكَّ صرح الأجنبي ورفرفت حمر البيارق فوق كل مكانِ
وتظاهرت بعد الشقاق جهودنا وتبسم الإنجيل للقرآنِ
وانجاب ظل الأجنبي وخيمت فوق الربوع طلائع العمرانِ
والأرز عاوده الفخار وغردت أطياره فرحًا على الأغصانِ
وتهللت هذي الثغور وبددت غبَّ اللقاء جحافل العدوانِ
تلك الجحافل والأذى من طبعها لم تجنِ غير العار والخذلانِ

خلت، وجُدْنا بالنفوس تحررًا   مهر التحرر أنفس الشجعانِ
زاحمت أبطالنا نحو الوغى   بعزائم أقوى من الصوانِ
أكبر قد كتبنا مجدنا   والنصر بالإيمان والأيمانِ
ن يا لبنان يابلدي الحبيب ومُلتقَى   هذي القلوبِ قصيِّها والداني
وى سفوحك للظباء مسارحاً   أهوى رياضك بالقطوف دواني
وى الجبال الزهر في تمّوزها   أهوى المروج الخضر في نيسانِ
نان يا وطن الخلود تحية   من شاعر متحرر متفاني
واك حرًا مستقلاً سيدًا   لا يرتضي بمذلة وهوانِ
كيف لا بالكلم يبنى موطن   ويشاد مجد ثابت الأركانِ

أريدك حرًا

نيَّ إذا ما استبد الرعاة   وساء الزَّمانُ وسادَ الطّغاةْ
تُكَ لا تَنحَنِ صاغراً   فَيَندَى الجَبِينُ أمامَ البُغاةْ
وتُ الأبيُّ ولا ينحني   لأمر الدني وحكْم العُتاةْ
نيَّ إذا ما عبث الحاكمون   بحق الشعوب وشادوا السجونْ
ر يدافع عن رأيه   وشهم عزيز أبى أن يهونْ
يتك لا ترتض عيشة   أحب لقلبك منها المنونْ
ي... إذا ما استعد النفاق   لحمل السلاح وعز الوفاقْ
م العداء ربوع الحمى   وحاق البلاء ودب الشقاقْ
دك حرًا تصد العدى   وتحمي البلاد وتفدي الرفاقْ
دك للسلم لا للحروب   نصيرًا تحب جميع الشعوبْ

وتـــأبـــى الخــــضــــوع لمستعمـر يـعـد الـسـلاح ويـذكـي الخطـوبْ
أريـــــدك سـلـمـا مـنـيـع الحـمـى وأمــنـا يـدغـدغ كـل الـقـلـوبْ
أريـــدك يـا ابـنـي عـزيـز المنال تحــب الجـهـاد وتهـوى النضـالْ
وتـــأبـى الـركـوع لمستكـبر وتـلـك لـعـمـري صـفـات الـرجـالْ
فـحـقـق فـديـتـك مـا أرتجـي وكــن لي بـربـك نـعـم المـثـالْ

من أروع ما كتب الشاعر عن صعود القمر

إلى أين

يا أرمسترونغ....إلى أين يا ألدرينغ.....
إلى أين يا كولنز........إلى كوكب القمر...!
لا لا وألف....لا..لا تشوهوا...صفحة القمر لا تلوثوا...تربة القمر
...أرجلكم غريبة...أكفكم خصيبة من دم البشر
نقولها: من غير ما حياء.. من غير ما خفر
عودوا: إلى بلادكم ...وعلموا أولادكم ..ولقنوا قوادكم ..الرفق بالبشر....
نقولها: بألسن الأحرار...ومنطق الثوار...وليغضب المهرّجون..وليخجل المصفقون
...فرحلة القمر..بل رحلة التضليل.. ظلها الثقيل
يختبئ:...العميل والمأجور..ويسرح السفاح والمسعور
نقولها: للسادة المفضلين والذّادة المبجّلين
لا تلتهوا: بالأمل الكبير...!...والحلم الخطير...!...برحلة القمر...!
عن حملة التقتيل...والتشريد في أرضنا العريقة الجريحة.
وخطة التوطين ...والتهويد في قدسنا العتيقة..الذبيحة
وسائلوا: الأيتام...والأرامل بل...سائلوا :إن شئتم ... الثواكل
...وصفقوا:من بعد...يا أفاضل...للحلم...الخطير...!ولأمل...الكبير...!
...لرحلة القمر!

نوها: للأخوة...الرواد بألسن...الأطفال في بلادي لا لا وألف ...لا...
تشوهوا: صفحة القمر لا تلوثوا: تربة القمر...عودوا: إلى بلادكم
علموا...أولادكم..ولقنوا...قوادكم.....الرفق...بالبشر...

لد أجاد في الغزل

طهر

يا سمراء... لا أغضب | مما جرى لي... أو أغضبُ
سبي من الحب: أطيافه | ريا تدوم... ولا تنضبُ
ر: الأمس وأطيافه | ما لاح في أفق كوكبُ
فظ الود، ولا أرتجي | حمدًا عليه ولا أرغبُ
ري يشرب نخب الهوى | صرفا... إذاقيل: من نخبُ؟...
.. والطهر من شيمتي | أملأ الكأس... ولا أشربُ
ا... يا سمراء: إلف الهوى | أشدوا لديه... ولا أنعبُ

ل المربي علي عبدالله :إن كل قصيدة من هذه القصائد المختارة تصور موقفي العاطفي أو
اعي أو السياسي من المناسبة التي أوحتها لي حين كتابتي لها، لا قبل ولا بعد. ذلك لأن الزمن
عله في المواقف وفي أصحاب المواقف..

الشاعر العبدالله بحسه الوطني والقومي بشخصية جمال عبدالناصر، مثل الملايين من أبناء
عربية فقال فيه قصيدة يظهر إعجابه بهذا القائد العربي جمال عبدالناصر [1] وهي من أروع
..

سلمت جمال

الهتاف ورجع الحدا | يسر الرفاق ويردي العدى
ول الملايين من يعرب | سلمت جمال عداك الردى

ل عبد الناصر (١٥ يناير ١٩١٨ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠). هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة
لى وفاته سنة ١٩٧٠. وهو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر.

جمـــــال... فـدتـك جميـع القـلـوب وحـيـت نـضـالـك كـل الـشـعـوبِ
حـــيــــادك حـــقـــق أحــلامـنــا وحـطــم حـلـم دعـــاة الحــــروبِ
جمــــال... جـهــادك أسـمـى جـهـاد لـصـون الـبـلاد ودعـــم الحـيـادِ
جمـــال... بـعـثـت لأوطـانـنـا رســـولًا يـبـشـر بـالاتحـادِ
جمـــال... أمــرت فـثـار الإبـــاء بــأرض الـكـنـانـة والـكـبـريـاءُ
وصحــت بـوجـه الطغـاة: اخرجوا فـــزال الـطـغـاة وتـــم الجــلاءُ
وقـفـت ولم تـرهـب المـعـتـديـن وجـلـجـل صـوتـك في الـعـالمـينْ
وقـلـت:الـقـنـال لـنـا وحـدنـا وفـــزت: بـنـصـر وفـتـح مـبـينْ
جمـــال... تـهـيـبـك الـغـاصـبـون وكـــاد لـوحـدتـك المـرجـفـونْ
سـلـمـت وبـــاؤوا بـخـسـرانهـم جمـيـعًـا وبـايـعـك المـخـلـصـونْ
جمـــال... يـــرددهـــا الـكـادحـون بـشـوق ويـرهـبـهـا الـظـالمـونْ
صرعـــت الخـيـل وأعــوانــه فـطـابـت نـفـوس وقـــرت عـيـونْ
كـســوت الـعـروبـة أبهـى حـلـل فـأنـت الـرجـاء وأنـت الأمـلْ
قـهــرت الـعـدو وأحـلافـه بـبـأس الـزعـيـم وقـلـب الـبـطـلْ

ونحن نروي من شعر الأستاذ علي عبدالله عن بيروت وبيروت للأسف امتلأت شوارعها بالنفايات حتى طالت بعض شرف بيوتها، والروائح العفنة لوثت هواءها حتى يصعب على المرء أن يسير في شوارعها دون أن يستعمل الكمامات الواقية من الروائح.

لقد تزوج المربي علي حسين عبدالله من ابنة عمه رقية الحاج مصطفى عبدالله سنة ١٩٤١ وأنجبا تسعة أولاد وهم: الباحث الاقتصادي حسن والأديب الشاعر محمد، والطبيب الاختصاصي مصطفى، والجامعيان ناصر أستاذ فيزياء وحسين أستاذ رياضيات، والدكتورة نازك زوجة الأستاذ الجامعي علي عواضة، والسيدة أحلام زوجة رجل الأعمال المغترب حسين عبدالله، والسيدة الجامعية زهرة زوجة الصحافي الأديب المرحوم طالب حسين عبدالله، والسيدة نجلاء زوجة الصحافي الأديب عماد عبدالله.

المربي الأستاذ علي عبدالله في رسالة تاريخية لأبناء العائلة على اختلاف مواقعهم[(١)]

اعترفوا بالآخر وتخلّـوا مختارين عن الفردية البغيضة والأنانية المقيتة.

إن جمعية آل عبدالله الخيرية للإنماء الاجتماعي هي الوسيلة الأجدى والأفعل، لتصحيح مسيرة
عائلة وتطويرها نحو الأفضل والأكمل اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا، لذا كان موقفنا منها إيجابيًا
ذ إنشائها إيمانًا منا بأن يد الله مع الجماعة، وأن التعاون الصادق والتكامل العادل بين أبناء العائلة
احدة في مناخ من الحرية والديمقراطية والمساواة، يؤسسان للتعاون الصادق والتكامل العادل
ن أبناء البلدة الواحدة، ثم بين أبناء المنطقة الواحدة وصولًا إلى أبناء الوطن الواحد، وفي ضوء
نا الخالص هذا ناشدنا سابقًا ونناشد حاليًا أبناء وبنات العائلة الأكارم الواعين المخلصين
ين يؤمنون بالحرية والديمقراطية والمساواة، تأييد الجمعية ولجنتها الإدارية الشجاعة والحكيمة،
ول والفعل أعضاء عاملين وأصدقاء مناصرين لكي تتابع مسيرتها العائلية الرائدة في بعديها
ري والإنمائي بحزم وعزم وقوة.هذه المسيرة العائلية المباركة التي اعتمدت الانفتاح الهادف على
معيات والفاعليات الكريمة في البلدة وفي المنطقة وفي الوطن طريقة سليمة للحوار البناء معها،
أجل بعث دور العائلة المتعاون والمتكامل مع أدوارها اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا ثم تعزيز هذا
ر وتفعيله وتحصينه ضد المهاترات غير المسؤولة والمناورات المكشوفة التي تجاوزها الزمن .

ذلك نتوجه إلى بعض أبناء العم على اختلاف مواقعهم في العائلة، الذين يحسبون أن قيام
معية بمسؤولياتها بأمانة وإخلاص يلحق الضرر بمصالحهم الخاصة فانساقوا وراء الظن وإن
ض الظن إثم، وفاتهم اليقين، نتوجه إليهم بصدق ووضوح ونريد لهم من كل قلوبنا أن يتخلوا
ا جرى ويجري في بلدتنا الحبيبة الخيام، رغم التدمير والتهجير وما حققناه كخياميين في النصف
من هذا القرن في الصناعة والتجارة والزراعة وفي العلم والأدب والصحافة ....

د زاد عدد خريجي الجامعات وفي مختلف الاختصاصات على الألف، منهم مئتا طبيب
مئة مهندس ومئات المحامين والقضاة والأساتذة الجامعيين والثانويين والأدباء والشعراء
لاميين، عدا الضباط العسكريين والأمنيين . أما المؤسسات والشركات والوكالات الصناعية
ارية والزراعية والسياحية والجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية والإنمائية، فقد زاد عددها
ئتين، وفي هذا المجتمع الخيامي المتقدم علميًا واقتصاديًا نتمنى على الخياميين والخياميات

دد السابع نشرة الدردارة صفحة ١٤ السنة الثالثة نيسان ١٩٩٧م.

من أية عائلة كانوا ولأية شريحة انتموا، أن يعززوا نهضتهم العلمية والاقتصادية بنهضة اجتماعية فيتعاونوا بصدق ويتكاملوا بعدل ويتنافسوا بمحبة، ويقرأوا الماضي والحاضر بتجرد وصراحة على أن يتم كذلك في مناخ ملائم من الحرية والمساواة والديمقراطية.

شعـراء وأدباء آل عـبدالله

سوف يكون لنا وقفة في الطبعة الثانية من هذا الكتاب مع الشعراء والأدباء، حيث داهمنا
لوقت ونحن على عجلة من إصدار الكتاب في طبعته الأولى، بعد ست سنوات من البحث وجمع
لعلومات.

العصر الأول مواليد القرن الثامن عشر والتاسع عشر

الحاج حسن أفندي ابن محمد عبدالله ١٧٩٠-١٩٠٤.

موسى أفندي ابن محمد عبدالله ١٧٩٥-١٨٨٢.

الحاج محمد أفندي عبدالله ١٨٣٩-١٩٢٩.

أمين أفندي التنوخي عبدالله ١٨٦٥-١٩١٣.

اسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٥٣-١٩٢٣.

المفتي الحاج علي بن محمد أفندي عبدالله ١٨٧٠-١٩٦١.

علي أفندي إبراهيم عبدالله ١٨٨٢-١٩٥٧.

المفتي الحاج حسين ابن الحاج علي عبدالله ١٩٠٥-١٩٩٠.

الحاج محمد ابن الحاج حسين عبدالله ١٨٩٢-١٩٧١.

عبدالحسين إسماعيل عبدالله ١٨٩٦-١٩٩٠ له ديوان حصاد الأشواك.

العصر الثاني مواليد القرن العشرين

لنائب إبراهيم علي أفندي عبدالله ١٩٢٠-٢٠٠٢.

سكنة الحاج مصطفى عبدالله ١٩١٨-١٩٩١ لها ديوانان من الشعر (مذكّرات لاجئة) و(نهاية
دى).

حسن محمود عبدالله ١٩١١-١٩٩٠ له ديوان لم يطبع.

لحاج إبراهيم أحمد عبدالله ١٩٢٣ له مؤلفات أدبية وإسلامية.

ال عبدالحسين العبدالله شاعر وأديب مواليد ١٩٢٦.

أستاذ علي حسين خليل عبدالله (١٩١٩-) له ديوان شعر: مختارات شاعر، وكثير من المؤلفات
ة والثقافية والعلمية والدينية.

صل حسن محمود عبدالله ١٩٤٥ أديب وكاتب.

حسن إبراهيم إسماعيل عبدالله ١٩٣٧-٢٠٠٩ م. شاعر الفطرة وصاحب طرفة.

محمد حسن محمود عبدالله ١٩٥٠ له مؤلف (دراسة في العلوم الاجتماعية عن الخيام صدرت عام ١٩٨١م.).

سليمان داوود عبدالله ١٩٢٣-١٩٩٠م.له كثير من الأشعار لم تطبع.

كامل عبدالحسين عبدالله ١٩٢٣-١٩٧٠ له مؤلفات في الأدب.

الدكتورهاني عبدالحسين إسماعيل عبدالله١٩٣٦-٢٠٠٤ مجاز في التاريخ له مؤلف تاريخي طرق التجارة والحروب في البقاع والجنوب.

إسماعيل عبد الحسين عبدالله ١٩٣٤-٢٠٠٧ شاعر وأديب له كثير من الأشعار لم تطبع.

نزيه حسين علي أسعد عبدالله ١٩٤٤ له أشعار لم تطبع.

طالب حسين علي أسعد عبدالله١٩٤٩-٢٠٠٣له عدة مؤلفات أدبية.

حسن خليل محمد عبدالله مواليد١٩٤٤ من شعراء الوطن العربي المتميزين كتب للاطفال فصدر له حوالي ستين كتاباً بين شعر ونثر .ترجمت مختارات من شعره إلى الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية والروسية.من بعض أعماله الشعرية: أذكر أنني أحببت - الدردارة - راعي الضباب.

محمد سامي علي حسين خليل عبدالله مواليد ١٩٤٦-٢٠١٦ له عدة دواوين من الشعر ومن شعراء الوطن العربي المميزين.

الشاعر علي محمد أمين عبدالله من مواليد ١٩٤٨ من شعراء قصيدة النثر المتميزين.

حسن علي نعيم خليل عبدالله مواليد١٩٤٧ له كثير من الأشعار لم تطبع.

أمل هاني عبد الحسين إسماعيل عبدالله مواليد ١٩٧٥ روائية لها مؤلفات أدبية (برج الخديعة) و(يوم سقطت طهران).

أسعد علي نعيم خليل عبدالله مواليد ١٩٦٣له كثير من أشعار النثر لم تطبع.

حسين علي محمد إسماعيل عبدالله مواليد ١٩٦٣ له ديوان شعر لم يطبع باللهجة العامية.

عصام محمد منيف عبدالله مواليد١٩٤١م. شاعر وأديب، وكاتب وخطيب مفوه وناقد أدبي له دواوين شعر منها (سطر النمل) (قهوة مرَّة)،(مقام الصوت).

عماد محمد منيف عبدالله مواليد ١٩٥٠ أديب وصحافي وكاتب له أربع مؤلفات (التابع) مجموعة

صية (الأرض الحرام)، (قطر الندى)،(عين الناقد) وله عدة مشاريع كتب قيد الأعداد.

حسن محمد أمين عبدالله مواليد ١٩٥٥ له ديوان من الشعر (مولانا الغرام).

حسن علي حسين خليل عبدالله مواليد ١٩٤٤ له مؤلف في التاريخ(دراسة اجتماعية وسكانية الخيام صدرت عام ١٩٧٥م.).

لشيخ حسين أسعد عبدالله ١٩٤٢-٢٠١٢ له كثير من الأشعار لم تطبع، ويحتفظ بأشعار كثيرة يل الأول.

وقي محمد علي عبدالله مواليد ١٩٤٠ كاتب وأديب لديه مشروع كتاب قيد الإعداد.

لدكتورة نجاح علي فايز حسن عبدالله مواليد ١٩٥٩ كاتبة وإعلامية مميزة.

حمد محمد مالك عبدالله مواليد١٩٦٠ له دراسة اجتماعية عن أسرة آل عبدالله ٢٠٠٦م.

أبناء الحاج حسن بن محمد آل عبدالله[1]

– الحاج علي ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٣٣-١٩١٨م.

وج ثلاث نساء وأنجب منهن خمسة أبناء وخمس بنات.

- الزوجة الأولى المرحومة الحاجةفاطمة بنت الحاج محسن عواضة.

جب منها ولدين هما: حسين ومحمد.

ن البنات اثنتين هما: زهرة الجبين تزوجت من الحاج محمود عبدالله، والحاجة أم العلا تزوجت مد حيدر.

– الزوجة الثانية المرحومة الحاجة فاطمة عباس(حولا).

جب منها ولدين هما: كامل وجميل.

ن البنات اثنتين هما: عبدة الزهراء تزوجت من محمد الحاج قاسم من (حولا) وزكية تزوجت ن ذيب الضاوي.

الزوجة الثالثة المرحومة الحاجة ملكة سويد.

نند شجرة عائلة آل عبدالله التنوخيين في خيام مرجعيون، من جبل عامل في جنوب لبنان قام بتحقيق المستند لإشراف عليه الحاج أحمد محمد مالك عبدالله سنة ٢٠٠٦. حيث قمنا بإضافة بعض التواريخ التي توفرت عض أسماء الزوجات اللواتي فات ذكرهن، وكذلك استعنا بشجرة العائلة التي أعدّها المربي الاستاذ علي ليل عبدالله لإكمال مافات ذكره.

أنجب منها ولدًا هو خليل وبنتًا واحدةً هي بدور تزوجت من الحاج سلمان عبدالله.

٢- الحاج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٣٩-١٩٢٩م.

تزوج ثلاث نساء وأنجب من زوجة واحدة فقط ولدين وبنتًا.

أ- الزوجة الأولى المرحومة الشريفة الحاجة نور فضل الله من بلدة عيناثا.

أنجب منها ولدين هما: الحاج علي مفتي مرجعيون الأسبق، والحاج محمود وبنت واحدة هي الحاجة فاطمة.

ب ـ الزوجة الثانية المرحومة الحاجة خديجة أبو عباس لم ينجب منها.

ج ـ الزوجة الثالثة المرحومة الحاجة خاشية إبراهيم صادق لم ينجب منها.

٣- الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٤٢-١٩١٦م.

تزوج اثنتين وأنجب منهن ثلاثة أولاد وخمس بنات.

أ- الزوجة الأولى الحاجة بيبي بنت الشيخ إبراهيم صادق.

أنجب منها ثلاثة أبناء هم الحاج خليل وعلي أفندي وعبد اللطيف.

وأربع بنات هن:

-الحاجة فاطمة تزوجت من خليل أفندي فرحات.(عميد أسرة آل فرحات).

-الحاجة خديجة تزوجت من الحاج علي بن الحاج محمد أفندي عبدالله (مفتي مرجعيون)سابقًا.

-الحاجة نايفة تزوجت من الحاج محمد سعيد بزي(عميد آل بزي).

-الحاجة سنية تزوجت من السيد رضا مرتضى، إمام مقام السيدة زينب في ضاحية دمشق.

ب ـ الزوجة الثانية زينب عزير أنجب منها بنتًا واحدة هي:

- الحاجة مريم تزوجت من عبداللطيف يوسف الزين عبدالله.

٤- الحاج محسن ابن الحاج حسن عبدالله

تزوج اثنتين وأنجب منهن أربعة أولاد وثلاث بنات

أ- الزوجة الأولى: ملكة سويد أنجب منها ولدًا واحدًا وهو سليم

ب ـ الزوجة الثانية: علوية هاشم وهي من دير ياسين، أنجب منها ثلاثة أولاد وهم محمود وداوود وعبد الحسن وثلاث بنات وهن رقية تزوجت من محمود محسن فاعور وخديجة وفاطمة.

٥- خليل ابن الحاج حسن عبدالله (ت١٩١٦)

تزوج اثنتين وأنجب منهما تسعة أبناء وخمس بنات.

أ- الزوجة الأولى الحاجة زينب زلزله أنجب منها خمسة أبناء وهم نعيم ومحمد علي وحسين

ن وعبد الرسول.

وثلاث بنات هن:

- ملكة زوجة السيد حسن السيد سعيد زلزلة.

-زهرة زوجة شبيب الحاج جواد عبدالله.

-عبدة الزهراء.

ب- الزوجة الثانية خديجة سويد.

جب منها أربعة أبناء وهم: إبراهيم وعبد الحسين وعبد الصاحب وعبد اللطيف.

من البنات عطور وفاطمة.

- أحمد ابن الحاج حسن عبدالله (ت١٩٢٣)

وج امرأة واحدة وأنجب منها خمسة أبناء وبنتًا واحدة.

بناء هم علي وحسين وعبد الرضا وعبد الحميد وعبد علي.

ن البنات الحاجة مريم زوجة كامل الزين عبدالله.

الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٥٠-١٩٢٤)

ج خمس نساء وأنجب منهن سبعة أولاد وسبع بنات.

لزوجة الأولى الحاجة حديث ابنة الشيخ إبراهيم يحيى.

ب منها اثنين من الأبناء وهما نجيب وشبيب.

جب من البنات اثنتين وهما:

اجة دمشقة.

اجة فاطمة.

الزوجة الثانية ريا الحكيم وهي من دمشق.

ب منها اثنين من الأبناء وهما الحاج عادل والحاج حاتم.

ب من البنات واحدة وهي الحاجة خديجة.

ت ـ الزوجة الثالثة الحاجة هدلا حمود.

أنجب منها ابنًا واحدًا وهو الحاج سعيد.

ث ـ الزوجة الرابعة الحاجة خديجة الحاج عبدالله عبدالله.

أنجب منها بنتًا واحدةً وهي الحاجة مريم.

ج ـ الزوجة الخامسة الحاجة فاطمة علي ذيب عواضة توفيت عام ١٩٧٧م.

أنجب منها اثنين من الأبناء وهما الحاج حسن وعلي.

وأنجب ثلاث بنات وهن: الحاجة عبدة الزهراء والحاجة سكنة والحاجة زينب.

٨- الحاج الزين ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٥٣-١٩٢٣

تزوج من الحاجة فاطمة بشير فاعور.

أنجب منها ثلاثة أبناء وأربع بنات.

الأبناء هم: كامل ويوسف ومحمد علي.

ومن البنات الحاجة رقية زوجة محمد موسى عبدالله وعبدة الزهراء، وزينب، وخديجة زوجة مجيد أمين عبدالله.

٩ - إسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله ١٨٥٣ - ١٩٢٣

تزوج امرأتين وأنجب منهما تسعة أبناء وست بنات .

أ - الزوجة الأولى هي جليلة حجازي من بلدة (رب الثلاثين).

أنجب منها خمسة أبناء هم:

- علي ١٨٨٠-١٩٥٤ تزوج من الحاجة زينب نصار عواضة، وأنجب منها بنتين هما المرحومة الحاجة فاطمة والحاجة بلقيس وولدًا توفي صغيرًا اسمه حسين.

- أسعد ١٨٨٤-١٩٥٤ تزوج من الحاجة فاطمة صادق عمة الشيخ عبد الكريم صادق.

- عبداللطيف ١٨٨٦-١٩٥٧ تزوج من الحاجة دمشقة محسن فاعور ١٨٩١-١٩٦٧ (عبداللطيف هو جد المؤلف وقد سمي علي اسمه).

- عبدالله ١٨٨٧-١٩٧٤ تزوج من الحاجة مريم بنت الحاج محمد علي ابن الحاج عبدالله بن محمد عبدالله.

- حسين ١٩٠٧-١٩٧٦ لم يتزوج.

وأنجب من البنات أربعًا وهن:

- فاطمة توفيت عام ١٩٧١تزوجت من الشيخ نعيم خليل الحاج حسن عبدالله توفي عام ١٩٦.

- دمشقة تزوجت من نجيب الحاج جواد عبدالله طلقت وتزوجت من الشيخ إبراهيم ابن يخ عبدالحسين صادق وطلقت ولم تنجب أولادًا.

- الحاجة خديجة تزوجت من بلدة مركبة من آل عطوي.

- الحاجة نايفة لم تتزوج.

ب ـ الزوجة الثانية هي الحاجة ملكة بنت الحاج أسعد ابن الحاج حسين بن محمد عبدالله.

أنجب منها أربعة أولاد وبنتين.

لأولاد هم:

- عبد الحسين ١٨٩٦-١٩٩٠م. تزوج من الحاجة فاطمة الحاج خليل سمّور ١٩٠٦-١٩٨٦

- محمد ١٨٩٨-١٩٦٧تزوج من الحاجة مريم أبو عباس.

- إبراهيم ١٩٠١-١٩٨٣ تزوج من الحاجة مريم بنت الحاج جواد عبدالله.

- خليل ١٩١٠-١٩٩١تزوج من الحاجة بهية ١٩١١-٢٠٠١م. بنت الحاج رشيد ابن الحاج ر موسى عبدالله.

أنجب من البنات اثنتين وهما:

- الحاجة زينب زوجة نمر حسين يوسف حمود عبدالله

الحاجة الأميرة زوجة حسين الحاج علي الحاج ضاهر موسى عبدالله.

١ - الحاج حسين ابن الحاج حسن عبدالله١٨٦٣-١٩١٨.

وج ثلاث نساء وأنجب منهن أحد عشر ولدًا وست بنات.

الزوجة الأولى هي سعدى حسين عجمي من بلدة أرنون.

جب منها أربعة أبناء وهم خنجر أفندي والحاج محمود والحاج محمد وعلي.

جب من البنات اثنتين وهما:

لحاجة خديجة زوجة محمد علي ملحم فاعور.

لحاجة فاطمة زوجة محمد الحاج خليل عبدالله.

ب ـ الزوجة الثانية هي عطور موسى حمود عبدالله.
أنجب منها خمسة أبناء وهم: نعيم وخليل و الحاج عبدالله وإبراهيم وحسين.
وأنجب ثلاث بنات وهن:
- الحاجة دمشقة زوجة سعيد مهنا.
- الحاجة نزهه زوجة الحاج عبد المجيد الحاج خليل عبدالله.
- الحاجة فايزة زوجة الحاج حسن الحاج جواد عبدالله.
ج ـ الزوجة الثالثة هي الحاجة مريم مصطفى ملحم شقير.
أنجب منها اثنين من الأبناء وهما حسن ويوسف.
وأنجب بنتًا واحدة هي:
- الحاجة زينب زوجة نعيم أمين أسعد عبدالله.

١١ - أمين ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٦٥-١٩١٣)

تزوج ثلاثة نساء وأنجب منهن خمسة أبناء وست بنات.
أ ـ الزوجة الأولى هي الشريفة هاشمية هاشم من بلدة دير سريان.
أنجب منها اثنين من الأبناء هم سعيد ومجيد.
وأنجب من البنات واحدة هي: زينب زوجة محمد علي الحاج الزين عبدالله.
ب ـ الزوجة الثانية هي فاطمة حسين عجمي من بلدة أرنون.
أنجب منها ابنًا واحدًا هو حكمت.
وأنجب ثلاث بنات وهن:
- خديجة زوجة خليل الحاج حسين عبدالله.
- الحاجة سكنة أم محمد زوجة سعيد فارس فاعور.
- مريم تزوجت من الحاج خليل حيدر ولم يدم الزواج طويلًا.
ت ـ الزوجة الثالثة حنيفة الحكيم.
أنجب منها اثنين من الأبناء وهم حسن وتوفيق.
وأنجب من البنات اثنتين وهما:
- الحاجة ضيا تزوجت من الشيخ حسن صادق ابن العلامة عبدالحسين صادق.

لحاجة مهيبة تزوجت من عبدالعزيز البغدادي.

- سلمان ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٨٥-١٩١٥)

ج من فاطمة الحاج عبدالله بن محمد عبدالله.

جب منها ثلاثة أبناء هم محمد وعلي وحسن.

- عبد الحسين ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٨٧-١٩٧١)

ج من نرجس السيد سعيد زلزلة ولم ينجب منها عاش في بلاد الاغتراب (الأرجنتين) وتوفي

م.

- الحاج مصطفى ابن الحاج حسن عبدالله (١٨٥٧-١٩٣٢)

ج امرأتين وأنجب منهن ثلاثة أبناء وثماني بنات.

زوجة الأولى الحاجة فاطمه حسن ملحم شقير.

ب منها ابنًا واحدًا هو علي فايز.

جب ثلاث بنات وهن:

اجة دنيا زوجة الحاج خليل الحاج إبراهيم عبدالله.

اجة شاهينة زوجة عبد الرضا عبدالله.

اجة خديجة زوجة خنجر الحاج حسين عبدالله

لزوجة الثانية فاطمة حمور عواضة.

ب منها اثنين من الأبناء وهما محمد سعيد والحاج ابراهيم.

ب خمس بنات وهن:

اجة زينب زوجة محمد محمود الحاج حسين عبدالله.

اجة عربية زوجة الحاج عبدالله الحاج حسين عبدالله.

ة زوجة المربي علي حسين خليل عبدالله.

اعرة سكنة تزوجت من السفير محمد حسيب خنجر عبدالله وطلقها.

اد زوجة محمد أمين خليل عبدالله.

لأمير محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي

لأمير محمد خمسة: أكبرهم الحاج حسن - موسى - الحاج حسين - حمود - الحاج عبدالله

وهو أصغرهم. وثلاث بنات هن الحاجة أم ظاهر الحاجة زمزم والحاجة بيداء توفيت دون عقب والأرجح بأنها توفيت في صغرها.

- الأمير محمد لقب بالأمير فوالده عبدالله أميرٌ وجده أميرٌ هو الأمير موسى علم الدين، تزوج الأمير محمد من آل الفضل عرب الفاعور أمراء الجولان السيدة الجليلة ربية الفاعور.

أما آل علم الدين فانتقل إليهم هذا اللقب أوائل القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن كانوا يعرفون بآل عبدالله أو بنو عبدالله، وهواللقب الذي صاحبهم منذ دخولهم الأول للبنان عام ٨٢٠ ميلادي.

أما أولاده فهم:

١ - الحاج حسن أفندي ابن محمد عبدالله (١٧٩٠ - ١٩٠٤)

تزوج ثلاث نساء وأنجب منهن أربعة عشر ولدًا وخمس بنات.

أ-الزوجة الأولى الحاجة فاطمة حسن مهدي أنجب منها أربعة أولاد وثلاث بنات.

الأولاد هم: الحاج علي، محسن ،خليل، أحمد.

البنات هن: زمزم تزوجت علي ملحم شقير، الحاجة ربية تزوجت من يوسف يونس، والحاجة زينب تزوجت من العلامة الشيخ عبدالحسين صادق ابن العلامة الشيخ إبراهيم صادق.

ب ـ الزوجة الثانية الحاجة خديجة ملحم شقير أنجب منها ثمانية أولاد .

الأولاد هم:الحاج محمد أفندي ، الحاج إبراهيم، الحاج زين، اسماعيل، الحاج مصطفى، الحاج جواد، الحاج حسين، وأمين.

ت ـ الزوجة الثالثة الحاجة رحمة أبو عباس أنجب منها ولدين وبنتين.

الولدان هما: سلمان وعبد الحسين.

البنتان هما: مريم تزوجت من الزعيم كامل بك خليل الأسعد، الحاجة خديجة تزوجت من حسن الحاج عبدالله.

٢ - موسى أفندي ابن محمد عبدالله (١٧٩٥-١٨٨٢)

انجب ولدًا واحدًا هو الحاج ظاهر والحاج ظاهر أنجب ثلاثة أولاد الحاج علي ،صالح ،الحاج رشيد.

الحاج علي أنجب :حسين.

صالح أنجب: عبدالحسن، محمد، ظاهر، وأحمد.

الحاج رشيد أنجب: عبدالله، عبدالرضا، عبد الرؤوف.

٣- الحاج حسين بن محمد عبدالله (١٨٠٠-١٨٨٧)

تزوج من الحاجة أم أسعد زعرور أنجب منها: الحاج أسعد، الحاج محمود، خليل، محمد، لب.

- الحاج أسعد أنجب: أمين والحاج علي أمين أنجب كل من: عبدالله، إبراهيم، نعيم، حسن،
- الحاج علي أنجب كل من: حسين، الحاج محمد، الحاج حسين، وأحمد.
- الحاج محمود أنجب: حسين، حسن، إبراهيم، الحاج محمد، نجيب.
- حسين لم يذكر له عقب.
- حسن أنجب: علي.

إبراهيم أنجب كل من: محمود، خليل.

الحاج محمد أنجب كل من: مالك، علي، حسين، عبدالله، أحمد.

خليل أنجب: علي وعلي أنجب: خليل.

محمد أنجب: خليل وخليل أنجب كل من: محمد، حسين، حسن

طالب أنجب: علي.

- حمود بن محمد عبدالله (١٨٠٣-١٨٩٦)

سم الأول لزوجته مشعل أنجب منها ولدين هما موسى، يوسف.

أنجب موسى بن حمود من خاتون يونس أربعة أولاد هم: عبدو، علي، محمد، عبدالله.

عبدو موسى أنجب خمسة أولاد هم: حسن، عبدالحسين، الحاج محمد، الحاج إبراهيم، الحاج علي.

علي موسى أنجب أربعة أولاد هم: حسين، خليل، الحاج رضا، إبراهيم.

محمد موسى أنجب ولدين هما: موسى، محمود.

عبدالله موسى لم يذكر شيء عن عقبه.

وسف بن حمود أنجب ولدين هما: حسين، سعيد.

حسين بن يوسف أنجب أربعة أولاد هم: يوسف، أحمد، نمر، محّمد.

سعيد بن يوسف لم يذكر شيء عن عقبه.

٥ – الحاج عبدالله بن محمد عبدالله (١٨٠٥-١٨٩٧)

تزوج من زين الورود شقير أخت زوجة أخيه الحاج حسن عبدالله أنجب ثلاثة أولاد هم: الحاج محمد علي، الحاج سلمان، حسن.

-الحاج محمد علي أنجب: الحاج أحمد، وعبد الرضا.

الحاج أحمد أنجب: عبدالله، الحاج علي، الحاج محمد علي، طلعت، حسين، الحاج إبراهيم.

– عبد الرضا أنجب: الحاج كامل، محمد علي.

– الحاج سلمان أنجب: الحاج عبدالله، خليل.

– الحاج عبدالله أنجب: علي

– خليل لم يذكر عن عقبه شيء.

– حسن أنجب كل من: محمد، علي، أمين.

– محمد أنجب: عبد علي، وحسين، حسن.

– علي أنجب: حسن.

– أمين أنجب كل من: حسن، حسين، عباس.

أسماء السادة المحترمين رواة الأحاديث والأسانيد وحفظة التاريخ لهم الشكر، الرحمة إلى الذين توفوا قبل صدور الكتاب.

- الحاجة عبدة الزهراء حسين بشير فاعور مواليد ١٩٠٥ وفاة ٢٠١٢ زوجة الحاج عبدعلي فاعور
- الحاج عبد علي فاعور مواليد ١٩٠٦ وفاة٢٠١٣
- المربي علي حسين خليل عبدالله مواليد ١٩٢٠
- الحاج محمد علي أسعد عبدالله مواليد ١٩٢١ وفاة ٢٠١٢
- علي عبد الحسن عواضة مواليد ١٩٢١ وفاة ٢٠١٥
- علي الحاج جواد عبدالله مواليد ١٩٢٢
- الحاجة زينب الحاج عبدالله مهدي مواليد ١٩٢٢ وفاة ٢٠١٤
- الحاج علي عبدو موسى عبدالله مواليد ١٩٢٢ وفاة ٢٠١٢
- الحاجه لطفية أمين اسعد عبدالله مواليد ١٩٢٣ وفاة ٢٠١٣
- الحاج إبراهيم أحمد عبدالله مواليد ١٩٢٣
- خليل حشمي أبو عادل مواليد ١٩٢٤
- الحاجة جواهر ابنة علي أفندي عبدالله مواليد ١٩٢٥
- علي محمد إسماعيل عبدالله مواليد ١٩٢٦ وفاة ٢٠١٥
- الحاج إسماعيل محمد إسماعيل عبدالله مواليد ١٩٢٧
- الحاج حسين عبداللطيف إسماعيل عبدالله مواليد ١٩٢٧ وفاة ٢٠١٢
- الحاج حسن علي أسعد عبدالله مواليد ١٩٢٧ وفاة ٢٠١٣
- الحاج توفيق محمد الحاج درويش الضاوي مواليد ١٩٢٧
- خليل إبراهيم سليم عبدالله مواليد ١٩٢٧
- الحاجة زينة عبدالله السيد مواليد ١٩٢٨ - قليا
- الحاجة عزيزة عبدالله أمين أسعد عبدالله مواليد ١٩٣٠

- محمد علي أفندي عبدالله	مواليد ١٩٣٠ وفاة ٢٠١٧
- محمد إبراهيم سليم عبدالله	مواليد ١٩٣١
- الحاج علي صالح فاعور	مواليد ١٩٣٢
- الحاج محمد علي عبد المجيد عبدالله	مواليد ١٩٣٢
- محمد الحاج حسن أمين التنوخي عبدالله	مواليد ١٩٣٣ وفاة ٢٠١٣
- الحاجة نايفة ابنة علي أفندي عبدالله	مواليد ١٩٣٥
- الحاجةفاطمة عبدالله الحاج سلمان عبدالله	مواليد١٩٣٥
- الحاج رضا الحاج محمد عبدالله	مواليد ١٩٣٥ وفاة ٢٠١٤
- الحاجة بدران بنت علي أفندي عبدالله	مواليد ١٩٣٦
- محمد شعبان من مدينة (النبطية)	مواليد ١٩٣٧
- الحاجة بلقيس علي إسماعيل عبدالله	مواليد ١٩٣٨
- الحاج كامل عبدالرضا عبدالله	مواليد ١٩٣٨ وفاة ٢٠١٦
- شوقي محمد علي الحاج علي عبدالله	مواليد ١٩٤٠
- الشيخ عبدالحسين عبدالله	مواليد ١٩٤٢
- المربي غالب حسن سليقة	مواليد١٩٤٢ الفرديس
- الشيخ حسين عبدالله أمين أسعد عبدالله	مواليد١٩٤٢ وفاة٢٠١٢
- علي فايز محمد منيف عبدالله	مواليد ١٩٤٤
- الحاجة جمال يوسف الحاج حسين عبدالله	مواليد١٩٥٤
- الحاجة فاطمة خليل محمد علي خليل عبدالله	مواليد١٩٤٧

الشكر وكل الشكر إلى السيدات والسادة المحترمين

- علي الحاج جواد عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بأهم كتاب تاريخي (ديوان سقط المتاع)
علامة الشيخ عبدالحسين صادق.

- محمد حسن أمين التنوخي عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا ببعض المعلومات المدونة والوثائق
تاريخية.

- كامل علي أفندي عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بديوان(سفينة الحق) ديوان شعر للعلامة
شيخ حسن صادق.

- حسن علي حسين خليل عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بجميع النشرات الصادرة عن جمعية
عبدالله.

- فيصل حسن محمود عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بأشعار والده المرحوم الشاعر حسن محمود
دالله.

- الحاج أحمد مالك عبدالله قام مشكورًا بتزويدنا بكثير من السير الذاتية.

- صبحي عادل الحاج جواد عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بمستند شجرة آل عبدالله للحاج
د مالك عبدالله.

- أحمد حسن عبداللطيف عبدالله: قام مشكورًا بمصاحبتنا في كثير من الزيارات، وتقديمنا إلى
ر من رجالات الخيام وغيرها.

- رنين هاشم حمد الموسوي: قامت مشكورة بتزويدنا بكثير من المراجع والكتب من الجامعة
مريكية.

- عماد محمد مالك عبدالله قام مشكورًا بمصاحبتنا في رحلة طويلة وشاقة إلى مناطق الشوف
ودنا ببعض الصور المهمة.

- سامر عصام علي الحاج خليل عبدالله: حصلنا على صور مهمة قام بنشرها على موقع التواصل
جتماعي له الشكر الجزيل.

- حسان أسعد علي أسعد عبدالله: قام مشكورًا بمصاحبتنا بكثير من الزيارات خاصة الزيارة
ة إلى منزل الأستاذ المربي علي حسين خليل عبدالله، في بيروت وكذلك على كثير من المكتبات
يروت.

- حسن عبداللطيف عبدالله (ابني) قام مشكورًا بمصاحبتنا في كثير من الزيارات.

- حسين علي محمد إسماعيل عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا بأشعار الشيخ علي زين، وتقديمنا إلى بعض الأسر الجنوبية.

- علي حسين مزرعاني: الشكر الكبير إلى الأستاذ علي مزرعاني الذي فتح لي أرشيف مكتبته القيمة والتاريخية، وزودنا بكثير من الصور والمراجع النادرة، وواكبني خلال كل هذه المدة وقدمني إلى كثير من معارفه الذين زودوني بمراجع ومعلومات.

- القاضي حسين علي زين (قليا): قام مشكورًا باستقبالي في منزله في بيروت منطقة الخندق الغميق، وزودني بأشعار والده المرحوم الشيخ علي زين.

- حنان محمد علي عبد المجيد عبدالله قامت مشكورة بتزويدنا ببعض من الكتب التاريخية والمعلومات.

- هاشم السيد حمد الموسوي، وحرمه السيدة الجليلة صباح علي محمد إسماعيل عبدالله: لهما الشكر الجزيل على تقديم كل العون والمساعدة والوقوف إلى جانبنا خلال تواجدنا في العاصمة بيروت.

- هدى علي محمد إسماعيل عبدالله (زوجتي): قامت مشكورة بجهد كبير وصبر طويل بمواكبتي خلال إعدادي هذا الكتاب شكرًا على جهدك معي وحبك لي، وعلى توفير مناخ هادىء حتى إعداد هذا الكتاب.

- حسين أحمد محمد سعيد الحاج مصطفى عبدالله: قام مشكورًا بتزويدنا ببعض الصور التاريخية.

- موقع الخيام دوت كوم (الالكتروني) نشكر كل القائمين على الموقع، من خلاله حصلنا على بعض التواريخ المهمة.

- الفنان الصيني (بوي تشنغ لي) الذي أبهرني بما لديه من مقدرة على الرسم وما يملكه من تقنية حديثة وبرامج فنية، استطاع من خلالها استحضار صور غابت عنا(قطر).

- الفنان الهندي نوشاد بابو: فنان متمرس في برامج الفوتو شوب قام مشكورًا بترميم كثير من الصور التاريخية بإعادة جمالها ورونقها مع المحافظة على مضمونها (قطر).

- الفنان الهندي جوتا مرام متمرس في برامج الفوتو شوب: قام مشكورًا بترميم بعض الصور التاريخية في دولة قطر.

- الفنان الفليبيني الكسندرا رسام محترف وذوق عالي في الرسم (قطر).

- والشكر إلى كل الذين ساهموا في هذا العمل، ومعذرتي إلى كل الذين سقطت أسماؤهم سهوًا من ذاكرتي إلا أنها وقعت في قلبي لكم تحياتي جميعاً.

(فهرس المصادر والمراجع)

ـ ديوان سقط المتاع ـ الشيخ عبدالحسين إبراهيم صادق.

ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمدالِحميري.

ـ بيت بمنازل كثيرة تأليف كمال الصليبي.

ـ تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر آل صفا.

ـ عشائر الشام ـ أحمد وصفي.

ـ معجم القبائل ـ عمر رضا كحالة.

ـ نسب معد واليمن ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الاندلسي.

ـ أخبار العرب ـ اسكندر آغا.

ـ بُلُوغ الأَرَبْ ـ الألوسي البغدادي.

ـ لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ـ ظهير الدين البيهقي.

ـ تاريخ العرب القديم ـ الشيخ أحمد مغنية.

ـ الكامل في اللغة والادب ـ محمد المبرد .

ـ التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ـ نديم حمزة.

ـ ملوك حمير وأقيال اليمن ـ نشوان بن سعيد الحميرى اليمني.

ـ قصص الأنبياء ـ عبد الوهاب النجار .

ـ الإنصاف والتحري ـ ابن العديم.

ـ الاسكندر الكبير ـ الأب ميتوديوس زهيراتي.

ـ أساطير الأولين ـ مخائيل أفندي عبدالله غبريل.

ـ نهاية الأرب في أخبار العرب ـ المعلم اسكندر أبكاريوس الأرمني.

ـ فتوح الشام ـ محمد بن عمر الواقدي.

- أنساب العرب ـ سمير عبد الرزاق القطب.
- تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي .
- الأخبار الطوال تأليف أبي حنيفه أحمد بن داود الدينورى.
- قصة الحضارة ـ المؤرخ ويل ديورانت.
- حضارة الرومان ـ الدكتور السعدني.
- العرب قبل الإسلام ـ جرجي زيدان.
- التنوخيون والمناذرة ـ الدكتور حسن أمين البعيني.
- تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه.
- العرب قبل الإسلام ـ أحمد أمين سليم.
- تاريخ وادي التيم ـ يحي حسين عمار.
- قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم ـ أمل عجيل.
- دور البحرين في الملاحة والتجارة ـ محمود قمر.
- فصول في تاريخ الإسلام ـ صلاح خليفة.
- معجم البلدان ـ ياقوت الحموي.
- تاريخ الطبري ـ محمد بن جرير الطبري.
- الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير.
- التنوخيون في لبنان ـ الدكتورة مفيدة عابد.
- تاريخ ملوك الحيرة ـ علي ظريف الأعظمي.
- فلسطين القضية،الشعب، الحضارة ـ بيان نويهض الحوت.
- التنوخيون والمناذرة اللخميون والمعنيون ـ الدكتور حسن أمين البعيني.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ـ القلقشندي.
- محاضرات في تاريخ اليمن ـ أغناطيوس غويدي.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ الدكتورجواد علي.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني ـ الدكتور حسن إبراهيم حسن.

- تاريخ الدول الفارسية في العراق - علي ظريف الأعظمي.
- ابن المقفع - خليل مردم بك.
- التنوخيون تاريخ وحضارة - حافظ أبو مصلح وملاعب ويحيى.
- جامع الدرر البهية - الشيخ الدكتور كمال الحوت.
- ديوان الشريف الرضي - عبد اللطيف شرارة.
- ولاية بيروت - رفيق التميمي ومحمد بهجت.
- قواعد الآداب حفظ الأنساب - إلياس القطار بيروت.
- ولي من لبنان - يوسف إبراهيم يزبك.
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - محمد راغب.
- الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري - تغريد زعيميان.
- بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم.
- لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني - محمد علي مكي.
- تاريخ لبنان القديم ترجمة ميشال كيلو.
- تاريخ سورية ولبنان - فيليب حتي.
- تاريخ لبنان الحديث - فواز طرابلسي.
- عبد الحميد كرامي رجل لقضية - نصري الصايغ.
- أوراق لبنانية - يوسف إبراهيم يزبك.
- مجلة الأفكار اللبنانية ضمن مسلسل حلقاتها عن الشخصيات اللبنانية.
- الإمارة الشهابية - نسيب سعيد نكد.
- أعلام الدروز - محمد خليل الباشا.
- تاريخ الأمراء الشهابيين - أحد امرائهم.
- الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز - نسيب سعيد.
- مجلة الشراع اللبنانية.
- مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان - الدكتور مخائيل مشاقة.

- في الزوايا خبايا ـ سلام الراسي.
- الخيام حوادث وتواريخ في ظل الاعتداءات الإسرائيلية ـ عبد الأمير على مهنا.
- خطط جبل عامل ـ السيد محسن الأمين.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ـ شهاب الدين المقدسي الدمشقي.
- تباشير النهضة الأدبية ـ وليم الخازن.
- مستند شجرة آل عبدالله التنوخيين ـ تحقيق الحاج أحمد محمد مالك آل عبدالله.
- الأمة القلقة ـ وضاح شرارة.
- الأخبار الشهيّة عن العيال المرجعيونيّة والتيميّة ـ حنا حردان خوري.
-قضاء مرجعيون بلدات وبلديات ـ رونيت ضاهر وروجيه نهرا.
- مطالب جبل عامل ـ الدكتور علي عبد المنعم شعيب.
- حوادث جبل عامل ـ الشيخ أحمد رضا.
- تاريخ أخبار الأعيان في جبل لبنان ـ الشيخ طنوس الشدياق.
- التنوخيون في لبنان ـ الدكتورة مفيدة عابد.
- السجل الأرسلاني ـ الدكتور محمد خليل الباشا ود. رياض حسين غنّام.
- أوراق لبنانية ـ يوسف إبراهيم يزبك.
- معجم أعلام الدروز ـ محمد خليل الباشا.
- التنوخيون ـ نديم نايف حمزة.
- الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل ـ علي داود جابر.
- خطط جبل عامل ـ السيد محسن الأمين.
- تاريخ جبل عامل تأليف محمد جابر آل صفا.
- الأمة القلقة ـ وضاح شرارة.
- كتاب التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين/ الجزء الثاني، تأليف العميد الركن د. ياسين سويد.
- التنوخيون والمناذرة اللخميون والمعنيون ـ الدكتور حسن أمين البعيني.

- جبل عامل في محيطه العربي ـ الدكتورمصطفى محمد بزي.
- معجم أسماء الأسر والأشخاص ـ أحمد أبو سعد.
- تاريخ حاصبيا ـ الأستاذ غالب سليقة.
- الخيام في ظل الاعتداءات الإسرائلية ـ الأستاذ عبد الأمير مهنا.
- جبل عامل في التاريخ ـ الحُجّة الشيخ محمد تقي الفقيه.
- كتاب عروس المرج رحلة في ماضي الخيام المؤلف كامل فاعور.
- كتاب مذكرات رضا التامر ـ تأليف رضا التامر.
- حصاد الأشواك ديوان شعر للشاعر عبدالحسين إسماعيل العبدالله.
- كامل الحسين زعيم الحولة ـ آمال محمود اليوسف.
- صفحات من التاريخ جديدة مرجعيون ـ هنري أبو عرّاج.
- جامع الدرر البهية لأنساب القرشيين في البلاد الشامية ـ الأستاذ كمال الحوت
- من كل وادي عصا ـ سلام الراسي.
- لئلا تضيع ـ سلام الراسي.
- القيل والقال ـ سلام الراسي.
- جود من الموجود ـ سلام الراسي.
- يا جبل ما يهزك ريح ـ سلام الراسي.
- ثمانون العمر الذائب ـ سلام الراسي.
- الهجر ـ نجاح طاهر.
- جمهورية فؤاد شهاب ـ نقولا ناصيف.
- حجر وطين تأليف العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه.
- حركة الإصلاح الشيعي علماء جبل عامل وأدباؤه ـ صابرينا ميرڤان.
- الصالونات الادبية في تبنين ـ الدكتور حسن محمد صالح.
- الجوهر المجرد في تاريخ الأمير ناصيف النصار ـ الدكتور حسن محمد صالح.
- سفينة الحق ديوان شعر العلامة الشيخ حسن صادق.

- تاريخ الشيعة في لبنان سعدون حمادة الجزء الأول والثاني .

- النبطية في الذاكرة ١٨٦٠ـ١٩٩٩م. علي مزرعاني.

- فهرسة جبل عامل ولبنان الجنوبي ١٩٠٦ ـ ٢٠١٣م.علي مزرعاني.

- تاريخ بعلبك لميخائل ألوف طبع في بيروت المطبعة الأدبية سنة ١٩٠٤م.

- مجلة الشراع اللبنانية نشرت سلسلة حلقات تباعًا من تاريخ ١٧-١٠-١٩٩٤إلى تاريخ ٧-٨-١٩٩٥م تحت عنوان هكذا تكلم أحمد الأسعد وقد كان رقم أولى حلقاتها في العدد٦٥٠ لينتهي نشرها بالحلقة ٤١ في العدد٦٩١ وقام بإعداد هذه الحلقات سلام الحاج. وقد حصلنا عليها من أرشيف علي حسين مزرعاني النبطية ـ جنوب لبنان٢٠١٢م.

في الختـــــام

أطمح لأن يكون هذا البحث رسالة... رسالة حب ووفاء إلى أجدادنا وإلى عشيرتي التي أفتخر بها آل عبدالله، التي لعبت دورًا سياسيًا بارزًا بأحداث المنطقة لمدة أربعة قرون، يرجى أن تكون هذه الدراسة قد حققت بعض ما كنت أهدف إليه وأطمح لأن ترضي عائلتي وأهل بلدتي الخيام الكرام، وإنني أرحب بالملاحظات الإيجابية التي تساعد على تطوير هذه الرسالة أو تعديل بعض جوانبها في نسختها الثانية... وقد تكون بعض التواريخ غير دقيقة مئة في المئة، يرجى تزويدنا بأي وثيقة ونحن على استعداد لدراستها ونشرها بكل محبة واحترام ..وجزاكم الله خيرًا.

إبنكم عبد اللطيف

الدوحة ـ قطر

نبذة عن المؤلف

- الاسم عبد اللطيف حسن عبدالله.
- من مواليد بلدة الخيام ١٧-٢-١٩٦١.
- أنهى سنواته التعليمية الأولى في الخيام.
- نتيجة الحرب اللبنانية غادر إلى أبوظبي بتاريخ ١٨-٦-١٩٧٦م.
- تخرج من معهد أبوظبي المهني عام ١٩٧٨.
- حصل على دبلوم في صناعة النفط عام ١٩٨٠م. من مركز الإعداد والتطوير لصناعات النفط (أبوظبي).
- عمل في مجال النفط والبتروكيماويات في أبوظبي إلى سنة ٢٠٠٠م.
- غادر إلى قطر للعمل في مجال تخصصه عام ٢٠٠٠م. ومازال.
- انتسب إلى جامعة (تومسون) مقرها السعودية حصل على دبلوم عالي في قطاع النفط عام ٢٠٠٤م.
- انتسب إلى جامعة وادي النيل في دولة قطر لمدة سنتين دراسات في الشريعة والقانون ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨م ولم يكمل تعليمه.
- كثير الشغف بالقراءة والبحث والمطالعة منذ ريعان الشباب مما حفز في نفسه روح الكتابة.

الأعمال القادمة للمؤلف

- ولاء حتى الفناء ـ سيرة المناضل شبيب الحاج جواد عبدالله.
- شاعر جبل عامل المرحوم أبوكامل ـ سيرة وحياة الشاعر عبد الحسين عبدالله.
- نزهة السامر في معرفة أهل جبل عامل ـ نوابغهم، طرائفهم، أدبهم، وشعرهم.
- معجم المعاجم في الرجال اللوامع ـ معجم رجال عائلة آل عبدالله في الخيام.

الفَهرس

الإ
أس
خر
شـ
الـ
مقد
وفا
لبنا
لماد
آل
عن
تسم
علم
التفا
لا ط
تاري
القـ
نسب
يعرب

الفَهرس

هداء...٥
رة آل العبدالله: تاريخ عمره أربعة آلاف سنة..............................٧
يطة طريق أجداد آل عبدالله...٩
خصيات السادة آل عبدالله في الخيام.......................................١١
اج حسن أفندي عبدالله وأولاده الأربعة عشر................................١٣
مة..١٧
ء لأجدادي...٢٨
ن في نظر المؤرخين قديمًا...٣٣
ذا سمي القسم الجنوبي من لبنان بجبل عامل وبلاد بشارة....................٣٤
عبدالله: أسرة عمرها أربعة آلاف سنة......................................٣٥
أنساب الأولين..٣٧
ية القبائل..٣٨
الأنساب وفائدته...٣٨
خر بالأنساب..٣٩
ريق إلى صلة الرحم إلا بمعرفة الأنساب.....................................٤٠
خ النسب والكنية لآل عبدالله...٤٠
طانيون..٤١
قحطان..٤٢
بن قحطان...٤٣

العرب على طبقات ثلاث.. ٤٤
العرب البائدة.. ٤٤
العرب العاربة.. ٤٥
العرب المستعربة.. ٤٥
طبقات النسب عند العرب... ٤٦
قصة مختارة: ما بين أبرهة وسيف بن ذي يزن................................ ٤٨
هجرة القبائل العربية، التقسيم الزمني للتاريخ................................. ٥٢
التاريخ قسمان: عام وخاص... ٥٢

الفصل الأول.. ٥٥
هجرة أجدادنا من اليمن إلى البحرين (بداية الميلاد - ١٣٨ ميلادي)................ ٥٧
مدينة مأرب وسدها الشهير.. ٥٨
البحرين هي المحطة الأولى.. ٥٩
أصل التنوخيين وتسميتهم.. ٦٠
أهمية الحلف التنوخي.. ٦١
التنوخية إلى يومنا هذا.. ٦٢
أقرباء آل عبدالله في الوطن العربي... ٦٣

الفصل الثاني... ٦٥
انتقال أجدادنا من البحرين إلى العراق (١٣٨ ميلادي - ٦٣٢ ميلادي).............. ٦٧
مملكة الحيرة.. ٦٩
أسماء ملوك الحيرة من اللخميين المناذرة فقط وهم أجداد آل عبدالله............ ٧١

صة النعمان مع قصر الخورنق.......................................٧٢
ملك يزدجرد وقصة ولده بهرام مع النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة..........٧٢
مما يلي بعض ملوك الحيرة...٧٣
خاتمة...٧٦

فصل الثالث...٨١
تقال أجدادنا من العراق إلى الشام (٦٣٢ ميلادي - ٨٢٠ ميلادي)................٨٣
تقال أجدادنا من العراق إلى الشام بين التقلبات السياسية والفتح الإسلامي......٨٣
ستيطان حلب..٨٣
تنوخيون والقبائل المهاجرة..٨٥
وخية أبي العلاء المعري...٨٦
تنوخيون في اللاذقية..٨٧
داء الرحيل سيوف كأقواس نصر...٨٩

فصل الرابع...٩١
تقال أجدادنا من الشام إلى لبنان (٨٢٠ ميلادي - ١٦٩٥ ميلادي).................٩٣
خروج من حلب والتوجه إلى لبنان والتنقل بين مناطقه الجبلية.................٩٣
صاهرة بين الخيام والشوف...٩٤
قع لبنان الجغرافي والسكاني قبل مجيء التنوخيين............................٩٥
جرة التنوخيين إلى لبنان، آل العبدالله وآل أرسلان..........................٩٧
دوم آل العبدالله الأجداد مع عشائر تنوخ بعد قتل ممثل والي حلب...............٩٨
حزب القيسي والحزب اليمني...١٠١

التنوخيون: آل بحتر، وآل علم الدين عبدالله وفروعهم........................ ١٠٢
نسب آل علم الدين عبدالله.................................... ١٠٤
الأمراء آل ناصر الدين، وآل أمين الدين................................ ١٠٦
آل كرامي في طرابلس.................................... ١٠٧
أمراء آل علم الدين آل عبدالله.................................... ١٠٨
أحداث لها دلالة وتأثير، ودروس لم يتعظ منها أحد........................ ١١٥
النزاع الشهابي في وادي التيم.................................... ١١٦
موقف الأمير علي الشهابي من هذه الأحداث.............................. ١١٧
توثيق العلاقة بين العليين الشهابي والمعني.............................. ١١٨
عودة فخر الدين – العلاقة بين فخر الدين وعلي الشهابي...................... ١١٩
صراع الأمير موسى علم الدين مع الأمير أحمد المعني...................... ١١٩
علاقة المصاهرة أدت إلى وراثة حكم الإمارات المعنية...................... ١٢١
الأمير بشير الثاني.................................... ١٢٣
خاتمة الصراع.................................... ١٢٤

الفصل الخامس.................................... ١٢٧
آل عبدالله في تاريخ جبل عامل والجوار.................................... ١٢٩
جبل عامل.................................... ١٢٩
استجابة جبل عامل للثورة العربية ضد العثمانيين.......................... ١٣٠
عبد الكريم الخليل يبكي بكاء الثكلى.................................... ١٣١
جمال باشا يعرض وطنه للبيع والتدمير مقابل تنصيبه سلطانًا...................... ١٣٢
انعكاسات المؤتمر الصهيوني وخلفيته.................................... ١٣٥

ين أفندي عبدالله ينشئ جمعية ١٩٠٨ هدفها مقاومة المشاريع الإستعمارية.....١٣٦
اطرة من وحي المناسبة...١٣٧
حة ما تمت، ماذا قال الأمير فيصل لأهل جبل عامل.........................١٤٠
يب العبدالله ينجو، مقاومون منذ الإنتداب الفرنسي.........................١٤٠
ملة عسكرية فرنسية، شعواء على مناطق جبل عامل.........................١٤١
ليق...١٤٢

صل السادس..١٤٣
يخ وسيرة آل عبدالله في الخيام.....................................١٤٥
دخل إلى الخيام، مقدمة...١٤٧
خيام موقع وتاريخ...١٥١
خيام من أملاك الأمير موسى علم الدين عبدالله...........................١٥٢
عبدالله في الخيام...١٥٦
ظل السلطنة العثمانية...١٥٩
الم على طريق السياسة...١٦٢
وابط الأسرية بين آل عبدالله والأسر الخيامية والجنوبية واللبنانية ١٨٢
م الوثائق التاريخية التي وقع عليها آل عبدالله ١٨٣
الأجداد إلى الأحفاد، آل عبدالله......................................١٨٥
عبدالله: رواد النهضة الأدبية والحركات السياسية في جبل عامل...........١٨٨
صادر والمراجع التاريخية..١٩١
ادر ووثائق أخرى..١٩٣
رنا ما اختاره الأمير أمين آل ناصر الدين...............................١٩٤

الحاج علي ابن الحاج محمد آل عبدالله (١٨٧١-١٩٦١)..................... ٢٠٠
آل عبدالله في كتاب "حنا".. ٢٠١
التاريخ السياسي لأسرة آل عبدالله.. ٢٠٦
الأمير موسى ابن الأمير علي علم الدين عبدالله التنوخي (١٦٣٥-١٧٠٥)..... ٢١٠
اختيار الأمير موسى للخيام... ٢١٢
تشابه الأحداث ولقاء الأحفاد... ٢١٦
الأمير عبدالله ابن الأمير موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي............... ٢١٨
محاولة للأمير عبدالله لم تنجح.. ٢٢٠
الأمير محمد بن عبدالله بن موسى علم الدين آل عبدالله التنوخي............. ٢٢٢
خصائص التركيبة الأسرية لآل عبدالله..................................... ٢٢٣
الحاج حسن أفندي ابن الأمير محمد ابن الأمير عبدالله التنوخي............. ٢٢٥
مولده ونشأته... ٢٢٧
الحاج حسن عبدالله، واقع يبحث عن مخلِّص.............................. ٢٢٨
المبارزة بالسيف والنزال الأول للحاج حسن عبدالله......................... ٢٣٠
علاقة الحج حسن عبدالله بزعماء جبل عامل............................... ٢٣٤
الحاج حسن عبدالله يدعم ثورة حسين الشبيب.............................. ٢٣٦
شبلي العريان يبعث برسول إلى دارة الحاج حسن عبدالله.................... ٢٣٦
موقف الحاج حسن عبدالله من حملة إبراهيم باشا يتحول إلى ثورة حسينية..... ٢٣٨
استراتيجية الحاج حسن عبدالله ومستقبل الخيام............................. ٢٤١
زيارة الأمير سلمان الحرفوشي لعميد أسرة آل عبدالله الحاج حسن بن محمد آل
عبدالله... ٢٤٣
أبعاد زيارة الأمير سلمان ومدلولها.. ٢٤٦

هم آل حرفوش.. ٢٤٨
ة الحرافشة تجاه إبراهيم باشا.. ٢٥٠
سيرة الحرافشة مع سليم الراسي.. ٢٥٠
د ويوحنا أولاد عم.. ٢٥١
سيرة الحرافشة مع الشيخ عبدالكريم صادمه.................................. ٢٥١
ب هجرة المسيحيين، الحكاية والهجرة وموقف الحاج حسن عبدالله منها... ٢٥٢
ب الحاج حسن عبدالله من فتنة ١٨٦٠.. ٢٥٣
ج حسن عبدالله رجل دين ودنيا... ٢٥٣
ركة الدينية في بلدة الخيام من الجد إلى الحفيد............................... ٢٥٥
ج حسن عبدالله يحيي الناقة.. ٢٥٦
حاب الحدثين على يد الشيخين... ٢٥٦
خ عبدالكريم صادق، يرفعها الله إلى الأسفل.................................. ٢٥٩
ة بلاغية نثرية في رحاب الحدثين.. ٢٦٠
ة المخالط بين آل عبدالله وأهل المطلة.. ٢٦١
سيرة آل فرنسيس الشيخ علي والشيخة عليا.................................... ٢٦٤
لام عليك يوم ولدت، ويوم رحلت ويوم تبعث حيًا............................... ٢٦٤
الجولان الذي جاء مغريًا بالحاج حسن عبدالله.................................. ٢٦٥
ى أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي..................................... ٢٦٧
ج حسين أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي............................... ٢٦٩
د أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي...................................... ٢٧١
ج عبدالله أفندي ابن الأمير محمد عبدالله التنوخي............................... ٢٧٣
ج محمد أفندي ابن الحاج حسن عبدالله التنوخي................................. ٢٧٧

الحاج محمد أفندي عبدالله يساند علي بك الأسعد في معركة هونين........٢٨١
أهالي دير ميماس، وسيف الأفندي..٢٨٢
هكذا تكلم أبو علي الحاج محمد أفندي.......................................٢٨٤
هذا الشبل من ذاك الأسد، الحاج علي ابن الحاج محمد أفندي عبدالله.........٢٨٦
كرسي الإفتاء في عهدة الشيخ الموقر العلامة عبدالحسين العبدالله...............٢٨٧
وفد برئاسة الحاج محمد أفندي عبدالله...٢٨٨
آل عبدالله يشاركون في مؤتمر وادي الحجير......................................٢٨٨
الحاج محمد أفندي إلى سوريا للتهنئة بتتويج الملك...............................٢٩٠
فصاحة الزعيم الشاعر الحاج محمد أفندي عبدالله..............................٢٩١
أب مكلوم يحط رحاله بدارة الحاج محمد أفندي بعد مسيرة أيام...............٢٩١
المحطة الأولى كانت في حاصبيا...٢٩٢
إلى الخيام وإلى زعيمها محمد أفندي عبدالله.......................................٢٩٤
الحاج محمد أفندي عبدالله قائدًا عسكريًا، قراءة موضوعية في حادثة الخيام...٢٩٦
خطة الحاج محمد أفندي العسكرية..٢٩٧
تعليق..٢٩٨
أمراء وادي التيم يتوسطون عند آل عبدالله لحل الخلاف.........................٣٠٠
مبعوث جلالة السلطان عبدالحميد في بيت الحاج إبراهيم العبدالله مستنجدًا....٣٠١
الزعيم خليل بك الأسعد أنا جدًا مسرور...٣٠١
عقد راية الصلح قرب سوق الخان...٣٠٢
زعماء آل عبدالله كادوا أنْ يتسببوا بحرب عالمية من الخيام عام ١٨٩٤ ....٣٠٤
تعليق..٣٠٥
حادثة الخيام، مواقف مشرفة..٣٠٩

ر الأجواء في المنطقة بعد مقتل الشيخ علي الحجار.......................... ٣١٠
الات جبل عامل يروون بطولات الحاج محمد أفندي عبدالله................ ٣١١
قمرة يتحدى الحاج محمد أفندي عبدالله.............................. ٣١١
ندي يشرب القهوة بعد مقتل أبو قمرة.................................. ٣١٢
اج محمد أفندي يستنفر شباب جبل عامل للدفاع عن الخيام............ ٣١٣
خ بطولات آل عبدالله تتحول إلى ملحمة شعرية........................ ٣١٣
عر محمود قاسم يروي التاريخ شعرًا.................................. ٣١٨
دة رثاء في الحاج محمد أفندي عبدالله للشيخ علي زين.................. ٣٢١
ة ووصف ما جاء في شعر الشاعر علي زين عن ذكرياته في الخيام........... ٣٢٤
ب السيف والقلم الحاج محمد أفندي عبدالله على فرسه المطهم....... ٣٣٢
ي كبير وزعيم عظيم الحاج إبراهيم ابن الحاج حسن عبدالله.......... ٣٣٤
سية الحاج إبراهيم العبدالله... ٣٣٤
ونهج الحاج إبراهيم.. ٣٣٥
ة الاجتماعية في عصره وصعوبة الوضع................................ ٣٣٦
ة الحاج إبراهيم أدت إلى صمود الناس في الأرض........................ ٣٣٧
ـ الأقنعة وانكشاف النوايا.. ٣٤٠
تماع عاليه الحاج إبراهيم العبدالله يفوِّت الفرصة على جمال باشا........ ٣٤١
اع بين الحاج إبراهيم العبدالله وجمال باشا............................ ٣٤٢
الثاني بين جمال باشا والحاج إبراهيم العبدالله في دار الطيبة......... ٣٤٣
باشا يصدر حكمه بالإعدام... ٣٤٦
ندي التنوخي ابن الحاج حسن آل عبدالله............................... ٣٤٩
يل ابن الحاج حسن عبدالله يرثي أخاه أمين أفندي التنوخي سنة ١٩١٣م... ٣٥٢

الزعيم كامل بك الأسعد الكبير وقصة مصاهرته لآل عبدالله........... ٣٥٣
الزعيم أحمد بك الأسعد.. ٣٥٧
سلسلة لبعض من زعماء أجداد آل الأسعد وآل عبدالله عاشوا في زمن واحد تقريبًا.. ٣٦٣
الزعيم علي أفندي إبراهيم العبدالله................................ ٣٦٨
علي أفندي الرجل.. ٣٦٩
علي أفندي الشخصية.. ٣٧٠
علي أفندي الشاعر والأديب.. ٣٧٢
علي أفندي في وداع والده، هذا الشبل من ذاك الأسد.................. ٣٧٣
البدايات السياسية للزعيم علي أفندي................................ ٣٧٥
علي أفندي العبدالله ينعي الحكام العجزة............................ ٣٧٦
علي أفندي الداعم للقضية الفلسطينية................................ ٣٧٧
الزعيم علي أفندي لحليم طربيه: دولة شياطين، وشعب معمَّى............ ٣٧٩
علاقة الزعيم علي أفندي بالأمير مجيد أرسلان........................ ٣٨٢
زيارة بك الشوف لأفندي الخيام زعلت مير المجيدية.................... ٣٨٣
علي أفندي وكامل الحسين عام ١٩٣٦ في ضيافة المفوض السامي الفرنسي..... ٣٨٥
علي أفندي نائب في مجلس ال ٦٣ وهو الرابع عام ١٩٣٧م.................. ٣٨٦
علي أفندي يعتب على أحمد الأسعد ويشكر كامل الحسين.................. ٣٨٧
وقوف الزعيم علي أفندي إلى جانب آل الأسعد.......................... ٣٨٨
علي أفندي يستقبل المفوض السامي كاترو ممثلاً للرئيس الفرنسي ديغول......... ٣٨٩
طبيب فرنسي يسأل عن الزعيم علي أفندي................................ ٣٩٠
علي أفندي نائب الجنوب في مجلس الـ ٥٥ وهو الخامس عام ١٩٤٣م......... ٣٩١
علي أفندي يستقبل الرئيس الشيخ بشارة الخوري......................... ٣٩٢

جواء انتخابات ١٩٥١م.. ٣٩٤
ي انتخابات الـ ٥١ إطلاق رصاص في شبعا................................ ٣٩٤
لي أفندي ابن الحاج إبراهيم العبدالله في ذمة الله....................... ٣٩٦
حاج خليل ابن الحاج ابراهيم العبدالله....................................... ٣٩٨
م ما روي عن الحاج خليل العبدالله... ٤٠٠
حاج خليل العبدالله في فلسطين بين سايكس وبيكو....................... ٤٠٠
لام الراسي يروي عن وفاة الحاج خليل العبدالله........................... ٤٠٥
جر أفندي ابن الحاج حسين العبدالله... ٤٠٧
جر العبدالله صاحب البصيرة.. ٤٠٨
جر العبدالله يستجيب لنداء رفع الضَّيْم عن جبل عامل....................... ٤٠٩
ان الكبير لم يتسع لجبل عامل: فلبى الأفنديان النداء........................ ٤١١
ا قال سلام الراسي عن خنجر العبدالله... ٤١٢
جر العبدالله أصيل ووفي لأصدقائه.. ٤١٢
متعب الأطرش إلى آل عبدالله الأجلاء.. ٤١٤
جر العبدالله يطرد الدرك الفرنسي من الخيام.................................. ٤١٦
اعر العاملي الكبير موسى الزين شرارة في رثاء المرحوم خنجر الحاج حسين
دالله... ٤١٨
عر العاملي الكبير حسن محمود عبدالله في رثاء المرحوم خنجر عبدالله... ٤١٩
الشاعر العاملي الكبير عبدالحسين اسماعيل عبدالله في رثاء المرحوم خنجر
الله.. ٤٢٠
حوم الشيخ علي زين ابن بلدة قليا، يرثي صديقه الحميم خنجر أفندي عبدالله... ٤٢١
ين أفندي ابن خنجر الحاج حسين عبدالله.. ٤٢٢

حسين أفندي العبدالله فكر وسيرة.. ٤٢٣
حسين أفندي يلقى استقبالًا حافلًا عند المدخل الشمالي لبلدة الخيام............ ٤٢٤
حسين أفندي العبدالله يسقط الحكومة وبشارة الخوري يستقيل.................. ٤٢٥
نموذج وشخصية فريدة.. ٤٢٥
قصيدة رثاء في حسين أفندي للقاضي محمد علي صادق......................... ٤٢٧
إبراهيم علي أفندي عبدالله.. ٤٢٩
النائب إبراهيم العبدالله على خطى الآباء..................................... ٤٣١
وساطة الزعيم، أدخلت الزعيم بيت الزعيم...................................... ٤٣٢
مات الزعيم يحيا الزعيم، أبو غالب زعيم بلادنا................................. ٤٣٤
إبراهيم علي افندي العبدالله رجل المهمات الصعبة.............................. ٤٣٨
إبراهيم علي أفندي العبدالله: سأمحو أسطورة آل الأسعد في الجنوب........... ٤٤٢
إنتخابات الـ ٦٤ و٦٨ خسارة تتحول إلى نصر.................................. ٤٤٤
خاتمة القول... ٤٤٥
قصيدة للشاعر محمد سعيد الحاج مصطفى العبدالله التنوخي...................... ٤٤٦
الحاج علي ممدوح بن خنجر الحاج حسين عبدالله.............................. ٤٤٧
حياته العائلية.. ٤٤٨
ممدوح العبدالله سيرة العائد.. ٤٤٨
النائب علي الحاج خليل العبدالله.. ٤٤٩
النائب علي العبدالله: الأصالة والوفاء.. ٤٥٠
علي العبدالله: أمة في رجل.. ٤٥١
تحذيرات النائب علي الحاج خليل العبدالله من الخطر الصهيوني.................. ٤٥٣
من أجل الوطن كل شي يهون.. ٤٥٥

المشروع بجهود المخلصين..٤٥٦
كر كل الشكر والرحمة كل الرحمة للنائب الحاج علي ابن الحاج خليل العبدالله..٤٥٧
ج علي ابن الحاج حسن خليل عبدالله..٤٥٨
د حسيب بن خنجر الحاج حسين عبدالله.......................................٤٦٣
ه العلمية والعائلية..٤٦٤
ب العبدالله شخصية عالمية...٤٦٥
ل حسيب العبدالله سيرة وسلوك...٤٦٦
اصات الأخيرة الشهيد حسيب العبدالله...٤٦٨
ابن العم حسيب العبدالله...٤٧٠
ج حسن علي أفندي عبدالله..٤٧٠
ح عبدالحسين إبراهيم صادق...٤٧٣
العلامة صادق ومولده ونشأته..٤٨١
ج محمد ابن الحاج حسين عبدالله..٤٨٧
الخيام في عهد الحاج محمد عبدالله...٤٨٨
حات تنسجم مع شخصية الحاج محمد عبدالله....................................٤٨٩
نظير إلى التطبيق فإقامة الحدود..٤٩٠
ه مع زعماء المنطقة...٤٩١
الحاج محمد عبدالله تحت الاحتلال الإسرائيلي...................................٤٩٢
م الحاج خليل عبدالله السيرو الذاتية..٤٩٥
العالم العربي يكرمان الأستاذ إبراهيم الحاج خليل العبدالله........................٤٩٦
ت وكلمات تعبر عن إعجابهم بالفارس المُكرَّم......................................٤٩٧
الوالد والولد الحاج خليل وولده ابراهيم..٥٠٠

الحاج علي إسماعيل ابن الحاج حسن عبدالله..٥٠٢
المشاركة بانتخابات ١٩٥١م..٥٠٣
حسن علي فايز ابن الحاج مصطفى عبدالله...٥٠٥
أبوعلي فايز الإنسان والقائد..٥٠٦
نماذج من كرم أبي علي فايز...٥٠٧
أبو علي فايز في ضيافة الرئيس سليمان فرنجية.......................................٥٠٩
هذا الشبل من ذاك الأسد: نجا بك الطيبة على يد أبي حسين...........................٥١٠
إبراهيم ابن الحاج محمد عبدالله شهيد معركة المالكية..................................٥١١
شبيب الحاج جواد ابن الحاج حسن عبدالله، المقاوم العروبي العاملي....................٥١٣
بلدة الخيام تُعاقب على يد العسكر الفرنسي...٥١٧
الشيخ عبدالحسين صادق: فشلوا في اغتيال شبيب عبدالله...............................٥١٨
بحث روائي...٥١٩
المقاومون بقيادة الثائرين شبيب العبدالله وأدهم خنجر يحتلون قلعة الشقيف....٥٢٢
المحتل الفرنسي يحكم على رجالات آل عبدالله بالنفي لمواقفهم المعادية له.....٥٢٧
شبيب العبدالله في فلسطين...٥٢٨
شبيب العبدالله يكمن لقافلة يهودية عند المطلة.......................................٥٢٩
اليهود ينتقمون لقافلتهم بأسر شبيب العبدالله...٥٣٠
إطلاق سراح شبيب من الأسر بعد التعهد بدفع تعويض.. ولكن...........................٥٣١
الثائر شبيب العبدالله يأسر قافلة يهودية ويهدد بقطع رؤوس مَن فيها...........٥٣٥
محمد التامر يمزق الكمبيالة بعد أن تنازل اليهود عن مطلبهم خوفًا من شبيب....٥٣٦
شبيب يوقع الجميع في حيرة...٥٣٧
لقاء الأحبة.. شبيب يروي والقوم من حوله يستمعون بشغف..........................٥٣٧

يل الرواية...٥٣٨
ة شبيب عن كيفية أسره للمستعمرين اليهود.............................٥٣٩
تمة، هل اغتيل شبيب العبدالله..٥٤٢
ركة الأدبية عند آل عبدالله...٥٤٤
ر جبل عامل المرحوم عبد الحسين إسماعيل العبدالله.......................٥٤٩
عن الشاعر العبدالله..٥٥١
قالوا في الشاعر عبد الحسين العبدالله؟.....................................٥٥٩
دة رثاء ألقاها الشاعر عبد الحسين عبدالله في أسبوع عمه....................٥٦٩
عر حسن محمود عبدالله...٥٧٤
يصل وشعره في السياسة...٥٨١
ي علي حسين خليل عبدالله..٥٨٦
ا نعرف المربي علي حسين عبدالله..٥٨٦
ي الأستاذ علي حسين خليل عبدالله صاحب ثورة علمية......................٥٨٨
ي علي حسين عبدالله الأديب..٥٨٩
ي علي حسين عبدالله المؤرخ..٥٩٠
ي علي حسين عبدالله الشاعر..٥٩٢
ناصر الدين التنوخي..٥٩٣
شاعر الكبير والمربي الأستاذ علي حسين عبدالله............................٥٩٤
حاب شعر الاستاذ علي عبدالله..٥٩٤
ي الأستاذ علي عبدالله في رسالة تاريخية لأبناء العائلة........................٦٠١
ء وأدباء آل عبدالله..٦٠٣
ر الأول مواليد القرن الثامن عشر والتاسع عشر.............................٦٠٣

العصر الثاني مواليد القرن العشرين.......... ٦٠٣
أبناء الحاج حسن بن محمد آل عبدالله.......... ٦٠٥
أسماء السادة المحترمين رواة الأحاديث والأسانيد وحفظة التاريخ.......... ٦١٥
الشكر وكل الشكر إلى السيدات والسادة المحترمين.......... ٦١٧
فهرس المصادر والمراجع.......... ٦٢٠
في الختام.......... ٦٢٦
نبذة عن حياة المؤلف.......... ٦٢٧
الأعمال القادمة للمؤلف.......... ٦٢٧
الفهرس.......... ٦٢٩

تنفيذ المطبعة العصرية
صيدا – لبنان
+ 961 7 230841
info@alassrya.com
www.alassrya.com

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان

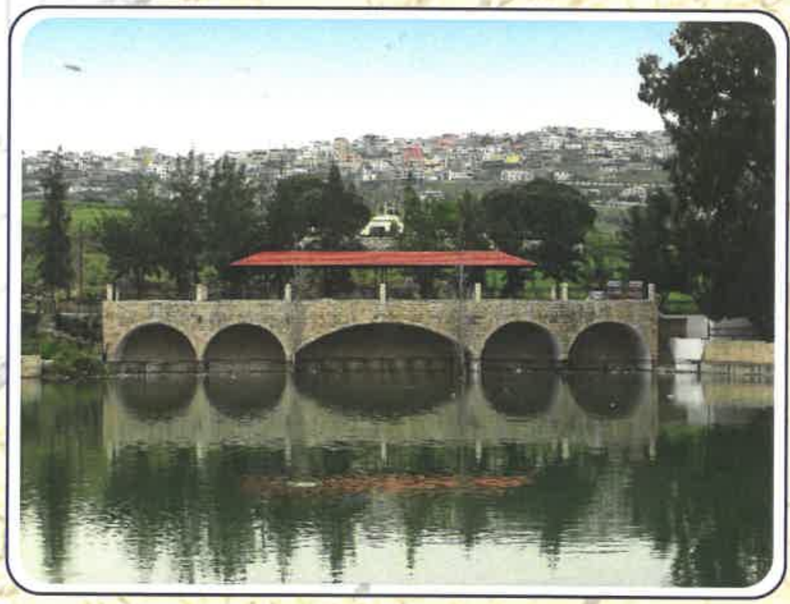

يعود ريع الكتاب لرعاية الأيتام